



كتاب أبحاث المؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية



المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة
خلال الفترة ٢١-٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٣هـ الموافق ٢٦ - ٢٨ نوفمبر ٢٠٢١ م

جميع الآراء المطروحة في البحوث والدراسات والمصقات العلمية
المشاركة في المؤتمر تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر عن رأى اللجنة
المنظمة واللجنة العلمية للمؤتمر



إدارة وتنظيم

إشراء المعرفة للمؤتمرات والأبحاث والنشر العلمي



كتاب أبحاث المؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية

المملكة العربية السعودية - مكة - منصة الزووم
خلال الفترة ٢١-٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٣هـ الموافق ٢٦ - ٢٨ نوفمبر ٢٠٢١ م

إدارة وتنظيم



الهيئة العامة للمعارض والمؤتمرات
SAUDI CONVENTIONS & EXHIBITIONS GENERAL AUTHORITY



إثراء المعرفة للمؤتمرات والأبحاث والنشر العلمي
Ithra Elmarata For Conferences, Researches And Scientific Publish



(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)

(الإِسْرَاءُ : ٩)

المقدمة

تمثل جهود العلماء والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية فتح أفق للاجتهد والتجديد في العلوم الإسلامية بمختلف مجالاتها، ووضع الحلول لكثير من المشكلات التي يعاني العالم الإسلامي والمجتمعات الإنسانية الأخرى، ان البحث العلمي في الدراسات الإسلامية، يعتبر اهم سبل تحريرها من قيود الماضي، و استثمار نتائج تلك البحوث في معالجة واقع المسلمين يزيد من فرص مواكبة قضايا العصر، ويعزز من جهود الأئمة والدعاة في نشر الدعوة الإسلامية. يتناول المؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة العديد من الموضوعات والدراسات والأبحاث في مختلف مجالات الدراسات الإسلامية، من خلال الجلسات والملصقات العلمية وورش العمل التي يقدمها الباحثين والمختصين المشاركون في المؤتمر من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الحكومية والأهلية بالعالم العربي و الإسلامي والباحثين والمختصين في هذا المجال من الدعاة، الأئمة، العلماء، أساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا من أجل إبراز أثر الجهود العلمية الحديثة في الدراسات الإسلامية. ويتطرق المؤتمر ايضاً من خلال العروض البحثية لعدد من القضايا والمشكلات في الدراسات الإسلامية ودراسة الواقع الحالي المعاصر في العالم العربي والإسلامي، استشراف رؤية إسلامية أصيلة للقضايا الإسلامية المعاصرة.

رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر

د. عبد الرحمن محمد الزهراني

الفهرس

رقم الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث	تسلسل
1	دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية "من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى"	د. فاطمه غازي مسلم اللحياني	1
30	منظومة الخدمات السعودية في مكة المكرمة (الخدمات الجبلية لملوك المملكة العربية السعودية أنموذجاً)	د. فاطمة محمد عيسى محنشي	2
56	تعليم القرآن الكريم للصم	أ.محمد بن هيجان يحيى الصحبي	3
66	مقومات الأمن الفكري عند شيخ الإسلام ابن تيمية دراسة تحليلية من خلال كتاباته	أ. انشراح بنت علي بن أحمد الأهدل	4
98	حكم الاعتماد على ما يُروى عن النبي ﷺ من تصحيح للأحاديث في الرؤى المنامية دراسة تأصيلية تطبيقية	أ.يوسف بن صالح بن عبدالله الموينع	5
112	أثر قاعدة الأمور بمقاصدها على أحكام الأوبئة- نماذج تطبيقية	أ.بسمة بنت محمد العصيمي	6
127	أهمية التفسير الاحتمالي للنص القرآني وبواعثه ومسوغاته العلمية (دراسة تأصيلية)	د. ناجي حسين صالح علي اليحيري	7
153	مبدأ التسامح في الإسلام وشهادة المستشرقين حوله "الأندلس نموذجاً"	أ.أفراح حاسن فائز اللهبي	8
164	تطبيق النظم الإسلامية تطبيقاً واقعياً في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين	د. نجوى محمد رجاء اللهبي	9
178	المرأة وخدمة المجتمع في ضوء الكتاب والسنة "أمهات المؤمنين والصحابيات - رضي الله عنهن- أنموذجاً: دراسة تاريخية حضارية"	د. عائشة بنت مرشود حميد الحربي	10
192	دراسة التاريخ الإسلامي بين الواقع والمأمول (دراسة عقدية دعوية)	د. عائشة بنت محمد بن سعد القرني	11
205	الأحكام الفقهية المتعلقة بنوازل شجر الحرم	د.نوال بنت عويض عيد الحارثي	12

224	الجهود التطوعية الأندلسية في تفسير القرآن الكريم وإقرائه خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)	أ.أضواء محمد إبراهيم جعفر	13
250	التفكير الاستدلالي في علم أصول الفقه، منهجيته ومميزاته	د. مؤمنة فضيل منذر المؤيد	14
274	موقف الفقه الإسلامي من أحكام التزام البائع بتسليم البضاعة في عقد البيع الدولي للبضائع	د.خالد بن يوسف بو عبيد	15
294	تحديات الحوار في الفكر الإسلامي وسبل تعزيزه	أ.د. صفية عبد الله أحمد بخيت* ١ د/ وفاء احمد الغامدي* ٢ د/ هدى عبدربه القرشي* ٣ د/ فائزة حميدان الصاعدي* ٤	16
316	المنهج النبوي في الوقاية من الشبهات على مستوى الفرد والمجتمع	أ.عبير سليمان وائل التويجري	17
332	ملامح نظرة الاستشراق للإسلام في القرون "الوسطى"	أ.مريم بنت خالد عبدالفتاح	18
342	الانحرافات المعاصرة في باب الرقية (دراسة عقديّة)	د. منيرة بنت صياف العمري	19
360	أثر الطلاق في الإصلاح الأسري والمجتمعي	د. محمود شعبان سيد إبراهيم	20
378	مقاصد الشريعة وأثرها في تطوير الذات	د. أمل بنت أحمد سعيد عقلاق	21
396	أهمية توظيف زخارف المنطقة الجنوبية (القط العسيري) بفن الترقيع على الملابس وأثرها في التوعية بالتراث المحلي في المملكة وترسيخ الحضارات الإسلامية	د/إيمان عبدالحفيظ عبداللطيف	22
415	موقف المستشرقين من مصادر التشريع الإسلامي (الإجماع والقياس- الاستحسان والمصالح المرسلّة)	د.إقبال بنت محمد باصم	23
435	(وقولوا للناس حسنا)	د. سامية بنت عطية الله المعبدي	24
459	القيم التربوية الإسلامية في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط -المملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية	أ. هياء عيسى العيسى	25
482	أثر قاعدة الأمر المطلق يقتضي الوجوب في حكم الالتزام بنظام حظر التجول الصحي	أ. مواهب بنت عمر بن دبيان الصيفي	26

الملصقات

27	أ.خلود بنت ناقي بن بخيت الجُهني	مصادر الاستدلال عند أهل السنة والجماعة
28	أ.نوران ناصر بندر بنيان	المضامين التربوية المستنبطة من آيات الاستغفار وتطبيقاتها في الواقع المعاصر
29	أ.حنين بنت عبدالكريم مددين	التربية بالحب في القرآن الكريم وتطبيقاتها في الأسرة
30	أ.آلاء مكي علي الخيري	وجهات نظر الطالبات نحو دور الحاسب الآلي في تحصيلهن الدراسي

"دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر

طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى"

د. فاطمه غازي مسلم اللحاني - دكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية من كلية التربية - جامعة أم القرى
مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

Email: allihyni@gmail.com

مستخلص البحث:

يهدف البحث إلى معرفة واقع دور أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة أم القرى في تعزيز مبدأ الوسطية، وإبراز المعوقات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية، ووضع الحلول والمقترحات التي تسهم في تعزيز دور أعضاء هيئة التدريس في تحقيق مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى، والكشف عن الفروق الدالة احصائياً بين استجابات أفراد العينة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى حسب (القسم-المرحلة الدراسية-المستوى الدراسي)، وقد تم استخدام المنهج الوصفي المسحي، والأداة المستخدمة في البحث هي الاستبانة، ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث أن موافقة أفراد عينة الدراسة على واقع دور أعضاء هيئة التدريس بالجامعة في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى كانت بدرجة (كبيرة) بمتوسط حسابي (٣,٦٦) وانحراف معياري (٠,٥٧) ووجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الأكاديمي تعزى إلى المرحلة الدراسية، وكانت الفروق بين مرحلة (الماجستير) ومرحلة (الدكتوراه) وكانت الفروق لصالح مرحلة (الدكتوراه).

-المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فالغاية العظمى لرسالة الإسلام هي أن يُعبد الله تعالى في هذه الأرض، عبودية مبناها على الحق والاعتدال، ولم يكن ذلك ليتحقق إلا بقيام رسالة الإسلام على العلم الذي يقود للحق، وعلى الوسطية التي تنبت الاعتدال؛ وليكون ذلك هو الكفيل لإيجاد تلك الشخصية المسلمة العابدة، المتزنة في معرفتها وسلوكها المتصفة بالاعتدال.

ولقد ميز الله تعالى أمة الإسلام بميزة عظيمة، ومفردة جميلة، ومبدأ سام، وتلك السجية الحميدة، تتمثل في مبدأ الوسطية، فقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَنِ الْإِيمَانِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]

فالإسلام وحده ينفرد بمبدأ الوسطية دون غيره من الملل، والوسطية كما يوضح القرضاوي: "هي حبل النجاة وسفينة الإنقاذ اليوم لأمتنا العربية والإسلامية من التيه والضياع الذي يهدد حاضرها ومستقبلها، ذلك أن معظم قضاياها الفكرية،



والعملية الكبرى تضع فيها الحقيقة بين طرفين متباعدين: طرف الغلو أو التطرف أو التشدد أو الإفراط، وطرف التسبب والتفريط والتقصير والإضاعة". (القرضاوي، ٢٠١١: ١١٥).

والوسطية في الإسلام تبرز أهميتها في أنها تحقق التوازن بين الفرد والجماعة، بين الدين والدنيا، حيث إن الإسلام اتخذ منهج التوازن سبيلاً لتهذيب النفس البشرية "فالتطرف الصاعد يؤدي إلى السفه والطغيان، والتطرف الهابط يؤدي إلى الضعف والهوان، ولذلك شرع ما يضمن توازن المتطلبات النفسية واعتدالها، واتخذ تشريعه الوسطية الذي يحقق التوازن والاعتدال، فهو لا يعذب الجسد ليسمو بالروح، ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد". (الأسمر، ٢٠٠٨، ٢٧٧).

ومن أبرز ملامح التربية الإسلامية أنها تهتم بتربية جوانب المتعلم وهذا الأمر هو قمة الوسطية "ويجب التزام الاعتدال في تربية جوانب المتعلم، وعدم مجاوزتها بالزيادة التي تؤدي إلى الإفراط أو النقصان الذي يؤول إلى الإهمال والتفريط" (أبو دف، ٢٠٠٤، ٢٤).

وطالما أن مفهوم الوسطية بمكانتها المهمة تلك كان لابد من الحرص على تربية النشء على هذا المنهج وخاصة الشباب؛ لأنهم عنصر أساسي في بناء المستقبل، وعمود مهم من أعمدة المجتمعات الحديثة، وتدريب هذه الثقافة في كافة المؤسسات الاجتماعية والتربوية، ولما كانت الجامعات هي مؤسسات اجتماعية تعليمية ذات أهداف سامية، تتطور وتأخذ مكانتها في المجتمع بمقدار قوة أعضاء الهيئة التدريسية وفيها مدى تميزهم وتطور أدائهم؛ كان لا بد أن يكون لأعضاء الهيئة التدريسية دور فاعل في تعزيز مبدأ الوسطية.

ولقد أوصت العديد من الدراسات على أهمية ترسيخ مبدأ الوسطية وتعميق الوعي بالانتماء الديني الإيجابي للشباب؛ ولما كانت الجامعة من بين المؤسسات التربوية والتعليمية المنوط بها إعداد النشء وصياغة الشخصية صياغة إسلامية وجب عليها التركيز على هذا المبدأ.

ومن المسلم به أن الأستاذ الجامعي هو العضو الفعال في بناء الأجيال المسلمة، فلا يقتصر دوره على مجرد القدرة في توصيل المعلومات بصورة صحيحة كلن في تخصصه، بل يجب عليه أن يكون تربوياً مُلمّاً بمبادئ الإسلام وقيمه السامية، متمثلاً بها، مؤثراً في طلبته بسلوكه وإرشاده وبحثه لهم كقدوة على ذلك. "فالمعلم يؤثر بشكل كبير على سلوكيات وفكر الطالب انطلاقاً من ميل النفس البشرية إلى محاكاة النماذج البشرية وهو ما يسمى بأثر القدوة" (مطالقة، ٢٠١١: ٧)، وللأستاذ الجامعي دور عظيم في تعزيز هذا المبدأ وتأكيد في نفوس وعقول طلبته، ولن يستطيع الأستاذ الجامعي القيام بهذا الدور العظيم إلا إذا توافرت فيه السمات والصفات الشخصية والأكاديمية العلمية والاجتماعية.

والتأمل للواقع الحالي يرى أغلب ما عليه شباب اليوم ممن تزخر بهم الجامعات، بحال غير مرضٍ، من انسلاخ عن القيم الإسلامية وتبعية عمياء للغرب إلى غير ذلك. ولتحسين الوضع القائم لا بد من التفكير في نهضة تربوية تشمل أموراً عدة منها إيجاد الأستاذ الجامعي والمربي القدوة، الذي يتحمل مسؤولية توجيه الشباب فهم بناء مستقبل الغد.

وتبرز أهمية الدراسة الحالية استجابة لتوصيات العديد من الجهود البحثية والمؤتمرات العلمية مثل مؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي المنعقد بتاريخ ١-٤ ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ - ٦-٩ مارس ٢٠١١ م والذي أشار إلى شيء من النقص أو الخلل في الالتزام بالوسطية والاعتدال ودعا إلى تعزيز هذا المبدأ السامي.



-مشكلة البحث: يحاول البحث إبراز الدور الذي يمكن أن يمارسه أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة أم القرى في تعزيز مبدأ الوسطية لدى الطالبات؛ إذ أنه على الرغم من أن التنظير للوسطية قد وصل إلى درجة من الوضوح في الفكر والمعرفة إلا أنه على مستوى الممارسة والتطبيق لا يزال بعيداً إلى حد ما وفي ضوء ما سبق تتحدد مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

-أسئلة البحث:

السؤال الرئيس: ما دور أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة أم القرى في تعزيز مبدأ الوسطية لدى الطالبات؟
وتتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية:

- ١- ما واقع دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى؟
- ٢- ما الصعوبات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى؟
- ٣- ما التوصيات والمقترحات اللازمة لأعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى؟
- ٤- هل توجد فروق دالة إحصائية بين استجابات أفراد العينة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى بحسب (القسم-المرحلة الدراسية-المستوى الدراسي)؟

-أهداف البحث:

- ١- معرفة واقع دور أعضاء هيئة التدريس بالجامعة في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى.
- ٢- معرفة المعوقات أو الصعوبات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى.
- ٣- وضع الحلول والمقترحات التي تسهم في تعزيز دور أعضاء هيئة التدريس في تحقيق مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى.
- ٤- الكشف عن الفروق الدالة إحصائياً بين استجابات أفراد العينة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى بحسب (القسم-المرحلة الدراسية-المستوى الدراسي).

-أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في بيان أهمية الوسطية كسمة أساسية في بناء شخصية الفرد المسلم وأثرها الإيجابي في المجتمع.
تفيد نتائج البحث كلاً من:

أ- أعضاء هيئة التدريس في جامعة أم القرى لتعزيز أدائهم في تعزيز مفهوم الوسطية.



ب- الطالبات أنفسهن للاهتمام بهذا المفهوم لبناء شخصياتهن المميزة.

ج- الدعاة والمصلحين والمهتمين بإصلاح واقع الشباب في المجتمع.

د- القائمين على التعليم العالي من خلال عقد الندوات والدورات التي تساعد أعضاء هيئة التدريس في تنمية أدوارهم في ظل تحديات القرن الحادي والعشرين.

-حدود البحث:

حدود موضوعية: دور أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية بجامعة أم القرى في تعزيز مبدأ الوسطية وفق المجالات التالية: (المجال الشخصي، المجال الأكاديمي المهني، والمجال الاجتماعي)

الحدود البشرية: طالبات كلية التربية جامعة أم القرى فرع الزاهر بمكة المكرمة بمختلف التخصصات والمستويات.

الحدود الزمانية: تم تطبيق أداة هذا البحث (الاستبانة) في الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي ١٤٣٩-١٤٤٠ هـ.

الحدود المكانية: جامعة أم القرى فرع الطالبات في حي الزاهر بمكة المكرمة.

-مصطلحات البحث:

الوسطية: عُرِفَتْ بأنها: "العدالة والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط، فالوسطية في الشرع تعني الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين بين إفراط وتفريط، أو غلو وتقصير، وهذه الوسطية إذاً هي العدل والطريق الأوسط الي تجتمع عنده الفضيلة" (الغفيلي، ٢٠٠٤: ١٧٤).

التعريف الإجرائي لدور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الوسطية:

"هي مجموعة من الأنشطة التي يقوم بها أعضاء هيئة التدريس في جامعة أم القرى، من توجيه وإرشاد تربوي للطالبات، سعياً لتعزيز مبدأ الوسطية في المجالات الثلاثة: (الشخصي، والأكاديمي المهني، والاجتماعي) من خلال المحاضرات والندوات الطلابية والمؤتمرات العلمية".

-الدراسات السابقة:

استطاعت الباحثة في حدود اطلاعها على عدة محركات بحثية: (المكتبة الرقمية السعودية، والجامعة الإسلامية بغزة، واتحاد الجامعات المصرية) أن تجد بعض الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة، وقد اقتصرنا على ذكر الدراسات الميدانية الحديثة فقط لشدة ارتباطها بالدراسة الحالية، وهذه الدراسات مرتبة من الأقدم للأحدث كالتالي:

(١) دراسة الشرعة، والبلعاسي (٢٠١١) بعنوان: "ملامح الوسطية في شخصية الأستاذ الجامعي" دراسة ميدانية" (الأردن).



هدفت الدراسة الكشف عن مدى تبني الأستاذ الجامعي للملامح الوسطية، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي، وقاما بتصميم الاستبانة كأداة للدراسة ضمت (٢٣) فقرة، وكانت نتائج الدراسة متقاربة في المجالين الفكري والسلوكي مع تقدم بسيط للمجال الفكري.

(٢) دراسة عبد الله، إبراهيم (٢٠١١) بعنوان: " صفات الأستاذ الجامعي المتمسك بالوسطية" (السعودية).

هدفت الدراسة إلى التعرف على السمات التي ينبغي توافرها في الأستاذ الجامعي الذي يعزز ويرسخ مبدأ الوسطية، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، واختارت الاستبانة لجمع البيانات المطلوبة من العينة وتكونت عينة الدراسة من (٣٦) أستاذاً جامعياً، ومن أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج: محور السمات الشخصية للأستاذ الجامعي قد احتل المرتبة الأولى من الأهمية حيث بلغ متوسط درجات الأهمية فيه (١٠٠) درجة، وجاء محور السمات الأكاديمية والمهنية بالمرتبة الأخيرة بمتوسط درجات أهمية بلغ (٩٣,٧١).

(٣) دراسة رشا، محمد (٢٠١١) بعنوان: "تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات الجامعة ودوره في تفعيل مشاركتهن في الأنشطة الطلابية" دراسة تجريبية مطبقة على طالبات جامعة جنوب الوادي بكليات جنوب صعيد مصر".

هدفت الدراسة إلى اختبار فاعلية برنامج مقترح لتعزيز مبدأ الوسطية في تفعيل مشاركات الطالبات في الأنشطة الطلابية من خلال محاولة التقليل من حدة التمسك بالعوامل الثقافية التي تؤثر بدورها على مشاركتهن في الأنشطة الطلابية. واستخدمت الباحثة المنهج التجريبي باستخدام جماعتين أحدهما ضابطة والأخرى تجريبية، وأداة الدراسة الاستبانة والتي تكونت من (٣٠) عبارة وبعدين، وأظهرت النتائج فاعلية البرنامج المقترح لتعزيز مبدأ الوسطية في تفعيل مشاركة الطالبات في الأنشطة الطلابية، حيث ساهم في التقليل من حدة التمسك بالعوامل الثقافية التي تثر بدورها في مشاركتهن في الأنشطة الطلابية وتفعيل مشاركة الطالبات في الأنشطة الطلابية.

(٤) دراسة الجهني (٢٠١٢) بعنوان: " درجة إسهام كتاب الحديث والثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الوسطية لطلاب المرحلة الثانوية" رسالة، ماجستير، جامعة أم القرى.

هدفت الدراسة إلى معرفة إسهام كتاب الحديث والثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الوسطية لطلاب الصف الثاني الثانوي، واستخدم الباحث المنهج الوصفي المسحي، وصمم أداتين لدارسته الأولى (بطاقة تحليل محتوى)، والثانية (استبانة)، وقد طبقت الأداة على جميع مشرفي التربية الإسلامية بالعاصمة المقدسة وعددهم (٢٦) مشرفاً، ومن أبرز النتائج، احتواء كتاب الحديث والثقافة الإسلامية على العديد من المفاهيم التي تعزز قيم الوسطية بدرجة كبيرة، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة في وجهة نظرهم حول إسهام كتاب الحديث والثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الوسطية لطلاب الثانوية ترجع إلى المتغيرات التالية: (نوع المهل، طبيعة المؤهل، الخبرة في العمل الحالي، عدد الدورات التي اجتازها المشرف التربوي).

(٥) دراسة أبو جبر، (٢٠١٤) بعنوان: "دور أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بغزة في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طلبتهم وسبل تفعيله" رسالة ماجستير، تخصص أصول التربية، قسم التربية الإسلامية بالجامعة الإسلامية-غزة.



هدفت الدراسة التعرف على "دور أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بغزة في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طلبتهم وسبل تفعيله"، ومعرفة أثر كل من المتغيرات (الجنس، الكلية، المستوى الدراسي) على متوسطات تقدير عينة الدراسة لهذا الدور؛ واتبعت الدراسة المنهج الوصفي باستخدام أداة الدراسة الاستبانة، ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن المتوسط الحسابي لآراء أفراد عينة الدراسة حول "دور أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بغزة في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طلبتهم وسبل تفعيله" قد بلغ (٣,٤٩) بوزن نسبي (٦٩,٨٠٪) وهي نسبة كبيرة، وحصول المجال الأكاديمي المهني على المرتبة الأولى بوزن نسبي (٧١,٥٦٪) وهي نسبة كبيرة.

-التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة، تم رصد العديد من أوجه التشابه والاختلاف بينها، مما كان له دور مهم في بناء هذه الدراسة وتطويرها، وسنلقي نظرة تحليلية على هذه الدراسات من حيث: (الأهداف، منهج الدراسة، أداة الدراسة، مجتمع الدراسة) ومن ثم نسلط الضوء على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة، وإبراز أهم ما تتميز به الدراسة الحالية.

تشابهت الدراسة الحالية مع دراسة كلاً من (الشرعة، والبلعاسي، ٢٠١١) ودراسة (عبد الله، إبراهيم، ٢٠١١) ودراسة (رشا، محمد، ٢٠١١)، ودراسة (الجهني، ٢٠١٢)، ودراسة (أبو جبر، ٢٠١٤) في الهدف العام وهو تعزيز مبدأ الوسطية، وفي الأداة المستخدمة لجمع البيانات وهي الاستبانة، كما تشابهت الدراسة الحالية مع دراسة كلاً من (الشرعة، والبلعاسي، ٢٠١١) ودراسة (عبد الله، إبراهيم، ٢٠١١)، ودراسة (الجهني، ٢٠١٢)، ودراسة (أبو جبر، ٢٠١٤) في المنهج المستخدم وهو المنهج الوصفي.

اختلفت الدراسة الحالية مع دراسة رشا، محمد (٢٠١١) في المنهج حيث تم استخدام المنهج التجريبي بمجموعتين ضابطة وتجريبية وهو مالم تستخدمه الدراسة الحالية، كما اختلفت الدراسة الحالية عن دراسة الشرعة، والبلعاسي (٢٠١١) ودراسة عبد الله، إبراهيم (٢٠١١) في العينة التي تم تطبيق الاستبانة عليها وهي الأساتذة الجامعيين، بخلاف الدراسة الحالية التي تم تطبيق الاستبانة على عينة من طالبات جامعة أم القرى، واختلفت الدراسة الحالية عن دراسة الجهني (٢٠١٢) في تركيز الأخيرة على محتوى كتب الحديث والثقافة بينما تركز الدراسة الحالية على السمات الشخصية للأستاذ الجامعي، واختلفت الدراسة الحالية عن دراسة أبو جبر، (٢٠١٤) في اختلاف العينة وفي تركيز الدراسة على سبل تفعيل الوسطية.

واستفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في التعرف على المنهج الملائم للدراسة الحالية، وكذلك الأداة المستخدمة وكيفية تصميمها، وتميزت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بالتعرف على مدى ممارسة أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية في جامعة أم القرى في ترسيخ مبدأ الوسطية لدى الطالبات.



يتناول هذا الجزء وصف لإجراءات الدراسة الميدانية لتحقيق أهداف الدراسة، ويتضمن التالي:

-منهج البحث:

استناداً إلى الهدف الرئيس الذي تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيقه وهو دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى، وإلى أن الظاهرة المدروسة تتعلق بالحاضر، رأت الباحثة أن أنسب مناهج البحث العلمي الذي يمكن من خلال تطبيقه لتحقيق أهداف الدراسة الحالية، هو المنهج الوصفي المسحي. ويعرف المنهج الوصفي بأنه: "طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة، وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها" (عبيدات وأبو نصار ومبيضين، ١٩٩٩م، ص١٨٣)، ويُعرّف المنهج الوصفي المسحي بأنه: "ذلك النوع من البحوث الذي يتم بواسطة استجواب جميع أفراد مجتمع البحث أو عينة كبيرة منهم؛ وذلك بهدف وصف الظاهرة المدروسة، من حيث طبيعتها ودرجة وجودها فقط، دون أن يتجاوز ذلك إلى دراسة العلاقة أو استنتاج الأسباب مثلاً" (العساف، ٢٠١٢، ص١٧٩).

- مجتمع وعينة الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من (١٤٥) طالبة يدرسن في كلية التربية بجامعة أم القرى فرع الزاهر بمكة المكرمة، وتكونت عينة الدراسة من (٥٠) طالبة تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (١٤٣٩هـ-١٤٤٠هـ).

- أداة الدراسة:

تعرف الأداة بأنها: "الوسيلة التي يجمع بها الباحثة معلومات تمكّنه من إجابة أسئلة البحث، واختبار فروضه" (العساف، ١٤٢٧هـ، ص١٨٠).

ولتحقيق هدف الدراسة قامت الباحثة بإعداد استبانة للتعرف على دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى.

وقد تم إعداد الاستبانة في صورتها الأولية وتكونت من:

- ١- أولاً: البيانات الأولية للمستجيبة، وتضمنت: أقسام كلية التربية، المرحلة الدراسية، المستوى الدراسي.
- ٢- ثانياً: دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات جامعة أم القرى، وذلك في (٣) محاور تضمنت (٤٧) عبارة، وهي.

- المحور الأول: المجال الشخصي، وتضمن (١٨) عبارة.

- المحور الثاني: المجال الأكاديمي، وتضمن (١٨) عبارة.



- المحور الثالث: المجال الاجتماعي، وتضمن (١١) عبارة.
- ٣- عرضت الأداة بصيغتها الأولية على عدد من أعضاء هيئة التدريس الخبراء في هذا المجال وأبدوا ملاحظاتهم وكان لتوجيهاتهم دور كبير في بناء الاستبانة وتعديل صياغتها.
- ٤- عرضت الباحثة الأداة بعد ذلك على عدد (١٢) من أعضاء هيئة التدريس والمختصين في عدد من الجامعات السعودية، وطلبت منهم إبداء الرأي حول صياغة العبارة، ومدى وضوحها، ومدى انتمائها للمحور، وقد أبدوا ملاحظاتهم عليها وكانت موضع الاعتبار والاهتمام من قبل الباحثة.
- ٥- وبعد إجراء التعديلات المطلوبة على أداة الدراسة، تضمنت الاستبانة في صورتها النهائية ما يلي:
- ٦- أولاً: البيانات الأولية للمستجيبة، وتضمنت: الكلية، المرحلة الدراسية، المستوى الدراسي.
- ٧- ثانياً: دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى، وذلك في (٣) محاور تضمنت (٣٦) عبارة، وهي:
- المحور الأول: المجال الشخصي، وتضمن (١٧) عبارة.
- المحور الثاني: المجال الأكاديمي، وتضمن (١٢) عبارة.
- المحور الثالث: المجال الاجتماعي، وتضمن (٧) عبارة.
- ٨- أعطت الباحثة لكل فقرة وزناً مدرجاً وفق مقياس ليكرت الخماسي لتقدير وجهة نظر أفراد عينة الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى بدرجة (كبيرة جداً، كبيرة، متوسطة، ضعيفة، ضعيفة جداً)، وتمثل رقمياً (٥، ٤، ٣، ٢، ١) على التوالي.
- تقنين أداة الدراسة:
- صدق أداة الدراسة:
- يُعرّف صدق الأداة بأنه: "قياس الأداة لما صُممت لقياسه، إذ يُفترض للأداة أن تقيس السمة التي صُممت من أجل قياسها، فلا تقيس سمة أخرى غيرها، أو سمة أخرى بالإضافة لها" (الشايب، ٢٠٠٩م، ص ٩٤)، ويعد الصدق من الأمور المطلوب توافرها في الأداة لبيان مدى قدرة كل عبارة من عباراتها على قياس ما وضعت لقياسه.
- وللتحقق من صدق أداة الدراسة، اعتمدت الباحثة طريقتين للصدق، وهما:

(١) الصدق الظاهري (صدق المحتوى):

عرضت الباحثة أداة الدراسة بصورتها الأولية على (١٢) محكماً من أعضاء الهيئة التدريسية والمختصين في جامعة أم القرى، وقد طلبت الباحثة من المحكمين إبداء ملاحظاتهم وآرائهم حول مدى وضوح الفقرة، ومدى ارتباطها بالمحور،



ومدى مناسبتها للمحور الذي وضعت فيه، وإضافة أو حذف أية فقرة يرونها مناسبة. وبعد استعادة الاستبانة تم تفريغ استبانات التحكيم، وقد اعتمدت الباحثة على إجماع (٨٠٪) من إجماع المحكمين للحذف أو الإضافة أو الصياغة اللغوية لل فقرات، وبذلك أصبحت أداة قياس دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى في صورتها النهائية تتكون من (٣٦) فقرة، حيث تضمن المحور الأول (١٧) فقرة، والمحور الثاني (١٢) فقرة، والمحور الثالث (٧) فقرة.

٢) صدق الاتساق الداخلي:

تم التَّحَقُّق من صدق الاتساق الداخلي لفقرات أداة الدراسة، والتأكد من عدم التداخل بين المحاور، بتطبيق الاستبانة على عينة استطلاعية بلغت (١٥) طالبة من كلية التربية بجامعة أم القرى فرع الزاهر. وقامت الباحثة بحساب صدق الاتساق الداخلي للاستبانة باستخدام معامل ارتباط بيرسون Pearson Correlation، حيث تم حساب معامل الارتباط بين كل عبارة والمحور الذي تنتمي له.

جدول رقم (١)

صدق الاتساق الداخلي لفقرات الاستبانة (ن=١٥)

معامل الارتباط بالبعد	رقم العبارة	معامل الارتباط بالبعد	رقم العبارة
المحور الأول: المجال الشخصي			
**٠,٦٤٢	١٠	**٠,٧٢١	١
**٠,٤٣٣	١١	**٠,٧٦٥	٢
**٠,٧٤٤	١٢	**٠,٦٤٥	٣
**٠,٦٢٩	١٣	**٠,٦٦٨	٤
**٠,٤٣٤	١٤	**٠,٥٣٠	٥
**٠,٧٠٧	١٥	**٠,٥٥١	٦
**٠,٥٧٩	١٦	**٠,٤٦٢	٧
**٠,٤٥٦	١٧	**٠,٦٩٦	٨
		**٠,٦٦٣	٩



المحور الثاني: المجال الأكاديمي			
**٠,٦٥٤	٢٤	**٠,٥٦٥	١٨
**٠,٥٣٩	٢٥	**٠,٥٢٧	١٩
**٠,٦٥٤	٢٦	**٠,٦٤٧	٢٠
**٠,٦٤٣	٢٧	**٠,٤٢٤	٢١
**٠,٥٦٨	٢٨	**٠,٥٨٤	٢٢
**٠,٦٣١	٢٩	**٠,٤٤٠	٢٣
المحور الثالث: المجال الاجتماعي			
**٠,٥٨٥	٣٤	**٠,٧٠٢	٣٠
**٠,٧٦٣	٣٥	**٠,٦٩٠	٣١
**٠,٧٥٨	٣٦	**٠,٧٠٧	٣٢
		**٠,٨٣٤	٣٣

**** دال عند مستوى (٠,٠١)**

يوضح الجدول رقم (١) معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه، وقد جاءت جميع معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للمحور الأول، وجميع معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للمحور الثاني، وجميع معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للمحور الثالث جميعها موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١)، مما يدل على صدق الاتساق الداخلي لجميع فقرات الاستبانة.



جدول رقم (٢)

صدق الاتساق الداخلي بين محاور الاستبانة والدرجة الكلية للاستبانة (ن=١٥)

م	المحور	معامل ارتباط بيرسون
١	المحور الأول: المجال الشخصي.	**٠,٩١٩
٢	المحور الثاني: المجال الأكاديمي.	**٠,٨٩٨
٣	المحور الثالث: المجال الاجتماعي.	**٠,٧٣٠

** دال عند مستوى (٠,٠١)

يوضح الجدول رقم (٢) أن جميع محاور الاستبانة تتمتع بدرجة مرتفعة من الصدق، حيث بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون بين المحور الأول والدرجة الكلية للاستبانة (٠,٩١٩) وبلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون بين المحور الثاني والدرجة الكلية (٠,٨٩٨)، وبلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون بين المحور الثالث والدرجة الكلية، (٠,٧٣٠).

- ثبات أداة الدراسة:

يُعرف الثبات بأنه: "درجة الاتساق في قياس السمة موضوع القياس من مرة لأخرى، فيما لو أعدنا تطبيق الأداة عدداً من المرات" (الشايب، ٢٠٠٩م، ص ١٠٢). وقامت الباحثة بحساب ثبات الاستبانة من خلال تم تطبيق الاستبانة على عينة استطلاعية بلغت (١٥) طالبة لقياس مدى ثبات الاستبانة. وقامت الباحثة بحساب ثبات الاستبانة باستخدام معامل كرونباخ ألفا Cronbach's Alpha للاتساق الداخلي.

جدول رقم (٣)

معاملات ثبات محاور الاستبانة والدرجة الكلية للاستبانة (ن=١٥)

م	المحور	عدد العبارات	معامل ألفا كرونباخ
١	المحور الأول: المجال الشخصي.	١٧	**٠,٨٣٩
٢	المحور الثاني: المجال الأكاديمي.	١٢	**٠,٦١٢
٣	المحور الثالث: المجال الاجتماعي.	٧	**٠,٨١٤
	الاستبانة كلها	٣٦	**٠,٨٧٢



يوضح الجدول رقم (٣) أن الاستبانة تتمتع بدرجة مرتفعة من الثبات، حيث بلغت قيمة معامل ألفا كرونباخ (٠,٨٣٩) للمحور الأول، (٠,٦١٢) للمحور الثاني، (٠,٨١٤) للمحور الثالث، وبلغت قيمة معامل ألفا كرونباخ للاستبانة كلها (٠,٨٧٢)، مما يشير إلى تمتع الاستبانة بدرجة مرتفعة من الثبات تجعلنا على ثقة من نتائجها.

- توزيع عينة الدراسة بعد التطبيق:

جدول رقم (٤)

توزيع أفراد عينة الدراسة بعد التطبيق حسب أقسام كلية التربية

أقسام كلية التربية	التكرار	النسبة المئوية %
التربية الإسلامية والمقارنة	١٩	٣٨,٠
المناهج وطرق التدريس	٣	٦,٠
الإدارة التربوية والتخطيط	٥	١٠,٠
علم النفس	٧	١٤,٠
التربية الأسرية	١٦	٣٢,٠
المجموع	٥٠	١٠٠ %

يوضح الجدول رقم (٤) توزيع عينة الدراسة بعد التطبيق حسب أقسام الكلية، وجاء في المرتبة الأولى من قسم (التربية الإسلامية والمقارنة) بنسبة (٣٨,٠ %)، ثم قسم (التربية الأسرية) بنسبة (٣٢,٠ %)، ثم قسم (علم النفس) بنسبة (١٤,٠ %)، ثم قسم (الإدارة التربوية والتخطيط) بنسبة (١٠,٠ %)، ثم قسم (المناهج وطرق التدريس) بنسبة (٦,٠ %).

جدول رقم (٥)

توزيع أفراد عينة الدراسة بعد التطبيق حسب المرحلة الدراسية

المرحلة الدراسية	التكرار	النسبة المئوية %
بكالوريوس	١٦	٣٢,٠
ماجستير	٣	٦,٠
دكتوراه	٣١	٦٢,٠
المجموع	٥٠	١٠٠ %



يوضح الجدول رقم (٥) توزيع عينة الدراسة بعد التطبيق حسب المرحلة التعليمية، وجاء في المرتبة الأولى من هم في مرحلة (الدكتوراه) بنسبة (٦٢,٠٪)، ثم من هم في مرحلة (البكالوريوس) بنسبة (٣٢,٠٪)، ثم من هم في مرحلة (الماجستير) بنسبة (٦,٠٪).

جدول رقم (٦)

توزيع أفراد عينة الدراسة بعد التطبيق حسب المستوى الدراسي

النسبة المئوية٪	التكرار	المستوى الدراسي
٢٤,٠	١٢	الأول-الثاني
٣٤,٠	١٧	الثالث-الرابع
٢٦,٠	١٣	الخامس-السادس
١٠,٠	٥	السابع-الثامن
٦,٠	٣	أخرى
٪١٠٠	٥٠	المجموع

يوضح الجدول رقم (٦) توزيع عينة الدراسة بعد التطبيق حسب المستوى التعليمي، وجاء في المرتبة الأولى الذين في المستوى (الثالث-الرابع) بنسبة (٣٤,٠٪)، ثم الذين في المستوى (الخامس-السادس) بنسبة (٢٦,٠٪)، ثم الذين في المستوى (الأول-الثاني) بنسبة (٢٤,٠٪)، ثم الذين في المستوى (السابع-الثامن) بنسبة (١٠,٠٪)، ثم الذين في المستوى (أخرى) بنسبة (٦,٠٪).

- مقياس التصحيح ومقياس الحكم:

ولأغراض تفسير النتائج، والخروج باستنتاجات نهائية حول هذه الدراسة التي هدفت إلى التعرف على دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى، اعتمدت الباحثة المحك المعياري التالي: لتحديد طول خلايا مقياس ليكرت الخماسي (الحدود الدنيا والعليا) تم حساب المدى (٥-١=٤)، ومن ثم تقسيمه على أكبر قيمة في المقياس للحصول على طول الخليّة أي (٤ ÷ ٥ = ٠,٨) وبعد ذلك تم إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقياس (بداية المقياس وهي واحد صحيح) وذلك لتحديد الحد الأعلى لهذه الخليّة وهكذا أصبح طول الخلايا كما يلي:



الحدود الدنيا والعليا لمقياس ليكرت الخماسي

درجة الموافقة	طول الخلية (المتوسط الحسابي)
ضعيفة جدا	أقل من ١,٨٠
ضعيفة	من ١,٨٠ إلى أقل من ٢,٦٠
متوسطة	من ٢,٦٠ إلى أقل من ٣,٤٠
كبيرة	من ٣,٤٠ إلى أقل من ٤,٢٠
كبيرة جدا	من ٤,٢٠ فأكثر

- المعالجة الإحصائية:

تم تفريغ بيانات الاستبانات المستوفاة والبالغ عددها (٥٠) استبانة على برنامج الرزم الإحصائية (SPSS) في الحاسب الآلي، وتم استخدام المعالجات الإحصائية التالية:

- ١- معامل ارتباط بيرسون Pearson Correlation لحساب صدق الاتساق الداخلي لأداة الدراسة.
- ٢- معامل كرونباخ ألفا Cronbach's Alpha لحساب ثبات الاتساق الداخلي لأداة الدراسة.
- ٣- التوزيعات التكرارية والنسب المئوية التي تهدف إلى التعرف على تكرار الإجابات لدى أفراد عينة الدراسة.
- ٤- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لجميع فقرات الاستبانة وذلك للتعرف على مدى تشتت إجابات أفراد عينة الدراسة.
- ٥- اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) لتحديد الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى والتي تُعزى إلى المتغيرات (القسم، المرحلة الدراسية، المستوى الدراسي).
- ٦- اختبار (LSD) لتحديد اتجاه الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى والتي تُعزى إلى المتغيرات (القسم، المرحلة الدراسية، المستوى الدراسي).



عرض نتائج الدراسة

يتناول هذا الجزء من الدراسة عرض ومناقشة النتائج التي أسفرت عنها الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات جامعة أم القرى.

عرض نتائج السؤال الأول:

للإجابة عن السؤال الأول الذي نصه: ما واقع دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى؟

تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة حول واقع دور أعضاء هيئة التدريس بالجامعات في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى، وقد تم ترتيبها تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية.



جدول رقم (٨)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات عينة الدراسة

حول واقع دور أعضاء هيئة التدريس بالجامعات في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى

رقم العبارة	ترتيبها	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
١٧	١	تتصف أستاذتك بالرقى في الحديث وعدم التلفظ بألفاظ غير مهذبة.	٤,٣٦	٠,٩٦	كبيرة جدا
١١	٢	تهتم أستاذتك بمظهرها باعتدال.	٤,٠٨	٠,٨٧	كبيرة
٨	٣	تتميز أستاذتك بالإخلاص وصدق التعامل.	٣,٩٤	١,٠٧	كبيرة
١٦	٤	تتعامل أستاذتك مع الطالبات بود ولطف	٣,٩٠	٠,٨٨	كبيرة
١٣	٥	تتوافق أفعال أستاذتك مع أقوالها.	٣,٨٤	١,٠٧	كبيرة
٧	٦	تظهر أستاذتك قوة الشخصية مع قدر من اللين.	٣,٧٨	١,١٤	كبيرة
٥	٧	تتبنى أستاذتك اتجاهات وسطياً في تعاملها.	٣,٧٢	١,٠٦	كبيرة
١٤	٨	تلتزم أستاذتك بالمواعيد في حضور محاضراتها.	٣,٦٤	١,١٢	كبيرة
٤	٩	تدافع أستاذتك عن آرائها بدون تشدد.	٣,٦٢	١,٠٨	كبيرة
٢	١٠	تقدر أستاذتك أفكار الآخرين وتحترمها.	٣,٦٠	١,٠٤	كبيرة
١٢	١١	تتصف أستاذتك بالعدل في التعامل بين الطالبات.	٣,٦٠	١,٢٤	كبيرة
٩	١٢	تعالج أستاذتك المشكلات بحكمة.	٣,٥٨	١,١٢	كبيرة
١٠	١٣	تتحلى أستاذتك بالصبر في التعامل مع المواقف.	٣,٥٨	١,١٩	كبيرة
١٥	١٤	تتصف أستاذتك بالهدوء وعدم الانفعال.	٣,٥٨	١,٠٧	كبيرة
١	١٥	تتصف أستاذتك بالمرونة وعدم التشدد في طرح أراها.	٣,٤٦	١,١٩	كبيرة
٣	١٦	تتميز أستاذتك بإصدار أحكاماً موضوعية على الآخرين وعدم التحيز.	٢,٥٦	١,٠٥	ضعيفة
٦	١٧	تتعصب أستاذتك لفكرة أو رأي ولا تتقبل غيره.	٢,٣٦	١,١٩	ضعيفة
		المجموع الكلي	٣,٦٦	٠,٥٧	كبيرة



يوضح الجدول رقم (٨) أن موافقة أفراد عينة الدراسة على واقع دور أعضاء هيئة التدريس بالجامعات في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى كانت بدرجة (كبيرة) وهي الفئة الثانية من فئات الاختيار بمتوسط حسابي (٣,٦٦) وانحراف معياري (٠,٥٧).

عرض نتائج السؤال الثاني:

للإجابة عن السؤال الثاني الذي نصه: ما الصعوبات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى؟

تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة حول الصعوبات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى، وقد تم ترتيبها تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية.

جدول رقم (٩)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات عينة الدراسة

حول الصعوبات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى

رقم العبارة	ترتيبها	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
٢٠	١	تقدم أستاذتكم معرفة علمية غزيرة وعميقة في مادتها.	٤,٥٠	١,١٧	كبيرة جداً
١٨	٢	تقدم أستاذتكم المعلومات بتدرج منطقي.	٣,٧٨	٠,٩١	كبيرة
٢٢	٣	تناقش أستاذتكم كافة الآراء ووجهات النظر بموضوعية مع طالباتها.	٣,٧٨	٠,٨٨	كبيرة
٢٩	٤	تحقق أستاذتكم الإنصاف في الحكم على الطالبات.	٣,٧٤	٠,٩٨	كبيرة
٢١	٥	تمتلك أستاذتكم مهارات الإلقاء الواضح والجذاب والمقتنع.	٣,٧٢	٠,٩٩	كبيرة
٢٣	٦	تربط أستاذتكم المعلومات النظرية بالمواقف الحياتية.	٣,٧٢	١,٠١	كبيرة
٢٧	٧	توجد أستاذتكم جواً متسامحاً داخل وخارج قاعة المحاضرات.	٣,٦٢	١,٠٢	كبيرة
٢٤	٨	تشجع أستاذتكم الطالبات على تقبل الرأي الآخر وإن خالف.	٣,٦٠	١,٠١	كبيرة
٢٥	٩	تقدر أستاذتكم أفكار وأراء طالباتها.	٣,٥٨	١,٠١	كبيرة
٢٦	١٠	تقيم أستاذتكم أداء طالباتها وفقاً لمعايير تقويم واضحة وثابتة.	٣,٤٢	١,٠٣	كبيرة
١٩	١١	تراعي أستاذتكم الفروق الفردية بين الطالبات.	٣,١٤	١,١٤	متوسطة
٢٨	١٢	تحرص أستاذتكم على استخدام التقنية في تدريس المقرر باعتدال.	٣,١٤	١,٢٧	متوسطة
المجموع الكلي			٣,٦٥	٠,٨٤	كبيرة



يوضح الجدول رقم (٩) أن موافقة أفراد عينة الدراسة على الصعوبات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى كانت بدرجة (كبيرة) وهي الفئة الثانية من فئات الاختيار بمتوسط حسابي (٣,٦٦) وانحراف معياري (٠,٨٤).

عرض نتائج السؤال الثالث:

للإجابة عن السؤال الثالث الذي نصه: ما التوصيات والمقترحات اللازمة لأعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى؟

تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة حول التوصيات والمقترحات اللازمة لأعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى، وقد تم ترتيبها تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية.

جدول رقم (١٠)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات عينة الدراسة

حول التوصيات والمقترحات اللازمة لأعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى

رقم العبارة	ترتيبها	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
٣٠	١	ترفض أستاذتك القيم غير الأخلاقية.	٤,٣٤	١,٠٦	كبيرة جداً
٣٣	٢	تتجنب أستاذتك إثارة النعرات والعصبية بين الأفراد.	٤,٢٢	١,٠١	كبيرة جداً
٣٥	٣	تحترم أستاذتك عادات وتقاليد المجتمعات المختلفة ما لم تمس الثقافة والتربية الإسلامية.	٤,١٨	٠,٨٤	كبيرة
٣٢	٤	تتوافق أستاذتك اجتماعياً مع مجتمعها داخل الجامعة.	٤,٠٢	٠,٩٧	كبيرة
٣٤	٥	تعمل أستاذتك على نشر ثقافة الوسط والاعتدال بين الطالبات.	٣,٩٦	٠,٨٧	كبيرة
٣٦	٦	لا تتحاز أستاذتك إلى مجموعات معينة من الطالبات حسب انتماءاتهم الفكرية والطائفية أو الحزبية.	٣,٩٤	١,٢٥	كبيرة
٣١	٧	تقاوم أستاذتك مظاهر العنف والتطرف في المجتمع.	٣,٨٦	١,٢١	كبيرة
المجموع الكلي			٤,٠٧	٠,٧٥	كبيرة



يوضح الجدول رقم (١٠) أن موافقة أفراد عينة الدراسة على التوصيات والمقترحات اللازمة لأعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى كانت بدرجة (كبيرة) وهي الفئة الثانية من فئات الاختيار بمتوسط حسابي (٤,٠٧) وانحراف معياري (٠,٧٥).

عرض نتائج السؤال الرابع:

للإجابة عن السؤال الرابع الذي نصه: هل توجد فروق دالة إحصائية بين استجابات أفراد العينة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى بحسب (القسم- المرحلة الدراسية- المستوى الدراسي)

- أولاً: أثر القسم:

للكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين درجة استجابات أفراد عينة الدراسة عند مستوى ($\alpha \leq 0,05$) حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى والتي تعزى إلى القسم، تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (ف) ANOVA.

جدول رقم (١١)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (ف) ANOVA لأثر الكلية على وجهات نظر أفراد عينة الدراسة

حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
المحور الأول: المجال الشخصي					
بين المجموعات	١٣٩,٩٨٧	٤	٣٤,٩٩٧	٠,٣٤٦	٠,٨٤٥ غير دالة
داخل المجموعات	٤٥٥٢,٠١٣	٤٥	١٠١,١٥٦		
المجموع	٤٦٩٢,٠٠٠	٤٩			
المحور الثاني: المجال الأكاديمي					
بين المجموعات	٣٠,٢٦١	٤	٧,٥٦٥	٠,٠٦٨	٠,٩٩١ غير دالة
داخل المجموعات	٤٩٨٩,٣٥٩	٤٥	١١٠,٨٧٥		
المجموع	٥٠١٩,٦٢٠	٤٩			



المحور الثالث: المجال الاجتماعي					
بين المجموعات	٤٦,٦٣٣	٤	١١,٦٥٨	٠,٤٠٥	٠,٨٠٤
داخل المجموعات	١٢٩٥,٨٤٧	٤٥	٢٨,٧٩٧		غير دالة
المجموع	١٣٤٢,٤٨٠	٤٩			
دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى ككل					
بين المجموعات	١٥٠,٦١٧	٤	٣٧,٦٥٤	٠,٠٧٣	٠,٩٩٠
داخل المجموعات	٢٣٣٤٥,٨٠٣	٤٥	٥١٨,٧٩٦		غير دالة
المجموع	٢٣٤٩٦,٤٢٠	٤٩			

يوضح الجدول رقم (١١) نتائج اختبار (ف) لمتوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى والتي تعزى إلى القسم، ويلاحظ:

- ١- أن قيمة (ف=٠,٣٤٦) وهي تشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq ٠,٠٥$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الشخصي تعزى إلى القسم.
- ٢- أن قيمة (ف=٠,٠٦٨) وهي تشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq ٠,٠٥$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الأكاديمي تعزى إلى القسم.
- ٣- أن قيمة (ف=٠,٤٠٥) وهي تشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq ٠,٠٥$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الاجتماعي تعزى إلى القسم.
- ٤- أن قيمة (ف=٠,٠٧٣) وهي تشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq ٠,٠٥$) بين أفراد عينة الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى تعزى إلى القسم.

- ثانياً: أثر المرحلة الدراسية:

للكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين درجة استجابات أفراد عينة الدراسة عند مستوى ($\alpha \leq ٠,٠٥$) حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى والتي تعزى إلى المرحلة الدراسية، تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (ف) ANOVA.



نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (ف) ANOVA لأثر المرحلة الدراسية على وجهات نظر أفراد عينة الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
المحور الأول: المجال الشخصي					
بين المجموعات	٢١٧,١٥٤	٢	١٠٨,٥٧٧	١,١٤٠	٠,٣٢٨
داخل المجموعات	٤٤٧٤,٨٤٦	٤٧	٩٥,٢٠٩		غير دالة
المجموع	٤٦٩٢,٠٠٠	٤٩			
المحور الثاني: المجال الأكاديمي					
بين المجموعات	٨٠٢,٦٤٥	٢	٤٠١,٣٢٢	٤,٤٧٣	٠,٠١٧
داخل المجموعات	٤٢١٦,٩٧٥	٤٧	٨٩,٧٢٣		دالة
المجموع	٥٠١٩,٦٢٠	٤٩			
المحور الثالث: المجال الاجتماعي					
بين المجموعات	٢٦,٤٥٦	٢	١٣,٢٢٨	٠,٤٧٢	٠,٦٢٦
داخل المجموعات	١٣١٦,٠٢٤	٤٧	٢٨,٠٠١		غير دالة
المجموع	١٣٤٢,٤٨٠	٤٩			
دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات جامعة أم القرى ككل					
بين المجموعات	١٩٤٦,٠٤٢	٢	٩٧٣,٠٢١	٢,١٢٢	٠,١٣١
داخل المجموعات	٢١٥٥٠,٣٧٨	٤٧	٤٥٨,٥١٩		غير دالة
المجموع	٢٣٤٩٦,٤٢٠	٤٩			

يوضح الجدول رقم (١٢) نتائج اختبار (ف) لمتوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى والتي تعزى إلى المرحلة الدراسية، ويلاحظ:



- ١- أن قيمة (ف=١,١٤٠) وهي تشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الشخصي تعزى إلى المرحلة الدراسية.
- ٢- أن قيمة (ف=٤,٤٧٣) وهي تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الأكاديمي تعزى إلى المرحلة الدراسية. وعند استخدام اختبار LSD للمقارنات البعدية اتضح أن الفروق كانت بين مرحلة (الماجستير) ومرحلة (الدكتوراه) وكانت الفروق لصالح مرحلة (الدكتوراه).

جدول رقم (١٣)

نتائج اختبار (LSD) لتحديد اتجاهات الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة حول المجال الأكاديمي تعزى إلى المرحلة الدراسية

الفروق بين المتوسطات			المرحلة الدراسية
دكتوراه	ماجستير	بكالوريوس	
-	-	-	بكالوريوس
١٦,٤٧ **	-	-	ماجستير
-	-	١٦,٤٧ - **	دكتوراه

* دال إحصائياً عند مستوى (٠,٠٥).

- ٣- أن قيمة (ف=٠,٤٧٢) وهي تشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الاجتماعي تعزى إلى المرحلة الدراسية.
- ٤- أن قيمة (ف=٢,١٢٢) وهي تشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى تعزى إلى المرحلة الدراسية.

- ثالثاً: أثر المستوى الدراسي:

للكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين درجة استجابات أفراد عينة الدراسة عند مستوى ($\alpha \leq 0,05$) حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى والتي تعزى إلى المستوى الدراسي، تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (ف) ANOVA.



نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (ف) ANOVA لأثر المستوى الدراسي على وجهات نظر أفراد عينة الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
المحور الأول: المجال الشخصي					
بين المجموعات	١٥٤٧,٨٤٢	٤	٣٨٦,٩٦٠	٥,٥٣٨	٠,٠٠١
داخل المجموعات	٣١٤٤,١٥٨	٤٥	٦٩,٨٧٠		دالة
المجموع	٤٦٩٢,٠٠٠	٤٩			
المحور الثاني: المجال الأكاديمي					
بين المجموعات	١٥٨٥,٤٠٩	٤	٣٩٦,٣٥٢	٥,١٩٤	٠,٠٠٢
داخل المجموعات	٣٤٣٤,٢١١	٤٥	٧٦,٣١٦		دالة
المجموع	٥٠١٩,٦٢٠	٤٩			
المحور الثالث: المجال الاجتماعي					
بين المجموعات	٢٠٦,٣٨٦	٤	٥١,٥٩٧	٢,٠٤٤	٠,١٠٤
داخل المجموعات	١١٣٦,٠٩٤	٤٥	٢٥,٢٤٧		غير دالة
المجموع	١٣٤٢,٤٨٠	٤٩			
دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى ككل					
بين المجموعات	٨١٦٨,٥٧١	٤	٢٠٤٢,١٤٣	٥,٩٩٥	٠,٠٠١
داخل المجموعات	١٥٣٢٧,٨٤٩	٤٥	٣٤٠,٦١٩		دالة
المجموع	٢٣٤٩٦,٤٢٠	٤٩			

يوضح الجدول رقم (١٤) نتائج اختبار (ف) لمتوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى والتي تعزى إلى المستوى الدراسي، ويلاحظ:



١- أن قيمة (ف=٥,٥٣٨) وهي تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الشخصي تعزى إلى المستوى الدراسي. وعند استخدام اختبار LSD للمقارنات البعدية اتضح أن الفروق كانت بين المستوى (الثالث-الرابع) والمستوى (الأول-الثاني) وكانت الفروق لصالح المستوى (الثالث-الرابع). وبين المستوى (الخامس-السادس) والمستوى (الأول-الثاني) وكانت الفروق لصالح المستوى (الخامس-السادس). وبين المستوى (السابع-الثامن) والمستوى (الأول-الثاني) وكانت الفروق لصالح المستوى (السابع-الثامن). وبين المستوى (أخرى) والمستوى (الأول-الثاني) وكانت الفروق لصالح المستوى (أخرى).

جدول رقم (١٥)

نتائج اختبار (LSD) لتحديد اتجاهات الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة

حول المجال الشخصي تعزى إلى المستوى الدراسي

المستوى الدراسي	الفروق بين المتوسطات				
	الأول-الثاني	الثالث-الرابع	الخامس-السادس	السابع-الثامن	أخرى
الأول-الثاني	-	**١٣,٠٣	**٧,٥٧	**١٢,٥٠	*١٧,٥٠*
الثالث-الرابع	**١٣,٠٣-	-	-	-	-
الخامس-السادس	**٧,٥٧-	-	-	-	-
السابع-الثامن	**١٢,٥٠-	-	-	-	-
أخرى	**١٧,٥٠-	-	-	-	-

٢- أن قيمة (ف=٥,١٩٤) وهي تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الأكاديمي تعزى إلى المستوى الدراسي. وعند استخدام اختبار LSD للمقارنات البعدية اتضح أن الفروق كانت بين المستوى (الثالث-الرابع) والمستوى (الأول-الثاني) وكانت الفروق لصالح المستوى (الثالث-الرابع). وبين المستوى (الخامس-السادس) والمستوى (الأول-الثاني) وكانت الفروق لصالح المستوى (الخامس-السادس). وبين المستوى (السابع-الثامن) والمستوى (الأول-الثاني) وكانت الفروق لصالح المستوى (السابع-الثامن). وبين المستوى (أخرى) والمستوى (الأول-الثاني) وكانت الفروق لصالح المستوى (أخرى).



نتائج اختبار (LSD) لتحديد اتجاهات الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة

حول المجال الأكاديمي تعزى إلى المستوى الدراسي

الفروق بين المتوسطات					المستوى الدراسي
الأول-الثاني	الثالث-الرابع	الخامس-السادس	السابع-الثامن	أخرى	
-	**٨,٤٨	**٨,٣٩	**١٢,٢٨	*٢٣,٤١	الأول-الثاني
-	-	-	-	-	الثالث-الرابع
-	-	-	-	-	الخامس-السادس
-	-	-	-	-	السابع-الثامن
-	-	-	-	-	أخرى

٣- أن قيمة (ف=٢,٠٤٤) وهي تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الاجتماعي تعزى إلى المستوى الدراسي.

٤- أن قيمة (ف=٥,٩٩٥) وهي تشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى تعزى إلى المستوى الدراسي. وعند استخدام اختبار LSD للمقارنات البعدية اتضح أن الفروق كانت بين المستوى (الثالث-الرابع) والمستوى (الأول-الثاني) وكانت الفروق لصالح المستوى (الثالث-الرابع). وبين المستوى (الخامس-السادس) والمستوى (الأول-الثاني) وكانت الفروق لصالح المستوى (الخامس-السادس). وبين المستوى (السابع-الثامن) والمستوى (الأول-الثاني) وكانت الفروق لصالح المستوى (السابع-الثامن). وبين المستوى (أخرى) والمستوى (الأول-الثاني) وكانت الفروق لصالح المستوى (أخرى).

جدول رقم (١٧)

نتائج اختبار (LSD) لتحديد اتجاهات الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة



حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى تعزى إلى المستوى الدراسي

الفروق بين المتوسطات					المستوى الدراسي
الأول-الثاني	الثالث-الرابع	الخامس-السادس	السابع-الثامن	أخرى	
-	**٢٦,٢٣	**١٨,٠٧	**٣٤,٤٠	*٤٦,٦٦	الأول-الثاني
**٢٦,٢٣-	-	-	-	-	الثالث-الرابع
**١٨,٠٧-	-	-	-	-	الخامس-السادس
**٣٤,٤٠-	-	-	-	-	السابع-الثامن
**٤٦,٦٦-	-	-	-	-	أخرى

خلاصة الدراسة

أولاً: ملخص النتائج:

فيما يتعلق: بواقع دور أعضاء هيئة التدريس بالجامعات في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى:

دل تحليل بيانات الدراسة أن موافقة أفراد عينة الدراسة على واقع دور أعضاء هيئة التدريس بالجامعات في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى كانت بدرجة (كبيرة) بمتوسط حسابي (٣,٦٦) وانحراف معياري (٠,٥٧).

فيما يتعلق: بالصعوبات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى:

دل تحليل بيانات الدراسة أن موافقة أفراد عينة الدراسة على الصعوبات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى كانت بدرجة (كبيرة) بمتوسط حسابي (٣,٦٦) وانحراف معياري (٠,٨٤).

فيما يتعلق: بالتوصيات والمقترحات اللازمة لأعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى:



دل تحليل بيانات الدراسة أن موافقة أفراد عينة الدراسة على التوصيات والمقترحات اللازمة لأعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى كانت بدرجة (كبيرة) بمتوسط حسابي (٤,٠٧) وانحراف معياري (٠,٧٥).

فيما يتعلق: الفروق الدالة إحصائياً بين استجابات أفراد العينة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى بحسب (القسم-المرحلة الدراسية-المستوى الدراسي):

- أولاً: أثر القسم: أشار تحليل بيانات الدراسة إلى:

- ١ - عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الشخصي تعزى إلى القسم.
- ٢ - عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الأكاديمي تعزى إلى القسم.
- ٣ - عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الاجتماعي تعزى إلى القسم.
- ٤ - عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى تعزى إلى القسم.

- ثانياً: أثر المرحلة الدراسية: أشار تحليل بيانات الدراسة إلى:

- ١ - عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الشخصي تعزى إلى المرحلة الدراسية.
- ٢ - وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الأكاديمي تعزى إلى المرحلة الدراسية، وكانت الفروق بين مرحلة (الماجستير) ومرحلة (الدكتوراه) وكانت الفروق لصالح مرحلة (الدكتوراه).
- ٣ - عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الاجتماعي تعزى إلى المرحلة الدراسية.
- ٤ - عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى تعزى إلى المرحلة الدراسية.

- ثالثاً: أثر المستوى الدراسي: أشار تحليل بيانات الدراسة إلى:



- ١ - وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الشخصي تعزى إلى المستوى الدراسي، وكانت الفروق لصالح المستوى الأعلى.
- ٢ - وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الأكاديمي تعزى إلى المستوى الدراسي، وقد كانت الفروق لصالح المستوى الأعلى.
- ٣ - عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول المجال الاجتماعي تعزى إلى المستوى الدراسي.
- ٤ - وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين أفراد عينة الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى تعزى إلى المستوى الدراسي، وكانت الفروق لصالح المستوى الأعلى.

ثانياً: التوصيات:

- في ضوء النتائج التي انتهت إليها الدراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى، فإن الباحثة توصي بما يلي:
- ١ - إجراء دراسة حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز مبدأ الوسطية من وجهة نظر الطلاب في مختلف الكليات بالجامعات الحكومية، والخاصة بالمملكة العربية السعودية.
 - ٢ - ضرورة العمل على نشر ثقافة الوسطية والاعتدال بين الطالبات.
 - ٣ - ضرورة احترام عادات وتقاليد كافة المجتمعات على ألا يتعارض ذلك مع الشريعة الإسلامية.

-المراجع:

- القرآن الكريم
- أبو جبر، عدنان حمدان، (٢٠١٤). "دور أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بغزة في تعزيز مبدأ الوسطية لدى طلبتهم وسبل تفعيله" رسالة ماجستير، تخصص أصول التربية، قسم التربية الإسلامية بالجامعة الإسلامية- غزة.
- أبو دف، محمود خليل، (٢٠٠٤). مقدمة في التربية الإسلامية، مكتبة آفاق للطباعة والنشر، غزة، فلسطين.
- الأسمر، أحمد، (٢٠٠٨). فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، دار الفرقان، عمان، الأردن.
- الجهني، علي بن عيد، (٢٠١٢). "درجة إسهام كتاب الحديث والثقافة الإسلامية في تعزيز قيم الوسطية لطلاب المرحلة الثانوية"، رسالة ماجستير، قسم المناهج وطرق تدريس، كلية التربية، جامعة أم القرى.
- الشايب، عبد الحافظ، (٢٠٠٩). أسس البحث التربوي، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع.



- الشرعة، ناصر والبلعاسي، سعود، (٢٠١١). بعنوان: "ملاحح الوسطية ففي شخصية الأستاذ الجامعي "دراسة ميدانية" ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي المنعقد في جامعة طيبة-المدينة المنورة، السعودية بتاريخ ١-٤ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ/٦-٩ مارس ٢٠١١م.
- عبد الله، صفاء، وإبراهيم، منال، (٢٠١١). بعنوان: " صفات الأستاذ الجامعي المتسم بالوسطية" ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي المنعقد في المدينة المنورة، بتاريخ ١-٤ ربيع الثاني ١٤٣٢هـ/٦-٩ مارس ٢٠١١م.
- عبيدات، محمد، وأبو نصار، محمد ومببضين، عقلة (١٩٩٩)، منهجية البحث العلمي-القواعد والمراحل والتطبيقات-، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، الجامعة الأردنية، عمان.
- العساف، صالح حمد، (١٤٢٧). المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ط٤، الرياض، العبيكان.
- الغفيلي، عبد الله بن سليمان، (٢٠٠٤). وسطية أهل السنة والجماعة في باب القدر، مجلة البحوث، العدد ٧٦، ص ١٧٤.
- القرضاوي، يوسف، (٢٠١١)، كلمات في الوسطية ومعالمها، دار الشروق، القاهرة.
- محمد، رشا (٢٠١١): "تعزيز مبدأ الوسطية لدى طالبات الجامعة ودوره في تفعيل مشاركتهن في الأنشطة الطلابية " دراسة تجريبية مطبقة على طالبات جامعة جنوب الوادي بكليات جنوب صعيد مصر". ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي المنعقد في المدينة المنورة، بتاريخ ١-٤ ربيع الثاني ١٤٣٢هـ/٦-٩ مارس ٢٠١١م.
- مطالقة، أحلام (٢٠١١): "علاقة الأستاذ الجامعي بالطالب وأثرها في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي" المنعقد في المدينة المنورة بتاريخ ١-٤ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ/٦-٩ مارس ٢٠١١م



منظومة الخدمات السعودية في مكة المكرمة (الخدمات الجليلة لملوك المملكة العربية السعودية أنموذجاً)

Saudi Services System in Makkah Al-Mukarramah

The Great Services of the Kings of the Kingdom of Saudi Arabia, Examples

د. فاطمة محمد عيسى محنشي – عضو هيئة تدريس في جامعة طيبة - المملكة العربية السعودية

Email: dfatma2021@gmail.com

ملخص

تناولت الدراسة جهود ملوك المملكة في تعيين حدود الحرم، وعمارة البيت العتيق وتوسعة المسجد الحرام وتناولت صناعة كسوة الكعبة المشرفة (دار كسوة الكعبة والصناعة الوطنية) وأشارت الدراسة إلى الاستعدادات لتجهيز دار صناعة الكسوة وتطرق إلى إنشاء الملك عبد العزيز رحمه الله وزارة للحج والأوقاف وموقفه - رحمه الله - من أوقاف الحرمين الشريفين وتناولت أهم أسبلة الملك عبد العزيز وجهوده رحمه الله في تعمير عين زبيدة وأشارت الدراسة إلى إصدار الأمر بعدم تحصيل رسوم على الحج والبضائع وانطلاقة الخدمات الصحية في مكة المكرمة، فجهود حكومتنا الرشيدة ألهمت المهمة النشيطة لدى الشباب والشابات في تقديم أسمى الجهود في سبيل خدمة ضيوف الرحمن فمن منظومة الخدمات الحضارية السعودية في مكة ظهر لدينا جيل قوي شجاع محب للخير والعمل وتقديم ما في الإمكان لرفعة وقداية المكان

الكلمات المفتاحية: مكة المكرمة - كسوة الكعبة - حدود - اعلام الحرم

Abstract:

The study discussed the efforts made by the Kings of the Kingdom for defining the boundaries of the Grand Mosque, Grand Mosque maintenance and renovation projects, Grand Mosque expansion projects, and Kaaba Covering Manufacturing (after establishing Kaaba Covering Factory and supporting national industry). The study shed some light on the efforts that were made for establishing Kaaba Covering Factory and the fact that King Abdul-Aziz, may Allah have mercy on him, launched a separate Ministry for Hajj and Endowments. It also referred to King Abdul-Aziz position on the Endowments of the Two Holy Mosques. Furthermore, the study underlined the most important efforts made by King Abdul-Aziz, may Allah have mercy on him, for the reconstruction of Ain Zubaydah Spring. It also highlighted the issuance of the Royal Decree prohibiting collecting any fees for Hajj services and merchandise and launching health care services in Makkah Al-Mukarramah. All these efforts, which were made by our wise government, inspired young men and women to offer their efforts and volunteer to serve the pilgrims and due to the



Saudi civilized services system launched in Makkah, a strong, brave generation that loves goodness has emerged; a generation willing to make every possible effort to boost and more enhance the services provided during Hajj for the pilgrims.

Keywords: Makkah Al-Mukarramah - Kaaba Covering - boundaries – Grand Mosque flags

المقدمة

مكة المكرمة

مهوى أفئدة أكثر من ألف مليون مسلم في شتى أرجاء الأرض ..
مهبط الوحي وموقع المسجد الحرام المبارك ، وكعبته المشرفة ..
مقصد ملايين الحجاج والمعتمرين والزائرين ..
أظهر بقعة على وجه الأرض ..

يرجع بناء مكة المكرمة إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل قد خصها الله تعالى في كتابه العزيز بالتكريم، وذكرها بأسماء عديدة بلغت أحد عشر اسماً، ومن هذه الأسماء : مكة ، وبكة، والبلد الآمن، والبلد الأمين، والحرم الآمن، وأم القرى، كما أشار إليها في مواقع عديدة بأسماء أخرى، وأقسم بها، وأعطاه ما لم تحظ به أية مدينة في الدنيا. وشاء جلت قدرته، أن تكون الكعبة المشرفة، والمسجد الحرام فيها، فكانت لهذه المشيئة آثارها ونتائجها من حيث بناء مكة وتعميرها، وسكانها.

وفي ظاهر مكة نزل الوحي الإلهي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأول سور القرآن الكريم، وتوالى الوحي بعد ذلك حتى عرفت بعض آيات القرآن الكريم بالمكية، وهي التي نزلت في مكة المكرمة، والمدنية، وهي التي نزلت في المدينة المنورة. وفي أرض مكة وبطاحها، كان جهاد المسلمين الأوائل في مواجهة الشرك والضلال وعبادة الأصنام، وفيها كان نصر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، يوم دخلوها في العام الثامن للهجرة ظافرين منتصرين، فانتهت دولة الشرك ورفع فيها اسم الله وحده، وحطمت الأصنام، وطُهر البيت، وباتت مكة آمنة، طاهرة، وإلى كعبتها المشرفة يتجه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في صلواتهم خمس مرات في اليوم، وبالطواف حولها يبدؤون حجهم، وبه ينهونه. فلن ننسى قصة بناء مكة والمسجد الحرام والكعبة المشرفة.

أهمية الدراسة

إن لمكة المكرمة شرفاً عظيماً، ومنزلة رفيعة، فقد اختصها الله عز وجل بكثير من مزايا الشرف والقداسة ، ونوه بعظمتها وفضلها وعلو شأنها ، ونبه إلى ذلك بأساليب متنوعة في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، فمما شرفها الله به أن جعلها نقطة ارتكاز للكرة الأرضية ، فقد أثبتت الإسقاطات الجغرافية والدراسات الحديثة أنها مركز العالم ونقطة ارتكازه وفي ذلك تنبيه إلى بعض السر في اختيارها مبعثاً للرسول الأعظم هادي البشرية ومنقذ الإنسانية خاتم النبيين وسيد المرسلين ، المبعوث رحمة للعالمين ، ومنطقاً لدعوته العامة ومهبطاً للدستور السماوي الخالد وقلبا لمهد العروبة التي نزل بلغتها وملفت الأمة العربية بحمله وتبليغه إلى الناس كافة فكانت مبعثاً لنوره الساطع وضيائه



اللامع ليخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى ومن الباطل إلى الحق ولذلك سماها أم القرى وأم الشيء وسطه^(١).

يتخذ عمران مكة المكرمة في الوقت الحاضر شكل هلال يميل إلى الاستطالة، ويتجه جانباه نحو سفوح جبل قعيقعان^(٢)، وهي على هذا النحو تبدو وقد ضيقت عليها سلسلتان مزدوجتان من التلال، فالى الشرق يمتد جبل أبي قبيس^(٣)، وإلى الغرب يحدها جبل قعيقعان، وتقع مكة على خط عرض (٢٥، ٢٠، ٢١) درجة، وخط طول (٣٥، ٤٩، ٣٩) درجة ومكة تقوم في بطن وادٍ هو وادي إبراهيم عليه السلام، ويقع المسجد الحرام والكعبة المشرفة في بطنه، وتشرف عليها الجبال من جميع النواحي دائرة حول الكعبة، وكانت المناطق المنخفضة نسبياً في الساحات المحيطة بمكة تسمى البطح^(٤) أو البطحاء^(٥) شرف وعظم المكان جعل جميع الدويلات الإسلامية التي حكمت مكة المكرمة تتسابق في تقديم منظومة خدمية رائعة لبيت الله الحرام ولخدمة ضيوف الرحمن حتى جاء العصر السعودي الزاهر فأولى قادة المملكة العربية السعودية عناية تامة برعاية المسلمين في الحرمين الشريفين وخدمتهم فبرزت جهودهم في مكة المكرمة في نماذج عدة منها:

• تعيين حدود الحرم

تجديد الملك عبد العزيز^(٦) آل سعود لأعلام الحرم

(١) علي قاسم الفيفي: شرف مكة المكرمة وحرمتها، مجلة التوعية الإسلامية، س١٦، ع ذو القعدة - ١٤١١هـ / ١٩٩٠ م / ص ١٤ - ١٥

(٢) قعيقعان: هو الجبل الضخم المشرف على المسجد الحرام من الشمال والشمال الغربي، ممتدا بين تئيتي كداء وكُدَى، مشرفاً على وادي طوى غرباً. ولا يعرف اليوم اسم قعيقعان، ويسمى بأسماء كثيرة طرفة الشمالي الغربي يسمى جبل العبادي، والشرقي المشرف على ثنية كداء ومقبرة المعلاة يسمى جبل السليمانية، أما الجزء الأكبر منه في الجنوب، فيسمى جبل هندي، وشرقه المتصل برية الفلق إلى جوفه غيلم، فيسمى جبل الفلق، ويسمى طرفه المشرف على حارة الباب (جبل المطابخ، وطرفه المشرف على ثنية كُدَى (ربع الرسام) يسمى قرناً، وسمعت أيضاً أن طرفه الغربي مما يلي بئر طوى يسمى جبل السودان، لم أتمكن من تحقيق هذا القول، ومنه أيضاً جبل فلفة، وجبل النقا، وجبل الفرارة، وكلها أحياء من مكة. وقد ذكر قعيقعان في الأخشبيين. الشريف محمد الصادق: ترجمة تسنيم محمد حرب، وصف مكة المكرمة كما ورد في مصنف (مكة أم الدنيا) (ط١، إسطنبول، مركز التاريخ العربي للنشر، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م) ص ٤٥.

(٣) أبو قبيس: هو الجبل المشرف على الكعبة المشرفة من مطلع الشمس، وكان يزحم السيل فيدفعه إلى المسجد الحرام، ففتح منه الكثير، وشق بينه وبين المسجد الحرام طريقاً للسيل وطريقاً للسيارات وهو مكسو بالبنيان، وفي رأسه مسجد صغير يسمى مسجد بلال، وليس منسوباً إلى الصحابي رضي الله عنه، إنما هو على اسمه. وعلى أبي قبيس الطرفة القائلة: الواقف على أبي قبيس يرى الطائف. فيتبادر للذهن من المقصود مدينة الطائف، فيدهش السامع لهذا القول والمقصود الطائف بالكعبة. الشريف محمد الصادق: المرجع السابق، ص ٤٥.

(٤) البطحاء: بطحاء مكة أشهر ما سمع من أقوال أهل مكة في تحديدها أنها الجزع من وادي إبراهيم بين الحجون إلى المسجد الحرام، وما فوق ذلك إلى المنحنى، يسمى الأبطح، وما أسفل من ذلك يسمى المسفلة وكانت البطحاء تنغرز فيها عجلات السيارات ثم عبت. الشريف محمد الصادق: المرجع السابق، ص ٤٦.

(٥) عبد اللطيف عبد الله بن دهيش: عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي دراسة تاريخية حضارية، (د.ط، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور ١٠٠ عام على تأسيس المملكة) ص ٢٧.

(٦) الملك عبد العزيز: وُلد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في قصر أبيه بالرياض ليلة ٢٩ من ذي الحجة سنة ١٢٩٧هـ / ٢ كانون ١٨٨٠م، ووالدته هي الأميرة سارة ابنة الأمير أحمد السديري، من منطقة السدير بجوار الزلفي. تعلم القرآن الكريم على يد القاضي عبد الله بالخرج، فحتمه في ١١ من عمره، كما تلقى أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف. وتعلم الكثير من أحوال العرب وألم بتاريخها، من خلال مرافقته المستمرة لوالده الإمام عبد الرحمن، وحضوره مجالسه؛ لكن الأحداث المتتالية، التي أحاطت به من كل



لقد أولى الملك عبد العزيز عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه عناية خاصة بالحرمين الشريفين، وفي زمنه جدد العلمان اللذان في طريق جدة القديم. ووضعت عبارة (إلى هنا أول حدود الحرم وضع في عهد الملك عبد العزيز وكتب أسفل العبارة السابقة عبارة باللغة الإنجليزية، إلا أن تاريخ دخول مكة المكرمة، في حكم الملك عبد العزيز، وعلى ذلك يكون بناؤهما بعد عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م).

• تجديد الملك سعود لأعلام الحرم:

في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله كان طريق جدة في زمانه هذا الطريق القديم المعروف اليوم، ولكن في منطقة الشميسي يمر بأرض رملية تغوض فيها الأرجل، فضلا عن عجلات السيارات، فأشار^(٧) بعض أهل الخبرة بشق طريق للسيارات لا يخرق هذه الرمال، بل يتركها ويسير عنها جنوباً، محاذياً لجبال الشميسي الحمراء فكان ذلك، فشق هناك الطريق المزفت، فكان لا بد من وضع أعلام لحدود الحرم على الطريق الجديد بجانب الأعلام التي بنيت في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، فوضع علمان على هذا الطريق يبعدان عن العلمين السابقين (٢ كيلومتر جنوباً)، وعمر العلمان في سنة (١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م) وهذان العلمان لا زال قائمين وإن كان الطريق قد رجع إلى موضعه الأول، والعلمان على هيئة أعلام الملك عبد العزيز، لكنهما بنيا بالأسمنت والصخر، بدلا من النورة، وطلبا من الخارج بالأسمنت أيضا، ثم طليا بنوع من (الجبس)^(٨) الأبيض، وكتب في وسطهما بخط أسود هذه العبارة (إلى هنا انتهى الحرم الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود عام (١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م).

وفي عام (١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م)، تم بناء علمين كبيرين على طريق الطائف (السيل) المار على (نخلة اليمانية)، وهما لا زال قائمين، وحالتهما جيدة، ومبنيان بالأسمنت والصخر، ولا يختلفان في طريقة بنائهما عن العلمين السابقين، وكان قد كتب على العلمين كتابة بخط أسود، لم يبق منها أثر يذكر، فالعبارة الآتية:

(إلى هنا انتهى الحرم هذان العلمان هما حد الحرم من الحل الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود عام (١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م).

• تجديد الملك خالد لأعلام الحرم:

في عهد الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله تم إقامة علمين كبيرين إلى جانب علمي طريق الطائف من جهة عرفة، وعلم الملك خالد رحمه الله علما ضخمان مرتفعان أكثر من بقية أعلام الطرق.

جانب منذ طفولته المبكرة؛ جعلته ينخرط في قلب الأحداث، وهما نفسه لتحمل مسؤولية القيادة والمواجهة. أحمد محمد حطيط، الملك عبد العزيز بن سعود، (ط١، بيروت دار الفكر اللبناني)، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٧.

(٧) عبد الملك بن عبد الله بن دهبش: الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به دراسة تاريخية وميدانية، (د.ط، مكة المكرمة، د.ن)، ص ١٠٦ - ١٠٥، انظر ملحق ٤.

(٨) الجص Stucco plaster of paris: الجص أو الجبس وهو خام من كبريتات الكالسيوم المهدنة، وضرب من الحجارة تطحن وتحرق لتستخدم في البناء، ومن الجبس العادي، وهو نوع خشن غير نقي من المصيص المطحون المحروق الذي تدهن به الجدران من الداخل والخارج، ومنه قولهم جصص الحائط أي طلاه بالجبس. أنظر إلى: عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ص ٦٣.



كما أن هندسة بنائهما مختلفة أيضاً ، حيث خلا رأس العلمين من القباب الثلاث ، والعلم طُلي موضع منه كبير لكتابة معلومات عن هذا العلم ووظيفته ، طُلي أولاً بالأسمنت الناعم ، ثم طلي بجبس أبيض ، حيث يرى هذا الموضع كأنه لوح كبير أبيض ، وجعل فوق هذا اللوح شرافة تحميه من المطر ، لتحمي الكتابة التي عليه ، والكتابة كانت بالخط الأسود^(٩) وفي أواخر عهد الملك خالد رحمه أقيم علمان جديدان في طريق جدة القديم ، إلى جانبي عملي الملك عبد العزيز رحمه الله ، وهذان العلمان الجديدان يختلفان في الهندسة وطريقة بنائهما عن الأعلام السابقة ، فهما علمان جميلان ، بنيا أصلاً بالأسمنت المسلح بالحديد ، وغلفا بالمرمر الصناعي الملون في بعض جوانبهما.

وبقومان على قاعدة مبنية بالصخر الأحمر والأسمنت، وفي كل جانب من جوانب العلم أربعة أعمدة جميلة يقوم فوقها تاج جميل، يمثل رأس العلم، وهذا التاج بديل القباب الثلاث الصغيرة التي تقوم على رأس العلم، وقد صرف فيه الجهد والوقت في تصميمه وبنائه شي ليس بالقليل، وهو صورة مصغرة لما وصل إليه فن الهندسة والعمارة في العصر الحديث وقد كتب في وسط العلمين على لوح من المرمر الأبيض هذه العبارة (هنا نهاية حدود الحرم- HERE ENDS THE HOLY AREA)

• تجديد خام الحرمين الشريفين الملك فهد^(١٠) رحمه الله لأعلام الحرم:

في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله في عام (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م)، أقيم علمان في منطقة التنعيم ، بالقرب من مسجد عائشة رضي الله عنها ، وهذان العلمان بنيا عندما جدد بناء مسجد التنعيم ، وظهر فيه ضروب فن الهندسة ، والعمارة الحديثة الشيء الكثير ، والعلمان يقومان على يسار قبلة المسجد ، ويمتد طولهما من الشمال إلى الجنوب ، وليس من الشرق إلى الغرب ، وهما عبارة عن جدارين عريضين مرتفعين تربعت على قمة كل علم ثلاث قباب صغيرة دهنت باللون الأخضر ، وقد غلف العلمان بالمرمر الصناعي الأبيض الجميل ، بنفس الغلاف الذي غلفت به جدران ومآذن مسجد التنعيم من الخارج^(١١)

• عمارة البيت العتيق وتوسعة المسجد الحرام

مشروع جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله لتوسعة وعمارة المسجد الحرام

في عام (١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م):

(٩) عبد الملك بن دهيش: الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به، ص ١٠٩-١٠٨-١٠٧
(١٠) الملك فهد: ولد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بمدينة الرياض عام (١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م)، وتلقى تعليمه الأول على يد عدد من العلماء بمتابعة مباشرة من والده الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي أول تربية أبنائه وتنشئتهم جل عناية. وعرف عن الملك فهد بن عبد العزيز حبه للاطلاع والمعرفة منذ صغره، كما عرف عنه تحمله للمسؤوليات منذ سنوات مبكرة من عمره ، كلفه الملك بن عبد العزيز بالعديد من الأعمال السياسية والإدارية ، وذلك من خلال إشراكه في مهمات ووفود رسمية للمملكة العربية السعودية ، بل كلفه برئاسة بعضها ، واستمر تكليفه في عهد إخوانه الملك سعود والملك فيصل والملك خالد رحمه الله بكثير من الأعمال الدبلوماسية والمشاركات السياسية والمناصب الحكومية. انظر إلى: فهد بن عبد الله السماري وناصر محمد الجهيمي : المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف) ، (دط، الرياض ، دار الملك عبد العزيز ، رقم تسلسل الإصدار ١١٣ ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) ، ص ٩.
(١١) عبد الملك بن دهيش: المرجع السابق، ص ١١٠-١١١.



وقبل عمارة الكعبة المشرفة وترميمها، أمر باستبدال الشمعدانات الست التي على حجر إسماعيل بخمس من النحاس الأصفر فوق كل شمعدان وضع فانوس يضاء بالكهرباء. كما أمر في السنة نفسها بتغيير الإطار الفضي للحجر الأسود - وهو الإطار الذي أرسله السلطان العثماني محمد رشاد الخامس (١٣٢٧ - ١٣٣٦ هـ / ١٩٠٩ - ١٩١٨ م) عام (١٢٣١ هـ / ١٩١٢ م)، وقد مضى عليه أكثر من أربعة وأربعين عاماً دون تغيير.

وكان الملك عبد العزيز قد أمر عام (١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م):

بإصلاحه وتجميله حيث صدر الأمر الملكي بتغييره في الخامس من شهر جمادى الأولى عام (١٣٧٥ هـ / ٢٠ ديسمبر ١٩٥٥ م)، وقد تشرف بوضعه بيديه يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر شعبان (١٣٧٥ هـ / ٤ أبريل ١٩٥٦ م)، وكان مما قاله:

(وهو يضع هذا الإطار الفضي: بودي أن أجعل الإطار من الجواهر الثمين والدر الكريم ولكنني أتقيد بتعاليم الشريعة الإسلامية السمحة) ^(١٢).

وفي عام (١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م):

أصدر الملك عبد العزيز أمره إلى مدير الأوقاف محمد سعيد بالخير ^(١٣) (بإصلاح الخراب الواقع في جدار المسجد وأرضه وأعمدته وإصلاح حاشية المطاف وعموم الأبواب وطلاء مقام إبراهيم الخليل عليه السلام بالدهان الأخضر وكذلك الأساطين النحاسية الواقعة حول المطاف وغير ذلك من الإصلاحات اللازمة للمسجد الحرام وتمت هذه العمارة على وجه السرعة لحلول موسم الحج عام (١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م) ^(١٤).

إضاءة المسجد الحرام بالكهرباء:

عام (١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م):

صدر الأمر الملكي من الملك عبد العزيز بتركيب ماكينة الكهرباء الجديدة - ذات قوة ثلاثين كيلوات - بجانب الماكينة القديمة، وذلك حتى يمكن إضاءة عموم المسجد الحرام والتي تبرع بها أحد التجار المسلمين، مع تركيب مصابيح كهربائية حديثة في عموم المسجد من الداخل والخارج. وجاء في الأمر السامي الكريم أنه يجب العمل على صيانة ماكينة الكهرباء

(١٢) محمد حسين الموجان: الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود (دراسة تاريخية حضارية معمارية) (د.ط، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م) ص ١٥ - ١٦.

(١٣) محمد سعيد بالخير: من علماء مكة المكرمة، حيث ولد فيها عام ١٢٨٣ هـ، ثم تلقى علومه على يد والده وغيره من علماء مكة المكرمة، كما تخرج من المدرسة الصولتية، ثم تعين عضواً بهيئة التدقيقات (التمييز) وفي عهد السعودي تعين مديراً للأوقاف، وشارك في عضوية عدد من اللجان التي تحتاج إلى الحنكة والصبر ومعرفة الناس. كما عُين عضواً في اللجنة التأسيسية التي شكلت بأمر من الملك عبد العزيز لوضع التنظيمات الإدارية والسياسية عمر بن صالح سليمان العمري: الملك عبد العزيز والعمل الخيري (دراسة تاريخية وثائقية)، (الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م)، ص ١٧٨.

(١٤) عمر العمري: المرجع السابق، ص ١٧٨.



وتوفير الوقود اللازم لها مع صيانة المصابيح الكهربائية واستبدالها وزيادة عددها كلما اقتضت الحاجة لذلك وبدأت الإنارة بها في غرة شهر ذي القعدة من عام (١٣٤٦هـ / ١٩٨٢م) (١٥).

وكانت شوارع مكة المكرمة وحاراتها تضاء ليلاً بلمبات الكاز، منذ قديم العصور كبقية جميع الأقطار والممالك ، فكانت اللمبات توضع في داخل الفوانيس وتعلق على جدران المنازل والبيوت في الحارات والشوارع ، فلما انتشرت الكهرباء وعمت جميع أرجاء المملكة تم استبدال الفوانيس باللمبات الكهربائية ، وطبعاً كان ذلك بالتدريج أي شيئاً فشيئاً .فإنارة مكة المكرمة كانت في العهد السعودي الزاهر ، وكذلك زيادة العمران ، وازدياد السكان ، وسفلتة الشوارع والميادين وجميع الطرقات التي تصل بين البلدان والمحطات في كافة أطراف المملكة العربية السعودية (١٦)

عمارة الكعبة المشرفة وترميمها في عهد الملك سعود (١٧) رحمه الله:

تغيير سقف الكعبة وترميمها

في أول محرم الحرم عام (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م)، حصل للسقف الأعلى لبیت الله خراب يحتاج إلى تغييره كله، وأن سقفه الأدنى الذي هو من الخشب فقط تلف من فعل الأرضة والسوس، وأن جدرانه تحتاج إلى ترميم، وكل ذلك يحتاج إلى المبادرة لإصلاحه.

فأمر الملك سعود بن عبد العزيز بتشكيل هيئة علمية وهيئة فنية من المهندسين المعماريين، للنظر فيما وقع بالكعبة المطهرة، فقاموا بالكشف الدقيق ودخلوا الكعبة المعظمة ووجدوا الأمر كما ذكر ورفعوا قرارهم بذلك وعلى الإثر صدر الأمر إلى مدير الإنشاءات العمومية محمد بن عوض بن لادن، بالقيام بعمارة سقفي الكعبة المشرفة وتغييرهما وتجدهما، وبترميم ما يحتاج إلى ترميمه من الداخل

فخلاصة الأمر الملكي الصادر في أواخر شهر المحرم عام (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م)، بعمارة سقفي الكعبة المطهرة وترميمها وإصلاحها هي فيما يأتي:

(١) رفع السقف الأعلى للكعبة المشرفة وتجديد عمارته.

(٢) تجديد السقف الأدنى لقدم أخشابه وتأكلها.

(٣) عمل ميده، بكسر الميم، بين السقفين تحيط بجميع جدرانها

(٤) ترميم الجدران الأصلية ترميماً جيداً.

(١٥) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي دراسة تاريخية حضارية، (د.ط، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) ص ١٠٢.

(١٦) محمد طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢/ ٣٥٢.

(١٧) الملك سعود: تولى الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (١٣٧٣-١٣٨٤هـ / ١٩٥٣-١٩٦٤م) الحكم في المملكة العربية السعودية بعد وفاة والده الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود رحمهما الله في اليوم ١٢ من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ / التاسع من نوفمبر عام ١٩٥٣م، وأصبح منذ ذلك الوقت هو المسؤول عن توسعة الحرمين الشريفين وعمارتهما، وعمارة الكعبة المشرفة وكسوتها. أنظر إلى: محمد حسين الموجان: المرجع السابق، ص ٩.



(٥) إصلاح الرخام المحيط بجدران الكعبة من باطنها.

(٦) ترميم وإصلاح الدرج التي في باطن الكعبة المؤدية إلى سطحها.

(٧) يجب مراعاة عدم بروز شيء من التعمير والإصلاح عن الكعبة المشرفة وجدرانها وأطرافها.

(٨) عدم تذهيب أو تفضيض أو تمويه سقف الكعبة المطهرة.

(٩) جميع الترميم والتعمير يكون بالمواد البلدية.

(١٠) جميع ما يصرف على الكعبة المعظمة يكون من الكسب الحلال الطيب.

هذه هي خلاصة الأمر الملكي، وبموجبه جرى العمل في الكسوة المشرفة^(١٨).

صناعة سلم للكعبة المشرفة:

أمر الملك سعود بن عبد العزيز بصنع سلم فخم لائق بمكانة بيت الله الحرام للصعود عليه بدلاً من السلم القديم الذي صنع في عام (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م)، ومر عليه أكثر من مئة وخمس وثلاثون عاماً.

صناعة السلم في مصر

وصنع من الخشب القوي المتين ، الملبس بصفائح الفضة المزركشة ، وفيه من النقوش العربية المذهبة ما يبهر النظر ، فهو بديع الصنعة ، جميل المنظر والمخبر ، ويعد تحفة نادرة ، وأية من آيات الرسم والزخرفة ، وهو يتكون من (١٢) درجة ، ووصل إلى مكة المكرمة من القاهرة في يوم الأربعاء خامس شهر ذي الحجة عام (١٣٧٦هـ/ ٤ يونيو ١٩٥٧م ، وفي صباح يوم الخميس سادس ذي الحجة) أي في اليوم التالي لوصوله أستعمل هذا السلم لأول مرة بعد صنعه ، فصعد عليه الملك سعود بن عبد العزيز ، وبعض رؤساء وفود الحج القادمين من أنحاء العالم الإسلامي ، فدخلوا الكعبة المشرفة وغسلوها بماء زمزم المعطر بالورد كما هي العادة في هذا اليوم من كل عام

وقد ورد في صحيفة أم القرى نقلاً عن المديرية للإذاعة خبر تغيير السلم:

الذي يصعد به الناس للدخول إلى الكعبة عند الحاجة إلى ذلك، ولقد نفذ الأمر الملكي الكريم هذا، وقد تم الآن صنع سلم على الطراز العربي غلف بالفضة، وطعم بنقوش عربية ذهبية، وقد استعمل هذا السلم الجديد صباح يوم الخميس عندما قام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم أيده الله بالصعود للكعبة المشرفة ومعه رؤساء الوفود الإسلامية القادمة من شتى أنحاء العالم الإسلامي لأداء فريضة الحج لأجل غسل الكعبة المشرفة^(١٩)

عمارة المسجد الحرام وتوسعته في عهد الملك فيصل^(٢٠) رحمه الله:

(١٨) محمد طاهر الكردي المكي: المرجع السابق، ج ٣ / ٣٨٤-٣٨٣.

(١٩) محمد بن حسين الموجان: الكعبة المشرفة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، (د.ط، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٧هـ)، ص ١٧. انظر ملحق ٣.

(٢٠) الملك فيصل: فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، ويكنى باسم ابنه البكر (عبد الله) سماه والده فيصلاً، تيمناً بفيصل بن تركي مؤسس الدولة السعودية الثانية. ولد الفيصل في صفر (١٣٢٤هـ/ نيسان ١٩٠٦م)، في مدينة الرياض، يوم انتصر والده



في عام (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م)، تم إزالة المنازل والمتاجر التي تقرر إزالتها لإقامة الميادين الخمسة حول المسجد الحرام التي أعلن عنها الملك فيصل في ذلك العام، وتقع هذه المنازل في الجهة الغربية عند باب الملك عبد العزيز وفي الجهة المعروفة بمنطقة المسيل وجزء من المنطقة الواقعة أمام باب العمرة، وفي الجهة الشرقية للصفاء والمروعة والمعروفة بمنطقة سوق الليل والشامية وبداية أسواق المدعي.

وأعقب ذلك نقل الأنقاض وقام بتسوية الأرض، وتخطيط الميادين والشوارع المحيطة بالمسجد الحرام في المنطقة التي تم إزالة المباني منها، بداية من المنطقة الواقعة ما بين باب الوداع وباب العمرة، ومن ثم زفلنتها وإنارتها ورصفها. وفي الوقت نفسه كانت أعمال بناء أعمدة الدور الأول وتسقيفه في المنطقة الغربية للمسجد الحرام الواقعة ما بين باب الملك عبد العزيز جنوباً إلى باب العمرة في الشمال الغربي للمسجد. وشرع على الفور بناء أعمدة الرواق الشمالي في المنطقة الواقعة ما بين باب السلام وباب الباسطية (٢١)

وبعد الانتهاء من بناء المسعى، حتى أصبح المسجد الحرام محاطاً بالأروقة من جميع جهاته، وأصبح بناء المسجد مكوناً من طوابق عدة (أقبية - دور أرضي - دور أول - أسطح) كما أصبح المسعى مكوناً من دورين وأسطح. وفي عام (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) أصدر الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله أمره الكريم بعدم هدم الرواق العثماني ووصله بالمباني الجديدة للمسجد مع ترميم الأجزاء التالفة من الرواق العثماني وتعديل التصميم المعمارية المعدة سابقاً

وفي عهد الملك فيصل رحمه الله زاد عدد الحجاج زيادة كبيرة لم تشهد لها مكة المكرمة (٢٢) من قبل وخاصة بعد أن شارب مشروع توسعة المسجد الحرام على الانتهاء في نهاية عهده رحمه الله رحمة واسعة (٢٣)

صناعة كسوة الكعبة المشرفة (دار كسوة الكعبة والصناعة الوطنية)

عبد العزيز آل سعود على ابن رشيد في (روضة مهنا)، واستعاد القصيم نهائياً من آل رشيد والعثمانيين. كانت تربيته مزيجاً من الثقافة الدينية التي تولاها جده الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف أحد علماء عصره، ومن التربية السياسية والاجتماعية والعسكرية التي تولاها أبوه الملك عبد العزيز آل سعود فعلمه حسن التصرف مع الناس والعشائر، والصبر والكتمان وضبط الأعصاب، وعزة النفس. أنظر إلى: محمد حرب: الملك فيصل بن عبد العزيز، (ط١، بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٤١١هـ / ١٩٩١م) ص ٨.

(٢١) عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي، ص ١٤٢-١٤٣.

(٢٢) انظر إحصائية رسمية لعدد الحجاج في عهد الملك فيصل ملحق

(٢٣) عبد اللطيف بن دهيش: المرجع السابق، ص ١٤٤-١٤٥-١٥٢.



الموقع: في جنوب المسجد الحرام لجهة يمين الصاعد من المسجد الحرام إلى أجياد الكبير^(٢٤) (بئر بليلة)^(٢٥) فاختير مبنى تابع لوزارة المالية في جبرول أمام وزارة الحج والأوقاف في مقابل مبنى وزارة المالية قبل فندق (لوكاندة مصر^(٢٦)،

البناء:

صدر الأمر السامي الكريم من الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله - إلى من يههم الأمر بالبدء العاجل في تشييد دار لحياكة كسوة الكعبة المعظمة في عام (١٣٤٦هـ / ١٩٢٦م) وفي نفس العام تم الانتهاء من تشييد مبنى من الحجر من دور واحد، وفي تزويده بالمعدات والأدوات اللازمة لنسج أول كسوة للكعبة في مكة المكرمة^(٢٧)

فصدرت إرادة جلالة ملك المملكة العربية السعودية الامام الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وذلك في مستهل شهر محرم عام (١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م)، إلى وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان^(٢٨) بإنشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة المعظمة. فقام وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان بإنشاء تلك بحارة (أجياد) أمام دار وزارة المالية العمومية فكانت مساحة الأرض التي أنشئت عليها تلك الدار نحو ١٥٠٠ متر مربع، وأخذ العمال يعملون بغاية السرعة فتمت عمارتها في نحو ستة أشهر من عام (١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م)، على دور واحد وعلى حسب مقتضى لعمل الكسوة بغاية

(٢٤) أجياد الكبير: هو الشعب المقابل لأجياد والمؤدي إلى المصافي (الأصفي)، وربع بخش (اللاحجة): وهو يبدأ بعد أوائل أجياد الصغير بقليل من نهاية بناية مستشفى أجياد تقريباً، ويسير مصعداً في خط مستقيم نحو الجنوب الشرقي، ثم ينعطف نحو الشمال الشرقي حتى يلتقي بأجياد الصغير. إلى انظر: فوزي محمد عبده ساعاتي: حارات ومعالج جوار المسجد الحرام، (ط١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م)، ص ٤٥

(٢٥) بئر بليلة (البوالة): جهة اليسار الصاعد من المسجد الحرام إلى ربع بخش (اللاحجة)، وهو من الآبار التي حفرت قبل الإسلام حيث غزارة الأمطار وبالتالي انحارها من قمم الجانب الغربي لجبل خندمة ولا يزال البئر يضج مياهه وإن ردمت فتحتة، فتوجد على يمين الصاعد من المسجد الحرام إلى ربع بخش غرفة مدون عليها (مضخة بئر بليلة)، وكان ربع بخش (اللاحجة) طريق جبلي وعرة حتى كدي (خم) بطحاء قريش (الاقحوانة). انظر: فوزي محمد عبده ساعاتي: المرجع السابق، ص ٦١.

(٢٦) لوكاندة مصر: تقع جهة الجنوب الشرقي واليمين للصاعد من المسجد الحرام إلى أجياد الكبير (بئر بليلة) في مقابل طلعة المصافي (الأصفي) بعد الإدارة العسكرية ودار (ملجأ) الأيتام. انظر: فوزي محمد عبده ساعاتي: المرجع السابق، ص ٣٨.

(٢٧) فوزي محمد عبده ساعاتي: المرجع السابق، ص ٣٩ - ٤٠.

(٢٨) الوزير عبد الله السليمان الحمدان: أول وزير مالية سعودي وشخصية قيادية مخضمة، وأحد أبرز رجال الملك عبد العزيز - رحمه الله - ومن أقربهم منه مكانة وثقة. عاصر مرحلة تأسيس الدولة في نشأتها الأولى بعد توحيد البلاد، وساهم في تذليل عدد من المصاعب المالية التي واجهت المؤسس، كما أنه من أولئك القلائل الذين ساهموا في بناء نهضتنا الحديثة، حتى بقي التاريخ شاهداً على أعماله وإنجازاته.. لم لا؟، وهو أول من حمل لقب وزير في الدولة السعودية الثالثة، كما كان يلقب ب (وزير الملك)؛ لأن ذلك كان قبل التشكيلات الوزارية التي حددت فيما بعد، وعليه فقد غلبت المهام المالية على عمل "ابن سليمان" في ديوان الملك المؤسس حتى عُرف بمنصبه كوزير للمالية منذ عام (١٣٥١هـ / ١٩٣٢م)، وضمت وزارته الشؤون الاقتصادية وإيرادات البلاد وارتبطت به إدارة التموين والحج، والزراعة والأشغال العامة والسيارات. تبرع بأرض جامعة الملك عبدالعزيز وجلب «الماء الحلو» إلى أهالي عنيزة، ولقربه الخاص من الملك وثقة الملك به فقد كان له أدوار متعددة بالغة الأهمية، كدوره البارز باتفاقية النفط، ودوره بالحروب المحلية والأزمة المالية العالمية، ومساهمته في النهضة الاقتصادية للمملكة بداية التأسيس، فضلاً عن أدواره وأوليائه المتمثلة في توقيع على اتفاقية التنقيب عن الزيت واستخراج وتكرير النفط، حيث فوّضه المؤسس بعقد اتفاقيات مع الشركات الأجنبية للتنقيب عن النفط، كما أنه كان أول من أنشأ البث الإذاعي في محافظة جدة في التاسع من ذي الحجة عام (١٣٦٨هـ / ١٩٦٦م)، إضافة إلى كونه أحد أربعة أشخاص اختارهم الملك لتأسيس مجلس الوكلاء وهو اللجنة الأولى لمجلس الشورى عام (١٣٥٠هـ / ١٩٣١م)، إلى جانب أنه شغل منصب النائب العام. رحلة كفاح وعصامية تعلمنا كيف نكون مخلصين لوطن يستحق منا الكثير. انظر إلى: «عبد الله السليمان». منصور العساف: أول وزير وأقرب رجال الملك عبد العزيز مكانة وثقة، الجمعة ١٠ ذي القعدة ١٤٣٥هـ / ٥ سبتمبر ٢٠١٤م - العدد ١٦٨٧٤، <https://www.alriyadh.com/973335>، صحيفة الرياض



الابداع والحسن، فكانت هذه الدار أول دار أسست خصيصاً لحياكة كسوة الكعبة المعظمة بمكة المكرمة في عصر جلالة الملك عبد العزيز معظم منذ كسيت الكعبة من العصر الجاهلي والإسلام إلى العصر الحاضر.

الاستعدادات لتجهيز دار صناعة الكسوة

صدرت إرادة جلالة الملك معظم بإحضار العمال اللازمين لحياكة الكسوة المشار إليها وعمل التطريز اللازم للحزام وستارة الباب ، وما يقضي عمله للكسوة وتوابعها من بلاد الهند ، فوصل العمال والانوال من الهند في ابتداء شهر رجب عام (١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م)، إلى مكة بواسطة الشيخ إسماعيل الغزنوي^(٢٩) أحمد علماء الهند ووجهائها وفضلائها مع الحرير والصباغ وكل ما يلزم لعمل الكسوة المذكورة ، ثم صدر أمر صاحب السمو الملكي النائب العالم لجلالة الملك معظم الأمير فيصل بن عبد العزيز معظم بأسناد إدارة معمل الكسوة الشريفة إلى الشيخ عبد الرحمن مظهر المترجم بوزارة الخارجية السعودية في ذلك الوقت ورئيس مطوفي الهنود حالا ، فقام المذكور وبمساعدة وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان بإتمام بناء دار الكسوة، البناء قام بترتيب رؤساء العمال الواردين لعمل الكسوة كلا بحسب^(٣٠) وظيفته ، فنصبوا الأنوال . وصبغوا الحرير وباشروا العمل، فكانت الانوال التي وردت من الهند اثني عشر نولاً، وعدد المعلمين النساجين مع المطرزين أربعين معلماً، واتباعهم عشرين فكان مجموعهم ستون شخصاً، وفي نهاية شهر ذي القعدة عام (١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م).

تم عمل الكسوة الشريفة على غاية ما يرام من حسن الحياكة واتقان الصناعة، وإبداع التطريز، على شكل الكسوة التي كانت تأتي من مصر حياكة، وتطريزاً، ولوناً، أما حياكة الثوب فهي بالحرير الأسود الخالص في عمومها بأصل الحياكة وفي أسفل التجويفة (بالله) وفي الضلع الأيمن من علو (جل جلاله) وكذلك في علو الضلع الأيسر.

وأما حزام الكعبة فعرضه:

مترا مثل الحزام الذي كان يعمل بمصر مطرزاً بالقصب المموه بالذهب، ومكتوباً عليه بالقصب الفضي المذكور وبأسلاك الفضة بخطر رائع بديع الصنع رقمه الكاتب والرسام الفني بوزارة المالية الجلييلة حضرة محمد أديب أفندي الخطاط الماهر، فكتب في القسم الشرقي الذي يلي باب الكعبة المعظمة (بسم الرحمن الرحيم، وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) .

وكتب على الحزام في القسم الشمالي الذي يلي حجر إسماعيل:

(هذه الكسوة صنعت في مكة المباركة المعظمة بأمر خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، أيداه الله تعالى بنصره عام ١٣٤٦ هجرية على صاحبها أفضل

(٢٩) إسماعيل الغزنوي: ممن ايدوا الدعوة السلفية ودافعوا عن الملك عبد العزيز رحمه الله وابنه الشيخ محمد إسماعيل كانت له علاقة طيبة بالملك عبد العزيز ورجال دولته، وكان يحج كل عام، ويلتقي مشايخ نجد والحجاز، وقد ألف عدة رسائل في الدفاع عن الدعوة ورد الشبهات التي استخدمها أعداء دولة آل سعود بعدما دخل الملك عبد العزيز ابن سعود الحجاز، وهي كثيرة منها رسالة جلالة الملك ابن سعود وخدمة الحرمين الشريفين. فوزي بن عبد الصمد فطاني: الملك عبد العزيز والسلفيون في الهند مواقف مشرقة من التاريخ، الهند مجلة مركز سلف للبحوث والدراسات، رقم الورقة العلمية، ٢١١، ص ١٥.

(٣٠) حسين عبد الله باسلامه: تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، (ط١، جدة، تهامة، الكتاب العربي السعودي) ص ٢٩٣ - ٢٩٤.



التحية وأتم التسليم/ ١٩٢٧م) هذا ما كتب على حزام الكعبة المعظمة المصنوع في معمل الكسوة الذي بحارة أجياد بمكة المكرمة (٣١)

مصنع كسوة الكعبة في عهد الملك سعود

أمر الملك سعود بن عبد العزيز بإنشاء مصنع لكسوة الكعبة المشرفة وأسند هذه المهمة إلى أخيه ولي العهد الأمير فيصل بن عبد العزيز الذي كلف بهذه المهمة وزير الحج والاعراف حسين عرب، ، جهز بالمعدات والأدوات اللازمة لصناعة الكسوة، وأسند أمر إدارته إلى الشيخ محمد صالح سجينى وبد وفاته عهد بالإدارة إلى الأستاذ محمد سالم غلام (٣٢)، بينما عُهد بإدارته الفنية إلى الشيخ عبد الرحيم أمين (٣٣) أبرز الفنيين السعوديين خبرة في هذا المجال منذ عهد الملك عبد العزيز آل سعود، فقام بعمل خطوط وزخارف الكسوة، وطلب بعض الفنيين القدامى للعمل في المصنع وهم ممن كانوا يعملون في دار الكسوة والصناعة الوطنية بمكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود

بداية عمل الكسوة الجديدة في المصنع

وبدأ العمل في صناعة كسوة جديدة للكعبة المشرفة حيث لم يمض ثلاثة أشهر فقط إلا وقد أعدت كسوة جديدة باسم الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود لأول مرة بعد توقف دار الكسوة والصناعة الوطنية في مكة المكرمة سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، وكُتب على هذه الكسوة الجديدة نص الإهداء التالي: (صُنعت هذه الكسوة في مكة المكرمة وأهداها إلى الكعبة المشرفة خادم الحرمين الشريفين سعود بن عبد العزيز آل سعود تقبل الله منه عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م) وكسيت بها الكعبة المشرفة في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) ، فكانت في غاية الجمال والإتقان وبأيدي سعودية ، وبالباس الكعبة المشرفة هذه الكسوة تكون قد كسيت مرتين في الفترة من (العاشر من ذي الحجة عام ١٣٨١هـ / ١٥ مايو ١٩٦١م إلى شهر ربيع الأول من عام ١٣٨٢هـ / يوليو - أغسطس ١٩٦٢م). وفي عام (١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م) تمت صناعة كسوة ثانية في مصنع الكسوة بجرول بمكة المكرمة ، وأهداها الملك سعود بن عبد العزيز الأمر بصنعها إلى الكعبة المشرفة (٣٤).

(٣١) حسين عبد الله با سلامه: المرجع السابق، ص ٩٧٢.

(٣٢) محمد بن حسين الموجان: الكعبة المشرفة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، (د.ط، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٧هـ)، ص ٤٩.

(٣٣) الشيخ عبد الرحيم أمين: ولد بمكة المكرمة ١٣٣٢هـ ، وبدأ حياته عاملاً في مصنع الكسوة بمحلة أجياد بمكة المكرمة ، فاكسب خبرة فنية في جميع مراحل العمل بالكسوة ، حتى صار أول رئيس فني للعمال الفنيين بالمصنع عام ١٣٥٠هـ ، ولإجادته فن الخط العربي قام بكتابة جميع الخطوط والنقوش الموجودة على كسوة الكعبة المشرفة ، كما أجاد فن الزركشة (التطريز) وقام بأعمال التطريز الخاصة بأعلام الدولة في المملكة وأعمال التطريز بالمقصبات للأسرة السعودية على المكن الآلي ، وعندما أمر الملك عبد العزيز بتحديد باب الكعبة المعظمة ، قام الشيخ عبد الرحيم بكتابة كل الخطوط والنقوش كما قام أيضاً بالاشتراك في التصميمات وكتابة النقوش والآيات على باب الكعبة المعظمة الجديد الذي أمر الملك خالد بن عبد العزيز بتجديده من الذهب الخالص ، واسم الشيخ عبد الرحيم مكتوب في أسفل الباب (عبد الرحيم أمين) وبعد التقاعد عمل مستشاراً لمصنع الكسوة في أم الجود حيث قام بعمل كافة تصميمات الكتابة والآيات القرآنية الموجودة على كسوة الكعبة الخارجية والداخلية ، والإشراف العام على كل مراحل صناعة الكسوة ابتداء من صباغة الحرير إلى النسيج ثم الزركشة. ينظر إلى: السيد محمد الذقن: كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، (ط١، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ص ٢٣٠.

(٣٤) محمد بن حسين الموجان: الكعبة المشرفة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، ص ٥٠.



انتاج المصنع للكسوة الثانية

وبصناعة كسوة ثانية في عام (١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) يكون مصنع كسوة الكعبة المشرفة بمكة المكرمة قد صنع كسوتين في سنة واحدة، الأولى كسيت بها الكعبة المشرفة في (شهر ربيع الأول من عام ١٣٨٢هـ / يوليو - أغسطس- ١٩٦٢م) والثانية كسيت بها الكعبة المشرفة في موعدها المعتاد في التاسع من شهر ذي الحجة من عام (١٣٨٣هـ / ٤ مايو ١٩٦٣م) صنعت كسوة ثالثة عليها اسم الأمر بصنعها الملك سعود بن عبد العزيز، وكانت في غاية الإتقان صناعة وتطريزاً وخطوطاً وصياغة، وهي الكسوة الثالثة للملك سعود بن عبد العزيز بعد تأسيس مصنع للكسوة بجرول في مكة المكرمة، وكتب على قطعة الإهداء النص التالي:

(صنعت هذه الكسوة في مكة المكرمة وأهداها إلى الكعبة المشرفة خادم الحرمين الشريفين سعود بن عبد العزيز آل سعود تقبل الله منه عام ١٣٨٣هـ)، وكان نص الإهداء هذا هو لآخر كسوة كسيت بها الكعبة المشرفة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود

فالمملك سعود بن عبد العزيز آل سعود كسا الكعبة المشرفة من عام (١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) إلى عام (١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م) اثني عشرة كسوة، منها ثمان كسوات بالاشتراك مع رئيس الجمهورية المصرية من صناعة دار الكسوة في الخرنفش بالقاهرة، وأربع كسوات منفردة، منها واحدة تم تجميعها من قطع الكساوي القديمة المحفوظة في مستودع المسجد الحرام ، وهي كسوة عام (١٣٨١هـ / ١٩٦٢م) ، وثلاث من صناعة مصنع الكسوة الجديد في جرول بمكة المكرمة الكسوة الأولى كسيت بها الكعبة المشرفة في شهر ربيع الأول من عام (١٣٨٢هـ / يوليو - أغسطس ١٩٦٢م) ، والثانية كسيت بها الكعبة المشرفة في التاسع من شهر ذي الحجة من عام (١٣٨٢هـ / ٤ مايو ١٩٦٣م) ، والكسوة الثالثة كسوة عام (١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م) (٣٥) وسوف نشير إلى مصنع الخرنفش

مصنع كسوة الكعبة بالخرنفش (٣٦):

يقع مصنع كسوة الكعبة بالخرنفش بشارع الخرنفش، وقديماً كان عنوانه شارع خميس العدس، فيما بين منطقة بين السورين وحارة النصارى. ويحدّ المصنع من الشمال حي الحسينية، ومن الشرق حي الجمالية، ومن الغرب حي الموسكي (٣٧). أما الحدود المكانية للمصنع فهي: الحد الشمالي مساكن أهالي، والحد الشرقي عقار ٤٥ شارع الخرنفش، والحد الجنوبي شارع الخرنفش، والحد الغربي المبنى رقم ٤٩ شارع الخرنفش (مدرسة القديس يوسف). وكان أصل هذا المصنع ورشة كبيرة تُعرف بورشة خميس العهد (٣٨)، وأمر والي مصر محمد علي باشا ببنائها (عام ١٢٣٠هـ / ١٨١٦م)

(٣٥) محمد بن حسين الموجان: المرجع السابق، ص ٥١ - ٥٢.

(٣٦) انظر ملحق ٥.

(٣٧) الموسكي: أطلق اسم الموسكى على هذا الحي العريق نسبة إلى الأمير عز الدين مؤسك، قريب السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهو الذي أنشأ القنطرة المعروفة بقنطرة الموسكى، ويوجد شارع باسم الأمير مؤسك متفرّع من شارع عبد العزيز. كان واحداً من الأمراء، وكان قريباً لصلاح الدين الأيوبي، أنشأ قنطرة باسمه في المنطقة التي عاش فيها، وبنى فيها قصرًا له. إنه الأمير عز الدين مؤسك، ورغم ذلك مات الأمير عز الدين مؤسك في دمشق، <https://2u.pw/jA0nm>

(٣٨) خميس العهد: يسميه أهل مصر من العامة خميس العدس، ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام، ويتهادون فيه، وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في خميس العدس ضرب (٥٠٠) دينار من الذهب، وعشرة آلاف خروبة، وتفرقتها على جميع أبواب الرسوم،



في حارة خميس العهد بيد المهندس الفرنسي مورال. ويصفها الجبرتي في حوادث (شهر ذي الحجة عام ١٢٣٣هـ/ أكتوبر ١٨١٨م) فيقول^(٣٩): ولكن لا نعرف متى انتقلت إليها صناعة الكسوة، يقول على مبارك: هذه الورشة موجودة الآن على ذمة الميرى؛ لكنها بطلت غيرها من الورش، وهي اليوم مُعدّة لتشغيل كسوة الكعبة الشريفة، أدام الله تعظيمها^(٤٠). كانت صناعة الكسوة تتم في مصر سنوياً بدار فسيحة الخرنفش التي يُطلق عليها اسم (مصلحة الكسوة الشريفة)^(٤١).

انشاء الملك عبد العزيز رحمه الله وزارة للحج والأوقاف:

عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م)، عملت الحكومة السعودية (أول وزارة للحج والأوقاف) ومقرها مكة المكرمة ومهمة هذه الوزارة تتلخص بالنظر لمصالح الحجاج بتوسع عظيم والنظر إلى كافة أوقاف الحرمين بصفة عامة. فكان من أعمال هذه الوزارة النظر في مدينة الحجاج التي بنيت منذ سنوات فأدخلت فيها تعديلات كثيرة، كما أنها قامت فيعام ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م بإنشاء مدينة للحجاج في مدينة ينبع فنزل الحجاج فيها عام (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م)، بعد رسو البواخر فيها ثم منها يسلفرون بالسيارات إلى المدينة المنورة كما الشأن في مدينة جدة^(٤٢).

موقف المؤسس الملك عبد العزيز - رحمه الله- من أوقاف الحرمين الشريفين: -

هذه الأوقاف الخيرية أمانة لأبائنا وأسلافنا يتحمّلها المجتمع الإسلامي كله، وكل فرد منا مسؤول عنها أمام الله تعالى بقدر ما يستطيع. ولا يخفى على الجميع أن كثيراً من هذه الأوقاف قد أغتصبت^(٤٣) وتحوّلت إلى أملاك شخصية، أو استولى بعضهم عليها وعلى غلاتها، وتصرّف فيها إلى غير ما أراد الواقف.

وقد اهتم مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز - رحمه الله - من الأيام الأولى لقيام المملكة بأوقاف الحرمين الشريفين - وقام بعض الفضلاء من أهل الحرمين - وبتشجيع من جلالته - بإنشاء أول جمعية بأوقاف الحرمين في جميع أنحاء العالم باسم (جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين). ونُشر نظام الجمعية بجريدة أم القرى الرسمية (بتاريخ ٢٣ / ١٢ / ١٣٥٠هـ الموافق ٢٩ / ٤ / ١٩٣٢م). واهتمت حكومة المملكة العربية السعودية مشكورة بتنظيم الأوقاف، فأصدرت نظام مجلس الأوقاف الأعلى بالمرسوم الملكي ذي الرقم ٣٥، المؤرخ في (٨ / ٧ / ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م). وفي عام (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، أصبحت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد هي الجهة التي تنفّذ سياسة الدولة في مجال الوقف، وأوكلت الوزارة مهمة الإشراف على الأوقاف إلى (وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف، وحددت مهامها). وأولت حكومة المملكة العربية السعودية منذ قيامها على عهد الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود - رحمه الله تعالى -

انظر: تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (٧٦٤/٨٤٥هـ - ١٣٦٤م/١٤٤٢م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرفاوي، (ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي)، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج ٢/٣٦١. (٣٩) محمد حمدي متولي، وضياء جاد الكريم زهران، أماكن صناعة وعرض كسوة الكعبة الشريفة منذ العصر العثماني وحتى العصر الحديث (دراسة أثرية معمارية)، حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، ع ١٨، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، مج ٧٧٢/١٨.

(٤٠) محمد حمدي متولي وضياء جاد الكريم زهران، المرجع السابق، مج ٧٧٢/١٨.

(٤١) يوسف أحمد، المحمل والحج، (ط١، القاهرة، مطبعة حجازي، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) ج ١/٢٧٥.

(٤٢) محمد طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، (ط١، بيروت، دار خضر، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج ٦/ ١٤٤.

(٤٣) عبد الرحمن عبد القادر فقيه: أوقاف الحرمين الشريفين، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، شعبان، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ٢٧٨. وما هذا المؤتمر المبارك إلا أثر من آثار اهتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله تعالى - بالأوقاف.



عناية خاصة لل الحرمين الشريفين، وتكلفت بجميع متطلبات الحرمين (توسعة للمباني، وإنفاقاً سخياً على جميع شؤون الحرمين)، وأنشأت لذلك إدارة خاصة (إدارة شؤون الحرمين الشريفين)، ورصدت لها ميزانية خاصة في بنود ميزانية الدولة العامة،^(٤٤).

وكانت وزارة الحج تقوم بحفظ وصيانة جميع الأوقاف الخيرية وتنفيذ فيها شرط واقفيها ومن هذه الأوقاف ما هو موقوف على الحرمين الشريفين وفقرائه وما هو موقوف على صالح المساجد وما هو موقوف لميراث خيرية معينة بالمقدار ومحددة بالزمن، ولكل وقف من هذه الأوقاف سجل خاص يحصر فيه إيراد الوقف ومصروفاته. وقد أنشأت الوزارة عدة أوقاف على أحداث طراز بدلاً من التي هدمت للصالح العام وتقوم بإدارتها بواسطة مديري الأوقاف والأجهزة الخاصة بذلك في كافة مدن المملكة. وللحرمين الشريفين وما يتعلق بهما أوقاف في كافة البلدان الإسلامية تسعى الوزارة بأن يصل ريع هذه الأوقاف إليها لصرفها حسب شرط واقفيها. ولدى الوزارة سجلات بها إحصاءات هذه الأوقاف^(٤٥).

أسبلة الملك عبد العزيز:

أما أسبلة الملك عبد العزيز الثلاثة في الطريق بين مكة وجدة – وهي سبيل بئر أم القرون وسبيل حداء وسبيل بئر المقتلة – فقد صمم كل منها على شكل حوض مستطيل له فتحات للسقيا وسقف بقبو ويعلو واجهة كل منها على شكل حوض مستطيل له فتحات للسقيا ومسقف بقبو ويعلو واجهة كل منها نقش إنشاء مؤرخ عام (١٣٦١هـ / ١٩٤٢ م)، وقد جاء تصميم هذه الأسبلة يسيراً في تكوينه، ومتفقاً مع إمكانيات البيئة المحلية من حيث المناخ والمواد الخام المتوافرة في المنطقة كأحجار البازلت غير المشذبة والأجر والنورة والفخار وتراب الفحم. أما سبيل المعابدة فيتميز بأنه يتوج واجهته بوابة كبيرة معقودة، كما أن به خمس فتحات للسقيا^(٤٦).

تعمير عين زبيدة:

أمر الملك عبد العزيز عام (١٣٤٤هـ / ١٩٢٥ م) بتعمير عين زبيدة على نفقته الخاصة إثر السيل الذي خرب حرزات العين وانقطع الماء عن الوصول إلى مكة مدة ثلاثة أشهر. وفي عام (١٣٧٠هـ / ١٩٥١ م) اشترى الملك عين الجديدة وأدخلها إلى مكة لسقيا أهلها وقاصدي بيت الله الحرام سميت فيما بعد بعين العزيزية تخليداً لذكرى مجريها.

وفي عام (١٣٦٦هـ / ١٩٤٧ م) أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بجلب الماء إلى جدة من عيون (مر الظهران) وادي فاطمة على نفقته الخاصة فاختر منها ثمانية عيون وقد أجريت إلى حدة بأنابيب وسميت بعين العزيزية تخليداً لذكرى الملك عبد العزيز^(٤٧).

(٤٤) عبد الرحمن فقيه: المرجع السابق، ص ٢٧٩.

(٤٥) محمد طاهر الكردي المكي: المرجع السابق، ج ١٤٦/٦. انظر: ملحق ٦.

(٤٦) محمد حمزة إسماعيل الحداد: كتب التاريخ المحلي والرحالة مصدر لدراسة عمارة الأسبلة الحجازية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، الحولية ٢٦، الرسالة ٢٤٣، عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦ م، ص ٤٩.

(٤٧) نواف عبد العزيز ناصر: جوانب من إسهامات الملك عبد العزيز آل سعود في التطور الحضاري لمكة المكرمة خلال بداية القرن العشرين، المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، دار الملك عبد العزيز، محرم ١٤٣٢هـ / ديسمبر ٢٠١٠ م ص ٣٠٢.



اصدار الامر بعدم تحصيل رسوم الحج وعلى البضائع

اصدر الملك عبد العزيز كذلك الامر التالي في (١٥ / شعبان ١٣٤٣ هـ / ٢٨ فبراير ١٩٢٦ م) والذي يقضي بعدم استحصال الرسم على البضائع والأرزاق الواردة من جدة إلى مكة، أدى بصورة أو بأخرى إلى زيادة حركة النشاط التجاري، حيث فتح مجالي التصدير والاستيراد من مكة إلى البلاد المجاورة، وفي (١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م) أدهش العالم الإسلامي صدور أم بإلغاء (رسوم الحج) والتي كانت تستوفى من الحجاج البالغ مقدارها السنوي ٣٠ مليون ريال سعودي وكانت هذه المبرة الكريمة حدثاً تاريخياً وكان من ثمار تلك المبرة أن كثر عدد الحجاج وزاد الرغد والانتعاش لبلاد الحرمين – وبدأ الحجاج يستعيد مركزه التجاري والعمراني من جديد (٤٨)

بدأت الانطلاقة الأولى للخدمات الصحية في مكة المكرمة عام (١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م)

- حيث تم إنشاء ما يسمى بدائرة الصحة في مكة المكرمة
- وفي عام (١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م)، صدر أمر ملكي بالموافقة على ميزانية هذه الدائرة.
- وفي عام (١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م) صدر نظام مصلحة الصحة والإسعاف، وذلك بإنشاء أول إدارة صحية في التأسيس تتولى ما هو موجود من مشافي ومستوصفات، وتأسيس مشافي جديدة وتأمين الأدوية والأطباء (٤٩).
- وبدأت عملية الاهتمام بصحة الحجاج والوافدين
- أصدرت الإدارة (إدارة الصحة) أنظمة صحية خاصة لعلاج المرضى من الحجاج وبيع الأدوية وتسجيل الوفيات وذلك عام (١٣٤٦ هـ / ١٩٢٥ م).
- صدور قرار تلقح الحجاج ضد مرض الجدري، وذلك عام (١٣٤٦ هـ / ١٩٢٥ م) (٥٠)
- عناية ورعاية حكام وقادة المملكة العربية السعودية ساهم في ازدياد اعداد الحجاج فتوفر وسائل النقل الحديثة، والامن والأمان في طرقات الحج من جميع الجهات وكثرة توفر الزاد والأغذية في الحرمين الشريفين (٥١)

النتائج والتوصيات

- كانت ومازلت حكومة المملكة العربية السعودية السباقة إلى تقديم كافة الخدمات لمكة المكرمة ورعاية حجاج بيت الله الحرام فعمارة وتوسعة المسجد الحرام ترميم الكعبة دار لصناعة الكسوة المشرفة
- تحديد حدود الحرم من الاعمال الجليلية التي قام بهام ملوك المملكة العربية السعودية.

(٤٨) نواف عبد العزيز ناصر: المرجع السابق، ص ٢٩٩.

(٤٩) عبد الناصر كعدان: تطور الخدمات والمرافق الصحية في مكة المكرمة في العهد السعودي، مكة المكرمة، الندوة العالمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى، ج ٢٤، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م، مج ٨ / ٦٥.

(٥٠) عبد الناصر كعدان: المرجع السابق، مج ٨ / ٦٧.

(٥١) محمد طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢ / ٢٤٠. انظر الإحصاء ملحق ١-٢



- فصناعة الكسوة المشرفة لبيت الله الحرام من أسمى الأعمال وأجلّها، وحرص الأمة الإسلامية بزعامه حكامها على مرّ العصور على كسوة الكعبة المشرفة - رغم كل المصاعب- لهو فخر للإسلام والمسلمين. كما أن حرص السلاطين والملوك على وقف القرى على دور صناعة الكسوة؛ يؤكد مدى أهمية الوقف في إيجاد مصادر تقوم على رعاية مؤسسات الدولة الإسلامية ومقدّساتها؛ لضمان استمرار العمل على رعايتها مهما جاءت ظروف اقتصادية غير جيدة. وقد أكملت المملكة العربية السعودية المسيرة في بناء دور ومصانع خاصة لنسج كسوة بيت الله الحرام، بآرك الله في جهودها، وسدّد خطى خادم الحرمين الشريفين
- وإنارة المسجد الحرام وجميع حارات مكة دليل على رعاية واهتمام قادة الدولة السعودية خدمات جليلة قدمت لامة الإسلامية
- حافظت حكومة المملكة العربية السعودية على العمارة العثمانية المتمثلة في الرواق العثماني وساهمت في ترميمها وإخراجها في أحلي صورة فهذا دليل قاطع على ان حكومتنا الرشيدة حريصة على الحضارة والفنون الإسلامية أيا كان عصرها عباسياً أو أموياً أو مملوكياً أو عثمانية حضارة المملكة العربية السعودية جامعة ومحافظة لكل هذه الحضارات الإسلامية
- لم يتوقف دور المملكة في توسعة المسجد الحرام فقط بل شملت رعاية ضيوف وحجاج وزوار بيت الله الحرام وتقديم العلاج واللقاحات لتجنب الامراض المعدية وتوفير والغذاء لهم وإقامة واحلال الامن والأمان مما شجع الحجاج على القدوم والمعتمرين فنجد بأن اعداد الحجيج أصبحت تتزايد نتيجة للخدمات التي تقدمها المملكة العربية السعودية
- توفير المياه لمكة المكرمة وجدة من الأمور المهمة التي تخدم ليس فقط الفرد بل الامة الإسلامية بأكملها
- النفقات العظيمة والجهود المباركة المبذولة من قبل حكومة المملكة العربية السعودية لخدمة الحاج شرف ووسام فخر لكل مواطن سعودي.
- جهود حكومتنا الرشيدة الهمة النشيطة لدى الشباب والشابات في تقديم أسمى الجهود التطوعية في سبيل خدمة ضيوف الرحمن فمن منظومة الخدمات الحضارية السعودية في مكة ظهر لدينا جيل قوي شجاع محب للخير وللعمل التطوعي وتقديم ما في الإمكان لرفعة وقداسة المكان
- ظهور المنصات التطوعية والمراكز التخصصية التي تعمل على تدريب أبناء الوطن المعطاء وتجهيز واعداد الكوادر لخدمة الحاج والزائر.



من اهم التوصيات

- اقترح اعداد مادة دراسية عن المنظومة الحضارية السعودية في الحرمين الشريفين حتى يتسنى للطالب ان يدرك الجهود الحضارية لقادة وطننا المعطاء ويقتفي أثرهم
 - اقترح إقامة توارىخ العمارة للكعبة المشرفة عبر العصور في التقوىم الهجرى حتى يدرك الجميع أهمية عمارة وترميم أعظم بيت على وجه الأرض بيت الله الحرام مثل ما يتم وضع تقوىم الاجازة والعودة يتم وضع التوارىخ التي تم فيها ترميم الكعبة المشرفة.
- وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



جدول رقم (٥)

بيان بعدد الحجاج في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز
من عام ١٣٨٤ حتى عام ١٣٩٥ هـ

م	السنة الهجرية	عدد الحجيج	من حج بالناس
١	١٣٨٤	٢٨٣٣١٩	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٢	١٣٨٥	٢٩٤١١٨	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٣	١٣٨٦	٣١٦٢٢٦	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٤	١٣٨٧	٣١٨٥٠٧	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٥	١٣٨٨	٣٧٤٧٨٢	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٦	١٣٨٩	٤٠٦٢٩٥	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٧	١٣٩٠	٤٣١٢٧٠	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٨	١٣٩١	٤٧٩٣٩٩	الملك فيصل بن عبدالعزيز
٩	١٣٩٢	٦٤٥١٨٣	الملك فيصل بن عبدالعزيز
١٠	١٣٩٣	٦٠٧٧٥٥	الملك فيصل بن عبدالعزيز
١١	١٣٩٤	٩١٨٧٧٧	الملك فيصل بن عبدالعزيز (١)

(١) وزارة الحج: الحج في مائة عام، ص ١٨٦، و مجلة الحج: ص ٥٤، الأعداد: ٣، ٤، ٥ لعام ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م، ص ١٨١.

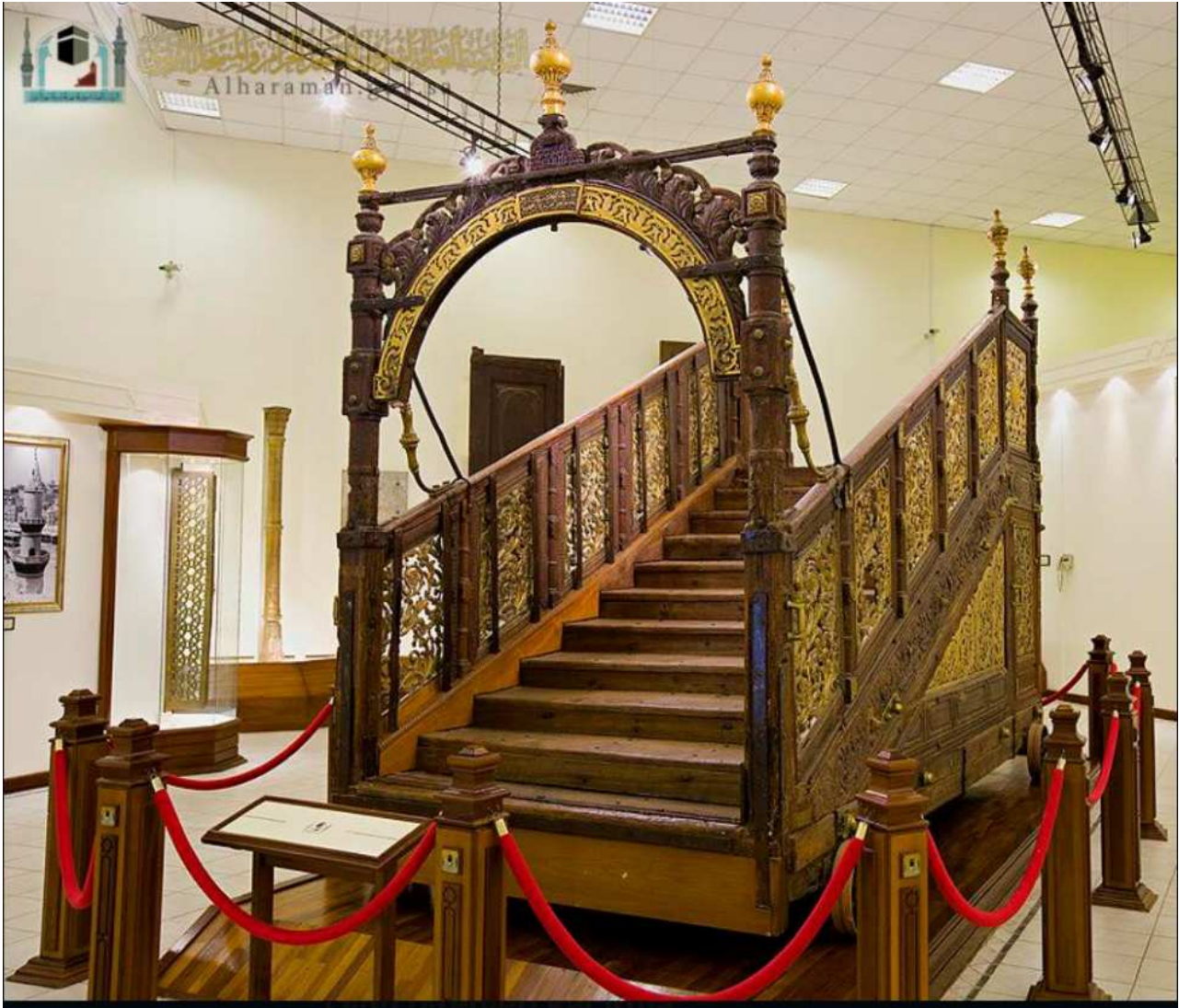
عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي، ص ١٥٣.



السنة الهجرية	عدد الحجاج بالأرقام	عدهم بالأحرف
١٣٧٤	٢٣٢٩٧١	مائتان واثنان وثلاثون ألفاً وتسعمائة وواحد وسبعون
١٣٧٥	٢٢٠٧٢٢	مائتان وعشرون ألفاً وسبعمائة واثنان وعشرون
١٣٧٦	٢١٥٥٦٥	مائتان وخمسة عشر ألفاً وخمسمائة وخمسة وستون
١٣٧٧	٢٠٩١٩٧	مائتان وتسعة آلاف ومائة وسبعة وتسعون
١٣٧٨	٥٥٧٨٠١	خمسمائة وسبعة وخمسون ألفاً وثمانمائة وواحد
١٣٧٩	٥٣٢٢٠٠	خمسمائة واثنان وثلاثون ألفاً ومائتان
١٣٨٠	٢٨٥٩٨٤	مائتان وخمسة وثمانون ألفاً وتسعمائة وأربعة وثمانون
١٣٨١	٢١٦٤٥٥	مائتان وستة عشر ألفاً وأربعمائة وخمسة وخمسون
١٣٨٢	١٩٧٠٣٩	مائة وسبعة وتسعون ألفاً وتسعة وثلاثون
١٣٨٣	٢٦٠٢٨٤	مائتان وستون ألفاً ومائتان وأربعة وثمانون
١٣٨٤	٢٨٣٣٣٩	مائتان وثلاثة وثمانون ألفاً وثلاثمائة وتسعة وثلاثون

محمد طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢ / ٢٣٧





سلم الكعبة الذي استبدله الملك سعود رحمه الله التويتر الخاص لرئاسة شؤون الحرمين الشريفين





حدود الحرم

<http://www.bin-dehaish.com> موقع الشيخ عبد الملك بن دهايش





لوحة (٩) المنخل الرئيسي لمصنع الكسوة بالخرنفش (تصوير الباحث)



لوحة (٨) الواجهة الجنوبية الغربية لمصنع الكسوة بالخرنفش (تصوير الباحث)



لوحة (٧) الواجهة الجنوبية الغربية لمصنع الكسوة بالخرنفش (عن د/ عبد العزيز عبد الرحمن مؤذن)



لوحة (١٢) صالة فرعية رقم (٥) بالدور الأرضي لمصنع الكسوة بالخرنفش (تصوير الباحث)



لوحة (١١) الواجهة الجنوبية الغربية لمصنع الكسوة بالخرنفش (تصوير الباحث)



لوحة (١٠) المصلى بمصنع الكسوة بالخرنفش (تصوير الباحث)



لوحة (١٥) كوابل من لطوب الأحمر بلصلة الرئيسية رقم (٣) بالدور الأرضي لمصنع الكسوة بالخرنفش (تصوير الباحث)



لوحة (١٤) الصالة الرئيسية رقم (٣) بالدور الأرضي لمصنع الكسوة بالخرنفش (تصوير الباحث)



لوحة (١٣) صورة قديمة للصالة الرئيسية رقم (٣) بالدور الأرضي لمصنع الكسوة بالخرنفش (عن د/ عبد العزيز عبد الرحمن مؤذن)

٧٩٣

دار صناعة الكسوة بالخرنفش انظر إلى: حمد حمدي متولي وضياء جاد الكريم زهران، أماكن صناعة وعرض كسوة الكعبة الشريفة منذ العصر العثماني وحتى العصر الحديث (دراسة آثارية معمارية)، ص ٧٩٣.





البرقع ستارة باب الكعبة المعظمة التي صنعت في مكة المكرمة

انظر إلى: السيد محمد الذقن: كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ص ٢١٠

الفيلم الوثائقي لدور المملكة العربية السعودية في صناعة كسوة الكعبة المشرفة، القناة الرسمية لرئاسة شؤون الحرمين



قائمة المصادر والمراجع

- أحمد: يوسف المحمل والحج، (ط ١، القاهرة، مطبعة حجازي، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م) ج ١/ ٢٧٥.
- باسلامه: حسين عبد الله، تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، (ط ١، جدة، تهامة، الكتاب العربي السعودي).
- حرب: محمد، الملك فيصل بن عبد العزيز، (ط ١، بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- الحداد: محمد حمزة إسماعيل، كتب التاريخ المحلي والرحالة مصدر لدراسة عمارة الأسبلة الحجازية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، الحولية ٢٦، الرسالة ٢٤٣، عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
- حطيط: أحمد محمد، الملك عبد العزيز بن سعود، (ط ١، بيروت دار الفكر اللبناني)، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- بن دهيش: عبد اللطيف عبد الله، عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي دراسة تاريخية حضارية، (د.ط، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور ١٠٠ عام على تأسيس المملكة)
- بن دهيش: عبد الملك بن عبد الله، الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به دراسة تاريخية وميدانية، (د.ط، مكة المكرمة، د. ن)
- الذقن: السيد محمد، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، (ط ١، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
- ساعاتي: فوزي محمد عبده، حارات ومعالم جوار المسجد الحرام، (ط ١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م).
- السماري: فهد بن عبد الله والجهيمي: ناصر محمد، المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف)، (د.ط، الرياض، دار الملك عبد العزيز، رقم تسلسل الإصدار ١١٣، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
- الصادق: الشريف محمد، ترجمة تسنيم محمد حرب، وصف مكة المكرمة كما ورد في مصنف (مكة أم الدنيا) (ط ١، إسطنبول، مركز التاريخ العربي للنشر، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م)
- العمري: عمر بن صالح سليمان، الملك عبد العزيز والعمل الخيري (دراسة تاريخية وثائقية)، (الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).
- العساف: منصور، «عبد الله السليمان». أول وزير وأقرب رجال الملك عبد العزيز مكانة وثقة، الجمعة ١٠ ذي القعدة ١٤٣٥ هـ / ٥ سبتمبر ٢٠١٤م - العدد ١٦٨٧٤، <https://www.alriyadh.com/973335>، صحيفة الرياض.
- فطاني: فوزي بن عبد الصمد، الملك عبد العزيز والسلفيون في الهند مواقف مشرقة من التاريخ، الهند مجلة مركز سلف للبحوث والدراسات، رقم الورقة العلمية، ٢١١.
- الفيفي: علي قاسم، شرف مكة المكرمة وحرمتها، مجلة التوعية الإسلامية، س ١٦، ع ذو القعدة - ١٤١١هـ / ١٩٩٠م
- فقيه: عبد الرحمن عبد القادر، أوقاف الحرمين الشريفين، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، شعبان، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.



- الموجان: محمد حسين، الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود (دراسة تاريخية حضارية معمارية) (د.ط، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).
- المقرزي: تقي الدين أحمد بن علي (٧٦٤/٨٤٥هـ - ١٣٦٤م/١٤٤٢م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرزية، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، (ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي)، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ج ٣٦١/٢.
- متولي: محمد حمدي وزهران: ضياء جاد الكريم، أماكن صناعة وعرض كسوة الكعبة الشريفة منذ العصر العثماني وحتى العصر الحديث (دراسة أثرية معمارية)، حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، ع ١٨، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م، مج ٧٧٢/١٨.
- المكي: محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، (ط١، بيروت، دار خضر، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ج ٦.
- كعدان: عبد الناصر، تطور الخدمات والمرافق الصحية في مكة المكرمة في العهد السعودي، مكة المكرمة، الندوة العالمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى، ع ٢، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، مج ٨.
- ناصر: نواف عبد العزيز، جوانب من إسهامات الملك عبد العزيز آل سعود في التطور الحضاري لمكة المكرمة خلال بداية القرن العشرين، المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، دار الملك عبد العزيز، محرم ١٤٣٢هـ / ديسمبر ٢٠١٠م.



تعليم القرآن الكريم للصم

أ.محمد بن هيجان يحيى الصحبي- وزارة التعليم المملكة العربية السعودية

Email:groupsacom2@gmail.com

المستخلص

هدف مشروع الدراسة الى تمكين ذوي الإعاقة السمعية من اتقان قراءة القرآن الكريم وحفظه وفهم معانيه حيث تلخصت مشكلة البحث في اعتماد المعلمين والمترجمين وأولياء أمور الصم على تعليمهم القرآن بالأبجدية الأصبعية الاشارية (بأصابع اليد الواحدة) مما أدى لعدم فهم معاني القرآن ، بالإضافة الى ندرة المعلمين والمعلمات والمترجمين المؤهلين للقيام بهذا العمل الجليل، وكذلك لاختلاف الإشارات الوصفية لتعليم الصم القرآن محلياً وإقليمياً وعالمياً. وللإجابة على تساؤلات البحث فقد استخدم الباحث المنهج الاستقرائي والدراسة التطبيقية من خلال ملاحظة ومراقبة مفردات الظاهرة وهي مشكلة تعليم القرآن للصم، حيث تتبع الباحث طرق التدريس في معاهد وبرامج فصول الامل للصم بنين وبنات وكذلك عدد كبير من اليوتيوبات التعليمية وبعد التأكد من صحة الفرضيات بخصوص مشكلة البحث فقد قام الباحث بتطوير نشاط تعليمي يشمل كتاب تعليمي وتطبيق جوال للكتاب يحتوي إشارات وصفية موحدة وثابتة لتعليم القرآن للصم للمراحل التعليمية من الصف الأول الابتدائي الى الصف الثالث ثانوي وتوصي الدراسة باعتماد الكتاب بأجزائه المختلفة وتطبيق الجوال الخاص به كمرجع لتعليم القرآن لذوي الإعاقة السمعية فئة الصم.

مقدمة:

إن قضية تعلم القرآن الكريم لذوي الإعاقة السمعية (الصم) أصبحت تأخذ هذه الأيام حيزاً كبيراً من الدراسات الحديثة في مجال التربية الخاصة، حيث توجهت كثير من الدول المتقدمة نحو استخدام أفضل الأساليب والطرق الحديثة في التواصل مع الطلاب الصم وتعليمهم القرآن.

ونظراً لحاجة فئة الصم الماسة إلى تعلم القرآن الكريم وفهم معانيه، وفقاً لطريقة تواصلهم في وطننا العربي وبما أن (لغة الإشارة) هي الوسيلة التي يتم بواسطتها تبادل المعلومات مع فئة الصم، بواسطة حركات الأصابع والأيدي وتعبيرات الوجه التي يتواصل بها الصم للتعبير عن الفكرة التي يرغبون في إيصالها، وتعتمد اعتماداً كلياً على حاسة البصر، وحرصاً على تحقيق أهداف ورسالة خدمة القرآن الكريم، وتعليمه لفئة الصم، فقد كان الاهتمام بإعداد مشروع (القرآن الكريم للصم) كأول بادرة على مستوى العالم العربي.

الأهداف:

الهدف الرئيسي: أن يتمكن الأصم من اتقان قراءة القرآن الكريم وحفظه وفهم معانيه

الأهداف الفرعية:

١. تفسير القرآن الكريم بأسلوب سهل وبسيط يناسب الصم.
٢. توحيد الإشارات الوصفية في المملكة العربية السعودية لمادة القرآن الكريم للصم وفي العالم العربي.



٣. أن يتعلم الطالب الأصم آداب قراءة القرآن الكريم ويعمل بها ويتخلق بأخلاقه ويتأدب بأدابه وينتفع بما حواه من علوم لنيل المثوبة والأجر والتوفيق من الله لحفظه.
٤. شرح مفردات القرآن الكريم ومعانيه بلغة (التواصل الكلي) بالإشارة الوصفية والأبجدية الهجاء الإشاري والشفاه والكتابة بحيث يكون منهج شامل يحتوي أفضل الطرق والوسائل في تعليم وحفظ القرآن للصم.
٥. إثارة دافعيه الطالب الأصم الذاتية للتعلم من خلال حل تدريبات وأنشطة متنوعة تكون مساهمة لمثلث العملية التعليمية (الطالب والمعلم والأسرة).
٦. أن يتعرف الطالب على الرسم العثماني للقرآن الكريم.

الأهمية:

١. تتبع أهمية مشروع البحث من أهمية تعلم القرآن الكريم لدى المسلمين.
٢. حق الصم كمسلمين في الفهم الصحيح لمعنى آيات القرآن.
٣. يعتبر مرجع لتدريس القرآن الكريم للطلاب الصم.
٤. يعتبر مشروع البحث إضافة نوعية للمكتبة العربية ومرجع للباحثين في المجال.

حدود البحث:

١. الحد المكاني: العالم العربي والإسلامي
٢. الحد الموضوعي: اقتصر البحث على تدريس القرآن الكريم
٣. الحد البشري: ذوي الإعاقة السمعية " فئة الصم "

فرضية البحث:

يوجد فروقات في شرح وتفسير آيات القرآن الكريم للصم من خلال اختلاف الإشارات الوصفية المستخدمة لهذا الغرض.

مشكلة البحث:

قضية الصم مشكلة عامة وهناك جهود لمعالجتها، لكن لم تأخذ شكل التنظيم الذي يمكنها من التعامل مع القضية من جميع الزوايا فكان المتضرر من هذا الوضع هو المجتمع الذي خسر مساهمة هذه الفئة المهمة، يليه الصم أنفسهم.

ونظراً لحاجة الصم الماسة إلى تعلم القرآن الكريم وفهم معانيه، وفقاً لطريقة تواصلهم في وطننا العربي، لأن القرآن الكريم هو المصدر الأول لمعرفة الأحكام الشرعية، وقد ترجمت معانيه إلى كثير من اللغات، وتمت ترجمته بلغة الإشارة لإيصال ما يشتمل عليه من حكم وأحكام وعبر ومواعظ لفئة الصم.

ومن خلال البحث والدراسة والتقصي عن أحد القضايا والمشكلات لتعلم الصم القرآن على مستوى الوطن العربي وجدنا مثلاً (تفسير سورة الفاتحة بلغة الصم) في اليوتيوب لاحظنا أن كل شخص سواء كان معلم أو مترجم أو ولي أمر للأصم



قد فسر لها بإشارات مختلفة قد تتسبب في ضياع المعنى الحقيقي ومن هنا تكمن مشكلة البحث في إيجاد لغة إشارة موحدة لتعليم وفهم معاني القرآن الكريم للصم على مستوى العالم العربي والإسلامي.

الدراسات السابقة

في دراسة مقدمة لندوة طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول بعنوان "نشر القرآن الكريم للصم وضعاف السمع" نشرت في العام ٢٠١٣ تم عرض الجهود العربية في نشر القرآن الكريم للصم وضعاف السمع على الطلبة الصم في مدارس مختلفة في قطاع غزة - فلسطين، وأجريت مقابلات مع مختصين في لغة الإشارة وخبراء ترجمة ومدرسي التربية الإسلامية في مدارس قطاع غزة - فلسطين للصم وضعاف السمع، ومن خلال عرض المفاهيم الخاصة بالإعاقة السمعية ولغة الإشارة وخصائص الصم العقلية، أكدت الدراسات أن الشخص الأصم يمتلك قدرات عقلية طبيعية كما السامع ولكن بشرط استخدام لغة تتوافق وإعاقة لتوصيل المفاهيم، فكان من الأهمية بمكان توصيل القرآن الكريم لهم أسوة بالسامعين، وخلصت الدراسة إلى أهمية نشر وتقوية وجود الإشارة العربية الموحدة، تأكيد جودة إخراج القرآن بما لا يتعارض وخصائص الأصم، وتأكيد وجود دراسات أخرى تثري هذا الجانب.

في دراسة بعنوان "المشكلات التي تواجه معلمي وبرامج الصم وضعاف السمع في استخدام التقنيات التعليمية من وجهة نظر المعلمين" للباحث عبد الرحمن بن عبد العزيز بن فهد التويجري نشرت في العام ٢٠١٤ هدفت إلى التعرف على المشكلات التي تواجه معلمي معاهد وبرامج الصم وضعاف السمع في استخدام التقنيات التعليمية من وجهة نظر المعلمين كهدف رئيسي ثم تفرعت حول أثر متغيرات جنس المستجيب والمؤهل العلمي والتخصص الأكاديمي ودرجة الإعاقة لدي الطلبة في هذه المشكلات. حيث لم تظهر المتغيرات أي فروق ذات دلالة بين عينة الدراسة في تحديد المشكلات. وخلصت الدراسة إلى العمل على توفير التقنيات التعليمية الخاصة للصم وضعاف السمع وضرورة تدريب معلمي الصم وضعاف السمع على استخدام التقنيات التعليمية الخاصة وضرورة وجود اختصاصي تقنيات تعليمية خاصة في كل معهد وبرنامج وضرورة تفعيل دور غرف المصادر وكذلك انشاء مركز مصادر تعلم في كل معهد وبرنامج.

في دراسة بعنوان "مشكلات تطبيق مناهج التعليم العام في معاهد وبرامج الأمل الابتدائية للصم بمدينة جدة من وجهة نظر المعلمين والإداريين" للباحث غيثان بن صالح بن علي العمري نشرت في العام ٢٠٠٩ هدفت إلى التعرف على مشكلات تطبيق مناهج التعليم العام من وجهة نظر المعلمين والإداريين، نتج عنها أن أبرز مشكلات مناهج الصم أن بعض أهداف المنهج غير مناسبة لمرحلة النمو اللغوي للتلاميذ الصم، ولا تراعي الفروق الفردية بين التلاميذ الصم ولا تلبي أيضاً احتياجات التلاميذ الصم ولا ميولهم ولا اهتماماتهم بالإضافة إلى أنها لا تتناسب مع الوقت المخصص لتحقيقها مع التلاميذ الصم حيث أن بعضها لا يمكن تحقيقها مع التلاميذ الصم. وخلصت الدراسة إلى ضرورة تعديل المناهج الدراسية لتلائم احتياجات الصم التعليمية واللغوية على أساس معايير خاصة لا يترتب عليها إخلال بالمحتوى الأكاديمي للصم والسامعين وأن المناهج الخاصة بالصم لا تعكس تبايناً في المحتوى وإنما تعكس موائمة لتلك الاحتياجات بحيث تقدم المحتوى وفق مدخل قائم على التعلم وليس المحتوى.

في دراسة بعنوان "مشكلات التلميذات الصم وضعيفات السمع في مدارس الدمج الابتدائية من وجهة نظر المعلمات في مدينة الرياض" للباحثين أروى عبدالله علي ابن نوح ومريم حافظ عمر تركستاني نشرت في العام ٢٠١٧ هدفت إلى التعرف على مشكلات التلميذات الصم وضعيفات السمع في مدارس الدمج الابتدائية في مدينة الرياض، استخدمت



الباحثان المنهج الوصفي، وقد اشتملت عينة الدراسة على (٧٩) معلمة، وتم تصميم استبانة تتناسب مع أهداف وأسئلة الدراسة، وكشفت النتائج عن بعض المشكلات الموجودة في مدارس الدمج الابتدائية التي تعيق تحقق أهداف عملية الدمج مثل عدم أهلية المباني المدرسية وملائمتها لخصائص التلميذات الصم وضعيفات السمع، كذلك هنالك مشكلات ارتبطت بالطالبات السامعات فعدم تقديم التوعية لهم أدى لوجود قصور في مشاركتهم للتلميذات الصم وضعيفات السمع وتقبلهن لهن، بالإضافة لوجود مشكلات تتعلق بمعلمة التعليم العام ومدى كفاءتها في التعامل مع التلميذات الصم وضعيفات السمع، إضافة إلى وجود مشكلات تتعلق بالمناهج التعليمية وعدم ارتباطها بالحياة اليومية وثقافة التلميذات الصم، وأخيراً المشكلات التي تتعلق بعدم توفر الخدمات المساندة الضرورية لدعم التلميذات الصم وضعيفات السمع، وأوصت الدراسة بأهمية النظر في التقييم الشامل لبرامج دمج الصم وضعاف السمع.

في دراسة بعنوان "الأسس النظرية والأطر التربوية في تكييف مناهج الصم وضعاف السمع للوصول إلى منهج التعليم العام" للباحث ماجد عبد الرحمن السالم نشرت في العام ٢٠١٦ هدفت إلى وضع إطار شامل لآلية تكييف مناهج الصم وضعاف السمع والتي تنبثق من أساس علمي قائم على الأدلة والممارسات العلمية. حيث قدمت هذه الدراسة أساساً منطقي يستند على تجارب علمية ليتم تشكيل هوية تكييف المناهج من خلال الاستدلال بالقوانين والتشريعات وكذلك التجارب العالمية مما يساهم في وضع مستويات التكيف والتي ينبغي التدرج فيها، كذلك المساهمة في خلق الانسجام بين تكييف المناهج وفلسفة الوصول إلى منهج التعليم العام. ونتج عن الدراسة تحديد إطار لتنظيم الجهود التي تسعى في تكييف المناهج والتي تتماشى مع التشريعات والمواثيق العالمية عن طريق السعي لتوفير أقل البيئات تقييداً للأفراد الصم وضعاف السمع من خلال فلسفة الوصول إلى المنهج العام. وخلصت الدراسة إلى أن استخدام مستويات التكيف وكذلك العناصر الرئيسية في تكييف المناهج المذكورة في الدراسة سيساهم في تحسين المخرجات التعليمية للطلاب الصم وضعاف السمع خصوصاً في المهارات الأكاديمية، المعرفية وكذلك اللغوية والتي دائماً ما تكون متدنية نتيجة حذف أو تعديل المنهج بطريقة تحرم الطلاب فرص التعليم المتساوية.

الإطار النظري

المبحث الأول: الإعاقة السمعية:

يتواصل الناس فيما بينهم بطرق عديدة ويتفاهمون بأساليب مختلفة، وتتكامل هذه الوسائل التعبيرية الاتصالية لتؤلف أنظمة متكاملة في إطار اجتماعي وضعي تتعارف عليه الجماعة الإنسانية، وتعد اللغة من أكثر تلك الأساليب فعالية في إثراء عملية التواصل ومن أهم وسائل الاتصال الإنساني وحفظ الحضارة الإنسانية وإثرائها، فهي تسعى لاختزال وتوضيح مرجعية العالم الخارجي والعالم الذهني والروحي الداخلي للإنسان.

والسمع والبصر هما نافذتا الإنسان على العالم الخارجي، ولولاهما لعاش الإنسان في ظلمة مطبقة وصمت رهيب، ولكان معزولاً عن الحياة، ونظراً لمكانة هاتين الحاستين ودورهما في الإدراك، فقد كثر ذكرهما في القرآن الكريم مفردتين أو مقترنتين، كما وصف الله سبحانه وتعالى بهما نفسه، فهو السميع البصير.



تعد وظيفة السمع من الوظائف الرئيسة والمهمة للإنسان، وتظهر قيمة هذه الوظيفة حين تتعطل القدرة على السمع لسبب ما يتعلق بالأذن نفسها، وعالم الأصم عالم صامت، يغمره السكون والهدوء ما لم يمر أمام ناظري الأصم ما يلفت انتباهه، وهو عالم مُعاقى من سماع الضجيج والصَّخب أيا كان مصدره.

يتعامل الصم فيما بينهم من خلال لغة الإشارة التي تعتمد اعتماداً كبيراً على حاسة الإبصار وقوة الملاحظة، وهي اللغة التي من خلالها يستطيع الأصم أن يعبر عن نفسه وعما يجول في خلد، وهي تعبير عن كلمات ومفاهيم من خلال حركات اليدين، وتعتمد على الإشارات والإيماءات، وتعتمد كذلك على تعبير الوجه وحركة الجسم، وتعتبر الإشارة هي أساس الثقافة المرئية لهذه المجتمعات.

وهناك العديد من التصنيفات للإعاقة السمعية تبعاً للعديد من العوامل أهمها:

١. التصنيف حسب طبيعة وموقع الإصابة.

٢. التصنيف حسب العمر الذي حدثت فيه الإعاقة السمعية.

٣. التصنيف حسب شدة فقدان السمع.

المبحث الثاني: تعليم الصم وضعاف السمع

لم يكن هناك تعليم رسمي للصم وضعاف السمع في المملكة العربية السعودية إلا في عام ١٣٨٤ هـ، كما ذكر الموسى (١٩٩٩، ١٢٩)، وذلك عندما افتتحت إدارة التعليم الخاص (بوزارة المعارف) معهدين للصم في مدينة الرياض، أحدهما للبنين والآخر للبنات، ولم يكن هناك معلمون للصم من المتخصصين فكان أن قامت اليونسكو في عام (١٣٨٨ هـ) بتدريب بعض المعلمين للعمل مع الصم، (وسبق ذلك ابتعاث عدد من المعلمين لبريطانيا لتعلم كيفية تدريس الصم)، بالإضافة لوجود عدد من المعلمين العرب، حتي الوصول الي الكليات التقنية ومعاهد وقبولهم في الجامعات في الوقت الحالي.

وحسب آخر (إحصائية لوزارة التربية والتعليم بنين ١٤٣٤ هـ)، فإن عدد الطلاب الصم (الذكور) في مدارس ومعاهد وزارة التربية بالمملكة العربية السعودية للعام الدراسي (١٤٣٢-١٤٣٣) قد بلغ ٤٦٦٢ طالباً، وعدد الفصول ١٠١٥ فصلاً، يعمل معهم ١٣٠٧ معلمين، أما (الإناث) فقد بلغ عدد الطالبات ١٦٠٦ طالبات، وعدد الفصول ١٦٧ فصلاً، وعدد المعاهد ١٦ معهداً، وبعدد ٨٣٠ معلمة.

خيارات تعليم الصم وضعاف السمع:

بما أن العوق السمعي ليس درجة واحدة (فهو يبدأ بالبسيط وينتهي بالعميق)، فإن تأثيره على الفرد يختلف في كثير من الجوانب، ومن هذه الجوانب المهمة الخيارات التعليمية المقدمة له، فقد مر الصم وضعاف السمع بمراحل تعليمية ابتدأت بالعزل، ثم مرحلة الإيواء، ثم الإدماج بأشكاله، ويمكن أن نصنف الخيارات التعليمية حسب المكان في وزارة التربية بالمملكة العربية السعودية في الوقت الحالي كما يلي:

✓ المعاهد: وهي أول أشكال التعليم للصم وضعاف السمع بكافة تصنيفاتهم.

✓ فصول ضعاف السمع: وهي برامج ملحقة بمدارس التعليم العام بمراحله الثلاث.



- ✓ الدمج مع الفصول العادية: وهي ما يطلق عليه برنامج المعلم المستشار، وبرنامج المعلم المتجول.
- ✓ غرفة المصادر: افتتح هذا البرنامج عام (١٤١٨ هـ)، وهو عبارة عن تخصيص غرفة لذوي العوق السمعي، ممن يدرسون مع الطلاب العاديين.

المبحث الثالث: تعلم القرآن الكريم

إن القرآن الكريم هو دستور الأمة، وهو معجزة الله الخالدة الباقية حجة على العالمين، وهو أجل وأعظم وسيد الكتب السماوية جميعها، وهو معجزة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وهو كلام رب العالمين أنزله على نبينا محمد ليكون هدى وعبادة وتشريع للإنسانية كافة، في كل زمان ومكان.

ولقد اختص سبحانه وتعالى هذا القرآن الكريم بالحفظ والخلود، فهو الكتاب السماوي المحفوظ من التحريف والتبديل، ومن وسائل حفظ القرآن الكريم أن يسر الله حفظه في الصدور، فحفظ القرآن الكريم من أفضل القربات إلى الله تعالى، فتمتعه ومعلمه يحظيان بخيري الدنيا والآخرة، قال رسول الله صل الله عليه وسلم "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" رواه البخاري.

اعتنى الاسلام بالفرد والمجتمع على حد سواء وحسبما تقتضيها الاعتناء من ضرورات لا غنى عنها، ولعل الملاحظ المتمعن لا يحيد على ما احاطه الاسلام من عناية للعلم وطلبه وأنه لم يحظ شيء آخر لمثله من الاعتناء.

وقد اهتم المسلمون على مر العصور بحفظ القرآن الكريم وتعليمه وضبط تلاوته على الوجه الصحيح كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. وإن من تسير الله تعالى لهذا القرآن أن هيا سبل حفظه وعدد وسائل تعلمه وتعليمه، وسهل طرق الاستفادة منه، وأخضع الوسائل وسائط قديما وحديثا لخدمته، ومواكبة لحاجات الناس وبرهاناً على أن هذا القرآن نزل للجميع في كل زمان ومكان، وأنه صالح لهم لأحوالهم.

الطريقة والإجراءات:

مقدمة

تعتبر منهجية الدراسة وإجراءاتها محورا رئيسا يتم من خلاله انجاز الجانب التطبيقي من الدراسة، وعن طريقها يتم الحصول على البيانات المطلوبة لإجراء التحليل الإحصائي للتوصل إلى النتائج التي يتم تفسيرها في ضوء أدبيات الدراسة المتعلقة بموضوع الدراسة، وبالتالي تحقق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها.

منهج الدراسة

من أجل تحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج الاستقرائي والدراسة التطبيقية من خلال ملاحظة ومراقبة مفردات الظاهرة وهي مشكلة تعليم القرآن للصم، حيث تتبع الباحث طرق التدريس في معاهد وبرامج فصول الامل للصم بنين وبنات وكذلك عدد كبير من اليوتيوبات التعليمية وبعد التأكد من صحة النتيجة قام بوضع قاعدة إشارات تعليم القرآن الكريم ذات أساس علمي واضح وثابت ليتم تطبيقها على الطلاب الصم من المراحل التعليمية المختلفة من خلال سلسلة كتب تعليم القرآن للصم للمراحل الدراسية من الصف الأول الابتدائي الى الصف الثالث ثانوي ومن ثم بناء تطبيق موبايل



تعليمي بنفس المحتوى للتماشي مع التطور التكنولوجي في وسائل التعليم وليسهل على المعلمين وأولياء الأمور والمترجمين الوصول للمحتوى.

مصادر المعلومات:

استخدم الباحث مصدرين أساسيين للمعلومات:

١. المصادر الثانوية: حيث اتجه الباحث في معالجة الإطار النظري للدراسة إلى مصادر البيانات الثانوية والتي تتمثل في الكتب والمراجع العربية ذات العلاقة، والدوريات والمقالات والتقارير، والأبحاث والدراسات السابقة التي تناولت موضوع الدارسة، والبحث والمطالعة في مواقع الإنترنت المختلفة.
٢. المصادر الأولية: لمعالجة الجوانب التطبيقية لموضوع الدراسة لجأ الباحث إلى جمع البيانات الأولية من خلال ملاحظة طرق التدريس في معاهد وبرامج فصول الامل للصم بنين وبنات وكذلك عدد من يوتيوبات تعليم القرآن للصم والتي خلص منها الي:

✓ وجود اختلاف في الاشارات الوصفية محليا واقليميا

✓ اختلاف طرق تدريس القرآن الصم

✓ عدم وجود منهجية لتعليم القرآن للصم

✓ عدم مراعاة الفروق الفردية

✓ عدم تحديد الفئات المستهدفة من الصم من حيث درجة الاعاقة السمعية والمرحلة العمرية

النتائج والتوصيات

النتائج

كنتيجة لمشروع البحث تم اخراج كتاب تعليم القرآن الكريم للصم ومصحف الأمل للصم التفاعلي اول مبادرة من نوعها في المملكة العربية السعودية والعالم:

١. لتعليم الصم القرآن الكريم بلغة الإشارة اللغة الأولى والطبيعية

٢. لندرة المعلمين والمعلمات والمترجمين المؤهلين للقيام بهذا العمل الجليل

٣. لعدم معرفة الصم معاني كلمات القرآن الكريم بسبب تعليمهم بطريقة الابدجية الاصبعية الاشارية (بأصابع اليد الواحدة).

التميز والريادة في تعليم الصم عالميا كتاب الله تعالى وربطهم به قراءة وحفظا وفهما لتحقيق الأهداف التالية:

١. القرآن الكريم نزل باللغة العربية وخاطبهم الله بها لذلك كان لا بد من مخاطبة الصم المسلمين في العالم بلغة القرآن قال تعالى (انا انزلناه قرانا عربيا)



٢. ترجمة معاني القرآن الكريم بلغة اشارية عربية
٣. توحيد الإشارات الوصفية لتعليم الصم القرآن محليا وإقليميا وعالميا
٤. تفسير القرآن الكريم بأسلوب سهل وبسيط يناسب الصم
٥. اعداد المعلمين والمعلمات من ذوي الكفاءة العالية للعمل على خدمة كتاب الله تعالى تعلموا وتعلّموا للصم
٦. إقامة المسابقات لتشجيع الصم على حفظ القرآن الكريم

مراحل المشروع:

١. الحصول على فتاوى بجواز العمل من هيئة كبار العلماء إدارة البحوث العلمية والافتاء بالمملكة العربية السعودية.
٢. تكوين فريق اللجنة العلمية المختصين لمراجعة كتب التفسير ومعاني كلمات القرآن الكريم ومناسبتها للصم
٣. إقامة ورش عمل بمشاركة المعلمين والاداريين المختصين بالتعاون مع وزارة التعليم متمثلة في إدارات التعليم وإدارات التربية الخاصة على مستوى المملكة العربية السعودية (الرياض-حائل-الاحساء-القصيم (الرس)- المدينة المنورة-جدة-القنفذة-جازان)
٤. إقامة ورش عمل بالتعاون مع المترجمين والصم المتميزون لتحكيم الإشارات الوصفية لسور القرآن من داخل المملكة وخارجها

بناء وتصميم الكتب:

تم وفق الاسس العلمية لتعليم الصم

١. تعلم اللغة العربية لزيادة الحصيلة اللغوية واللفظية
٢. القراءة والكتابة بخط المصحف الرسم العثماني
٣. التعليم الذاتي عن طريق مجموعة من الأنشطة التعليمية بمفرده
٤. التعلم بطريقة التواصل الكلي وهو استخدام أكثر من طريقة من طرق التواصل معا في الاتصال مع المعاقين سمعيا وذلك مراعاة الفروق لقدرات وامكانيات كل فرد عن الآخر

✓ التواصل اليدوي لغة الإشارة الهجاء الاصبعي

✓ التواصل الشفهي التواصل اللفظي الكلام او الشفوي

✓ قراءة الكلام قراءة الشفاه

✓ التدريب السمعي استخدام المعينات السمعية



محتويات الكتب

تحتوي الكتب على:

١. توزيع المنهج التعليمي المعتمد في معاهد وبرامج فصول الامل للصم

٢. ٢٤ كتاب من الصف الأول الابتدائي الى الصف الثالث ثانوي

٣. ١٠ كتب لعشر مستويات لكتب حلقات القرآن الكريم للصم

٤. تدريبات متنوعة

مشروع مصحف الامل للصم

تطبيق تفاعلي متوافق كتب القرآن الكريم للصم أول مشروع عالميا لتعليم الصم قراءة وفهم وحفظ كتاب الله بأسلوب شيق وممتع وهادف برعاية مؤسسة محمد بن سلمان بن عبد العزيز مسك الخيرية والمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد.

مكونات التطبيق:

يحتوي التطبيق بوابتين :

• البوابة التعليمية: يكون من خلال اخيار السورة هناك خيارات عرض السورة كاملة او الآية فقط ويوجد بها خصائص العرض والتوقف والانتقال بين الآيات بحيث يشمل التعليم صوت للقراءة الآية ونص قرآني وإشارة وصفية وأبجدية إصبعية

• البوابة التفاعلية: يكون من اخيار السورة ثم اختيار الآيات المراد تعلمها بتدريبات منفصلة بحيث تظهر قائمة البرامج التفاعلية:

✓ كتابة الآية: ويستخدم بها تعليم الكتابة باستخدام اليد أو قلم الجوال لكتابة الآية كلمة كلمة.

✓ تلوين الآية: ويهدف الي التعلم الالوان وتعليم الاصم الابجدية الاصبعية للآية.

✓ توصيل الكلمات: وهو تدريب لإيصال كلمة في الآية بصورة الإشارة الوصفية الصحيحة مع التحفيز للإجابة الصحيحة والتصحيح للإجابة الخاطئة.

✓ ترتيب الكلمات: ويهدف الي تنمية مهارة التذكر لترتيب كلمات الآية بشكل صحيح مع تقييم الإجابة.

✓ إكمال الفراغ: وهو تدريب لتعزيز ما تعلمه في حفظ الآية بإكمال الكلمة الناقصة في الآية.

كما ان صفحة الخروج يوجد بها ايقونات مواقع التواصل مع مشروع كتاب نشاط القرآن الكريم



التوصيات:

١. اعتماد الكتب في منهج التعليم الأساسي لمعاهد وبرامج فصول الأمل للصم في مدارس المملكة العربية السعودية.
٢. اعداد مدربين اكفاء قادرين على توصيل شروحات وتفسير القرآن للصم بالشكل الصحيح.
٣. الاعتماد بشكل أساسي على التطبيق في المعاهد ومراكز تحفيظ وتفسير القرآن الكريم.

المراجع:

- السبيعي، عبدالله بن منصور. (٥١٤٢٨هـ). استخدام معمل القرآن الكريم في تنمية مهارات التلاوة والاحتفاظ بالتعلم لدى طلاب الصف السادس الابتدائي بمدارس تحفيظ القرآن الكريم بمدينة الرياض. رسالة ماجستير بقسم وسائل وتكنولوجيا التعليم، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض.
- الهمص، عبد الفتاح عبد الغني. (٢٠٢٠م). واقع مراكز تحفيظ القرآن الكريم وسبل تطويرها. مجلة الجامعة الإسلامية، غزة.
- برنامج القراءة للأطفال الصم وضعاف السمع رحلة ما قبل المدرسة حلقة وصل بين التأهيل والتعليم " أ. منى مصطفى
- فعالية استخدام الكمبيوتر والكتيبات الإشارية المصاحبة في تنمية الحصيلة اللغوية " د. لبنى مطر، (٢٠١٢)
- "تعليم ذوي الإعاقة السمعية بين الواقع والمأمول أد. عبد المطلب أمين القريطي، (٢٠١٢)
- تدريس اللغة العربية للصم بلغة الإشارة من خلال اللغة العربية المكتوبة " سامي جميل ، حنان حسني، (٢٠١٢)
- مجمع الملك فهد بالمملكة العربية السعودية ندوة طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول (n.d.). *نشر القرآن الكريم للصم وضعاف السمع* .
- التويجري عبد الرحمن عبد العزيز (n.d.). *المشكلات التي تواجه معلمي وبرامج الصم وضعاف السمع في استخدام التقنيات التعليمية من وجهة نظر المعلمين* . http://gulfkids.com/pdf/Alsoby_A1.pdf .
- العمرى غيثان صالح (n.d.). *مشكلات تطبيق مناهج التعليم العام في معاهد وبرامج الأمل الابتدائية للصم بمدينة جدة من وجهة نظر المعلمين والإداريين* . <http://dr-banderlotaibi.com/new/admin/uploads/2/1-7.pdf> .
- ابن نوح، أروى عبدالله علي، و تركستاني، مريم حافظ عمر. (٢٠١٧). *مشكلات التلميذات الصم وضعافات السمع في مدارس الدمج الابتدائية من وجهة نظر المعلمات في مدينة الرياض*. مجلة التربية الخاصة والتأهيل: مؤسسة التربية الخاصة والتأهيل، مج ٥، ع ١٨ ، ٤٦ - ٨١. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/828309>
- السالم ماجد عبدالرحمن. (2016, July 1). *الأسس النظرية والأطر التربوية في تكييف مناهج الصم وضعاف السمع للوصول إلى منهج التعليم العام، مجلة التربية الخاصة والتأهيل* .



مقومات الأمن الفكري عند شيخ الإسلام ابن تيمية

دراسة تحليلية من خلال كتاباته

أ. انشراح بنت علي بن أحمد الأهدل - جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

Email: s43870072@st.uqu.edu.sa

ملخص البحث:

ارتكز الأمن الفكري عند ابن تيمية على عدة مقومات، فإذا ما تم الأخذ بما جاء في هذه المقومات من قبل الأفراد والجماعات، فإنهم سائرون في الطريق الصحيح الأمن من كل فكر ضال.

وقد جاءت هذه الدراسة للكشف عن تلك المقومات، واتبعت المنهج الوصفي التحليلي، واقتصرت على بيان ثلاث مقومات وهي: المقومات العقدية والمقومات الفكرية والمقومات الحضارية، وتوصلت إلى أن الوسطية، وعبودية القلب لله، والولاء والبراء، من أهم المقومات العقدية، وأن ضبط مصادر التلقي لمنهج المعرفة من أهم المقومات الفكرية، وأن التمسك بالهوية الإسلامية في الهدي الظاهر، وفي الحفاظ على اللغة العربية، وفي إظهار شعائر الأعياد، من أهم المقومات الحضارية.

الكلمات المفتاحية: مقومات الأمن الفكري- ابن تيمية- الوسطية- الهوية الإسلامية- التربية الإسلامية

Abstract:

The intellectual security in Ibn Taymiyyah's writings is based on several fundamentals, which if taken into consideration and adopted by individuals and groups, lead to safety from every deviant thought. The study aims to bring to light these fundamentals, using the descriptive analytical approach. The study focused on three types of fundamentals: theological, the intellectual and the cultural. The study infers that moderation, the heart's servitude to Allah, loyalty and disavowal, are among the most important theological fundamentals; and the scrutiny of the sources of knowledge and information is the most important intellectual fundamental; and that adhering to the Islamic identity in apparent traits, preserving the Arabic language, and the display of rituals in Islamic festive occasions, are the most important cultural fundamentals.

Key words:

Fundamentals of Intellectual Security, Ibn Taimiyyah, Islamic identity, Islamic education.



مقدمة:

تفضل الله على عباده بنعم عظيمة، من أهّأها الهداية إلى المنهج الإسلامي القويم، فحينما كلف الله الإنسان بمهمة الاستخلاف في الأرض شرع له عدة تشريعات، تُسهم في تحقيق الاحتياجات البشرية، وجعل منها مقومات للبقاء الإنساني، ومن أبرز هذه المقومات: الأمن.

والأمن من أولويات الاحتياجات للبقاء الإنساني، وضرورة من ضروريات الحياة، ويتجلى ذلك في دعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم، حين وطئت قدمه مكة المكرمة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة: ١٢٦]، فمن تحقق له الأمن، فقد ملك الدنيا بين يديه، قال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمُهُ، فَكَأَنَّمَا جِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"^(٥٢)

ويأتي مفهوم الأمن بصور ومظاهر متعددة فهناك أمن سياسي، وأمن اجتماعي، وأمن اقتصادي، وأمن فكري، وهذا الأخير يُعدّ مرتكزاً مهماً لجوانب الأمن الأخرى، وأي اضطراب في منظومة الأمن المادي يسبقه اضطراب في أمن الفكر؛ حيث أن مدار الأمن الفكري على العقل الذي هو مناط التكليف، وسلوك الإنسان مرهونٌ بأفكاره وتصوراتِهِ ، ولن يتحقق الأمن الاجتماعي، أو السياسي، أو الاقتصادي ونحو ذلك، إلا إذا تحقق أمن العقول من الانحراف الفكري.

إن موضوع الأمن الفكري ليس وليد اللحظة الراهنة، فقد اعتنى به علماء المسلمون عبر القرون، ومن النماذج البارزة التي اعتنت بإصلاح الفكر وتقويمه، شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث يُعد نتاجه المعرفي الزاخر في التراث العربي والإسلامي، مظنة لتناول مفهوم الأمن الفكري.

ويؤيد ذلك ما ذكره الكيلاني بأن "كثيراً من أفكار ابن تيمية في التربية يمكن أن ترفد الفكر التربوي المعاصر على المستوى العالمي"^(٥٣)، وقال أيضاً: "بأن ابن تيمية في دعوته للتفاعل مع الثقافات والأفكار الأخرى لا يسمح للمسلمين بفتح الأبواب والنوافذ على مصراعيها لأيّ تيار غريب، وإنما الواجب أن يجري ذلك من خلال المختصين المسلمين الذين يتلقون الأفكار والعقائد والثقافات الوافدة من خارج ثم يدرسونها ويحلّلونها ويهضمونها ويسمحون لما يتلاءم مع روح الإسلام منها أن يسري في مجاري التغذية الثقافية والفكرية ثم يرمون خارجاً بالبقايا الضارة"^(٥٤).

لقد عاش ابن تيمية في عصر تموج به الصراعات والانحرافات الفكرية والاضطرابات؛ بيد أنه تصدى لها بفكر ثاقب وقلم سيّال، يُبين ذلك مؤلفاته وكتبه التي وصلت إلينا، كما حارب كل ما يعيق الأمن الفكري من البدع والمنكرات التي انتشرت في عصره، وتصدى للرد على مروجيها وذلك بالاستناد إلى مصادر الشريعة إضافة إلى الأدلة العقلية، حيث يرى أن السماح لنشر أفكارهم أعظم من فساد استيلاء العدو على البلاد فقال: "لولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فيفسدون القلوب ابتداء"^(٥٥)، ولقد أكدت دراسة عطا الله: أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

(٥٢) الترمذي، حديث رقم (٢٣٤٦). حسنة الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٤/٢) برقم (١٩١٣).

(٥٣) الكيلاني (٥١٤٠٧). الفكر التربوي عند ابن تيمية. ص ٢٥٣

(٥٤) المرجع السابق. ص ١٨٩

(٥٥) ابن تيمية. مجموع الفتاوى ج ٢٨. ص ٢٣٢



شارك في الجهاد ضد الصليبيين والتتار بالفكر^(٥٦)، وأكدت دراسة الطريف: أنّ ابن تيمية اتصف بقوة علمية استطاع من خلالها نقد كثير من المفاهيم والأفكار، ومناقشة كثير من العلماء والمفكرين^(٥٧).

كما تناول ابن تيمية مقومات الأمن الفكري، كالدعوة إلى الوسطية ونبذ الفرقة والاختلاف، حيث افتتح إحدى مناظراته بقوله: "إن الله أمرنا بالجماعة والائتلاف، ونهانا عن الفرقة والاختلاف، وقال لنا: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]... وربنا واحد، ونبينا واحد"^(٥٨).

لقد كثرت جوانب الأمن الفكري التي تطرق إليها ابن تيمية في مقومات الأمن الفكري كحماية الاعتقاد وترسيخ العقيدة الصحيحة، فكتب فيها العديد من الرسائل، وكتب في صيانة مصادر الشريعة الإسلامية: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والدفاع عنهما من الفرق المنحرفة التي حاولت تشويهها أو صرف الناس عنها بالفلسفة، كما تكلم عن العقل ومنزلته وحدوده وعلاقته بالوحي، و تصدى للمقولات الفلسفية التي تعارض حقيقة الدين، و بيّن زللها وانحرافها، وكذلك اهتم ببيان الأخلاق الإسلامية، و منزلتها في الشريعة الإسلامية، وصيانة المجتمع من الأخلاق الوافدة من الأمم الأخرى.

وجهود شيخ الاسلام في جانب حماية الأمن الفكري و تأصيله كثيرة، والتي سوف يهدف هذا البحث الى سبرها وبيانها، للتأكيد على وجوب الاعتناء بمفهوم الأمن الفكري عند ابن تيمية من قبل المؤسسات التربوية؛ لإبراز فكره المستمد من الكتاب والسنة، والمبني على الوسطية والاعتدال، وتطبيق أساليبه القائمة على نبذ الغلو والتطرف.

وقد تناولت العديد من الدراسات التربوية وغيرها، البحث في موضوع الأمن الفكري، وبالرغم من تلك المحاولات البحثية إلا أنّ هناك أسس عميقة في الأمن الفكري، تتمثل في فكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، قصّرت عنها تلك الدراسات، وبناء على ذلك فقد جاءت هذه الدراسة المتعمقة في فكر شيخ الإسلام ابن تيمية لاستنباط مقومات الأمن الفكري لتطبيقها في الواقع التربوي المعاصر.

أسئلة الدراسة: تتكون أسئلة الدراسة من سؤال رئيس:

ما مقومات الأمن الفكري عند ابن تيمية؟ ويتفرع منه ثلاثة أسئلة:

١. ما المقومات العقدية للأمن الفكري عند ابن تيمية؟
٢. ما المقومات الفكرية للأمن الفكري عند ابن تيمية؟
٣. ما المقومات الحضارية للأمن الفكري عند ابن تيمية؟

أهداف الدراسة:

١. الكشف عن المقومات العقدية للأمن الفكري عند ابن تيمية.
٢. الكشف عن المقومات الفكرية للأمن الفكري عند ابن تيمية.
٣. الكشف عن المقومات الحضارية للأمن الفكري عند ابن تيمية.

(٥٦) عطا الله (٢٠١٩م)، موقف ابن تيمية من قضايا عصره. ص ١٦٢

(٥٧) الطريف (٢٠١٤م). المعايير العلمية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في نقد المفاهيم. ص ٤٦٢

(٥٨) ابن عبد الهادي (١٤٤٠هـ). العقود الدرية. ص ٢٩١



أهمية الدراسة:

١. يُعدّ الأمن الفكري عامل رئيس لضمان هوية المجتمع، والحفاظ على ثقافته من الانصهار والذوبان، لاسيما مع وجود التحديات التربوية، والاختراق الثقافي، التي تواجه المترربين.
٢. كون هذه الدراسة مستتبطة من فكر أحد أهم علماء المسلمين، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والذي مازال تأثيره الإيجابي قائماً منذ ثمانية قرون حتى العصر الحالي.

منهج الدراسة:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي.

حدود الدراسة:

ركزت الدراسة على البحث عن مقومات الأمن الفكري عند ابن تيمية في الجانب العقدي والفكري والحضاري، دون الجوانب الأخرى كالجانب الأخلاقي أو السياسي أو الاقتصادي وغير ذلك.

التعريف الإجرائي: (مقومات الأمن الفكري عند شيخ الإسلام ابن تيمية):

الأمن الفكري عند ابن تيمية: منهجيته في تأمين الأفكار والمعتقدات والثوابت، وحماية العقول من التطرف في فهم الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية، في ظل الاضطرابات الفكرية السائدة في عصره.

ومقومات الأمن الفكري: هي الأسس والقواعد والمرتكزات التي يقوم عليها الأمن الفكري، ولا يستقيم، ولا يكون فاعلاً بدونها.

الدراسات السابقة:

تم تصنيف الدراسات حسب المتغيرات الرئيسية للدراسة إلى محورين:

المحور الأول: دراسات تتعلق بالأمن الفكري

١. دراسة الحميد (٢٠٢٠م) بعنوان: " المنهاج وصناعة الأمن الفكري: الحاجة والمنطلقات " هدفت الدراسة إلى: فحص مفهوم الأمن الفكري وكيف يمكن أن يرتبط بالمنهاج نظرية وممارسة. ، واتبعت الدراسة منهجية وصفية نقدية قائمة على مراجعة الأدب المعني للخلوص باستنتاجات ذات دلالة، ومن أهم النتائج: أن المنظومة التربوية يمكن أن تعزز هذا المصطلح حفاظاً على الهوية الثقافية والوطنية.
٢. دراسة أبو حميدي (٢٠١٤م) بعنوان: "إسهام الأسرة في تحقيق الأمن الفكري: رؤية تربوية"، هدفت الدراسة إلى التعرف على إسهام الأسرة في تحقيق الأمن الفكري من خلال الأسس العقدية والتعبدية والأخلاقية لدى الأولاد، وتم استخدام المنهج الوصفي، ومن أهم النتائج: أن الالتزام بوسطية الإسلام دون تعصب لمذهب أو رأي أو هوى يحرر الأسرة الأولاد من القيود المؤثرة، وأكدت التربية الإسلامية على الأسرة غرس الأخلاق الداعية لتحقيق الأمن الفكري.

المحور الثاني: دراسات تتعلق بدراسة فكر ابن تيمية

١. دراسة عطا الله (٢٠١٩م) بعنوان: "موقف ابن تيمية من قضايا عصره (٦٦١-٧٢٨هـ)"، من أهداف الدراسة: توضيح إظهار دور ابن تيمية في حل قضايا عصره على كافة الأصعدة. واتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، ومن أهم النتائج: حارب ابن تيمية البدع والمنكرات التي انتشرت في عصره، وذلك بالاستناد إلى مصادر



الشريعة إضافة إلى الأدلة العقلية، شارك ابن تيمية في الجهاد ضد الصليبيين والتتار بالفكر إضافة إلى تحريضه السلاطين والأمراء وعامة الشعب بقتال التتار.

٢. دراسة الطريف (٢٠١٤م) بعنوان: "المعايير العلمية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في نقد المفاهيم والأفكار وتقويم العلماء والمفكرين مع تطبيقاتها في المجال التربوي"، من أهداف الدراسة: التعرف على أبرز المعايير العلمية عند ابن تيمية في نقد المفاهيم والأفكار، والمعايير العلمية في تقويم العلماء والمفكرين. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الوثائقي، ومن أهم النتائج: أن الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية التي أحاطت بالبلاد الشامية والمصرية خلال فترة المماليك، خلفت نوعاً من التناقض جعلت المصلحين - أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية - يحيون حياة يقظة ورقابة مستمرة لإصلاح ألوان الفساد التي عصفت بالمجتمع في تلك الفترة، ومن المعايير العلمية عند ابن تيمية معيارية الاعتماد على الدليل والبرهان وتقوم على عدة خطوات لا بد منها حتى يتم الاستدلال الصحيح ومن أول هذه الخطوات: طلب الدليل، ومصادرة الأفكار حتى تثبت أدلتها.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال العرض السابق للدراسات التي تناولت الأمن الفكري تبين أن دراسات الأمن الفكري تشابهت مع الدراسة الحالية في تناول مفهوم الأمن الفكري، حيث أن الدراسة الحالية ستنتقل من الدراسات السابقة فيما يتعلق بتأصيل المفهوم وما ارتبط به من مفاهيم أخرى، وما يتعلق به من أبعاد، كما ستنتقل الدراسة الحالية من نتائج تلك الدراسات؛ لتبحث عن تلك المفاهيم في فكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - من خلال مؤلفاته، كما أنها ستكشف عن مقومات الأمن الفكري، وهذا لم تتطرق إليه الدراسات السابقة.

مباحث الدراسة: تتضمن هذه الدراسة تمهيد و ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: المقومات العقدية للأمن الفكري عند ابن تيمية.

المبحث الثاني: المقومات الفكرية للأمن الفكري عند ابن تيمية.

المبحث الثالث: الكشف عن المقومات الحضارية للأمن الفكري عند ابن تيمية.

تهيد

لقد خلت معاجم اللغة العربية من إيراد تعريف للأمن الفكري، باعتباره مصطلحاً مركباً، فهذا المصطلح يُعدُّ من المصطلحات الحادثة التي لم ترد في تراث المتقدمين؛ بل حتى المعاجم المعاصرة لم تتطرق إليه. لكنه حظي بالاهتمام مؤخراً من قبل المؤتمرات والندوات والجامعات وغيرها، وقد استنتجت العديد من الدراسات التربوية تعريفات الأمن الفكري بناء على معاني مفردات المصطلح اللغوية، بالإضافة إلى الخلفية الثقافية والمرجعية العقائدية لمنشئ المفهوم.

وقبل إعطاء تعريف للمفهوم لا بد من التعرض للأوجه المكوّنة له. فالأمن الفكري له وجهان: الأول ما يتعلق بالفكر نفسه تجاه الآخرين ويمكن تسمية ذلك بالفكر الآمن، بمعنى كون هذا الفكر آمناً للمجتمع ولا يشكل ضرراً عليه، بمعنى: أن يحقق الفرد الأمن للمجتمع؛ بينما الوجه الثاني للأمن الفكري يتحقق بتحقيق حالة الأمن والاستقرار لفكر الفرد نفسه بمعنى أن يحقق المجتمع الأمن لفكر الفرد.^(٥٩)

(٥٩) الحمداني و عزيز (٢٠١٨م). الصراع القيمي في ضوء المتغيرات العالمية المعاصرة وعلاقته بالأمن الفكري. ص ١٩٠



كما أن مفهوم الأمن الفكري مرتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود قيم، وأعراف اجتماعية، وثوابت تحكم ذلك العقل الذي كرم به الله الإنسان وأعلى من شأنه، ولا يعني ذلك عدم المحاكاة للآخر والاستفادة منه، فالمعيار هنا هو الوسطية والاعتدال وتقبل الرأي والحوار بما ينسجم مع المعتقدات وقيم المجتمع^(٦٠).

ويؤكد ذلك تعريف الأمن الفكري بأنه "شعور الفرد باستقرار الدولة والمحافظة على وحدتها وعقيدها وثقافتها مما يحقق الترابط بين فئات المجتمع، بحيث يكون الأفراد مستقرين مادياً ومعنوياً في كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما يضمن سلامة الأفكار وخلوها من أي تطرف أو إرهاب في الفكر"^(٦١). ويعرف الأمن الفكري أيضاً بأنه "سلامة واعتدال التفكير ونتائجه بما يتفق مع النمط الفكري للأمة التي ينتسب إليها الفرد بعيداً عن التطرف والغلو"^(٦٢).

وفي هذا التعريف لابد من بيان الخلل في كون التفكير يتعلق بالنمط الفكري للأمة التي ينتسب إليها الفرد لا إلى الأمة الإسلامية، فضابط الشرع أحكم وأقوى بخلاف ضوابط الأفراد التي تتسم بالقصور والخلل وعدم الاستقرار.

وفيما يتعلق بالمضامين الرئيسية لمفهوم الأمن الفكري فقد جاءت الشريعة الإسلامية برؤية متكاملة الجوانب تبين أن مقاصد الشريعة المأخوذة من استقراء نصوص الكتاب والسنة بضميمة كلام علماء الأمة، تضمنت ما يدل على المضامين الرئيسية لهذا المفهوم^(٦٣).

وفي ضوء ذلك يعرف الأمن الفكري في الشريعة الإسلامية بأنه :

الأول: تحقيق الطمأنينة على سلامة الفكر والاعتقاد؛ بالاعتصام بالله والأخذ من المصادر الصحيحة، مع التحصن من الباطل، والتفاعل الرشيد مع الثقافات الأخرى، ومعالجة مظاهر الانحراف الفكري في النفس والمجتمع^(٦٤).

الثاني: اتباع مجموعة من القواعد السليمة في الإعداد والبناء الفكري، القائم على ضبط القلب والعقل بضابط التفكير الإيجابي، لبناء وضبط التبادل العقلي المعرفي الديني والحياتي بالتوحيد بين المسلمين وغيرهم^(٦٥)، ولم يبين في هذا التعريف مصدرية القواعد المتبعة، التي تؤثر على التفكير.

(٦٠) الجباري و عابنة (٢٠١٩م). أثر توظيف اللوحات الالكترونية في توطين الأمن الفكري والانضباط الذاتي لدى طلاب الصف الأول متوسط بمحافظة القريات في المملكة العربية السعودية. ص ١٧٤
(٦١) إسماعيل، علا (٢٠١٧م). التحديات التي تواجه تحقيق الأمن الفكري داخل المجتمع المصري. ص ٥٣
(٦٢) الدعجة (٢٠١٨م). نظرية الأمن الفكري. ص ١٩
(٦٣) اللويحي (٢٠١٤م). بناء المفاهيم ودراساتها في ضوء المنهج العلمي-مفهوم الأمن الفكري أنموذجاً. ص ١٨
(٦٤) المرجع السابق ص ٣٦
(٦٥) إبراهيم، آمال محمد (٢٠١٩م) تفعيل دور الجامعة في مواجهة مظاهر الانحراف الفكري المجتمعي. ص ١٣٠



الثالث: حماية الفكر الوسطي من الانحرافات، والمراد بالفكر الوسطي هو القضايا الفكرية والاعتقادية التي جاء تقريرها بالكتاب والسنة^(٦٦)، وننوه إلى أن الفكر الوسطي ثابت، لكن المقصود بالأمن الفكري تطبيقه في واقع الأفراد والمجتمعات، وعليه فإن هذا التعريف لا يستوعب تعريف الأمن الفكري.

الرابع: حفظ وحماية أفكار المجتمع وأفراده من الإخلال بالثوابت العقدية والأخلاقية أو أخطار وتهديدات تؤثر على معتقداته وتغير أفكاره وسلوكه بعيداً عن تعاليم المجتمع^(٦٧)، وهنا لم يخصص التعريف المجتمع، وقد يكون المجتمع سبب للانحراف الفكري لا إلى أمنه، وبالتالي فترى الباحثة أن هذا التعريف لا يصح أن يكون تعريفاً للأمن الفكري.

الخامس: حماية عقول المسلمين من كل فكر شائب ومعتقد خاطئ، يتعارض مع تعاليم الإسلام ويؤدي إلى الانحراف في السلوك القويم الذي ارتضاه الله، سواء كان هذا الانحراف عن الدين الإسلامي القويم بالخروج على تعاليمه، أو الانحراف عنه بالغلو والتطرف^(٦٨)، وهذا التعريف فيه تكرار حيث إنه لا فرق بين الانحراف عن الدين بالخروج عن تعاليمه، أو الانحراف عنه بالغلو والتطرف.

وبعد أن استعرضت الباحثة تعريفات الأمن الفكري، وبناء على تلك المعطيات تم استنتاج تعريف الأمن الفكري بأنه : تأمين العقل البشري أفراداً وجماعات، ضد أي نوع من أنواع الانحراف عن الدين من غلو أو تطرف، عن طريق الإخلال بالثوابت العقدية والاجتماعية، وذلك باتباع قواعد في بناء الفكر ترتكز على تعاليم الإسلام، القائمة على الوحدة والوسطية والاعتدال.

مفهوم الأمن الفكري عند ابن تيمية:

سبقت الإشارة^(٦٩) إلى أن مصطلح (الأمن الفكري) من المصطلحات الحادثة، فلم يُذكر بهذا التركيب اللغوي في الكتاب والسنة ولا في تراث السلف؛ بل ولم يرد المصطلح في كتابات ابن تيمية؛ غير أنه وضع منهجاً مبيناً في كيفية التعامل مع تلك المصطلحات عموماً من حيث قبولها أو ردّها. وذكر أنها من أصول العلم، وقد قسم الألفاظ إلى نوعين: الأول ما جاء في الكتاب والسنة، والثاني لم يرد في الكتاب والسنة ولا عند السلف. ومصطلح الأمن الفكري من قبيل القسم الثاني الذي ذكره.

يقول ابن تيمية: "ومن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ "نوعان": نوع جاء به الكتاب والسنة فيجب على كل مؤمن أن يُقرّ بموجب ذلك، فيثبت ما أثبتته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله...، وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده"^(٧٠).

(٦٦) الذيب و أبو صعلبك (٢٠١٩م). أهمية الأمن الفكري ودور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز. ص ٧٩
(٦٧) بني عيسى و الركباني (٢٠١٩م). درجة امتلاك مدرسي التربية الإسلامية لأساليب تعزيز الأمن الفكري. ص ٥٣
(٦٨) المحضار، رجاء (٢٠١٨م). الأمن الفكري في الكتاب والسنة ومدلولاته التربوية. ص ١٣٤
(٦٩) انظر صفحة ٥
(٧٠) ابن تيمية. مجموع الفتاوى . ج ١٢. ص ١١٣



وعليه فإن المنهج في المصطلحات الحادثة هو الاستفسار والاستفصال عن المعنى المراد قبل أن يتخذ القرار في التعامل معها، ويُقصد من ذلك: "إن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره"^(٧١).

وبناء عليه فإن المعالجة الفكرية لمصطلح الأمن الفكري ينبغي أن تنبع من هدي الكتاب والسنة، وفهم السلف، والعلماء الربانيين كأمثال ابن تيمية؛ ليؤخذ بحقيقة المصطلح والعمل بمقتضاه، كما يتم تعزيزه من قبل المؤسسات الاجتماعية والتربوية والسياسية وغيرها، وعلى ضوءه يتم إجراء التطبيقات التربوية.

وعند البحث عن مفهوم الأمن الفكري في فكر ابن تيمية وبين ثنايا كتاباته وجدت الباحثة أنه ارتكز عند تعزيز هذا المفهوم على عدة مقومات، بالرغم الكثير من المعوقات التي واجهته وتصدى لكثير منها. فإذا ما تم الأخذ بما جاء في هذه المقومات من قبل الأفراد والجماعات، فإنهم سائررون في طريق العبودية وهو طريق القرآن الأمن من كل فكر ضال، وأما إذا تفرقت الطرق وحادت عن السبيل، فثمة معوقات ومهددات اعترضتها، ويمكن أن نطلق على الطريق المستقيم مقومات الأمن الفكري، وتكون الطرق المتفرقة هي معوقات الأمن الفكري، وهذا ما يؤخذ من حديث عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا»، قال: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ:

﴿وَأَنَّ صِرَاطِي هَذَا مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: آية ١٥٣] ^(٧٢).

قال الطبري في تفسيره لـ {الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ}: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. ثم ذكر أن العرب تستعير لفظ "الصراط" فتستعمله في كل قول وعمل وُصِفَ باستقامة أو اعوجاج، فتصفُ المستقيم باستقامته، والمعوجَّ باعوجاجه ^(٧٣).

ويقول ابن تيمية: والصراط المستقيم قد فُسر بالقرآن، وبالإسلام، وطريق العبودية وكل هذا حق. فهو موصوف بهذا وبغيره فـ "القرآن" مشتمل على مهمات وأمور دقيقة ونواهٍ وأخبار وقصص وغير ذلك، إن لم يهد الله العبد إليها فهو جاهل بها ضال عنها، وكذلك "الإسلام" وما اشتمل عليه من المكارم والطاعات والخصال المحمودة ^(٧٤). فالأمن الفكري يحصل نتيجة الأخذ بالقرآن وهو منهج الإسلام الذي انتهجه ابن تيمية وظهر جلياً في فكره، وهو المنهج الذي اشتمل على مقومات الأمن الفكري، التي ينطلق منها، ولقد تم الكشف عنها بعد قراءات فاحصة لبعض كتاباته، بالإضافة إلى الأدبيات المعاصرة في الأمن الفكري، وقبل استنباط تلك المقومات، لابد من بيان المقصود منها، وتجلية مفهومها.

مفهوم مقومات الأمن الفكري:

يمكن تعريف مقومات الأمن الفكري بأنها: الأسس والقواعد والمرتكزات التي يقوم عليها الأمن الفكري، ولا يستقيم، ولا يكون فاعلاً بدونها، وأبرز مقومات الأمن الفكري التي تم استخلاصها من فكر ابن تيمية ما يلي:

(٧١) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ص ١١٤

(٧٢) مسند أحمد مخرجا. ج ٧. ص ٤٣٦. رقم الحديث: (٤٤٣٧)

(٧٣) الطبري (٥١٤٢٠). جامع البيان في تأويل القرآن. ج ١. ص ١٧٠ - ١٧١

(٧٤) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج ١٤. ص ٣٩.



المبحث الأول: المقومات العقيدية للأمن الفكري عند ابن تيمية

لا شك أن هناك علاقة متلازمة بين العامل العقائدي وبين تطور المجتمعات سلبيًا وإيجابيًا؛ فكلما كانت العقيدة صحيحة صافية من شوائب العقائد المحرفة؛ كلما تحقق وساد الاستقرار السياسي والأمن الاجتماعي وازداد المجتمع قوةً وتطورًا. وبقدر ما تضطرب العقيدة بقدر ما تسير المجتمعات كذلك نحو الاضطراب سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا^(٧٥)، فالعقيدة الصحيحة هي التي تحقق الأمن والسعادة لأفراد المجتمع، والله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]، وعليه فهناك تلازم حتمي بين صحة العقيدة والإيمان والأمن الفكري.

وقد استند الفكر التربوي عند ابن تيمية إلى عقيدة صحيحة قائمة على الكتاب والسنة، وأهم المقومات العقيدية في فكر ابن تيمية ما يلي:

أولاً: الوسطية

إن إحدى أهم المقومات العقيدية التي يقوم عليها الأمن الفكري عند ابن تيمية هي وسطية الإسلام واعتدال أهله، حيث أقر ذلك في العديد من كتاباته

- الوسطية تأتي بمعنى: التوسط بين شيئين، وبمعنى العدل، والخيار، والأجود، والأفضل، وما بين الجيد والرديء، والمعتدل، وبمعنى الحسب والشرف، والرجوع إلى معاني الكلمة كما وردت في الكتاب والسنة يكفي عن بيانها في اللغة، حيث وردت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية في مواضع عدة، بعدة معاني منها ما يلي:
١. العدل والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بقوله: "وَالْوَسْطُ: الْعَدْلُ"^(٧٦)، وجاء في تفسير (الوسط) بمعنى: التوسط بين الإفراط والتفريط^(٧٧)، وبمعنى: الخيار الأجود^(٧٨).
- الأوسط والأعلى، كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم الفردوس بأنه "أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ"^(٧٩).
- ما بين طرفي الشيء وحافتيه، ومن ذلك قوله تعالى:
﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٨]. والصلاة الوسطى صلاة العصر^(٨٠).

(٧٥) الشهراني (٥١٤٢٥). أثر الانحراف الاعتقادي على الإرهاب العالمي. ص ١٢

(٧٦) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٣٣٣٩)

(٧٧) الطبري (٥١٤٢٠). جامع البيان في تأويل القرآن. ج ٣. ص ١٤٢

(٧٨) ابن كثير (٥١٤٢٠). تفسير القرآن العظيم. ج ١. ص ٤٥٤

(٧٩) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٧٤٢٣)

(٨٠) ابن كثير (٥١٤٢٠). تفسير القرآن العظيم. ج ١. ص ٦٧٤



اعتبار الشيء بين الجيد والردىء، كما في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطِيعُونَ أَهْلَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٨٩]، جاء في تفسيرها، أي: من أعدلها، والوسط مما يقوت به أهله، ليس بأدناه ولا بأرفعه^(٨١).

وتأتي الوسطية مقابل: الغلو: وهو مجاوزة الحد. قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [سورة النساء: ١٧١]، وقال صلى الله عليه وسلم: "وإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ"^(٨٢). والغلو هو تجاوز القدر في الأمور، وهو بمعنى الإفراط، وضده التقريط وهو بمعنى التقصير، ومنهج أهل السنة وسط بينهما.

إن ما جاء في المعاني الواردة في الكتاب والسنة تؤكد التعريف الذي يقول بأن وسطية الإسلام تعني: "طريقته المحمودة التي تعصم الإنسان من الميل إلى جانبي الإفراط والتقريط، أي: تقيمه في ميزان الاعتدال في كل أموره، سواء في ذلك العقيدة أو العبادة أو المعاملة أو الأخلاق، بحيث تلبى له أشواقه الروحية ونزعاته المادية"^(٨٣).

لقد جاء كلا اللفظين: الوسط والعدل عند ابن تيمية: فقال مرة: "ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه"^(٨٤)، وقال في أخرى: "وخيار الأمور أوسطها، ودين الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه"^(٨٥). ثم بيّن حقيقة وسطية أهل السنة والجماعة فقال: "وأما أمة محمد فإن الله هداهم لما اختلف فيه الأُمم قبلهم من الحق بإذنه وهذا بيّن فإنهم على الحق والعدل الوسط بين طرفي الباطل وهذا ظاهر في اتباعهم الحق الذي اختلفت فيه اليهود والنصارى في التوحيد والأنبياء والأخبار والتشريع... وغير ذلك"^(٨٦).

ومن المنظور العقدي فإن أهل السنة وسط بالنسبة إلى الفرق الإسلامية، التي انحرفت في بعض جوانب العقيدة. حيث فصل في وصف وسطية أهل السنة بذكره من فرط في التمسك بالعقيدة الصحيحة ومن أفرط فيها وتجاوز حتى وصل إلى الغلو، فأهل السنة وسط بين الخوارج الذين يكفرون كل مرتكب لمعصية،، كما ذكر ابن تيمية وسطية دين الإسلام بين الأديان الأخرى، حيث أنّ الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة، والسنة في الإسلام، كالإسلام في الملل^(٨٧).

إن ترسيخ مفهوم الوسطية في الأذهان يمكن الشباب من تمحيص أخطاء المناهج الفكرية الوافدة والنظر إليها نظرة الناقد الواعي، وتساعد على الثبات على منهج الكتاب والسنة والبعد عن الغلو وأهله^(٨٨)؛ لذا لا بد أن يقوم الاعتقاد والفكر على مبدأ الوسطية والاعتدال، وتجنب الغلو. حيث إن الغلو والتطرف ميل عن الاعتقاد الصحيح الذي يؤدي إلى

(٨١) الطبري (٥١٤٢٠). جامع البيان في تأويل القرآن. ج ١٠. ص ٥٣١، ٥٤٠.

(٨٢) أخرجه النسائي في سننه برقم: (٣٠٥٧). والحديث صححه ابن تيمية في الاقتضاء. ص ١٠٦، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج ٥. ص ١٧٧.

(٨٣) باسليم (٥١٤٢٥). الوسطية في الفكر الإسلامي. ص ١٩.

(٨٤) ابن تيمية. الفتاوى الكبرى. ج ١. ص ١١١.

(٨٥) ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. ج ٣. ص ٤٠.

(٨٦) ابن تيمية. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: دراسة وتحقيق. ج ٢. ص ٤٦٧.

(٨٧) ابن تيمية. الصفدية. ج ٢. ص ٣١٠، ٣١٣.

(٨٨) المحضار (٢٠١٨م). الأمن الفكري في الكتاب والسنة. ص ١٤٤.



الانحراف عن الفهم الصحيح، والأمن الفكري لا يمكن أن يتم إذا كان المجتمع واقعاً تحت تأثير التجاذب بين الانحرافات المتقابلة، وإنما يتم إذا اجتمعت الكلمة على العدل الخيار الوسط الذي جاء به الدين الحنيف.

ثانياً: الحرية - عبودية القلب لله وحده

الحرية مصدر الفعل حرّ ر ر، وحرّ: الحاء والراء مضعفة: ما خالف العبودية، وبرئ من العيب والنقص، يقال: حرّ، بين الحرية^(٨٩)، والحرّة الكريمة، والحرّة ضد الأمة، وتحرير الرقبة: عتقها، وتحرير الكتاب: تقويمه، وتحرير الولد: أن تقرده لطاعة الله، وخدمة المسجد^(٩٠)،

وخلاصة ما سبق، فإن كلمة (حرّ) تشير إلى عدة معان منها:

الحرّ: خلاف العبد، والحرّة خلاف الأمة، والحر: الكريم، والبريء من العيوب والنقص، والمصدر: تحرير يشير إلى عدة معان منها: العتق، والتقويم، وإفراد شيء لشيء.

وعرف أرسطو الحرية بأنها "ملكة نفسانية حارسة للنفس، حراسة جوهرية لا صناعية"^(٩١) فهو يرى بأن الحرية صفة جبليّة وليست مكتسبة.

وبناء على المعطيات السابقة فإن النفس إمّا تنزع بغريزتها إلى الأمور البدنية، وإمّا أن تنزع إلى الأمور العقلية، فالأولى تكون مستعبدة لشهواتها، والثانية هي الحرّة. حيث إنّ الحرّة في اللغة تقابل العبوديّة، فالشّهوات تستعبد الإنسان وتقيده، بل وتجرحه نحوها إذا لم يُغالبها، وعليه فتكون الحرّة حارسة للنفس من أن تنفلت نحو ما يؤدي إلى استعبادها.

واستعمل كثير من علماء المسلمين المتقدمين مصطلح الحرية، بمعناه الذي يقابل الرقّ، فهي عندهم بمعنى الخلوّص من سلطة الرقّ، وجعلوها شرطاً لإنفاذ بعض الأحكام، أو صحة كثير من العبادات، استناداً إلى معنى الحرية التي جاء معناها في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة: ٣]، يقول الطبري: تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، يعني عتق رقبة عبد أو أمة.^(٩٢)

أما مفهوم الحرية الذي يتم تداوله في الواقع المعاصر، فهو مفهوم مستورد من الغرب، حيث تعددت مفاهيمها، فعرفها هولباخ بأنها: ملكة القيام بكل شيء من أجل السعادة الفردية، دون أن يضر ذلك بسعادة الآخرين^(٩٣)، وجاء في وثيقة حقوق الإنسان الفرنسية التي أصدرت سنة ١٧٨٩م في المادة الرابعة منها: "الناس كلهم أحرار، والحرية هي إباحة كل عمل لا يضر بالآخرين"^(٩٤).

ومعاجم اللغة العربية، وعلماء المسلمين لم يستعملوا المصطلح بهذا المعنى المتداول، وعدم استعمالهم اللفظ لا يعني أنهم لم يتناولوا القضايا المندرجة تحته بالبحث والدراسة، بل قدموا نظريات علمية كثيرة، تكاد تشمل جميع المكونات الداخلة ضمن مفهوم الحرية المتداول في العصر الحالي.

(٨٩) ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. ج ٢. ص ٦

(٩٠) الجوهري (٥١٤٠٧). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ج ٢. ص ٦٢٧، الرازي (٥١٤٢٠). مختار الصحاح. ص ٥٥

(٩١) مجمع البحوث الإسلامية. شرح المصطلحات الفلسفية. ج ١. ص ١١١

(٩٢) الطبري (٥١٤٢٠). جامع البيان في تأويل القرآن. ج ٢٣. ص ٢٣٠

(٩٣) محمد الهلالي وعزيز لزرقي (٢٠٠٩م). الحرية. ص ٨٤

(٩٤) أبو ساحلية (٢٠٠٥م). حقوق الإنسان المتنازع عليها بين الغرب والإسلام. ص ١٧٤



والحرية عند ابن تيمية هي نقيض العبودية، فالحرية عنده تتعلق بالقلب. فيقول: "الرَّقَّ والعبودية في الْحَقِيقَةِ هو رَقَّ القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده"^(٩٥).

وكما يقول ابن تيمية: "فَإِنَّ أَسْرَ الْقَلْبِ أَعْظَمُ مِنْ أَسْرِ الْبَدَنِ، وَاسْتِعْبَادُ الْقَلْبِ أَعْظَمُ مِنْ اسْتِعْبَادِ الْبَدَنِ فَمَنْ اسْتُعْبِدَ بَدَنَهُ وَاسْتَرْقَّ وَأَسْرَ لَا يَبَالِي إِذَا كَانَ قَلْبُهُ مُسْتَرْحًا مِنْ ذَلِكَ مُطْمَئِنًّا؛ بَلْ يُمَكِّنُهُ الْاِحْتِيَالُ فِي الْخِلَاصِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَلْبُ الَّذِي هُوَ مَلِكُ الْجِسْمِ رَقِيقًا مُسْتَعْبَدًا مُتَمِّمًا لَغَيْرِ اللَّهِ فَهَذَا هُوَ الذَّلُّ وَالْأَسْرُ الْمُحْضُ، وَالْعِبُودِيَّةُ الذَّلِيلَةُ لِمَا اسْتَعْبَدَ الْقَلْبُ، فَالْحَرِيَّةُ حَرِيَّةُ الْقَلْبِ، وَالْعِبُودِيَّةُ عِبُودِيَّةُ الْقَلْبِ، كَمَا أَنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَإِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ"^(٩٦)^(٩٧).

ويرى أحد الباحثين ضرورة الربط بين الحرية والأمن الفكري، حيث إنّ الربط بينهما هو ربط طبيعي بين شرط ونتيجة، فلا حرية بغير أمن؛ لأن الأمن شرط لإمكانية ممارسة الحرية^(٩٨).

وبغض النظر عن تحرير مصطلح الحرية في العبارة السابقة، سواء أريد به ما يخالف الرقّ، أو أريد به المعنى الآخر، وهو إباحة كل عمل لا يضر بالآخرين، فلو تم عرض عبارة "لا حرية بغير أمن" على مفهوم الحرية كما جاء عند ابن تيمية، لتناسبت معها.

وترى الباحثة بأنّ الأولى أن يقال: "لا أمن فكري بغير حرية"، بمعنى أنه إذا لم يتحرر الإنسان من رِقِّ الأفكار المضللة، ولم يتحرر من عبودية المذاهب الهدامة، فلن يتحقق الأمن الفكري.

وعليه فالحرية التي تعني عبودية القلب لله وحده، هي من أهم مقومات الأمن الفكري، التي ينبغي أن تؤخذ بالاعتبار في تربية الأفراد، والمجتمعات.

ثالثاً: الولاء والبراء

الولاء في اللغة من الولي: وهو القرب والدنو. يقال: تباعد بعد ولي^(٩٩). والولاء في الشرع: هو محبة الله ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم^(١٠٠)، أما البراء في اللغة: فهو من الفعل برئ؛ بمعنى: تَنَزَّهَ وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر^(١٠١). والبراء في الشرع: فهو بُغْضُ الطواغيت التي تُعْبَدُ من دون الله تعالى (من الأصنام المادية والمعنوية: كالأهواء والآراء)، وبُغْضُ الكفر وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كُلِّهِ^(١٠٢).

والولاء والبراء من الأصول العقدية المهمة، ومحاولة الإخلال بهذا المعتقد هو الطريق إلى انسلاخ المجتمع من هويته الدينية، وتبعيته إلى الأمم الغربية التي انسلخت من الدين، مما يؤدي ذلك إلى القضاء على وحدة الأمة، قال

^(٩٥) ابن تيمية. العبودية. ص ٨١

^(٩٦) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٦٤٤٦)، ومسلم في صحيحه برقم: (١٠٥١).

^(٩٧) ابن تيمية. العبودية. ص ٨٨

^(٩٨) بسطوسي، نشوة سعد (٢٠١٨م). صيغ تربوية مقترحة لتفعيل أدوار كليات التربية في تدعيم الأمن الفكري. ص ٢٩٣

^(٩٩) الجوهري (١٤٠٧هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ج ٦، ص ٢٥٢٨

^(١٠٠) القحطاني (دت). الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف. ص ٤٣

^(١٠١) الأزهر (٢٠٠١م). تهذيب اللغة. ج ١٥. ص ١٩٣

^(١٠٢) البركاتي (١٤٣٣هـ). الولاء والبراء في الإسلام. ص ٤



تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥١].

فقد نهى الله تعالى في الآية السابقة المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء في النصرة والخلطة، المؤدية إلى الامتزاج والمعاوضة. وكل من أكثر مخالطة هذين الصنفين فله حظه من هذا المقت الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، ويخرج من ذلك المعاملة، من غير مخالطة ولا ملابسة^(١٠٣).

يقول ابن تيمية عن هذه الآية: "والله سبحانه قد أوجب موالاة المؤمنين بعضهم لبعض وأوجب عليهم معاداة الكافرين ... وأن ولي المؤمن هو الله ورسوله، وعباده المؤمنين وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة، سواء كان من أهل نسبة أو بلدة أو مذهب أو طريقة أو لم يكن^(١٠٤)".

والموالاة للمؤمنين كما يرى ابن تيمية يجب أن تكون من أجل إيمانهم، لا لأجل أنسابهم، أو بلدانهم، أو مذاهبهم، أو غير ذلك، واستنكر رحمه الله الموالاة أو المعاداة بالظن والهوى، بلا برهان من الله تعالى، وأن هذا فعل الخوارج الذين استحلوا دماء المسلمين وفارقوا جماعتهم، وأما أهل السنة والجماعة فعلى خلاف ذلك، والموالاة والمعاداة قائمة على ما يحب الله وما يبغض^(١٠٥).

وللمؤمنين حق الولاء مهما اعتدوا أو طغوا، كما أن على الكافرين واجب العداوة مهما أحسنوا، لكن بدون ظلم أو جور، يقول ابن تيمية: "وليُعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك؛ فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه، والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه، والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه، والعقاب لأعدائه. وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعادات والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة"^(١٠٦).

أما المعاداة للكفار فتكون مع إعطائهم حقوقهم التي أمر الله بها، بخلاف ما سعى إليه بعض منحرفي الفكر من توظيف مفهوم البراء لتبرير مسالكهم، وكذلك تفسيرهم لآيات الولاء والبراء بما يخدم توجهاتهم؛ كزعمهم بأن إقامة الدولة المسلمة للعلاقات مع الدول الغربية موالاة لهم، ويرون حرمة أي نوع من العلاقات مع تلك الدول وأن ذلك يُعد خروجاً عن الدين، ويبيحون دماءهم دون قيد أو شرط، ويبيحون ظلمهم والغدر بهم، وإن كان بينهم وبين المسلمين عهد، دون الأخذ بنصوص الوحي التي تهيب قتلهم وإيذاءهم، قال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً لَمْ يَرْحُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ"^(١٠٧).

وخلاصة القول فإن الأمن الفكري يقوم على الاعتدال والوسطية، وعبودية القلب لله، والولاء والبراء.

(١٠٣) ابن عطية الأندلسي (٥١٤٢٢هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ج ٢. ص ٢٠٣.

(١٠٤) ابن تيمية. الوصية الكبرى. ص ١١٤-١١٧.

(١٠٥) ابن تيمية. جامع الرسائل. ج ٢. ص ٣١٩.

(١٠٦) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج ٢٨. ص ٢٠٩.

(١٠٧) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم: (٣١٦٦).



المبحث الثاني : المقومات الفكرية للأمن الفكري عند ابن تيمية

تنطلق أفعال الناس من قناعاتهم التي تعتمد على المخزون الفكري والثقافي، حيث إن أهمية الأمن الفكري تنبع من ارتباط الفرد بثقافة مجتمعه التي تتضمن سلامة الفكر واستقامة السلوك^(١٠٨)، وأهم المقومات الفكرية المستقاة من فكر ابن تيمية:

ضبط مصادر التلقي لمنهج المعرفة

يُعد ضبط منهج المعرفة ومصادر تلقيها أحد المقومات المهمة التي يقوم عليها الأمن الفكري، بل يمكن القول على سبيل الجزم بأنها قضية جوهرية تُحدد مآل الأمن الفكري، فالاعتقاد وصحته، والعمل وسلامته كل ذلك رهينٌ لسلامة المصدر الذي أخذ عنه، فطرق المعرفة كما بينها ابن تيمية متعددة: "حسية، وعقلية، وكشفية، وسمعية ضرورية ..، وغير ذلك"^(١٠٩).

والمعرفة يتوصل إليها عن طريق الحواس الخمسة، كالبصر والسمع والشم والتذوق واللمس، وتسمى معرفة حسية، ويتوصل إليها بالعقل، وتسمى معرفة عقلية، ويتوصل إليها بالسمع، ويقصد بها المعرفة التي تأتي عن طريق نقل الأخبار، وتسمى معرفة سمعية، كما تأتي المعرفة عن طريق الفطرة، وتسمى بالمعرفة الضرورية أو الفطرية.

وقد انتقد ابن تيمية من يقتصر على طريق واحد في المعرفة، ويُلغي الطرق الأخرى الصحيحة، وفي ذلك يقول: "أنّ الذين أوجبوا النظر وقالوا لا يحصل العلم إلا به مطلقاً، أخطؤوا، والذين قالوا لا حاجة إليه بحال، بل المعرفة دائماً ضرورية لكل أحد في كل حال، أخطؤوا"^(١١٠).

فالذين أوجبوا النظر (المعرفة العقلية)، كالفلاسفة والمتكلمين، ظنوا أنّ كمال النفس في مجرد العلم، ويقصدون بالعلم، علم ما بعد الطبيعة، ويجعلون العبادات رياضة لأخلاق النفس حتى تستعد للعلم. فتصير النفس عالماً معتزلاً موازياً للعالم الموجود^(١١١)، والذين أوجبوا المعرفة الضرورية (الفطرية)، وأغفلوا المعرفة العقلية كالباطنية، وملاحدة المتصوفة، وغيرهم، ظنوا أنّ العلم الذي تكمل به النفس هو علمهم، وهو في حقيقته جهل، لم تأت به الرسل، حتى وصل انحرافهم إلى إسقاط واجبات الشرع، وإباحة المحرمات، وما الانحراف الحاصل في هذه الطوائف، إلا لأجل الاقتصار على طريق واحد، والصواب أنّ الإنسان قد يستغني عن طريق في حال، ويحتاج إليه في حال^(١١٢).

وتفصيل طرق المعرفة عند ابن تيمية كما يلي:

(١٠٨) عزازي و علي (٢٠٢٠م). الأمن الفكري وعلاقته بالهزيمة النفسية. ص ٥٤

(١٠٩) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج ١١. ص ٣٣٥

(١١٠) ابن تيمية. درء تعارض العقل والنقل. ص ٣٠٣

(١١١) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج ٢. ص ٩٤-٩٥

(١١٢) ابن تيمية. درء تعارض العقل والنقل. ج ٣. ص ٣٠٤



الطريق الأول: السمع:

هو العلم الذي يتحصل عن طريق الكتاب والسنة، ويسمى كذلك الأدلة النقلية، والأدلة الشرعية، وما جاءت به الرسل. والأدلة السمعية تتضمن الأدلة العقلية. وبناء على ذلك يمكن الاتفاق على تسميتها بالأدلة الشرعية، لأنه لا يوجد دليل سمعي يعارض العقل، وعليه فإن الأدلة الشرعية عند ابن تيمية متعددة وهي:

أ. **دليل الفطرة:** قال تعالى: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، أي: دين الله تعالى

والفطرة: الخلقة التي خلق عليها البشر^(١١٣)، وفي الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة -وفي رواية: على هذه الملة- فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء"، والمعنى أن كل أحد لو ترك من وقت ولادته وما يؤديه إليه نظره لأداه إلى الدين الحق وهو التوحيد^(١١٤).

وعرف ابن تيمية الفطرة بأنها: السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها يوم خلق السموات والأرض، يوم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢].^(١١٥) فمن المعلوم أن لكل مصنوع صانع، ولكل مخلوق خالق، وكل هذه أمور لا يحتاج الإنسان فيها إلى إرهاب ذهنه أو إعمال عقله لإدراكها؛ لأنها أمور فطرية معلومة بالضرورة.

يقول ابن تيمية: وقد علم بالاضطرار أن المحدث لا بد له من محدث، فكل أحد لديه استعداد فطري لقبول الحق. يقول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور: ٣٥]، فمن البداهة إذا لم يكونوا خُلِقُوا من غير خالق، ولا هم الخالقون لأنفسهم تعين أن لهم خالقاً خلقهم^(١١٦). وهذا أمر مركوز في بني آدم حتى الصبيان، لو ضرب الصبي ضربة فقال: من ضربني؟ فقل: ما ضربك أحد، لم يصدق عقله أن الضربة حدثت من غير فاعل^(١١٧).

وقد ضل فلاسفة اليونان؛ لبُعدهم عن قاعدة: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}، مع أنها قاعدة فطرية يدركها البليد ومتوسط الذكاء والعقلي، ولذا تتميز البراهين القرآنية عن براهين الفلاسفة وغيرهم بالبساطة والقوة، والإيجاز والوضوح.^(١١٨)

فإنه سبحانه وتعالى جعل فطر عباده مستعدة لإدراك الحقائق ومعرفتها، ولولا ما في القلوب من الاستعداد لمعرفة الحقائق لم يكن النظر والاستدلال ولا الخطاب ... وكما أن في الأبدان قوة تفرق بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوة تفرق بين الحق والباطل أعظم من ذلك^(١١٩).

(١١٣) ابن الجوزي (١٤٢٢هـ). زاد المسير في علم التفسير. ج ٣. ص ٤٢٢
(١١٤) ابن حجر العسقلاني (١٣٧٩هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠. ص ٣٣٩
(١١٥) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج ٤. ص ٢٤٥
(١١٦) ابن تيمية. التدمرية. ص ٢٠، ١٠٩
(١١٧) ابن تيمية. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ج ١. ص ١٤٥
(١١٨) العقل (دت). شرح العقيدة التدمرية ج ٣. ص ٦.
(١١٩) ابن تيمية. درء تعارض العقل والنقل. ج ٥. ص ٦٢



يدلّ ما سبق على أنّ الإنسان وُلِدَ آمن الفكر، صافي الفطرة، لديه استعداد كامل لقبول الحق وتمييز السقيم من الصحيح، والرديء من الجيد، فطرته قال تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيِّقُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [سورة النور: ٣٥]. إذا سمع الحق، قبله، وإذا رأى الباطل نفر منه، وكرهه، وهذا يُسهّل على المربين تربية الأجيال على المنهج الصحيح، وتوفير البيئة الآمنة فكرياً، والتي تناسب ما فطر عليها الناس من محبة الحق، وكرهه الباطل، وإبعادهم عن البيئة التي تؤدي إلى تشويش الفطرة، أو تغييرها.

ب- دليل الخبر: وهو الكلام المحتمل للصدق والكذب^(١٢٠).

قال ابن تيمية: طرق العلم ثلاثة: الحس والعقل، والمركب منهما، كالخبر، فمن الأمور ما لا يمكن علمه إلا بالخبر، كما يعلمه كل شخص بأخبار الصادقين، كالخبر المتواتر، وما يعلم بخبر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، والخبر يتناول الكليات، والمعيّنات، والشاهد، والغائب، فهو أعمّ وأشمل، لكن الحسّ والعيان أتم وأكمل^(١٢١).

ووفق رؤية ابن تيمية السابقة فإن ذلك يُرشد إلى فحص الأخبار المسموعة، وهذا أدعى لأمن الفكر، كما يتضح أنّ الخبر يتركب من الحسّ والعقل، فهما متلازمان لا ينفكان، وبناء عليه، فإذا سمع المتلقي خبراً يناقض العقل فيجب التوقف عنده ملياً، وعدم إمراره كما جاء، بل يوزن بالعقل، ويتحقق من صدقه وصحته، وإلا ردّه، وهذا فيما يتعلق بأخبار البشر، مما يتم تناقله من الأخبار عبر الوسائل المختلفة، أما أخبار الوحي التي صحّت أدلتها، فیسلم بها، فإنها لا تخالف العقل الصحيح.

ج- دليل الآيات: والآيات هي ما أودعه الله تعالى في الكون وفي الأنفس، وكانت طريقة الأنبياء صلوات الله عليهم الاستدلال على الرب تعالى بذكر آياته^(١٢٢). قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠].

يقول القرطبي: ختم تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال في آياته، إذ لا تصدر إلا عن حيٍّ، قيوم، قدير، قدوس، سلام، غني عن العالمين، حتى يكون إيمانهم مستنداً إلى اليقين، لا إلى التقليد. والألباب: الذين يستعملون عقولهم في تأمل الدلائل^(١٢٣). كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَا آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [سورة الإسراء: ١٢]. فالآية: هي العلامة، وهي الدليل الذي يستلزم عين المدلول^(١٢٤)، فنفس العلم بطلوع الشمس، يوجب العلم بوجود النهار. وكذلك آيات الرب تعالى، نفس العلم بها، يوجب العلم بنفسه المقدسة تعالى^(١٢٥).

(١٢٠) الجرجاني (٥٢٠٠٤). التعريفات. ص ٩٦

(١٢١) ابن تيمية. درء تعارض العقل والنقل. ج ١. ص ١٧٨، ج ٧. ص ٣٢٤

(١٢٢) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج ٩. ص ١٤١

(١٢٣) القرطبي (٥١٣٤٨). الجامع لأحكام القرآن. ج ٤. ص ٣١٠

(١٢٤) ابن تيمية. الرد على المنطقيين. ص ١٥١

(١٢٥) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج ٩. ص ١٤٢



العلم بطلوع الشمس = العلم بوجود النهار، والعلم بآيات الله = العلم بالله، فلا بد من معرفة لزوم المدلول للدليل الذي هو الحد الأوسط، وهو كما يقال: أ = ب و ب = ج فإن: ج = أ

وهذا من الأقيسة البرهانية مثل قولهم: الكلّ أعظم من الجزء، والأشياء المساوية لشيء واحد متساوية، والضدان لا يجتمعان، ونحو ذلك فإنّ هذه قضايا كلية^(١٢٦).

د- قياس الأولي: وهو من أدلة القياس التي استعملها ابن تيمية لإثبات المعرفة، هو دليل قياس الأولي، في حين أن الفلاسفة لم يهتدوا إلى القياس الصحيح، فاستعملوا أقيسة أخرى في غير محلها. ولتوضيح هذا الدليل لابد من الإشارة إلى الأقيسة الأخرى التي وضعها منحرفو الفكر محل هذا القياس.

فالقياس ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قياس شمول، وقياس تمثيل، وقياس أولى.

فأما قياس الشمول: فهو إلحاق الشيء بما يشبهه وليس أصلاً له ولا فرعاً، ففي أسماء الله وصفاته فلا تقاس حياة الله تعالى بحياة الخلق من أجل أن الكلّ يشمل اسم (حي)^(١٢٧).

ومن زاوية أخرى فإن بعض منحرفي الفكر، كالخوارج استعملوا هذا القياس في غير محله، فهم يستدلون بحديث "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده"، على وجوب تغيير المنكر الواقع من الحاكم المسلم، ليجزوا الخروج على ولاية الأمر. وترك الأحاديث التي جاءت في شأن نصيحة السلطان.

قال ابن تيمية رحمه الله: "الشجار بالأسنة والأيدي أصل لما جرى بين الأمة بعد ذلك في الدين والدنيا، فليعتبر العاقل بذلك، وهو مذهب أهل السنة والجماعة"^(١٢٨).

وأما قياس التمثيل: فهو قياس الشيء على فرعه أو أصله، أو: قياس الأشياء على نظائرها، ومثاله: إلحاق النبيذ بالخمير في التحريم لجامع الإسكار، فالنبيذ فرع، والخمر أصل، والحكم التحريم، والعلة الإسكار. وأما في أسماء الله فلا يجعل ما ثبت للخالق مثل ما ثبت للمخلوق^(١٢٩).

ولو أنزلنا هذا القياس في الواقع التربوي، فمن الصعوبة بمكان أن يتم التعامل مع الطلاب على أساس الاتفاق في الخصائص، وإن اتفقوا في المرحلة العمرية، بل يتم التعامل معهم وفق الاختلافات الطبيعية، وتباين السمات الشخصية، فإن كثيراً من المواقف التربوية تتطلب مراعاة الفروق الفردية.

أما القياس الذي استعمله ابن تيمية في المعرفة فهو قياس الأولي: وهو أن يكون الفرع أولى بالحكم من الأصل، ولهذا يقول العلماء: إنه مستعمل في حق الله، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النحل: ٦٠]، بمعنى كل

(١٢٦) ابن تيمية. الرد على المنطقيين. ص ١٥١

(١٢٧) العثيمين (١٤٢١هـ). شرح العقيدة الواسطية. ج ١. ص ١٢٩، العقل (دت). شرح التدمرية. ج ٧. ص ١٠، والبراك (دت). شرح الرسالة التدمرية. ص ١٣٨

(١٢٨) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج ٣٥. ص ٥١

(١٢٩) العثيمين (١٤٢١هـ). شرح العقيدة الواسطية. ج ١. ص ١٢٩، العقل (دت). شرح التدمرية. ج ٧. ص ١٠، والبراك (دت). شرح الرسالة التدمرية.



صفة كمال الله تعالى أعلاها، والسمع والعلم والقدرة والحياة والحكمة وما أشبهها موجودة في المخلوقات، لكن الله أعلاها وأكملها^(١٢٠).

ولهذا نستدل أحياناً بالدلالة العقلية من زاوية القياس بالأولى، فمثلاً: نقول: العلو صفة كمال في المخلوق، فهو في الخالق من باب أولى، وعليه فلا يجوز استعمال قياس التمثيل، ولا الشمول في حق الله تعالى؛ لأن لوازم صفات المخلوق لا تلزم في صفات الله تعالى، ولذلك لما سلك بعض الفلاسفة، مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى اليقين، وتناقضت أدلتهم، وقد أوضح ابن تيمية أن آراءهم أمشاج من الإلحاد والكفر، وقد خاف من خطرهما على الدين والفكر، فركز عليها في جهاده ودفاعه^(١٢١).

ولتوضيح صورة قياس الأولى وتقريبها يتم إيراد مثال قياس ضرب الوالدين على التأفيف فإن علة الإيذاء أشد في الضرب منها في التأفيف المنصوص عليه في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ﴾ [سورة الإسراء: ٢٣]، وعليه فالنهي عن الضرب أولى من التأفيف قياساً أولوياً.

إنَّ قياس الأولى مستقرٌّ في الفطر السليمة، بل مما يطبَّقُ سجيَّةً في الحياة اليومية، فعلى سبيل المثال إذا جلس إنسان في مكانٍ ما ورأى لافتة مكتوب فيها يُمنع الكلام، فيُفهم من ذلك أن الصراخ أشدَّ منعاً، كما أنَّ نصوص الكتاب والسنة مليئة بقياس الأولى، بل حتى السلف استعملوه في حُججهم، وقد كثر استعمال قياس الأولى عند ابن تيمية، وهو من المهارات العقلية التي أظهرت مدى براعته في الحجج العقلية، والقياسات البرهانية الصحيحة، ومدى حذقه ومثانة حججه.

إن بناء القضايا والحجج الفكرية في الواقع التربوي المعاصر بمهارة قياس الأولى، يمكن أن يُحدث الأثر العميق في تعزيز الأمن الفكري، فكثير من تلك القضايا تتطلب إلجام الخصم أو إقناع الشاك، أو ردَّ المنحرف إلى الصواب إذا ما تمَّ تقريب الصور إلى أذهانهم، وإحالتها إلى ما تتقبله فطرهم، وبناء على ذلك يستعرض الباحث التربوي، أو المعلم، أو المربي الأصل في قضية أو موقف ما، ثم يقول إذا كان الأصل في هذا الموقف كذا، فمن باب أولى أن تأخذ فروع الأصل نفس الحكم.

هـ - دلالة الميزان (القياس): قال الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [سورة الشورى: ١٧].

يقول السعدي: فأما الميزان فهو العدل، والاعتبار بالقياس الصحيح، والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية، من الآيات الآفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية...؛ ليزنوا به ما اشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به، وأخبرت رسله^(١٢٢).

كما يفسر السلف الميزان بالعدل، ويفسره بعضهم بما يوزن به، وهما متلازمان، وهو من أدوات القياس الربانية، فقد أخبر الله أنه أنزله مع رسله، كما أنزل معهم الكتاب ليقوم الناس بالقسط. والميزان: التسوية بين المتماثلات و

(١٢٠) العثيمين (٥١٤٢١). شرح العقيدة الواسطية.

(١٢١) جامي علي (٥١٤٠٨). الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه. ص ١١٤

(١٢٢) السعدي (٥١٤٢٠). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص ٧٥٦



التفرقة بين المختلفات، وكذلك الفروع المقيسة على أصولها في الشرعيات والعقليات، تعرف بالموازين المشتركة بينهما، وهي الوصف الجامع المشترك، الذي يسمى الحد الأوسط. فالله حرم خمر العنب؛ لعله أنها تصدّ عن ذكر الله، وعن الصلاة، وتوقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء، فإذا عُلِمَ بأنّ نبيذ الحبوب، من الحنطة والشعير وغير ذلك، يماثلها في المعنى الكلي المشترك الذي هو علة التحريم، كان هذا القدر المشترك الذي هو العلة هو الميزان^(١٣٣).

ويترتب على القياس الصحيح إحاطة النصوص للمستجدات والنوازل، وإيجاد الأحكام المناسبة لها، وتنزيل النصوص على الوقائع دون لِيٍّ لأعناقها، بميزان تربوي متوافق ومنسجم مع الواقع، ولا يخالف الشرع، مما يجعل الدين مستوعباً للحوادث المستجدة، واتفاق الأفراد على ميزان مشترك مبني على أسس عقلية وشرعية، يعدّ من مقومات الأمن الفكري، الذي يبعث في نفوسهم الطمأنينة.

و- الاستدلال بالكتاب والسنة: إنّ نظرة ابن تيمية لواقع الأمة نظرة الطبيب الخبير والعالم ذو الفراسة المتمرس، جعلته يدرك أسباب ضعف الأمة وتفرقها وانتشار الأمراض الفكرية فيها، ويعلم أن أبرزها هو اعتماد مصادر بشرية، لا تقبل الاعتراض عليها ولا النقد لها، حتى عظموها أكثر من تعظيمهم للسنة^(١٣٤)؛ لذلك هرع لنصوص الكتاب والسنة، فلزمها وفهمها وسبر أغوارها واستشهد بها.

ومن يقرأ مؤلفات ابن تيمية يجد غزارة الاستدلال بالنصوص، ومن يغوص في أعماق فكره، يجد قوة دلالة الأدلة على مدلولاتها، وسلاسة ربطها بواقع أمته، وتقريبها لأحوال عصره، ولقد جعل تلك النصوص قبساً يهتدي به في نفسه، ويهدي بها عقول من حوله.

الطريق الثاني: الحسّ أو التجربة

الحسّ: هو الإدراك بإحدى الحواس الخمس^(١٣٥)، والتجربة: تطلق على ملاحظة العالم ظواهر طبيعية في شروط معينة، يهيئها بنفسه؛ ليصل من ذلك إلى علم، أو قضايا تُعرف بالمجربات، أو التجريبيات^(١٣٦)، وهي القضايا التي يحتاج العقل في جزم الحكم بها إلى واسطة تكرار المشاهدة^(١٣٧).

يُعتبر ابن تيمية رائداً من رواد المعرفة التجريبية في الفكر الإسلامي، وأقرّ الارتباط بين الحس والتجربة في التوصل إلى المعرفة، ورفض منطق أرسطوطاليس، واعتبره غير موصل إليها؛ لعدم استناده على الواقع الحسي في صدق قضايها، مما جعل ابن تيمية يضع منهجاً تجريبياً في المعرفة، يُعتبر بداية للمناهج الاستقرائية المعاصرة^(١٣٨)، وكان

(١٣٣) ابن تيمية . الرد على المنطقيين. ص ٣٧١- ٣٧٢

(١٣٤) الحوشاني(١٤١٧هـ). منهج ابن تيمية في الدعوة. ص ١١٨

(١٣٥) مجمع اللغة العربية (دت). المعجم الوسيط. ج ١. ص ١٧٣

(١٣٦) الزنبيدي (١٤٣٤هـ). مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي. ص ٣٦٤

(١٣٧) ابن القاضي التهانوي(١٩٩٦م). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ج ١. ص ٢٦٩

(١٣٨) محمد السيد الجليلند (١٩٨٤م). نظرية المنطق بين فلاسفة الإسلام واليونان. ص ٢٠٦



ينفي مالا تحسه الحواس من الماديات^(١٣٦)، وهو كذلك يؤكد فكرته بالأمثلة المادية المحسوسة، ويقول: "إنا لا نشك مع سلامة البصر وارتفاع الموانع في عدم بحر من زئبق وجبل من ذهب بين أيدينا ونحن لا نشاهده"^(١٣٧).

وبالرغم من ظهور الارتباط بين الحسّ والتجربة في الاتجاه التجريبي، القائم على أساس أنّ التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة البشرية، من خلال المدركات الحسية^(١٣٨)، إلا أنّ المنهج الإسلامي الذي يستند عليه ابن تيمية يقرّر بأنّ الإدراكات الحسية لا تستقلّ بتحصيل المعرفة العلمية، بل لابد من أن يُعمل الباحث عقله إلى جانب تلك الإدراكات الحسية، فالعقل يتلقى المدركات التي هيئتها الحواس، أما من يستعمل حواسه بمعزل عن أعمال عقله، فإن النتيجة هي عدم الوصول إلى الحقائق الصحيحة، لعدم الاستناد إلى مقومات الأمن الفكري، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

﴿سورة الأعراف: ١٧٩﴾.

ومفهوم التجربة عند ابن تيمية لا يقتصر على ما يجربه الإنسان من أمور بفعله وإرادته، بل أيضًا ما يجربه بعقله وحسه، من غير مباشرة للشيء المجرب، وهذا ما عبّر عنه ابن تيمية بقوله: "والتجربة تحصل بالنظر والاعتبار والتدبر، كحصول الأثر المعين دائرًا مع المؤثر المعين دائمًا"^(١٣٩).

ومن المصطلحات التي عبّر بها ابن تيمية للتعبير عن مراحل إجراء التجربة: الدوران والمناسبة، والسبر والتقسيم.

ويراد بالدوران والمناسبة عند ابن تيمية: أي أنه يمكن التوصل بهما إلى القانون الكلي الذي يحكم الظواهر الطبيعية، فإذا وجد ظرف أو ظاهرة تدور مع الظاهرة الأصلية وجودًا وعدمًا، أي توجد الظاهرة الأصلية عندما يوجد هذا الظرف وتنعدم عندما ينعدم، كان هذا الدوران في الوجود والعدم، يدلنا على أن الظرف أو الظاهرة السابقة، علة أو دليل على الظاهرة التالية له، يقول ابن تيمية "والتجربة تحصل بالنظر والاعتبار والتدبر، كحصول الأثر المعين دائرًا مع المؤثر المعين دائمًا، فيرى ذلك عادة مستمرة، لا سيما إن شعر بالسبب المناسب، فيضمّ المناسب إلى الدوران، مع السبر والتقسيم"^(١٤٠).

ومثال ذلك في الواقع ما يجربه الناس في دواء ما عند حصول داء ما، فإذا حصل الشفاء منه حال استعماله، ولم يحصل عند عدم استعماله، وتكرر حصول ذلك، تيقن الناس في تأثير الدواء على هذا الداء.

ويراد بالسبر: الاختبار أو التجربة، أما التقسيم فهو التجزئة، ويقصد بالسبر والتقسيم: حصر الأوصاف في الأصل المقيس عليه، وإبطال بعضها، فيتعين الباقي للعلية^(١٤١).

أما طريقة السبر والتقسيم هي المتبعة في المنهج العلمي المعاصر لإثبات الفروض، وتسمى في هذا المنهج بطريقة الحذف والاستبعاد، وهي أن يضع الباحث جميع الفروض الممكنة لتفسير ظاهرة معينة، ثم يقوم بحذف واستبعاد

(١٣٩) الحوشاني (٥١٤١٧). منهج ابن تيمية في الدعوة.. ص ١٠٢

(١٤٠) ابن تيمية. الرد على المنطقيين. دار المعرفة، بيروت، لبنان. ص ٢١٠

(١٤١) الزنبيدي (٥١٤٣٤). مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي. ص ٤٣٦

(١٤٢) المرجع السابق. ص ٩٣

(١٤٣) ابن تيمية. الرد على المنطقيين. ص ٩٣

(١٤٤) شمس الدين الأصفهاني (٥١٤٠٦). بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب. ج ٣. ص ١٠٢



عدد منها لأسباب متعددة، مثل عدم تأثيرها، أو عدم اتفاقها مع الحقائق المعروفة، أو لأي أسباب أخرى تبين عدم تأثيرها، إلى أن يصل إلى فرض واحد لا يمكن معارضته بشيء ويتفق مع كل الحقائق المعروفة، فيكون هذا الفرض هو العلة أو القانون العلمي^(١٤٥).

وقد أوضح ابن تيمية بأنه لا بد من نقل التجارب للآخرين للاستفادة منها، فبطائفة من هؤلاء يحصل العلم المتواتر، وتنتشر التجربة، بخلاف ما يدرك بالحواس، فإنه يختص بمن أحسّه^(١٤٦).

وبناء على ما سبق مما تم عرضه وتحليله من كلام ابن تيمية، يمكن الخلوص إلى:

-التكامل الثنائي بين الحس والعقل، فلا يستقيم منهج المعرفة بدونهما، بل إن الاعتماد على أحدهما دون الآخر يُعدّ قصورًا في استعمال طرق المعرفة، وقد بين القرآن ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة الملك: ١٠]. ومنهج ابن تيمية يخالف منهج الحسنيين الذين حصروا طريق المعرفة، وضيقوا أفقها الواسع، وقصروها على المعرفة التجريبية التي تأتي عن طريق الحواس الخمسة، مما أدى إلى صعوبة تفسير كثير من المعارف التي لا تقع ضمن دائرة الحس، فأنكروا الوحي، والغيبيات، وأنكروا المبادئ الأولية التي لا تعرف إلا بالعقل، كما خالف ابن تيمية منهج العقلين الذين اعتمدوا على العقل كطريق واحد في الحصول على المعرفة، فقدموا العقل على الوحي، واعتمد ابن تيمية على منهج الإسلام الذي أعلى مقام الإدراكات الحسية من خلال دعوته إلى التفكير في الكون وإعمال السمع والبصر.

-في المعرفة التجريبية لا بد من التجربة في الجزئيات، وإعادة التجربة حتى تحصل المعرفة اليقينية التي تدعو إلى الاطمئنان إلى سلامة الفكر، كما يجب مراقبتها بالحس إذا كانت محسوسة، ومن ثم الحكم عليها بالعقل. ولا ينسى الباحث أن ينقل تجاربه للآخرين حتى تعم المعرفة الصحيحة، فإن ذلك يدعو إلى نشر الفكر الآمن، وتأمينه من أن يتعرض إلى ما يشككه.

الطريق الثالث: العقل

يرجع معنى العقل إلى الحبس والمنع والإمساك. وهو مصدر عقل يعقل: العين والقاف واللام أصل يدل عظمه على حُبْسَةٍ في الشيء أو ما يقارب الحُبْسَةِ. ومن ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل^(١٤٧). وسمي عقل الإنسان عقلا؛ لأنه يعقله، أي يمنعه من التورط في الهلكة^(١٤٨).

وتعددت تعريفات العقل في الاصطلاح وتنوعت، حتى إنه من الصعوبة بمكان حصرها في تعريف واحد؛ وذلك نظرًا لكثرة معانيه في استعمالات العرب، إلا أن كل المعاني لا تخرج عن الأصل اللغوي الذي هو الحبس والمنع والإمساك.

ومن معاني العقل عند ابن تيمية:

(١٤٥) قاسم، محمود (١٩٥٣م). المنطق الحديث ومناهج البحث. ص ١٥٠، ١٥١.

(١٤٦) ابن تيمية. الرد على المنطقيين. ص ٣٨٥.

(١٤٧) ابن فارس (١٣٩٩م). معجم مقاييس اللغة. ج ٤. ص ٦٩.

(١٤٨) الأزهرى (٢٠٠١م). تهذيب اللغة. ج ١. ص ١٦٠.



المعنى الأول: العمل بالعلم يدخل في مسمى العقل، بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح^(١٤٩)، وهذا المعنى هو الذي يغلب استعماله عند السلف.

يقول ابن تيمية: "وأما العمل بالعلم وهو جلب ما ينفع الإنسان ودفع ما يضره بالنظر في العواقب فهذا هو الأغلب على مسمى العقل في كلام السلف والأئمة كالأثار المروية في فضائل العقل"^(١٥٠).

المعنى الثاني: "الغريزة التي بها يعقل الإنسان"^(١٥١)، "وهي شرط في كل علم عقلي أو سمعي كالحياة"^(١٥٢). يقول ابن تيمية: "نص أحمد بن حنبل، والحاتر المحاسبي، وغيرهما أن العقل غريزة في الإنسان"^(١٥٣)، ويقول: "العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلاً بذلك؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين"^(١٥٤).

والعلوم التي تُعرف بالعقل كما يرى ابن تيمية:

١- **علوم ضرورية:** يفرق بها بين المجنون الذي رفع القلم عنه وبين العاقل فهذا مناط التكليف^(١٥٥)، والعلوم الضرورية هي التي يشترك فيها جميع العقلاء، كالعلم بأن الضدين لا يجتمعان، وأن الكلّ أكبر من جزئه، والعلوم الضرورية هي التي تُعرف بفطرة الإنسان، وتولد معه، وقد سبق بيان ذلك.

ويُبنى المنهج العلمي على هذه العلوم، التي ينبغي أن يعلمها الناس عمومًا، والباحث على وجه الخصوص، وهي عبارة عن افتراضات أساسية عن وحدة الطبيعة، وافتراضات متعلقة بالعمليات النفسية يقوم عليها المنهج العلمي، تؤثر على جميع أوجه النشاط التي يمارسها الباحث أو المفكر، وهي تؤثر على الطرق التي يتبعها في بحثه أو فكره، وتتدخل في تفسير نتائجه، ويكفي الباحث أن يقبلها كما هي على أساس الفهم السليم، لأنه لن يستطيع أن يمضي في طلبه للمعرفة العلمية دون أن يفترض صحتها^(١٥٦).

وقد ناقش ابن تيمية وبنى كثيرًا من الأفكار، مستندًا على هذه الافتراضات، وينطلق للوصول إلى تحقيق الأمن الفكري منها، ومن هذه الافتراضات **افتراض وحدة الطبيعة**، بمعنى أن الطبيعة نظام مرتب متوازن، ويوجد بها حالات مشابهة، وما يحدث مرة سوف يحدث مرة أخرى، وهذا الافتراض يعتبر مقدمة كبرى لكل التفكير العلمي، وينقسم هذا الافتراض إلى عدد من المسلمات منها **مسلمة الحتمية التي تنكر هذه المسألة** أن ما يحدث يكون نتيجة للمصادفة، أو

(١٤٩) ابن تيمية. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية. ص ٢٦٠

(١٥٠) ابن تيمية. درء تعارض العقل والنقل. ج ٩. ص ٢٢

(١٥١) ابن تيمية. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية. ص ٢٦٠

(١٥٢) ابن تيمية. درء تعارض العقل والنقل. ج ١. ص ٨٩

(١٥٣) المرجع السابق. ج ٦. ص ٥٠

(١٥٤) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج ٣. ص ٣٣٨

(١٥٥) ابن تيمية. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية. ص ٢٦٠

(١٥٦) فان دالين (٢٠١٠م). مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ص ٧١



نتيجة ظروف طارئة أو عملية تلقائية، بل لابد لكل سبب من مسبب، فإذا غلب الماء، وجب وجود مجموعة من الشروط^(١٥٧).

يقول ابن تيمية: "ومعلوم بالفطرة التي فطر الله عليها عباده بصريح العقل، أن الحادث لا يحدث إلا بمحدث أحدثه، وإن حدث الحادث بلا محدث أحدثه، معلوم البطلان بضرورة العقل، وهذا أمر مركوز في بني آدم، حتى الصبيان لو ضرب الصبي ضربة فقال: من ضربني، فقل: ما ضربك أحد، لم يصدق عقله أن الضربة حدثت من غير فاعل"^(١٥٨).

٢- علوم نظرية: تحصل بالنظر والاستدلال، وهي "علوم مكتسبة تدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه وترك ما يضره فهذا لا نزاع في وجوده... وهو داخل فيما يحمد به عند الله من العقل ومن عدم هذا دُم... وما في القرآن من مدح من يعقل ونم من لا يعقل يدخل فيه هذا النوع وقد عدمه من قال: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة الملك: ١٠]"^(١٥٩).

وبناء على المعطيات السابقة يمكن القول بأن العلوم الضرورية والنظرية تختصر على الباحثين والمربين الكثير من المراحل في البحث والنقاش والمجادلة والإقناع، حيث يُبنى العلم على هذه المفاهيم الأساسية، وهذه المسلمات لا ينكرها إلا منتطح، أما ذوي العقول السليمة فيقرّونها، فيسهل البدء بها في كثير من المناظرات أو الحوارات لمعالجة منكري الحق، وأصحاب الخلل الفكري.

الطريق الرابع: الكشف أو الإلهام

الكشف هو أمر خارق للعادة تتجلى به المخاطبات والمكاشفات للعباد^(١٦٠). "فما كان من الخوارق من "باب العلم" فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره. وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظةً ومنامًا. وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحياً وإلهاماً أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة، ويسمى كشفًا ومشاهدات ومكاشفات ومخاطبات: فالسمع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله "كشفًا" و "مكاشفة" أي كشف له عنه"^(١٦١). ومن المكاشفات المبشّرات، "كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في المبشرات: "الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ"^(١٦٢). وكما قال: "أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ"^(١٦٣) (١٦٤).

ومقياس ابن تيمية لقبول الكشف هو موافقته للكتاب والسنة، فإن وافقهما قبل وإلا كان مردودًا. فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات، ولكنها لن تكون صحيحة مقبولة، إلا إذا عُرِضت على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم،

(١٥٧) المرجع السابق

(١٥٨) ابن تيمية. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ج ٤. ص ١٤٥

(١٥٩) ابن تيمية. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية. ص ٢٦٠

(١٦٠) عثمان، رحمة (٢٠٠٤م). منهج ابن تيمية في العلم والمعرفة. جامعة إفريقيا العالمية. ص ٢١٤

(١٦١) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج ١١. ص ٣١٣

(١٦٢) أخرجه مالك في "الموطأ" برقم: (٣٥١٤)، مرسلاً، قال ابن عبد البر: "ومعناه مسند صحيح من حديث بن عباس وغيره".

(١٦٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (١٣٦٧)، ومسلم في صحيحه برقم: (٩٤٩)

(١٦٤) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج ١١. ص ٣١٤



ولذلك يقول: "والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء، وقلبه ليس بمعصوم فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم" (١٦٥).

إنّ المقياس الذي وضعه ابن تيمية لجعل طريق الإلهام كأحد مصادر المعرفة، يجعل الإنسان يتقطن لكل من يدّعي أنه ملهم، أو يُكشَف له، فيُشرّع مالم يأت به الشرع، ويُملّي على أتباعه الأفكار المنحرفة، والاعتقادات الباطلة.

المبحث الثالث: المقومات الحضارية للأمن الفكري عند ابن تيمية

الحضارة: الإقامة في الحضر، والحضور: نقيض الغيبة. وقد حَضَرَ الرجل حُضوراً، وأحضره غيره. ويَحْضُرُ، ورجلٌ حَضِرٌ: لا يصلح للسفر. والمُحَضَّرُ: الذي يأتي الحضر، وهو خلاف البادي (١٦٦). والحَضَرُ بفتحين خلاف البَدْوُ، و(الحُضُورُ) ضدُّ الغَيْبَةِ، وَقَوْمٌ (حُضُورٌ) أي: حاضرون (١٦٧).

والحضارة: نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، فإذا ما أمِنَ الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء (١٦٨)، وعَرَفَ إدوارد تايلور الحضارة بأنها: الكلُّ المركب الذي يجمع بداخله جميع المعتقدات، والقيم، والتقاليد، والقوانين، والمعلومات، والفنون، وأيِّ عادات، أو سلوكيات، أو إمكانيات، يُمكن أن يحصل عليها فردٌ ما في مجتمعٍ ما (١٦٩).

ومصطلح الحضارة فيه دلالة على أن الأمم والمجتمعات يكون لها الحضور الإيجابي بعلوم العصر، وعدم التأخر والتخلف والغياب عنها، مع الحفاظ على القيم، والمعتقدات.

إن العلاقة بين الأمن الفكري وهوية الأمة وشخصيتها الحضارية علاقة وطيدة؛ فإذا أمِنَ الأفراد على ثوابتهم وأصولهم وقيمهم ومبادئهم، فقد تحقق لهم الأمن، وأصبحوا أداة بناء للمجتمع، وعلى النقيض من ذلك، فإذا دخلت ثقافة منحرفة، ومبادئ دخيلة، ومناهج هدامة تنسف ثوابتهم، وتزعزع لديهم إحساسهم بالأمن والاستقرار، أصبحوا أداة هدم في مجتمعاتهم، وسبباً في تخلفهم (١٧٠)، وعليه ففي المجتمعات المسلمة يقوم الأمن الفكري على المقومات الحضارية التي تبدأ من الحفاظ على الهوية الإسلامية.

وتعرف الهوية بأنها: عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره (١٧١)، فنجد أن الهوية هي "الحصيلة المشتركة من العقيدة الدينية واللغة، والتراكم المعرفي وإنتاجات العلم، والفنون، والآداب، والتراث، والقيم، والتقاليد، والعادات، والأخلاق، والتاريخ، والوجدان، ومعايير العقل والسلوك، وغيرها من المقومات التي تتمايز في ظلها الأمم والمجتمعات" (١٧٢)، حيث

(١٦٥) المرجع السابق. ص ٢٠٥، ٢٠٧.

(١٦٦) الجوهرى (٥١٤٠٧). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ج ٢. ص ٦٣٣.

(١٦٧) الرازي (٥١٤٢٠). مختار الصحاح. ص ٧٥.

(١٦٨) ديورانت. (٥١٤٠٨). قصة الحضارة. ج ١، ص ٣.

(١٦٩) حمودة (٢٠١٢م). الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها العالمي. ص ١١.

(١٧٠) المرسي، هبة (٢٠١٩م). دور الأسرة في تحقيق الأمن الفكري لدى أبنائها. ص ٢١.

(١٧١) بدوي (١٩٩٩م). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. ص ٢٠٦.

(١٧٢) دوني كوش (٢٠٠٢م). مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. ص ٨٧-٩٩.



تتكون الهوية من مجموع الاعتقادات والأفكار والرؤى والتصورات، وما يُعبر عنها من مظاهر حسية و مادية، كاللباس واللغة والسلوك والعمران ونحوه.^(١٧٣)

لقد ورد مفهوم الهوية الإسلامية عند ابن تيمية، وعبر عنها بالصراط المستقيم المتمثل في العلاقة بين ظاهر المرء وباطنه. وفي ذلك يقول: "إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة: من أقوال، أو أفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس، والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك. وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً"^(١٧٤).

ويأتي على النقيض من مفهوم الهوية، والذي يؤثر سلباً على تحقيق الأمن الفكري، هو مفهوم العولمة، حيث "تهدف إلى التغيير من الثوابت، والمحتوى والإرث التاريخي، والاستدراج إلى ثقافة غربية غريبة، وبشعارات مختلفة"^(١٧٥)، كما تدعو إلى تقبل الفكر الغربي، دون نقد أو تمحيص، وهو الأمر الذي من شأنه أن يضعف الذاكرة التاريخية للأمة، ويزيف عقول الأفراد، خاصة الشباب منهم^(١٧٦).

إنّ العولمة تهدف إلى تجاوز كل الحدود بين الدول، سواء كانت الحدود الجغرافية، أو الفكرية أو الاقتصادية، وغيرها، مما يؤدي إلى إذابة الهوية التي تميز كل مجتمع، لذا فلا بد أن تكون هناك مقومات حضارية تصون هوية المجتمعات الإسلامية، ومن أهم المقومات الحضارية التي تحافظ على الهوية الإسلامية، وتؤدي إلى تمييز الشخصية المسلمة، ويظهر تأثيرها في تحقيق الأمن الفكري ما يلي:

أولاً: الهوية في اللباس والهدي الظاهر

إنّ من أبين ما تتمايز به الأمم والأقوام هو لباسها الظاهر، وقد يقودنا اللباس إلى بلد ما، أو مدينة ما، أو قبيلة ما، فهو أحد علامات التفرّد، وأبرز مقومات الهوية، وهذا ما عبر عنه ابن تيمية بـ "الهدي الظاهر"، حيث إنّ التشبه بالهدي الظاهر ينافي التميّز، ويؤدي بالضرورة إلى المشاكل في الباطن، وهو ما يسمى في الواقع المعاصر بظاهرة "الاستلاب الثقافي"^(١٧٧)، والتي هي من أكثر الظواهر وضوحاً في زمن العولمة^(١٧٨). قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لا يُشبه الزيّ الزيّ حتّى تشبّه القلوب القلوب.^(١٧٩)

وبالرجوع إلى الكتاب والسنة يتبين أنّ الله عز وجل شرع أموراً من أعمال وأقوال، أمرنا فيها بمخالفة اليهود، ففي قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رِعْسًا وَقُولُوا نَضْرِبًا﴾ [سورة البقرة: ١٠٤]، أمر بمخالفتهم في اللفظ. يقول ابن كثير عند هذه الآية: "فيه

(١٧٣) الجريس، مها (٢٠١٦م). حقيقة الهوية الإسلامية ومظاهرها في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم.

(١٧٤) ابن تيمية. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. ج ١. ص ١١

(١٧٥) المحاسن و بن داود (٢٠١٢م). دور اللغة العربية في تجسيد هوية المجتمع العربي. ص ٣٧

(١٧٦) محمد (٢٠١٦م). تحديات العولمة نحو الأمن الفكري في الجامعة. ص ١٨٠

(١٧٧) الاستلاب يعني: انسلاخ الشخص عن نفسه ليصبح خاضعاً ومتمثلاً بشخص آخر، وهو مفهوم ثقافي يدل على التبعية والتقليد مع احتقار الذات، وتعظيم الآخر. السياق التداولي لمفهوم الاستلاب للطبيب أبو عزة. مركز نماء للبحوث الدراسية على الشبكة العنكبوتية. على الرابط .

<https://www.nama-center.com/Articles/Details/20488>

(١٧٨) الجريس، مها (٢٠١٦م). حقيقة الهوية الإسلامية ومظاهرها في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم. ص ٢٢٩

(١٧٩) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٥٦٩٠)



دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد، على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم، وعباداتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تُشرع لنا^(١٨٠).

وجاء في الأحاديث النبوية الإشارة إلى المخالفة لليهود أيضاً، ويوم عاشوراء أمرنا بصيام يوم قبله، أو يوم بعده مخالفة لهم، وكذلك ما جاء في نسخ القبلة، وفي حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "خالفوا اليهود فإنهم لا يصلُّون في بُعاليهم ولا خفافهم"^(١٨١).

ولقد ذكر ابن تيمية رحمه الله علل هذه المشاركة والمشاكله، فقال: إن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس؛ فإنَّ اللباس ثياب أهل العلم، يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللباس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد من نفسه نوع تخلُّق بأخلاقهم، .. ومنها: أن مشاركتهم في الهدى الظاهر، توجب الاختلاط الظاهر^(١٨٢).

يقول ابن تيمية: "فإن جميع ما يعملونه مما ليس من أعمال المسلمين السابقين، إما كفر، وإما معصية، وإما شعار كفر، أو معصية، وإما مظنة للكفر والمعصية، وإما أن يخاف أن يُجرَّ إلى معصية"^(١٨٣).

ثانياً: الهوية في الحفاظ على اللغة العربية والاعتزاز بها

ترتبط اللغة بالهوية، وعلى وجه الخصوص فإن اللغة العربية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالهوية الإسلامية، وهي شعار الإسلام، ولغة القرآن الكريم، ومع ذلك فهي اللغة العالمية، التي أسهمت في بناء الحضارة الإنسانية، على مر العصور للعرب والغرب على حد سواء.

كما أنَّ هناك ارتباط وثيق بين اللغة العربية والعقل العربي؛ بل إن هناك تلازم بينهما، حيث تسهم اللغة العربية في إعطاء الهوية بُعداً حقيقياً، إذ لا يمكن الحديث عن الحضارة أو الهوية أو الموروث الفكري بدون الانطلاق من اللغة، التي تعد السبيل الأوحَد للاتصال البيِّن بين الماضي والمستقبل، وتكون اللغة العربية أداة لتحقيق الأمن الفكري المنشود^(١٨٤).

وقد امتنع بعض علماء المسلمين من تجاوز استعمال اللغة العربية إلى استعمال غيرها من اللغات، حتى أنَّهم كرهوا تسمية الشهور بالأسماء الأعجمية من الفارسية أو الرومية، وذكر ابن تيمية سبب هذه الكراهة وهي: "أن يعود الرجل النطق بغير العربية، فإنَّ اللسان العربيَّ شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، ولهذا كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم يكرهون في الأدعية التي في الصلاة والذكر، أن يُدعى الله أو يذكر بغير العربية"^(١٨٥).

(١٨٠) ابن كثير (٥١٤٢٠هـ). تفسير القرآن العظيم. ج ١. ص ٣٧٤

(١٨١) أخرجه أبو داود في سننه، برقم: (٦٥٢). صححه الألباني. صحيح سنن أبي داود. ج ٣. ص ٢٢٤

(١٨٢) ابن تيمية. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. ج ١. ص ١٢

(١٨٣) المرجع السابق. ج ١. ص ٨٢

(١٨٤) المحاسن و بن داود (٢٠١٢م). دور اللغة العربية في تجسيد هوية المجتمع العربي. ص ٤٨

(١٨٥) ابن تيمية. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. ج ١. ص ٢٠٣



ودعا ابن تيمية إلى اعتياد الخطاب بالعربية في الأماكن ودور العلم؛ حتى يتلقنها الصغار فيظهر شعار الإسلام وأهله من جهة، وحتى يسهل بها فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف من جهة أخرى، بخلاف من اعتاد لغةً، ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب^(١٨٦).

وحتى لا يكون في الأمر حرجٌ وتضييق على من لم يحسن غير العربية، فقد ذكر بأنّ التحدث بغيرها أمرٌ فيه سعة، عند الحاجة إلى ذلك بدون اعتياد، وذكر من جملة الأسباب أن يكون المخاطب أعجمياً، أو اعتاد العجمية، فلا حرج في استعمال لغة المخاطب لتقريب الأفهام عليه، كما قال النبي ، لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، وكانت صغيرة قد ولدت بأرض الحبشة لما هاجر أبوها، فكساها النبي ، خميصاً، وقال: "يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَّا"، والسَّنا بلغة الحبشة: الحسن^(١٨٧) (١٨٨).

وقال في موضع آخر: "وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه، إذا احتيج إلي ذلك وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعُرفهم، فإنّ هذا جائز حسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه"^(١٨٩)، ولذلك يترجم القرآن والحديث لمن يحتاج إلى تَفْهَمِهِ إياه بالترجمة، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم، ويترجمها بالعربية^(١٩٠).

إنّ اللغة العربية هي أحد أهم المقومات الحضارية، التي يقوم عليها الأمن الفكري عند ابن تيمية، حيث أوضح علاقتها الوثيقة وتأثيرها القوي البين في العقل والخلق والدين؛ لأن في التحدث بها مشابهة بسلف الأمة من الصحابة والتابعين، وقد ذكر أن مشابھتهم تزيد العقل والدين والخلق، وفي ذلك يقول: "فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإنّ فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"^(١٩١)، فاللغة العربية هي اللغة التي اختارها الله عزو جل لتكون لغة الرسالة الخالدة لكل الأمم، وبقاؤها حاضرة في المجتمع يُسهّل المحافظة على ما جاء في هذه الرسالة، وهو كفيل بتحقيق الأمن الفكري.

وكون المسلم يتمسك باللغة العربية ويعتز بها، لا يتنازع مع كونه يتعلم ويُتقن غيرها من اللغات، فالإسلام يحث على الانفتاح المنضبط، الذي يدعو أفرادَه إلى أن يتخيروا ما عند الغير، فيأخذوا ما يُنتفع به، تاركين ما عداه.

ثالثاً: الهوية في إظهار شعائر الأعياد

تعتبر الأعياد قضية انتماء تاريخي أو ثقافي، لذا تهتم الشعوب بها، وتترقب أيامها، وتعظمها، وتقيم شعائرها، فهي عادة ما يكون للأعياد ارتباط بتاريخ تلك الشعوب، أو معتقداتها، أو يكون لها ذكرى حدث خاص، أو لها علاقة بأحداث وطنية بارزة، فكل أمة لها عيدها، وكذلك كل ديانة لها عيدها.

(١٨٦) المرجع السابق. ج ١. ص ٢٠٦

(١٨٧) أخرجه البخاري، برقم: (٥٨٤٥)

(١٨٨) ابن تيمية. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. ج ١. ص ٢٠٦

(١٨٩) ابن تيمية. درء تعارض العقل والنقل. ج ١. ص ٤٣

(١٩٠) ابن تيمية. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. ج ١. ص ٢٠٢

(١٩١) المرجع السابق. ج ١. ص ٢٠٧



وقد أكد ابن تيمية على أن الأعياد من جملة شرائع الإسلام كالقابلة والصلاة، والصيام، واستدل بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ تُغْنِيَانِ بِمَا نَقُولُ بِهِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُعْنِيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيْمَرُ مَوْرَ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَذَلِكَ فِي يَوْمٍ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا" (١٩٢).

يقول ابن تيمية: "قوله: "إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا" فإن هذا يوجب اختصاص كل قوم بعيدهم، كما أن الله سبحانه لما قال: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا﴾ [سورة البقرة: ١٤٨]. وقال: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة: ٤٨]. أوجب ذلك اختصاص كل قوم بوجهتهم وبشرعتهم، وذلك أن اللام تورث الاختصاص، فإذا كان لليهود عيد وللنصارى عيد؛ كانوا مختصين به فلا نشركهم فيه، كما لا نشركهم في قبلتهم وشريعتهم" (١٩٣).

أراد ابن تيمية الحفاظ على الأمن الفكري عندما بين العلة في التأكيد على هذه الخصوصية الشرعية في الأعياد حيث إن المنع من إظهارها؛ معصية، أو شعار إلى معصية، وذكر بعضاً من آثار الصحابة التي تبين عقوبتهم (١٩٤)، منها ما جاء عن عمر رضي الله عنه: إِنَّ السَّخَطَةَ تَنْزُلُ عَلَيْهِمْ (١٩٥)، وعن ابن عمرو "أَنَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ كَذَلِكَ خُسِرَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (١٩٦)، وكل ما خصت به أعياد غير المسلمين من أفعالهم وغيرها، فليس للمسلم أن يشابههم في أصله ولا في وصفه حصانة لفكره، ومخالفة لهم حسماً لمادة الشر والتبعية، فإن المتابعة في القليل قد يكون ذريعة ووسيلة إلى استحسان القبائح والاستمرار عليها (١٩٧).

ولأن مدار المخالفة في الظاهر وأساسها قائمة على مخالفة الباطن، يقول رحمه الله: "مشابهتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس الاعتقادات، وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ولا ينضبط، وقد يتعسر أو يتعذر زواله بعد حصوله، ولو تفتن له، وكل ما كان سبباً إلى مثل هذا الفساد فإن الشارع يحرمه" (١٩٨).

لقد استحدث الغرب أياماً خاصة تتعلق بأحوال الناس الاجتماعية، أشبهت الأعياد في الاحتفالات والاجتماع للطعام والشراب، وإظهار الفرح بطرق مختلفة، وهي تتعلق عندهم برموز وشعارات، أو أحداث أو اعتقادات، ولقد وفدت إلى البلاد الإسلامية بمسماياتها الغربية، وربما بما يجري فيها من تنظيمات، وحتى يأمن الفكر من كل شائبة قد تزيغه عن الصواب، أراد ابن تيمية قطع جنس الموافقة، بغض النظر إن كانت قليلة أو كثيرة؛ لأن القليل يؤول إلى الكثير، وما أسكر قليله فكثيره حرام، ثم ختم ابن تيمية ذلك بذكر تبعات تلك الموافقة، فقال: "الموافقة في القليل تدعو إلى الموافقة في الكثير،

(١٩٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (٩٥٢)، ومسلم في صحيحه برقم: (٨٩٢)

(١٩٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. ج ١. ص ١٩٣

(١٩٤) المرجع السابق. ج ١. ص ٥١١ - ٥١٢

(١٩٥) أخرجه عبد الرزاق برقم: (١٦٢٢) وصححه إسناده ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم. ص ١٩٩

(١٩٦) أخرجه البيهقي في مصنفه، برقم: (١٨٨٦٣)، وصححه إسناده ابن تيمية في اقتضاء الصراط. ص ١٩٩

(١٩٧) ابن تيمية. الفتاوى الكبرى. ج ٢. ص ٤٨٣ - ٤٨٤

(١٩٨) ابن تيمية. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. ج ١. ص ٢٢٠



وهنا جنس الموافقة يُلبس على العامة دينهم، حتى لا يميزوا بين المعروف والمنكر، فذاك بيان للاقتضاء من جهة تقاضي الطباع بإرادتها، وهذا من جهة جهل القلوب باعقاداتها^(١٩٩).

من أهم نتائج الدراسة ما يلي:

١. تراث ابن تيمية المعرفي ميدان خصب بمقومات الأمن الفكري.
٢. يقوم الأمن الفكري على الاعتدال والوسطية، وعبودية القلب لله، والولاء والبراء.
٣. من أهم المقومات التي يقوم عليها الأمن الفكري، ضبط مصادر التلقي لمنهج المعرفة.
٤. إن العلاقة بين الأمن الفكري وهوية الأمة وشخصيتها الحضارية علاقة وطيدة؛ فإذا أمن الأفراد على ثوابتهم وأصولهم وقيمهم ومبادئهم، فقد تحقق لهم الأمن.
٥. تعدّ اللغة العربية من أهم المقومات الحضارية، التي يقوم عليها الأمن الفكري عند ابن تيمية.

المصادر والمراجع

- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي (١٤٠٦هـ). **المجتبى من السنن = السنن الصغرى**. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (١٤٣٦هـ). **المصنف**. تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل، ط١، القاهرة: دار التأصيل.
- الألباني، محمد ناصر الدين (د.ت). **صحيح وضعيف سنن الترمذي**. الإسكندرية: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية. من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
- الألباني، محمد ناصر الدين، ج ١ - ٤: ١٤١٥ هـ؛ ج ٦: ١٤١٦ هـ؛ ج ٧: ١٤٢٢ هـ. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- البهقي، أحمد بن الحسين (١٤٢٤هـ). **السنن الكبرى**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو عيسى الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (١٣٩٥هـ). **سنن الترمذي**. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (١٤٢٧هـ). **المُصنّف**. تحقيق: محمد عوامة، ط١. المملكة العربية السعودية: دار القبلة.
- أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (١٤٣٠هـ). **سنن أبي داود**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مَحَمَّد كَامِل قره بللي، ط١، دار الرسالة العالمية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (١٤٢٢هـ). **صحيح البخاري**، ط١، بيروت: دار طوق النجاة.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد (١٤٢١هـ). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة.
- النيسابوري: أبو الحسين مسلم بن الحجاج (د.ت). **صحيح مسلم**، بيروت: دار الجبل. مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ). **ترقيم الأحاديث**، وفق طبعة القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- ابن مالك، مالك بن أنس (١٤٢٥هـ). **الموطأ**. تحقيق: محمد الأعظمي، ط١، أبو ظبي: مؤسسة زايد آل نهيان للأعمال الخيرية.
- إبراهيم، أمال محمد (٢٠١٩م). **تفعيل دور الجامعة في مواجهة مظاهر الانحراف الفكري المجتمعي في ضوء متطلبات تحقيق الأمن الفكري في الشريعة الإسلامية**. **مجلة كلية التربية**. جامعة أسيوط. كلية التربية. مج ٣٥. ص ١٠٤ - ١٨٨.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (١٤٢٢هـ). **زاد المسير في علم التفسير**. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن القاضي التهانوي، محمد بن علي (١٩٩٦م). **موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم**. تحقيق: د. علي دحروج. ترجمة: عبد الله الخالدي، ط١، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- ابن تيمية (١٤٢٤ هـ). **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**. تحقيق: علي الألمعي وغيره، ط١، الرياض: دار الفضيلة.

(١٩٩) المرجع السابق . ج ١. ص ٢١٩



ابن تيمية (١٤٠٨هـ). الوصية الكبرى = رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أتباع عدي بن مسافر الأموي . تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، ط١، الطائف: مكتبة الصديق.

ابن تيمية (١٤١٩هـ). اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. تحقيق: ناصر العقل، ط٧، بيروت: دار عالم الكتب.

ابن تيمية (١٤٢١هـ). التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات. تحقيق: محمد السعوي، ط٦، الرياض: مكتبة العبيكان.

ابن تيمية (د.ت). الرد على المنطقيين. بيروت، لبنان: دار المعرفة.

ابن تيمية (١٤٠٦هـ). الصدفية، ط٢، تحقيق: محمد رشاد سالم. مصر: مكتبة ابن تيمية.

ابن تيمية (١٤٢٦هـ). العبودية. تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط٧، بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن تيمية (١٣٨٦هـ). الفتاوى الكبرى. تحقيق: حسنين محمد مخلوف. بيروت: دار المعرفة.

ابن تيمية (١٤١٥هـ). بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية. تحقيق: موسى الدويش، ط٣، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

ابن تيمية (١٤٢٢هـ). جامع الرسائل. تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، الرياض: دار العطاء.

ابن تيمية (١٤١٧هـ). درء تعارض العقل والنقل. تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن تيمية (١٤١٦هـ). مجموع الفتاوى. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.

ابن تيمية (١٤٠٦هـ). منهاج السنة النبوية. تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، مؤسسة قرطبة.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (١٣٧٩هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة. اعتنى به: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، علق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

ابن عبد الهادي، الإمام الحافظ محمد بن أحمد؛ البزار (١٤٤٠هـ). العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ويليه الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: علي بن محمد العمران، ط٢، مكة: دار عالم الفوائد.

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق (١٤٢٢هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن فارس: أحمد (١٣٩٩هـ). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (١٤٢٠هـ). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر.

أبو ساحلية، سامي عوض الذيب (٢٠٠٥م). حقوق الإنسان المتنازع عليها بين الغرب والإسلام، ضمن كتاب حقوق الإنسان الروى العالمية والإسلامية والعربية. لبنان: الوحدة العربية.

الأزهري، محمد بن أحمد (٢٠٠١م). تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

إسماعيل، علا عاصم السيد (أكتوبر، ٢٠١٧م)، التحديات التي تواجه تحقيق الأمن الفكري داخل المجتمع المصري ودور التربية في مواجهتها، دراسة تحليلية. دراسات تربوية ونفسية. جامعة الزقازيق. كلية التربية. ع٩٧. ص ص ٤١ - ١٣٠.

باسلوم، مجدي محمد سرور (١٤٢٥هـ). الوسطية في الفكر الإسلامي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

بدوي، أحمد زكي (١٩٩٩م). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط٢، مكتبة لبنان. بيروت.

البراك (د.ت). شرح الرسالة التدمرية. المكتبة الشاملة.

البركاتي، أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر (١٤٣٣هـ). الولاء والبراء في الإسلام. ط١، دار الدعوة الإسلامية.

بسطوسي، نشوة سعد (ديسمبر، ٢٠١٨م). صيغ تربوية مقترحة لتفعيل أدوار كليات التربية في تدعيم الأمن الفكري لدى طلابها لمواجهة ظاهرة التطرف: دراسة حالة. مجلة رابطة التربويين العرب. ع١٠٤. ص ص ٢٦٩ - ٣٣١.

بني عيسى، عبد الرؤوف أحمد عايش؛ الركباني، سعيد (مارس، ٢٠١٩م). درجة امتلاك مدرسي التربية الإسلامية لأساليب تعزيز الأمن الفكري لدى الطلبة من وجهة نظر المدرسين. مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة العلوم الإسلامية العالمية. عمادة البحث العلمي، مج ٦، ع ١ ص ص ٤٧ - ٧١.

جامي علي، أبو أحمد محمد أمان بن علي (١٤٠٨هـ). الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، ط١، المدينة المنورة: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية.



الجباري، موسى؛ عبابنة، صالح (٢٠١٩م). أثر توظيف اللوحات الالكترونية في توطين الأمن الفكري والانضباط الذاتي لدى طلاب الصف الأول متوسط بمحافظة القريات. **المجلة التربوية الأردنية**. مج ٤، ع ٤. ص ص ١٦٧-١٩٠.

الجرجاني، علي بن محمد (١٤٠٣هـ). **التعريفات**، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية

الجريس، مها (٢٠١٦م). حقيقة الهوية الإسلامية ومظاهرها في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية: **قراءة ثقافية للكتاب**. جامعة الملك سعود، كلية التربية. مج ٢٨، ع ١. فبراير. ص ص ٢١٧-٢٤٢.

الجوهري (١٤٠٧هـ). إسماعيل بن حماد. **الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق: أحمد عطار. بيروت: دار العلم للملايين.

الحمداني، ربيعة؛ عزيز، أوان كاظم (أكتوبر، ٢٠١٨م). الصراع القيمي في ضوء المتغيرات العالمية المعاصرة وعلاقته بالأمن الفكري لدى طلبة الجامعة. **مجلة جامعة الأنبار**. كلية التربية للعلوم الإنسانية. ع ٤٤. ص ص ١٨٢-٢٠٤.

حمودة، عبد الحميد حسن (٢٠١٢م). **الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها العالمي**. الدار الثقافية للنشر.

عبد الله رشيد الحوشاني (١٤١٧هـ). منهج ابن تيمية في الدعوة. ط ١. الرياض: دار اشبيليا.

الدعجة، حسن عبد الله (٢٠١٨م) **نظرية الأمن الفكري**. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

دونى كوش (٢٠٠٢م). **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**. ترجمة قاسم المقداد. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق.

ديورانت، ويليام جيمس (١٤٠٨هـ). **قصة الحضارة**. ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين. لبنان: دار الجيل، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

الذبيب، عبد الرحمن بن صالح؛ أبو صعليك. إبراهيم حامد حسن (ديسمبر، ٢٠١٩م). أهمية الأمن الفكري ودور مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز أبعاده لدى طلاب جامعة المجمعة. **مجلة العلوم الإنسانية والإدارية**. جامعة المجمعة. مركز النشر والترجمة. ع ١٨. ص ص ٧٦-١٢٠.

الرازي. محمد بن أبي بكر. (١٤٢٠هـ). **مختار الصحاح**. تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥، بيروت: المكتبة العصرية.

الزبيدي، عبد الرحمن (١٤٣٤هـ). **مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي**. الرياض: مكتبة الرشد.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٤٢٠هـ). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط ١، الرياض: مؤسسة الرسالة.

شمس الدين الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن (١٤٠٦هـ). **بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب**. تحقيق: محمد مظهر بقا، ط ١، السعودية: دار المدني.

الشهراني. سعد بن علي (١٤٢٥هـ). أثر الانحراف الاعتقادي على الإرهاب العالمي الصهيونية نموذجاً. **المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب**. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض. المنعقد في ٢٠-٢٢. أبريل.

أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير (١٤٢٠هـ). **جامع البيان في تأويل القرآن**. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، مؤسسة الرسالة.

الطريف، محمد بن إبراهيم (١٤٣٤هـ). **المعايير العلمية عند شيخ الإسلام ابن تيمية في نقد المفاهيم والأفكار وتقويم العلماء والمفكرين مع تطبيقاتها في المجال التربوي**، رسالة دكتوراه. كلية التربية. جامعة أم القرى. مكة المكرمة.

عثمان، رحمة (٢٠٠٤م). **منهج ابن تيمية في العلم والمعرفة**. جامعة إفريقيا العالمية.

العثيمين، محمد بن صالح (١٤٢١هـ). **شرح العقيدة الواسطية للعثيمين**، ط ٦، المملكة العربية السعودية. دار ابن الجوزي.

عزازي، أحمد؛ علي، حسام محمود (ديسمبر، ٢٠٢٠م). الأمن الفكري وعلاقته بالهزيمة النفسية. دراسات عربية في التربية وعلم النفس. **رابطة التربويين العرب**. ١٢٨٤. ص ص ٢٣-٥٨.

عطا الله، أسماء سفيان (٢٠١٩م)، **موقف ابن تيمية من قضايا عصره**. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب. لجامعة الإسلامية. غزة.

العقل، ناصر بن عبد الكريم العلي (د). **شرح العقيدة التدمرية**. المكتبة الشاملة.

فان دالين (٢٠١٠م). **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**. ترجمة: محمد نوفل، سلمان الشيخ، سيد عثمان. مكتبة الأنجلو المصرية.

قاسم، محمود (١٩٥٣م). **المنطق الحديث ومناهج البحث**، ط ٢، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

القحطاني، محمد بن سعيد (د). **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف**، ط ١، الرياض: دار طيبة.



القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (١٣٨٤هـ). **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية.

الكيلاني، ماجد عرسان (١٤٠٧هـ). **الفكر التربوي عند ابن تيمية**. ط٢، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث.

اللوحي، عبد الرحمن (١٤٣٠هـ). بناء المفاهيم ودراساتها في ضوء المنهج العلمي-مفهوم الأمن الفكري أنموذجاً. **المؤتمر الأول للأمن الفكري**. المنعقد في الرياض ٢٣-٢٥ / ٥ / ١٤٣٠هـ في جامعة الملك سعود.

مجمع البحوث الإسلامية (١٤١١هـ). **شرح المصطلحات الفلسفية**. ط١، (د.ن).

مجمع اللغة العربية (د.ت). **المعجم الوسيط**. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. القاهرة.

لحرش أحمد المحاسن. دور اللغة العربية في تجسيد هوية المجتمع العربي وتكريس مقومات الأمن الفكري. **مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية**. جامعة زيان بالجلفة. ٢٠١٢م. ع ١١، يونيو، ص ص ٣٠ - ٥٠.

المحضر، رجاء بنت سيد علي بن صالح (نوفمبر، ٢٠١٨م). الأمن الفكري في الكتاب والسنة ومدلولاته التربوية. **المجلة التربوية**. جامعة سوهاج. كلية التربية، ع ٥٥، ص ص ١٢٣ - ١٥٢.

محمد، فتحي عبد الرسول؛ أحمد، محمد جاد؛ محمد، نجوى حسن (يناير، ٢٠١٦م). تحديات العولمة نحو الأمن الفكري في الجامعة. **مجلة العلوم التربوية**. ع ٢٦. ص ص ١٧٤ - ١٨٩.

محمد السيد الجليند (١٩٨٤م). **نظرية المنطق بين فلاسفة الإسلام واليونان**. ط١. د.ن.

محمد الهلالي وعزيز لزرقي (٢٠٠٩م). **الحرية**. المغرب، ط١، دار توبقال للنشر.

هبة محمد عطية المرسي (٢٠١٩م). دور الأسرة في تحقيق الأمن الفكري لدى أبناءها دراسة ميدانية في محافظة الدقهلية، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية. جامعة المنصورة.

مركز نماء للبحوث الدراسية. على الرابط <https://www.nama-center.com/Articles/Details/20488>.



حكم الاعتماد على ما يُروى عن النبي ﷺ من تصحيح للأحاديث في الرؤى المنامية

دراسة تأصيلية تطبيقية

أ.يوسف بن صالح بن عبدالله الموينع -طالب دكتوراه- جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية

Email:yosef.almuwine@gmail.com

ملخص

يعدّ حفظ العقل أحد المقاصد الكبرى الذي يُحفظ بالحد الشرعي وتحريم كل ما يؤذيه من مُسكر ونحوه، وكذلك من كل يضلّله ويفسده من خرافات ومكاشفات شيطانية؛ ومن مظاهر ذلك دعوة الإسلام للعلم والتثبّت، وبناء الأحكام على قواعد ثابتة، وأصول راسخة لا تمتّ للمجازفات بصلة، ومن ذلك بناء تصحيح الأحاديث وفق أصول علمية لا ينازعها الهوى، أو يداخلها الشكّ.

وقد حاد الصوفية عن هذا النهج القويم، فجعلوا الرؤى المنامية حكماً ولو خالفت نهج المحدثين وقواعدهم. وقد وُجد في أئمة الحديث مَنْ يستأنس ببعض الرؤى ما لم تصادم أصلاً، أو تخرم قاعدة، كما أنهم لم يتخذوها أصلاً، فضلاً عن تقديمها على القواعد.

Keeping reason is one of the great purposes that preserves the legal limit and prohibits all that harms it, as well as all the myths and evils that mislead it and corrupt it;

Sufism has deviated from this right approach, bringing developing visions to a verdict even if it violates the approach and rules of modernists.

There were those who used certain visions in the imams of(hadith) unless they clashed, or broken a rule, and they did not take it in the first place, rather than presenting them on the rules.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فإنّ "حفظ العقل" أحد المقاصد الكبرى للإسلام، وكذلك هو مقصد ضروري متفق عليه بين أهل الملل^(١)، وحفظ العقل يكون بصيانته حسياً من كل سبب يؤدي

(١) يقول الغزالي في المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م (ص ١٧٤): "ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم وماله، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات".



إلى تلفه أو إضعاف وظيفته التي هي الفهم، وكذلك صيانتها معنويًا من كل أسباب الفساد من الآراء الضالة، والأفكار الفاسدة، وشتى صنوف الدجل والخرافات^(٢).

ولما كان تصحيح الأحاديث وتضعيفها والحكم عليها ثمرة علم الحديث الشريف؛ لذا فإن العلماء بنوه على قواعد حديثية شريفة، وأصول علمية منيفة، قائمة على التأصيل، بعيدة كل البعد عن التدجيل؛ لذا لم يعتمدوا في هذا الشأن على الإلهام والمكاشفات، أو الرؤى والمنامات، بل اعتمدوا على العلم الموافق لقواعد الشرع وأصول العلم الصحيح، خلافاً للصوفية الذي جعلوا الرؤى والمنامات أحد أصول تلقي العلم، ومن ذلك اعتمادهم على المكاشفات والرؤى والمنامات كأحد المصادر الرئيسية لتصحيح الأحاديث النبوية^(٣)، وقد قرر أهل العلم لا سيما أهل الحديث منهم أن تصحيح الأحاديث النبوية لا يصح من طريق:

"التجارب ولا المكاشفات * ولا المنامات ولا المجازفات"^(٤)

لذا فإن تصحيح الأحاديث اعتماداً على هذه الأمور يعدّ "بدعة صوفية مقبلة"^(٥)، كما أن فيه إهداراً لعلم الحديث الشريف وقواعده العلمية التي سلكها أئمة الإسلام عبر القرون الكثيرة الماضية، وبذلوا من أجلها الغالي والنفيس^(٦)، وصنفوا في فنونها التصانيف الكثيرة والمتنوعة في أحوال الرواة وطبقاتهم وتخريج الأحاديث وتمييز صحيحها من

(٢) انظر في هذا المعنى: أثر التطرف الفكري في هدم المقاصد الشرعية، د. سعيد بن أحمد صالح فرج، أستاذ أصول الفقه المساعد في جامعة الملك خالد، المجلد الرابع من العدد الرابع والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية (ص ٣٩ - ٤٠).

(٣) ففي الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والملكية، محيي الدين ابن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي (المتوفى سنة: ٥٥٨ هـ)، نشر: دار صادر - بيروت (١/ ١٥٠)، وعنه العجلوني في كشف الخفاء ط. القدسي (١٠/ ١): "رُبَّ حديث يكون صحيحاً من طريق رواته يحصل لهذا المكاشف أنه غير صحيح لسؤاله لرسول الله ﷺ، فيعلم وضعه، ويترك العمل به، وإن عمل به أهل النقل لصحة طريقه، ورُبَّ حديث ترك العمل به لضعف طريقه من أجل وضاع في رواته، يكون صحيحاً في نفس الأمر؛ لسماع المكاشف له من الروح حين إلقائه على رسول الله ﷺ. اهـ.

وانظر: الميزان الكبرى الشعرانية، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشافعي المصري المعروف بالشعراني (المتوفى سنة: ٩٧٣ هـ)، ضبطه وصححه وخرّج آياته: عبد الوارث محمد علي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٨ م (ص ٥٥)، سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين ﷺ، يوسف بن إسماعيل النبهاني (المتوفى سنة: ١٣٥٠ هـ)، ضبطه وصححه: عبد الوارث محمد علي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م (ص ٤٠٢)، الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، سهل بن رفاع بن سهيل الروقي العتيبي، الناشر: دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، (ص ٢٩٧)، التوحيد في مسيرة العمل الإسلامي بين الواقع والمأمول، عبد العزيز بن عبد الله الزغبيني الحسيني، نشر: دار القاسم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، (ص ٣٢).

(٤) شرح الألفية الحديثية المسماة بـ: "لغة المحدث الكبرى"، شرحها ونظمها: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار بلال للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، (ص ١٧٢).

(٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين، أبو عبد الرحمن الألباني (المتوفى سنة: ١٤٢٠ هـ)، دار النشر: دار المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م (١/ ١٤٥).

(٦) انظر: صفحات من صبر العلماء على شذائد العلم والتحصيل، عبد الفتاح أبو غدة (المتوفى سنة: ١٤١٧ هـ)، مكتبة المطبوعات الإسلامية - دار البشائر الإسلامية، الطبعة العاشرة في لبنان - بيروت، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م (ص ١٢٤ - وما بعدها).



معلولها وسقيهما إلى غير ذلك^(٧)، وإذا كانت "المنامات ليست دليلاً على أي حكم شرعي لم يأت له ذكر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الثابتة عنه، فكيف بإثبات حديث عن رسول الله ﷺ وتصحيحه عنه؟! "^(٨).

لذا كانت أهمية هذا البحث في إثبات أنه لا يصح الاعتماد على المنامات في تصحيح الأحاديث النبوية، وأن المصير في ذلك اتباع القواعد العلمية، وفي ذلك صيانة لمقصد حفظ العقل، وإعلاء لقيمة العلم، والإهدار الواجب للخرافة والطرق التي تنتكس طريق العلم وتحيد عنه.

وبالله تعالى التوفيق والسداد.

(٧) انظر: جهود المحدثين في بيان علل الحديث، د. علي بن عبد الله الصياح، جهود علماء المسلمين في تمييز صحيح السيرة النبوية من ضعيفها، د. عبد الكريم عكيوي، كلاهما: نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، د. محمد طاهر الجوابي، نشر وتوزيع: مؤسسات ع. الكريم بن عبد الله - تونس، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، جهود علماء السنة النبوية وعلومها بحلب (٥٠٠ - ٩٠٠ هـ)، نشر: دار طيبة، مكتبة المتنبّي، ٢٠١٧ م، التصحيح وأثره في الحديث والفقه وجهود المحدثين في مكافحته، إعداد: أسطيرى جمال، ناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، تدوين السنة النبوية: نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني (المتوفى: ١٤٢٧ هـ)، نشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، مناهج المحدثين في تقوية الأحاديث الحسنة والضعيفة، د. المرتضى الزين أحمد، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(٨) لغة المحدث الكبرى (ص ١٧٣).



حكم الاعتماد على ما يُروى عن النبي ﷺ من تصحيح للأحاديث في الروى المنامية

المطلب الأول

عدم صحة الاعتماد على ما يُروى عن النبي ﷺ من تصحيح للأحاديث في الروى المنامية

وهو مذهب جماهير أهل العلم من المحدثين والمحققين من أهل العلم^(٩)، بل حكى فيه الإجماع^(١٠).

ومستند هذا القول عدة أدلة، أبرزها:

١. قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: ٣].

وجه الدلالة:

أنّ تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة اعتماداً على المنامات يقتضي الزيادة في الدين ونسبة إليه ما لا يثبت، وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية السابقة: "وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبداً"^(١١).

٢. حديث عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: "رُفِعَ القلم عن ثلاثة"، فذكر منهم: "عن النائم حتى يستيقظ"^(١٢).

(٩) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى، القاضي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - مصر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (١٥٣/١)، شرح النووي على مسلم، أبو يحيى بن شرف، أبو زكريا محيي الدين النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ (١١٥/١)، الاعتصام للشاطبي، تحقيق: الشقير والحميد والصيني، نشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م (٩٦/٢)، رغبة التيسير في شرح منظومة التفسير، معالي الشيخ عبد الكريم الخضير، سلسلة إصدارات مؤسسة معالم السنن، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م (ص ١٠٢). (١٠) قال النووي في المجموع شرح المذهب، طبعة: إدارة الطباعة المنيرية (٦/ ٢٨١): "لو كانت ليلة الثلاثين من شعبان ولم ير الناس الهلال، فرأى إنسان النبي ﷺ في المنام فقال له الليلة أول رمضان، لم يصح الصوم بهذا المنام، لا لصاحب المنام ولا لغيره، ذكره القاضي حسين في الفتاوى وآخرون من أصحابنا، ونقل القاضي عياض الإجماع عليه". وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (١٥٣/١).

كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (المتوفى سنة: ٧٢٨ هـ): "الرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها، لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق". مجموع الفتاوى (٤٥٨/٢٧).

ومن ذلك ما جاء في مسائل أبي الوليد ابن رشد الجد (المتوفى سنة: ٥٢٠ هـ)، تحقيق: محمد الحبيب التيجاني، نشر: دار الجيل - بيروت، دار الآفاق الجديدة - المغرب، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م (١/ ٥٣٣ - ٥٣٤): "وأما الحكم الذي شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة، فلا يحل له أن يترك الحكم بما شهدا به عنده لما رآه في منامه من أن النبي ﷺ قال له: (لا تحكم بهذه الشهادة)؛ فإنها باطل؛ لأن ذلك إبطال للأحكام الشرعية بالرؤيا، وذلك باطل، لا يصح أن يُعْتَقَد، ولا يصح أن يُقَالَ؛ إذ لا يعلم المغيب من ناحيتها إلا الانبياء عليهم السلام الذين هي لهم وحي، وأما من سواهم فإنما رواهم جزء من ستة وأربعين من النبوة".

(١١) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م (٨٠/٨). (١٢) أخرجه أحمد (٢٢٤/ ٤١) برقم: (٢٤٦٩٤)، وابن ماجه في سننه (١/ ٦٥٨) برقم: (٢٠٤١)، والنسائي (١٥٦/٦) برقم: (٣٤٣٢)، والدارمي (١٤٧٧/٣) برقم: (٢٣٤٢). وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٣/ ٢٢٦).



وجه الدلالة:

أنَّ العقل شرط في معرفة العلوم وضبطها^(١٣)، وأن حال النوم ليست حال ضبط أو تحلُّل؛ لذا فلا يصح الاعتداد بالرؤى المنامية في تصحيح الأحاديث النبوية، وقد اتفق أهل العلم على أن "من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظاً، لا مغفلاً ولا سيء الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة، فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه"^(١٤).

٣. عن أم سلمة، عن النبي ﷺ قال: "إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي له على نحو ما أسمع"^(١٥).

وجه الدلالة:

تقييد الحكم في قضية من قضايا الناس على السمع في اليقظة التي هي حال الضبط؛ لذا فلا يصح من باب أولى الحكم على القضايا الدينية التي منها تصحيح الأحاديث أو تضعيفها في الرؤى المنامية، بل لا بد من السماع والضبط لما يُسمع ودراسته دراسة حديثة جادة مؤدية إلى الحكم الذي توصل إليه المجتهد سواء تصحيحاً للحديث أو تضعيفاً له.

٤. أن القول بتصحيح الأحاديث وفقاً للرؤى المنامية يفتح باب شرٍ عظيم وفتنة كبيرة في الدين تؤدي إلى وقوع الكذب فيه، وتصحيح أحاديث باطلة لا أصل لها، وإدعاء كل مُبطل أنه رأى النبي ﷺ في المنام فصَحَّح له من الأحاديث التي تحمل المعاني الباطلة والعقائد المنكرة والأحكام الفاسدة^(١٦).

٥. أن أئمة الجرح والتعديل لم يعرف عنهم الاعتماد على الرؤى المنامية في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، وإنما كانوا يحتكمون إلى قواعد علمية، وضوابط محكمة، خالية من نزعات الهوى والأساطير والخرافة؛ أما ما يذكره بعض أئمة الحديث من ذكر لبعض الرؤى في تصحيح النبي ﷺ لبعض الأحاديث، فليس الغرض منه اعتمادهم على ذلك في تصحيح أو غيره، وإنما مرادهم الاستئناس وحكاية ما وقع لهم من الرؤية دون الاعتماد عليها في تصحيح أو تضعيف^(١٧)؛ لذا قال القاضي عياض رحمه الله تعالى تعليفاً على خبر حمزة الزيات -السابق-: "هذا ومثله استئناس ... لا أنه يُقَطَّع بأمر المنام، ولا أن تبطل بمثله سُنة ثبتت، ولا يثبت به سُنة لم تثبت بإجماع من

(١٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٣٨).

(١٤) انظر: شرح النووي على مسلم (١/ ١١٥). وانظر: تهذيب الأسماء واللغات، يحيى بن شرف، أبو زكريا محيي الدين النووي (المتوفى سنة: ٦٧٦هـ)، نشر: المطبعة المنيرية (١/ ٤٣)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (المتوفى سنة: ١٢٥٠هـ)، المحقق: أحمد عزو عناية - دمشق، نشر: دار الكتاب العربي - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (٢/ ٢٠٢)، رغبة التيسير في شرح منظومة التفسير، للشيخ عبد الكريم الخضير (ص ١٠٢).

(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٢٥) برقم: (٦٩٦٧).

(١٦) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (١/ ١٤٥).

(١٧) من ذلك ما وقع للطبراني رحمه الله في كتابه مكارم الأخلاق (ص ٣٤٣) برقم: (٩٠) عقب تخريجه حديث النعمان بن بشير، رفعه: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهَرِ"، قال الطبراني: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ فَسَأَلْتُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَشَارَ بِيَدِهِ: (صَحِيحٌ) ثَلَاثًا، وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ". اهـ فإنما كان ذلك من الإمام الطبراني من قبيل الاستئناس، بدلالة قوله عقب التصحيح المنامي: "والحديث صحيح"، أي أنه لم يكتف بالتصحيح المنامي حتى ضم إليه التصحيح الحديثي وفق قواعد أهل الفن، ويأتي تخريج الحديث في المبحث التطبيقي.



العلماء ... أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه، أو ينهاه عن منهى عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة، فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه؛ لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام، بل بما تقرر من أصل ذلك الشيء^(١٨). **المطلب الثاني**

صحة الاعتماد على ما يُروى عن النبي ﷺ من تصحيح للأحاديث في الرؤى المنامية

واعتماد ذلك:

هو ظاهر مذهب حمزة الزيات^(١٩)، وأبي زكريا ابن مندة^(٢٠).

وذكر الأستاذ أبو إسحاق^(٢١) أن رؤيا النبي ﷺ في المنام موجبة للحجية ولزوم العمل وفقها^(٢٢).

(١٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (١/ ١٥٣)، وعنه النووي في شرح صحيح مسلم (١/ ١١٥). وانظر نحوه في: المحلى لابن حزم، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، المطبعة المنيرية (٢٠٨/٦).

(١٩) هو: حمزة بن حبيب الزيات القارئ، أبو عمارة الكوفي، التيمي مولا، وثقه ابن معين، وقال ابن حجر: "صدوق زاهد، ربما وهم"، مات سنة ١٥٦ أو ١٥٨ هـ وكان مولده سنة (٨٠ هـ)، روى له مسلم وأصحاب السنن الأربعة. انظر: الكاشف للذهبي، تحقيق: محمد عوامة، وأحمد محمد نمر الخطيب، دار القبة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م (٣٥١/١) برقم: (١٢٣٣)، تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، أبو الفضل العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م (ص ٢٠١) برقم: (١٨٢٤).

(ص ١٧٩) برقم: (١٥١٨).

(٢٠) فقد أخرج الإمام مسلم في مقدمة صحيحه من طريق علي بن مسهر، قال: "سَمِعْتُ أَنَا وَحَمْرَةَ الزِّيَّاتِ مِنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ نَحْوًا مِنْ أَلْفِ حَدِيثٍ"، قَالَ عَلِيٌّ: "فَلَقِيتُ حَمْرَةَ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَا سَمِعَ مِنْ أَبَانَ، فَمَا عَرَفَ مِنْهَا إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا خَمْسَةً أَوْ سِتَّةً"، وفي زيادة في مسند ابن الجعد رواية وجمع أبي القاسم البغوي، مراجعة وتعليق: أحمد عامر حيدر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م، برقم: (٣٩): "فتركت الحديث عنه".

(٢١) هو: يحيى بن عبد الوهاب بن محمد الأصبهاني، أبو زكريا، ابن مندة، الحافظ، المؤرخ، من بيت علم وفضل مشهور في أصبهان، مولده بها سنة (٤٣٤ هـ) ووفاته فيها سنة (٥١١ هـ)، من كتبه: تاريخ أصبهان، ومناقب الإمام أحمد بن حنبل، وجزء فيه ذكر أبي القاسم الطبراني، وغير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (المتوفى سنة: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م (٣٩٥/١٩)، ذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، زين الدين، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ)، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، نشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٥ م (٢٩٠/١).

(٢٢) ذلك أنه قال في جزء فيه ذكر أبي القاسم الطبراني (ص ٣٤٢): "وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْإِمَامِ أَبِي الْقَاسِمِ أَنَّهُ بَرَّهَ أَنَّهُ ... رُوِيَتْهُ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ سَوَالِهِ إِيَّاهُ وَعَرَضَهُ الْحَدِيثَ عَلَيْهِ، وَإِشَارَتَهُ ﷺ بِالصَّحِيحِ وَالْمَعْلُولِ".

(٢٣) هو: إبراهيم بن محمد، الأسفراييني، الأصولي، الشافعي، الملقب بركن الدين، أحد المجتهدين في عصره، توفي سنة (٤١٨ هـ)، من مؤلفاته: "الجامع" في أصول الدين، ورسالة في أصول الفقه، وغير ذلك. طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن تقي الدين تاج الدين السبكي (المتوفى سنة: ٧٧١ هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م (٢٥٦/٤)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥٣).

(٢٤) انظر: إرشاد الفحول للشوكاني (٢/ ٢٠٢).



كما أنه مصدر رئيس من مصادر التلقي عند الصوفية كابن عربي^(٢٥) (٢٦).

ومستند هذا القول:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقْدَ رَأَى؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَّتُ فِي صُورَتِي"^(٢٧).

وجه الدلالة:

أن رؤيا النبي ﷺ في المنام كرويته في اليقظة، ومن رآه في اليقظة فأخذ عنه فيثبت العلم بذلك، فكذلك من يراه في المنام فيأخذ عنه العلم فإنه يثبت به كذلك، ومن ثمَّ فإذا صحَّح ﷺ حديثاً في المنام، فإنه يكون كما إذا صحَّحه في اليقظة أو في حياته ﷺ.

ونوقش بما يلي:

١. أن الحديث نفسه لم يرتب على هذه الرؤية أي أحكام شرعية أو علمية أو جعلها مصدراً لتلقي العلم أو ضبطه فضلاً أنه لم يوجب بها تصحيح الأحاديث من خلالها، غاية ما فيها حصول البركة والبشارة برؤيته ﷺ.

٢. أن حال النوم ليس حال ضبط للألفاظ، والنائم مرفوع عنه القلم فكيف يؤخذ منه العلم - لا سيما في مجال خطير الأثر كتصحيح الأحاديث وتضعيفها - في هذا الحال؟!.

٣. بقية أدلة القول الأول.

(٢٥) هو: محمد بن علي بن محمد، أبو بكر الحاتمي الطائي المُرُسي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين ابن عربي، وُلِدَ بمرسية بالأندلس سنة (٥٦٠هـ)، وهو معدود في أئمة المتكلمين والفلاسفة، ويعدُّ قدوة القائلين بوحدة الوجود؛ تصوّف، وانعزل، وجاع، وسهر، وفتح عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال والخطرات والفكرة، فاستحكم به ذلك حتى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنها موجودة في الخارج، وسمع من طيش دماغه خطاباً اعتقده من الله ولا وجود لذلك أبداً في الخارج، من كتبه: الفتوحات المكية، فصوص الحُكم، وغير ذلك. توفي سنة (٦٣٨هـ). انظر: تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (المتوفى سنة: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م (١٤/٢٧٤ - ٢٧٥)، فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد، صلاح الدين الكتبي (المتوفى سنة: ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣ - ١٩٧٤م (٣/٤٣٥).

(٢٦) وفي ذلك يقول محيي الدين ابن عربي: "وقد صحَّحتُ منه ﷺ عدة أحاديث قال بعض الحفاظ بضعفها، فأخذت بقوله ﷺ فيها، ولم يبق عندي شك فيما قاله، وصار ذلك عندي من شرعه الصحيح، أعمل به وإن لم يطعني عليه العلماء بناء على قواعدهم". سعادة الدارين للنهباني (ص ٤٠٤)، وكلامه هذا عامٌّ فيما زعمه من اللقيا المنامية أو في اليقظة - حسب المزاعم الصوفية -.

(٢٧) أخرجه أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م (٢٩٦/١٥) برقم: (٩٤٨٨).



الترجيح

الذي يظهر من أدلة القولين السابقين أن القول الأول القائل بعدم صحة الاعتماد على ما يُروى عن النبي ﷺ من تصحيح لأحاديث في الروى المنامية، هو الصواب؛ وذلك لقوة أدلته وسلامتها من المناقشة، بخلاف القول الثاني. والله أعلم.

بقي التفريق بين الاستئناس بتصحيح الأحاديث في الروى المنامية كما هو شأن من روي عنه اعتماد ذلك أحياناً، وبين الاعتماد على تلك الروى كأحد المصادر الرئيسة والمعوّل عليها كما هو الشأن عند الصوفية؛ لأنّ الأول لا يخلو من إعمال القواعد العلمية الحديثية، بينما الثاني يطرح هذه القواعد، ويعتمد على التصحيح المنامي لحديث من الأحاديث ولو كان أحد رواته من الوضّاعين الكذّابين.

المبحث الثاني

نماذج تطبيقية من الأحاديث التي روي أنّ النبي ﷺ صحّحها في الروى المنامية

وموقف العلماء منها

الحديث الأول:

قال الشعراني^(٢٨): "عن أبي المواهب الشاذلي، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ، فسألته عن الحديث المشهور: (اذكروا الله حتى يقولوا: مجنون!)، وفي صحيح ابن حبان: (أكثرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا: مجنون!)^(٢٩)، فقال ﷺ: صدق ابن حبان في روايته، وصدق راوي: (اذكروا الله ...)"^(٣٠).

وهذا الحديث يعظّمه الصوفية حتى قال أحمد بن محمد بن الصديق، أبو الفيض الغُمّاري (المتوفى سنة: ١٣٨٠هـ): "هذا الحديث عظيم الشأن، جليل المقدار، يشتمل على فوائد كثيرة أوصلها العارف أبو عبد الله محمد بن علي الزواوي البجاي

(٢٨) هو: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري المصري الشافعي، الشاذلي الصوفي، المشهور بالشعراني نسبة إلى ساقية أبي شعرة بالمنوفية بمصر وبها وُلِدَ سنة (٨٩٧هـ)، له مصنفات عدّة، منها: الأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، ولوائح الأنوار في طبقات الأخيار المعروف بالطبقات الكبرى، واليوافيت والجواهر في عقيدة الأكابر، والأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية. مات بمدينة القاهرة سنة (٩٧٣هـ)، انظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزّي (المتوفى: ١٠٦١هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م (١٥٧/٣ - ١٥٨)، الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، نشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م (١٨٠/٤).

(٢٩) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أحمد في مسنده (١٩٥ / ١٨) برقم: (١١٦٥٣) و(٢١٢ / ١٨) برقم: (١١٦٧٤)، وابن حبان في صحيحه (٩٩ / ٣) برقم: (٨١٧)، والحاكم في مستدركه (٦٧٧ / ١) برقم: (١٨٣٩)، وإسناده ضعيف لضعف دراج أبي السمّح في روايته عن أبي الهيثم، قال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (٤٤٧ / ١): "وأحمد بن حنبل يضعف هذا الطريق".

(٣٠) الطبقات الكبرى المسمّاة: لوائح الأنوار في طبقات الأخيار، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (المتوفى سنة: ٩٧٣هـ)، ضبطه وصحّحه: عبد الغني محمد علي الفاسي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠١٨م (ص ٣٨٨).



إلى مائة وستة وستين فائدة في مجلد لطيف سمّاه: "عنوان أهل السير المصون وكشف عورات أهل المجون بما فتح الله به من فوائد حديث: "اذكروا الله حتى يقولوا: مجنون"، وقد قرأته وانتفعت به والحمد لله" (٣١).

وهذا الحديث إسناده ضعيف؛ لأنّ درّاجا ضعيف في روايته عن أبي الهيثم، ومع ذلك فقد صححه الحاكم انطلاقاً من معيار موضوعي وليس من منطلق كشفي أو منامي، فقد قال في تسبيب تصحيحه: "هذه صحيفة للمصريين صحيحة الإسناد، وأبو الهيثم ... من ثقات أهل مصر" اهـ (٣٢).

أمّا الإمام الذهبي في تلخيصه للمستدرک، فقد اضطرب في الحكم على رواية دراج عن أبي الهيثم، فوافق الحاكم في تصحيح هذا الطريق، بينما في أحاديث أخرى وفي أكثر من موضع يضعفه بدرّاج وأنه "واه" وكثير المناكير، و"أنه صاحب عجائب" (٣٣)، والعبرة في ذلك بما أورده الذهبي نفسه الكاشف في ترجمة دراج، قال: "قال أبو داود وغيره: حديثه مستقيم إلا ما كان عن أبي الهيثم" (٣٤).

وبهذا يظهر أن البحث بين أهل الحديث يدور حول تطبيق القواعد وإعمال القرائن الحديثية التي قد يخطئ فيها العالم وقد يصيب، بينما البحث عند الصوفية يدور حول إعمال الذوق والكشف والرؤى والمنامات؛ لذا فإنّ الغمّاري في الموضوع السابق اقتصر على تصحيح الحاكم وإيراد كلامه في ذلك دون التطرق لمن ضعف هذا الطريق كالإمام أحمد بن حنبل، ودون الإشارة كذلك إلى تضعيف الإمام أبي داود لرواية دراج عن أبي السّمح، وكذلك قول الحافظ ابن حجر: "في حديثه عن أبي الهيثم ضعف" (٣٥).

**

(٣١) المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، أحمد بن محمد بن الصديق، أبو الفيض الغمّاري (المتوفى سنة: ١٣٨٠ هـ)، نشر: دار الكتب - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م (١٦٤ / ٢).

(٣٢) مستدرک الحاكم (١ / ٦٧٧) برقم: (١٨٣٩).

(٣٣) انظر: تلخيص المستدرک للذهبي المطبوع معه، أرقام الأحاديث: (٧٧٠، ٢٥٠١، ٣٧٧٤)، بينما صحح أحاديث أخرى من الطريق نفسه، انظر أرقام الأحاديث: (٧٦٧٢، ٧٧٩٩، ٧٨٧٧).

(٣٤) الكاشف (١ / ٣٨٣) برقم: (١٤٦٧).

(٣٥) تقريب التهذيب لابن حجر (ص ٢٠١) برقم: (١٨٢٤).

كما قال الحافظ ابن كثير في حديث آخر روي من هذا الطريق: "هذا الإسناد ضعيف لا يُعتمد عليه". تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى سنة: ٧٧٤ هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م (١ / ٣٩٨).



الحديث الثاني:

حديث "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" (٣٦)، قال البيهقي: "هذا حديث مشهور وأسانيده كلها ضعيفة لم يثبت منها شيء" (٣٧).

وقال ابن حجر: "رواه عبد بن حميد في "مسنده" من طريق حمزة النصيبي، عن نافع، عن ابن عمر، وحمزة ضعيف جدا.

ورواه الدارقطني في "غرائب مالك" من طريق جميل بن زيد، عن مالك، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر. وجميل لا يعرف، ولا أصل له في حديث مالك ولا من فوقه.

وذكره البزار من رواية عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن عمر. وعبد الرحيم كذاب" (٣٨).

قال الشعراني: "وهذا الحديث وإن كان فيه مقال عند المحدثين، فهو صحيح عند أهل الكشف" (٣٩).

والكشف عند الصوفية كما يقع في اليقظة فإنه يقع في المنام كذلك، فإنهم يزعمون أن الولي تنكشف له الحجب كما تكشف للنبي ﷺ في الرؤية المنامية (٤٠)، والشعراني في النص السابق يقر بضعف هذا الحديث عند المحدثين، ومع ذلك يزعم تصحيحه وفق طريقة الصوفية في التصحيح بالأحوال القلبية من الرؤى والمنامات والمكاشفات.

**

(٣٦) أخرجه ابن بطة (المتوفى سنة: ٣٨٧هـ) في الإبانة الكبرى، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، نشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م - ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م (٥٦٤/٢)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، نشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت (ص ١٦٤).

(٣٧) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي (٢/٢٣٠).

(٣٨) تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني (٦/٣١٨٨).

(٣٩) الميزان الكبرى للشعراني (ص ٣٨ - ٣٩).

(٤٠) إشارة للحديث الذي رواه الترمذي في سننه (٣٦٨/٥) برقم: (٣٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "أما إنني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة: إنني قمت من الليل فتوضأت فسللت ما قدر لي فنعست في صلاتي فاستثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملاء الأعلى؟..." الحديث، قال الترمذي عقب تخريجه: "هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل، عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن صحيح". وانظر: اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (المتوفى سنة: ٩٧٣هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت (٣٤٣/١).



الحديث الثالث:

عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عَضُوهُ مِنْهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ" (٤١).

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ، فَسَأَلْتُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ -: (صَحِيحٌ)، ثَلَاثًا، وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ" (٤٢).

وهذا الحديث صحيح، وهو في صحيح مسلم، وقد تقدّم أنّ الإمام الطبراني رحمه الله لم يصحّح هذا الحديث للرؤية المنامية، بدلالة قوله عقب حكايته: "والحديث صحيح"، أي لصحة إسناده وفق معايير قواعد علم الحديث.

وبعد، فهذه جملة من النماذج التطبيقية أردت بها الإشارة إلى هذه القضية، ثم إن المجال مفتوح لتتبع هذه الأحاديث ودراستها مع بيان أحكام أئمة الحديث فيها وفق الأصول الحديثية، وما يقابلها من الأصول الصوفية (٤٣).

(٤١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٩٩ / ٤) برقم: (٦٦ - ٢٥٨٦)، والطبراني في مكارم الأخلاق (ص: ٣٤٣) برقم: (٩٠) واللفظ له ومسلم بنحوه؛ وإنما أوردت لفظ الطبراني وخرّجت الحديث من مكارم الأخلاق للطبراني مع كونه في صحيح مسلم للرؤية التي وقعت للطبراني بشأنه والتصحيح المنامي له باللفظ الذي أورده الطبراني.

(٤٢) مكارم الأخلاق للطبراني (ص: ٣٤٣) برقم: (٩٠).

(٤٣) اتباعاً لعنوان كتاب الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم: "أصول بلا أصول"، وقد تناول فيه فساد مصادر التلقي عند الصوفية - وكذلك عند مدعي المهدية -، وتعرّض لتصحيح الصوفية للأحاديث بالمنامات. انظر: أصول بلا أصول، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، نشر: دار ابن الجوزي - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م (ص: ١٣٠).



١. الإبانة الكبرى لابن بطة، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، نشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م - ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢. أثر التطرف الفكري في هدم المقاصد الشرعية، د. سعيد بن أحمد صالح فرج، أستاذ أصول الفقه المساعد في جامعة الملك خالد، المجلد الرابع من العدد الرابع والثلاثين لجمعية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.
٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (المتوفى سنة: ١٢٥٠هـ)، المحقق: أحمد عزو عناية - دمشق، نشر: دار الكتاب العربي - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
٤. أصول بلا أصول، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، نشر: دار ابن الجوزي - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٥. الاعتصام للشاطبي، تحقيق: الشقير والحميد والصيني، نشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٦. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، نشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
٧. إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى، القاضي، نشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - مصر، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٨. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (المتوفى سنة: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٩. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى سنة: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
١٠. تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، أبو الفضل العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
١١. تهذيب الأسماء واللغات، يحيى بن شرف، أبو زكريا محيي الدين النووي (المتوفى سنة: ٦٧٦هـ)، نشر: المطبعة المنيرية.
١٢. التوحيد في مسيرة العمل الإسلامي بين الواقع والمأمول، عبد العزيز بن عبد الله الزغبى الحسيني، نشر: دار القاسم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
١٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
١٤. ذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، زين الدين، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، نشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.
١٥. رغبة التيسير في شرح منظومة التفسير، معالي الشيخ عبد الكريم الخضير، سلسلة إصدارات مؤسسة معالم السنن، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م.
١٦. الروى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، سهل بن رفاع بن سهيل الروقي العتيبي، الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.



١٧. سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين ﷺ، يوسف بن إسماعيل النبهاني (المتوفى سنة: ١٣٥٠ هـ)، ضبطه وصححه: عبد الوارث محمد علي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.
١٨. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين، أبو عبد الرحمن الألباني (المتوفى سنة: ١٤٢٠ هـ)، دار النشر: دار المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
١٩. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (المتوفى سنة: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.
٢٠. شرح ألفية الحديثية المسماة بـ: "لغة المحدث الكبرى"، شرحها ونظمها: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار بلال للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م.
٢١. شرح النووي على مسلم، أبو يحيى بن شرف، أبو زكريا محيي الدين النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ.
٢٢. صفحات من صبر العلماء على شذائد العلم والتحصيل، عبد الفتاح أبو غدة (المتوفى سنة: ١٤١٧ هـ)، مكتبة المطبوعات الإسلامية - دار البشائر الإسلامية، الطبعة العاشرة في لبنان - بيروت، ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م.
٢٣. طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن تقي الدين تاج الدين السبكي (المتوفى سنة: ٧٧١ هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.
٢٤. الطبقات الكبرى المسماة: لوائح الأنوار في طبقات الأخيار، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (المتوفى سنة: ٩٧٣ هـ)، ضبطه وصححه: عبد الغني محمد علي الفاسي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠١٨ م.
٢٥. الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والملكية، محيي الدين ابن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي (المتوفى سنة: ٥٥٨ هـ)، نشر: دار صادر - بيروت.
٢٦. فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد، صلاح الدين الكتبي (المتوفى سنة: ٧٦٤ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م.
٢٧. الكاشف للذهبي، تحقيق: محمد عوامة، وأحمد محمد نمر الخطيب، دار القبة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.
٢٨. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني (المتوفى: ١١٦٢ هـ)، نشر: مكتبة القدسي - القاهرة، ١٣٥١ هـ.
٢٩. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١ هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.
٣٠. المجموع شرح المذهب، أبو يحيى بن شرف، أبو زكريا محيي الدين النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، طبعة: إدارة الطباعة المنيرية.
٣١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى سنة: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.
٣٢. مداوي لعل الجامع الصغير وشرحي المناوي، أحمد بن محمد بن الصديق، أبو الفيض الغماري (المتوفى سنة: ١٣٨٠ هـ)، نشر: دار الكتبي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.



٣٣. المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، نشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.
٣٤. مسائل أبي الوليد ابن رشد الجد (المتوفى سنة: ٥٢٠هـ)، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، نشر: دار الجيل - بيروت، دار الآفاق الجديدة - المغرب، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٣٥. المستصفى، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى سنة: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٣٦. مسند ابن الجعد رواية وجمع أبي القاسم البغوي، مراجعة وتعليق: أحمد عامر حيدر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٣٧. مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٨. مكارم الأخلاق، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني (المتوفى سنة: ٣٦٠هـ)، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٣٩. الميزان الكبرى الشعرانية، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشافعي المصري المعروف بالشعراني (المتوفى سنة: ٩٧٣هـ)، ضبطه وصححه وخرّج آياته: عبد الوارث محمد علي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٨م.
٤٠. اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (المتوفى سنة: ٩٧٣هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت.



أثر قاعدة الأمور بمقاصدها على أحكام الأوبئة- نماذج تطبيقية

أ. بسمة بنت محمد العصيمي- ماجستير دراسات إسلامية، جامعة أم القرى- مكة المكرمة

Email: basimah.alosimi@gmail.com

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة قاعدة (الأمر بمقاصدها) وذكر معناها وأدلتها وتطبيقاتها. وبيان وجه تطبيق القاعدة على النوازل الفقهية المتعلقة بالأوبئة.

واعتمدت فيه على المنهج الاستقرائي والتحليلي الوصفي.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها: أن من خالط غيره دون معرفته بأنه مصاب أو كان جاهلاً بأن المرض ينتقل بالمخالطة فلم يقصد الجناية فإنه لا يأثم، وذلك بخلاف ما لو قصد الإضرار بالمخالطة فيكون آثماً. وأن من أصيب بمرض وبائي وضاق عليه نفسه، فصبر احتساباً للأجر من الله تعالى، وتجنب الاختلاط بالآخرين حتى لا ينشر العدوى، فإنه يؤجر على نيته وعمله، وإن تسخط وجزع، ينقص من أجره بمقدار ذلك.

الكلمات المفتاحية: الأوبئة، الأمور بمقاصدها، النوازل الطبية.

Abstract:

This Research is intended to study the rule: (Matters with its intentions), including the definition, evidence and application. Moreover, it explains how to apply the rule on jurisprudential contemporary issues that is related to epidemics. It adopts the inductive and analytical descriptive approach.

One of the main concluded results is that: The intention has effect of person's behavior, as the person who was infected with the epidemic disease and contacted with others without intentioned to cause damage, he will be not guilty, in contrary of having intention to cause harm to others he will be guilty. If a person has an epidemic disease, he is patient for God and does not become angry, he will be rewarded for that.

Keywords: Epidemics, Matters with its intentions, Medical Updates.



المقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله نتعافى الأرواح والأجساد من الأمراض والآفات، والصلاة والسلام على خير الأنام، محمد بن عبد الله - عليه أفضل الصلاة والسلام - وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من مقاصد الشرع المحافظة على النفس وحمايتها من الأضرار، ولما كان الطب وضع لجلب مصالح السلامة والعافية للجسد ولدرء مفسد الأضرار والأسقام عنه؛ عدّ ذلك من فروض الكفاية في الأمة الإسلامية، لذا وجب ضبط ما يستجد من قضايا طبية معاصرة بأصول وقواعد الإسلام.

ومن هذه القواعد قاعدة: (الأمر بمقاصدها)، فهي من القواعد المتفق عليها، وقد حظيت بقدر كبير من عناية العلماء في الدراسة والشرح، قديماً وحديثاً، فمنهم من كتب في القاعدة أو في الحديث الدال عليها أو في موضوعها مؤلفاً مستقلاً^(٤٤)، وكل ذلك يدل على أهميتها وشمولها واتساعها لما تحتها من فروع؛ لذا اخترت كتابة بحث بعنوان: (أثر قاعدة الأمور بمقاصدها على أحكام الأوبئة- نماذج تطبيقية).

أهمية موضوع البحث:

تتجلى أهمية الموضوع فيما يأتي:

١. أهمية علم القواعد الفقهية في تكوين الملكة الفقهية للباحثة، وأنه يعين على ضبط فروع الفقه وجزئياته المتناثرة.
٢. مكانة قاعدة (الأمر بمقاصدها)؛ حيث إنها تدخل في كثير من أبواب الفقه، ولها تطبيقات متعددة في مجال الأوبئة.
٣. عموم البلوى بمسائل طارئة ملحة كثر السؤال عنها، بسبب انتشار بعض الأوبئة.

أهداف البحث:

تتلخص أهداف هذا البحث فيما يأتي:

١. دراسة قاعدة (الأمر بمقاصدها) وذكر معناها وأدلتها وتطبيقاتها.
٢. بيان وجه تطبيق هذه القاعدة على النوازل الفقهية المتعلقة بالأوبئة.
٣. مساعدة المفتي والمجتهد في رد أحكام النوازل الطبية إلى القواعد الفقهية الكلية.

الدراسات السابقة:

(٤٤) أذكر منها على سبيل المثال: الأمنية في إدراك النية للقرافي p، ومنتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال للسيوطي p، وكتاب قاعدة الأمور بمقاصدها دراسة نظرية وتأصيلية للدكتور يعقوب الباحسين حفظه الله، والنية وأثرها في الأحكام الشرعية للدكتور صالح السدلان p، وغيرها.



لم أقف -بحسب اطلاعي- على دراسة فقهية خاصة بتطبيقات قاعدة الأمور بمقاصدها على أحكام الأوبئة.

وإنما وقفت على دراسات تطرقت للقاعدة وتطبيقاتها على مسائل أخرى، منها ما يلي:

- قاعدة الأمور بمقاصدها وتطبيقاتها في أنظمة الجنايات والحدود، إعداد: فهد الحربي، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، عام: ٢٠١٣م.
- قاعدة الأمور بمقاصدها وتطبيقاتها في فقه الأقليات المسلمة، إعداد: عبد الله العيسى، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد: ٥٢، عام: ٢٠١٦م.
- قاعدة الأمور بمقاصدها وتطبيقاتها في باب العبادات في فقه الأقليات المسلمة، إعداد: يونس الكبيسي، وعبد النافع الحسيني، بحث محكم منشور في مجلة البحث العلمي في الآداب، جامعة عين شمس بمصر، العدد: ١٨، الجزء: ٤، عام: ٢٠١٧م.
- قاعدة الأمور بمقاصدها وأثرها في تقنين العقود في قانون المعاملات المدنية العماني، إعداد: خالد الحبسي، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية، بالجامعة الإسلامية بغزة، العدد: ٣، عام: ٢٠٢٠م.

كل الدراسات السابقة تتشابه مع بحثي في ذكر تعريف القاعدة وأدلتها، وتختلف عنه في مجال التطبيق؛ بالإضافة العلمية للدراسة الحالية تظهر في تطبيقات قاعدة (الأمر بمقاصدها) على أحكام الأوبئة؛ باعتبارها فروعاً فقهية جديدة للقاعدة.

منهج البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي؛ وذلك برصد أبرز المسائل المستجدة في الأوبئة، وتتبع أحكام كل مسألة من مضامينها، ومن ثم المنهج التحليلي الوصفي؛ وذلك بدراسة هذه المسائل، وعرض أقوال العلماء فيها، وتطبيق قاعدة الأمور بمقاصدها عليها.

إجراءات البحث:

١. كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني وعزوتها بذكر اسم السورة ورقم الآية.
٢. خرجت الأحاديث من مصادرها مع بيان الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث إن كان مرقماً، مع ذكر قول المحدثين فيه.
٣. الإحالة إلى المصدر وفق الآتي:
 - أ. في حالة النقل بالنص ذكرت اسم المصدر والجزء والصفحة.
 - ب. أما في حالة النقل بالمعنى أو مع التغيير فذكرت ذلك مسبقاً بكلمة "ينظر".
٤. عند التوثيق ذكرت المعلومات الأساسية المتعلقة بالمراجع (الكتاب، المؤلف، الجزء والصفحة)، وذكرت المعلومات التفصيلية عن بيانات النشر في فهرس المراجع والمصادر.



خطة البحث:

انتظمت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة وفهرس، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها: أهمية البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: في التعريف بأهم ألفاظ عنوان البحث.

المطلب الأول: تأصيل قاعدة الأمور بمقاصدها.

المطلب الثاني: أثر قاعدة الأمور بمقاصدها على أحكام الأوبئة.

الخاتمة: وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يبارك فيه وينفع به. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد:

في التعريف بأهم ألفاظ عنوان البحث:

الفرع الأول: التعريف بألفاظ قاعدة (الأمور بمقاصدها):

الأمور: جمع أمر، وهو بمعنى الشأن أو الحال^(٤٥). قال تعالى: ﴿وَالِلّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]

المقاصد: مصدر قصد، والقصد: هو إتيان الشيء والتوجه إليه وإرادته^(٤٦).

الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للقاعدة:

أن أعمال المكلف القولية أو الفعلية أو الاعتقادية تختلف أحكامها الشرعية ونتائجها باختلاف مقصود الشخص وإرادته وهدفه، أو أن الحكم الذي يترتب على أمر يكون موافقاً لما هو مقصود من ذلك الأمر^(٤٧).

قال ابن تيمية p: "كل عمل يعمل به عامل من خير وشر، هو بحسب ما نواه، فإن قصد بعمله مقصوداً حسناً، كان له ذلك المقصود الحسن، وإن قصد به مقصوداً سيئاً كان له ما نواه"^(٤٨).

الفرع الثالث: التعريف بالأوبئة:

أولاً: المعنى اللغوي للأوبئة:

(٤٥) تاج العروس، للزبيدي (١٠ / ٦٩)، مادة [أمر].

(٤٦) ينظر: لسان العرب (٣ / ٣٥٣)، مادة [قصد]

(٤٧) ينظر: الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، للبورنو (ص: ١٢٤).

(٤٨) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٨ / ٢٥٤).



الأوبئة: جمع وباء، وهو كل مرض عام، ويقال: أرضٌ وبئةٌ وموبوءة: أي كثيرة الوباء والأمراض، واستوبأ الأرض: استنقلها ووجد لها وبئة^(٤٩).

والوباء فساد يعرض للهواء لأسباب سماوية أو أرضية فتفسد به الأبدان^(٥٠).

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي للأوبئة:

الوباء في الاصطلاح: "اسم لكل مرض عام"^(٥١).

وقيل: هو مرض عمّ الكثير من الناس في جهة محددة من الأرض دون سائر الجهات، ويكون مخالفًا للمعتاد من الأمراض في كثرة الإصابة به وغير ذلك، ويكون نوعًا واحدًا^(٥٢).

فلا فرق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للوباء.

والوباء (epidemic) عُرّف من الناحية الطبية: بأنه مرض واسع الانتشار، يصيب أفرادًا كثيرين في أي مكان وفي وقت واحد، بحيث تزيد عدد حالات الإصابة عما هو متوقع في الحالات الطبيعية^(٥٣).

ثالثًا: الألفاظ ذات الصلة بالأوبئة:

١. المرض المعدي:

المرض في اللغة: ضد الصحة، يقال: مَرَضَ فلانٌ مَرَضًا ومَرَضًا فهو مَرِيضٌ، وأصل المرض الضعف والنقصان^(٥٤). وهو "إِظْلَامُ الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها"^(٥٥).

فالمعنى أن ما خرج عن حده الطبيعي نقصانًا فهو مرض^(٥٦).

وفي الاصطلاح: لا يخرج المعنى الاصطلاحي للمرض عن المعنى اللغوي، فقد عُرّف بأنه: "فساد المزاج وسوء الصحة بعد اعتدالها"^(٥٧).

ومن الناحية الطبية عُرّف المرض بأنه: "خروج الجسم عن حالة الاعتدال التي تعني قيام أعضاء البدن بوظائفها المعتادة، مما يعوق الإنسان عن ممارسة أنشطته الجسدية والعقلية والنفسية بصورة طبيعية"^(٥٨).

(٤٩) ينظر: لسان العرب (١/ ١٨٩-١٩٠)، مادة [وبأ].

(٥٠) ينظر: تاج العروس، للزبيدي (١/ ٤٧٨) مادة [وبأ].

(٥١) رد المحتار، لابن عابدين (٢/ ١٨٣).

(٥٢) ينظر: شرح مختصر خليل للخرشي (٤/ ١٥٥).

(٥٣) ينظر: معجم المصطلحات الطبية، مجمع اللغة العربية (٢/ ١٤٤)، ومعجم الوبانيات، جون. م. لاست (ص: ٨٧).

(٥٤) ينظر: جمهرة اللغة، لابن دريد (٢/ ٧٥٢)، مادة [رضم].

(٥٥) لسان العرب (٧/ ٢٣٢)، مادة [مرض].

(٥٦) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٣١١)، مادة [مرض].

(٥٧) معجم لغة الفقهاء، د. محمد قلنجي، ود. حامد قتيبي (ص: ٤٢٢).

(٥٨) الموسوعة الطبية الفقهية، د. أحمد كنعان (ص: ٨٤٥).



أما العدوى في اللغة: قال ابن فارس^(٥٩) p: "العين والبدال والحرف المعتل أصل واحد صحيح يرجع إليه الفروع كلها، وهو يدل على تجاوز في الشيء وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه"^(٦٠).

وهي اسم من أعدى يعدي فهو مُعَدٍ. ومعنى أعدى أي نقل الجرب الذي به إلى غيره، وأصله من عدا يعدو إذا جاوز الحد^(٦١).

وفي الاصطلاح: عرفها الفقهاء بأنها: "تعدّي المرض من إنسان إلى آخر، ومن بهيمة إلى أخرى"^(٦٢).

وقيل هي: "مجازة العلة من صاحبها إلى غيره"^(٦٣). والمراد بالعلة هنا: المرض.

ومن الناحية الطبية عُرِّفت العدوى (Infection) بأنها: "دخول العوامل الممرضة إلى جسم الإنسان ونموها وتكاثرها وتفاعل الجسم معها"^(٦٤).

والمرض المعدي مركباً: هو المرض الذي ينتقل من شخص إلى آخر بالمجاورة والمخالطة، كالجدام والسل الرئوي^(٦٥)، تسببه ميكروبات مثل: الجراثيم أو الفيروسات أو الطفيليات، ويمكن أن ينتشر عن طريق مباشر أو غير مباشر^(٦٦).

والصلة بين الوباء والمرض المعدي: أن الوباء أصله مرض معدٍ، وإذا ارتفعت حالات الإصابة بالمرض عن المتوقع في منطقة جغرافية معينة أو في مناطق متعددة وانتشر، فيسمى وباء. فيقصد به: الانتشار السريع، أو الزيادة غير الطبيعية في الإصابات، والسبب في انتشاره كونه معدياً فينتقل من شخص لآخر. لكن المرض المعدي لا يلزم منه أن يكون وباءً.

٢. الطاعون:

في اللغة: مأخوذ من الطعن، يقال: طُعِن فهو طعِين ومطعون إذا أصابه الطاعون^(٦٧).

وفي الاصطلاح: "قروح تحصل في بدن الإنسان مع لهاب واسوداد حولها... يحدث منها ورم في الغالب وقيء وخفقان في القلب، تحدث غالباً في المواضع الرخوة كتحت الإبط وخلف الأذن"^(٦٨).

ومصطلح الطاعون (Plague) في الطب: هو مرض حاد معدٍ، تسببه بكتيريا باسيل التي تصيب الحيوانات القارضة كالفران ونحوها، وتنتقل عدواها بواسطة البراغيث إلى الإنسان والحيوانات الأخرى^(٦٩).

^(٥٩) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ولد عام (٥٣٢٩هـ)، لغوي، وأديب، ومحدث، وكان مشاركاً في علوم شتى، توفي سنة (٣٩٥هـ) وقيل غير ذلك. من مؤلفاته: "المجمل في اللغة"، و"حلية الفقهاء"، و"ذم الخطأ في الشعر". يراجع في ترجمته: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (١/ ٤١١)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان (١/ ١١٨-١١٩).

^(٦٠) مقاييس اللغة (٤/ ٢٤٩)، مادة [عدو].

^(٦١) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري (٣/ ٧٣)، مادة [عدا].

^(٦٢) القوانين الفقهية، لابن جزي (ص: ٢٩٦).

^(٦٣) الكاشف عن حقائق السنن، للطبري (٩/ ٢٩٧٨).

^(٦٤) الموسوعة الطبية الفقهية، د. أحمد كنعان (ص: ٧٠١).

^(٦٥) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي (٢/ ١٥١٢).

^(٦٦) ينظر: موقع منظمة الصحة العالمية، الأمراض المعدية، أطلع عليه بتاريخ: ٢٦/٤/١٤٤٢هـ، <https://cutt.us/32JP1>

^(٦٧) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٢٦٥)، مادة [طعن].

^(٦٨) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للنفراوي (٢/ ٣٤١).

^(٦٩) ينظر: معجم الأمراض وعلاجها، د. زينب منصور (ص: ٥٢٨).



وقد خصّ بعض العلماء الوباء بالطاعون^(٧٠)، والصحيح أن بين الوباء والطاعون عموم وخصوص، فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعوناً^(٧١).

المطلب الأول:

تأصيل قاعدة الأمور بمقاصدها:

دلّ على معنى هذه القاعدة أدلة كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع، وسأذكر جملة منها فيما يلي:

1. قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وجه الاستدلال:

أن الله اختص حصول الأجر على من يفعل الأعمال الصالحة طلباً لمرضاته، فمن لم يبتغ وجه الله في عمله فإنه غير مستحق للثواب عليه^(٧٢).

٢. ما ورد عن عمر بن الخطاب أنه قال: سمعت رسول الله يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما

نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(٧٣).

وجه الاستدلال:

هذا الحديث متفق على صحته، وقد تلقته الأمة بالقبول، وهو العمدة في تأصيل هذه القاعدة، فقله: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى) "يقتضي أن يكون كل عمل بغير نية لا يجزئ"^(٧٤).

٣. ما روته أم المؤمنين عائشة ع¹ عن النبي ، أنه قال: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسف

بأولهم وآخرهم، قالت: قلت يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيها أسواقهم، ومن ليس منهم؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم»^(٧٥).

(٧٠) ينظر: التمهيد، لابن عبد البر (٢١١ / ٦)، والمبدع في شرح المقتع، لابن مفلح (٢١٤ / ٥).

(٧١) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (١٣٢ / ٧)، والنهر الفائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم (٣٧٦ / ١).

(٧٢) ينظر: روائع التفسير، الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، جمع: طارق بن عوض الله (٣٥٨ / ١).

(٧٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١) برقم: (١) (كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله)، ومسلم في "صحيحه" (٤٨ / ٦) برقم: (١٩٠٧) (كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»).

(٧٤) الاستذكار، لابن عبد البر (٢٦٤ / ١).

(٧٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦٥ / ٣) برقم: (٢١١٨) (كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق)، ومسلم في "صحيحه" (١٦٨ / ٨) برقم: (٢٨٨٤) (كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يوم البيت).



وجه الاستدلال:

أن هؤلاء الذين يُخسف بهم يبعثون ثم يعاملهم الله حسب نياتهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر^(٧٦)، فدلّ على اعتبار النيات في الأعمال.

٤. أجمع العلماء على معنى هذه القاعدة، سواء المتقدمين منهم أو المتأخرين^(٧٧).

المطلب الثاني:

تطبيقات القاعدة:

المسألة الأولى: الالتزام بحظر التجول ومنع السفر:

يعرف حظر التجول بأنه: "منع الناس من التحرك في طرق البلد أو التنقل فيه، لظروف استثنائية، لمدة زمنية معينة، من قبل من له سلطة بذلك"^(٧٨).

وعند انتشار الأوبئة تعتمد كثير من الحكومات إلى فرض حظر التجول ومنع السفر بين المدن؛ لمنع تفشي الوباء، فيلزم الإنسان بالبقاء في بيته، واتباع الأنظمة الوقائية. فما حكم الالتزام به؟

يجب الالتزام بقرارات الحكومات في حظر التجول^(٧٩). ودليل ذلك ما يأتي:

١. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء من الآية 59 ﴿﴾.

وجه الاستدلال: دلت الآية على وجوب طاعة ولي الأمر إذا لم يأمر بمعصية^(٨٠).

٢. قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ النساء الآية 71 ﴿﴾.

وجه الاستدلال: أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بالأخذ بالأسباب، ولذا يجب الالتزام بحظر التجول لمكافحة الوباء^(٨١).

وبناءً على ما سبق؛ يجب على المسلم أن يلتزم بقرار منع التجول، ولا يخرج إلا للحاجة أو الضرورة.

تطبيق القاعدة على المسألة: إن احتسب العبد الأجر من الله تعالى على مكوثه في بيته، طاعةً لولاء الأمر وحتى لا يضر نفسه وأهله ومجتمعه، وصبر على ذلك، فإنه يثاب على عمله ونيته الصالحة، وأما إذا تسخط وضجر فلا ثواب له.

^(٧٦) ينظر: عمدة القاري، للعيني (٢٣٧ / ١١)، وفتح الباري، لابن حجر (٤ / ٣٤١).

^(٧٧) ينظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص: ١٧)، والقواعد الفقهية، د. يعقوب الباحسين (ص: ٨٣).

^(٧٨) الأحكام الفقهية المتعلقة بحظر التجول، سعيد آل حروف القحطاني (ص: ١٣).

^(٧٩) اتفقت القرارات والفتاوى الجماعية الصادرة عن المجمع الفقهي والهيئات الشرعية المعاصرة على وجوب الالتزام بالتوجيهات الصحية الصادرة من الجهات المسؤولة عند انتشار وباء كورونا، ومن ذلك الالتزام بحظر التجول. ينظر: القرارات والفتاوى الفقهية الجماعية المتعلقة بوباء كورونا المستجد (ص: ١٣١).

^(٨٠) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٨٣).

^(٨١) ينظر: توصيات الندوة الطبية الفقهية الثانية لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، الفقرة: ٥.



المسألة الثانية: من عمل تطبيقًا إلكترونيًا على الأجهزة الذكية لخدمة المصابين:

من الخدمات التي قدمتها وزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية بعد انتشار وباء كورونا: إصدار تطبيق "تظمن" والذي يهدف إلى تقديم الرعاية الصحية للمُحاليين إلى الحجر الصحي، بما يضمن سلامتهم، ويعزز من إجراءات تعافيهم^(٨٢).

تطبيق القاعدة على المسألة: من عمل تطبيقًا إلكترونيًا ونوى بذلك الأجر من الله تعالى، ونفع المسلمين والتسهيل عليهم، فإنه مأجور - بإذن الله-، وإن لم ينو إلا الشهرة أو الحصول على مقابل مادي أو أداء العمل المكلف به، فحكمه بحسب نيته.

المسألة الثالثة: التطوع في زمن الأوبئة:

عند انتشار الأوبئة والجوائح العامة، قد يتطوع عدد كبير من شباب المسلمين لمساعدة الممارسين الصحيين^(٨٣) وتخفيف الألم على المصابين، وكذلك في تنظيم دخول المتسوقين إلى المحلات التجارية وغيرها، فهل كل متطوع يحصل على الأجر من الله تعالى؟

لا شك أن العمل التطوعي مستحب في الإسلام، ويدل على ذلك أدلة كثيرة، منها ما يلي:

١. عموم الآيات التي دلت على الحث بفعل الخير والسعي فيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ

شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿البَقَرَةُ مِنَ الْآيَةِ ١٥٨ ١٥٨﴾.

وجه الاستدلال: أن من أتى بشيء من النوافل فإن الله يشكره، ويجازيه على طاعته^(٨٤).

٢. قوله صل الله عليه وسلم: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»^(٨٥).

وجه الاستدلال: دل الحديث على الترغيب بعمل الخير والإحسان إلى المسلم بإعانتة على قضاء حاجته، وجزاء ذلك أن يعينه الله تعالى^(٨٦).

ولكن ليس كل من التحق بعمل تطوعي يحصل على الأجر من الله تعالى، فقد قررت القاعدة بأن الأعمال بالنيات، فحصوله على الثواب مشروط بنيته الصالحة.

^(٨٢) ينظر: موقع وزارة الصحة بالسعودية، تطبيقات وزارة الصحة للأجهزة الذكية. أطلع عليه بتاريخ: ١٤٤٢/٣/٥هـ. <https://cutt.us/Ddwnl>

^(٨٣) عرفت المادة الأولى من نظام مزاولة المهن الممارس الصحي بأنه: كل من يرخص له بمزاولة المهن الصحية التي تشمل الفئات الآتية: الأطباء البشريين، وأطباء الأسنان، والصيدالة الأخصائيين، والفنيين الصحيين في: الأشعة والتمريض والتخدير والمختبر، والأخصائيين النفسيين، والاجتماعيين، وأخصائيي التغذية والصحة العامة، والإسعاف. ينظر: موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء. أطلع عليه بتاريخ: ١٤٤٢/٢/١٧هـ. <https://cutt.us/HAXY1>

^(٨٤) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي (١/ ٢٤٣).

^(٨٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٢٨/٣) برقم: (٢٤٤٢) (كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه)، ومسلم في "صحيحه" (١٨/ ٨) برقم: (٢٥٨٠) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم).

^(٨٦) ينظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين (١٠/ ٤٩).



تطبيق القاعدة على المسألة: نظراً لما قررتة قاعدة الأمور بمقاصدها، فإن من تطوع في زمن الأوبئة وقصد بذلك قصداً حسناً من تخفيف الضرر على إخوانه؛ طلباً لمرضاة الله تعالى واحتساباً للثواب، فإنه مأجور على عمله وتلك عبادة منه، وإن لم يقصد إلا الحصول على شهادة بتطوعه، أو اكتساب الشهرة والسمعة، أو لم يقصد ذلك، وإنما كان عمله بدافع الإنسانية والرحمة، فحكمه بحسب نيته.

المسألة الرابعة: مخالطة المصاب لغيره دون تعمد الإضرار:

تعرف الأمراض الوبائية بسرعة انتشارها بين الناس، لذا توصي الجهات الصحية أن يلتزم المصاب بالحجر الصحي^(٨٧)، فمن خالف غيره دون معرفته بأنه مصاب، أو كان جاهلاً أن المرض ينتقل بالمخالطة، وأدى ذلك إلى انتقال المرض إليه وموته به، فما حكمه؟ وهل يأتّم؟

أجمع أهل العلم على أن الخطأ رافع للإثم فيما بين العبد وربّه^(٨٨)؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: من الآية 5]، وقوله سبحانه: رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَهْطَأْنَا ﴿البقرة: من 286﴾، قال الله تعالى: «قد فعلت»^(٩٠).

وأما الحكم في حقوق العباد فإن العامد والمخطئ سواء^(٩١)؛ لأنها مبنية على المشاحة، وقد اتفق العلماء على أن القتل الخطأ تجب فيه الكفارة، والدية على عاقلته^(٩٢)؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ النساء: من الآية ٩٢.

تطبيق القاعدة على المسألة: قررت القاعدة بأن الأمور بمقاصدها، فمن خالف غيره دون معرفته بأنه مصاب أو كان جاهلاً بأن المرض ينتقل بالمخالطة فلم يقصد الجناية فإنه لا يأتّم، وذلك بخلاف ما لو قصد الإضرار فيكون آثماً.

المسألة الخامسة: الصبر على المرض الوبائي:

^(٨٧) يفرّق الأطباء بين مصطلح الحجر الصحي والعزل الطبي، فيعرف الحجر الصحي بأنه: عزل الأشخاص المشتبه بإصابتهم وقد لا تظهر لديهم أي أعراض. وأما العزل الطبي فهو: عزل المرضى، أو المشتبه بإصابتهم بعد ظهور الأعراض عليهم، ويكون ذلك في المستشفى أو في المنزل بحسب الحالة الصحية. وباستقراء فتاوى العلماء حول الموضوع لم أجد من يفرّق بين المصطلحين، فاعتمدت في بحثي مصطلح "الحجر الصحي" سواء كان الشخص مصاباً أو مشتبه بإصابته أو معرض للإصابة بالمخالطة. ينظر: الدليل الإرشادي (الحجر الصحي- العزل الطبي)، موقع المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها، أطلع عليه بتاريخ ١٥/٢/١٤٤٢هـ. <https://cutt.us/2K2O4>، ومعجم الوبائيات (ص: ٢٢٥).

^(٨٨) ينظر: الإقناع في مسائل الإجماع، لابن القطان (٢/ ٣١٠).

^(٨٩) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١/ ٨١) برقم: (١٢٦) (كتاب الإيمان، باب بيان قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه).

^(٩٠) المنثور في القواعد الفقهية، للزركشي (٢/ ١٢٢).

^(٩١) ينظر: الإجماع، لابن المنذر (ص: ١٢٠، ١٢٥).



الصبر هو "حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش"^(٩٢) كلطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك.

وفي الصبر على المرض أجر عظيم وتكفير للسيئات؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، أو حطّ عنه بها خطيئة»^(٩٣)، وقال ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده، ثم صبره على ذلك، حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى»^(٩٤)، وقال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(٩٥).

ولهذه الأحاديث وغيرها قال العلماء: إن ما يصيب المؤمن من الأمراض والأسقام ونحوها من مصائب الدنيا، يحصل له به تكفير سيئاته، أو رفع درجاته، أو الاثنين معاً^(٩٦).

تطبيق القاعدة على المسألة: من أصيب بمرض وبائي وضاعت عليه نفسه، فصبر احتساباً للأجر من الله تعالى، وتجنب الاختلاط بالآخرين حتى لا ينشر العدوى، فإنه يؤجر على نيته وعمله، وإن تسخط وجزع، ينقص من أجره بمقدار ذلك^(٩٧).

الخاتمة:

أحمد الله تعالى أن يسر لي كتابة هذا البحث الذي توصلت فيه للنتائج التالية:

- من خالط غيره دون معرفته بأنه مصاب أو كان جاهلاً بأن المرض ينتقل بالمخالطة فلم يقصد الجناية فإنه لا يأثم، وذلك بخلاف ما لو قصد الإضرار فيكون آثماً.
- من تطوع في زمن الوباء وقصد بذلك قصداً حسناً من تخفيف الضرر على إخوانه؛ طلباً لمرضاة الله تعالى واحتساباً للثواب، فإنه مأجور على عمله وتلك عبادة منه، وإن لم يقصد إلا الحصول على شهادة بتطوعه، أو اكتساب الشهرة والسمعة، أو لم يقصد ذلك، وإنما كان عمله بدافع الإنسانية والرحمة، فحكمه بحسب نيته.
- إن احتسب العبد الأجر من الله تعالى على مكوثه في بيته أثناء حظر التجول لانتشار الوباء، طاعةً لولاية الأمر وحتى لا يضر نفسه وأهله ومجتمعه، وصبر على ذلك، فإنه يثاب على عمله ونيته الصالحة، وأما إذا تسخط وضجر فلا ثواب له.

^(٩٢) مدارج السالكين لابن القيم (١٥٥/٢).

^(٩٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١٤ / ٧) برقم: (٥٦٤٠) (كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض)، ومسلم في "صحيحه"

(١٥ / ٨) برقم: (٢٥٧٢) (كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن).

^(٩٤) أخرجه أبو داود في "سننه" (١٥٠ / ٣) برقم: (٣٠٩٠) (كتاب الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب). وصححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود (٢٧١ / ٢).

^(٩٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢٢٧ / ٨) برقم: (٢٩٩٩) (كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير).

^(٩٦) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٠٨-١١٠).

^(٩٧) ينظر: المرجع السابق (١٠٨-١١٠).



- من عمل تطبيقًا إلكترونيًا ونوى بذلك الأجر من الله تعالى، ونفع المسلمين والتسهيل عليهم، فإنه مأجور - بإذن الله-، وإن لم ينو إلا الشهرة أو الحصول على مقابل مادي أو أداء العمل المكلف به، فحكمه بحسب نيته.
- من أصيب بمرض وبائي وضاق عليه نفسه، فصبر احتسابًا للأجر من الله تعالى، وتجنب الاختلاط بالآخرين حتى لا ينشر العدوى، فإنه يؤجر على نيته وعمله، وإن تسخط وجزع، ينقص من أجره بمقدار ذلك.

التوصيات:

١. أوصي الباحثين بإفراد بعض القواعد الفقهية بالبحث الموسع، وتطبيقها في المجال الطبي على الأمور التي لم يتطرق لها البحث.
 ٢. أوصي باستكمال مسيرة البحث في النوازل الطبية، فما زال المجال متاحًا لدراسات فقهية ومقاصدية عديدة.
- هذا ما تيسر جمعه وعرضه، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله أولًا وآخرًا.

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿ الْبَقَرَةُ الْآيَةُ 127 ﴾

فهرس المراجع والمصادر:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتب:

١. الإجماع، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق ودراسة: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى لدار المسلم، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
٢. الأحكام الفقهية المتعلقة بحظر التجول، سعيد بن سالم آل حروف القحطاني، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الفقه المقارن، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام: ١٤٣٢ - ١٤٣٣.
٣. الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م.
٤. الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، زين الدين بن إبراهيم، ابن نجيم (ت: ٩٧٠ هـ)، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٥. الإقناع في مسائل الإجماع، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (ت: ٦٢٨ هـ)، تحقيق: حسن فوزي الصعدي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ - ٢٠٠٤ م.
٦. إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤ هـ)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.



٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون رقم طبعة.
٨. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى العلوي، محمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧ هـ.
٩. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.
١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١١. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م.
١٢. رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
١٣. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.
١٤. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هندواي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
١٥. شرح مختصر خليل للخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (ت: ١١٠١هـ)، دار الفكر للطباعة - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.
١٦. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، دار طوق النجاة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
١٧. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٨. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الجيل- بيروت، الطبعة: مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في إستانبول سنة ١٣٣٤هـ.
١٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٠. فتاوى العلماء حول فايروس كورونا، مسعود صبري، دار البشير للثقافة والعلوم، الطبعة الأولى: ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م.
٢١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.



٢٢. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٣. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم بن سالم، النفراوي (ت: ١١٢٦ هـ)، دار الفكر، بدون طبعة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٤. القرارات والفتاوى الفقهية الجماعية المتعلقة بوباء كورونا المستجد عرضاً وتحليلاً، أ.د. إسماعيل بن غازي مرحبا، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى: ١٤٤٢ - ٢٠٢١ م.
٢٥. القواعد الفقهية، المبادئ-المقومات-المصادر-الدليلية-التطور، دراسة نظرية- تحليلية-تأصيلية-تاريخية، د. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة السابعة: ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
٢٦. القوانين الفقهية، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلي الغرناطي (ت: ٧٤١ هـ)، بدون طبعة وبدون تاريخ.
٢٧. كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي النتهانوي (ت: بعد ١١٥٨ هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، ترجمة: د. عبد الله الخالدي، ود. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦ م.
٢٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٢٩. المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد، ابن مفلح (ت: ٨٨٤ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٣٠. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
٣١. المجموع شرح المذهب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، دار الفكر بدون طبعة.
٣٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ)، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٣٣. معجم الأمراض وعلاجها، د. زينب منصور حبيب، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
٣٤. معجم المصطلحات الطبية، إعداد لجنة المصطلحات الطبية، مجمع اللغة العربية - جمهورية مصر العربية، بدون طبعة وبدون تاريخ.
٣٥. معجم الوبائيات، جون. م. لاست، ترجمة منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠ م.
٣٦. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلججي، حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٣٧. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.



٣٨. المنثور في القواعد الفقهية، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٣٩. الموسوعة الطبية الفقهية، أحمد محمد كنعان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٤٠. النهر الفائق شرح كنز الدقائق، عمر بن إبراهيم بن نجيم (ت ١٠٠٥هـ)، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٤١. الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، الشيخ الدكتور محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٤٢. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

٤٣. الموقع الإلكتروني لمنظمة الصحة العالمية.
٤٤. موقع المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها.
٤٥. موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء.
٤٦. موقع وزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية.



أهمية التفسير الاحتمالي للنص القرآني وبواعثه ومسوغاته العلمية (دراسة تأصيلية)

د. ناجي حسين صالح علي اليحيري- باحث في التفسير وعلوم القرآن والدراسات الإسلامية.

Email: najialyahri@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث: إلى تقرير أهمية التفسير الاحتمالي للنص القرآني من خلال دراسة البواعث والمسوغات العلمية التي تميزت بها النصوص القرآنية واختصت بها، وأفضت إلى تقرير هذا النوع من التفسير، سواء كانت هذه الخصائص والبواعث - المتقررة من خلالها- أصولية متعلقة بذات النص القرآني، أو لغوية، أو منهجية استدلالية. وقد ظهر لي من خلال دراستها أنه كان لاختلاف خصائص النصوص القرآنية وتنوعها بين محكم ومتشابه، وقطعي وظني، وعقدي وتشريعي، ومقيد ومطلق، وحمل جميع ذلك كله على معانيه الحقيقة أو المجازية، والاشتراك اللفظي والمعنوي، واختلاف القرائن، ومحامل الوجوه والنظائر، ودلالات الأضداد، وغيرها، مما يلحق بذلك من المدلولات اللغوية والمنهجية أثر كبير في تنوع الدلالات الاحتمالية العقدية، والمعنوية، والتكليفية، واللغوية. إذ إنها قد ألجأت المفسرين والفقهاء إلى تقرير العمل بالأقوال الاحتمالية ومدلولاتها، وإن اختلفت مواقفهم من التفسير الاحتمالي وتنوعت مناهجهم، إلا أنهم قد استفادوا من كثير. كلمات مفتاحية: التفسير الاحتمالي. النص القرآني. البواعث. المسوغات العلمية.

Research Summary: (98)

This research: To study the impact of probabilistic interpretation of scientific texts that characterized and singled out the Qur'anic texts, and led to the determination of this type of interpretation, whether this root of the interpretation of reasons, fundamentalism related to the same Qur'anic text, or linguistic, or inferential methodology.

It became apparent to me through her study that it was due to the difference in the characteristics of the Qur'anic texts and their diversity between arbitrary and similar, definitive and presumptuous, nodal and legislative, restricted and absolute, and carried all of this to its true or figurative meanings, verbal and moral participation, difference of evidence, bearings of faces and analogies, connotations of opposites, and others, The linguistic and methodological implications of this have a significant impact on the diversity of probabilistic nodal, moral, mandate, and linguistic connotations.

(٩٨) هذه ترجمة مبدئية وسيتم تعديلها بعد قبول البحث وترجمتها ترجمة معتمدة



As it has resorted to the exegetes and jurists to decide to work with the probabilistic sayings and their implications, although their positions differed from the probabilistic interpretation and their methods varied, but they had benefited from a lot.

Keywords: probabilistic interpretation. Quranic text. emitters. Scientific rationale.

مقدمة

الحمد لله وحده، أنزل الكتاب بالحق تبياناً لك شيء، مفصلاً، مبيناً، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا في لفظه ولا معانيه وشرعه، وأكمل الصلاة وأتم التسليم على الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن العلماء -رحمهم الله- قد سعوا سعيهم، وبذلوا جهدهم، واستنفدوا طاقاتهم في دراسة هذا الكتاب العزيز، واستقراء حكمه وأحكامه، ومناهجه وأساليبه، فأصلوا لكثير من العلوم والفنون، ووضعوا لها التقسيمات والتفريعات، ومنها ما قررته من أقسام التفسير المجمل، والتحليلي، والموضوعي، والمقارن، والإشاري، وما يمكن أن يلحق بها من الأقسام. وقد لمست من خلال دراستي لبعض التفاسير، كتفسير ابن جرير الطبري، والماوردي، وغيرهما من المصنفات في تفسير مشكل القرآن وإيضاحه أن هناك كثيراً من النصوص القرآنية التي احتملت أكثر من معنى ولم يُفصل القول فيها، ولم تترجح المعاني، فساغ فيها الحمل على جميعها إما كلياً أو جزئياً، وسواء كانت هذه النصوص محكمة أو متشابهة؛ إلا أنه كان من أبرز مقاصدها التوسيع مع إبهام معان ودلالات لقصد الاختبار والامتحان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

فاستعنت بالله تعالى ورأيت أن أشرع في دراسة هذه المعاني والمدلولات الاحتمالية، ومحاولة التأسيس لها، من خلال تصنيف كتاب أبين فيه مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني، وأهميته ومقاصده، وقواعده، وأقسامه، من خلال عدة أبحاث محكمة، وقد اخترت منها هذا البحث: [أهمية التفسير الاحتمالي للنص القرآني وبواعثه ومسوغاته العلمية) (دراسة تأصيلية)] لتحكيمة والمشاركة به في المؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية؛ وذلك لأنه يمكن الاستفادة بشكل كبير وموسع من التنوع الاحتمالي لمعاني ودلالات النص القرآني على اعتباره المصدر الأول للتشريع، من خلال تقليل نسبة الاختلاف في المعاني والأحكام الظنية الاجتهادية، سواء العقدية أو التكليفية، وحملها على محاسنها بقدر ما يحتمل الدليل ويمتنع، من غير إفراط ولا تفريط، لعل الله سبحانه وتعالى أن يصلح به شأن الأمة وحالها.



مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في وجود نصوص قرآنية قصد الشارع سبحانه وتعالى توسيع معانيها وتنويعها بين محكم ومتشابه تنضوي تحتها كثير من المعاني والدلالات الاحتمالية الغير متميزة، ويمكن صياغة هذا الإشكال من خلال السؤال الآتي:

- ما هو مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني، وما هي أهميته، وكيف يمكن تقريرها من خلال البواعث والمسوغات العلمية المتعلقة بالنص القرآني.
أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه سيبحث عن أهمية التفسير الاحتمالي للنص القرآني من خلال دراسة البواعث والمسوغات العلمية الملجئة إلى تقريره والعمل به، ومن أبرز الأسباب التي بعثتني للبحث في هذا الموضوع:

١- أن هذا البحث مقدم للمؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية، وسوف يتمحور البحث حول بواعث التفسير الاحتمالي للنص القرآني ومسوغاته العلمية التي يمكن من خلالها التوفيق والتقريب بين كثير من الأقوال العقديّة، والتشريعية، واللغوية المتنازع فيها، لا سيما تلك الآراء الاجتهادية التي تبنّى أصحابها أحكاماً عقديّة غير دقيقة الاحتجاج، ولكنها كبيرة الأثر مُفضية إلى القدح في اعتقاد المخالفين.

٢- احتمال النص القرآني لمعانٍ محكمة، ومعانٍ متشابهة، منها القطعي الدلالة، ومنها الظني، ومنها العقدي، ومنها التكليفي، ومنها المقيد، ومنها المطلق، ونحو ذلك.

٣- شمول النص القرآني لمدلولات لغوية متنوعة، محتملة للحقيقة والمجاز، وتنوع ألفاظه بحسب القرائن واختلاف النظائر والوجوه، ووقوع الأضداد فيه، والمشتراك اللفظية، والمعنوية، ونحوها، واختلاف المفسرين والعلماء في تقرير ذلك ومنعه.

٤- اختلاف مواقف العلماء والمفسرين من النص القرآني الاحتمالي بين مؤيد له ومعارض، ومتوسط، وأثر اختلاف مناهجهم على محامل النصوص، ومدلولاتها، ومعانيها.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١- إيضاح البواعث والمسوغات العلمية والأصولية المؤدية لوقوع المدلولات الاحتمالية المعنوية والتكليفية في النصوص القرآنية.

٢- محاولة تبيين الأصول اللغوية، والمنهجية المؤدية إلى تقرير العمل بالمدلول الاحتمالي للنص القرآني.

٣- هذا البحث حلقة من سلسلة بحوث محورها التفسير الاحتمالي للنص القرآني، وهو مشروع كتاب تأصيلي يعمل عليه الباحث.

الدراسات السابقة:

الاحتمال كاصطلاح وقع لفظه وتصريفه في كثير من كتب التفسير، ولعل بعضها أظهر من بعض من حيث كثرة الاستعمال وقلتها، وقد وقع بين يديّ رسالة جامعية في التفسير والحديث قُدمت لنيل درجة الدكتوراة في الدراسات الإسلامية في جامعة الملك سعود، بعنوان: (التفسير بالقول المحتمل منزلته وأثره في البيان)، تقدم بها الباحث: عقيل بن سالم بن عقيل الشمري، وقد اقتصر الباحث في الرسالة على سرد كثير من أقوال السلف في بعض الأقوال الاحتمالية وناقش بعض مدلولاتها وعللها، مقسماً الأقوال إلى قسمين: قسم موافق لمذهب أهل السنة على اعتبار تسمية الباحث لهم، وقسم لمخالفهم، ومع ما في الرسالة من محاسن إلا أنها اقتنرت للحيدانية والتأصيل.



والدراسة الثانية: (مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني)، د/ ناجي اليحيري، نشرته مجلة القلم، في اليمن، وهي عبارة عن بحث محكم تناول المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتفسير الاحتمالي للنص القرآني، وقد جعله الباحث قسما من أقسام التفسير وصنّفه على أنه لاحق بأقسام التفسير المجمل، والموضوعي، والتحليلي، والمقارن، والإشاري. ومن هنا رأيت أن أشرع في تتبع المسوغات والبواعث التي دعت المفسرين لسرد الأقوال الاحتمالية وألجأتهم إليها، فتفرد هذا البحث بهذه الأهمية، وبكونه من أوائل البحوث التأصيلية المطروحة في باب دراسة التفسير الاحتمالي للنص القرآني وأهميته في توجيه الاختلاف في التفسير المحتمل والمشكل، وما يلحق بهما ويتفرع عنهما.

منهجية البحث:

وقد اتبعت في سلوك هذا البحث المنهج الوصفي، والاستقرائي، غير أنه يجدر الإشارة إلى:

- أني سأعتمد في تقرير أهمية التفسير الاحتمالي للنص القرآني من خلال تقرير البواعث والمسوغات العلمية الملجئة إليه.
- عند التمثيل سأكتفي بالتمثيل لما رأيته مشكل فقط، وأما ما هو ظاهر معروف فرأيت أنه لا حاجة للإطالة فيه.
- عند التوثيق، سأكتفي بذكر المؤلف واسم الكتاب مختصرا في جميع المواضع، وأما الترجمة المفصلة للكتاب ففي فهرس المراجع والمصادر.
- وقد انقسم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة، فيها أبرز النتائج والتوصيات.

تمهيد: مفهوم التفسير والتأويل الاحتمالي:

أولا: مفهوم التفسير:

التفسير في اللغة: من فَسَّرَ، والفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه^(٩٩). والفَسْرُ: البيان، وكشف المغطّى، وفَسَّرَ الشيء يَفْسِرُهُ - بالكسر - وَيَفْسِرُهُ - بالضم - فَسْرًا، وفَسَّرَهُ: أبانه^(١٠٠). وقيل: التفسير والتأويل بمعنى واحد، وجاء في الذكر قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْتُكَ بِالْحَقِّ وَالْحَسَنِ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، وقيل التفسير: "كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: ردُّ أحد المُحتمَلين إلى ما يطابق الظاهر"^(١٠١).

التفسير في الاصطلاح:

عرفه أبو حيان بأنه: "علم يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاته، وأحكامه الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت ذلك"^(١٠٢). وعرفه الزركشي بأنه: "علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويُحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ"^(١٠٣).

ثانيا: مفهوم التأويل:

(٩٩) معجم مقاييس اللغة، لان فارس: (٤ / ٥٠٤).

(١٠٠) ينظر: كتاب العين، للفرهيدي: (٧ / ٢٤٧)، مختار الصحاح، للرازي (ت- ٣٩٥هـ): (ص٤٣)، ولسان العرب، لابن منظور: (٣ / ٣٤١٣).

(١٠١) المصادر السابقة، القاموس المحيط، للفيروزآبادي: (٢ / ١٠٨).

(١٠٢) البحر المحيط، لأبي حيان: (١ / ١٢١).

(١٠٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (١ / ١٣).



التأويل لغة: من الأول، وهو: الرجوع، يقال: آل الشيء؛ إذا رجع، وأوّل الكلام تأويلاً، إذا رده إلى الوجه الذي يعرف منه معناه، فالتأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء^(١٠٤).

ويتضح من معاني التأويل اللغوية أنه قد يستعمل في معنيين: الأول: التفسير والبيان، والثاني: المرجع والمصير^(١٠٥)، وهو في القرآن على خمسة أقسام، الأول: تفسير المتشابه من القرآن كله على حقائقه، والثاني: عاقبة الأمر وما يؤول إليه، والثالث: تعبير الرؤيا، الرابع: التحقيق، والخامس: النوع واللون، وهناك نوع سادس أضافه بعض العلماء، وهو الجزاء والعاقبة^(١٠٦).

التأويل في الاصطلاح: اختلفت معاني التأويل الاصطلاحية عند أهل الاختصاص، على معان، منها:

- أن التأويل: (تفسير الكلام، وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره، أم خالفه)^(١٠٧)، فهو هنا بمعنى التفسير عند من جعلهما بمعنى واحد.

- حمل المتأخرون من المتكلمة، والمتفهمة، ونحوهم معنى التأويل على أنه: (صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، لدليل يقتضيه، أو حمل ظاهر على محتمل مرجوح)^(١٠٨).

ومن أدق التعاريف الاصطلاحية للتأويل، وأكثرها انضباطاً، ما ذكره الراغب الأصفهاني في المفردات حيث قال:

"التأويل: ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علماً كان، أو فعلاً"^(١٠٩).

العلاقة بين مفهومي التفسير والتأويل:

الظاهر أن بين التأويل والتفسير خصوص وعموم: فأما على العموم فإن كل واحد منها يحتمل معنى الآخر، وأما الخصوص فإنهما إذا اجتمعا تمايز كل واحد منها عن الآخر بمعانٍ ومقاصد غير التي يحتملها الآخر، قال الهروي:

"التأويل والتفسير بمعنى واحد، وقيل: التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر"^(١١٠).

وقال العسكري: التأويل: "تفسير الكلام الذي تختلف معانيه"^(١١١).

إذن فالتفسير قطعي الدلالة، والتأويل ليس كذلك، وإنما يبقى الاحتمال متأرجحاً بحسب قوة الأدلة، قال الماتريدي:

"التفسير القطع بأن مراد الله تعالى كذا، والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع"^(١١٢).

ثالثاً: مفهوم الاحتمال لغة، واصطلاحاً:

الاحتمال لغة: من حَمَلَ، والحاء والميم واللام: مصدر، واحْتَمَلَ الشيء: أمكن جوازه ورجحانه بين أمرين، وعكسه اليقين، واحتمَلَ، يحتمل، احتمالاً، فهو مُحْتَمِلٌ^(١١٣).

وحمله على ظهره: رفعه عليه، وحمل الغضب: أظهره، وحَمَلَ الشيء على الشيء: ألحقه به في حكمه^(١١٤).

(١٠٤) ينظر: كتاب العين، للفراهيدي: (٨/ ٣٥٩-٣٥٨)، والوجه والنظائر، للعسكري: (ص: ١٤١).

(١٠٥) ينظر: الوجه والنظائر، للعسكري: (ص: ١٤١-١٤٣)، قانون التأويل، لابن العربي: (ص: ٢٣٠-٢٣١).

(١٠٦) ينظر: الوجه والنظائر، للعسكري: (ص: ١٤٣-١٤١)، قانون التأويل، لابن العربي: (ص: ٢٣٠-٢٣١).

(١٠٧) ينظر: قانون التأويل، لابن العربي: (ص: ٢٤١).

(١٠٨) ينظر: الإكليل في المتشابه والتأويل، لـ ابن تيمية: (ص: ٢٧).

(١٠٩) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: (ص: ٩٩).

(١١٠) الغريبين في القرآن والحديث، لـ أبي عبيد، الهروي: (٥/ ١٤٤٧).

(١١١) ينظر: الوجه والنظائر، للعسكري: (ص: ١٤٣-١٤١)، قانون التأويل، لابن العربي: (ص: ٢٣٠-٢٣١).

(١١٢) تأويلات أهل السنة، للماتريدي: (١/ ٣٣٨).

(١١٣) ينظر: كتاب العين، للفراهيدي: (٣/ ٢٤٠-٢٤١).

(١١٤) ينظر: المطلع على ألفاظ المتع، لابن أبي الفضل البعلبي: (ص: ١٣).



واحتمل الشخص: تجدد وصبر، واحتمل الأمر أن يكون كذا. واحتمل الشك: تقبله، وجاز فيه الشك، واحتمل القوم: ارتحلوا^(١١٥).

والناظر في المعاني اللغوية للمصدر (حمل) تتبين له عدة دلالات معنوية منها:

- إمكان وقوع المحتمل، وعدمه.
- جواز الشيء، وعدمه.
- التكلف والمشقة في حمل الشيء الظاهر على مقاصده ودلالاته التأويلية المحتملة.
- التنازع في الأمر بين الشك واليقين.
- الانتقال من حال كائنة إلى غيرها.
- إلحاق الشيء بغيره لعلّة مشتركة.

الاحتمال في الاصطلاح: اختلف في تعريفه على العموم إلى معان، منها:

عرفه الكوراني (ت: ٨٩٣ هـ) بأنه: "اتّسع الأمر لقبول عدّة وجوه من التأويل"^(١١٦). وعلى هذا التعريف بنيت كثير من قواعد الاجتهادات الفقهية، كقولهم: "الدليل إذا تطرّق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال"^(١١٧).

وقيل الاحتمال: "اقتضاء الفعل، أو القول، أو الدليل حكيمين مختلفين"^(١١٨).

ثالثاً: مفهوم التفسير والتأويل الاحتمالي، للنص القرآني كمركب إضافي^(١١٩):

من خلال مفهوم الاحتمال في اللغة وبيان اتساع معانيه اللغوي بين إمكان وقوع المحتمل وعدمه، وجواز الشيء وعدمه، والتكلف والمشقة في حمل الشيء الظاهر على مقاصده ودلالاته التأويلية المحتملة، وما في الاحتمال من تنازع في الأمر بين الشك واليقين، والانتقال من حال كائنة إلى غيرها، وإلحاق الشيء بغيره لعلّة مشتركة، ونحوه، وانعكاس ذلك على دلالاته الاصطلاحية، تبين مدى ارتباط هذه المدلولات بكثير من العلوم كالفقه واللغة والتفسير، وغيرها. ومن هنا يمكننا أن نعرف التفسير الاحتمالي على العموم كمركب إضافي كنوع من أنواع التفسير المعتمدة باعتبار المنهج ودلالة النصوص وخصائصها بأنه: (ضرب من التفسير يعنى باتساع معاني النصوص القرآنية الاحتمالية، وصرفها^(١٢٠))، وعللها، وخصائصها، ومبنياتها العقدية، والعملية، واللغوية، ونحوها، وقبولها عدة وجوه محتملة غير متميزة، لعلّة ظاهرة^(١٢١).

من خلال تعريف التفسير والتأويل الاحتمالي، وخصائص النص القرآني، وموقف العلماء والباحثين منه، وتقرير أنه ما من أحد من المفسرين إلا وقد استعمل التفسير المحتمل إما تصريحاً أو تعريضاً، أو تضميناً، كلياً أو جزئياً، ولو لم يشر إلى ذلك، بل وإن كان ممن يعارض القول به؛ وذلك لأسباب ومسوغات شرعية، وأصولية، ولغوية، واجتهادية أدت إلى اتساع الدلالات الاحتمالية، وتنوع وجوه التفسير الاحتمالي، ومن أبرز الأسباب التي بنيت عليها الدلالات الاحتمالية للنصوص القرآنية ما يمكن تبينه من خلال المباحث الآتية:

(١١٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار: (١/ ٥٦٢).

(١١٦) ينظر: الدرر اللوامع، للكوراني: (٤/ ٢٤٣)، معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار: (١/ ٥٦٣).

(١١٧) ينظر: الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، للكوراني: (٤/ ٢٤٣).

(١١٨) مؤسوعة الفواعل الفقهية، ل محمد الغزي: (٧/ ٤٦٧).

١١٩ على اعتبار جعل التفسير والتأويل بمعنى واحد. وعطفها هنا للبيان.

١٢٠ أي: مدلولاتها على اعتبار اختلاف مصدرها التصريفي.

١٢١ ينظر: بحث مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني لشرح معنى التعريف.



المبحث الأول:

المسوغات والبواعث الأصولية، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اختلاف معاني النصوص القرآنية ودلالاتها بين المحكم، والمتشابه^(١٢٢).

فقد اختلف أهل التأويل في معنى المحكم والمتشابه في القرآن الكريم على وجوه عديدة، كما اختلفوا في معاني النصوص القرآنية بين نصوص محكمة ونصوص متشابهة، بناء على اختلافهم في النصوص المحكمة والمتشابهة. وخلاصة القول في ذلك على وجوه:

الأول: أن جميع نصوص القرآن محكمة قطعاً، قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]، وأن جميع هذه النصوص متشابهة، من حيث اللغة والإحكام والبيان، وغيرها من خصائص النص والنظم القرآني، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] (١٢٣).

الثاني: اختصاص بعض النصوص بالإحكام دون بعض من حيث التشريع ودلالاته، والتفسير ومتعلقاته، لقوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

وهذان القولان يمكن توصيفها إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: التشابه العام، وهو ضد الاختلاف، وهو الذي وصف به القرآن كله بأنه: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، وهذا التشابه العام يوافق الإحكام العام الذي وصف به القرآن كله بأنه: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١].

القسم الثاني: التشابه الخاص، ويراد به بعض الآيات التي وصفت بالمتشابهة، والمراد بها ضد المحكمة، قال تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] في مقابلة وصف بعض آياته بأنهن: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، والتشابه الخاص غير العام؛ لأن هذا مذموم من تتبعه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

(١٢٢) ينظر: التفسير البسيط، للواحدي: (٤٥-٣١/٥)، التفسير والمفسرون، د/ فضل عباس: (٢/ ٢٦٥-٢٦٦).

١٢٣ ينظر: قانون التأويل، لابن العربي: (ص: ٣٦٧).



فدل ذلك على أن المعنى المراد بالتشابه في الخاص غير العام، وإلا لكان معنى التشابه في الموضوعين واحداً، فيكون كل متبع للمتشابه مذموماً، ووصف القرآن كله بأنها: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾ [الزمر: ٢٣] يمنع ذلك، وإلا لكان كل متبع للقرآن مذموماً؛ فكان لا بد من التفريق بين التشابه العام الذي امتدح الله به القرآن وجعله من محاسنه، وبين الخاص الذي قصد -تبارك وتعالى- منه الاختبار والتمحيص^(١٢٤).

القسم الثالث: التشابه الإضافي، وهو اشتباه الأمر على بعض الناس دون بعض، أو على العامة دون العلماء، وهو في الذكر على ضربين، ضرب يشتبه على جميع الناس العلماء والعامة، وضرب يشتبه على العامة دون العلماء، ومنه في الذكر الحكيم، قول بني إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠]، فإنه كان يكفيهم أن يذبحوا بقرة، ولكن لكثرة تلججهم في السؤال ألبس الله عليهم الأمر حتى اشتبه عليهم البقر تغليظاً عليهم.

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الحلال بيّن والحرام بيّن؛ وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس..."^(١٢٥). فدل ذلك على أن التشابه قد يكون بالإضافة إلى بعض الناس دون بعض^(١٢٦).

وهذا القسم -الثالث- لاحق للثاني وملزم له، فإن التشابه العام تفرد عن هذين القسمين بالإحكام من جميع الصور، البيانية، والمعنوية، والحكمية، وغيرها، في حين توافق التشابه الخاص والإضافي في الصور والصفات العامة، كالأحكام اللفظي، واختلافاً في الوصف المعنوي، والحكمي.

قال الجصاص: "...وأما موضع الخصوص في قوله تعالى: ﴿ءَايَتٌ مُّخَكَّمَتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، فإن المراد به اللفظ الذي لا اشتراك فيه ولا يحتمل عند سامعه إلا معنى واحداً، إلا أن هذا المعنى لا محالة قد انتظمه لفظ الإحكام المذكور في هذه الآية، وهو الذي جعل أمّاً للمتشابه الذي يرد إليه، ويحمل معناه عليه..."^(١٢٧).

فهذه الآية أصلٌ اختلف في تأويله، وتأويل المحكم والمتشابه في ضوئها إلى عدة معانٍ منها: — أن المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ" فسمي الناسخ محكماً؛ لأنه ثابت الحكم، والمنسوخ متشابهها من حيث أشبه في التلاوة المحكم، وخالفه في ثبوت الحكم^(١٢٨).

— أن المحكم هو الذي لم تتكرر ألفاظه، والمتشابه هو الذي تكررت ألفاظه.

أن المحكم ما يعلم تعيين تأويله، والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وما جرى مجرى ذلك؛ لأن ما لا يعلم تأويله ومعناه ووقته فهو مشتبه على سامعه^(١٢٩).

(١٢٤) ينظر: قانون التأويل، لابن العربي: (ص: ٣٦٩)

(١٢٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٢٠/١) رقم (٥٢). ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/١٢١٩)، رقم (١٥٩٩)، واللفظ للبخاري.

(١٢٦) ينظر: قانون التأويل، لابن العربي: (ص ٣٦٩).

(١٢٧) أحكام القرآن، للجصاص: (٣/٢)

(١٢٨) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص: (٣/٢)

(١٢٩) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص: (٤/٢).



— أن المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل من التأويل وجهين فأكثر، ويروى هذا القول عن الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل (١٣٠).

ذهب بعض المفسرين إلى أن المحكمات آيات معدودة محصورة، وغيرها من المتشابه، وهي — المحكمات- الآيات الثلاث من أواخر سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام:

١٥١-١٥٢]، وأربع آيات من سورة الإسراء من قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى آخر

قوله تعالى: ﴿وَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُرُ تُبْدِيرًا﴾ [الآيات: ٢٣ - ٢٦]. روى هذا القول ابن جرير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٣١).

— أن المحكمات هي الناسخ، والحلال والحرام، والحدود، والفرائض، وما يؤمن به ويعمل به، والمتشابهات هي المنسوخ والمقدم والمؤخر والأمثال والإقسام (١٣٢).

— أن المحكم هو ما أحكم الله فيه بيان الحلال والحرام، والمتشابه ما سوى ذلك يصدق بعضه بعضاً، روي هذا عن مجاهد وعكرمة.

— أن المتشابه هو الحروف المقطعة في أوائل بعض السور مثل: {الم}، {المص} وهذا أيضاً يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل (١٣٣).

— أن المحكم هو قصص الرسل والأنبياء مع أممهم مما قد بينه سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم والمتشابه ما اختلفت ألفاظه في قصصهم عند التكرير في السور، روي هذا القول عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٣).

— أن المحكم ما عرف العلماء تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل بما استأثر الله بعلمه دون خلقه كقيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام وما أشبه ذلك وهذا القول روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه (١٣٤).

وما هذه التعريفات والتقسيمات للمحكم والمتشابه، إلا معان متكاملة ومتداخلة بعضها في بعض، وذلك لاحتمال النص القرآني لها جميعاً؛ ولأن بعضها متضمن للآخر ولو جزئياً، والله أعلم.

المطلب الثاني: اختلاف دلالات النصوص القرآنية بين القطعية، والظنية الاجتهادية (١٣٥).

النص القرآن قطعي الثبوت بالجملة (١٣٦)، وإنما الاختلاف في مدلولات بعض النصوص الاحتمالية، وبعض أصول التفسير الظنية الدلالة كتفسير القرآن بالقرآن، وباختلاف القراءات الواردة في بعض حروفه وتنوع دلالاتها، أو بالسنة، أو بأقوال الصحابة والتابعين، أو الاختلاف بسبب أسباب النزول، ونحو ذلك مما يعتريه الوهم في بعض وجوهه، كالإعلال

(١٣٠) ينظر: قانون التأويل (ص: ٣٧١)، أحكام القرآن، للجصاص: (٢/ ٤).

(١٣١) ينظر: جامع البيان، للطبري: (٦/ ١٧٤).

(١٣٢) ينظر: قانون التأويل، لابن العربي: (ص: ٣٧١-٣٦٩).

(١٣٣) ينظر: قانون التأويل، لابن العربي: (ص: ٣٧١-٣٦٩).

(١٣٤) ينظر: قانون التأويل، لابن العربي: (ص: ٣٧١-٣٦٩).

(١٣٥) ينظر: الاجتهاد، لـ لجويني: (ص: ٢٣-٢٤).

(١٣٦) ينظر: باستثناء القراءات الشاذة وما جرى مجراها من القراءات التفسيرية والمنسوخة.



بضعف الأسانيد، وضعف القياس بين المقيس والمقاس عليه، أو الوقوع في التأويل الاحتمالي، أو تعارض الأقوال والاجتهادات، وهكذا.

والأحكام الشرعية منها ما هو قطعي معلوم من الدين بالضرورة؛ كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة الزنا، ومنها ما هو ظني وهو كل حكم دلّ عليه دليل ظني الثبوت أو الدلالة، وهو كثير جدا في الفروع، وله أثر عظيم في اجتهد الأمة، وهو محور الاحتمالات وتصرفاتها^(١٣٧).

والنقلات أربعة أقسام: إما قطعي السند والدلالة، وإما ظنيّ فيهما جميعا، وإما ظني السند، قطعي الدلالة، أو العكس من ذلك -قطعي السند ظني الدلالة-، فالأول يجب اعتقاد ظاهره، ولا تجوز مخالفته بحال، والبقية يجب اعتقاد ظواهرها ما لم تُعارض، فإن عورضت بقطعي جاز العدول عن الظاهر إجماعاً^(١٣٨).

قال الزرقاني: "...إذا تقرر هذا فإن التفسير بالمأثور الثابت بالنص القطعي لا يمكن أن يعارض بالتفسير بالرأي؛ لأن الرأي إما ظني وإما قطعي، أي مستند إلى دليل قطعي من عقل أو نقل، فإن كان قطعياً فلا تعارض بين قطعيين، بل يؤول المأثور ليرجع إلى الرأي المستند إلى القطعي إن أمكن تأويله جمعا بين الدليلين، وإن لم يمكن تأويله حمل اللفظ الكريم على ما يقتضيه الرأي والاجتهاد تقديماً للأرجح على المرجوح، أما إذا كان الرأي ظنياً بأن خلا من الدليل القاطع واستند إلى الأمارات والقرائن الظاهرة فقط فإن المأثور القطعي يقدم على الرأي الظني ضرورة أن اليقين أقوى من الظن"^(١٣٩).

فلا يجوز صرف اللفظ عن الراجح إلى المرجوح إلا بدليل قطعي، فمتى وجد وجب صرفه، وإن تعذرت الدلالة القطعية بقي حال النص ومدلوله من الاحتمال قائماً إلى أن تنطبق عليه ضوابط الترجيح. فإن تعذر فالجمع بين المعاني أبقى وأصوب.

وقطعية النصوص إما أن تكون:

- قطعية الثبوت والدلالة، كسائر أصول الدين وعقائده.

- قطعية الثبوت دون الدلالة، أو قطعي الدلالة دون الثبوت، ففي هذه الرتبة ثلاث احتمالات من الدلالة القطعية:

الاحتمال الأول: أن يكون الدليل احتمالي القطع من جهة الثبوت دون جهة الدلالة، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ

بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فهو قطعي الثبوت؛ لأنه من القرآن الكريم، لكنه ظني الدلالة على اعتبار الاحتمال في معاني القروء وما فيه من اختلاف في دلالاته المراد بها الحيض أو بالأطهار، أم الجمع بينهما^(١٤٠).

الاحتمال الثاني: أن يكون الدليل احتمالي القطع من جهة الدلالة دون جهة الثبوت، ويدخل فيه الاحتجاج بالقراءات الشاذة من جهة الإسناد.

(١٣٧) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة: (١/ ١٧٦).

(١٣٨) ينظر: نهاية الوصول في دراية الأصول، صفى الدين الأرموي: (١/ ٢٥٢)، الموافقات، للشاطبي: (٤/ ٢٩٤-٣١٢).

(١٣٩) مناهل العرفان، للزرقاني: (٢/ ٦٤-٦٥).

(١٤٠) ينظر: القروء في القرآن دلالاته التفسيرية والحكمية في ضوء اختلاف القراءات القرآنية (دراسة تحليلية)، د/ ناجي حسين صالح علي اليحييري، الناشر: مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، جامعة: تعز، اليمن، العدد: (٩)، المجلد: (٤)، أبريل، ٢٠٢٠ م. (ص: ٢٥-٤٤).



الاحتمال الثالث: احتمال عدم قطعية الدليل من الجهتين، ويكون فيها الدليل غير قطعي لا ثبوتاً ولا دلالة. كالأستدلال بالنصوص القرآنية الغير قطعية من جهة أو جهتين لبعض الظواهر والاكتشافات العلمية الحديثة، أو لبعض النصوص الغيبية التي يحتج لها بالقراءات الشاذة^(١٤١).

المطلب الثالث: اختلاف الدلالات بين العقديّة، والتشريعية، وغيرها.

قال جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

هذا نص صريح على كمال الدين وشموله بكل حال، ولكل زمان، وفي الآية الكريمة دليل أجمعت عليه الأمة أولها وآخرها على أن عقائد الدين قد تمت، وأصوله قد فصلت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم^(١٤٢).
وإذن فالاختلاف في احتمالات النصوص القرآنية إنما هو كائن في النصوص الغير عقديّة^(١٤٣)، ونعني بها النصوص التشريعية العملية، أو الاستدلالات والاحتجاجات اللغوية، والنحوية، والصوتية، ونحوها، فإن مقاصد النصوص فيها باعتبار القطعية والظنية – الأنفة الذكر – منضوي تحت التوسيع والتسهيل على الأمة، وجعل النصوص موائمة لما يطرأ باختلاف الزمان والمكان، والاجتهاد فيها سائغ، والعمل به جائز، ما لم تخالف مقاصد الشريعة وأصولها، وكل احتمال مبتناه بالدلالة والقرينة وارد.

المطلب الرابع: تنوع الاختلاف في احتمال معاني القراءات:

اختلف نزول القرآن على أحرف سبعة، واختلف في روايته ونقله على روايات عدة، منها المتوافق في المعاني، والدلالات التشريعية، واللغوي، والمعنوية، والعلمية، ومنها المتقارب في ذلك، ومنها ما يحتمل غير هذه الوجوه، فيتوافق نحويًا ويختلف تشريعًا، أو يتفق نحويًا وبلاغيًا ويختلف من حيث نظر العلوم الشرعية والتجريبية إليه^(١٤٤).
قال الداني(ت: ٤٤٤ هـ): " وكذلك ما ورد من هذا النوع من اختلاف القراءتين التي لا يصح أن يجتمعا في شيء واحد هذه سبيله -أي التفريق بينهما في المعاني والدلالات-؛ لأن كل قراءة منهما بمنزل آية قائمة بنفسها لا يصح أن تجتمع مع آية أخرى تخالفها في شيء واحد لتضادهما وتنافيهما"^(١٤٥).

كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَأَنزَلَ الْغُفْرَانُ﴾ [يوسف: ١٠]، حيث قرئ: (كذبوا) بتشديد الذال وتخفيفها^(١٤٦)، وقد اختلفا في اللفظ والمعنى جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه، فأما القراءة بالتشديد؛ فلأن المعنى: وتيقن الرسل أن

(١٤١) ينظر: القطعية من الأدلة الأربعة (ص: ١٣٥-١٣٩).

(١٤٢) ينظر: كتاب الإيمان، لأبي غنيد القاسم بن سلام: (ص: ٢٥). الاغتصام، للشاطبي: (٦٤/١). شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز: (٤٦/١).

(١٤٣) ملاحظة: لم أفصل في مسائل النصوص العقديّة لما فيها من اللبس واختلاط الأمر فيها على كل من خاض فيما من غير دليل قطعي الثبوت والدلالة، ولجترأ الكثير والكثير من الناس على القول والجزم في نصوص سكت عنها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، واكتفوا بظاهرها، وللاستزادة فليرجع إلى ذلك في مظانه.

(١٤٤) ينظر: الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي: (١٢/١). الأحرف السبعة للقرآن، للداني: (ص: ٥٠-٥٣).

(١٤٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن، للدينوري: (ص: ٢٣٤). الأحرف السبعة، للداني: (ص: ٥١).

(١٤٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر {كذبوا} مشددة الذال، وقرأ عاصم وحزمة والكسائي، وأبو جعفر {كذبوا} خفيفة، وكلهم ضم الكاف، ينظر: كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد: (ص: ٣٥٢-٣٥١). النشر في القراءات العشر، لابن الجزري: (٢٩٦/٢).



قومهم قد كذبوهم، وأما قراءة التخفيف؛ فلأن المعنى وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا بهم نزل العذاب بهم، فالظن في القراءة الأولى يقين، والضمير الأول للرسل، والثاني للمرسل إليهم، والظن في القراءة الثانية شك، والضمير الأول للمرسل إليهم، والثاني للرسل^(١٤٧).

وكذلك قراءة: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

حيث قرئت (علمت) بضم التاء وفتحها^(١٤٨)؛ وذلك أنه على قراءة الضم (علمت) أسند هذا العلم إلى موسى عليه السلام حديثاً منه لفرعون يخبر عن نفسه بالعلم بذلك وأنه ليس بمجنون، وقراءة الفتح على إسناد هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقرُّيع والتوبيخ له على شدة معاندته للحق وجوده له بعد علمه^(١٤٩). قال الدينوري: " فقال موسى مرّة: لقد علمت ما هي سحر ولكنها بصائر، وقال مرّة: لقد علمت أنت أيضاً ما هي سحر، وما هي إلا بصائر، فأنزل الله المعنيين جميعاً"^(١٥٠).

ونعني بهذا أن اختلاف القراءات القرآنية المتواترة والشاذة قد أضاف نوعاً جديداً من الخصوصية للنص القرآني إذ أن كل روايتين اختلفتا في الدلالة فإنهما دليلان على اعتبار كل قراءة وكل وجه دليل مستقلاً عن الآخر، والاحتمال في معانيها منتقل بين دلالات السياق العام للنص القرآني، فتارة تتحد المعاني، وتارة تتكامل، وتارة تتعارض لتعطي معاني جديدة، أو أحكاماً أخرى كلية أو جزئية^(١٥١).

المطلب الخامس: اختلاف دلالات النصوص بين التقييد، والإطلاق:

اختلاف العلماء والمفسرين والفقهاء في المطلق والمقيد واسع، وآراؤهم في ذلك اجتهادية ظنية، وعدم ورود الدلالات القطعية في ذلك جعل كثيراً من الأحكام الفقهية المستقاة من النصوص القرآنية قابلة لعدة وجوه محتملة، وإن ترجح بعضها على بعض، إلا أن بقاء الاحتمال فيها وارد.

فإذا صار حكمها في البقاء محتملاً لم تكن حجة حتى يزول الاحتمال، والعكس كذلك، فإن الاحتمال يمنع الاحتجاج عليها^(١٥٢) وكل ذلك يعتمد على المناسبات اللفظية، والمعنوية، وهذا أصل – الإطلاق والتقييد- من الأصول المسوغة لقبول الاحتمال والعمل به في بعض المواضع.

المطلب السادس: أسباب تعود إلى المراد تأويله، وكيفية تحققه ووقوعه:

بعض النصوص القرآنية -كما أسلفت سابقاً- تتنوع بين القطعية، والظنية، إلا أن بعضها وإن ثبت بدلالة قطعية، فإنه يختلف تفسيره وتأويله كيفية ووقوعه وتحقيقه، كما في تأويل وتفسير الآيات المتعلقة بأحوال يوم القيامة، أو تأويل الآيات الكونية، ومدلولاتها، أو الآيات الغيبية، ومقاصدها، أو الأخبار، والقصص، وتحقق الوعد والوعيد، ونحو ذلك^(١٥٣).

(١٤٧) ينظر: الأحرف السبعة، للداني: (ص: ٥).

(١٤٨) قرأ الكسائي وحده (لقد علمت) بضم التاء، وقرأ الباقون: بفتحها، ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد: (ص: ٣٨٥-٣٨٦). النشر في القراءات العشر، لابن الجزري: (٢/ ٣٠٩).

(١٤٩) الأحرف السبعة، للداني: (ص: ٥٠).

(١٥٠) تأويل مشكل القرآن، للدينوري: (ص: ٣٣).

(١٥١) ينظر: القراء في القرآن، د/ ناجي الجبري: (ص: ٢٥-٤٤).

(١٥٢) ينظر: تقويم الأدلة في أصول الفقه، التبوسي: (ص: ١٢٣-١٢٧).

(١٥٣) ينظر: الوجوه والنظائر، للعسكري: (ص: ١٤١-١٤٣)، والتفسير الوسيط، للواحدي: (٢٤/١٢)، وقانون التأويل، لابن العربي: (ص: ٢٣٠-٢٣١).



كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ سُوءُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

فالآية تنص على أن تحقق ما في القرآن من الوعيد لا تُعلم كيفية، وإن دلت النصوص القطعية على قطعية تحققه، إلا أن الاختلاف في كيفية ذلك مجهولة، وبعض الأقوال تتراوح بين التجسيم، وغيره، كاختلافهم في الميزان وكيفية، وخطاب جهنم للكافرين، وغير ذلك، مما يحتمل وقوعه على أكثر من وجه^(١٥٤).

المبحث الثاني:

المسوغات والبواعث اللغوية، وفيه سبعة مطالب

المطلب الأول: اختلاف دلالات النصوص بين الحقيقة، والمجاز:

التنازع في اصطلاح الحقيقة والجاز عند المفسرين شائك جدا^(١٥٥)، فهم بين مقرر له ملزم القول بذلك، جاعلا التنوع بين الحقيقة والمجاز من أعمدة التفسير وأركانه^(١٥٦)، وبين منكر له جاعلا القول بالمجاز في القرآن من نواقض التفسير الصحيح، وخارجا عن أصوله^(١٥٧)، وبين متوسط في ذلك، كمن حمل اللفظ الواحد من وجه على الحقيقة، ومن وجه على المجاز، ومنهم من جعله مرة في الحروف والكلمات، ومرة في الجمل^(١٥٨).

قال أبو حيان: " ﴿ وَأَرَأَيْتُمْ مَتَّاسِكَا ﴾ [البقرة: ١٢٨]، قال قتادة: معالم الحج، وقال عطاء وابن جريج: مذابحنا، أي: مواضع الذبح، وقيل: كل عبادة يتعبد بها الله تعالى...، وقال بعض الناس: المراد هنا بالرؤية رؤية البصر والقلب معا؛ لأن الحج لا يتم إلا بأمور بعضها يعلم ولا يرى، وبعضها لا يتم الغرض منه إلا بالرؤية، فوجب حمل اللفظ على الأمرين جميعا، وهذا ضعيف؛ لأن فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز، أو حمل اللفظ المشترك على أكثر من موضوع واحد في حالة واحدة، وهو لا يجوز عندنا"^(١٥٩)، ثم قال: قال أبو حيان: "والذي عليه أكثر أهل العلم أن الله تعالى خاطبنا بلسان العرب، وفيه الحقيقة والمجاز"^(١٦٠).

(١٥٤) ينظر: لمعة الاعتقاد، لابن قدامة: (ص: ٣٢).

(١٥٥) قال ابن رجب السلمي (ت: ٧٩٥هـ) عند تفصيل الخلاف في إثبات صفة اليد في قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧]: "من أنكر المجاز من العلماء فقد ينكر إطلاق اسم المجاز؛ لئلا يوهم هذا المعنى الفاسد - أي ليس له معنى ولا حقيقة - وبصير ذريعة لمن يريد

حقائق الكتاب والسنة وملولاتيها. ويقول: غالب من تكلم بالحقيقة والمجاز هم المعتزلة ونحوهم من أهل البدع وتطرفوا بذلك إلى تحريف الكلم عن مواضعه، فيمنع من التسمية بالمجاز يجعل جميع الألفاظ حقائق، ويقول: اللفظ إن دل بنفسه فهو حقيقة لذلك المعنى، وإن دل بقرينة فدلالته بالقرينة حقيقة المعنى الآخر. فهو حقيقة في الحالين"، ينظر: روائع التفسير، لابن رجب، السلمي: (٢/ ٢٢٥).

(١٥٦) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي. (١/ ٢٧٣). البحر المحيط، لأبي حيان: (١/ ١٩٦)، (١/ ٣٧١).

(١٥٧) ينظر: الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله، لابن تيمية: (ص: ٧). المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار، د. عبد العظيم المطعني: (ص: ٩).

(١٥٨) ينظر: الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله، لابن تيمية: (ص: ٧). المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار، د. عبد العظيم المطعني: (ص: ٩).

(١٥٩) البحر المحيط، لأبي حيان: (١/ ٦٢٣).

(١٦٠) قال في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٦٠]: "المشرب هنا مكان الشرب وجهته التي يجري منها

الماء. وحمله بعضهم على المشروب وهو الماء، والأول أولى، لأن دلالاته على المكان بالوضع، ودلالاته على الماء بالمجاز، وقيل: هو الماء



وخالفه تلميذه السمين الحلبي وغيره في جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز وحمل اللفظ المشترك على أكثر من معنى فقال: "فليزِم استعمالُ المشترك في معنياه أو الجمعُ بين الحقيقة والمجاز، وكلاهما مقولٌ به" (١٦١). وعارض ذلك ابن جزي الكلبي فقال: "ولا يجوز استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين" (١٦٢).

والمسألة خلافية بين القبول المنع (١٦٣) والتوسط (١٦٤)، قاله السمين الحلبي (١٦٥)، ونسب تجويزه الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧ هـ) إلى الإمام الشافعي وغيره (١٦٦)، وأجاز الطيبي بعض المواضع في حاشيته على الكشف (١٦٧). فمدار الاختلاف في أقوال العلماء يدور حول ماهية المجاز، وجواز استعماله في القرآن ومنعه، وعلى هذا الاختلاف تنوع استعمالهم للاحتتمالات المعنوية والحكمية المتنازع فيها بين الحقيقة والمجاز.

المطلب الثاني: الاختلاف في حمل مرجع الضمائر والأدوات ومدلولاتها:

للسياق أثر في تحديد مرجع الضمائر في الآية، فربما تعددت الضمائر واحتمل رجوعها إلى أكثر من متعلق، فتكون دلالة السياق كاشفة ومرجحة لما تعود عليه.

واتساق مراجع الضمائر واختلافها من القرائن التي يعتني بها المفسر عند ترجيح الأقوال المحتملة، وبيان معنى الآية، حيث يترجح من خلال السياق ملائمة الاحتمالات واتساقها أو ترجيح اختلافها، وقد اعتبر كثير من المفسرين اتحاد مرجع الضمائر من مستندات القول المقدم على غيره كما فعل الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾ [الشمس:

٣]، فقد أورد الاحتمالات والأقوال في هاء (جلاها) وأنها تحتل العود إلى الشمس، أو الدنيا، أو الظلمة، ثم رجح عودها إلى الشمس لاتساق الضمائر في سياق الآيات من أول السورة فقال: "والأول أولى لذكر المرجع، واتساق الضمائر" (١٦٨).

المطلب الثالث: الاشتراك اللفظي، والمعنوي في النص القرآني (١٦٩):

بعض النصوص القرآنية يمكن حملها على أكثر من وجه، ودلالة، وذلك لاشتراك معانيها، أو مدلولاتها، إما لاشتراك السياق أو لاشتراك الأصل الاشتقاقي للكلمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْتَغْنَ أَنْفُسَهُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فلفظ القروء لها دلالات تصريفية مختلفة، وكذلك دلالات تشريعية، فأما الصرفية، فإنه يقرأ بتحقيق الهمز، وتخفيفه، فيحتمل أن يكون الأول أصل، والثاني تخفيف له والأصل واحد.

ينبت منه الزروع والثمار، فهو رزق يؤكل منه ويشرب، وهذا القول يكون فيه من رزق الله، يجمع فيه بين الحقيقة والمجاز، لأن الشرب من الماء حقيقة، والأكل لا يكون إلا مما نشأ من الماء، لا أن الأكل من الماء حقيقة، فحمل الرزق على القدر المشترك بين الطعام والماء أولى من هذا القول "البحر المحيط، لأبي حيان: (٣٧١ / ١)

(١٦١) الدر المصون، للسمين الحلبي: (٣ / ٥٦٦).

(١٦٢) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي: (٢ / ١٠٦).

(١٦٣) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشف) (١٢ / ٤٤٣).

(١٦٤) فأجازوه في مواضع دون مواضع، ومنهم الشوكاني وغيره، ينظر: فتح القدير: (١ / ٥١٥، ٥٤١)، (٢ / ٣٩٣).

(١٦٥) ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي: (١ / ٣٣٣).

(١٦٦) السراج المنير، للخطيب الشربيني: (١٩١-٢٣، ٣٢٨).

(١٦٧) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشف) (١١ / ٥٦٢).

(١٦٨) ينظر: روح المعاني للألوسي: (١٥ / ٣٥٨).

(١٦٩) ينظر: الكشف والبيان، للتعلبي: (١ / ٢٧٣)، والدر المصون، للسمين الحلبي: (٢ / ٤٣٩)، والتفسير والمفسرون، د/ فضل عباس: (١ / ٢٦٤-٢٦٥).



والاحتمال الثاني: أن يكون المهموز غير المخفف على اعتبارهما أصليين مختلفين، الأول: بمعنى الوقت، سواء كان طهراً أو حيضاً، والثاني: بمعنى المكان والحوض الصغير^(١٧٠).

وأما الاحتمالات التشريعية ففي كون اللفظ يحتمل الطهر، ويحتمل الحيض، من جهة، ومن جهة أخرى يحتمل الحيض ويحتمل موضعه^(١٧١).

وهذا اللفظ وأشباهه مما أشكل حمله على وجه واحد، لعلتي الاشتراك اللفظي، والمعنوي، ومثله: ﴿لَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، قرئ: (يؤلون) بالهمز والتخفيف، فاحتمل اشتقاق المخفف من أصل الإيلاء، الذي بمعنى الحلف، أو من التولي، الذي بمعنى الإعراض من غير حلف، وقد ترتب على ذلك أثر كبير في الأحكام التشريعية المتعلقة بوجوب الكفارة في حال العود عن الإيلاء في المدة، من عدمه^(١٧٢).

المطلب الرابع: اختلاف القرائن، اللفظية، أو المعنوية^(١٧٣):

وهي على قسميها إما قرائن يدفع الاحتمال مجموعها دون أحادها^(١٧٤)، وقد يبعد الاحتمال فيحتاج إلى دليل في غاية القوة لدفعه، أو يقرب فيكفي أدنى دليل، أو يتوسط بين ذلك، إذ ليس أحد وجهي الاحتمال بأولى من الآخر، والأمر معقود على قوة القرينة، وضعفها، فصار طريقه الاجتهاد، والاستدلال بالأصول على ثبوتها بالحمل على الموافقة، أو إثبات حكم أحدهما^(١٧٥).

قال ابن نور الدين (ت: ٨٢٥هـ): "اعلموا أن القرائن المُخْتَفَةُ بالكلام- من قضايا الأحوال وموارد الخطاب ومقاصد الأقوال - تصرف الألفاظ عن حقائقها الموضوعية لها، ويكون بَيِّنًا عند من وقف على القرائن، مشكلاً عند من جهلها... وقصد المتكلم من أقوى القرائن التي يقل نقلها، ويكثر خفاؤها؛ مع كثرة لزومها للخطاب الذي لم يرد على سبب"^(١٧٦).

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

فهذا حصر بالنفي والإثبات، وظاهرها يوحي بأن الآية سيقى للحصر في المحرمات، وليس المراد ذلك، بل أراد جل جلاله بهذه الآية الرد على المشركين، الذين أحلوا ما حرم الله كالميتة والدم وغيرها، وحرّموا ما أحل الله من البحيرة والسائبة والحام وغيرها^(١٧٧).

(١٧٠) ينظر: القروء في القرآن، د/ ناجي الجبيري: (ص: ٢٥٠-٤٤).

(١٧١) ينظر: القروء في القرآن، د/ ناجي الجبيري: (ص: ٢٥٠-٤٤).

(١٧٢) ينظر: معنى الإيلاء ودلالاته الحكمية في ضوء اختلاف القراءات القرآنية (دراسة تحليلية)، د/ ناجي حسن صالح علي الجبيري، الناشر: مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، اليمن، العدد:

(١٥)، أكتوبر، ٢٠١٩م: (ص: ١١١-١٤٦).

(١٧٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢/ ٢١٤).

(١٧٤) ينظر: قواعد الأصول ومعاهد الفصول، عبد المؤمن القطيعي: (ص: ٩٥-٩٦).

(١٧٥) ينظر: الفصول في الأصول، للجصاص: (١/ ٢٠٠)، (٢/ ٢٩٣).

(١٧٦) تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين: (١/ ٩٨-١٠١).

(١٧٧) ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين: (١/ ٩٨-١٠١).



فرد عليهم بالخطاب المتضمن للنفي والإثبات ليكون أبلغ في الرد، قال ابن نور الدين: "فكأنه قال: قل لا أجد حراماً إلا ما حلتّموه، ولا أجد حلالاً إلا ما حرمتّموه، وأكده بالنفي والإثبات، ولم يقصد حقيقة النفي والإثبات مطلقاً، ولو قصد ذلك، لوجب أن يحل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، وغير ذلك من الخبائث، وقد نهى عنه صلى الله عليه وسلم" (١٧٨).

وهذا كثير في القرآن والسنة لا يدركه إلا الراسخون في العلم، ومنهم من قصر الألفاظ على أسبابها ومنهم من أطلقها، فمن أطلقها فقد احتج بأن أكثر أحكام الشرع وردت على قضايا وأسباب، ولم تخص بها أسبابها، ولم تقصرها عليها، كآية القذف واللعان والظهار، وغير ذلك (١٧٩).

والظاهر أنه ينبغي للمفسر أن ينظر في قرائن الألفاظ، وشواهد الأحوال، فإن لم يجد ما يدل على تعديّة الحكم، أو قصره، نظر في القرائن - الأدلة الخارجة - فإن لم يجد فتبقى الألفاظ على حقائقها (١٨٠).

المطلب الخامس: الاختلاف في مفهوم الوجوه والنظائر ومدلولاتها:

يقول الزركشي في البرهان، معرفاً الوجوه والنظائر والفرق بينهما: "فالوجوه، اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة، والنظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني، وضَعَفَ؛ لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً آخر كالأمثال" (١٨١).

فأما الألفاظ المشتركة فيعني بها: "الألفاظ المتحدة، الدالة بالوضع المتساوي على مسميات مختلفة بالحقيقة، كلفظ العين الدال على عين الماء، والذهب، والعضو الباصر" (١٨٢).

فجعل الوجوه بمعنى اللفظ المشترك على اعتبار أن اللفظ الواحد تتعدد استعمالاته في القرآن دون أن تكون هنالك علاقة واضحة - في الظاهر - بين المعاني المختلفة التي استعمل فيها، مثل (الأمة) فقد ذكروا في معانيها أن لها تسعة وجوه أو معاني، وهي: العصبية، والملة، والسنين، والقوم، والإمام، والأمم الخالية، وأمة محمد خاصة، وأمة محمد الكفار منهم خاصة، والخلق (١٨٣).

وأما النظائر فجعلوها كالألفاظ المتواطئة، وعرفوها بأنها: (الألفاظ المتحدة، الدالة على مسميات مختلفة بالحقيقة باعتبار معنى مشترك بينهما) (١٨٤).

كدلالة الحيوان، فإنه يدخل في معانيه: الإنسان، والفرس والطائر، فالتواطؤ في اللفظ هو عبارة عن اتفاق مسميات مختلفة على الاشتراك في اللفظ وفي معنى معين كالحيوانية في المثال السابق بالنسبة للإنسان، والفرس والطائر.

وأما حاجي خليفة فذهب إلى خلاف ما ذهب إليه الزركشي، فهو يرى أن معنى الوجوه والنظائر: (أن تكون كلمة واحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، أريد بها في كل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل

(١٧٨) تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين: (١/ ٩٨-١٠١).

(١٧٩) ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين: (١/ ٩٨-١٠١).

(١٨٠) ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين: (١/ ١٠٠-١٠١).

(١٨١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (١/ ١٠٢).

(١٨٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (١/ ١٠٢).

(١٨٣) ينظر: التصارييف لتفسير القرآن مما اشتهت أسمائه وتصرفت معانيه، لابن سلام: (ص: ١٧-٢٤).

(١٨٤) ينظر: التصارييف، لابن سلام: (ص: ١٧-٢٤).



كلمة ذكرت في موضع نظير للكلمة المذكورة في الموضع الآخر، هو النظائر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى، هو الوجوه، فإذا النظائر اسم الألفاظ، والوجوه اسم المعاني^(١٨٥).

فالفرق بين الزركشي وبين حاجي خليفة في تعريف النظائر يتمثل في أن الأول قد سلك في تعريفها سبيل المناطقة، مراعيًا الاتفاق المعنوي بين الألفاظ، إلى جانب الاتفاق اللفظي، بينما عمد حاجي خليفة إلى اعتبار التشابه اللفظي فحسب^(١٨٦).

ولا حاجة في الخوض في نزاع العلماء واصطلاحهم في مسميات الوجوه والنظائر وما يلحق بهما، إذ الغاية هنا إنما تقرير وجود التنوع والاختلاف في تفسير معاني القرآن ومفرداته باعتبار الاختلاف في وجوه الألفاظ ونظائرها، وحمل ألفاظ القرآن على معاني هذه الوجوه والنظائر وملائمتها لذلك الحمل من عدمه.

المطلب السادس: اختلافهم في معاني الأضداد:

الأضداد نوع من المشترك اللفظي؛ ولذلك أشار إليه بعض الأصوليين ضمن مبحث المشترك، وقد نقل السيوطي عنهم وعن اللغويين ما يتصل بالأضداد، وعدّ ابن فارس الأضداد من سنن العرب التي تحدث، كاستعمالهم القروء: للظهر، والحيض^(١٨٧).

وقد حاول بعض العلماء تصنيف الألفاظ باعتبار دلالتها على المعاني، واتفاقها أو اختلافها، وتقاربها أو تباعدها، وسماه ابن فارس أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق.

وقد أورد السيوطي عددا كبيرا من الأمثلة للتضاد نقلا عن كتب اللغة، ثم نقل كثيرا من الأقوال في مبحثه عن كتاب الأضداد لأبي بكر بن الأنباري^(١٨٨).

وقد استعمل كثير من المفسرين لفظ الأضداد في تفاسيرهم وأطلقوها على بعض المعاني التي يحتمل المعنى فيها معنى يعاكس اللفظ الظاهر المتبادر إلى الذهن، كالشفق، للحمرة والبياض^(١٨٩)، والإسرار في قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا

رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُتِنَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤]، أي: أظهروا، قال الماوردي: "وهو من الأضداد، يقال: أسررت الشيء: أخفيتّه وأظهرته"^(١٩٠).

وقد أشار الطبري إلى سعت الاختلاف في معاني الأضداد واحتجاج المفسرين لها، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥]، ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ من الإخفاء، وقيل: من الإظهار، فحملوها على المعنيين واختلفوا في ذلك لاحتمال اللفظ.

(١٨٥) نسب هذا القول لحاجي خليفة، محقق كتاب التصريف، لابن سلام: (ص: ٢٠)

(١٨٦) التصريف، لابن سلام (ص: ٢٤-١٧)

(١٨٧) ينظر: القروء في القرآن، د/ ناجي البجيرى: (ص: ٢٥-٤٤)

(١٨٨) الكشف والبيان، للعلبي: (١/ ٢٧٣-٢٧٤).

(١٨٩) ينظر: جامع البيان، للطبري: (٢٤/ ٣١٨).

(١٩٠) تأويلات أهل السنة، للماتريدي: (٨/ ٤٥٠).



قال الطبري: " فإن قال قائل: ولم وجهت تأويل قوله: ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ -بضم الألف- إلى معنى: أكاد أخفيها من

نفسه، دون توجيهه إلى معنى: أكاد أظهرها، وقد علمت أن للإخفاء في كلام العرب وجهين: أحدهما الإظهار، والآخر الكتمان، وأن الإظهار في هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام، إذ كان الإخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه، إذ كان محالاً أن يخفي أحد عن نفسه شيئاً هو به عالم، والله تعالى ذكره لا يخفي عليه خافية؟ قيل: الأمر في ذلك بخلاف ما ظننت، وإنما وجهنا معنى (أخفيها) -بضم الألف- إلى معنى: أسترها من نفسي؛ لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب: الستر، يقال: قد أخفيت الشيء: إذا سترته، وأن الذين وجهوا معناه إلى الإظهار، اعتمدوا على بيت لامرئ القيس ابن عابس الكندي^(١٩١).

فهذا كلام الطبري بطوله ونصّه يبيّن سعة الاختلاف في معاني الأضداد في القرآن الكريم، واعتماد كلا المتعارضين في معانيها على لسان العرب واستعمالها، وعلى مدلولات النصوص واحتمالية المعاني. ويرى أكثر اللغويين أن اللفظ -المتضاد- إذ استعمل بمعنيين متضادين سبق لها أن استعملت في أحدهما فقط ثم استعملت للدلالة على المعنى الآخر في عصر تال، فعرف لها الاستعمالان، فإنه لا بد أن يكون قد اعتراه تغير دلالي، أي: أنهم يفرقون بين اللفظين من جهة المعنى والدلالة^(١٩٢).

المبحث الثالث:

المسوغات والبواعث المنهجية (وجوه الاستدلال)، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: حمل دلالات النصوص، ومعانيها على العموم، والخصوص:

العام والخاص من أوسع أبواب لغة العرب مجالا، وأكثرها استعمالا، والكلام فيه يستدعي معرفة ألفاظهم، وكيفية استعمال العرب للعام، وتصرفها فيه، ومعرفة أساليبهم في التخصيص، ولوازم ترتيب العام على الخاص، وعكسه^(١٩٣). فمن ذلك: أنهم قد يأتون باللفظ عاما ظاهرا، ويريدون به العام الظاهر، ولا خصوص فيه، أو عاما ظاهرا يعرف منه العموم، ويدخله التخصيص، أو عاما ظاهرا يعرف منه أنه يراد به الخاص، وقد يأتون بلفظين متصلين، ويكون أحدهما خاصا، والآخر عاما، أو على سبيل ترتيب ذكر العام في أول الكلام، والخاص في آخره، أو بعكسه^(١٩٤)، فهذه صور ما اتضحت دلالاته وتبين وجهه، والاحتمال لهذا أو ذاك متعلق بالقرينة وما دلت عليه.

وأما المتعارض، فهو ما احتمل وجوها عدة، ودلالات مختلفة، وهو موضع حديثنا هنا، ومعرفته مهمة عند أهل العلم، وبسببها تتفاوت العلماء في درجاتهم، ولا يقع التعارض إلا بثلاثة ضوابط، التساوي في الثبوت، وفي القوة، والاتحاد في الموضوع والمحل والزمان^(١٩٥)، وإلا فلا تعارض، ولا مساع للاحتمال.

فإن تعارض العام والخاص، فدلائل ذلك ومؤداه من لوازم القول بالتفسير الاحتمالي للنص القرآني، فكثيرا ما يغلب التنازع بين المعاني بين عموم الدلالات وخصوصها، وبواعث ذلك انتفاء القطعية، وإعمال الرأي والاجتهاد.

(١٩١) جامع البيان، للطبري: (٢٨٧ / ١٨).

(١٩٢) ينظر: جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، طاهر حمودة: (ص: ٢٩٠).

(١٩٣) ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين: (١ / ٤٧ - ٥٤).

(١٩٤) لمزيد من البسط والتمثيل، ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين: (١ / ٥٤-٥٨).

(١٩٥) ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين (١ / ١٠٩-١١٢) وبعدها.



قال مناع القطان في احتمال دلالة العام والخاص: "...وقد يجتمع للحكم التشريعي خصائص تجعله عامًا يشمل كل الأفراد، أو ينطبق على جميع الحالات، وقد يكون لذلك القصد غاية خاصة، فالتعبير عنه يتناول بعمومه الحكم ثم يأتي ما يبين حده أو يحصر نطاقه" (١٩٦).

وأما إن تعارض النصان فمن ضرورة تعارضهما ولوازمه أنه لا يقع إلا في وقتين؛ أحدهما بعد الآخر، وحكم ذلك أن ينسخ الأول بالثاني، والنسخ واقع في الكتاب والسنة، وفي هذه الحال لا يدخل الاحتمال إلا في حال تعذر بيان النسخ، فإن تعذر تبيينه وقع الاحتمال وانصرف الكلام إلى القرينة والشواهد (١٩٧).

المطلب الثاني: الاختلاف في النسخ والمنسوخ:

الاحتجاج بالنسخ على المنسوخ على وجهين:

الأول: الدلالة القطعية على النسخ، وهنا لا مدخل للاحتمال في معاني هذه النصوص ومدلولاتها، إلا ما احتوته النصوص من دلالات الاحتمال اللغوي، والنحوي، والبياني، وما يلحق بها، من شواهد القرآن على اللغة (١٩٨).
والثاني: ظنية النسخ وعدم قطعيتها، لعدم قطعيتها الدلالة، أو لعدم صحة الإسناد، أو لضعفه، أو لعمومه وإطلاقه، فهنا مدخل الاحتمال واسع، والتعارض بين النصوص ومدلولاتها وارد (١٩٩).

المطلب الثالث: تنوع المعاني بين مآثور منقول، ومسكوت عنه:

تنوعت التفسيرات المنقولة إلينا بين مآثور مجزوم بقطعيتها ودلالاته، أو مجزوم بقطعيتها، مُختلف في دلالاته، أو العكس، أي: مجزوم بدلالاته دون قطعيتها، وبين تفسيرات احتملت معان لها أكثر من وجه، ولم يرد فيها نص، ولم يثبت لها إجماع، واحتيج في بيان معانيها وأحكامها إلى الاجتهاد.
ومظنة الاحتمال في هذا الصنف من التفسير -بالرأي المحمود (٢٠٠)- تنوع الدلالات والقرائن وقدرات المفسرين على استقرارها واستنباط مكنوناتها.

والظاهر أن مواقف المفسرين من التفسير يتغير بتغير النصوص القرآنية التي هي محل الاجتهاد والاختلاف بنوعيه - تنوع وتعارض - فالأمر فيها وارد ومستساغ، وأما ما جاء به النص المآثور، الصحيح، القطعي، أو المجمع عليه، فإن الأمر فيه مجزوم، والأول إلى قول من ذهب من السلف محسوم، فهم أهل السبق والعلم والفضل.
وهذه العلة من أبرز المسوغات العلمية التي احتج بها من جوز القول بالاحتمال في تفسير بعض النصوص القرآنية التي سكت عنها النبي عليه الصلاة والسلام، ولم يسأله عنها أصحابه رضوان الله عليهم، كفواتح السور، وكثيرا من النصوص المتعلقة بصفات المولى جل جلاله، وغيرها من النصوص التي وردت من غير ذكر تفصيلها، سكت الشارع عنها لحكم يعلمها الله، كأسماء الأنبياء وما يتعلق بهم، وبعض ما ذكر من قصصهم، وذكر أحوال أشخاص لم يسمهم، ونحو ذلك وهو كثير.

وهذا الصنف من التفسير بعضه جاءت السنة القطعية ببيانه، ومنه ما سكتت عنه، فاشتغلت العقول بتتبعه ومحاولات تبيينه وتفصيله، وللعلماء في ذلك مناهج وأصولا ساروا عليها، وكلا وافق الصواب وجانبه، بقدر علمه ومبتناه.

(١٩٦) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (ص: ٢٢٦).

(١٩٧) ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين: (١/ ١٠٩-١١٢) وبعدها.

(١٩٨) ينظر: الرسالة، للشافعي: (ص: ١٠٥-١١٣)، الفصول في الأصول، للجصاص: (٢/ ١٩٧-٢٥٣).

(١٩٩) الرسالة، للشافعي: (ص: ١٠٥-١١٣)، الفصول في الأصول، للجصاص: (٢/ ١٩٧-٢٥٣).

(٢٠٠) أما المذموم فلا شك في عدم جواز تأتم فاعله ومتقوله، ولذلك لم ألق إليه بالا هنا.



غير أن الشاهد هنا أن مرجع القول في هذه النصوص هو الاجتهاد، وإعمال العقل في بعضها لاحتمالها أكثر من معنى؛ بناءً على مسوغات وخصائص النصوص القرآنية، التي أسلفنا ذكرها.

وأما بعض المسكوت عنه فالأسلم فيه التزام مذهب أئمة السلف من الصحابة رضوان الله عليهم، والسكوت عنه، والإيمان بظواهر النصوص، وترك النزاع والاختلاف فيها، فما وسع الصحابة رضوان الله عليهم يسع غيرهم. والله أجل وأعلم.

المطلب الرابع: الاختلاف في أسباب النزول:

بيان أسباب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصّل للصحابة لمشاهدتهم التنزيل، ومعايشتهم للوقائع، فهذا القسم لازم العمل به، وحمله على ما حمله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا ما خالف الدلالات القطعية الثبوت، أو اكتسب الظنية من جهة عدم التصريح^(٢٠١).

وأما من عداهم -الصحابة- فإن تفسيره للآيات والوقائع بأسباب النزول لا يسلم من الاحتمال والظن، ولذلك فإن الاختلاف يكمن في جواز التفسير الاحتمالي بسبب النزول من عدمه، وهل هو توقيفي أم اجتهادي، وفي الأسباب هل هي صحيحة أم لا، وهل هي خاصة أم عامة، وهل هي مطلقة أم مقيدة، وهل هي ناسخة أم منسوخة، وهل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب^(٢٠٢).

ويرى ابن عاشور أن أسباب النزول ما هي إلا مناسبات، لا أسباب حقيقية، وإن سميت أسباباً على طريقة التسامح والتجاوز^(٢٠٣).

وأكثر المفسرين يعتبرون أسباب النزول عمدة من أعمدة التفسير، بل إن الصحابة والتابعين إنما بنوا أقوالهم في التفسير على ما شاهدوه من أسباب النزول.

إلا أن بعض المفسرين كالدهلوي (ت: ١١٧٦ هـ)، وآخرون كان لهم رأي مخالف، حيث ذهبوا إلى أن أكثر أسباب النزول لا مدخل لها إلى فهم معاني الآيات اللهم إلا الشيء القليل^(٢٠٤).

واحتجوا لذلك بأن ما أفردته محمد بن إسحاق^(٢٠٥)، والواقدي^(٢٠٦)، والكلبي^(٢٠٧)، وغيرهم، وما ذكروه تحت كل آية من قصص في أسباب النزول أكثره غير صحيح عند المحدثين، وفي إسناده نظر، وقالوا بأنه من الخطأ البين أن يعد ذلك من شروط التفسير^(٢٠٨).

(٢٠١) ينظر: الفوز الكبير، للدهلوي: (ص: ١٧٥-١٧٧).

(٢٠٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١/ ٤٦).

(٢٠٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١/ ٤٦-٥٠).

(٢٠٤) ينظر: الفوز الكبير في أصول التفسير، للدهلوي: (ص ٣١-٣٢).

(٢٠٥) هو: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب، سكن المدينة، له (السيرة النبوية) هذبها ابن هشام، و(كتاب الخلفاء) و(كتاب المبدأ). وكان قديراً، ومن حفاظ الحديث. قال ابن حبان: "لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقاً للأخبار" توفي (١٥١ هـ - وقيل بعدها)، ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٧/ ٣٣-٥٧). الأعلام، للزركلي: (٦/ ٢٨).

(٢٠٦) هو: محمد بن عمر بن واقد السهمي، الواقدي، من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. له مصنفات كثيرة، توفي (٢٠٧ هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٩/ ٤٥٤-٤٦٩). الأعلام، للزركلي: (١١/ ٦).

(٢٠٧) هو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو، الكلبي، أبو النضر: نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، من أهل الكوفة، مولده ووفاته فيها، صنف كتاباً في (تفسير القرآن)، قال النسائي: "حدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير، وأما في الحديث ففيه مناكير". قال الذهبي: "متروك الحديث"، وقيل: كان سبئياً، ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٦/ ٢٤٨). الأعلام، للزركلي: (٦/ ١٣٣).

(٢٠٨) الفوز الكبير، الدهلوي: (ص ٣١-٣٢). العجائب في بيان الأسباب، لابن حجر العسقلاني: (١/ ٩٣-٩٩).



قال الدهلوي: "وقد تبين من هنا أن للاجتهاد مدخلا في هذا القسم الثاني^(٢٠٩) من أسباب النزول، وأنه يتسع لإيراد القصص المتعددة، فكل من يستحضر هذه النكته، يستطيع أن يعالج اختلافات أسباب النزول بأدنى نظرة وتأمل"^(٢١٠). ومن مداخل الاحتمال إلى التفسير من هذا الباب -الاختلاف في أسباب النزول- أيضا: الاختلاف في الصيغ التي استعملها العلماء في ذكر سبب النزول واحتمالها للاشتراك في السبب أو تفرده، أو نحو ذلك من الأسباب التي أدت إلى تنوع الدلالات^(٢١١).

والذي يظهر لي أن بين القولين خصوص وعموم ومتعلق ذلك كله يرجع إلى دلالة الأسباب القطعية، أو الظنية، فما ثبت قطعا، سنداً ودلالة، فلا شك في أهميته في الترجيح بين المعاني والأحكام ودلالاتها الاحتمالية، وأما المختلف في قطعيته فلا شك أنه كغيره من النصوص، محل اجتهاد، والفصل فيه للشواهد والقرائن، فإن تعذر ذلك بقي الاحتمال على بابه إلى أن يتبين الدليل، والله أدرى أعلم.

المطلب الخامس: أسباب خاصة بالنصوص من حيث قابلية النصوص القرآنية للاحتتمالات المعنوية، والشرعية: حيث وقع بعض المفسرين في إشكال عند تفسير بعض الآيات والنصوص القرآنية فحملها جميعا على وجه واحد من التفسير، ولم يبق للاحتتمال والاختلاف أي مجال آخر، فخالف بذلك منهج الأئمة الكبار من العلماء المفسرين، ممن انتهجوا عدة طرق في التفسير منها التفريق بين النصوص المحكمة وما يتعلق بها من أحكام تشريعية تستلزم القطعية والوضوح -كما أسلفت سابقا- وبين نصوص ترك الشارع جل جلاله وتقديس أسماؤه باب العمل التفكري، والتدبر فيها مفتوح بابه ليهدي به ويثيب على ذلك من يشاء، ويضل به من يشاء، ومن ذلك التنوع النحوي واللغوي في القرآن وقبول عدة وجوه من الإعراب، وكذلك تنوع المعاني، واتساعها، وجواز حملها على عدة وجوه منها المتكامل، ومنها والمتقارب، ومنها ما يحتاج إلى ترجيح، ومنها المتعارض عند بعض المفسرين إن الجاز التعبير عنه بذلك^(٢١٢).

ومن ذلك اختلافهم في فهم مقاصد النصوص، التشريعية، والنصوص التكوينية المتعلقة بخلق السموات والأرض وما فيها من الأجرام المحسوسة وغير المحسوسة، وما في ذلك من دلالة الإشارات الإعجازية التي ذكرها القرآن، كفتق السموات عن الأرض، ومرج البحرين، وخلق الإنسان والنبات وما فيها من العجائب، وكل هذه النصوص وما يلحق بها مما شابهها، ما زالت موضع دراسة وتحقيق وتدقيق، إضافة إلى ما اشتملته من المعاني الظاهرة التي أسهب المفسرون - المتقدمون والمتأخرون- في تفصيلها واستخراج ما فيها من العبر والعظات، غير أن ما فيها من التنوعات المعنوية والدلالية العلمية التجريبية خصها بمزيد تنوع لاحتمالها ما كان من المعاني وما يستجد، فكان لا بد من التفريق بينها وبين غيرها من النصوص والدلالات التشريعية، القطعية^(٢١٣).

المطلب السادس: سمات خاصة بالمفسرين، والعلماء من حيث التباين في القدرات البلاغية، واللغوية، واستنباط الدلالات ومقاصد النصوص:

فمنهم من اعتمد في تفسيراته على المأثور من التفسير، ولم يخرج عنه بحال إلا ما ندر، وهؤلاء حصروا معاني القرآن في المأثور، ولم يتجاوزوه^(٢١٤).

(٢٠٩) القسم الأول يريد به ما ثبت عن الصحابة مما هو قطعي الثبوت والدلالة، ينظر: الفوز الكبير، للدهلوي: (ص: ١٧٥-١٧٧).

٢١٠ الفوز الكبير، للدهلوي: (ص: ١٧٥-١٧٧).

٢١١ الفوز الكبير، للدهلوي: (ص: ١٧٥-١٧٧).

(٢١٢) ينظر: تفسير مقاتل: (٦٤/٥)، تفسير الشافعي: (١/٤٩٦).

(٢١٣) ينظر: نزج الثور في تفسير الأبي والسور، للجرجاني: (٥٠/٢)، مصاعد النظر، للبقاعي: (٢٤٤/٣).

(٢١٤) ينظر: مقدمة الكشاف، للزمخشري: (٢-١/١)، التفسير والمفسرون، د/ محمد حسين الذهبي: (١/١٨٩-١٩٢).



ومنهم من اعتمد اللغة والعقل وتجرد لذلك -التفسير- بذلك -بالعقل- وأعمله في المأثور وغيره، فيما ورد في النص المأثور بنوعيه قطعي الثبوت والدلالة، أو الظني أو في أحدهما، أو كليهما.

ومدار التسويغ والتفريق بين مذاهب العلماء واعتبارهم للقول بالتفسير الاحتمالي إنما هو في قدرات العلمية من التحصيل، والتحرير، والتدقيق في المسائل المختلف فيها، وقدراتهم على جمع المأثور وتحقيقه، وتصحيحه، وفهم مقاصده ومدلولاتها، واختلاف قدراتهم اللغوية وبروعهم فيها، ومنازلهم في ذلك، ولا شك أن ذلك مُدْرِكٌ ومَلْمُوسٌ من خلال تفاسيرهم، ومواقفهم من التفسير والتأويل عموماً، ومن التفسير الاحتمالي للنص القرآني، خصوصاً.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات على ما أعان ووفق، وقبل أن تطوى هذه الصفحات -التي قضيت في تصنيفها أوقاتاً متيعة في رحاب هذا القسم من تفسير القرآن الكريم- أحببت أن أدون ما رأيت أنه جدير بالوقوف عليه من أبرز النتائج والتوصيات التي خلّصت إليها، وهي كالآتي:

أولاً: النتائج:

- ١- كان لخصائص النصوص القرآنية، ومقاصدها الدلالية، واحتمالها لأكثر من وجه أثر كبير في تجويز القول بالتفسير الاحتمالي للنص القرآني.
- ٢- برزت أهمية القول بجواز العمل بالتفسير الاحتمالي للنص القرآني من خلال عدة مسوغات وبواعث ألجأت المفسرين والفقهاء للعمل به، وإن اختلفت مواقفهم منه.
- ٣- تنوعت البواعث والمسوغات العلمية الداعية إلى تقرير التفسير الاحتمالي للنص القرآني بين بواعث ومسوغات أصولية متعلقة بخصائص النص القرآني، وبين بواعث ومسوغات لغوية، وأخرى منهجية استدلالية.
- ٤- يمكن الاستفادة بشكل كبير وموسع من التنوع الاحتمالي لمعاني ودلالات النص القرآني على اعتباره المصدر الأول للتشريع؛ وذلك من خلال تقليل نسبة الاختلاف في مدلولات المعاني والأحكام الظنية الاجتهادية، وحملها على محاسنها بقدر ما يحتمل الدليل ويمتنع.

ثانياً: أهم التوصيات والمقترحات:

هذا ويوصي الباحث بالآتي:

- ١- دراسة خصائص النص القرآني الاحتمالي، ومقاصده المعنوية، والدلالية.
- ٢- دراسة القواعد الأصولية المتعلقة بالتفسير الاحتمالي للنص القرآني، واستقراء ضوابطها، وحدودها.
- ٣- التفسير الاحتمالي للنص القرآني قسم من أقسام التفسير، وفرع من فروعها؛ ولم يزل بحاجة إلى كثير بحث ودراسة.



المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- الاجتهاد، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، إمام الحرمين (ت: ٤٧٨ هـ)، تحقيق: د/ عبد الحميد أبو زنيد، الناشر: دار القلم، دار العلوم الثقافية - دمشق، ١٤٠٨ هـ.
- الأحرف السبعة للقرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤ هـ)، تحقيق: د/ عبد المهيم طحان، الناشر: مكتبة المنارة - مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨ هـ.
- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- أحكام القرآن، عبد المنعم بن عبد الرحيم، المعروف (بأبن الفرس الأندلسي) (ت: ٥٩٧ هـ)، تحقيق: طه بن علي بو سريح، وآخرون، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (ت: ٥٠٤ هـ)، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ.
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (ت: ١٤٠٣ هـ)، الناشر: مكتبة السنة، الطبعة: الرابعة.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣ هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠ هـ)، تحقيق ودراسة، د/ محمد بن عبد الرحمن الشقيف، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي (ت: ١٣٩٦ هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- الإكليل في المتشابه والتأويل، أحمد بن عبد الحلیم، ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد الشيمي شحاته، الناشر: دار الإيمان، الإسكندرية - مصر.
- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، تحقيق: د/ محمد محمد تامر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- البحر المحيط، لأبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ): ج ١ ص ١٢١، دراسة وتحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ)، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١ هـ)، تحقيق: د/ عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
- التصاريح لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠ هـ)، قدمت له وحققته: هند شلبي، الناشر: الشركة التونسية للتوزيع.
- التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٣٠ هـ.



- تفسير الشافعي، محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د/ أحمد بن مصطفى الفرّان، الناشر: دار التدمرية، السعودية، ط١، ٢٠٠٦م.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان بن بشير (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، د/ فضل حسن عباس الناشر: دار النفائس، الأردن، ط١، ٢٠١٦م.
- التفسير والمفسرون، د/ محمد حسين الذهبي: (ت: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.
- تقويم الأدلة في أصول الفقه، عبد الله بن عمر بن عيسى، الذبوسي (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: خليل محيي الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- تيسير البيان لأحكام القرآن، المؤلف: محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليميني الشافعي المشهور بـ (ابن نور الدين) (ت: ٨٢٥هـ)، بغاية: عبد المعين الحرش، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في درس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- درج الدر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) دراسة وتحقيق: (الفاطحة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحسين، (وشاركة في بقية الأجزاء): إباد عبد اللطيف القيسي، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الدر اللوامع في شرح جمع الجوامع، أحمد بن إسماعيل الكوراني، تحقيق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - السعودية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة، مصر، الطبعة: السادسة.
- الرسالة، للشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م.
- روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي (ت: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة - السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، ١٢٨٥هـ.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ.



- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكور، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١ - ١٤١٨ هـ.
- العجائب في بيان الأسباب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي.
- الغربيين في القرآن والحديث، أحمد بن محمد، أبو عبيد، الهروي (ت: ٤٠١هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ)، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- الفصول في الأصول، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- الفصول في الأصول، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص (ت: ٣٧٠هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي»، عرّبه من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي، الناشر: دار الصحوة - القاهرة، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للطبعة الأميرية، ١٣٠١ هـ.
- قانون التأويل، محمد بن عبد الله، ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: محمد السليماني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١، ١٩٨٦ م.
- القروء في القرآن دلالاته التفسيرية والحكمية في ضوء اختلاف القراءات القرآنية (دراسة تحليلية)، د/ ناجي حسين صالح علي الحيري، الناشر: مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، جامعة: تعز، اليمن، العدد: (٩)، المجلد: (٤)، أبريل، ٢٠٢٠ م.
- القطعية من الأدلة الأربعة، محمد دمبي دكوري، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- قواعد الأصول ومعاقد الفصول مختصر تحقيق الأمل في علمي الأصول والجدل، عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي (ت: ٧٣٩هـ)، ومعه حاشية نفيسة: لمحمد جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢ هـ)، تحقيق: د/ أنس بن عادل اليتامي، د/ عبد العزيز بن عدنان العيدان، الناشر: دار الراكز - الكويت، دار أطلس الخضراء، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.
- كتاب الإيمان ومعالمة، وسننه، واستكمالها، ودرجاته، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد نصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر، أبو القاسم، الزمخشري، الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: دار التفسير، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: دار التفسير، السعودية، ط١، ٢٠١٥ م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين، ابن منظور، الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.



- لمعة الاعتقاد، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار، د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، طبعة مُدَقَّقة كاملة التشكيل، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، ١٩٨٩م.
- مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ، وَيُسَمَّى: (الْمَقْصِدُ الْأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلْمُسَمَّى)، إبراهيم بن عمر، أبو بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- المطلع على ألفاظ المقتع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلبي (ت: ٧٠٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار، الناشر: عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- معنى الإيلاء ودلالاته الحكمية في ضوء اختلاف القراءات القرآنية (دراسة تحليلية)، د/ ناجي حسن صالح علي اليحييري، الناشر: مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، اليمن، العدد: (١٥)، أكتوبر، ٢٠١٩م.
- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- مُوسُوعَةُ الْقَوَاعِدِ الْفَقْهِيَّةِ، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن يوسف، أبو الخير، ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) تحقيق: علي محمد الضباع، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية).
- نهاية الوصول في دراية الأصول، صفى الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (ت: ٧١٥هـ)، تحقيق: د/ صالح بن سليمان اليوسف، د/ سعد بن سالم السويح، الناشر: المكتبة التجارية بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الوجوه والنظائر، الحسن بن عبد الله، العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.



مبدأ التسامح في الإسلام وشهادة المستشرقين حوله "الأندلس نموذجاً"

أ. أفراح حاسن فائز اللهبي - باحثة في الدراسات الإسلامية - المملكة العربية السعودية

Email: Af.alluhibi@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز التسامح بوصفه فضيلة دعا إليها الإسلام، وحرص المسلمون على تطبيقها، وقد عرض البحث لمفهوم التسامح في اللغة، والمدلولات اللفظية في مصدري الشريعة الإسلامية - الكتاب والسنة - وضوابط التسامح في الإسلام، مع تسليط الضوء على الفرق بين التسامح في الإسلام والتسامح عند الغرب، وذكر أبرز نماذج التسامح الديني لمسلمي الأندلس مع غيرهم، وتأييد ذلك بذكر بعض أقوال المستشرقين حول ذلك، ثم خُتم البحث بعدد من النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية:

الإسلام، التسامح الديني، الغرب، السماحة، الاستشراق، الأندلس، ضوابط، إحسان، عدل.

Summary

This research aims to highlight tolerance as a virtue advocated by Islam, and Muslims are keen to apply it. this research presented the concept of tolerance in the language, also refer to the verbal connotations in the two sources of Islamic law- Quran and Hadith- and controls of tolerance in Islam, and Highlighting the difference between tolerance in Islam and tolerance in the West, With mentioning the most prominent examples of religious tolerance of the Muslims of Andalusia with others, And support this by mentioning some of the sayings of the orientalist on this matter. Then conclude the search with several results that reach in this study.

key words:

Islam, religious tolerance, the West, tolerance, Orientalism, Andalusia, regulations, foundations, charity, justice, principle.



المقدمة:

إن ما يميز ديننا الإسلامي اتصافه بالعالمية والشمولية التي تعني صلاحيته لكل زمان ومكان، فهو منهج متكامل، اهتم بمختلف جوانب الحياة البشرية، حيث اهتم بالعقيدة والأخلاق والمعاملات وغيرها من المجالات. ومن تلك المبادئ التي حرص الإسلام على إرسائها والترغيب فيها: مبدأ التسامح، هذا المبدأ الذي أنزلت من أجله آيات عديدة، والتزم به قدوة هذه الأمة رسول الله ﷺ وصحابته، رضوان الله عليهم من بعده. ولا تختص هذه السماحة بالمسلمين فيما بينهم فقط؛ بل تشمل أهل الأديان الأخرى، ويتجلى هذا الأمر كثيراً فيما يتعلق بالفتوحات الإسلامية.

وتكمن أهمية البحث في التعبير عن مفهوم التسامح وأساسه وضوابطه، مع ذكر نماذج لتسامح المسلمين مع غيرهم من أهل الملل في الأندلس، ودحض الشبهات التي أثيرت ضد الفاتحين وتسامحهم، وذلك بذكر شهادة المُنصفين من الغربيين حول تسامح الإسلام وأهله في الأندلس.

مفهوم التسامح في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: عرّف ابن منظور التسامح بمدلولين، الأول بمعنى الجود والكرم، قائلاً: "والسماحُ والسماحة: الجود... يُقال: سمح واسمح: إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء" (٢١٥). والآخر بمعنى التساهل، فيقول: "فالمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا" (٢١٦).

الاصطلاح:

تعددت التعاريف التي ذكرها العلماء والكتّاب لتحديد مفهوم التسامح، حيث يُعرّف المودودي التسامح بقوله: "نتحمّل عقائد غيرنا وأعمالهم على كونها باطلة في نظرنا، ولا نطن فيهم بما يؤلمهم؛ رعاية لعواطفهم وأحاسيسهم، ولا نلجأ إلى وسائل الجبر والإكراه لتصريفهم عن عقائدهم أو منعهم مما يقومون به من الأعمال" (٢١٧).

أما الدكتور النبهان فيرى أن التسامح هو: "التساكن والتعايش في إطار رؤية إسلامية تحترم حق الآخر في الرأي والعقيدة والفكر" (٢١٨).

المدلولات اللفظية للتسامح في القرآن والسنة:

١) القرآن الكريم:

لم يرد لفظ التسامح في القرآن الكريم بشكل صريح؛ لكن هناك مدلولات وردت تدخل في معناه، كالعفو والصفح في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢١٩).

(٢١٥) ابن منظور: لسان العرب، ٤٨٩/٢.

(٢١٦) ابن منظور: لسان العرب، ٤٨٩/٢.

(٢١٧) المودودي: الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ص ٣٩٤٠.

(٢١٨) محمد النبهان: مفهوم التسامح في إطار الرؤية الإسلامية، مجلة المنهل، العدد ٥١٨، المجلد ٥٦، ربيع أول ١٤١٥ هـ، ص ٢٢.

(٢١٩) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.



وقوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٢٠).

وقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢١).

كما ورد السماح بمعنى الإحسان في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢٢٢).

فالتسامح إذاً يدخل في مضمونه الصفح والعفو والإحسان، ويقابله التعصّب والتطرّف والغلو، وهي سمة إنسانية اختص بها الإسلام دون سائر الأديان (٢٢٣).

٢) السُّنَّة النبوية:

هناك العديد من الأحاديث التي تحتّ على التسامح وتدعو إليه، منها:

قوله ﷺ: "إني أرسلت بحنفية سمحة" (٢٢٤).

وقوله ﷺ: "رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى" (٢٢٥).

ومما ينبغي الإشارة إليه أن التسامح إنما يكون في شؤون الحياة اليومية، فلا مجال للتسامح في الحقوق والواجبات وما يتصل بها من أمور قانونية وقضائية (٢٢٦).

ويعلق الدكتور النبهان على هذا الأمر قائلاً: "فلا تسامح في المواقف التي تصطدم مع العقيدة الإسلامية، ولا تسامح فيما يسيء لوحدة المسلمين وأمنهم... فتسامح التفريط تسامح مذموم، أم التسامح الذي يقره الإسلام، فهو ذلك التسامح الذي يتمثل في احترام حق الآخر في ممارسة حقوقه الإنسانية من حرية عقيدة، وحرية رأي، وحرية التعبير" (٢٢٧).

ضوابط التسامح مع غير المسلمين:

يستخدم بعض المسلمين لفظ التسامح مع غيرهم دون إدراك بضوابطه، فالتسامح مع غير المسلمين يجب ألا يكون مطلقاً؛ بل هو مقيدٌ بحدود بيّنتها الشريعة الإسلامية، ويجب على المسلم الالتزام بها، وهي كالاتي:

أولاً: مراعاة جانب الولاء والعداء:

ويُقصد بذلك موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، والتعامل معهم بالعدل والإحسان (٢٢٨).

(٢٢٠) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٢٢١) سورة المائدة: الآية ١٣.

(٢٢٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢٢٣) شوقي أبو خليل: التسامح في الإسلام (المبدأ والتطبيق)، ص ٥٤.

(٢٢٤) مسند أحمد، ٣٤٩/٤١، رقم الحديث (٢٤٨٥٥).

(٢٢٥) صحيح البخاري، ٥٧/٣، رقم الحديث (٢٠٧٦).

(٢٢٦) صفي الدين بلال: مفهوم التسامح في الإسلام وصلته بمفهوم الواجب، مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الإسلامية، جامعة دمشق، رجب ١٤٣٠ هـ - تموز ٢٠٠٩ م، ص ٤.

(٢٢٧) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢٢٨) عبداللطيف الحسين: تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، ص ٤٣.



ثانيًا: إقامة العدل:

العدل من الصفات المشتركة بين الأديان السماوية، وهي صفات تختلف في أنواعها، فمنها القولية، والفعلية والاعتقادية. ويدعو الإسلام إلى إقامة العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأديان، ممن لم يُخرجوا المسلمين من ديارهم، ولم يقاتلوهم على أساس البر والعدل والتسامح^(٢٢٩).

ثالثًا: الحكمة في الدعوة والمعاملة:

يُعرّف ابن منظور الحكمة بمعنى: "معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم"^(٢٣٠).

ويرفض الإسلام أن يُكره أصحاب الديانات الأخرى على اعتناقه، أو أن يكون حائلًا دون حريتهم، ولا يُقصد من ذلك أن هداية غير المسلمين لا تهم؛ بل إنه يحرص على هدايتهم عن طريق الحكمة والإقناع، وقد ذكر الله ﷻ ذلك في محكم تنزيله في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢٣١).

وفي حال إذا وقف أعداء الدين في وجه نشر الإسلام وتبليغه؛ أمر الإسلام بجهادهم وقتالهم وفق ضوابط محددة، فهم مخيرون بين ثلاثة أمور: إما الإسلام، أو الجزية، أو القتال؛ ومن هنا يتضح مدى سماحة الإسلام وحكمته في دعوة العدو قبل القتال؛ لترغيبهم لا لجبرهم^(٢٣٢).

التسامح عند الغرب:

لم تعرف أوروبا قبل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي معنىً للتسامح، فقد كانت الكنيسة ورجالها هم المسيطرون على مختلف الجوانب. وقد بدأ التصريح العلني والدعوة إلى التسامح الديني في أثناء حركة مارتن لوتر ضد الكنيسة الكاثوليكية، حيث دعا إلى استخدام الإقناع مع المُلحدين والمُخالفين، بدلًا من استخدام النار، مؤكدًا حرية الاعتقاد، ومطالبًا بالغاء محاكم التفتيش، ثم سار على نهجه من بعده عدد من المصلحين، مؤكدين على أن عدم التسامح لا يتوافق مع المحبة التي دعا إليها المسيح^(٢٣٣). وفي عام ٩٥٩ هـ / ١٥٥٥ م، انعقد مجمع ديني ما بين الكاثوليك والبروتستانت في مدينة أوجسبورج بألمانيا، وأكد المجمع ضرورة التسامح وحرية الدين.

ثم لما قامت حرب الثلاثين عامًا، عاد التعصب وزال التسامح^(٢٣٤)، واستمر العديد من الكُتّاب يدعون إلى التسامح، وظلّ الحال هكذا في أوروبا إلى أن حلّ القرن السابع عشر، فأصبح موضوع التسامح في الغرب محل دراسة واهتمام، خاصة بعد أن أرهقت الحروب الدينية المتعاقبة الناس في أوروبا، فبدأت الكنيسة بالتسامح مع الناس تحت ضغوطات ومطالبات بذلك، وحل مكان كلمة التسامح كلمة الاحترام^(٢٣٥).

(٢٢٩) الحسين: المرجع السابق، ص ٤٤ - ٤٧.

(٢٣٠) المرجع السابق ١٤٠/١٢

(٢٣١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢٣٢) الحسين: المرجع السابق، ص ٤٩ - ٥٠.

(٢٣٣) الحسين: المرجع السابق، ص ٨٨ - ٨٩.

(٢٣٤) الحسين: المرجع السابق، ص ٩٠ - ٩١.

(٢٣٥) صفى الدين بلال: المرجع السابق، ص ٣.



أما عن الفرق ما بين التسامح الإسلامي والتسامح الغربي، فيتمثل في أن التسامح في الإسلام يقوم على أساس معرفة الحقوق والواجبات، فهو يحرص على حقوق الفرد والجماعات فلا تسامح فيهما، بينما التسامح في الغرب تدخل فيه الحقوق والواجبات، وذلك بأن يتنازل الفرد عن حقوقه لإنهاء نزاعٍ وخصومة^(٢٣٦).

نماذج من التسامح الديني في الإسلام:

- تعددت صور تسامح المسلمين ومجالاته مع غيرهم، فمنها التسامح الديني، والاجتماعي، والإداري، وهي كالاتي:
- من الأمثلة على تسامح المسلمين الديني والإنساني: البر والإحسان إلى الأسرى؛ على الرغم من أنهم على خلاف معهم، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٢٣٧)، والنبى ﷺ أظهر تسامحه مع أهل مكة، حيث بعث إليهم مآلاً؛ على الرغم مما أظهره له من عداوة^(٢٣٨).
- أما التسامح في المجال الاجتماعي، فيتمثل في الكرم، والإنفاق، والتواضع، وقد كان النبى ﷺ يزور اليهود والنصارى إذا مرضوا، ويكرمهم، ويتصدق عليهم^(٢٣٩).
- ومن أمثلة التسامح السياسي والإداري، تقليد أهل الذمة بعض المناصب في الدولة الإسلامية^(٢٤٠).

نماذج من تسامح المسلمين في الأندلس:

- يعدّ الفتح الإسلامي رحمة للشعوب؛ لأن منهجه الإسلام، الذي يحرص على تكريم الإنسانية وحماية حقوق الغير.
- والأندلس - بوصفها دولة إسلامية- اتصف فاتحوها وحكامها بالعدل والإحسان مع غيرهم من أهل الديانات، وذلك أسوة بنبي هذه الأمة - صلوات الله وسلامه عليه- ولا يسعنا المجال هنا لذكر جميع صور تسامح مسلمي الأندلس مع أهل الذمة؛ ولكن تكفي الباحثة بذكر أبرزها، وهي كالاتي:
- في المجال الديني: تمثل التسامح الديني في ترك المسلمين للنصارى كنائسهم، وسُمحوا لهم بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، كما سُمح لهم بدق نواقيس الكنائس، ولم تقتصر سماحة المسلمين مع النصارى على بقاء كنائسهم كما هي في أثناء الفتح؛ بل سمحوا لهم ببناء كنائس جديدة، كتلك الكنيسة التي بُنيت في مدينة مجريط^(٢٤١) (مدريد حالياً) في أثناء اختطاطها

(٢٣٦) صفى الدين بلال: المرجع السابق، ص ٦.

(٢٣٧) سورة الإنسان: الآية ٨.

(٢٣٨) صفى الدين بلال: المرجع السابق، ص ١٥.

(٢٣٩) صفى الدين بلال: المرجع السابق، ص ١٦.

(٢٤٠) صفى الدين بلال: المرجع السابق، ص ١٦.

(٢٤١) مجريط: مدينة بالأندلس بناها الأمير محمد بن عبدالرحمن، وهي تقع بالقرب من طليطلة (الحميري: الروض المعطار، ٥٢٣).



من قبل الأمير محمد بن عبدالرحمن^(٢٤٢)، والواقعة بجوار قصر الحاكم^(٢٤٣). كما تمتع اليهود بحرية دينية في الأندلس، فلهم بيعهم التي يقيمون فيها صلواتهم، وسمح لهم أيضاً ببناء بيعة جديدة^(٢٤٤).

وكان للنصارى قاضٍ منهم يفصل بينهم في الخصومات، عُرف بمسمى قاضي العجم، هذا إذا اختصم نصرانيان، أما إذا اختصم نصراني مع مسلم؛ فيكون الاحتكام فيها إلى قاضي المسلمين^(٢٤٥).

أما في المجال الاجتماعي: فقد ظهرت في المجتمع الأندلسي فئة المستعربين، وهم سكانها من النصارى الذين تعايشوا مع المسلمين تحت حمايتهم، وأعجبوا بالمسلمين فتعلموا اللغة العربية وأتقنوها^(٢٤٦).

ومن سماحة الإسلام كذلك أنه أباح الزواج من نساء أهل الذمة، وقد تزوج المسلمون في الأندلس بالإسبانيات؛ فظهر جيل المولدين، وأول من تزوج بإسبانية من المسلمين هو الأمير عبدالعزيز بن موسى بن نصير^(٢٤٧)، حيث تزوج أرملة لذريق، التي عُرفت في المصادر الإسلامية باسم أم عاصم^(٢٤٨).

ومن مظاهر تسامح المسلمين فيما يخص الجانب الاجتماعي: مشاركتهم لأهل الذمة في أعيادهم واحتفالاتهم، كاحتفال نصارى بلنسية^(٢٤٩) بعيد القديس سان خوان، وفي هذا الاحتفال ينشد الشعراء شعرهم، ويجرى فيها سباق للخيل، وقد حضر الخليفة الناصر^(٢٥٠) هذا السباق^(٢٥١).

وفي المجال الإداري والعلمي: سمح المسلمون لأهل الذمة بمشاركتهم في العلوم والإدارة، ففي مجال الطب اشتهر خالد بن يزيد النصراني^(٢٥٢)، وكذلك الطبيب جواد النصراني^(٢٥٣) في عصر الأمير محمد بن عبدالرحمن^(٢٥٤).

^(٢٤٢) هو محمد بن عبدالرحمن بن الحكم، يُكنى بأبي عبدالله، تولى الحكم بعد وفاة أبيه عام ٢٣٨ هـ، اشتهر بالكرم وحبه للأدب، توفي عام ٢٧٣ هـ (ابن الأبار: الحلة السيرة، ١/ ١١٩).

^(٢٤٣) عصام كاطع: موقف المسلمين من أهل البلاد الأصليين في الأندلس، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٦، حزيران ٢٠١٤ م، ص ١٢٠-١٢٢.

^(٢٤٤) عاشور منصورية: التسامح الديني في ظل الدولة الأموية بالأندلس، ص ١١٧.

^(٢٤٥) عصام كاطع: المرجع السابق، ص ١٢٩.

^(٢٤٦) عصام كاطع: المرجع السابق، ص ١١٦.

^(٢٤٧) هو عبدالعزيز بن موسى بن نصير بن عبدالرحمن اللخمي، شارك مع أبيه في فتوحات الأندلس، وأصبح والياً على الأندلس عام ٩٥ هـ، توفي عام ٩٧ هـ (محمود خطاب: قادة فتح الأندلس، ٢/ ٢٣-٢٩-٤٤).

^(٢٤٨) عصام كاطع: المرجع السابق، ص ١٣٠.

^(٢٤٩) بلنسية: مدينة أندلسية تقع في شرقها، تشتهر بالتجارة، حيث تكثر بها الأسواق (الحميري: المصدر السابق، ص ٥٣٩).

^(٢٥٠) هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن، يلقب بالناصر لدين الله، تولى الحكم عام ٣٠٠ هـ، واستمر حكمه لمدة خمسين عاماً، وهو أول من تسمى بالخليفة وبأمر المؤمنين من بني أمية بالأندلس، توفي عام ٣٥٠ هـ (ابن الأبار: المصدر السابق، ١٩٧/١).

^(٢٥١) عاشور منصورية: المرجع السابق، ص ١٠٤.

^(٢٥٢) هو خالد بن يزيد بن رومان النصراني، كان بارعاً في علم الطب، أقام بقرطبة في الدار المعروفة بدار ابن السطخيري، وكان مهتماً بعلم الأدوية (ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٤٨٥-٤٨٦).

^(٢٥٣) طبيب ظهر في عهد محمد بن عبدالرحمن، ينسب إليه العديد من الأدوية (ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ٤٨٥).

^(٢٥٤) عاشور منصورية: المرجع السابق، ص ٧٢.



كما استخدام المسلمون بعض اليهود في السفارات، ومن ذلك إرسال الخليفة الناصر سفارة برئاسة اليهودي حسداي؛ لعقد صلح مع رودمير الثاني صاحب جليقية^(٢٥٥).

شهادات استشراقية أنصفت تسامح مسلمي الأندلس:

لم يهدف الفتح الإسلامي إلى أطماع سياسية توسعية، ولا أطماع اقتصادية - المتمثلة في السيطرة على خيرات البلاد المفتوحة- وإنما كان هدفها إزالة كل ما يقف في طريق دعوتها للإسلام، والمتمثلة في حكام البلاد.

ومما ينبغي ذكره أن الفاتحين المسلمين قد اتصفوا بسماحة الخلق والإحسان لأهل البلاد المفتوحة، وهذه السماحة أشاد بها كُتّاب العرب والغرب، وعلى الرغم من ظهور شبهات باطلة من قِبل المستشرقين^(٢٥٦) حول تعسف الفاتحين وظلمهم لأهل الديانات الأخرى؛ لكنّ الكثير من المستشرقين أنصفوا الإسلام والمسلمين من خلال اعترافهم بعدل الإسلام وسماحته، ولا أقوى من أن تُدحض شبهات المستشرقين بشهادات لمستشرقين منهم.

حيث أكد المستشرقون سماحة المسلمين مع غيرهم على مر العصور، وها هو د. شوقي يذكر نقلاً عن روبرتسون قوله: "إن أتباع محمد ﷺ هم الأمة الوحيدة التي جمعت بين التحمس في الدين والتسامح فيه: أي أنها مع تمسكها بدينها؛ لم تعرف إكراهاً غيراً على قبوله"^(٢٥٧).

ثم يؤكد ذلك المستشرق لوبون^(٢٥٨) في قوله: "وساعد وضوح الإسلام، وما أمر به من العدل والإحسان على انتشاره في العالم؛ وبذلك المزايā نفسّر سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام"^(٢٥٩).

وفي موضع آخر يؤكد لوبون أن سمة التسامح ملازمة للفاتحين المسلمين في أي بلد يدخلونها بقوله: "وأحسن العرب سياسة سكان إسبانية، كما أحسنوا سياسة أهل سورية ومصر، فقد تركوا لهم أموالهم وكنائسهم وقوانينهم وحق المقاضاة إلى قضاة منهم"^(٢٦٠).

ويؤكد حرية الدين في الأندلس شاهد عيان زارها في منتصف القرن العاشر الميلادي قائلاً: "ويستخدم المسيحيون الذين كانوا إبان حكم المسلمين الأماكن المقدسة وأماكنهم بحرية"^(٢٦١).

^(٢٥٥) عاشور منصورية: المرجع السابق، ص ٧٨.
^(٢٥٦) هم علماء الغرب الذين اهتموا بالدراسة والتأليف عن علوم الشرق وحضارته (شاكر عالم شوقي: الاستشراق أخطر تحدٍ للإسلام، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتا غونغ، المجلد ٣، ديسمبر ٢٠٠٦م، ص ٦٥).

^(٢٥٧) شاكر: الاستشراق أخطر تحدٍ للإسلام، ص ١٢٤.

^(٢٥٨) مستشرق وطبيب فرنسي، وُلد عام ١٨٤١م، اهتم بالدراسات الشرقية، من أبرز مؤلفاته: "حضارة العرب" (يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص ٩٦١).

^(٢٥٩) لوبون: حضارة العرب، ص ١٣٢.

^(٢٦٠) المرجع السابق، ص ٢٨٠.

^(٢٦١) شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص ٥٧.



كما يشير دوزي^(٢٦٢) إلى سماحة المسلمين الدينية مع النصارى في ترك كنائهم، والسماح لهم بتجديد القديم منها قائلاً: "لم يعترضوا على توسيع القديم منها، أو بناء كنائس جديدة"^(٢٦٣).

ويقول لوبون أيضاً: "كان يمكن أن تعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم فيقتربوا من المظالم ما يقتضيه الفاتحون عادة، ويسينوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون نشره في العالم، فلو فعلوا ذلك لتألبت عليهم جميع الأمم التي كانت بعد غير خاضعة لهم، ولأصابهم مثل ما أصاب الصليبيين يوم دخلوا بلاد سورية مؤخرًا؛ ولكن العرب اجتنبوا ذلك، فقد أدرك الخلفاء السابقون الذين كان عندهم من العبقرية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة أن النظم والأديان ليست مما يُفرض قسرًا، فعاملوا أهل سورية ومصر وإسبانية وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في الغالب إذا ما قيست بما كانوا يدفعونه فيما مضى، في مقابل حفظ الأمن بينهم، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم"^(٢٦٤).

ويذكر دوزي التغيرات التي طرأت على الأندلس بعد الفتح الإسلامي قائلاً: "عمل الفتح على تحسين حال الطبقات الدنيا، وكان الإسلام أميل من النصرانية لتحرير العبيد الذين يؤسوا من تحريرهم على أيدي القسس أيام الحكم القوطي... كذلك تحسنت حال رقيق الأرض الموجودين في أملاك المسلمين؛ فأصبحوا زراعا وتمتعوا بنصيب من الاستقلال، وصار لهم مطلق الحرية في زراعة الأرض"^(٢٦٥).

ويختصر ستانلي لين^(٢٦٦) فضل الفتح العربي وأهميته على الأندلس بقوله: "كان فتح العرب للأندلس في جملته نعمة ورخاء على الأندلسيين المحكومين"^(٢٦٧). وفي موضع آخر يذكر ستانلي تقبل الإسبان للفتح الإسلامي بقوله: "ثم أخذ الناس بعد قليل يقرّون بأنهم أفادوا من تغير الحكم، فقد كان للإسبانيين أن يحتفظوا بشرائعهم وقضاتهم، وعُيّن لهم حكام من أنفسهم يديرون المقاطعات، ويجمعون الضرائب، ويفصلون فيما شَجَرَ بينهم من خلاف، وأصبح سكان المدن لا يُكفّون إلا الجزية والخراج إن كانت لهم أرض تُزرع، بعد أن كانوا في عهد القوط يحملون وحدهم عبء الضرائب والأموال التي تُنفق على الدولة"^(٢٦٨).

كما يقول ستانلي: "أما التسامح الديني فلم يدع للإسبانيين سببًا للشكوى، فقد تركهم العرب يعبدون كما يشاءون، من غير أن يضطهدوهم أو يلزموهم اعتناق عقيدة خاصة كما كان يفعل القوط باليهود"^(٢٦٩).

^(٢٦٢) مستشرق هولندي، اشتهر بكتابه عن تاريخ العرب في إسبانيا، وُلد عام ١٨٢٠م، وأتقن عدة لغات كالفرنسية والإيطالية والألمانية، من مؤلفاته: "معجم مفصل بأسماء الملابس عند العرب"، و"معجم تكملة المعاجم العربية". توفي عام ١٨٨٣م (عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص ١٧٢).

^(٢٦٣) المسلمون في الأندلس، ٢٩٩ ١.

^(٢٦٤) المرجع السابق، ص ٦٢٩ - ٦٣٠.

^(٢٦٥) المرجع السابق، ٤٩/١.

^(٢٦٦) مستشرق بريطاني وُلد عام ١٨٣٢م، تركّز اهتمامه في الآثار المصرية، له عدة مصنفات عن الحضارة الإسلامية، توفي عام ١٨٩٥م (يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، ش ٩٨٩).

^(٢٦٧) ستانلي لين بول: قصة العرب في إسبانيا، ص ٤١.

^(٢٦٨) المرجع السابق، ص ٣٩.

^(٢٦٩) ستانلي لين بول: المرجع السابق، ص ٤٠.



ويُشير أيضًا إلى حال العبيد بعد الفتح الإسلامي بقوله: "إن الرق في رأي المسلمين الأخيار نظام إنساني رفيع ... سعد العبيد بدخول العرب، وأصبحوا في رق المسلمين بمنزلة صغار الزراع، فتركهم ساداتهم أحرارًا يزرعون الأرض كما يشاؤون، على أن يؤدوا إليهم نصيبًا من الغلة"^(٢٧٠).

ثم يذكر ما نتج عن هذا التسامح بقوله: "وكان من أثر هذه المعاملة وذلك التسامح؛ أن رضي المسيحيون بالنظام الجديد، واعترفوا في صراحة أنهم يؤثرون حكم العرب على حكم الإفرنج أو القوط؛ حتى أن القساوسة أنفسهم لم يكونوا شديدي التآلم لحكم العرب... وأسطع الأدلة على رضا المسيحيين عن حكمهم الجدد؛ أن ثورة دينية واحدة لم تحدث في خلال القرن الثامن"^(٢٧١).

كما يشير لوبون إلى التأثير الإسلامي في النصارى بالأندلس بقوله: "بل أثروا - يقصد العرب - في أخلاق الناس أيضًا، فهم الذين علّموا الشعوب النصرانية - وإن شئت فقل: حاولوا أن يعلموها- التسامح الذي هو أتمن صفات الإنسان ... كانوا يسمحون به لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية، كمؤتمر إشبيلية النصراني الذي عُقد في سنة ٧٨٢م ... وتعدّ كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم، وأسلم كثير من النصارى... فغدوا هم واليهود مساوين للمسلمين، قادرين مثلهم على تقلّد مناصب الدولة، وكانت إسبانية العربية بلدًا أوربة الوحيد الذي تمتّع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها؛ فصار عددهم فيه كثيرًا جدًّا، وكان عرب إسبانية يتصفون بالفروسية المثالية - خلا تسامحهم العظم- وكانوا يرحمون الضعفاء، ويرفقون بالمغلوبين، ويقفون عند شروطهم... وما إلى هذا من خلال التي اقتبستها الأمم النصرانية بأوربة منهم مؤخرًا؛ فتؤثر في نفوس الناس تأثيرًا لا تؤثره الديانة"^(٢٧٢).

وأخيرًا، فإن المُطلّع على التاريخ الأندلسي سيجد اختلافًا شاسعًا بين التسامح الإسلامي الذي رافق الفاتحين، والتعصب المسيحي الذي لازم الإسبان في أثناء استيلائهم على غرناطة^(٢٧٣) بما يُعرف بمحاكم التفتيش.

الخاتمة:

بعد دراسة مبدأ التسامح في الإسلام وبعض مظاهره في الأندلس، وذكر أقوال بعض المستشرقين حول ذلك؛ يمكن إجمال أهم نتائج البحث كالآتي:

- ١- للمسلمين الأسبقية في معرفة مبدأ التسامح وتطبيقه.
- ٢- لا تختص سماحة الإسلام بأمرٍ دون آخر، وإنما هي شاملة لمختلف جوانب الحياة الفردية والجماعية.
- ٣- تسامح المسلمين مقنن بضوابط محددة في الشريعة الإسلامية.

^(٢٧٠) ستانلي لين بول: المرجع السابق، ص ٤١.

^(٢٧١) ستانلي لين بول: المرجع السابق، ص ٤٠.

^(٢٧٢) المرجع السابق، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

^(٢٧٣) غرناطة: مدينة أندلسية حصينة، يمر بها نهر شنيل، وتسمّى بدمشق الأندلس (الإدريسي: نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢).



- ٤ - يحترم الإسلام العقل وثقافة الغير، حيث يقرّ أن لكل أمة عقيدتها وحضارتها الخاصة بها، التي لا يجب أن يُجبروا على إلغائها وتبديلها.
- ٥ - التسامح في الإسلام يدخل في مضمونه التعايش السلمي بين الأديان مع حفظ الحقوق ومعرفة الواجبات.
- ٦ - شتان بين التسامح الإسلامي والتسامح الغربي، فالأول يحافظ على حقوق الفرد وواجباته، والآخر يُجبر الفرد بالتنازل عن حقوقه تحت شعار التسامح.
- ٧ - تجسّد مبدأ التسامح في الأندلس في كافة المجالات: الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية.
- ٨ - شهادة المستشرقين المنصفة حول سماحة الإسلام والمسلمين مع أهل الذمة؛ تعدّ أقوى ردّ على الشبهات التي أُثيرت من قبل المتعصبين من المستشرقين.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم.

- ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨هـ): الحلة السيرة، تحقيق: الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٨٥م.
- الإدريسي، الشريف أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله (ت ٢٥٦هـ): صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد، أبو عبدالله (ت ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ.

ثانياً: المراجع:

المراجع العربية:

- بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.
- الحسين، عبد اللطيف بن إبراهيم: تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، دار ابن الجوزي، ط١، الدمام، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- خطاب، محمود شيت: قادة فتح الأندلس، مؤسسة علوم القرآن، ط١، ٢٠٠٣م.



أبو خليل، شوقي: التسامح في الإسلام (المبدأ والتطبيق)، دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

مراد، يحيى: معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت.

المودودي، أبو الأعلى: الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، دار القلم، ط٤، الكويت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

المراجع المترجمة:

دوزي، رينهارت: المسلمون في الأندلس، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

لوبون، غوستاف: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعتر، دار هنداوي للنشر.

لين بول، ستانلي: قصة العرب في إسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك، دار كلمات للنشر.

الرسائل العلمية:

منصورية، عاشور: التسامح الديني في ظل الدولة الأموية بالأندلس، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

الدوريات:

بلال، صفى الدين: مفهوم التسامح في الإسلام وصلته بمفهوم الواجب، مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الإسلامية، جامعة دمشق، رجب ١٤٣٠هـ، تموز ٢٠٠٩م.

داود، عصام كاطع: موقف المسلمين من أهل البلاد الأصليين في الأندلس، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٦، حزيران ٢٠١٤م.

شوق، شاكر عالم: الاستشراق أخطر تحدٍ للإسلام، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتا غونغ، المجلد ٣، ديسمبر ٢٠٠٦م.

الغشيمي، عبد الواسع محمد، وأمير سعد: التسامح الإسلامي: قراءة في معطياته الفكرية وآثاره الواقعية في ضوء الكتاب والسنة، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٢١، ربيع الأول ١٤٣٤هـ، فبراير ٢٠١٣م.

النبهان، محمد: مفهوم التسامح في إطار الرؤية الإسلامية، مجلة المنهل، العدد ٥١٨، المجلد ٥٦، ربيع الأول ١٤١٥هـ.



تطبيق النظم الإسلامية تطبيقاً واقعياً في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين

د/ نجوى محمد رجاء اللهبي - باحثة في الدراسات الإسلامية - المملكة العربية السعودية

Email:Jojotote1@gmail.com

الملخص:

تتناول هذه الدراسة نماذج للنظم الإسلامية، وكيف طبقها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم تطبيقاً واقعياً، ومن بعده الخلفاء الراشدون، وقد شملت: النظم السياسية والإدارية، والنظام الاقتصادي، والنظام الحربي، والنظام الاجتماعي، ونظام القضاء، وقد اقتصرَت الباحثة على نزر يسير من هذه النظم التي لا يكفيها مجلدات لإبرازها؛ ومن ثمَّ كان ذكر الأهم منها، وتعداد المهم.

الكلمات المفتاحية: نظم إسلامية- سياسة- اقتصاد- اجتماعي.

Abstract:

The present study focuses on Islamic systems, and how prophet Mohammed (PBUH) was practicing these systems. and followed by the Rightly Guided Caliphs (the Rashidun).

These systems include the political and administrative system, the economic system, the military system, the social system, and the judicial system. Due to the multiplicity of these systems, only some of these systems will be discuss in this paper.

key words: Islamic Systems-Policy- Economics - Social.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، سيد الأنبياء، وأكرم الأصفياء، وعلى أصحابه المختارين وسلم تسليماً كثيراً، ثم أما بعد:

فلم تكن رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مجرد رسالة روحية مقصورة على ما ينظم علاقة الإنسان بربه فقط؛ بل كانت رسالة ذات شريعة رحبة، تشتمل على ما ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالكون، كما أنها تضمّنت جميع ما ينظم شؤون الإنسان وأموره المعاشية والمعادية على السواء. وقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم منذ أن هاجر إلى المدينة المنورة أول دولة تحكمها شريعة الإسلام، وتُطبّق فيها نَظْمُهُ ومبادئه في كافة شؤون الناس، ثم سار على هذا النهج خلفاؤه الراشدون، ثم المسلمون بعدهم قروناً من الزمن، يستظلون بِلِواء الشريعة الإسلامية، ويتحاكمون إلى نَظْمِها، فسعدوا وعزّوا وسادوا، وأقاموا حضارة زاهرة كانت ملء سمع الدنيا وبصرها^(٢٧٤).

(٢٧٤) إسماعيل علي محمد: مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية، ط١، دار النداء، إسطنبول، ٢٠١٤م، ص٦.



وستستعرض الباحثة خلال الصفحات الآتية نماذج من تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين للنظم الإسلامية تطبيقاً واقعياً.

النُّظْمُ السياسية والإدارية:

نظام الإدارة:

عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢٧٥). يفهم من هذه الآية الكريمة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مأموراً بأن يكون حاكماً للمسلمين، وأن المسلمين لا يكونون مسلمين حقاً إلا إذا ارتضوه حاكماً لهم. والإسلام كما هو عقيدة وعبادة، فإنه نظام حكم، ومادام الإسلام نظام حكم؛ فلا بد من أن تُوضَّح الوسائل اللازمة لتطبيقه في واقع الحياة، ودراسة عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ستوضح أنه صلى الله عليه وسلم قد أرسى قواعد الدولة المنظمة كأحسن ما يكون التنظيم، والحكومة التي أَلَّفها الرسول ﷺ لإدارة هذه الدولة كانت ملائمة لعصره، ووافية بحاجيات المجتمع الذي يحكمه^(٢٧٦).

قَدِم النبي ﷺ المدينة فوجد مجتمعاً يختلف عن مجتمع مكة، حيث وجد تنافراً بين عشائر المدينة واختلافاً في دياناتها، فبدأ بالتخطيط لمجتمع جديد، وكانت أول قضية تواجه الإدارة النبوية هي قضية استيعاب المهاجرين الجُدد في مجتمع المدينة، فخطَّ النبي ﷺ الدور للمهاجرين. ويلاحظ أن مسجد الرسول ﷺ كان مركزاً إدارياً للدولة الفتية، فمنه كان النبي ﷺ يوجِّه المسلمين في المجتمع الجديد، وفيه يتدارس مع المسلمين الأمور الطارئة ويتخذ القرارات المناسبة. وكان المسجد مكاناً للشورى؛ إذ يجتمع الناس فيه فيستشيرهم رسول الله في القضايا التي تستجد على الساحة الإسلامية، وما وُجد غيره مقرّاً آخر للحكم والإدارة طول حياة الرسول ﷺ وبذلك يكون المسجد أول مركز للإدارة في الإسلام^(٢٧٧).

والأمر الآخر الذي اهتم به النبي ﷺ وكان إجراء إدارياً ضرورياً في هذه المرحلة هو «المؤاخاة» بين المهاجرين والأنصار، وقد كانت هذه المؤاخاة ضرورية لإذهاب الوحشة والغربة عن المهاجرين، وليشد بعضهم بعضاً، ولا سيما أن المهاجرين تركوا كل المقومات الأساسية للحياة في مكة. وهكذا كانت المؤاخاة خطوة مهمة في توحيد المجتمع الجديد تُضاف إلى ما سبقها من خطوات، وكان النبي ﷺ قد فكَّر جدياً في نظام يحلّ محل نظام «الأحلاف» الذي كان سائداً في الجاهلية، فوضع نظام المؤاخاة بديلاً عنه^(٢٧٨).

(٢٧٥) القرآن الكريم: سورة النساء، آية ٦٥.

(٢٧٦) عبد الشافي محمد عبد اللطيف: "الإدارة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم"، الموسم الثقافي للجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٣٧٢.

(٢٧٧) أحمد عجاج كرمي: الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ط ١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٧هـ، ص ٧٦-٧٧.

(٢٧٨) المرجع نفسه، ص ٧٧-٧٨.



وكان من أعظم الإجراءات الإدارية التي قام بها الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة، كتابة دستور المدينة الذي ينظم العلاقات بين سكانها، ويعدّ ذلك الخطوة الأساسية في إقامة حكومة المدينة. وهذه الصحيفة في الأصل صحيفتان (وثيقتان)، إحداها يختص بالمهاجرين والأنصار، وتختص الأخرى بالمسلمين من جهة واليهود من جهة أخرى^(٢٧٩).

وإذا ما استعرضنا النظام الإداري للدولة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيتبين أن جميع الأعمال والوظائف الحكومية والإدارية محصورة في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بل قد تجمعت كافة السلطات العامة في الدولة الإسلامية، من سلطة تنفيذية، وتشريعية، وقضائية، فكانت له وظيفة الرسول والنبي، والحاكم، والقاضي ورئيس الحكومة، وقائد جيوش المسلمين؛ ولهذا باشر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمال السلطة التنفيذية منذ هجرته إلى المدينة، كما قام بوظيفة القاضي الأول في دولة المدينة، وعين قضاة الولايات (ضمن الولاية العامة)^(٢٨٠).

وكان يُنَّيب عنه عمالاً على القبائل والمدن، وكان على كل مدينة كبيرة بالحجاز واليمن وعلى كل قبيلة كبيرة عامل من قبله، وكانت وظيفة هؤلاء العمال الإمامة في الصلاة وجمع الصدقات. وكان النبي إذا خرج للغزو أناب عنه بالمدينة أحد أصحابه لإمامة الناس في الصلاة، كما كان يُنَّيب عنه أحياناً قائداً يقود سرية من السرايا، وكان يختار عماله ممن اشتهروا بالصلاح والتقوى والتفقه في الدين، وفرض النبي ﷺ لعنَّاب بن أُسَيْد - الذي ولاه مكة - درهماً كل يوم، فكان هذا الراتب أول ما وُضع من الرواتب للعمال، أما كبار الصحابة فكانوا يُعطون نصيبهم من الغنائم وغيرها^(٢٨١).

عهد الخلفاء الراشدين:

سارت دولة الراشدين في أمور الإدارة على الأسس التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، وذلك باتخاذ المدينة عاصمة للحكم، وأصبح هو الرئيس الأعلى للمدينة، ثم بإرساله الولاة والجباة والقضاة والمعلمين إلى القبائل والبلاد الداخلة في الإسلام. وبتأخذه الكتاب لكتابة الوحي، وللكتابة في الأغراض الأخرى، وبمحاولته نشر الدين الإسلامي خارج الجزيرة، بإرساله الرسل إلى الحكام والملوك يدعوهم بدعوة الإسلام، ثم تركه المسؤولية على عاتق المسلمين أنفسهم لمُقبلات أيامهم بعد أن أتم الرسالة وبلغ الدين^(٢٨٢).

وهكذا تحمّل المسؤولية الخليفة الأول أبو بكر الصديق، ليسير على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم خطوة بخطوة، منفذاً ما كان ينوي صلى الله عليه وسلم تحقيقه، ورغم الصعوبات التي واجهته؛ فقد كانت خلافته رحمة وبركة^(٢٨٣).

ولما تسلم المسؤولية خلفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحت في عهده بلاد العراق، وفارس، ومصر، والشام، وورد جزيرة العرب من الخيرات ما لم تر عين أو تسمع أذن. حيث تابع السنة، واجتهد رأيه في المُستحدثات من الوقائع فوضع الديوان، ونظم العطاء، كما نظم القضاء، وجعله وظيفة مستقلة، واتخذ التاريخ لتوقيت الحوادث والكتب والمراسلة، وأكثر من

(٢٧٩) أحمد عجاج كرمي: الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ٨١-٨٣.
(٢٨٠) فرناس عبد الباسط البنا: "التنظيم الإداري في الدولة الإسلامية منهجاً وتطبيقاً عهد الرسول صلى الله عليه وسلم"، وقائع ندوة النظم الإسلامية، المجلد ١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، أبو ظبي، صفر/ نوفمبر ١٩٨٤م، ص ٢٢٠.
(٢٨١) حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن: نظم إسلامية، [د.ط.]، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، [د.ت.]، ص ١٥٢-١٥٣.
(٢٨٢) فهد بدري أحمد: "الحياة السياسية والإدارية في العهد الراشدي"، وقائع ندوة النظم الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، المجلد ١، أبو ظبي، ١٩٨٤م، ص ٩٢.
(٢٨٣) المرجع نفسه، ص ٩٢.



مشاورة كبار الصحابة لوضع الحلول لإدارة الدولة والجباية، وتوزيع العطاء على مستحقيه، وإيصال الفيء والصدقات إلى الفقراء في كل شبر من دولة الخلافة، مسلمين وغير مسلمين^(٢٨٤).

ولما تولى عثمان رضي الله عنه لم يُغيّر التقسيمات الإدارية، كما أبقى بعض ولاة عمر في أماكنهم، ثم استبدل بعضهم فيما بعد، وأعاد السيطرة على بعض البلاد التي خرجت على العهود والمواثيق المُبرمة معها، كبعض بلاد فارس وأذربيجان، ولا شك أن عمر وعثمان قد أفادا من التنظيمات الإدارية المحلية، ومن سِجّلات الخراج، ومن موظفي الخراج المحليين؛ لكنهما أخضعا ذلك للرقابة والإشراف^(٢٨٥).

ولما آلت الخلافة لعلي، كانت رقعة دولة الإسلام على سعتها، وقد سار في تنظيم الإدارة وشؤون الحكم على نهج أسلافه؛ لأنه كان أحد المستشارين من قبل الخلفاء في إيجاد الحلول لمشاكل عصرهم؛ لكن خارطة الدولة الإدارية أصابها تغيير، فلم تعد جميعها خاضعة للخليفة؛ بل أصاب بعضها الاضطراب، واقتطع والي الشام معاوية بعضها الآخر، ثم ما لبثت الوحدة أن عادت بعد عام الجماعة^(٢٨٦).

وهكذا قامت دولة الراشدين على الأسس التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم لتحلّ محلّ الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، وليكون خليفة المسلمين رئيساً للدولة بدلاً من الأكاسرة والقيصرية، الذين يجدون في أنفسهم أنهم أرباب مسلّطون على رقاب الناس، ولتكون أحكام القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم والراشدين بعده، وما أجمع عليه علماء الصحابة قانون الدولة الذي تسير عليه، وكل ما أسسه الراشدون في دولتهم من نظم تمت في العهود التالية، وما أستخدمت من نظم أخرى؛ استجابة لما أستخدمت من أمور الدولة؛ فلا يخرج عن هذا القانون الذي يسعى إلى مصلحة الفرد والجماعة، دون تضحية بأحد الطرفين، كما يسعى إلى تأمين المعيشة والعدالة. ولا نغالي أو نجانب الحق إذا قلنا: إن حكم الراشدين ليس له نظير في تواريخ العالم القديم منه والحديث في تواضع الخلفاء، وفي رعاية المحكومين، والمساواة بينهم على اختلاف منازلهم وألوانهم وألسنتهم^(٢٨٧).

نظام الخلافة:

يتصدّر مبدأ الشورى جميع المبادئ الدستورية والإدارية في الدولة الإسلامية، وقد خاطب الحق تبارك وتعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۚ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢٨٨). ووصف الحق تبارك وتعالى المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٢٨٩). ومن الآيتين السابقتين نستنتج وجوب الشورى في المجتمع الإسلامي، فالآية الأولى تتضمن أمراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه؛ رغم الأحداث التي مرّت بالمسلمين في غزوة أحد. أما الثانية فتصف المؤمنين بأن أمرهم

(٢٨٤) فهد بدري أحمد: "الحياة السياسية والإدارية في العهد الراشدي"، ص ٩٢.

(٢٨٥) المرجع نفسه، ص ٩٢-٩٣.

(٢٨٦) المرجع نفسه، ص ٩٣.

(٢٨٧) المرجع نفسه، ص ٩٣.

(٢٨٨) القرآن الكريم: سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٢٨٩) القرآن الكريم: سورة الشورى، آية ٣٨.



شورى: أي أن الشورى من صفات المجتمع الإسلامي وخصائصه، وقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الخندق^(٢٩٠).

ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه، دهش الناس إلى هذا الفاجعة المفاجئة، واتجهوا في آرائهم وجهات مختلفة، فبعضهم رأى أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بلغهم أوامر الله ونواهيه قد فارقهم إلى ربه، ولا يوجد إنسان آخر من البشر يخلفه ويتصف بصفاته، فأخذوا يفكرون فيمن يلي أمورهم من زعمائهم؛ حتى لا يخضعوا لشخص غريب عن قبائلهم أو بطونهم، وتداعوا إلى الاجتماع في سقيفة بني ساعدة للتشاور في أمر خلفه، وقد أفضى اجتماعهم إلى انتخاب أبي بكر الصديق خلفاً للرسول صلى الله عليه وسلم وكان انتخابه بطريقة شورية^(٢٩١).

ثم تلا ذلك ترشيح الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه ثم ترك عمر رضي الله عنه الأمور للمسلمين لاختيار واحد من ستة أشخاص رشّحهم ولم يفرضهم على المسلمين، ثم جاء الخليفة الرابع علي رضي الله عنه وأختير ثم بُيع من العامة في المسجد خليفة وإماماً للمسلمين^(٢٩٢).

نظام الوزارة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويسألهم رأيهم في المشكلات الخاصة والعامة - ولا سيما أبي بكر - لذلك سمى كثير من الناس أبا بكر بـ"وزير النبي"، وقد سمّاه بهذا الاسم الذين أُتيح لهم الاختلاط بالفرس بوجه خاص؛ لأنهم عرفوا مثل هذا اللقب في الحضارة الساسانية. ومن المعروف أن عمر كان وزيراً لأبي بكر؛ إذ كان يُورّع الزكاة على مستحقيها، كما كان يقضي بين الناس بأمر الخليفة، وكان علي وعثمان وزيرين للخليفة عمر، أما علي فكان يكتب الرسائل ببلاغته المعروفة، وينظر في شؤون الأسرى. وأما عثمان الآخر فكان يستشار في بعض الأمور ذات الطابع القبلي؛ لمعرفته بأحوال القبائل وأنسابها، وكانت أبهة الملك كانت بعيدة عن هؤلاء الخلفاء ووزرائهم، فقد امتازوا بالبساطة في جميع مظاهرهم، وكان للخليفة مجلس شيوخ يستعين به على تنظيم أمور الدولة، وكان هذا المجلس يتألف من رؤساء القبائل وأعيان المدن وبعض كبار الصحابة، ولا سيما الذين أكثروا من مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في جلّه وترحاله^(٢٩٣).

النظام الاقتصادي:

عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

جاء أول تشريع مالي بنص قرآني صريح، ينظم كيفية توزيع غنيمة الحرب من أسرى وسبايا ومال وأرض، وكان ذلك بمناسبة أول غنيمة نالها المسلمون في موقعه بدر، فنرى الرسول صلى الله عليه وسلم يسلم فداء من بدر إلى من أسهم من المسلمين الظافرين؛ غير أنهم تنازعوا فيما بينهم حول ما جمعه من معسكر العدو، فنزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ

(٢٩٠) فرناس عبد الباسط البنا: "التنظيم الإداري في الدولة الإسلامية منهجاً وتطبيقاً عهد الرسول صلى الله عليه وسلم"، ص ٢٠٢.

(٢٩١) أنور الرفاعي: النظم الإسلامية، [د.ط.]، دار الفكر، [د.م.]، [د.ت.]، ص ٢٣.

(٢٩٢) عبد الرحمن الجويرير: النظم الإسلامية وحاجة البشرية إليها، ط ١، دار المآثر، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٣٤-١٣٥.

(٢٩٣) صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط ١، منشورات الشريف راضي، إيران، ١٤١٧هـ، ص ٢٩٥.



الْأَنْفَالِ ۖ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩٤﴾. وعلى ذلك قسم الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الغنيمة على المسلمين بأنصبة متساوية، ونزل بالمدينة تشريع الغنيمة بقوله تعالى: ﴿وَاغْلُظُوا أَلْمَامُ غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (٢٩٥). وهناك مورد مالي نص عليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٢٩٦). وهذا حكم صريح بأخذ الجزية من اليهود والنصارى، من رعايا الدولة الإسلامية (٢٩٧).

ومن الأمور التي عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على الاهتمام بها وتنظيمها أموال الصدقات (الزكاة)، وهي أحد أركان الإسلام، وتؤخذ على الثمار والزرع والأرض وعلى الإبل والأغنام والماشية وكلاهما من الأموال الظاهرة، يتولى عامل الصدقة جمعها، كما شملت تنظيمات الرسول صلى الله عليه وسلم حفظ المال وتحريم الربا، الذي كان من أبشع وسائل استغلال الإنسان للإنسان (٢٩٨).

ومن أهم القواعد التي طبّقها الرسول صلى الله عليه وسلم:

- ١- قسم خيبر ووادي القرى التي فتحها عنوة بين المسلمين، أو سلم بمبدأ تقسيم هذه الأراضي غنائم.
- ٢- عدّ بلاد العرب أراضي عشر.
- ٣- خصّص الجزية الشخصية بدينار، وفرضها على أهل الكتاب، وألحق بهم المجوس، وأعفى النساء والأولاد منها.
- ٤- اكتفى بفرض الجزية على أراضي الصلح وحدّها.
- ٥- جعل الماء والكأ والنار مشاعاً (٢٩٩).

عهد الخلفاء الراشدين:

كانت تنظيمات الرسول صلى الله عليه وسلم سوابق مهمة للخلفاء الراشدين، حين أخذوا بها حرفياً، وحين استرشدوا بالاتجاهات التي تهدف إليها، وكانت مهمة أولئك الخلفاء شاقة؛ لأن فتوحاتهم شملت أراضي عريقة، لها نظمها وتقاليدها المالية.

(٢٩٤) القرآن الكريم: سورة الأنفال، الآية ١.

(٢٩٥) سورة الأنفال، الآية ٤١.

(٢٩٦) سورة التوبة، الآية ٢٩.

(٢٩٧) مروان عاطف ربيع الضلاعين: "التنظيمات المالية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ٧٠ / الجزء ٤، مصر، أكتوبر ٢٠١٠م، ص ٣١٦.

(٢٩٨) مروان عاطف ربيع الضلاعين: "التنظيمات المالية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم"، ص ٣١٦-٣١٧.

(٢٩٩) عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٩٤.



وفي خلافة أبي بكر فتح خالد بن الوليد (بصرى)، واتفق مع أهلها "على أن يؤدوا عن حالم دينارًا وجريب حنطة". وكان هذا الاتفاق بداية ضريبة الخراج؛ وهكذا فقد تمَّ في خلافة أبي بكر سوابق تخصَّ أرض الصلح (التي تبقى ملكية أرضها بيد أصحابها ولا تعدّ ملكًا للمسلمين)، وسابقة أخذ ضريبة من الحاصل، بالإضافة إلى الضريبة النقدية كما في بصرى^(٣٠٠).

وهذه هي السوابق الإسلامية التي كانت أمام الخليفة الثاني عندما بدأ في مشروعه العظيم لتنظيم الضرائب بالبلاد المفتوحة، واستفاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تنظيم الضرائب بالبلاد المفتوحة من روح الإسلام، وتنظيمات الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر من جهة، ومن الأوضاع التي كانت سائدة في البلاد المفتوحة، كما أنه اجتهد برأيه، واستشار الصحابة؛ فنتج عن ذلك هيكل التنظيمات المالية الإسلامية الأولى^(٣٠١).

وكان تنظيم ضرائب الخراج في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النحو الآتي:

١- يُؤخذ الخراج عن الأراضي التي فتحها المسلمون عنوة؛ إذ عدل الخليفة عن تقسيمها على المحاربين بعد أن عوّضهم عن نصيبهم فيها. وقد سنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه السُّنة، وبقيت عليها الدولة الإسلامية حتى عهدها الأخيرة، وهي الملكية العامة للأرض المفتوحة، فقد أعلن بعد جدل ونقاش مع الصحابة أن الأرض المفتوحة هي ملك لجميع المسلمين وليس للمقاتلين منهم فقط؛ ولذا أبقى عليها أهلها مقابل خراج يدفعونه للدولة؛ فالأرض إداً وسيلة الإنتاج الأساسية آنذاك قد غدت (ملكاً للامة).

٢- يُؤخذ الخراج عن الأراضي التي أفاء الله بها على المسلمين: أي استحوذوا عليها دون قتال.

٣- يُؤخذ الخراج عن الأراضي الموات التي أحيها المسلمون، وكانت في أرض خراج ولم يُحتقر لها بئر أو يستنبط لها قناة.

وكان بيت المال في عصر الراشدين ملكاً لجميع المسلمين عامة، لكل منهم نصيب فيه، وينال كل محارب أو موظف مقداراً معيناً في كل شهر^(٣٠٢).

النظام الحربي:

عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

لم يكن للعرب في الجاهلية نظام خاص للجند؛ لأنهم كانوا على حالة البداوة الأولى، حيث كان رجال القبيلة يذهبون للقتال مشاة وفرساناً إذا ما دعا داعٍ، حاملين أسلحتهم المعروفة في ذلك الوقت، وهي: السيف والرمح والقوس. وإذا ما انتهى القتال عادوا إلى مساكنهم، وأنصرفوا إلى أعمالهم، ولما جاء الإسلام ألّف بين قلوب العرب، وبدؤوا يقاتلون في سبيل نشر هذا الدين، ثم أخذ العرب في الغزو والفتح^(٣٠٣).

(٣٠٠) المرجع نفسه، ص ٩٥-٩٦.

(٣٠١) عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية، ص ٩٥-٩٦.

(٣٠٢) أنور الرفاعي: النظم الإسلامية، ص ١٧٠-١٧١.

(٣٠٣) حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، ص ١٧٨-١٧٩.



مكث الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس بالحجة والموعظة الحسنة، وقد أذاقته قريش هو والمسلمين كل صنوف الأذى، فصبر على أذاهم، وحثه الله تعالى على التذرع بالصبر بما أنزله عليه من الآيات. ولما تفاقم أذى قريش للرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه، أمره الله تعالى بقتال المشركين، وهو ما يُعبر عنه بالقتال أو الجهاد في سبيل الله، وهو القتال الخالص لله تعالى (٣٠٤). وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يفقد بعض المواقع بنفسه، ويرتّب رجاله قبيل القتال، ويضع الكمين، ويأمر بعض الأفراد بالتريث في الهجوم ليُفاجئوا العدو، ونُبغ في عهده الكثير من القادة العرب، الذين وقفوا أنفسهم وحياتهم على الدفاع عن الدين الجديد ونشره، ومن أهم القادة: خالد بن الوليد المبتكر والمبدع في فنون القتال. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يسمح باستخدام النساء في حروبه وغزواته يخدمن الجرحى، ويهيئن الطعام، واشتهر منهن: ربيعة الأسلمية، واستن الرسول صلى الله عليه وسلم لمن بعده من حكام المسلمين، أن ينصحو الجيوش الغازية، ويعظوا القادة، وكان ﷺ يوصي سراياه المقاتلة أحسن الوصايا (٣٠٥).

عهد الخلفاء الراشدين:

استنّ أبو بكر ﷺ بالرسول صلى الله عليه وسلم فأوصى جميع الجيوش الإسلامية الغازية أو الزاهية لإعادة المسلمين بين المرتدين، وكتب أبو بكر إلى قواده في حرب الردة عهداً قال فيه: (هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم "فلان..." حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله، سره وعلانيته، وأمره بالجدّ في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان، بعد أن يعذر إليهم، فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه سنّ غارته عليهم حتى يقرؤا له.....).

وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ فرض التجنيد الإجباري، وذلك بعد ملاحظته تقاعس بعض الناس؛ رهبة من قتال الروم والفرس، فعمد إلى الحزم في التجنيد، وأرسل كتبه إلى الأقاليم لتجنيد المقاتلة. ولما وضع عمر الديوان سجّل فيه أسماء المسلمين جميعاً، ورتب لهم أرزاقهم السنوية، وأفرد للجند منهم دفترًا خاصاً - وهو ديوان الجند- تدفع لهم فيه رواتب من بيت المال، وكان على هؤلاء تلبية داعي الجهاد كلما دعا إلى ذلك، مع بقاء باب التطوع لمن يريد ممن لم يُذكر في الديوان من سكان البوادي والأمصار. ولما قامت الحروب الداخلية أيام الخلاف بين علي ومعاوية، انضم إلى كل فئة فريق من المحاربين، ووقف فريق آخر موقف الحياد (٣٠٦).

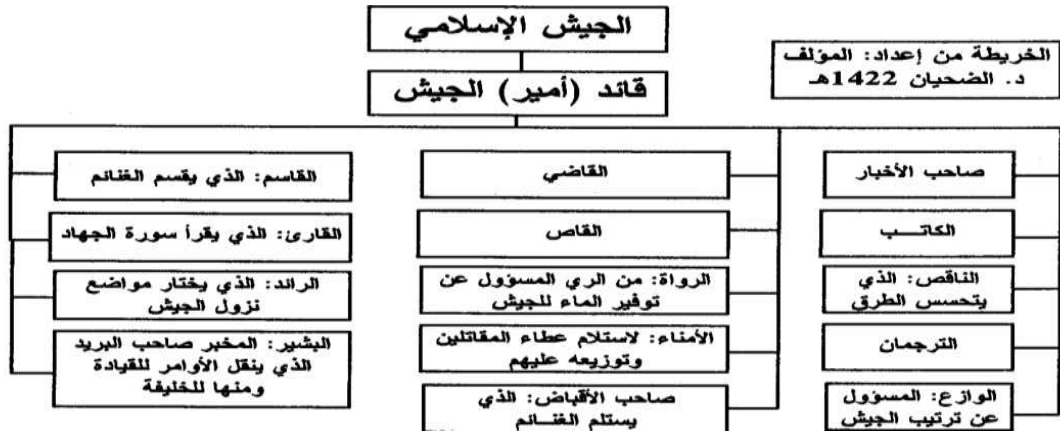
(٣٠٤) المرجع نفسه، ص ١٩٤.

(٣٠٥) أنور الرفاعي: النظم الإسلامية، ص ١٣١.

(٣٠٦) المرجع نفسه، ص ١٣١-١٣٣.



الهيكل التنظيمي للجيش الإسلامي^(٣٠٧):



النظام الاجتماعي:

وضَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاقة بين أفراد المجتمع الإسلامي في خطبته التي خطبها في حجة الوداع^(٣٠٨) فقال: (يا أيُّها النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربيٍّ، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتَّقوى، أبلَّغت؟ قالوا: بلَّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٣٠٩).

ومن أبرز الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، التي تبنَّتها القرآن الكريم والسُّنة النبوية، وطبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجتمع المدينة المنورة، هي:

١- احترام شخصية الإنسان وتكريمه.

٢- أن الروابط التي تربط أفراد المجتمع الإسلامي، هي الروابط العقيدية، وما يتفرَّع عنها من نظام وعواطف؛ هي روابط الأخوة في الله والولاء بين المؤمنين.

٣- المساواة بين أفراد المجتمع الإسلامي، وعدم التفريق بينهم بسبب الجنس، أو اللون، أو الثروة، أو السلطة^(٣١٠).
عن عروة، عن عائشة - رضى الله عنها- قالت: (أنَّ امرأةً مخزوميةً كانت تستعيرُ المتاعَ فتجحدُه فأمرَ النَّبيُّ

(٣٠٧) عبد الرحمن الجوبير: النظم الإسلامية وحاجة البشرية إليها، ص ١٨٦.

(٣٠٨) السيد هاشم الموسوي: النظام الاجتماعي في الإسلام، ط١، دار الصفوة، بيروت، ١٤١٣ هـ/١٩٩٢ م، ص ٤١.

(٣٠٩) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط٢، دار إحياء التراث العربي، كتاب الحج، باب ما جاء في الخطبة أوسط أيام التشريق، رقم الحديث ٤٢٧، ٢٢٦/١٢.

(٣١٠) السيد هاشم الموسوي: النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٤٠-٤١.



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَقِطَع يَدَهَا فَأَتَى أَهْلَهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَكَلَّمُوهُ فَكَلَّمَ أُسَامَةُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا أُسَامَةُ أَلَا أُرَاكَ تَكَلِّمُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطِيبًا فَقَالَ إِنَّمَا هَلَاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَأْتَهُ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرْكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطِّعُوهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعْتُ يَدَهَا فَقَطَّعَ يَدَ الْمُخْزُومِيَّةِ (٣١١).

٤- أن مقياس التفاضل في المجتمع الإسلامي هو العمل والتقوى، وقد أثر عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أنه طلب إلى بلال الحبشي أن يؤذّن للصلاة؛ لأنه كان ندي الصوت، وكذلك الحال في تلاوة القرآن الكريم، واستمر الحال على هذا المنوال في عهد الخلفاء الراشدين، الذين انصرفوا إلى الجهاد في سبيل إعلاء لكلمة الإسلام (٣١٢).

٥- المجتمع الإسلامي مجتمع أخلاقي يتميز باحترام الأخلاق الفاضلة، والتمسك بها، كالعطف والرحمة وغيرها (٣١٣).

٦- كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض على النصارى واليهود دينه، فإن قبلوه دخلوا الإسلام، وإن رفضوه لم يكرههم على الدخول فيه، وإنما يسألهم أن يعطوا الجزية، وهي ثمن حماية المسلمين لهم؛ ليأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وكف الأذى عنهم. وفي تاريخ الفتوح عهود كثيرة كتبت لأهل الذمة، عاهدهم المسلمون فيها بحمايتهم وتسهيل أعمالهم، في مقابل ما يؤدونه من الجزية، ككتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى صاحب أيلة. وكان الخلفاء الراشدون إذا أنفذوا جيشاً للفتح، أوصوا قوادهم بأهل الذمة خيراً، ولا سيما النصارى ورهبانهم (٣١٤).

٧- المجتمع الإسلامي مجتمع تعاوني، تكون الحياة فيه حياة تعاونية في مجالاتها: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والإصلاحية.

٨- التوازن في الحقوق والواجبات بين الفرد والجماعة، حيث وازن الإسلام بين حقوق الفرد والجماعة.

٩- عدّ الأسرة القاعدة الأساسية في البناء الاجتماعي، فهي مؤسسة اجتماعية مقدّسة في نظر الإسلام (٣١٥).

نظام القضاء:

عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

يعدّ النبي صلى الله عليه وسلم أول قاض في الإسلام، وكان المصدر الأعلى للمسلمين، فإليه يرجعون في كل خصومة ونزاع، وقد جاء في الحلف الذي عُقد بين المسمين واليهود، أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف

(٣١١) الساعاتي: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، كتاب الحدود والحث على إقامة الحد والنهي عن الشفاعة فيه، ٦٢/١٦.

(٣١٢) حسين الحاج حسن: النظم الإسلامية، ط ١، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٧م، ص ٣٤٤.

(٣١٣) السيد هاشم الموسوي: النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٤٢.

(٣١٤) حسين الحاج حسن: النظم الإسلامية، ص ٣٣٥.

(٣١٥) السيد هاشم الموسوي: النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٤٢-٤٥.



فساده، فإن مرده إلى الله ﷻ وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ثم أصبح النبي - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- هو القاضي الذي يفصل بين أهل المدينة المسلمين منهم واليهود، ويقضي فيما بينهم من شجار أو نزاع.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص حرصاً بالغاً على العدالة بين المتخاصمين، بحيث لا ينال أحد أكثر من حقه؛ بسبب براعته في الدفاع عن نفسه، وعرض وجهة نظره، ومن أجل هذا روى عنه صلى الله عليه وسلم (٣١٦) أنه قال: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ، فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الثَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا) (٣١٧).

وقد أثرت عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أحاديث جلية، وقصص متواترة تدل على شدة تمسكه بحبل العدالة والحفاظ عليها، وتحديد قضاة السوء والظلم والجور. وبعد انتشار الإسلام، واتساع الدولة الإسلامية، أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس بالكتاب، والسنة، والاجتهاد، فقد بعث علي بن أبي طالب إلى اليمن للقضاء، وبلغ عدد الذين اشتهروا بالقضاء والفتيا من الصحابة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مائة وواحد وثلاثين رجلاً وامرأة (٣١٨).

ويمثل القضاء في العهد النبوي الأسس التي قامت عليها دعائم القضاء الإسلامي، ثم نما القضاء في العهود التالية، واتسع نطاقه بالتطبيق العملي الذي يستند إلى تلك الدعائم، حتى استكملت النظم القضائية جوانبها المختلفة باجتهاد الفقهاء، وما استنبطوه من أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان في عهده من وقائع قضائية (٣١٩).

عهد الخلفاء الراشدين:

كان أبو بكر الصديق يقضي بنفسه إذا عرض له قضاء، ولم تُفصل ولاية القضاء عن الولاية العامة في عهده، ولم يكن للقضاء ولاية خاصة مستقلة كما كان الأمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان الناس على مقربة من النبوة، يأخذون أنفسهم بهدي الإسلام، وتقوم حياتهم على شريعته، وقلماً توجد بينهم خصومة تُذكر.

وعندما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه سار على نهج أبي بكر الصديق في أمر القضاء أول عهده، ثم اتسعت رقعت الدولة الإسلامية، وامتدت الفتوحات، وظهر الإسلام على البلاد المفتوحة، وزاد النزاع والتشاجر، فرأى عمر رضي الله عنه أن يفصل الولايات بعضها عن بعض، وأن يجعل سلطة القضاء مستقلة؛ حتى يتفرغ الوالي لإدارة شؤون ولايته، فأصبح للقضاء ولاية يزاوِلونه، ولا يزاوِلون غيره من أعمال الحكم والإدارة، وكان عمر بهذا أول من جعل للقضاء ولاية خاصة، فعين القضاء في الأمصار الإسلامية.

(٣١٦) فاطمة قطيوني: تطور نظام القضاء في الحضارة الإسلامية من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر، ١٤٣٤هـ، ص ٣٣.

(٣١٧) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، كتاب المظالم والغصب، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، رقم الحديث ٢٤٥٨، ١٣١/٣.

(٣١٨) فاطمة قطيوني: تطور نظام القضاء في الحضارة الإسلامية من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى العصر العباسي الأول، ص ٣٤-٣٥.

(٣١٩) مناع خليل القطان: "النظام القضائي في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة"، مكتب التربية العربي لدول الخليج، وقائع ندوة النظم الإسلامية لدول الخليج، أبو ظبي، المجلد ٢، صفر/نوفمبر ١٩٨٤م، ص ٣٥١.



وعندما بُويِع عثمان بن عفان ؓ بالخلافة كان على المدينة ثلاثة قضاة، وهم: علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، والسائب بن يزيد - رضي الله عنهم جميعاً- ويذكر بعض الباحثين أن عثمان لم يترك لأحد من هؤلاء القضاة الاستقلال بالفصل في قضية من القضايا، كما كان الحال في عهد عمر ؓ بل كان ينظر في الخصومات بنفسه، ويستشير هؤلاء وغيرهم من الصحابة فيما يحكم به، فإن وافق رأيهم رأيهم أمضاه، وإن لم يوافق رأيهم رأيهم؛ نظر في الأمر بعد ذلك (٣٢٠).

وتولى بعد ذلك علي بن أبي طالب ؓ الخلافة، واقتربت توليته بالفتنة التي نجمت عن قتل عثمان، وما تبعها من أحداث شقّت صف المسلمين وفرّقت كلمتهم، وأصبحت مواجهة تلك الأحداث لرأب الصدع شغله الشاغل، وصرفته عن العناية الكاملة بشؤون الولاية، ومنها ولاية القضاء. وعلي نفسه كان علماً من أعلام القضاء الإسلامي في فقهه وثاقب نظره، تشهد له القضايا المتعددة التي فصل فيها بحذق ومهارة، واشتهر بين الصحابة بذلك، وكان عمر بن الخطاب يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو الحسن.

وكان علي ؓ حريصاً على ألا يتولى أمراء الأمصار القضاء بين الناس؛ ليكون ذلك أدعى لتحقيق العدالة، وأرفع للشبهة، وأقوم للنظام، وترك أمر اختيار القضاة للولاة الذين عينهم على الأمصار (٣٢١).

النتائج:

توصلت الباحثة من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. أثبتت الدراسة عجز تشريعات البشر ونظمهم عن إسعاد الإنسان إذا انقطعت عن وحي الله وهدايته.
 ٢. تميّزت النظم الإسلامية في مجملها باعتماد مبدأ العدل، والمساواة، والشورى، والمراقبة الأمنية، ووجوب طاعة أولى الأمر لتحقيق صالح المجتمع.
 ٣. النظم الإسلامية نظم واضحة المعالم، وبالرغم من تنوّعها؛ لكنها تجتمع في هدف واحد وهو تحقيق التوازن بين مصالح الفرد والمجتمع، وللوصول إلى سعادة الدارين.
 ٤. مرونة النظم الإسلامية التي تمنح القائد فرصة للإضافة والتعديل عليها؛ ليصل إلى ملاءمتها مع الظروف التي تطرأ عليها وتستلزم التغيير؛ حتى تصل إلى الهدف المنشود.
 ٥. تميّزت النظم الإسلامية في صدر الإسلام ببساطتها وبُعدها عن التكلّف، إلى جانب مراعاتها لحقوق جميع أفراد المجتمع الإسلامي، على اختلاف أجناسهم، وألوانهم، وأديانهم.
- وأخيراً، فإن موضوع تطبيق النظم الإسلامية تطبيقاً واقعياً في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين يحتاج إلى الكثير من المجلدات حتى يُوفى بشكل تام وكامل، وما عُرض إنما هو غيض من فيض.

(٣٢٠) المرجع نفسه، ص ٣٦٦-٣٧٧.

(٣٢١) مناع خليل القطان: "النظام القضائي في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة"، ص ٣٧٩ - ٣٨٠.



قائمة المصادر والمراجع

=القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ): صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

ثانياً: المراجع:

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط٢، دار إحياء التراث العربي، [د.ت].

أحمد عجاج كرمي: الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ط١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٧هـ.

إسماعيل علي محمد: مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية، ط١، دار النداء، إسطنبول، ٢٠١٤م.

أنور الرفاعي: النظم الإسلامية، [د.ط.]، دار الفكر، [د.م.]، [د.ت].

حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن: نظم إسلامية، [د.ط.]، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، [د.ت].

السيد هاشم الموسوي: النظام الاجتماعي في الإسلام، ط١، دار الصفوة، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط١، منشورات الشريف راضي، إيران، ١٤١٧هـ.

عبد الرحمن الجوير: النظم الإسلامية وحاجة البشرية إليها، ط١، دار المآثر، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٨م.

الدوريات:

عبد الشافي محمد عبد اللطيف: "الإدارة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم"، الموسم الثقافي للجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٨٤م.

فرناس عبد الباسط البنا: "التنظيم الإداري في الدولة الإسلامية منهجاً وتطبيقاً عهد الرسول صلى الله عليه وسلم"، وقائع ندوة النظم الإسلامية، المجلد ١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، أبو ظبي، صفر/ نوفمبر ١٩٨٤م.

فهد بدري أحمد: "الحياة السياسية والإدارية في العهد الراشدي"، وقائع ندوة النظم الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، المجلد ١، أبو ظبي، ١٩٨٤م.

مروان عاطف ربيع الضلاعين: "التنظيمات المالية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ٧٠/ الجزء ٤، مصر، أكتوبر ٢٠١٠م.



مناخ خليل القطان: "النظام القضائي في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة"، مكتب التربية العربي لدول الخليج، وقائع ندوة النُظُم الإسلامية لدول الخليج، أبو ظبي، المجلد ٢، صفر/نوفمبر ١٩٨٤م.

الرسائل الجامعية:

فاطمة قطيون: تطور نظام القضاء في الحضارة الإسلامية من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر، ١٤٣٤هـ.



المرأة وخدمة المجتمع في ضوء الكتاب والسنة

"أمهات المؤمنين والصحابيات - رضي الله عنهن- أنموذجًا: دراسة تاريخية حضارية"

Women and community service in the light of the Qur'an and Sunnah" The Mothers of the Believers and the Companions, may God be pleased with them, as a model - a "historical and civilized study

د. عائشة بنت مرشود حميد الحربي - أستاذ التاريخ الوسيط المشارك جامعة طيبة - المملكة العربية السعودية

Email: Ay.1430@hotmail.com

الملخص:

سلط هذا البحث الضوء على دور المرأة في خدمة المجتمع، من خلال إسهاماتها في العديد من الأعمال التطوعية الخيرية، ويشمل نطاق البحث: التعريف بمفهوم العمل التطوعي، ودوره في خدمة المجتمع، ومُنطلقاته في الكتاب والسنة، والدعوة إلى الإسهام في أوجهه المختلفة، مع استخلاص مفهومه الواسع، وعرض نماذج تاريخية مُشرقة لمشاركة أمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات - رضي الله عنهن- في هذا المجال. وتمثّل منهج البحث في المنهج الوصفي التحليلي؛ لاستنباط النماذج المطلوبة.

الكلمات المفتاحية: التعليم، التمريض، صلة الرحم، الحسبة، سقي الماء.

Summary

This research sheds light on the role of women in community service through their contributions to many charitable voluntary works. The scope of the research includes introducing the concept of voluntary work and its role in community service. Clarifying its starting points in the Qur'an and Sunnah, and the call to contribute to its various aspects, while extracting its broad concept, and presenting bright historical models for the participation of the mothers of the believers and the venerable companions, may God be pleased with them, in this field. The research method is descriptive and analytical to elicit the required models.

Keywords: education, nursing, kinship ties, hisbah, watering.



المقدمة:

قام الدين الإسلامي على العديد من القيم والأسس العظيمة، ومن أهمها: المسؤولية المجتمعية، والتعاون في أعمال البر المختلفة، فبالتعاون تتحد الأيدي لبناء مجتمع متلاحم. ويشارك في هذا البناء كافة الأفراد رجالاً ونساء، ولعل العمل الخدمي التطوعي بأبوابه المختلفة خير ما يجسد هذا المعنى.

ومن دلائل حرص الإسلام على إقامة مجتمع إسلامي مترابط؛ تشجيعه على فعل الخيرات في مختلف الميادين، وقد جاءت النصوص الشرعية تؤكد مدى أصالة العمل التطوعي الخيري، سواء في الكتاب المنزل، أو من السنة النبوية، وجسد لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في سيرته الشريفة العديد من النماذج لأوجه العمل التطوعي، التي تعود بالنفع على كافة فئات المجتمع، وكذلك فعل صحابته - رضوان الله عليهم فكانوا أنموذجاً لترجمة تطبيق أعمال التطوع الخيرية المختلفة.

ومن منطلق أن النساء شقائق الرجال، أسهمت المرأة - أسوة بالرجل- في بناء المجتمع وخدمته في مجالات عديدة بما يتناسب مع فطرتها وأساس تكوينها، فكان لها الدور الفعال في زيادة ميادين العمل الخيري بأبواب مختلفة، كنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة إلى الله، ونشر التعليم، والتمريض، وحفظ الأمن في أثناء الحروب والغزوات، فضلاً عن أعمال البر التطوعية المختلفة، مثل: الصدقة، ورعاية الأيتام وغيرها، التي أدت إلى تطوير المجتمع وإصلاحه.

ولا غرو في ذلك، فقد أدركت المرأة منذ بزوغ فجر الإسلام أن لها دوراً رائداً في بناء المجتمع وخدمته، ولها من المجالات والأدوار ما يتناسب معها؛ لذا استطاعت أن تؤدي دورها وتشق طريقها في مجتمعها، فهي كالرجل راعية، ومسؤولة عن رعيته كما قال صلى الله عليه وسلم: "ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته" (٣٢٢). وسنحاول من خلال هذا البحث إبراز هذا الجانب للمرأة وأهميته، من خلال العديد من المحاور، بدءاً بتعريف المقصود بالعمل التطوعي، ثم الوقوف على منطلقاته في الكتاب والسنة، ومروراً بالعديد من الأمثلة لأمهمات المؤمنين والصحابيات الجليلات - رضي الله عنهن- وختاماً بذكر أهم نتائج الدراسة.

وقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي، الذي يعتمد على استخراج المادة العلمية وجمعها من مصادر الأولى والثانوية، كما اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي القائم على رصد النماذج التاريخية من المصادر الأصيلة؛ بغرض استنباط النماذج المشرقة من آثار أمهات المؤمنين والصحابيات لدور المرأة في خدمة المجتمع، من خلال مشاركتها في مجالات العمل التطوعي المتنوعة.

مفهوم العمل التطوعي:

لغة: يُطلق لفظ الخير على عدة معانٍ، من أهمها البر. ويأتي البر بمعنى الإحسان والتوسع في عمل الخير (٣٢٣).

(٣٢٢) البخاري، صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، د.ت، الحديث رقم ٧١٣٨.
(٣٢٣) عبد الله المطوع: العمل الخيري المؤسسي، الرياض، مطابع الجامعة، ط١، ٢٠٠٨م، ص٦٢.



اصطلاحاً: اسم جامع للخيرات، وهو الطريق الموصّل إلى الجنة.

وللبر مفهوم أخصّ لدى المشتغلين بالعمل الخيري، وهو فعل الخير؛ مما يجعل نفعه متعدداً للآخرين^(٣٢٤).

ومن وجهة نظر الباحثة: فهو مساهمة الفرد في تقديم خدمات متنوّعة تُسهم في بناء المجتمع وتآزره، ويُقصد منها التقرب لله ﷻ بما قدّم من مال أو عمل ووقت، فهو يبتغي بذلك ما عند الله من الأجر والثوبة، سواء كان أجراً وبركة في الدنيا، أو أجراً مضاعفاً في الآخرة.

المنطلقات الشرعية للأعمال الخدمية التطوعية في الكتاب والسنة:

انطلقت المساهمة في الأعمال التطوعية من أصلاتها في الكتاب والسنة، فقد وردت آيات عديدة في القرآن الكريم تدعو الذكر والأنثى - على حدّ سواء- إلى المسارعة في الخيرات، فهي بمنزلة العمل الصالح الذي يُبذل رغبة في التقرب لله ﷻ لنيل الثواب العظيم منه سبحانه، ومن ذلك نذكر:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣٢٥).

وقال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣٢٦).

وقال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَبُو أُتْنَى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(٣٢٧).

وقال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣٢٨).

وقال الله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٣٢٩).

(٣٢٤) عبد الله المطوع، العمل الخيري المؤسسي، ص ٦٢.

(٣٢٥) سورة آل عمران: الآيتان: ١٣٣ - ١٣٤.

(٣٢٦) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٣٢٧) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

(٣٢٨) سورة المائدة: الآية ٢.

(٣٢٩) سورة الإنسان: الآية ٨.



وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ ۚ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٣٠).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٣٣١).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٣٢).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٣٣٣).

وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٣٣٤).

وقال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٣٣٥).

من الآيات السابقة نرى نماذج وأمثلة عديدة للأعمال التطوعية التي يمكن أن يسهم بها الفرد في خدمة مجتمعه، وقد ربط الله كل عمل خير بما سيناله العبد من عظيم الأجر والثوبة عنده ﷻ وجعل فعل الخير تطوعاً من أسباب الفلاح، ومن يفعله فإنه يعدّ من أفضل الناس عند ربه.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم تدعو إلى المساهمة في مجالات عديدة من الأعمال الخدمية التطوعية، ومنها:

قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (٣٣٦).

وقال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع» (٣٣٧).

وقال رسول الله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق» (٣٣٨).

وقال رسول الله ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصل» (٣٣٩).

(٣٣٠) سورة التغابن: الآية ١٦.

(٣٣١) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٣٣٢) سورة الحج: الآية ٧٧.

(٣٣٣) سورة البينة: الآية ٧.

(٣٣٤) سورة الزلزلة: الآية ٧.

(٣٣٥) سورة الحشر: الآية ٩.

(٣٣٦) البخاري: صحيح البخاري ، ٨٩٠/٢.

(٣٣٧) رواه الطبراني، الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧ م.

(٣٣٨) الإمام مسلم: صحيح مسلم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٦ م، ١٦ / ١٧٧.

(٣٣٩) سنن الترمذي: بيروت، دار الفكر، د.ت، ٨٤/٢.



وقال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(٣٤٠).

وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمره، فإن لم تجد فبكلمة طيبة»^(٣٤١).

وقال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره؛ فليصل رحمه»^(٣٤٢).

وقال رسول الله ﷺ: «خيركم من أطعم الطعام، وردّ السلام»^(٣٤٣).

وقال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة؛ فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(٣٤٤).

وقال رسول الله ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا؛ نفّس الله عنه كربة من كرب القيامة، ومن يسّر على مُعسر؛ يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة»^(٣٤٥).

وقال رسول الله ﷺ: «أطأ الأذى عن الطريق، فهو لك صدقة»^(٣٤٦).

ومن الأحاديث النبوية السابقة؛ ندرك مدى تشجيع الرسول ﷺ للمسلمين؛ للمساهمة في العمل التطوعي بشتى أبوابه، فمنه ما يكون بالقول أو العمل، كالصدقة، وإطعام الطعام، وصلة الرحم، مع ربطها بالأجر الجزيل الذي سيجني العبد ثماره في الدنيا والآخرة؛ مما يدفعه إلى المسارعة في المبادرة بالعمل التطوعي، كل بحسب استطاعته.

أهمية الأعمال الخدمية التطوعية في بناء المجتمع:

يؤدي إسهام الفرد بالعمل التطوعي إلى نشر المحبة بين أفراد المجتمع الواحد، وتعزيز الأخوة الإيمانية في علاقة المسلم بأبناء مجتمعه، وإشاعة التعاون ونشره بين أفراد المجتمع المسلم على الخير والإحسان، فضلاً عن أن القيام به سبب لنيل الأجر العظيم المترتب عليه، واستثمار الفرد لوقته لما يعود عليه بالنفع^(٣٤٧).

ومن وجهة نظر الباحثة، فإنه يقضي على روح الأنانية والذاتية؛ إذ يجعل الفرد المسلم يشعر أن عليه واجباً نحو أبناء مجتمعه، فيساعدتهم قدر المستطاع؛ حيث إن هذا يؤدي إلى تنمية الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، كما أنه يُشعر الفرد

(٣٤٠) متفق عليه، البغوي: شرح السنة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٦٥م، ٧١/١٣.

(٣٤١) متفق عليه، شرح السنة، ١٤٠/٦.

(٣٤٢) متفق عليه، شرح السنة، ١٩/١٣.

(٣٤٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: بيروت، دار صادر، دت، ١٦/٦.

(٣٤٤) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار المعرفة، دت، ٩٧/٥.

(٣٤٥) الإمام مسلم: صحيح مسلم، ٢١/١٧.

(٣٤٦) رواه الإمام أحمد ٤٢٣/٤.

(٣٤٧) عبد الله المطوع: العمل الخيري المؤسسي، ص ٩٤ - ٩٩.



بالسعادة حينما يساعد غيره، ويعزز ثقته بنفسه؛ إذ يشعر أن قيمته تتحقق بالعطاء الذي قدمه للآخرين، إضافة إلى اكتساب الفرد للعديد من المهارات والخبرات، وتُتاح له الفرصة في العمل التطوعي المناسب لإمكاناته وخبراته.

كما أنه يقضي على الشعور بالفوارق بين أبناء المجتمع الواحد، ويُسهم في تنمية المواهب لدى الأفراد، ويجعل الفرد يقضي وقت فراغه بما يعود عليه وعلى مجتمعه بالفائدة والنفع. ومن خلال الأعمال التطوعية يتواصل أبناء المجتمع الواحد، فضلاً عن أنه يظهر المجتمع الإسلامي أمام كل العالم بصورة الجسد الواحد، الذي أصبح أفراد كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً.

نماذج من إسهامات أمهات المؤمنين- رضي الله عنهن- في خدمة المجتمع:

السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، رضي الله عنها:

أولى زوجات الرسول ﷺ وأول من آمن به من النساء، وناصرته في دعوته، وأعانته على تحمل الأذى^(٣٤٨)، وتحملت معه أعباء حصار الشَّعب^(٣٤٩).

ونتيجة لذلك نالت السيدة خديجة - رضي الله عنها- بشارة عظيمة من ربها، كما ورد في الصحيح عن أبي هريرة ؓ قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك، فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشّرْها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»^(٣٥٠).

ومن مآثر أقوال الرسول ﷺ عن السيدة خديجة - رضي الله عنها- بعدما توفيت: «والله ما أبدلني الله خيراً منها: آمنت بي حين كفر الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء»^(٣٥١).

أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها:

كان لها - رضي الله عنها- إسهامات كبيرة في الأعمال الخيرية المتعددة الأبواب، وفي مقدمتها التعليم، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾^(٣٥٢).

وقال الزهري عنها: «لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء؛ لكان علم عائشة أفضل»^(٣٥٣).

(٣٤٨) ابن هشام: السيرة النبوية، القاهرة، المكتب الثقافي، ٢٠٠٤م، ج ١/ ١٤١.

(٣٤٩) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢/ ٣- ٤، ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، المدينة، ط ١، مكتبة دار التراث، ١٩٩٢م، ج ١/ ٨٠.

(٣٥٠) رواه البخاري في صحيحه، رقم: ٥٣٩.

(٣٥١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم: ١١٨.

(٣٥٢) سورة الأحزاب: آية ٣٤.

(٣٥٣) ابن عبد البر: الاستيعاب ١٨٨٣/٤، ابن حجر: الإصابة، ١٤٠/٨.



وقد قال عروة بن الزبير رضي الله عنه عن السيدة عائشة، رضي الله عنها: «ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة»^(٣٥٤).

لقد كانت - رضي الله عنها- مرجعاً للصحابة في تفسير الأحاديث النبوية التي وجدوا إشكالات في تفسيرها، ومما قاله أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "ما أشكل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط، فسألنا عائشة - رضي الله عنها- إلا وجدنا عندها منه علماً"^(٣٥٥). وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام"^(٣٥٦).

كما كانت - رضي الله عنها- نموذجاً يُحتذى به في الصدقة والسخاء بكل ما تملك؛ تأسياً بوصيته - عليه الصلاة والسلام- حين قال لها: «يا عائشة، استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسدّ من الجائع مسدها من الشبعان»^(٣٥٧).

وعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: «جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم أجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئاً، ثم قامت فخرجت وابنتاهما، فدخل النبي ﷺ فحدثته حديثها، فقال: من بلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن؛ كن له سترًا من النار»^(٣٥٨).

كما أن أم المؤمنين زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها- كانت تُعرف بأُم المساكين؛ لأنها كانت تطعمهم، وتتصدق عليهم^(٣٥٩).

أما أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها- فقد قالت عنها السيدة عائشة، رضي الله عنها: «لم أرَ امرأة قط خيراً في الدين من زينب بنت جحش، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشدّ ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به لله تعالى»^(٣٦٠).

ومن قول عائشة - رضي الله عنها- السابق عن السيدة زينب بنت جحش- رضي الله عنها- ندرك أن السيدة زينب قد أسهمت في عدة أعمال خيرية، وفي مقدمتها: الصدقة وصلة الرحم. وقد كان ﷺ يقول لزوجاته، رضي الله عنهن: «أسر عكن لحاقاً بي أطولكن يداً»^(٣٦١).

^(٣٥٤) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت، ج ٨/ ١٤٠، ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بيروت، دار الفكر، ج ٤/ ١٨٨٣.

وللوقوف بالتفصيل على دور السيدة عائشة في العلم، انظر عبد الحميد طهماز: السيدة عائشة أم المؤمنين، وعالمة نساء الإسلام، الرياض، ط ٣، مطابع الفرزدق، ١٩٩٠م، ص ١٨١ - ٢٣٠.

^(٣٦٢) رواه الترمذي في سننه، رقم: ٣٩٠٩.

^(٣٦٣) رواه البخاري في صحيحه، رقم: ٣٧٧٠.

^(٣٥٧) رواه أحمد في مسنده، ٧٩/٦.

^(٣٥٨) متفق عليه، شرح السنة، ١٨٧/٦.

^(٣٦٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤/ ص ٢٩٦.

^(٣٦٥) رواه مسلم في صحيحه، ٢٤٥٢.

^(٣٦٦) رواه مسلم في صحيحه، ٨/ ١٦.



والمقصود بطول اليد هو كثرة مدها بالعطاء للفقراء، فقد كانت - رضي الله عنها- تعمل بيدها وتتصدق على الفقراء^(٣٦٢). وقالت السيدة عائشة- رضي الله عنها- حين علمت بوفاة زينب بنت جحش، رضي الله عنها: «لقد ذهبت حميدة متعبدة، مفزع اليتامى والأرامل»^(٣٦٣).

وقد أثر عن أم المؤمنين ميمونة بنت أم الحارث- رضي الله عنها- أنها أخبرت النبي ﷺ أنها اعتقت وليدة ولم تستأذنه، فلم كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: أشعرت يا رسول الله أنني اعتقت وليدتي؟ قال: «أو فعلت؟ قالت: نعم، قال: «أما إنك لو أعطيتها أخوالك؛ كان أعظم لأجرك»^(٣٦٤).

والتأمل في قول رسول الله ﷺ يرى أنه - عليه الصلاة والسلام- يفضل أن يخص ذوو الأرحام بالمعروف؛ لما لصلة الرحم من أجر عظيم عند الله. ولما توفيت قالت عنها السيدة عائشة، رضي الله عنها: «ذهبت والله ميمونة، أما إنها والله كانت من أتقانا وأوصلنا للرحم»^(٣٦٥).

وصلة الرحم تشمل كل ذي رحم، حتى إذا كان من غير المسلمين، فقد ورد أن جارية لصفية أم المؤمنين- رضي الله عنها- قالت: «يا أمير المؤمنين، إن صفية تحب السبب وتصل اليهود، فبعث عمر إلى صفية يسألها عن ذلك، فأجابت: أما السبب فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإني لي فيهم رحمًا، فأنا أصلها»^(٣٦٦).

وكانت السيدة أم سلمة - رضي الله عنها- قد ضربت لنا أعظم الأمثلة في إسهام المرأة بالأراء الحكيمة والأفكار السديدة والحلول السليمة، وذلك بعد عقد صلح الحديبية، فإن الرسول ﷺ قد أمر الصحابة بأن يقوموا، فينحروا، ثم يخلقوا، فما قام منهم رجل، فعل ذلك ثلاث مرات، وما منهم من مجيب، فدخل على زوجه أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله، أخرج لا تكلم أحدًا منهم، حتى تنحر بدنك وتحلق.

فأخذ عليه السلام بمشورتها، وفعل ما أشارت به، فلما رأى الصحابة ذلك؛ قاموا مسرعين متدافعين، فنحروا، وجعل بعضهم يخلق رؤوس بعض؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا وندمًا^(٣٦٧).

وإضافة إلى ذلك، فأم سلمة - رضي الله عنها- ثاني راوية للحديث بعد السيدة عائشة - رضي الله عنها- إذ روت ثلاثمائة وثمانين حديثًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة في المسائل والأحكام التي تتعلق بالنساء^(٣٦٨).

(٣٦٢) عائشة بنت الشاطئ: تراجم سيدات بيت النبوة، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٧م، ص٤٤٤.

(٣٦٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١٨٥١/٤.

(٣٦٤) متفق عليه، شرح السنة، ١٩٥٦.

(٣٦٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، بيروت، دار بيروت، (د)، ج١٣٨/٨.

(٣٦٦) ابن حجر: الإصابة، ج١٢٧/٨، وابن عبد البر: الاستيعاب، ج١٨٧٢/٤، وابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢٦٩/٨.

(٣٦٧) الطبري: تاريخ الطبري، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م، ج١٢٤/٢، وابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م، ج٢٩٥/٣، صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م، ص٣١٤، والواقدي: المغازي، ٦١٣/٢.

(٣٦٨) البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٦٢، والمزي: خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٣٨/٢.



نماذج من إسهامات الصحابييات - رضي الله عنهن - في خدمة المجتمع:

كان للصحابييات - رضي الله عنهن - إسهامات متعددة في أعمال مختلفة؛ خدمة للمجتمع، وستضرب الباحثة لكل عمل أنموذجاً واحداً أو أكثر لبعض الصحابييات - رضي الله عنهن، ومنهن:

الشفاء بنت الحارث؛ إذ كانت - رضي الله عنها - ممن تعلمن القراءة والكتابة في مكة قبل الإسلام، وقيل: إنها تعلمت الكتابة من معاوية ويزيد بن أبي سفيان، وكانت ذات خط حسن^(٣٦٩). ولما أسلمت أخذت - رضي الله عنها - في تعليم النساء؛ رغبة في الأجر والثواب، فهي أول معلمة في الإسلام، وقد علّمت الشفاء أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنها - القراءة والكتابة، فضلاً عن أنها عملت محتسبة في السوق في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان الخليفة يثق في سداد رأيها ورجاحة تفكيرها، كما أسهمت في علاج المرضى^(٣٧٠).

وكما أسهمت الصحابييات في التعليم والحسبة، فإنهن أسهمن أيضاً في الدعوة إلى الله ونصرة رسوله ﷺ ومن ذلك نذكر أم شريك القرشية، فقد كانت - رضي الله عنها - من السابقات إلى الإسلام، ثم بدأت تذهب سرّاً إلى نساء قريش فتدعوهم إلى الإسلام، ولما علم كفار قريش بأمرها؛ أبلغوا قومها، فحضرُوا وعذبوها؛ لكنها صبرت، وكان من ثمار هذا الصبر أن آمن قومها بعد حين^(٣٧١).

وأسهمت أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - في نصر الدعوة الإسلامية، فعندما هاجر والدها ﷺ مع الرسول ﷺ سأله أبو جهل عن أمر أبيها، فأنكرت معرفتها بمكانه، فلطمها لكمة قوية على وجهها؛ لكنها صمدت ولم تدلّ المشركين على المكان.

وكانت - رضي الله عنها - تحت جناح الظلام تأخذ الطعام والشراب لو والدها ﷺ والرسول ﷺ في الغار، وبالإضافة إلى ذلك كانت كثيرة الصدقة وتعتق العبد المملوك، كما شاركت في معركة اليرموك^(٣٧٢).

كما أن المرأة المسلمة بذلت روحها رخيصة في سبيل الله، ومن أشهرهن سمية بنت خياط - رضي الله عنها - فقد ذاقت أشد العذاب من كفار قريش لما أسلمت؛ ولكنها صبرت ولم ترتد عن دينها؛ ولذا طعنها أبو جهل بحربة كانت بيده فماتت، رضي الله عنها^(٣٧٣).

ونالت أم ورقة بنت عبد الله بن نوفل - رضي الله عنها - الشهادة بحسب ما تمّنت، حيث قالت لرسول الله ﷺ حين عزم على الخروج إلى غزوة بدر: ائذن لي أن أخرج معكم أداوي جرحاكم، وأمرّض مرضاكم، فلعل الله يهدي إلي الشهادة؛ لكن الرسول ﷺ لم يأذن لها بذلك، وأمرها بأن تبقى في بيتها، وأن الله سيهديها الشهادة. وكانت قارئة - رضي الله عنها -

(٩) ابن شبة: تاريخ المدينة المنورة، ١/ ٢٤٨.

(٣٧٠) ابن حجر: الإصابة، ج ١٢١/٨، وأرشيد يوسف: الحضارة الإسلامية، الرياض، مكتبة العبيكان، ص ١٣، وابن سعد: الطبقات، ٢٦٩/٨، والبلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٦١، وابن الأثير: أسد الغاية، ١٧٧/٧.

(٣٧١) ابن حجر: الإصابة، ج ٨/ ٢٤٨ - ٢٥٠، وابن سعد: الطبقات، ج ٨/ ١٥٥ - ١٥٦، والأصبهاني: حلية الأولياء، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت)، ج ٩٦/٢ - ٩٧.

(٣٧٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤٨٨/١، وابن سعد: الطبقات، ج ٨/ ٢٥٠ - ٢٥٣، وابن كثير: البداية والنهاية، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٥/٧ - ٨، الذهبي: سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ م، ج ٢٨٨/٢.

(٣٧٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١٨١/١، والمباركفوري: الرحيق المختوم، ص ٧٩.



للقرآن الكريم، فأمرها الرسول ﷺ بأن تؤم أهل بيتها، وجعل لها مؤذناً، فاستشهدت - رضي الله عنها- مقتولة على يد أحد مماليكها^(٣٧٤).

هذا بالإضافة إلى أنه كان للمرأة المسلمة دورها في رواية الأحاديث عن الرسول ﷺ ومن ذلك أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنها- إذ روت ثلاثين حديثاً عن الرسول ﷺ^(٣٧٥).

وكانت الربيع بنت معوذ - رضي الله عنها- من السابقات للإسلام، فقد روت الأحاديث عن الرسول ﷺ فضلاً عن تفقهها بأمور دينها؛ حتى إنها كانت مرجعاً للصحابة في أمور الدين^(٣٧٦). وكذلك هند بنت عتبة - رضي الله عنها- فقد روت الأحاديث عن النبي ﷺ وروى عنها ابنها معاوية بن أبي سفيان^(٣٧٧).

ومنهن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنها- حيث حفظت العديد من أحاديث الرسول ﷺ فغدت من أوثق الرواة؛ نظر لأمانتها في الرواية^(٣٧٨).

وحفظ التاريخ للمرأة المسلمة دورها المجيد في المعارك الإسلامية، والمساهمة في حفظ الأمن، ومن ذلك صفية بنت عبد المطلب، حيث شاركت في غزوة أحد، وكانت تنقل الماء، وتسقي العطشان، وتبزي السهام، وتصلح القسي، كما دافعت عن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما اشتد به الخطب، وقد شهدت في هذه الغزوة مصرع أخيها حمزة رضي الله عنه^(٣٧٩) وأسهمت في غزوة الخندق، وتجلّى دورها البطولي حينما مرّ رجل يهودي بالمدينة، وأخذ يطوف حول حصن حسان بن ثابت، فخشيت أن يدلّ اليهود على مكان النساء؛ فأخذت عموداً فضربت به فقتل^(٣٨٠)، ثم حرّرت رأسه بسكين، وقذفت به من أعلى الحصن، فطفق يتدحرج حتى استقر بين أيدي يهود كانوا يتربصون في أسفله، فلما رأى اليهود رأس صاحبهم، قالوا: "قد علمنا إن محمداً لم يكن ليترك النساء والأطفال من غير حماة"، فعادوا أدراجهم^(٣٨١).

وكانت أم عطية - رضي الله عنها- من المشاركات في الجهاد الإسلامي، فقد قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى^(٣٨٢).

(٣٧٤) ابن حجر: الإصابة، ج ٨/ ٢٨٩.

(٣٧٥) ابن حجر: الإصابة، ج ٨/ ٢٦٧، ابن سعد: الطبقات، ج ٨/ ٢٧٩.

(٣٧٦) ابن حجر: الإصابة، ج ٨/ ٧٩ - ٨٠.

(٣٧٧) ابن سعد: الطبقات، ج ٨/ ٢٣٧، وابن حجر: الإصابة، ج ٨/ ٢٠٦.

(٣٧٨) ابن سعد: الطبقات، ج ٨/ ٤٦٧، والبلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٦١.

(٣٧٩) عبدالرحمن رأفت: صور من حياة الصحابييات، ص ٢٦ - ٢٨، وعائشة الحربي وآخرون: في رياض الصبر، ص ١٠٥.

(٣٨٠) ابن حجر: الإصابة، ج ٨/ ١٢٩.

(٣٨١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٧٠، وعبدالرحمن باشا: صور من حياة الصحابييات، ص ٣٣.

(٣٨٢) رواه مسلم في صحيحه، ١٢/ ١٩٤.



ورُوي عن الربيع بنت معوذ- رضي الله عنها- قالت: « كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة»^(٣٨٣). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى»^(٣٨٤).

ومما سبق؛ ندرك دور المرأة في الجهاد؛ إذ تمثل في صنع الطعام للمسلمين وسقيهم الماء، ومداواة المرضى، وتضميد الجرحى، وحمل القتلى إلى المدينة، فبالإضافة إلى أعمال خالدة. وقد شاركت المرأة بسلحتها في أرض المعركة، وكان في مقدماتهن أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية، حيث صمدت - رضي الله عنها- وقاتلت قتال الأبطال في غزوة أحد، إضافة إلى سقي الجرحى^(٣٨٥).

وشاركت أسماء بنت يزيد بن السكن في غزوتي الخندق واليرموك، وقامت بعدة أدوار من جهاد أو سقي الماء وتضميد الجرحى، والشد من رباطة جأش المجاهدين. وكان لها دور في حفظ ورواية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم^(٣٨٦). وكانت أم حرام بنت ملحان - رضي الله عنها- من الداعيات إلى الإسلام؛ إذ خرجت مع زوجها عبادة بن الصامت - رضي الله عنهما- إلى قبرص لنشر الدعوة الإسلامية، وركبت - رضي الله عنها- دابة فصرعتها فقتلتها، فنالت - رضي الله عنها - شرف الشهادة^(٣٨٧).

وأسهمت المرأة المسلمة في حث زوجها على ملازمة الطاعات، ومن مآثر ذلك قوله رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت؛ نضح في وجهها الماء. ورحم الله امرأة قامت فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبت؛ نضحت في وجهه الماء»^(٣٨٨).

وهذا مصداق لقوله ﷺ: "الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"^(٣٨٩). وكان الرسول ﷺ يشجع المرأة على النفقة والصلة حتى لجاراتها، حيث قال: «لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»^(٣٩٠).

وللمرأة دور عظيم - بل ورئيس- فهي مربية الأجيال وصانعة الأبطال، ومن أشهرهن **الخنساء**، فقد زرعت في نفوس أبنائها الجهاد والشجاعة، فاستشهدوا جميعاً في القادسية، وقالت: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته^(٣٩١).

(٣٨٣) فتح الباري، ٨٠/٦.

(٣٨٤) رواه مسلم في صحيحه، ١٨٨/١٢.

(٣٨٥) ابن سعد: الطبقات، ج ٨/ ٤١٢ - ٤١٤، الواقدي: المغازي، ٢٧٦/١.

(٣٨٦) ابن حجر: الإصابة، ج ٤/ ٢٢٩، وابن الأثير: أسد الغابة، ٢٢/٧.

(٣٨٧) ابن حجر: الإصابة، ج ٨/ ٢٢٣.

(٣٨٨) سنن أبي داود: مصر، مطبعة السعادة، ١٩٤٨م، ٤٥/٢.

(٣٨٩) رواه مسلم في صحيحه، ٥٦/١٠.

(٣٩٠) متفق عليه، شرح السنة ١٤١/٦.

(٣٩١) ابن حجر: الإصابة، ج ٨/ ٦٦ - ٦٧.



وضربت لنا المرأة المسلمة في العصر النبوي أعظم الأمثلة في برّ والديها، ومما رواه البخاري: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ قضاوا الله، فالله أحق بالوفاء»^(٣٩٢). وكل ما سبق عرضه من نماذج متنوعة وأبواب مختلفة للعمل الخيري أسهمت به المرأة في خدمة الفرد والأسرة والمجتمع، الذي بدوره سيكون له عميق الأثر على الجانبين.

الخاتمة:

من خلال معطيات البحث توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

- قام الدين الإسلامي على قيم عديدة لبناء المجتمع الإسلامي وخدمته.
- أدت المرأة كقوة عاملة دورها الرائد في خدمة المجتمع في عدة مجالات.
- يشمل العمل الخدمي التطوعي كل أبواب البر والإحسان المختلفة.
- أسهمت المرأة في تحقيق النهضة العلمية؛ خدمة لمجتمعها.
- أتاح الإسلام في الكتاب والسنة الدور الواسع للمرأة لخدمة المجتمع.
- برهن البحث على نبوغ المرأة في العلوم الشرعية والتمريض والتعليم.
- استعرض البحث نماذج لاتساع أفق إسهامات المرأة في خدمة المجتمع.
- أثبتت أمهات المؤمنين والصحابيات - رضي الله عنهن - كفاءتهن العالية في ممارسة عدة أعمال لخدمة المجتمع.
- حققت إسهامات المرأة الدعم الحضاري والتقدم لمجتمعها في شتى المجالات.
- أصالة منطلقات الأعمال الخدمية التطوعية في الكتاب والسنة.
- دعوة الإسلام المرأة والرجل على حدّ سواء للمساهمة في العمل التطوعي.
- أبواب خدمة المجتمع متعددة؛ وهذا مما يتيح للجميع الإسهام فيه.
- ربط الله ﷻ بين كل عمل خير بثوابه؛ لتحفيز المسلمين على المسارعة في طرق أبواب الخير المتعددة.
- قدّمت المرأة المسلمة النماذج المشرقة؛ للإسهام في أعمال عديدة لخدمة المجتمع.
- أسهمت المرأة في المحافظة على الأمن وقت الأزمات والحروب؛ خدمة لوطنها.

(٣٩٢) العسقلاني: فتح الباري، ج ٤/٦.



- كل المؤسسات الخيرية الحديثة وما تقدّمه من أعمال متعدّدة لخدمة المجتمع قد أسهمت بها أمهات المؤمنين والصحابيات، رضي الله عنهن.
- العمل الخدمي بكل صوره، وباختلاف ميادينه؛ يعكس ترابط أبناء المجتمع المسلم.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ابن الأثير، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٠م)، عز الدين الشيباني: أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م.
- الأصبهاني، (٤٣٠هـ / ١٠٣٩م)، أحمد بن مهران: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.
- البخاري، (٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
- البغوي، (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م)، الحسين بن الفراء: شرح السنّة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٦٥م.
- البلاذري، (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٩٨٧م.
- الترمذي، (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، محمد السلمي: سنن الترمذي، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- ابن حجر، (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، أحمد العقلائي: الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
- ابن حنبل، (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، أحمد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، دار صادر، د.ت.
- أبي داود، (٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، سليمان الأزدي: سنن أبي داود، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٤٨م.
- الذهبي، (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، محمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن سعد، (٢٣٠هـ / ٨٤٤م)، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، بيروت، دار بيروت، د.ت.
- ابن سيد الناس، (ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م)، محمد الأشبيلي: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، المدينة، مكتبة دار التراث، ١٩٩٢م.
- ابن شبة، (ت ٢٦٢هـ / ٨٧٥م)، عمر البصري: تاريخ المدينة المنورة، دار الأصفهاني، ١٩٨١م.
- الطبري، (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، محمد بن جرير: تاريخ الطبري المسمى "تاريخ الأمم والملوك"، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
- ابن عبد البر، (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، يوسف القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- ابن قيم الجوزية، (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م)، محمد شمس الدين: زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.
- ابن كثير، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
- ابن ماجه، (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، محمد القزويني، سنن ابن ماجه، مصر، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.



المزي, (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١ م), يوسف جمال الدين : خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال, بيروت, مؤسسة الرسالة, ١٩٨٣م.

مسلم, (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤ م), أبو الحسين بن الحجاج, صحيح مسلم, بيروت, دار الكتب العلمية, ١٩٧٦م.

النيسابوري, (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤ م), الحاكم محمد : مستدرك الحاكم, الرياض, مكتبة النصر الحديثة, د.ت.

ابن هشام, (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣ م), عبد الملك المعافري : السيرة النبوية, المكتب الثقافي, القاهرة, ٢٠٠٤م.

الهيثمي, (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤ م), علي بن سليمان : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد, بيروت, دار الكتاب العربي, ١٩٦٧م.

الواقدي, (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢ م), محمد الأسلمي : كتاب المغازي, بيروت, عالم الكتب, ١٩٨٤م.

ثانيًا: المراجع العربية:

أرشيد يوسف: الحضارة الإسلامية, الرياض, مكتبة العبيكان, د.ت.

صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم, بيروت, المكتبة العصرية, ٢٠٠٩م.

عائشة بنت الشاطي: تراجم سيدات بيت النبوة, القاهرة, دار الحديث.

عائشة الحربي وسلمى هوساوي: في رياض الصبر, مكة المكرمة, ٢٠١١م.

عبد الحميد طهماز: السيدة عائشة أم المؤمنين, وعالمة نساء الإسلام, الرياض, مطابع الفرزدق, ط ١٩٩٠, ٣م.

عبدالرحمن رأفت باشا: صور من حياة الصحابيات, دار الأدب الإسلامي, القاهرة, ٢٠١١م.

عبد الله المطوع: العمل الخيري المؤسسي, الرياض, مطابع الجامعة, ٢٠٠٨م.



دراسة التاريخ الإسلامي بين الواقع والمأمول (دراسة عقدية دعوية)

د. عائشة بنت محمد بن سعد القرني- أستاذ العقيدة والدعوة المشارك بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز – جدة المملكة العربية السعودية

Email: aalqarne@kau.edu.sa

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

عنوان البحث: دراسة التاريخ الإسلامي

أهمية الموضوع: تاريخ كل أمة ينطلق من عقيدتها وواقع حياتها ويستحق الدراسة ومن الواجب الدفاع عن تاريخ الأمة الإسلامية.

أسباب الاختيار وضرورة التنبيه لبيان صورة التاريخ الإسلامي، والرغبة في معرفة ضوابط كتابة تاريخ الأمة الإسلامية. وقد اشتمل البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة.

المقدمة وتشمل أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث.

الفصل الأول: دراسة التاريخ الإسلامي ويحتوي مبحثين: المبحث الأول: منابع دراسة التاريخ، الثاني: الحركة الفكرية ضد التاريخ الإسلامي.

الفصل الثاني: تكامل مفهوم التاريخ الإسلامي، ويشمل على مبحثين الأول: ضرورات لدراسة التاريخ، الثاني: ضوابط دراسة التاريخ، الخاتمة وتشتمل على النتائج والتوصيات.

ومن النتائج : أهمية علم التاريخ وفائدته في التعرف على السنن الربانية والمعالم للتاريخ البشري.

ومن توصيات البحث: وجوب الالتزام بالمنهج الإسلامي في الدراسة التاريخية.



Abstract

Thanks for Allah, Peace be upon Prophet Mohammed

Research titled: Study of the Islamic History

Subject Importance: Each union history is releases from their creed and life reality that need to be studied and should defenses about Islamic Union History.

Choice reasons and importance to show the Islamic History image, desire to know regulations of writing Islamic Union History.

The research included introduction, two chapters and conclusion.

Introduction included the importance & reasons of subject choice, research methodology.

1st Chapter: study the Islamic history, includes two sections as: 1st section: history study resources, 2nd section: intellectual motion methods against Islamic History.

2nd Chapter: Integration of Islamic History Concept, includes two sections: 1st section: imperatives to study history, 2nd section: regulations of study history, and a conclusion includes results and recommendations.

Results: Importance of history science and benefits to recognize Allah approaches and the human history.

Recommendations: obligatory for Islamic approach in study of historical study.



المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين من يهده الله فلا مضل له ومن يُضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..

إن تاريخ الأمة الناصع يعكس الصورة العظيمة التي رسمها الدين الإسلامي.

والناظر المتأمل لمسيرة الأمة الإسلامية (ماضيها وحاضرها ومستقبلها) يجد أعداء الإسلام يجتهدون في كل عصر لمحاربة الإسلام في كل جوانبه، وأكبر الحروب التي يواجهها المسلمون هي الحرب الفكرية فإن تلك الحرب قد تناولت أحوال المسلمين^(٣٩٣)؛ حتى بدأت تسيطر على العقول والقلوب إلا ما رحم ربي.

وقد تناولت تلك الحرب الفكرية التعاليم والثوابت كما تخطت لشخوص المسلمين بداية بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم والجوانب الإعلامية كالمؤلفات والإعلام والترجمة ومن تلك الجوانب هو التاريخ الإسلامي وهو موضوع البحث..

أهمية الموضوع:

لا شك ان لهذا الموضوع أهمية كبيرة:

- ١- إن لكل أمة تاريخاً تسجله من مُنطلق عقيدتها وواقع حياتها، وتحرص على تنقيته من كل ما يخالف تلك العقيدة حتى يكون ناصعاً منسجماً مع ما تصبو إليه نفوس أبنائها، وما تريد أن تنتشأ عليه الأجيال في المستقبل.
- ٢- تاريخ الأمة الإسلامية قد لعبت به بعض الأيدي المنحرفة^(٣٩٤) في الماضي وحرفته أقلام المستعمرين وأنصارهم. إن تاريخنا الإسلامي يستحق أن ندرسه بعين ثاقبة وبروح مخلصه مؤمنة لنصل للصفحات البيضاء النقية لأمتنا الإسلامية.
- ٣- استخلفنا الله سبحانه في الأرض، وإن أقل الواجب هو الرد عن تاريخنا وأيامنا وأحداث أجيال الأمة التي كان لها الفضل الكبير بعد الله في ترسيخ العقيدة الخالصة.

سبب اختيار الموضوع:

بعد قراءتي في الموضوع شعرت برغبة شديدة في متابعة هذا الأمر العظيم وهو واجبنا تجاه التاريخ الإسلامي.

- ١- من الأسباب الداعية لاختيار هذا الموضوع ضرورة التنبيه للأيدي الخفية التي تضع لنا صورة مشوهة لماضيها وحاضرها.
- ٢- الرغبة في وضع ما وجدته في المراجع المفصلة في أحداث التاريخ الطويل على شكل أهم موضوعات تهم القارئ.

(٣٩٣) أنظر: دراسات في التاريخ الإسلامي، جمال الدين الشيال، ص ٥.
(٣٩٤) التاريخ الإسلامي: محمود شاكر. ص ٥ (يتصرف).



٣- المسلم وخصوصاً طالب العلم وبالذات العلم الشرعي، لابد أن يكون لديه إلمام بكل ما يحيط بالأمة الإسلامية ويكون واعياً ومُدركاً لقضاياها.

منهج البحث:

لقد اتبعت المنهج الاستقرائي للمراجع المتيسرة في التاريخ الإسلامي.. ثم بدأت بالمنهج التاريخي من المراجع التي كُتبت عن كتابة ودراسة التاريخ ونحوها.

محاولةً بذلك الوصول لأكثر الوسائل والمخططات التي استهدفت التاريخ الإسلامي لأنه من الصعب إحصاء كل ما تعرض له التاريخ الإسلامي بكل مراحلها وعبر العصور والقرون ويستحيل حصرها في بحث واحد.

خطة البحث:

- بدأ البحث بمقدمة تشمل أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج البحث.

- الفصل الأول: دراسة التاريخ الإسلامي.

○ المبحث الأول: منابع دراسة التاريخ.

○ المبحث الثاني: الحركة الفكرية ضد التاريخ الإسلامي.

- الفصل الثاني: تكامل مفهوم التاريخ الإسلامي.

○ المبحث الأول: ضرورات لدراسي التاريخ الإسلامي.

○ المبحث الثاني: ضوابط دراسة التاريخ الإسلامي.

- الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات.

منابع دراسة التاريخ الإسلامي

إن منابع دراستنا الحالية للتاريخ الإسلامي لم تعتمد فقط على أصوله الأولى التي وثناها عن العلماء الثقات من الباحثين. والمؤرخين المسلمين والمنصفين من غيرهم.

بل نعتمد على منابع غير صافية كتبها أيدي غير أمينة، نتيجة لأهوائها وأخطائها في فهم هذا التاريخ وهم المستشرقون من أبناء هذه الأمة.

ليس التاريخ الإسلامي تاريخ فكر وأحداث وظواهر اجتماعية وأوضاع سياسية بل قبل ذلك هو تاريخ عقيدة شاملة لها خصائصها ومقوماتها المميزة.

فنظرة المستشرقين مجانبة للواقع وكثير منهم لا يفهمون طبيعة هذه العقيدة.



وفي الحقيقة نحن مختلفون ليس فكراً أو ثقافة فحسب بل أيضاً ولاءً ومنطلقاً من الأساس^(٣٩٥).

وموقفنا وموقفهم من الأديان مختلف فنحن نؤمن بكافة الأديان السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسله ونحترمها كدين، بل إن إيماننا بها شرط لإسلامنا.

وهذه الحقيقة ترد كثيراً من الاعتراضات حول موقفنا من المستشرقين ومن سار في دربهم من أبناءنا، وبعض المستشرقين نراه يعظم الإسلام فيقول ذلك لا اعتناقه.

إن هناك عيب في بعض المناهج التاريخية وهو التركيز على التاريخ السياسي للمسلمين على حساب بقية مجالات الحياة الإسلامية: العقيدة، والفكرية، والحضارية، والعلمية والاجتماعية.

ولا نسعى لمداراة الانحرافات ولا نكذب على التاريخ باختلاق وقائع مزورة إنما نحاول ألا تُسقط المبالغات المتعددة فإن الاقتصار عليها في عرض تاريخي يعطي صورة غير حقيقية لذلك التاريخ.

وحين يقرأ الدارس عن التاريخ السياسي للمسلمين بصورة كئيبة يُفتح له تاريخ أوروبا صفحة مشرقة حافلة بالنشاط الحضاري والتقدم العلمي والمادي.

ويحدث من ذلك إحياءان.

الأول: إيهام الدارس أن الإسلام قد انتهى بعد فترة الخلفاء الراشدين، وتحول إلى صراعات سياسية.

الثاني: أن التاريخ الذي يستحق الحفاوة والاعجاب حقاً هو تاريخ أوروبا.

ف يتم بذلك صرف المسلمين عن الإسلام وعن التمسك به^(٣٩٦).

المبحث الثاني

الحركة الفكرية ضد تاريخ الإسلام

إن مخطط الحرب التي واجهها التاريخ الإسلامي من أعدائه كانت في وقت مبكر ومنذ وجود الإسلام وتاريخه، وهم لا يحاولون فقط التلفيق عليه أو الدس فيه، ولكنهم حاولوا أيضاً توجيه بعض أحداثه وإثارة الخلاف بين المسلمين.

وفي العصر الحاضر يحاول أعداء التاريخ الإسلامي بالإضافة إلى ما سبق أن يهونوا من شأن هذا التاريخ ويعظموا تاريخ العرب في الجاهلية، وكذلك تاريخ الأمم الأخرى^(٣٩٧).

وقد حاولوا أن إشغال المسلمين بإثارة النعرات والقوميات القديمة وحاول المخطط إهمال ذكر كافة دعوات الأنبياء حتى لتبدو وكأنه لا وجود لها.

(٣٩٥) انظر: دراسة التاريخ الإسلامي، د. عبد الرحمن الحجى، ص ٥، (بتصرف).

(٣٩٦) كيف نكتب التاريخ الإسلامي، محمد قطب ص ١٥ (بتصرف)

(٣٩٧) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، د. عبد الرحمن الحجى، ص ٨٧ (بتصرف)



البواعث .. أحقاد ، وأطماع ، وسوء فهم أدى لأخطاء.

كانت الحرب التي شنها الأعداء ضد الإسلام حرباً في العقيدة الأولى.

في الله والقرآن والنبوة، وفي تشريعه وتراثه، وفي فكره ونظرته للإنسان والكون والحياة وكذلك تاريخه.

وهكذا كان التاريخ الإسلامي أحد الجوانب التي استهدفها الأعداء.

وكل إنحراف أصاب هذا التاريخ هو نتيجة للانحراف عن الشريعة التي نظمت ذلك التاريخ فدراسة التاريخ دراسة للإسلام من الناحية التطبيقية.

بعد الفتن والأحداث الداخلية التي وقعت في صدر الدول الإسلامية، نشأت الفرق والأحزاب، وظهرت الطوائف والأهواء المنحرفة عن السبيل السوي، فأخذت بعض الفرق تلبس ثوب الحق زوراً، وتدّعي أنها تعمل لأجله، وتضع من الأحاديث التي تنسبها إلى النبي ﷺ ما يؤيد مذهبها الذي ابتدئته وتؤول من آيات القرآن الكريم ما استطاعت – وبهذا نشأ الوضع في الحديث النبوي، كما شمل الوضع الأخبار والأحداث التاريخية، مما جعل علماء المسلمين يطبقون في المرويات مبدأ من أين لك هذا؟ فإذا جاء شخص برواية سئل عن حدثه بها، فسجلت الأخبار والأحداث بأسانيدھا في غالب الأحيان، غير أنها لم تلق من النقد والتحصيل ما لقي الحديث النبوي، بل كان من مناهج العلماء التساهل في رواية الأخبار ولقد دخل لميدان التاريخ من أتباع الفرق المنحرفة وأهل الأهواء العديد من الرواة والإخباريين والقصاص والمؤرخين، فابتدعوا الروايات الكاذبة ونشروها، مما أصاب تاريخ الصدر الأول بكثير من التشويه والتحريف^(٣٩٨).

وقد كان للشعبوية والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية والحكايات والقصاص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وإلى إعلاء طائفة على طائفة أو أهل بلد على آخر، أو جنس على جنس، وإبعاد الميزان الشرعي في التفاضل وهو ميزان التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٦٧٤).

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القصاص وانتشارهم وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنة، وانحراف طائفة منهم تبتغي العيش والكسب، فنشروا بينهم أكاذيبهم وقصصهم الموضوعة، فتلقفها هؤلاء القصاص دون وعي وإدراك، ونشروها بين العامة، لقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ وعدد لا يحصى من الأخبار والأقوال المكذوبة على الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام، مما يسئ لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم.

ومن هنا ضعفت هذه الأمة وقلت معرفتها بتعاليم دينها وتاريخها^(٤٠٠).

ولقد عمد البعض الى التثبيت بالروايات المشبوهة والضعيفة، يلتقطونها من قصص السمر، والحكايات الشعبية، مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها^(٤٠١).

(٣٩٨) انظر: منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، محمد بن صامل السلمي، ص ١٥١ (بتصرف).

(٣٩٩) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٤٠٠) أنظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبدالرحمن الحجي، ص ٩٥.

(٤٠١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، محمد بن حامل السلمي، ص ٢٥٩ (بتصرف).



كانت طريقة تدريس التاريخ الإسلامي بحالته القديمة على الرغم من عدم استيفائها واستلهاها لروح هذا الدين فهي تجعل الدارسين يربطون الحياة بالدين مع إبراز وتكبير بعض الهفوات في التاريخ الإسلامي والتي كان فيها انحراف عن تعاليم الإسلام، وبيان أن الغرب لم يتقدم تقدمه السريع إلا بعد أن هزم الكنيسة وأقصى تعاليمها عن الحياة السياسية بالاستمرار في عملية التجهيل والإبعاد عن الإسلام بكل الوسائل والإسهام في بناء كيائها الفكري ومثلها الخلقية والاجتماعية وتكوينها العقدي، وهم يدركون أن للتاريخ الإسلامي دوراً مهماً وفعالاً بالنسبة لحياة الأمة المسلمة لذا فهم اتجهوا بكيدهم إليه^(٤٠٢).

وقع الخطأ على التاريخ الإسلامي – خاصة تاريخ الصدر الأول – بالتنشويه عن طريق اختيار مواقف مختارة والتركيز عليها، كالمعارك والحروب مع تصويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صفة الجهاد في سبيل الله، أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية، بقصد إظهار خلافات الصحابة – رضي الله عنهم – وعرضها كأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية في وقتنا الحاضر، وبالتجهيل، وهو إهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة.

وبالتشكيك، وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم والتشكيك في معلوماتهم.

وبالتجزئة، وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشتات وكأنها لا رابط بينها^(٤٠٣).

الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية، وتنشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين كثيرة منها:

١- الاختلاق والكذب.

٢- وضع الخبر في غير سياقه، حتى ينحرف عن معناه ومقصده.

٣- التأويل والتفسير الباطل للأحداث.

٤- إبراز الأخطاء وإخفاء حقائق الصور المستقيمة.

كل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي ومحو معالمه النيرة وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة لذا ينبغي على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبه لها.

(٤٠٢) أنظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبدالرحمن الحجي، ص ٩١.

(٤٠٣) أنظر: منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريبه، محمد بن صامل السلمي، ص ١٥٤.



ضرورات لدارسي التاريخ الإسلامي

لقد اتسم التاريخ الإسلامي بسمات جعلت له طابعه ومفهومه. ذلك أنه لما كان الإسلام هو دين فكر ومجتمع وحضارة، فإن التاريخ السياسي في الإسلام هو أقل هذه الجوانب أهمية وعظمة، حيث تبدو الجوانب الضخمة الحافلة بالأمجاد في تاريخ الإسلام الفكري والعملية والعقلي، وفي مجال الدراسات العقلية والفقهية والفلسفية والاجتماعية.

وأبرز جوانب التاريخ الإسلامي تمثل في القادة والأعلام والمفكرين الذين بنوا القاعدة العريضة للفكر الإسلامي مستمدة من القرآن والسنة^(٤٠٤).

لذا فإنه يصبح عرض التاريخ الإسلامي بصورة صحيحة ضرورة لا مفر منها ليس فقط لأهميتها ولكن لانطباقها والواقع التاريخي، ولكن هذا العرض لا يمكن أن يتهيأ إلا إذا كان من منطلق إسلامي.

إن ارتباطنا بالتاريخ الإسلامي وأهميته بالنسبة لنا (وللعالم) يستدعي أن يكون اهتمامنا به أكبر وهو أول وأهم ما نعلّمه لأبنائنا.

إننا في حاجة إلى العمل وفق منطق البناء المنهجي الراشد والسليم فنبدأ بإعادة تنقية فكرنا الثقافي والفكري والتاريخي من آثار الغزو الفكري الذي استهدف تاريخنا الإسلامي.

ونحرص على إظهار الصورة المُشرّفة وفق مبعث حضاري شمولي تكاملي^(٤٠٥) إن تدريس التاريخ الإسلامي على حقيقته يثير في نفوس الدارسين الإعجاب وذلك نابع من طبيعة هذا التاريخ المشرق حين يُعرض على حقيقته ومن غير تكلف لأن الإشراق والروعة هي نتاج العزة وثمره الإيمان الحق والإنسانية في أعلى معانيها وأجلى صورها وأجمل مثلها^(٤٠٦).

ضرورات لدارسي التاريخ الإسلامي:

وكتابة هذا التاريخ وعرضه بأسلوب العصر ومن وجهة النظر الإسلامية (الواقعية) يحتاج إلى جهود كبيرة، وقد وجدت محاولات مشكورة وصدرت مؤلفات في هذا الميدان، ولكن ما يزال هذا التاريخ يحتاج إلى عرض شيق، وكذلك إلى تنقيته بأسلوب متمكن من الناحيتين العلمية والعقدية^(٤٠٧).

ومن أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التاريخية القاضي ابن العربي في كتاب "العواصم من القواصم"، وكذا الحافظ الذهبي في كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب "سير أعلام النبلاء" و "تاريخ الإسلام ومشاهير الأعلام" و "ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، وأيضاً الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه "فتح الباري شرح صحيح البخاري" وكتاب "لسان الميزان" و "تهذيب التهذيب" و "الإصابة في معرفة الصحابة".

(٤٠٤) أنظر: كيف نكتب التاريخ الإسلامي، محمد قطب، ص ٢٢٥.

(٤٠٥) الغارة على التراث الإسلامي، جمال سلطان، ص ٧٥ (بتصرف).

(٤٠٦) أنظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، د. عبدالرحمن الحجي، ص ٩٣.

(٤٠٧) أنظر: منهج كتابة التاريخ، السلمي، ص ٩٣.



أولاً: الصورة التي ينبغي أن يأخذها دارس التاريخ الإسلامي عن الإسلام وهو مُقبل على دراسة التاريخ:

(1) أن الإسلام دين الأنبياء جميعاً كلهم جاءوا بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله، وأنه دين الفطرة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شهدنا﴾^(٦٨٣).

(٢) التوحيد ذو أثر في النفس وسلوكها يجمع وبين الجسد والروح، وبين الدنيا والآخرة.

(٣) هذا الدين بدأ بقوله تعالى (اقرأ) ودعا للتفكير والنظر في ملكوت الله وتدبر السنن الكونية ثم أن توجيهات القرآن تدعُ للمشى في مناكب الأرض وعمارتها، والإسلام يعطي إجابات محدودة على أسئلة الفطرة التي تلح عليها: من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟ وكيف؟ المنشأ والمصير والغاية والمنهج.

ثانياً قواعد المسلم في المصادر التاريخية:

المصادر بالنسبة للمؤرخ تشكل أهمية كبرى، لأنه بدون توفر المصادر لا يستطيع أن يكتب أي بحث تاريخي، والتاريخ معرفة نقلية تعتمد على الأخذ من المصادر.

من القواعد التي يلزم الباحث في التاريخ بصفة عامة والتاريخ الإسلامي على وجه أخص أن يراعيها أثناء نظره في المصادر:

أ) اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر:

وذلك أن القرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تكفل الله بحفظه من التحريف أو الزيادة والنقصان ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٦٨٤) والقرآن قطعي الثبوت.

ويأتي بعد القرآن في قوة الثبوت الحديث النبوي الشريف، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر عنه لا ينطق عن الهوى.

وقد جاء في القرآن والسنة أيضاً الإشارة إلى جملة من القوانين التاريخية والسنن الربانية، مما يعطي الباحث أو الدارس سعة وشمولاً في النظرة التاريخية، وعمقاً في التحليل للأحداث.

واعتماد المصادر الشرعية في كل دراسة تعالج وضعاً من الأوضاع الاجتماعية، وتساعد على توجيه المجتمع وتنميته سلوكياً واجتماعياً، وهذا العمل من أعظم وظائف المؤرخ وأهم ثمرة في دراسته.

ب) معرفة شروط المؤرخ المقبول:

الشروط المطلوبة في المؤرخ ليكون مقبول الرواية نوعان:

(٤٠٨) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٤٠٩) سورة الحجر، الآية: ٩.



شروط تتعلق به ذاته، وأخرى تتعلق بما ينقله ويرويه، أما الشروط المتعلقة بذاته فهي:

١- العدالة، والورع والتقوى.

٢- القدرة على التمييز بين المقبول والمردود من الروايات، ومعرفة الأصول المنهجية في النقد والموازنة بين الروايات المتعارضة، وكيفية الجمع بينهما.

٣- العلم بأصول الأحكام الشرعية وبمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم وبمدلولات الألفاظ^(٤١٠).

٤- حسن التصور للموضوع الذي يكتب فيه، وذلك بأن يفهم الموضوع الذي يبحثه فهما جيداً ويحيط به من كافة جوانبه.

٥- أن يكون جيد العبارة، عفاً للسان عن المنكر من القول.

٦- نقل الكلام بالنص دون أن يتصرف فيه بتقديم أو تأخير أو تدوين المعنى.

٧- توثيق المصدر الذي نقل عنه معلوماته.

ج) معرفة ضوابط الأخذ من كتب غير المسلمين:

يتوجب على المؤرخ عندما يرجع إلى أي مصدر أو مرجع أن يتعرف على مؤلفه واتجاهه الفكري، وعلى ضوء هذه المعرفة يستطيع أن يأخذ منه وفق ضوابط محددة.

وهذه الضوابط لا بد منها، لأن المسلم صاحب منهج مستقل في تصوره وغايته وطريقة عمله، ومنهج هذا رباني من الله بواسطة رسوله ﷺ، ومن خصائصه الكمال والشمول، قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۚ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۚ ﴾^(٤٨٦).

إذا كان الموضوع متعلقاً بديننا من شرح، أو تفسير، أو علم من علوم الإسلام أو نظام من النظم الإسلامية، أو دراسة لسيرة النبي ﷺ، فإنه لا يحل للمسلم أن يأخذ عنهم في هذا المجال.

إن القول في الأحكام الشرعية وفي النظم الإسلامية وفي تقدير رجاله وتاريخه لا يؤخذ إلا من المسلم العارف الثقة، أما غير ذلك فلا اعتبار لقوله ولخلافه لو خالف.

أما إذا كان ما في كتبهم ليس له تعلق بشيء مما سبق فإنه يخضع لموازين النقد العلمي وما ثبت منه لا شيء على من أخذ به، ولا سيما إذا كان ذلك وصفاً لحالهم وأوضاعهم ومعاشهم لأنهم بها أخبر^(٤١٢).

(٤١٠) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجي، ص ٩٢، منهج كتاب التاريخ الإسلامي، السلمي ص ٩٤ (بتصرف).

(٤١١) سورة المائدة: الآية ص ٤٨.

(٤١٢) أنظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، عبد الرحمن الحجي، ص ٩٤.



التوجيه التربوي لدراسة التاريخ الإسلامي أن يخرج أجيالاً مسلمة تعرف حقيقة دينها وتتمسك به، وتعمل على إحيائه في نفوسها وفي واقع حياتها الضوابط: أولاً: دراسة وكتابة التاريخ بأمانة كاملة لا تغفل شيئاً من العثرات ولا تداري على الانحرافات بل تُبقيها كما حدثت في الواقع، وتستخرج العبرة التربوية منها كما تستخرجها من الأمجاد والبطولات سواء.

لابد من الاهتمام بمواقع التاريخ الإسلامي وأماكن أحداثه وما بقي من آثاره في كل العصور والأقطار.

ثانياً: ألا تقتصر دراسة التاريخ الإسلامي في كافة المراحل على سرد الأحداث المعينة ولكن لابد من الالتفات إلى الجوانب الأخرى الفكرية والحضارية والاجتماعية وتقويمها ودراسة أبطال هذه الأمة ومواقفهم في كل الميادين.

ثالثاً: أن تُختار المقررات والكتب الأساسية وأن تكتب المناهج في التاريخ الإسلامي بواسطة من فهموا خصائص الإسلام ومقوماته، وألموا بحقيقة تاريخه.

رابعاً: من المفيد جداً في المراحل الجامعية خاصة إلقاء الأضواء على الشبهات التي أثرت حول التاريخ الإسلامي، ومناقشة مصادرها ودوافعها على ضوء الواقع التاريخي الإسلامي، وذلك بعد دراسة وقائع هذا التاريخ ومعرفة حقائقه.

خامساً: في مجال تعليم المرأة لابد من التأكيد على تاريخ المرأة المسلمة، ودورها في بناء الحياة والإسهام في المواقف المتنوعة في أكثر من ميدان وأهمية ذلك في تربية الجيل المسلم.

سادساً: يكون ذلك شاملاً كل الميادين الإنسانية، الفكرية والسياسية والاجتماعية والتعليمية والتربوية، يشمل كل المؤسسات العامة في التعليم وغيرها^(٤١٣).

فمن المهم أن يعرض التاريخ الإسلامي بخصائصه وحقائقه على ضوء من طبيعته، وطبيعة العقيدة التي صاغته وانتجته. وبكتابة التاريخ الإسلامي وتدريبه نسهم في إنشاء الجيل الذي يؤمن بالإسلام ويعتز بتاريخه^(٤١٤).

سابعاً: أن ندحض أولاً كل الافتراءات والتلفيقات التي أقتحمت على هذا التاريخ، وكذلك التفسيرات الخاطئة والباطلة التي قامت عليها، ثم عرض الوقائع التاريخية الصحيحة بكل جوانبها.

كل ذلك على قواعد منهجية مستقلة واعية، وإمكانيات علمية وافية تتصف، وبالأمانة والإنصاف، كما تتصف بالتبصير والتقصي، والتمحيص^(٤١٥).

(٤١٣) أنظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، د. عبدالرحمن حجي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد السلمي.

(٤١٤) أنظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، د. عبدالرحمن الحجي، ص.

(٤١٥) أنظر: التاريخ الإسلامي، محمد شاكر، منهج كتابة التاريخ، ص ٩٦.



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد.

هذا البحث في موضوع دراسة التاريخ الإسلامي وأعرض في الخاتمة بعض النتائج والتوصيات:

نتائج البحث:-

- (١) أهمية علم التاريخ وفائدته في التعرف على السنن الربانية ومعرفة المعالم المهمة في تاريخ البشرية.
- (٢) دراسة التاريخ ليست قاصرة على سرد الحوادث وإنما أيضاً تستخدم في مجال التوجيه وصياغة الأفكار ونشر المذاهب وتأبيدها.
- (٣) التاريخ يأخذ مكانته ودوره في الصراع العقائدي بين الأمم، فدراسته وتفسيره مرتبطة بالعقائد والتصورات والأفكار التي يحملها الباحثون والكتاب.
- (٤) بيان خصائص المنهج الإسلامي في كتابة التاريخ، ومن أهم هذه الخصائص التمييز في التصور والمفاهيم.

توصيات البحث:

- (١) وجوب الالتزام بالمنهج الإسلامي في الدراسة التاريخية، كضرورة علمية ووظيفة شرعية، الإخلال بها إخلال بموازين العلم الصحيحة، ويسبب نقصاً كبيراً في الدراسة ويسبب انحرافاً خطيراً في التفسير والفهم والسلوك تجاه الأحداث التاريخية.
- (٢) معرفة حق الصحابة رضي الله عنهم والموقف من الفتن التي وقعت في عصرهم.
- (٣) اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر.
- (٤) الالتزام بالعقيدة الإسلامية وأحكامها، والتركيز في الدراسة على الأهداف والغايات وتحري استعمال المصطلحات الإسلامية.

نسأل الله أن يجعل هذا العلم والعمل نافعا خالصاً

والحمد لله رب العالمين وصلاة على المرسلين



قائمة المصادر

- ١- التاريخ الإسلامي، محمود شاكر. دمشق المكتب الإسلامي. ط٢، ١٤٠٢ هـ.
- ٢- الحركة الفكرية ضد الإسلام، بركات عبدالفتاح دويدار، القاهرة: دار التراث العربي .
- ٣- دراسات في التاريخ الإسلامي، جمال الدين الشيال، بيروت: دار الثقافة ١٤٢٠ هـ.
- ٤- الغارة على التراث الإسلامي، جمال سلطان، القاهرة، دار تراثية، ١٤١٠ هـ.
- ٥- كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟ محمد قطب، الرياض، دار الوطن، ١٤١٢ هـ.
- ٦- منهج كتاب التاريخ وتدريبه، محمد بن صامل السلمي، دار الوفاء، ط١، ١٤٠٨ هـ.
- ٧- نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، د. عبدالرحمن الحجي، دمشق، دار القلم، ط٣، ١٣٩٩ هـ.



الأحكام الفقهية المتعلقة بنوازل شجر الحرم

د. نوال بنت عويص عيد الحارثي - عضو هيئة تدريس سابق في كلية التربية الأقسام الأدبية بالرياض
المملكة العربية السعودية

Email: n1.alharty@hotmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث أهم النوازل الفقهية المعاصرة المتعلقة بشجر الحرم، وذلك لإفراز الحركة المتسارعة للحياة وما صاحبها من أمور مستجدة عددًا من النوازل والواقعات التي لم تكن معهودة من قبل، وكان منها نوازل متعلقة بشجر الحرم، مع عدم وجود دراسة علمية مستقلة تناولت نوازل شجر الحرم.

وكان من أبرز نتائج البحث:

- ١- جواز قطع شجر الحرم لمصلحة عامة كالطرق ونحوها.
- ٢- جواز قطع شجر الحرم للبناء مكانه.
- ٣- جواز قطع شجر الحرم لغرض التداوي والبحث العلمي.
- ٤- جواز أخذ جزء من أشجار الحرم من أجل توزيع زراعته في حدود الحرم أو خارج الحدود.
- ٥- جواز استئساخ شجر الحرم.

Abstracts

This research deals with the most important contemporary jurisprudential developments related to the trees of Hram, in order to produce the accelerated movement of life and the accompanying emerging matters a number of developments that were not known before, including developments related to the trees of Hram, with the absence of an independent scientific study that dealt with the developments of Hram trees.

Among the most prominent results of the search were:

- 1 - It is permissible to cut down the trees of Hram for a public interest, such as roads and the like.
- 2 - Neighborhood to cut down the trees of Hram to build in its place.
- 3 - It is permissible to cut down the trees of Hram for the purpose of medicine and scientific research.



4 - It is permissible to take part of the trees of Hram in order to distribute its cultivation within the limits of Hram or outside the borders.

5 - Permissibility of cloning the trees of Hram.

كلمات مفتاحية: نوازل، شجر، الحرم، أحكام، فقهية.

.Key words: Updates, trees, Hram, rulings, jurisprudence

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد بن عبد الله النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإنه من المعلوم أن الحوادث في حياة البشر لا تنتهي، والوقائع لا تكف عن التجدد والتغير في كل زمان ومكان، فأحوال الناس لا تثبت على شكل واحد، أو نمط واحد. ومن الطبيعي ما دام الأمر هكذا أن يحتاج الناس في كل زمان إلى إعادة النظر فيما يحتكمون إليه في حياتهم من نظم وقوانين وتشريعات، لكي تنضبط المستجدات النازلة في كل زمن بالأصول الشرعية الثابتة التي فُرضت في وقت سابق، فرجوع الناس هنا إلى تلك الأحكام الثابتة في ذلك التشريع بإعادة النظر فيها ليس معناه نقضها أو تغييرها أو العبث بها، وإنما هو رجوع استلهاهم واسترشاد وإعمال للمعطيات الجديدة التي تحتم فهمًا جديدًا لا يخرج عن الثابت القديم، ولا يعادي الواقع الجديد.

وهذه النوازل الجديدة التي تحدثت في حياة الناس كنتيجة للتقدم والتطور وازدياد حاجات الناس قد تكون جديدة تمامًا بحيث لم يتكلم عنها أحد من المجتهدين السابقين مطلقًا، وهذه تحتاج إلى اجتهد جديد من خلال الرجوع إلى النصوص الشرعية رأسًا، واستقراءها بشكل كامل ومستوعب، بالأدوات العلمية المعروفة لدى علماء الفقه والأصول واللغة والحديث والطبيعة والتجارب. وقد يكون لها أصل قديم تحدث عنه الفقهاء، لكن جدت بعض الصور التي يمكن قياسها على ذلك القديم.

وموضوع بحثنا هذا من هذا النوع الثاني من تلك النوازل، فأحكام شجر الحرم قديمة ومتأصلة في الفقه الإسلامي، لها أحكام، وفيها اختلافات ومناقشات وترجيحات، لكن قد جدت بعض الصور كنوازل يثيرها الوضع المتجدد للواقع المعيش وما صاحبه من مستجدات عصرية، خصوصًا وأنها تتعلق بمكان يضم شعيرة يسعى إليها المسلمون من كل بلاد العالم، وهي شعيرة الحج، ركن الدين الأعظم الخاتم، وهذا يقتضي استحداث تنظيمات تناسب كل وقت إلى قيام الساعة، كما أنه يعيش فيه أناس لهم احتياجاتهم وظروف حياتهم مما تجب مراعاته.

ولذلك عزمنا في هذا البحث على تناول أهم النوازل الفقهية المعاصرة المتعلقة بشجر الحرم، مع بذل الوسع في بيان حكمها الشرعي قدر الإمكان.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تتجلى أهمية البحث وأسباب اختياره في الأسباب الآتية:



١. إفراز الحركة المتسارعة للحياة وما صاحبها من أمور مستجدة عددًا من النوازل والواقعات التي لم تكن معهودة من قبل، وكان منها نوازل متعلقة بشجر الحرم.
٢. قدسية الحرم المكي والمدني وقدسية ما فيهما من أشجار ونباتات طبقا لما أقره الشرع الشريف.
٣. عدم وجود دراسة علمية مستقلة تناولت نوازل شجر الحرم.

أهداف البحث:

يتطلع البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. بيان حكم قطع شجر الحرم من أجل مصلحة عامة كإنشاء طريق.
٢. بيان حكم قطع شجر الحرم والبناء مكانه.
٣. بيان حكم قطع شجر الحرم للتداوي.
٤. بيان حكم أخذ جزء من أشجار الحرم من أجل توزيع زراعته في حدود الحرم أو خارج الحدود.
٥. بيان حكم أخذ عينة من شجر الحرم للبحث العلمي.
٦. بيان حكم استنساخ شجر الحرم.

حدود البحث:

- الحد الموضوعي: شجر الحرم وما يتعلق به من أحكام فقهية ونوازل جديدة
- الحد المكاني: الحرم المكي والحرم المدني.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة تناولت نوازل أحكام شجر الحرم، وإنما توجد عدة دراسات تناولت أحكام الحرم بشكل عام، ومنها نبات وشجر الحرم، لكنها لم تتناول النوازل المتعلقة بذلك، وهو ما سأقوم بدراسته في هذا البحث.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث عددا من المناهج؛ وهي:

١. المنهج التحليلي.
٢. المنهج الاستنباطي.
٣. المنهج التأصيلي.

تقسيم البحث:

قسمت البحث إلى: تمهيد ومبحثين وخاتمة:

وَبِاللّهِ أَسْتَعِينُ وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ



- **المطلب الأول:** التعريف بالحرم.

- **المطلب الثاني:** التعريف بالنازلة.

المطلب الأول: التعريف بالحرم

وفيه فرعان:

- **الفرع الأول:** تعريف الحرم لغة واصطلاحاً.

- **الفرع الثاني:** أبرز الأحكام الفقهية العامة المرتبطة بشجر الحرم.

الفرع الأول: تعريف الحرم لغة واصطلاحاً:

- أولاً: تعريف الحرم لغة:

يقال في اللغة: حَرَمَ فلاناً الشيءَ يحرم حرماً: منعه إياه. حُرْم الشيء يحرم حرماً: امتنع. وأحرم الرجل: دخل في الحرم أو البلد الحرام، أو في الشهر الحرام، أو في حرمة من عهد أو ميثاق. وأحرم بالصلاة: دخل فيها. وحرّم الشيء عليه أو على غيره: جعله حراماً. والحرام: الممنوع من فعله. والبيت الحرام: الكعبة. والمسجد الحرام: الذي فيه الكعبة. والبلد الحرام: مكة. وحرّم الرجل: ما يقاتل عنه ويحميه. والحريم: ما حُرّم فلا يُنتهك. فحريم الدار: ما أضيف إليها من حقوقها ومرافقها وما دخل في الدار مما يغلق عليه بابها. وحريم البئر: الموضع المحيط بها^(١٦).

قال ابن فارس: «الحاء والراء والميم أصل واحد، وهو المنع والتشديد»^(١٧).

ويظهر مما سبق أن الحرم لغة هو: ما أضيف إلى المكان وصار منه رغم أنه ليس منه بداءة.

- ثانياً: تعريف الحرم اصطلاحاً:

الحرم اصطلاحاً هو: «ما أحاط بالكعبة من جوانبها وأطاف بها، وهي أنصاب مبنية في جميع جوانبها»^(١٨).

وهذا التعريف ذكره الفقهاء حين كانت مكة كلها داخل حدود الحرم. أما اليوم بعد أن اتسع النطاق العمراني للمدينة المقدسة، فإن هناك أجزاء من مكة أصبحت خارج حدود الحرم^(١٩).

^(١٦) ينظر: الصحاح، للجوهري، (١٨٩٦/٥)، وتهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، (٢٨/٥)، ولسان العرب، لابن منظور،

(١٩/١٢)، وتاج العروس، للزبيدي، (٤٥٢/٣١)، مادة «ح ر م».

^(١٧) مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤٥/٢)، مادة «ح ر م».

^(١٨) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، (٨٢/٣).

^(١٩) مضاعفة أجر الصلاة في المسجد الحرام، د. سعود بن ملوح العنزي، (ص ٥٠٠).



ويضاف لذلك الحرم المدني؛ فقد ثبت أن رسول الله ﷺ حرّم المدينة لما رجع من غزوة خيبر، وذلك في المحرم من السنة السابعة من الهجرة (٢٠).

الفرع الثاني: أبرز الأحكام الفقهية العامة المرتبطة بشجر الحرم:

شرع النبي ﷺ أحكاماً للتعامل مع طبيعة الحرم الشريف أرضاً وصيداً، وشجراً وعشباً، فجعل الأصل في كل ذلك الحرمة التامة على المُحَرَّم وغير المُحَرَّم.

يقول ﷺ: «حرم الله مكة فلم تحل لأحد قبلي، ولا لأحد بعدي، أحلت لي ساعة من نهار، لا يختلي خلاها» (٢١)، ولا يُعْضَدُ (٢٢) شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف» (٢٣). وقال رسول الله ﷺ: «إن مكة حرّمها الله، ولم يُحرّمها الناس، فلا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا، ولا يعضد بها شجرة» (٢٤). قال ﷺ، راجعاً من خيبر وبدا له أحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه». ثم أشار بيده إلى المدينة، وقال: «اللهم إني أحرم ما بين لابتيها، كتحريم إبراهيم مكة»... الحديث (٢٥).

وقد حُكي الإجماع على ذلك فقال ابن العربي المالكي: «اتفقوا على تحريم قطع شجر الحرم» (٢٦).

وجمهور الفقهاء على حرمة قطع ما كان رطباً من الشجر والعشب والكلأ؛ يدل على ذلك قوله ﷺ في الحديث السابق عن مكة: «لا يعضد شجرها، ولا يُختلى خلاها». قال بدر الدين العيني: «ولا يرعى حشيش الحرم ولا يُقطع» (٢٧). ويستنتى من حكم التحريم ما يلي:

- (٢٠) الروض الأنف، للسهلي، (٨٦/٧)، وتاريخ الرسل والملوك، للطبري، (٩/٣).
- (٢١) الخلا: هو الرطب من الكلأ والعشب. ويحرم اختلاؤه: أي: قطعه واحتشاشه. أما اليباس فيسمى: حشيشاً وهشيمًا. ينظر: زاد المعاد، لابن القيم، (٤٥١/٣)، وفتح الباري، لابن حجر، (٤٨/٤).
- (٢٢) يُعْضَدُ: يُقَطَّعُ. قال أهل اللغة: العضد: القطع، يقال: عضدت الشجرة إذا قطعتها، وعضد الشجر: قطعه بالمعضد، وهي حديدة تتخذ لقطعه. ينظر: غريب الحديث، لابن قتيبة، (١٤٧/١)، ولسان العرب، لابن منظور، (١٨٢/١٠).
- (٢٣) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الجنائز، باب: الإذخر والحشيش في القبر، (٩٢/٢)، رقم (١٣٤٩).
- (٢٤) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: العلم، باب: ليليل العلم الشاهد الغيب، (٣٢/١)، رقم (١٠٤).
- (٢٥) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل الخدمة في الغزو، (٣٥/٤)، رقم (٢٨٨٩)، والمسند الصحيح، لمسلم، كتاب: الحج، باب: فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، (٩٩٣/٢)، رقم (١٣٦٥).
- (٢٦) نيل الأوطار، للشوكاني، (٣١/٥).
- (٢٧) البناءة شرح الهداية، للبدر العيني، (٤١٥/٤). وينظر: مواهب الجليل، للحطاب، (١٧٩/٣)، وحاشيتا قليوبي وعميرة، (١٧٧/٢)، والمغني، لابن قدامة، (٣٢١/٣)، ونيل الأوطار، للشوكاني، (٣١/٥).



- أولاً: الإذخر^(٢٨): فقد استثناه النبي ﷺ استثناء من التحريم، وأجاز قطعه لحاجة الناس إليه، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض... ولا يُخْتَلَى خَلَاهُ». فقال العباس رضي الله عنه: يا رسول الله، إلا الإذخر؛ فإنه لَقَيْنِهِمْ^(٢٩) وليبوتهم. قال ﷺ: «إلا الإذخر»^(٣٠).

ولذلك أجمع الفقهاء على جواز قطع الإذخر من الحرم واستعماله بلا نكير، فقال الشمس الزركشي: «وكذلك شجره ونباته، فهذان يحرم على الحلال والمحرم قطعهما، إلا الإذخر، وما زرعه الإنسان، فإنهما يباح أخذهما، وهذه الجملة مجمع عليها»^(٣١).

- ثانياً: ما أنبته الإنسان بنفسه:

أجاز الفقهاء الانتفاع بما أنبته الناس في الحرم من الشجر والنخيل والزروع ونحوها؛ لأن التحريم إنما هو متوجه إلى ما نبت بنفسه من شجر الحرم وعشبه، بل حكى ابن المنذر الإجماع على إباحته فقال: «أجمعوا على إباحة كل ما يُنبته الناس في الحرم من البقول، والزروع، والرياحين، وغيرها»^(٣٢).

- ثالثاً: النبات اليابس: أجاز الفقهاء كذلك الانتفاع بما يبس من شجر الحرم وعشبه وكلئه؛ لانعدام الحياة منه. قال المرداوي: «يحرم قلع شجر الحرم إجماعاً، إلا اليابس؛ فإنه مباح على الصحيح من المذهب، وعليه الأصحاب»^(٣٣).

المطلب الثاني: التعريف بالنازلة

وفيه فرعان:

- الفرع الأول: تعريف النازلة لغة.

- الفرع الثاني: تعريف النازلة اصطلاحاً.

الفرع الأول: تعريف النازلة لغة:

النازلة لغة اسم فاعل من «ن ز ل». يقال: نَزَلَ ينزل نزولاً: هبط من علٍّ إلى سُفْلٍ. ونزل فلان عن الأمر والحق: تركه. ونزل بالمكان ونزل فيه: حلَّ. ونزل على القوم: حلَّ ضيفاً. ونزل نزلة أصابه زكام والزرع نزلاً زكا ونما والمكان سال عليه الماء من أدنى مطر لصلابته فهو نزل وهي نزلة.

^(٢٨) الإذخر: نبت طيب الرائحة معروف عند أهل مكة، يُسَقَّف به البيوت فوق الخشب، ويستخدم في تطيب الموتى. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٣٣/١)، وفتح الباري، لابن حجر، (٤٩/٤).

^(٢٩) القَيْن: هو الحداد والصانع. والمعنى: يحتاج إليه القَيْن في وقود النار، ويحتاج إليه في سقوف البيوت يجعل فوق الخشب. ينظر: شرح صحيح مسلم، للنووي، (١٢٧/٩).

^(٣٠) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الجنائز، باب: الإذخر والحشيش في القبر، (٩٢/٢)، رقم (١٣٤٩).

^(٣١) شرح مختصر الخرق، لشمس الدين الزركشي، (١٦٠/٣). وينظر: المغني، لابن قدامة، (٣٢١/٣)، والنجم الوهاج في شرح المنهاج، للدميري، (٦٠٦/٣).

^(٣٢) الإجماع، لابن المنذر، (ص ٥٧). وينظر: المغني، لابن قدامة، (٣٢١/٣)، والإنصاف، للعلاء المرداوي، (٥٥٣/٣)، والمهذب، لأبي إسحاق الشيرازي، (٣٩٩/١)، وشرح صحيح البخاري، لابن بطال، (٤٩٨/٤)، نيل الأوطار، للشوكاني، (٣١/٥).

^(٣٣) الإنصاف، للعلاء المرداوي الحنبلي، (٥٥٢/٣). وينظر: نيل الأوطار، للشوكاني، (٣١/٥).



والنازلة: المصيبة الشديدة، والشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس. والجمع: نازلات، ونوازل. والنازلة: النائبة. وفي معناها: الواقعة، والمُلَمَّة، والكُريهة، كلها بمعنى متقارب^(٤٣٤).

قال ابن فارس: «النون والزاي واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط الشيء ووقوعه. وأكثر ما تطلق على: نزول أمر فيه شِدَّة»^(٤٣٥).

فالنازلة لغة: هي المصيبة الشديدة التي تنزل بالإنسان مسببة ضرراً أو أذى.

الفرع الثاني: تعريف النازلة اصطلاحاً:

عرف الفقهاء «النوازل» بأنها: «المسائل التي سئل عنها المشايخ المجتهدون في المذهب ولم يجدوا فيها نصاً، فأفتوا فيها تخريجاً»^(٤٣٦).

أما المعاصرون فقد عرفوا «النوازل» بعدة تعريفات؛ ولعل أبرزها: تعريف د. بكر أبو زيد بأنها: «الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة المشهورة بلسان العصر باسم (النظريات) و(الظواهر)»^(٤٣٧).

أما د. وهبة الزحيلي فعرفها بقوله: «المسألة أو المستجدة الطارئة على المجتمع بسبب توسُّع الأعمال، وتعقد المعاملات، والتي لا يوجد نص تشريعي مباشر واجتهاد فقهي سابق ينطبق عليها، وصورها متعددة، ومختلفة بين البلدان أو الأقاليم، لاختلاف العادات والأعراف المحلية»^(٤٣٨).

ولعل تعريف د. وهبة الزحيلي هو أفضل التعاريف وأوضحها. فالنازلة هي حادثة التي لم تكن معهودَةً من قبل وليس لها حكم لدى الفقهاء؛ فينتج عن ذلك حصول اضطراب وحيرة، تؤدي بالفقهاء إلى البحث عن حكمها الشرعي.

المبحث الأول

نوازل قطع شجر الحرم

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** قطع شجر الحرم من أجل مصلحة عامة كإنشاء طريق.

- **المطلب الثاني:** قطع شجر الحرم والبناء مكانه.

- **المطلب الثالث:** قطع شجر الحرم للتداوي.

^(٤٣٤) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٧٧٤/١) مادة «ن و ب»، و(٤٠٣/٨)، مادة «و ق ع»، و(٦٥٦/١١)، مادة «ن ز ل»، و(٥٥٠/١٢)، مادة «ل م م»، و(٥٣٦/١٣)، مادة «ك ر ه». وينظر: الصحاح، للجوهري، (١٨٢٩/٥)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، (ص ١٠٦٢)، وتاج العروس، للزبيدي، (٤٨٢/٣٠)، مادة «ن ز ل».

^(٤٣٥) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤١٧/٥)، مادة «ن ز ل».

^(٤٣٦) حاشية رد المحتار، لابن عابدين، (١٤٢/١).

^(٤٣٧) فقه النوازل، د. بكر أبو زيد، (٩/١).

^(٤٣٨) سبل الاستفادة من النوازل «الفتاوى» والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، د. وهبة الزحيلي، (ص ٤٩١).



المطلب الأول: قطع شجر الحرم من أجل مصلحة عامة كإنشاء طريق

نص الفقهاء على أن حكم التحريم في قطع الشجر والكلأ النابت بنفسه في الحرم إنما يتوجه إلى من فعل ذلك عبثاً أو بقصد الاعتداء، أما من قصد بقطعه تحقيق مصلحة معتبرة للحرم نفسه أو لمن يعيش فيه، أو لتيسير المناسك فلا يدخل فعله هذا في حكم التحريم، كمن قطع شيئاً منها لإفساح الطريق مما يضيقه على المارة من أغصان الشجر أو الشوك أو نحوه، وكذلك من يقطع جملةً من الشجر لينشئ مكانها طريقاً ينتفع به سكان الحرم. يقول الشهاب الرملي: «ولو انتشرت أغصان الشجرة الحرمية ومنعت الناس الطريق وأذنتهم؛ قطع المؤذى منها»^(٣٩). وفي حاشية قليوبي وعميرة: «لو ضيق الشجر الطريق وضر المارة، جاز قطعه»^(٤٠).

لكن لا ينبغي أن يقوم بهذا الأمر أحد من الناس على سبيل التطوع من تلقاء نفسه، وإنما الذي يقرر حاجة الناس في الحرم إلى إنشاء طريق جديد يستدعي إزالة ما يعترضه من أشجار، أو توسيع طريق قديم وتنظيف ما يضيقه من الشجر والشوك ونحوه، هم ولاية الأمر؛ لأنهم هم المنوط بهم تقدير الضرورات، واستعمال المشورة الدينية اللازمة مع علماء الشرع ليعرفوا مدى الحاجة الملجئة إلى مخالفة الحكم الشرعي القائم في مسألة من المسائل.

وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قطع دوحه - شجرة كبيرة - كانت في بيت أسد بن عبد العزى وكان ملاصقاً للحرم، وكانت تنال أطرافها وأغصانها ثياب الطائفين بالكعبة فربما قطعتها، وذلك قبل أن يوسع المسجد، فقطعها عمر رضي الله عنه، ووداها ببقرة^(٤١).

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: «وخرج بقولهم في قطع شجر الحرم: «لا لاحتياج»: ما إذا احتاج إليه للدواء، أو لعلف البهائم، أو لتسقيف البيوت، أو للغذاء كالرجلة، والبقلة؛ لأن ذلك في معنى الزرع، وكلام النظم كأصله يقتضي جواز قطع الشجر للحاجة»^(٤٢).

فهاهم الفقهاء من قديم يقررون اعتبار الحاجات الملجئة سبباً في تجويز ما تقرر في الشرع منعه، لكنهم يلزمون ذلك حكم الضرورات، وهي أن تقررها هيئة كبار العلماء، وألا يترتب عليها ضرر أشد من المراتب دفعه، وأن تكون المصلحة المراد تحقيقها من جراء ارتكاب هذه الضرورة راجحة محققة النفع، -ويزيد الشرع تسامحاً كلما كانت المصلحة عامة للمكان والناس-، وأخيراً وهو الأهم في كل الضوابط: أن هذه «الضرورة تقدر بقدرها»^(٤٣)؛ فينبغي الاقتصار فقط على ما يحتاج الطريق إلى إزالته بلا توسع في ذلك، فما لا يؤثر على خطة الطريق من الشجر والعشب لا ينبغي التعدي عليه بحال.

ومن خلال ما ذكرته وما قرره الفقهاء يتبين رجحان القول القائل بجواز قطع الشجر لمصلحة عامة كالطرق ونحوها، مع مراعاة الضوابط الشرعية المذكورة فيما يخص الحفاظ على حرمة الحرم الشريف وما فيه.

(٣٩) غاية البيان شرح زبد ابن رسلان، شهاب الدين الرملي، (ص ١٨١).

(٤٠) حاشيتنا قليوبي وعميرة، (١٧٧/٢).

(٤١) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، الفاكهي، (٢٥٣/٣)، رقم (٢١٣٧).

(٤٢) الغرر البهية شرح البهجة الوردية، لزكريا الأنصاري، (٣٦٥/٢).

(٤٣) الأشباه والنظائر، لابن نجيم، (ص ٧٣)، والأشباه والنظائر، للسيوطي، (ص ٨٤)، والقواعد السعدية، للسعدي، (ص ١٤٦).



المطلب الثاني: قطع شجر الحرم والبناء مكانه

الفرق بين هذا المطلب والذي يسبقه: أن المطلب الأول فيه قطع شجر الحرم لمصلحة عامة، أما المطلب الثاني فالقطع فيه لمصلحة خاصة.

وقد اختلف الفقهاء في حكم قطع شجر الحرم للبناء مكانه على قولين:

القول الأول: جواز قطع شجر الحرم للبناء مكانه إذا لم يمكن الاحتراز عن قطعه، وهذا إذا كانت الضرورة داعيةً لذلك، كأن يكون بناؤه لمصلحة راجحة تنفع الحرم أو تعين على تسير المناسك، أو كان مما يفتقر إليه أهل الحرم. وهو قول الجمهور.

وفقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية الضرورة بقوله: «الضرورة: التي يحصل بعدمها حصول موت أو مرض أو العجز عن الواجبات»^(٤٤٤). فالضرورة هي الحاجة الشديدة الملجئة إلى مخالفة الحكم الشرعي، وهي ما كانت الحاجة متعينة بحيث لا يوجد سبيل آخر للتوصل إلى الغرض سوى مخالفة الحكم العام^(٤٤٥).

وقال الإمام الحطّاب المالكي في تعليل المنع من قطع شجر الحرم: «وهذا إذا كان ذلك لغير مصلحة، وأما لو أراد أن يبني في موضع، أو يغرس فيه جاز له ذلك، قال التادلي لما ذكر المستثنيات: وجملة المستثنيات من الحرم على اختلاف في بعضها: الإذخر والسنا والسواك والعصا، والهش، والقطع للبناء، والقطع لإصلاح الحوائط، وذكرها ابن فرحون في مناسكه»^(٤٤٦).

وقال العز بن عبد السلام عن كون ذلك من الضرورات: «وهذا من باب تقديم حق العبد على حق الرب»^(٤٤٧).

وقال ابن بطال في شرحه لحديث العباس الذي عند البخاري معللاً ما وقع من قطع النخيل والشجر لبناء المسجد في الحرم: «لأن قطع النخيل والشجر كان لتبويء المسلمين مسجداً. ففي هذا من الفقه: أن من أراد أن يتخذ جنائاً في حرم ليعمرها، ويغرس فيها النخل، ويزرع فيها الحبوب، أنه لا يتوجه إليه النهي عن قطع شجرها، ولا يمنع من قطع ما فيه من شجر الشعر أو شوكةا؛ لأنه يبتغى الصالح والتأسيس للسكنى في موضع العمارة»^(٤٤٨).

وقال الزركشي: «وأول من رخص في قطع شجر الحرم في البنيان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما؛ حين ابتنى دوراً بَعِيقَعَان، لكنه جعل دية كل شجرة بقرة»^(٤٤٩).

^(٤٤٤) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٢٢٦/٣١).

^(٤٤٥) القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، د. عبد الرحمن بن صالح عبد اللطيف، (٢٤٧/١).

^(٤٤٦) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطّاب الرعيني المالكي، (٥٣٨/٤).

^(٤٤٧) قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، للعز ابن عبد السلام، (١٠٣/١).

^(٤٤٨) مزيد النعمة لجمع أقوال الأئمة، لجلال الدين المحلي، (ص ٢٨١).

^(٤٤٩) إعلام الساجد بأحكام المساجد، لبدر الدين الزركشي، (ص ١٥٦).



القول الثاني: عدم جواز قطع شجر الحرم للبناء مكانه مطلقاً، للنهي الصريح عن قطعه كما في حديث البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: «إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا، ولا يعصد بها شجرة»^(٤٠). وهو قول بعض الفقهاء كالشيخ ابن عثيمين.

وقد جاء في مجموع فتاوى الشيخ العثيمين: «سؤال: رجل اشترى قطعة أرض داخل حدود الحرم، وبنى عليها عمارة، ولكن عند البدء في العمل قلع من الأرض شجرة، فهل عليه شيء في ذلك؟

فأجاب فضيلته بقوله: لا يحل للإنسان أن يقطع شيئاً من شجر الحرم؛ لأن النبي ﷺ حرم ذلك. ومن قطع شيئاً جاهلاً، فإن أمكن رد الشجرة إلى مكانها ردها، وإن لم يمكن فليس عليه شيء»^(٤١).

ومن خلال عرض الرأيين وأدلة أصحابهما، يتبين لنا رجحان القول الأول الذي أجاز فيه جمهور الفقهاء قطع شجر الحرم للبناء مكانه إذا كان ذلك لمصلحة راجحة يراها أولو الأمر، وبالضوابط التي ذكرتها في المطلب السابق.

المطلب الثالث: قطع شجر الحرم للتداوي

اختلف الفقهاء في قطع شجر الحرم الذي فيه منفعة للناس للتداوي على قولين:

القول الأول: الجواز. فقد أجاز جمهور الفقهاء قطع ما يتداوى به من حشيش الحرم وشجره كالسنا^(٤٢) والكمأة ونحوهما. قال مالك: «ولا بأس بالسنا والإذخر أن يقطع في الحرم»^(٤٣).

وعند الشافعية «يحرم قطع حشيش الحرم لغير الدواء والعلف اتفاقاً»^(٤٤). قال النووي: «وأما ما كان دواء كالسنا ونحوه، فالراجح عندنا جوازه؛ لأنه مما يحتاج إليه، فألحق بالإذخر، وقد أباح النبي ﷺ الإذخر للحاجة، وهذا في معناه»^(٤٥).

واستدل أصحاب القول الأول على ذلك بأدلة منها:

١- إباحته قياساً على الإذخر؛ فإنه إن كان الإذخر قد أبيع لحاجة الناس إليه في سقف بيوتهم، وأعمال حدادتهم، وتطيب قبورهم وجواهرهم، فإن حاجة الناس إلى ما فيه دواء كالكمأة والسنا ونحوها أشد وأعظم.

قال ابن غازي المكناسي المالكي: «والسنا -مقصود- نبت يتداوى به، قاله الجوهرى. قال ابن عبد السلام: استثنى الإذخر في الحديث، وزاد أهل المذهب السنا لشدة الحاجة إليه، ورأوه من قياس الأحرى؛ لأن حاجة الناس إليه في الأدوية أكثر وأشد من حاجة أهل مكة إلى الإذخر، وهو أقرب من إجازة بعضهم اجتناء الكمأة، وإجازة الشافعي قطع المساويك»^(٤٦).

^(٤٠) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغيب، (٣٢/١)، رقم (١٠٤).

^(٤١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (٢٣٨/٢٢).

^(٤٢) السنا: نبت حجازي أفضله المكي. قيل: إنه نافع للصداع العتيق، والجرب، والبثور، والحكة. ينظر: زاد المعاد، لابن القيم، (٧٥/٤).

^(٤٣) المدونة، للإمام مالك بن أنس، (٤٥١/١).

^(٤٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (١٧٧/٢).

^(٤٥) المجموع، للنووي، (٤٥١/٧).

^(٤٦) شفاء الغليل في حل مففل خليل، لابن غازي المكناسي، (٣٤٨/١).



وقال الخطيب الشربيني: «والأصح حل أخذ نباته لعلف البهائم، وللدواء كالحنظل، وللتغذي كالرجلة والبقلة، للحاجة إليه؛ ولأن ذلك في معنى الزرع، ولا يُقطع ذلك إلا بقدر الحاجة»^(٤٥٧).

وقال العلاء المرداوي: «وتباح الكمأة والفقع والتمرّة كالإذخر»^(٤٥٨).

٢- أن الحاجة إلى الدواء هي من قبيل الضرورات، فيُغتفر فيها ما لا يغتفر في غيرها.

قال الزركشي: «قطع أشجار وحشيش الحرم حرام. قال القفال: «إلا أن يقطع شيئاً يسيراً لدواء». فإذا احتيج إليه كالدواء، فالأصح لا يحرم قطعه؛ لأن الحاجة إليه أهم من الحاجة إلى الإذخر، وقد استثناه الشرع»^(٤٥٩).

القول الثاني: عدم جواز قطع شيء من الشجر والعشب إلا الإذخر؛ لأنه منصوص عليه، ويستوي في الحرمة ما كان للتداوي أو لغيره. وهو مذهب ابن المنذر حيث قال: «ولا أجد دلالة أبيح بها ما أباح عطاء من أخذ السواك وغيره من الحرم، والشيء إذا حُرِّم حُرِّم القليل منه والكثير»^(٤٦٠). قال الزركشي: «وكان مجاهد يكره ذلك»^(٤٦١).

والراجح هو قول الجمهور القائل بجواز قطع شجر الحرم لغرض التداوي، لقوة حُجَّتِهِمْ، وموافقة مذهبهم لمقاصد الشرع الشريف، وتلبية حاجات الناس، ولكن ذلك جائز بضابط مهم وهو أن يؤخذ بقدر الحاجة كما نص على ذلك الشافعية.

المبحث الثاني

نوازل استحداث شجر للحرم

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** أخذ جزء من أشجار الحرم من أجل توزيع زراعته في حدود الحرم أو خارج الحدود.

- **المطلب الثاني:** أخذ عينة من شجر الحرم للبحث العلمي.

- **المطلب الثالث:** استنساخ شجر الحرم.

المطلب الأول: أخذ جزء من أشجار الحرم من أجل توزيع زراعته في حدود الحرم أو خارج الحدود

أخذ شجرة من الشجر أو غصنٍ منها لزراعته في مكان آخر بالنسبة للحرم له ثلاث صور:

الصورة الأولى: أخذ شجرة من الحل وغرسها في الحرم، وهذا لا شيء فيه، غير أن هذه الشجرة لا تأخذ حكم شجر الحرم من حيث حرمة قطعها بعد ذلك.

^(٤٥٧) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني، (٣٠٧/٢).

^(٤٥٨) الإنصاف، للعلاء المرداوي الحنبلي، (٥٥٣/٣).

^(٤٥٩) إعلام الساجد بأحكام المساجد، لبدر الدين الزركشي، (ص ١٥٨).

^(٤٦٠) الإشراف على مذاهب العلماء، لابن المنذر، (٤٠١/٣).

^(٤٦١) إعلام الساجد بأحكام المساجد، لبدر الدين الزركشي، (ص ١٥٨).



الصورة الثانية: أخذ شجرة من الحرم لغرسها خارج حدود الحرم من الحل، وهذا لا يجوز مطلقاً؛ ويجب ردها إلى الحرم، وإلا أثم أخذها، أو ضمن قيمتها على مذهب الشافعية الذي يلزمه القيمة.
وهاتان صورتان لم يختلف فيهما الفقهاء^(٦٢).

الصورة الثالثة: وهي محل خلاف؛ وهي أخذ شجرة من شجر الحرم أو غصنٍ منها لزراعته في مكان آخر داخل حدود الحرم. قال النووي: «صورة مسألة الخلاف فيما أنبته الأدمي: أن يأخذ غصناً من شجرة حرّمية فيغرسه في موضع من الحرم، أما إذا أخذ شجرة أو غصناً من الحل فغرسه في الحرم ثم قلعها هو أو غيره فلا شيء عليه بلا خلاف»^(٦٣). وقال أيضاً: «لا يجوز أن يقلع شجرة من الحرم وينقلها إلى الحل محافظة على حرمتها. ولو نقلها، فعليه ردها إلى الحرم. بخلاف ما لو نقل من بقعة من الحرم إلى بقعة أخرى منه لا يؤمر بالرد، وسواء نقل أشجار الحرم أو أغصانها إلى الحل أو الحرم يُنظر؛ إن يثبت لزمه الجزاء، وإن نبتت في الموضع المنقول إليه فلا جزاء عليه، فلو قلعها قالعٌ بعد ذلك لزم القالع الجزاء إبقاءً لحرمه الحرم، ولو قلع شجرة أو غصناً من الحل وغرسها في الحرم فنبتت لم يثبت لها حكم الحرم، فلو قلعها هو أو غيره فلا شيء عليه بلا خلاف»^(٦٤).

فالحاصل إذن من كلام الفقهاء أن هناك خلافاً في حكم أخذ شجر من الحرم لغرسه في مكان آخر داخل الحرم لضرورة تدعو إلى نقلها؛ وذلك على قولين:

القول الأول: جواز ذلك لبقاء حرمتها وعدم خروجها عن حيّز الحرم. لكن هؤلاء اشترطوا ألا تبيس الشجرة من جزاء عملية النقل. وعليه فإنهم يحكمون على الناقل في هذه الحالة إذا يبيست الشجرة ولم تنبت بعد غرسها بالإثم فقط، أو بالإثم والقيمة على مذهب الشافعية الذي يوجب الضمان في قطع الشجر الحرّمي.

القول الثاني: منع ذلك؛ لوجود معنى القطع والأخذ للشجر الحرّمي فيه، حتى وإن نقلها لمكان آخر داخل الحرم فنبتت فيه وأخضرت.

وبالنظر إلى تصوير الفريقين للمسألة، يتبين رجحان القول الأول لسببين:

- ١- لأنها لم تخرج عن حيّز الحرم من جهة، ولم تبيس أو تمث من جهة أخرى.
- ٢- مراعاة لحالات الضرورة التي تدعو لمثل ذلك من حينٍ لآخر مع تزايد حاجة الحرم إلى التوسيعات والطرق ونحو ذلك مما يقرره ولاية الأمر.

المطلب الثاني: أخذ عينة من شجر الحرم للبحث العلمي

ينبغي أن نُذكر أولاً هنا بأن المقصود من هذا المطلب هو بيان حكم أخذ عينة من الشجر الحرّمي الخالص، فلا نتكلم هنا عن الشجر أو الزرع الذي أنبته الإنسان في الحرم؛ لأن الأخذ منه جائز لا شيء فيه، وإنما نقصد الشجر والعشب الحرّمي النابت بنفسه؛ لأنه هو الذي خصه الشرع بالتحريم، وهو الذي اختلف الفقهاء فيما يمكن أخذه منه وما لا يمكن. وقد ذكرت

^(٦٢) ينظر: المجموع، للنووي، (٤٤٧/٧)، والمغني، لابن قدامة، (٣٢٠/٣)، والإنصاف، للمرداوي، (٥٥٣/٣).

^(٦٣) المجموع، للنووي، (٤٥١/٧).

^(٦٤) المرجع السابق، (٤٤٨/٧).



فيما سبق أن الفقهاء لم يُجمعوا على تحريم الأخذ مطلقاً من شجر الحرم وعشبهه، وإنما وجدنا أشياء أجمعوا على جواز أخذها منه كالإذخر والسواك والسنا والرياحين والبقول، وما يبس وذهب خضارُه وانعدمت حياته، ونحو ذلك مما ذكرنا أقوال الفقهاء فيه وأدلتهم عليه.

وتأسيساً على ما سبق فإن الحكم في أخذ عينة من شجر الحرم ونباته وورقه لغرض البحث العلمي بالحرمة أو الجواز لا يخرج عما تقدّم ذكره؛ فالفقهاء الذي انتهجوا مذهب المنع الكامل والتحريم التام لكل ما يتعلق بالشجر والعشب الحرّمي لم يبيحوا أخذ شيء منه لأي غرض. وتخرجاً على قولهم فإنه يحرم أخذ عينة من شجر الحرم للاستفادة بها في البحث العلمي.

بينما نجد جمهور الفقهاء يفصلون في المسألة فيميّزون بين الرطب واليابس، وبين الأخذ على سبيل التعدي أو العبث وبين الأخذ والقطع لمصلحة راجحة أو ضرورة ملّجئة، ويفرّقون بين ما أدّى أخذه من الشجرة إلى تلفها وبين ما لم يؤدّ إلى ذلك لكونه شيئاً يسيراً، فنراهم قد أباحوا قطع الإذخر للحاجة إليه وللنص عليه، وأباحوا أخذ السنا للتداوي، والسواك والعصا والورق بشرط العناية في قطعه حتى لا يُجرَح لحاء الشجر فيؤدي ذلك لتلفه، ونحو ذلك مما سبق تفصيله، ومن ذلك ما نقله الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث تحريم شجر مكة: «قال أبو بكر ابن العربي: اتفقوا على تحريم قطع شجر الحرم، إلا أن الشافعي أجاز قطع السواك من فروع الشجرة كذا نقله أبو ثور عنه، وأجاز أيضاً أخذ الورق والثمر إذا كان لا يضرها ولا يهلكها وبهذا قال عطاء ومجاهد وغيرهما» (٦٥).

ولذلك فإنه تخرجاً على قول الجمهور، فإنني أرى جواز أخذ عينة من شجر الحرم للبحث العلمي بالضوابط الشرعية المذكورة، وهي ألا يؤدّي أخذ العينة من الشجرة إلى إتلافها وموتها، وإن كانت ضرورة البحث تقتضي أن تؤخذ شجرة كاملة فينبغي العمل على توليد نسخة منها وغرسها مكانها.

وقد ورد إلى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء تقول فيه السائلة: «قبل حوالي أربع سنوات وأنا طالبة في الجامعة، قمت بعمل بحث على أنواع النباتات، وقد أخذت عينة من نباتات مكة (من ٣ إلى ٥) أوراق شجر من داخل منطقة الحرم، مع العلم أنني لم أقم بقطع غصنٍ أو ما شابه ذلك، مع علمي بحرمة البلد الحرام؛ ولكن علّلت فعلي بأنه في سبيل العلم، وأنه جائز؟! أفيدوني بارك الله فيكم: هل تجب علي كفارة؟ وإذا وجبت بكم تقدر وكيف توزع؟

فكان الجواب: نصّ الشرع الشريف على تحريم قطع شجر الحرم وعشبه وشوكه، واستثنى منه الإذخر، وما أنبتته الناس من الزروع والبقول والرياحين، والأحاديث بذلك ثابتة في الصحيحين، لكن اختلف الفقهاء في أشياء بين جواز أخذها أو منعه، فجمهورهم من الحنفية والمالكية والشافعية وأفراد التابعين على إباحة أخذ السنا للتداوي والورق؛ لأنه لا يضر الشجر إن أخذ منه، بينما يحرم الحنابلة أخذ الورق كما نص عليه ابن قدامة في المغني (٣/١٧٠)، وكان عطاء يرخّص في أخذ ورق السنّا - وهو نبت يُتداوى به، بحيث يُنقَع ويُشربُ ماؤه للمشيّ - ولا يُنزع من أصله، ورخص فيه عمرو بن دينار. وعموم ظواهر الأحاديث تمنع الأخذ من الشجر والعشب مطلقاً.

وعلى هذا فإن فيما أخذته الأخت السائلة من أوراق الشجر الحرّمي النابت بنفسه محل خلاف بين العلماء؛ والجمهور على جوازه، ويمنعه الحنابلة، إن لم تكن هناك حاجة عامة تدعو إلى أخذه؛ فإن كانت قد أخذته مع إمكان أن تستغني عنه بغيره

(٦٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (٤/٤٤).



من أشجار الحل، فينبغي أن تستغفر وتتوب إلى الله تعالى، وإن كانت هناك حاجة تعليمية تعود على عموم الناس بالنفع ولا يقوم شجر الحل مقامها، فلا حرج إن شاء الله.

وعلى كل الاحتمالات، لا ضمان عليها ولا كفارة؛ لأن الفقهاء الذين يمنعون أخذ الورق وهم الحنابلة لا يوجبون ضمان شجر الحرم، وبهذا أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء؛ فقد جاء في فتاويها: «وإذا أُلِفَ شيئاً من شجر الحرم أو حشائشه مملوكاً لأحد فكذاك عليه قيمته لمالكه، وإن لم يكن مملوكاً لأحد فلا شيء عليه، ولا ينبغي له تعمد ذلك؛ لنهيهِ ﷺ عن ذلك»^(٦٦).

المطلب الثالث: استنساخ شجر الحرم

الاستنساخ لغة مأخوذ من «النسخ»، والألف والسين والتاء للطلب، ويطلق النسخ في العربية على معنيين:

أحدهما: النقل: ومنه نسخ الكتاب: أي نقل صورته إلى كتاب آخر. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الحج: ٢٩). أي: ننسخ ما تكتبه الحفظة، فيثبت عند الله سبحانه.

والآخر: الإزالة: ومنه قول الله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (البقرة: ١٠٦). أي: نزيلها ونحوها^(٦٧). والمعنى الأول هو المراد من الاستنساخ في هذا البحث، وهو طلب الحصول على نسخة أخرى غير المنقول عنها. وقد يطلق على هذه التقنية «الاستنساخ الحيوي» أو «الاستنساخ العذري» أو «الاستنساخ اللاجنسي»^(٦٨). ومعنى الاستنساخ عند علماء النبات والحيوان: «تكوّن كائن حي كنسخة مطابقة تماماً من حيث الخصائص الوراثية والفيزيولوجية والشكلية لكائن حي آخر»^(٦٩).

وتصوير المسألة التي معنا: أخذ جزء بسيط من شجر الحرم كعينة؛ بغرض استخدام خلاياه الجينية في توليد أشجار أخرى من نفس النوع.

وعند تطبيق التقنية على شجر الحرم سنجد أن العينة المأخوذة للاستنساخ منها ستكون جزءاً يسيراً من الشجرة قد لا يصل إلى نصف حجم السواك.

وتُخرّج هذه المسألة على مسألة: أخذ السواك والعصا ونحوهما من شجر الحرم. قال الحافظ ابن حجر: «قال أبو بكر ابن العربي: اتفقوا على تحريم قطع شجر الحرم، إلا أن الشافعي أجاز قطع السواك من فروع الشجرة كذا نقله أبو ثور عنه. وأجاز أيضاً أخذ الورق والثمر إذا كان لا يضرها ولا يهلكها، وبهذا قال عطاء ومجاهد وغيرهما»^(٧٠).

^(٦٦) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، (٢٠٩/١٣).

^(٦٧) لسان العرب، لابن منظور، (٦١/٣).

^(٦٨) الاستنساخ: جدل العلم والدين والأخلاق، د. هاني رزق، (ص ٢٢٩).

^(٦٩) المرجع السابق، (ص ٢٢٩).

^(٧٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (٤/٤).



وقال الحطاب: «قال التادلي: وجملة المستثنيات من الحرم على اختلاف في بعضها: الإذخر والسنا والسواك والعصا والهش»^(٤٧١).

وقال المرداوي: «لا بأس بالانتفاع بما زال بغير فعل آدمي، نص عليه، وعليه الأصحاب. قال ابن قدامة: لا نعلم فيه خلافاً؛ لأن الخبر في القطع انتهى. قال بعض الأصحاب: لا يحرم عود وورق زالا من شجرة أو زالت هي، بلا نزاع فيه. وتباح الكمأة والفقع والتمر كالإذخر»^(٤٧٢).

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: «وخرج بقول النظم: (لا لاحتياج) ما إذا احتاج إليه للدواء، أو لعلف البهائم، أو لتسقيف البيوت، أو للغذاء كالرجلة، والبقلة؛ لأن ذلك في معنى الزرع وكلام النظم كأصله يقتضي جواز قطع الشجر للحاجة»^(٤٧٣).

وتخريجاً على جواز أخذ السواك من شجر الحرم، فإنني أرى جواز الأخذ من شجر الحرم لمنفعة حقيقية، فإذا كانت الغاية من استنساخ ذلك نفع الإنسان، فليس هناك ما يمنع شرعاً من هذا الاستنساخ. يقول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} (البقرة: ٢٩). أي: لمنفعتكم ومصلحتكم. فإذا تمكن الإنسان من استحداث تقنية لاستنساخ أشجار ونباتات تحقق له فائدة علاجية، أو غذائية، أو صناعية، أو اقتصادية، أو غيرها، فلا حرج في ذلك، إذا لم يترتب عليها الإضرار بالشجرة المستنسخ منها، أو إتلافها، وخلت عملية الاستنساخ من العبث.

وقد سبق أن ذكرت إباحة الفقهاء أن يأخذ الناس من شجر الحرم ما لا يضرها أو يتلفها كالسواك والورق والثمر ونحو ذلك؛ فقد أجاز الشافعي قطع السواك من فروع الشجرة كذا نقله أبو ثور عنه، وأجاز أيضاً أخذ الورق والثمر إذا كان لا يضرها ولا يهلكها وبهذا قال عطاء ومجاهد وغيرهما^(٤٧٤).

ولا يصح الاعتراض هنا على هذا الحكم بأن المسألة ستدخل في حكم آخر وهو نقل شجر الحرم إلى خارجه؛ لأن المنهي عنه هو قطع الشجرة أو غصن كامل منها يصلح للغرس ونقله إلى خارج الحرم كما بينت، وليس الأمر هكذا في مسألة الاستنساخ التي معنا؛ فغاية الأمر فيها أنه تؤخذ عينة صغيرة لا تبلغ حجم السواك والعصا الجائز أخذهما، وإدخال خلاياها الجينية في معامل مخصوصة لصنع شتلة صالحة للغرس، وهذا ليس فيه نقل حقيقي لشجر الحرم ولا لغصن كامل منه يصلح للغرس.

خاتمة البحث

توصلت إلى عدد من النتائج العلمية المرتبطة بموضوع البحث أسجلها في التالي:

١- حرم النبي ﷺ مكة وما حولها، ثم حرم المدينة وما حولها.

^(٤٧١) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطاب، (١٧٩/٣).

^(٤٧٢) الإنصاف، للعلاء المرداوي، (٥٥٣/٣).

^(٤٧٣) الغرر البهية شرح البهجة الوردية، لزكريا الأنصاري، (٣٦٥/٢).

^(٤٧٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (٤٤/٤).



- ٢- شرع الإسلام أحكاماً للتعامل مع طبيعة الحرم الشريف أرضاً وصيداً، وشجراً وعشباً، فجعل الأصل في كل ذلك الحرمة التامة على المُحرم وغير المُحرم.
- ٣- يجوز قطع شجر الحرم لمصلحة عامة كالطرق ونحوها، مع مراعاة الضوابط الشرعية المذكورة فيما يخص الحفاظ على حرمة الحرم الشريف وما فيه.
- ٤- يجوز قطع شجر الحرم للبناء مكانه إذا كان ذلك لمصلحة راجحة يراها أولو الأمر، وذلك تخريجاً على قول جمهور الفقهاء.
- ٥- يجوز قطع شجر الحرم لغرض التداوي، وهو قول الجمهور وهو الراجح، لقوة حُجَّتِهِمْ، وموافقة مذهبهم لمقاصد الشرع الشريف، وتلبيةً لحاجات الناس، ولكن ذلك جائز بضابط مهم وهو أن يُؤخذ بقدر الحاجة.
- ٦- يجوز أخذ جزء من أشجار الحرم من أجل توزيع زراعته في حدود الحرم أو خارج الحدود؛ لأنها لم تخرج عن حيز الحرم من جهة، ولم تَبْيَسْ أو تُمُتْ من جهةٍ أخرى. ويجوز كذلك مراعاةً لحالات الضرورة التي تدعو لمثل ذلك من حينٍ لآخر مع تزايد حاجة الحرم إلى التوسيعات والطرق ونحو ذلك مما يقرره ولاة الأمر.
- ٧- يجوز أخذ عينة من شجر الحرم للبحث العلمي، لكن بضوابط؛ وهي: ألا يؤدِّي أخذ العينة من الشجرة إلى إتلافها وموتها، وإن كانت ضرورة البحث تقتضي أن تُؤخذ شجرة كاملة فينبغي العمل على توليد نسخة منها وغرسها مكانها.
- ٨- يجوز استنساخ شجر الحرم لمنفعة حقيقية، بشرط ألا يترتب عليه الإضرار بالشجرة المستنسخ منها، أو إتلافها، وخلت عملية الاستنساخ من العبث.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

المصادر والمراجع

١. الإجماع، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
٢. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، لمحمد بن إسحاق الفاكهي، تحقيق: د. عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٣. الاستنساخ: جدل العلم والدين والأخلاق، د. هاني رزق وآخرين، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٩٧م.
٤. الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، للشيخ زين الدين بن إبراهيم بن نُجَيْم الحنفي، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٥. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
٦. الإشراف على مذاهب العلماء، للإمام أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.



٧. إعلام الساجد بأحكام المساجد، للإمام محمد بن بهادر الزركشي الشافعي، تحقيق : الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.
٨. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للعلامة علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المِرْدَاوي الحنبلي، تحقيق: د. الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.
٩. البناية في شرح الهداية، للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.
١٠. تاج العروس من جواهر القاموس، للعلامة أبي الفيض مجد الدين محمد بن محمد الحسيني المعروف بـ«مرتضى الزبيدي» الحنفي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي وآخرين، طبعة وزارة الإعلام، الكويت، ط١، ١٣٨٥-١٤٠٦ هـ.
١١. تاج اللغة وصحاح العربية، للعلامة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.
١٢. تاريخ الرسل والملوك، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٣٩١ هـ، ١٩٧١ م.
١٣. تهذيب الأسماء واللغات، للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.
١٤. تهذيب اللغة، للإمام اللغوي أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، تحقيق: د. عبد السلام هارون، ومحمد علي النجار وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سلسلة تراثا، القاهرة، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م.
١٥. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن برذبه الجعفي البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، جدة، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.
١٦. حاشية رد المحتار، للعلامة محمد أمين الشهير بـ«ابن عابدين» الحنفي وتكملة ابنه، على الدر المختار لعلاء الدين الحصكفي شرح متن تنوير الأبصار للتَّمَرْتَأَشِي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.
١٧. حاشيتا قليوبي وعميرة على شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي المصري الشافعي على منهاج الطالبين للنووي، للشيخين: شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي، وأحمد البرلسي الملقب بـ«عميرة» الشافعيين، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.
١٨. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السُّهَيْلِي، تحقيق: الشيخ عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط١، ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٧ م.
١٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بـ«ابن قيم الجوزية» الزرعي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣٠، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.
٢٠. سبل الاستفادة من النوازل «الفتاوى» والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصر، د. وهبة الزحيلي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، جدة، العدد (١١).



٢١. شرح صحيح البخاري، للإمام أبي الحسن علي بن خلف بن بطلال القرطبي المالكي، ضبطه وعلق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
٢٢. شرح صحيح مسلم، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
٢٣. شرح مختصر الخرق، للعلامة شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي الحنبلي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٢٤. شفاء الغليل في حل مُفَقِّل خليل، للشيخ العلامة محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي المالكي، دراسة وتحقيق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
٢٥. غاية البيان شرح زيد ابن رسلان، لشهاب الدين الرملي الشافعي، دار المعرفة، بيروت، د.ب، د.ت.
٢٦. الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، للإمام أبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي، ومعه: بهجة الحاوي «البهجة الوردية» لابن أبي الفوارس الوردية، وحاشية ابن قاسم العبادي، المطبعة الميمنية، القاهرة، د.ت.
٢٧. غريب الحديث، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
٢٨. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، إعداد: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
٢٩. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، إشراف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بتصحيح تجاربه وتحقيقه: محب الدين الخطيب، راجعه: قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م.
٣٠. فقه النوازل، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٣١. القاموس المحيط، للإمام العلامة اللغوي أبي إسحاق مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
٣٢. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لسلطان العلماء الإمام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي، تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف، بيروت، د.ت.
٣٣. القواعد السعدية، للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مطبوع مع: شرح القواعد السعدية، د. عبد المحسن بن عبد الله بن عبد الكريم الزامل، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عبد الرحمن بن سليمان العبيد وأيمن بن سعود العنقري، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
٣٤. القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، د. عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
٣٥. لسان العرب، للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.



٣٦. مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
٣٧. المجموع شرح المذهب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي، يليه: تكملة السبكي والمطيعي، ومعه: فتح العزيز للرافعي، والتلخيص الحبير لابن حجر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
٣٨. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن ودار الثريا، الرياض، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
٣٩. المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس الأصبحي، رواية: سحنون بن سعيد عن عبد الرحمن بن القاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٣هـ، ١٩٠٥م.
٤٠. مزيد النعمة لجمع أقوال الأئمة، لحسين بن محمد المحلي الشافعي المصري، تحقيق: عبد الكريم بن صنيان العمري، د.ت، د.ن.
٤١. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.
٤٢. مضاعفة أجر الصلاة في المسجد الحرام، د.سعود بن ملوح العنزي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، قنا، جامعة الأزهر الشريف، المجلد (١٣)، ديسمبر ٢٠١٣م.
٤٣. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للشيخ شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
٤٤. المغني شرح مختصر الخرقي، للإمام الفقيه موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجَمَاعيلي المقدسي الحنبلي، مكتبة القاهرة، القاهرة، د.ط، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
٤٥. مقاييس اللغة، للعلامة اللغوي أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: د.عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٤٦. المذهب في الفقه الشافعي، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٤٧. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي الرُعيني المالكي المعروف بـ«الحطاب»، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
٤٨. النجم الوهاج في شرح المنهاج، لكمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَمِيرِي الشافعي، دار المنهاج، جدة، تحقيق: لجنة علمية، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
٤٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ود.محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٥٠. نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.



الجهود التطوعية الأندلسية في تفسير القرآن الكريم وإقراءه خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)

أ. أضواء محمد إبراهيم جعفر- جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية

Email: amgaffer@uqu.edu.sa

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة الحالية للكشف عن الجهود التطوعية الأندلسية لتفسير القرآن الكريم وإقراءه خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، واستخدمت الباحثة المنهج التاريخي، وكان من نتائج الدراسة:

١. إن من أبرز دوافع الجهود التطوعية الأندلسية لتفسير القرآن الكريم وإقراءه؛ دعم الملوك والأمراء للعلماء، من تشجيع وتقريب، واستوزار، وتقريغ للطلب والتأليف والتصنيف.
٢. إن جغرافية الأندلس، وطبيعتها الخلابة، وإطلالتها على البحار، ووفرة مواردها، حفزت الأندلسيين للتفوق والإبداع، في مختلف العلوم؛ لا سيما علمي التفسير والقراءات.
٣. تنوّعت الجهود التطوعية الأندلسية لتفسير القرآن الكريم وإقراءه، وعمّت مصنفاتهم الشرق والغرب، والتي لا زال كثيرًا منها متداولًا إلى اليوم.

الكلمات المفتاحية:

التطوع بالأندلس، الأندلس، الجهود التطوعية، التفسير، القراءات، القرنين السابع والثامن الهجريين

Abstract

This study aimed to reveal the Andalusian voluntary efforts to interpret and recite the Holy Qur'an during the seventh and eighth centuries AH. The historical method was used in this study, and the most prominent results of the study were:

- 1-Among the most prominent motives of Andalusian voluntary efforts to interpret and recite the Holy Qur'an is the support of kings and princes for scholars, such as encouragement, approximation, sourcing, scrutiny, devotion to demand, authorship, and composition.
- 2-The geography of Andalusia, its picturesque nature, its view of the seas, and the abundance of its resources, motivated Andalusians to excel and innovate in various sciences; Especially interpretation and Quran readings.
- 3- Andalusian voluntary efforts varied to interpret and recite the Holy Qur'an, and their works circulated east and west, many of which are still in circulation today.



Key words:

volunteering in Andalusia, Andalusia, voluntary efforts, interpretation, readings, seventh eighth centuries AH

المُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ النَّظَرَ فِي أَخْبَارِ مَنْ غَبَرَ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ، وَخَصَّ الْإِنْسَانَ بِفَضْلِ النَّظَرِ وَالِاسْتِبْصَارِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ} [سورة الحشر: ٢] وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى صَفْوَةِ الصَّفْوَةِ مِنَ الْبَشَرِ، مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ، وَبَعْدُ؛

تَمَيَّزَتِ الْجُهُودُ الْأَنْدَلُسِيَّةُ فِي كُلِّ مَيَادِينِ الْحَيَاةِ، وَشَتَى جَوَانِبِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، إِلَّا أَنْ تَمَيَّزَهَا فِي مَجَالِ عُلُومِ الْقُرْآنِ كَانَ أَجْلَى وَأَعْلَى، وَذَلِكَ لِتَقْدِيسِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعْظِيمِهِمْ لَهُ، فَلَقَدْ كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَسَاسَ التَّعْلِيمِ عِنْدَهُمْ، يَبْتَدِئُونَ بِهِ فِي تَعْلِيمِ صَبْيَانِهِمْ، ثُمَّ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، وَالحَدِيثُ وَالفقه، وَهِيَ طَرِيقَةُ انْفِرَادٍ بِهَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ، كَمَا قَالَ ابْنُ خَلْدُونِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَمَذْهَبُهُمْ تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ وَالكِتَابِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَرَاوُنَهُ فِي التَّعْلِيمِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ أَوَّلَ ذَلِكَ وَأَسَّه، وَمَنْعَ الدِّينِ وَالْعُلُومِ؛ جَعَلُوهُ أَصْلًا فِي التَّعْلِيمِ".^{٤٧٥}

وَقَدْ تَعَدَّدَتِ وَتَنَوَّعَتِ صُورُ الْعَطَاءِ الْأَنْدَلُسِيِّ فِي مَجَالِ خِدْمَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَعُلُومِهِ، لَا سِيَّمَا عِلْمِيَّ التَّفْسِيرِ وَالْقِرَاءَاتِ، فَكَانَ لَهُمْ فِيهِمَا فَضْلُ السَّبْقِ وَالرِّيَادَةِ، وَتَبَوَّأُوا الْمَكَانَةَ وَالصَّدَارَةَ، كَمَا قَالَ وَاحِدُهُمْ، وَهُوَ أَثِيرُ الدِّينِ أَبُو حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٤٥هـ): "وَلَمْ أَلْقَ فِي هَذَا الْفَنِّ - أَيِ التَّفْسِيرِ - مَنْ يَقَارِبُ أَهْلَ قَطْرِنَا الْأَنْدَلُسِيِّ فَضْلًا عَنِ الْمِمَاتِلَةِ، وَلَا مَنْ يَنْاضِلُهُمْ فِيدَانِي فِي الْمُنَاضِلَةِ".^{٤٧٦} كَمَا قَالَ الْمُقْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٠٤١هـ): "وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالسَّبْعِ، وَرَوَايَةُ الْحَدِيثِ عِنْدَهُمْ رَفِيعَةٌ".^{٤٧٧}

وَلَقَدْ كَانَتْ أَغْلِبَ الْعَطَاءَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ تَطَوُّعِيَّةً، لَيْسَتْ طَلِبًا لِمَنْفَعَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ أَوْ مُقَابَلِ مَادِي، بَلْ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَالمَمْتَدِّ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ بَذَلُوا الْأَعْمَارَ، وَوَصَلُوا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فِي تَعْلِيمِ وَإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَخَلَّفُوا كِتَبًا هِيَ مِنْ أَمْهَاتِ كِتَابِ التَّفْسِيرِ وَالْقِرَاءَاتِ، وَلَا تَزَالُ تَلْقَى قَبُولًا وَرَوَاجًا، وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهَا الطُّلَابُ وَالْمُرِيدُونَ، إِلَى الْيَوْمِ، وَمَا هَذَا إِلَّا لِحَسَنِ نِيَّتِهِمْ، وَجُهُودِهِمْ الْمَخْلُصَةَ فِي خِدْمَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَعُلُومِهِ.

وَمِنْ أَبْرَزِ التَّفَاسِيرِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ لِعُلَمَاءِ الْقَرْنَيْنِ السَّابِعِ وَالثَّامَنِ الْهَجْرِيَيْنِ؛ تَفْسِيرُ (مَلَكَ التَّأْوِيلِ الْقَاطِعِ بِذَوِي الْإِلْحَادِ وَالتَّعْطِيلِ فِي تَوْجِيهِهِ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِ مِنْ آيِ التَّنْزِيلِ) وَ(الْبَرْهَانِ فِي تَرْتِيبِ سُورِ الْقُرْآنِ) لِأَبِي جَعْفَرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ الثَّقَفِيِّ (ت

(٤٧٥) ابن خلدون، عبد الرحمن الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط ٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ٧٤٠

(٤٧٦) ابن حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي جميل، (د، ط)، ١٤٢٠هـ، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ١١

(٤٧٧) المقري، شهاب الدين (ت ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، ١٩٩٧، دار صادر، بيروت، (عدد الأجزاء ٨)، ج ١، ص ٢٢١
٢٢٥



٧٠٨هـ)، وتفسير (التسهيل لعلوم التنزيل) لأبي القاسم ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ)، وتفسير (البحر المحيط) لأثير الدين أبي حيّان الأنديسي (ت ٧٤٥هـ).

ومن نماذج القراء الأندلسيين - رحمهم الله جميعا - عتيق بن محمد الغساني (ت ٦٧٠هـ)، الذي كان مقرّناً عارفاً بالقراءات، حسن القيام عليها، متقناً في الأداء.^{٤٧٨} وأبو عبد الله الشّاطبي (ت ٦٧٢هـ) الذي كان عالماً بالقراءات، وألف كتابه: (شرف المراتب والمنازل) في القراءات.^{٤٧٩} إضافة لما أثمرته جهود أولئك القراء، من ثروة علمية تربوا على ٤٣٥ كتاباً في علوم القراءات القرآنية.

مَوْضُوعُ الدِّرَاسَةِ

على الرغم من أن التطوع أصيّل في الإسلام، يضرب بجذوره في عمق التاريخ، بسطوع شمس الإسلام، منذ آلاف السنين، إلا أن حركية التطوع والعمل ألا ربحي في الغرب أكثر تقدماً على مستوى الأموال والنشاطات والبرامج، وقد أورد برزان (٢٠١٧) أن عدد المتطوعين وساعات العمل والتبرعات المالية والعينية، والمؤسسات التطوعية في الدول الغربية أكثر من العالم الإسلامي.^{٤٨٠}

كما أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٩٨٥ اليوم العالمي للتطوع (اليوم الدولي للمتطوعين)* في الخامس من ديسمبر من كل عام، تنظمه منظمات غير حكومية، ووكالات الأمم المتحدة والسلطات الحكومية والقطاع الخاص، لتحقيق السلام والتنمية عن طريق الدعوة للاعتراف بالمتطوعين والعمل مع الشركاء لإدماج العمل التطوعي في البرمجة الإنمائية، وتشجيع الحكومات لدعم جهود المتطوعين، والاعتراف بمساهماتهم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة على المستويات المحلية والوطنية والدولية.^{٤٨١}

وتدرك حكومة المملكة العربية السعودية منذ بداية تأسيسها على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن رحمه الله، القيمة الدينية والتنموية للعمل التطوعي، ولهذا جعلت أحد دعائم نهضتها وتطورها في رؤيتها ٢٠٣٠؛ النهوض بالعمل التطوعي، بما ورد نصه:

"من أهدافنا بحلول ١٤٥٢هـ (٢٠٣٠)؛ رفع مساهمة القطاع غير الربحي في إجمالي الناتج المحلي، من أقل من واحد في المئة إلى خمسة في المائة، والوصول إلى مليون متطوع في القطاع غير الربحي سنوياً، مقابل ١١ ألف الآن، ونعمل كذلك على غرس ثقافة التطوع لدى أفراد المجتمع"^{٤٨٢}

وتعتبر الجامعات السعودية احد أذرع الدولة في تحقيق نهضتها، بما تبادر به من برامج وندوات ومؤتمرات، وتوجيه جهود الباحثين لأبحاث التطوع، سواء أكانت تأسيسية، لإبراز الدور الحضاري للعمل التطوعي في الحضارة الإسلامية،

(٤٧٨) المراكشي، محمد الأنصاري (ت ٧٠٣هـ)، السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، ١٩٦٥م، دار الثقافة، بيروت، ص ١٣٠

(٤٧٩) الزركلي، خير الدين الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام، ط ١٥، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٦، ص ١٥٠

(٤٨٠) برزان، جابر أحمد، العمل التطوعي، ط ١، ٢٠١٧، الجنادرية، سلطنة عمان، ص ٩

(٤٨١) موقع الأمم المتحدة، رابط استرجاع: <https://www.un.org/ar>

(٤٨٢) رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠م (٢٥ / أبريل / ٢٠١٦)، رابط: <http://vision2030.gov.sa>



كدراسة بخاري ١٤٢١هـ،^{٤٨٣} ودراسة لافي ١٤٢٤هـ، ودراسة زينو ١٤٢٨هـ،^{٤٨٤} ودراسة محمود ١٤٣٥هـ،^{٤٨٥} أو دراسات ميدانية لاستطلاع الجهود التطوعية وبرامج التفعيل، ومدى المشاركة المجتمعية فيها، كدراسة الهيدان ٢٠١٩م،^{٤٨٦} ودراسة حمايدية (٢٠١٥)^{٤٨٧} أو دراسات تبحث في قيم العمل التطوعي كدراسة الحازمي (٢٠١٧)^{٤٨٨}، وقد أوصت جميع تلك الدراسات بمزيد اهتمام بالعمل التطوعي، سواءً بالأبحاث أو الندوات والمؤتمرات، مما يساهم في رفع مستوى العمل التطوعي وتفعيل دوره الحقيقي في تنمية المجتمع.

وإن من أعظم ما يعزز قيم العمل التطوعي في النفوس، ويُشعل جذوة الحماس لمزيد من الجهود التطوعية، إحياء سير العلماء العاملين، والوقوف على جهودهم التطوعية، إذ بهم يعود للإسلام مجده، وتُرفع رايته، ولهذا فقد اهتم العلماء جيلاً بعد جيل؛ بسيرهم وتراجمهم، فكان لأمة الإسلام دون غيرها من الأمم؛ الكم الهائل من كتب التراجم والسير، والتي تعد دليلاً على غنى الأمة بالعلم والعلماء، الذين في غياب سيرهم؛ غياباً للقيم والمثل العليا، وتخبّطاً في غياهب الجهل والتخلف في شتى مجالات الحياة، قال الإمام محيي الدين الحنفي رحمه الله: "إن في معرفة مناقبهم وأحوالهم؛ عوناً للتأدب بآدابهم والاقتراس من محاسن آثارهم، كما أنهم أئمةٌ وأسلافنا، كالوالدين لنا، وأجدنا علينا في مصالح آخرتنا، التي هي دار قرارنا، وأنصح لنا فيما هو أعود علينا، وأقبح علينا أن نجهلهم وأن نهمل معرفتهم".^{٤٨٩}

ولهذا فقد جاءت الدراسة الحالية لتسلط الضوء على الجهود التطوعية الأندلسية لسد الثغرة في مجال الدراسات والأبحاث العلمية التي أهملت دراسة التطوع في جانب التراث الإسلامي، على الرغم مما تميزت به عند التركيز على الجوانب التأصيلية والقيمية والميدانية للتطوع.

وتحديد الجهود العلمية الأندلسية؛ بعلمي التفسير والقراءات فقط؛ لما كان لهذين العلمين من مكانة خاصة في نفوس الأندلسيين، وقد وصف أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) حالهم مع القرآن الكريم وعلومه بقوله: "ومما برعوا فيه علم الكتاب، انفردوا بإقراءه مذ أعصار دون غيرهم من ذوي الآداب، أثاروا كنوزه، وفكوا رموزه، وقربوا قاصيه، وراضوا

(٤٨٣) بخاري، محمد سعيد، الخدمات التطوعية في الكتاب والسنة، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، دار الوطن، الرياض
(٤٨٤) زينو، رندة محمد، العمل التطوعي في السنة النبوية "دراسة موضوعية"، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم الحديث الشريف وعلومه، غزة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
(٤٨٥) محمود، المثنى عبد الفتاح، التطوع في القرآن الكريم "مفهومه - شروطه - مجالاته - تأصيله"، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤١، ملحق ١، ٢٠١٤م.
(٤٨٦) الهيدان، أمال محمد إبراهيم، أثر برنامج رخصة العمل التطوعي على الأداء الاحترافي للمتطوعات في القطاع الحكومي: حاضنة نورة العطاء التطوعية في عمادة خدمة المجتمع بجامعة الأميرة نورة أنموذجاً، مج ٢٧، مجلة الجامعة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، غزة
(٤٨٧) حمايدية، دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية العمل التطوعي، دراسة وصفية تحليلية لصفحة الفيس بوك لجمعية ناس الخير ورقلة، ماجستير، الأردن.
(٤٨٨) الحازمي، ماجد عبد الله، قيم العمل التطوعي وتطبيقاتها التربوية من منظور إسلامي، مجلة البحث العلمي في التربية، جامعة عين شمس، ١٨٤ ج ٨
(٤٨٩) الحنفي، عبد القادر القرشي (ت ٧٧٥)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق: المراجع الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، المملكة الأردنية الهاشمية. (د، ط)، الناشر: مير محمد كتب خاتنه: كراتشي، ص ٣، ص ٦



عاصيه، وفتحوا مقله، وأوضحوا مشكله، وأنهجوا شعبه، وذللو صعبه، وأبدوا معانيه في صورة التمثيل، وأبدعوه بالتركيب والتحليل".^{٤٩٠}

وأما القرنين السابع والثامن الهجريين، في بلدان العالم الإسلامي عموماً، ومنها الأندلس؛ كانا عصر نهضة وتجديد، وعناية بالعلم والعلماء، وتشجيع على التصنيف والتأليف في شتى علوم الدنيا والدين، حتى إنه ليعتبر عصر المؤلفات المطولة والموسوعات الجامعة في مختلف العلوم، ولهذا فقد شغلت تلك الفترة الباحثين، ووجهت جهودهم لدراساتها، في مختلف التخصصات، كدراسة العليوي (٢٠٠٨)^{٤٩١} في البلاغة والنقد، ودراسة كندو (٢٠٠٨)^{٤٩٢} في فلسفة التاريخ، ودراسة لوانسة (٢٠١٤)^{٤٩٣} في الأدب المغربي، ودراسة التويجري (٢٠١٨)^{٤٩٤} في أصول الفقه، وقد أوصت تلك الدراسات بمزيد من البحث والتنقيب لجميع مجالات الحياة، وفروع المعرفة، في تلك الفترة المزهرة من التاريخ الإسلامي، لاستخراج مكنوناتها وتجليه مآثر علمائها.

ولهذا جاءت الدراسة الحالية لتسلط الضوء على الجهود التطوعية الأندلسية لتفسير القرآن الكريم وإقراءه خلال القرنين السابع والثامن الهجريين من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية بالأندلس خلال القرنين السابع والثامن الهجريين؟
٢. ما الجهود التطوعية الأندلسية لتفسير القرآن الكريم خلال القرنين السابع والثامن الهجريين؟
٣. ما الجهود التطوعية الأندلسية لإقراء القرآن الكريم خلال القرنين السابع والثامن الهجريين؟

أَهْدَافُ الدِّرَاسَةِ

١. التعرف على طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية بالأندلس خلال القرنين السابع والثامن الهجريين.
٢. الكشف عن الجهود التطوعية الأندلسية لتفسير القرآن الكريم خلال القرنين السابع والثامن الهجريين.
٣. الكشف عن الجهود التطوعية الأندلسية لإقراء القرآن الكريم خلال القرنين السابع والثامن الهجريين.

أَهْمِيَّةُ الدِّرَاسَةِ

١. تكشف الدراسة الحالية عن الجهود التطوعية الأندلسية لتفسير القرآن الكريم وإقراءه خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، وتبرز نماذج أندلسية رائدة في سماء العلم والمعرفة، لنهدي بنورهم، ونستضيء بسيرهم، فنبدل

(٤٩٠) البحر المحيط في التفسير، مرجع سابق، ج ١، ص ١١
(٤٩١) العليوي، يوسف بن عبد الله، التوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغية في القرنين السابع والثامن الهجريين، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض.
(٤٩٢) كندو، عبد المنعم محمد، الحياة العلمية في بلاد الشام في القرنين السابع والثامن الهجريين، رسالة دكتوراة، جامعة صنعاء، اليمن، ٢٠٠٨/٥١٤٢٩ م
(٤٩٣) لوانسة، لبنى، النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين السابع والثامن الهجريين، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.
(٤٩٤) التويجري، آمال إبراهيم، المسائل الأصولية في كتب فتاوي الشافعية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين "جمعاً ودراسة"، ٢٠١٨، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم.



الوقت والجهد لخدمة كتاب الله تعالى وتفسيره، وتسهيله لطلابه ومريده، واستغلال وسائل النشر والإعلام المتاحة اليوم، للتطوع بكل ما نملك من خبرات علمية ومعارف في شتى مجالات العلم والمعرفة.

٢. تسد الدراسة الحالية بمنهجها التاريخي، الفجوة البحثية، في مجال دراسات وأبحاث التطوع، وتعوض عن بعض القصور الحاصل، حيث تعددت دراسات التطوع في مجالات التأصيل والقيم والدراسات الميدانية، في حين خلت الساحة من الدراسات التاريخية، المهمة بإبراز ثراء وجمال وتكامل التراث الإسلامي العظيم، مع العلم بأن التاريخ الأندلسي من أزهى العصور الإسلامية، التي لا زالت بحاجة لجهود الباحثين المخلصين، للتنقيب عن الثراء الإسلامي، والتفرد والتميز الذي حققه المسلمون في ظل الإسلام، زهاء ثمانمائة عام.

٣. تسهم الدراسة الحالية في التعريف بالمفسرين والمقرئين الأندلسيين، الذين اندثرت سيرهم بين دفتي كتب التراجم والتاريخ، وغابت عطاءاتهم عن الأذهان، مع إبراز جهودهم التطوعية العلمية، عرفاناً لهم بالجميل، ووفاء بحقهم من الإجلال والتقدير، وأملا بالسير على خطاهم، لكل من انشغل اليوم بالتربية والتعليم.

٤. من أجل ثمرات استخراج تلك الجهود الوضيئة لتطوع الأندلسيين، الاعتزاز بالانتماء لهذا الدين العظيم، وإظهار الهوية الإسلامية بكل شموخ وافتخار، فعندما كان الإسلام منهجاً وشرعاً للمسلمين، كانوا عمالقة في سماء الحضارة والثقافة، وكما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (نحن قوم اعزنا الله بالإسلام مهما ابتغينا العزة في سواه أدلنا الله).

مَنْهَجُ الدِّرَاسَةِ

تهدف الدراسة الحالية لسبر أغوار القرنين السابع والثامن الهجريين بالأندلس، والغوص في أعماق التاريخ الأندلسي، لاستنباط الجهود التطوعية الأندلسية في التفسير والقراءات، والتاريخ كما عرفه سعيديوني: هو دراسة جهود الإنسان في الماضي، بمظاهرها المختلفة، وما تركته من أثر في الحضارة، وما يترتب عن تلك الجهود في الحاضر، وما ينبئ بنتائجها في المستقبل.^{٤٩٥}

فأهداف التاريخ تكمن في العمل لمعرفة ماضي البشرية، بإيجابياته وسلبياته، مع الحرص على إحياء الإيجابيات وتسلط الضوء على خفايا التاريخ، والحذر من الوقوع في الأخطاء، بالاستفادة من التجارب السابقة.^{٤٩٦} وذلك باستخدام المنهج العلمي الصحيح، والذي يسمى بالمنهج التاريخي أو الوثائقي أو الاسترجاعي أو الاستردادي،^{٤٩٧} والذي يمكن به إجابة سؤال عن الماضي؛ بواسطة مجهود علمي كبير يبذله الباحث، متمثلاً في محاولته لاستنتاج العلاقة بين الأحداث، والربط بينها، مستنداً في ذلك إلى ما يستقيه من أدلة علمية صحيحة تبرهن استنتاجه.^{٤٩٨}

فهو منهج وثائقي (غير مباشر) يعتمد على المصادر الأخرى، ومنهج استرجاعي يُستخدم للحصول على أنواع من البيانات والمعلومات ذات الطابع المعرفي، بهدف إعادة البناء التصوري للماضي، حسب خطة مضبوطة يقوم فيها الباحث بتحليل

(٤٩٥) سعيديوني، ناصر الدين، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة، ٢٠٠٠م، الجزائر، ص ١٢

(٤٩٦) حلاق، حسان، مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات "بين النظرية والتطبيق"، (د، ط)، دار النهضة العربية، بيروت، ص ١١

(٤٩٧) عميرة، محمد، منهجية البحث التاريخي، ط ٢، ٢٠١٢م، دار هومة، الجزائر، ص ٦٠

(٤٩٨) الصافي، صالح بن حمد، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ، ص ٢٨١



واستخلاص مضامين مادة الأحداث التاريخية الغنية التي تثري أفكارهم وخبراتهم، وتساعد في تطوير المناهج العلمية التي يستخدمها الباحثون الآخرون وتعميقها.^{٤٩٩}

مصطلحات الدراسة

لتعريف الدراسة الحالية اجرائياً، لابد من الوقوف على بعض المصطلحات الواردة بالعنوان:
(الجهود التطوعية الأندلسية في تفسير القرآن الكريم وإقراءه خلال القرنين السابع والثامن الهجريين)
أولاً: تعريف (الجهود):

لغة: جاء في مادة (ج ه د)؛ جَهَدَ يَجْهَدُ، جَهْدًا، فهو جاهد، والمفعول مجهود (للمتعدي)، وَجَّهَ الشَّخْصُ أَي: جَدَّ وبذل غاية وسعه، ولم يَأَلْ جَهْدًا أَي: لم يُقْصِرْ، وسعى حَتَّى وصل إلى الغاية. ٥٠٠

ثانياً: تعريف (التطوعية):

لغة: جاء في مادة (ط و ع)، اطَّوَعَ الشَّخْصُ: تطَوَّعَ، تقدَّم لعملٍ ما مختاراً، واطَّوَعَ بالشَّيْءِ: تبرَّع به، وزاد على ما يجب عليه {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ٥٠١

ثالثاً: الأندلسية:

نسبة إلى بلاد الأندلس، وهي الدولة التي أقامها المسلمون العرب بأوروبا، والتي تقع في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال المعاصرتان)، في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا.

رابعاً: علم التفسير:

لغة: جاء في مادة (ف س ر)، الْفَسْرُ: الْبَيَانُ. فَسَّرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ، بالكسر، وَيُفسِّرُهُ، بِالضَّمِّ، فَسَّرًا وَفَسَّرَهُ: أَبَانَهُ، وَالتَّفْسِيرُ مِثْلُهُ. ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: التَّفْسِيرُ وَالتَّوِيلُ وَالْمَعْنَى وَاجِدٌ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)، وَالْفَسْرُ: كَشَفُ الْمَعْطَى، وَالتَّفْسِيرُ كَشَفُ الْمُرَادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمُشْكَلِ. ٥٠٢

واصطلاحاً: عرفه العزازي بأنه: علْمٌ يُفهم به مراد الله في كتابه، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، من بيان معانيه، واستخراج للحكم والأحكام، عبر علوم وضوابط؛ حددها العلماء. ٥٠٣

(٤٩٩) عميرة، محمد، منهجية البحث التاريخي، مرجع سابق، ص ٦١

(٥٠٠) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، عالم الكتب، بيروت، ص ٤٠٩

(٥٠١) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص ١٤٢١

(٥٠٢) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط ٣، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت، ج ٥، ص ٥٥

(٥٠٣) ابن تيمية، أحمد الحراني (ت ٧٢٨هـ)، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: محمد العزازي، ط ١، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٧



خامساً: علم القراءات:

علم القراءة أو (القراءات)؛ علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق، والإبدال وغيره، من حيث السماع، أو يقال: علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها، معزواً لناقله.

وفائدته: صيانة القرآن الكريم عن التحريف والتغيير، مع ثمرات كثيرة، ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر، والقراءة حجة الفقهاء في الاستنباط، ومحجتهم في الاهتداء، مع ما فيه من التسهيل على الأمة.

والمقري: من علم بها أداءً، ورواها مشافهةً، فلو حفظ كتاباً امتنع عليه إقراؤه بما فيه؛ إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً؛ لأن في القراءة شيئاً لا يحكم إلا بالسماع والمشافهة.^{٥٠٤}

ومما سبق بيانه من تعاريف المصطلحات المتعلقة بعنوان الدراسة الحالية، يمكن تعريفها اجرائياً كالتالي:

هي ما اجتهد به علماء الأندلس بالقرنين السابع والثامن الهجريين، من عطاءات ومبادرات علمية في مجالي تفسير القرآن الكريم وإقراءه، تبرعاً منهم، وزيادة على ما كان واجباً عليهم، بدافع من دينهم، وبدون مقابل (مادي أو معنوي) رغبة في رضا الله تعالى، وثوابه في الدنيا والآخرة.

حُدُودُ الدِّرَاسَةِ

تتحدد الدراسة الحالية بالحدود التالية:

أولاً: الحدود الموضوعية: حيث تقتصر الدراسة على إبراز الجهود التطوعية العلمية، في مجال علوم القرآن، وبالتحديد علمي التفسير والقراءات القرآنية فقط، دون غيرها من باقي العلوم الأخرى.

ثانياً: الحدود المكانية: فتقتصر الدراسة الحالية على الأندلس من بين الأقطار الإسلامية، مملكة غرناطة تحديداً، التي انحسر حكم المسلمين بالأندلس فيها، في آخر عهودها (عهد بني الأحمر).

ثالثاً: الحدود الزمانية: حيث تقتصر على القرنين السابع والثامن الهجريين فقط – ١٤ و ١٥ م – لما امتازت به تلك الفترة من نهضة علمية، وكثرة العلماء والمؤلفات، وتقع أغلبها ضمن عهد بني الأحمر (دولة بني نصر)، والتي امتدت من ٦٢٩ هـ إلى ٨٩٧ هـ/ الموافق ١٢٣١ م إلى ١٤٩٢ م.

وتحديد المجال الزمني بالقرنين السابع والثامن الهجريين، قيد يخرج به من مات من العلماء قبل هذه الفترة ولو ببوم واحد؛ فلا يدخل فيها، ومن عاش فيها؛ ولو مدة وجيزة، ومات بعدها بقليل؛ فإنه يدخل فيها، مثل: ابن خلدون (٧٣٢ هـ - ٨٠٨ هـ).

(٥٠٤) الديماطي، أحمد بن محمد (ت ١١١٧ هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، ط ٣، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٦



رابعاً: الحدود البشرية: فتشمل الدراسة كل من عاش بالأندلس ولو لفترة بسيطة، أو دخل إليها متنقلاً بين العواصم الإسلامية، لأن سمة ذلك العصر الشغف بالعلم وأهله، والترحال لطلب العلم، وللباحثة اسوة في ذلك، تتمثل في كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) لصاحبه لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله، والذي ترجم فيه للأعيان والوزراء والمقرئين والعلماء والطلبة النجباء، والزهاد والصلحاء، والصوفية والفقراء، ما بين أصلى وطارئ – فالأصلي من كان من أهل الأندلس، والطارئ من دخلها أو وفد إليها ولو لفترة بسيطة لأداء واجب أو قضاء حاجة - فترجم رحمه الله لأكثر من خمسمائة شخصية أندلسية.

الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ

يمكن تقسم الدراسات السابقة لفرعين أساسيين، كالتالي:

الأول: وهو ما يتعلق بالدراسات التطوعية بالأندلس، وهي دراسة واحدة وحديثة – على حدِّ علم الباحثة - ليمني وابن داود ٢٠١٩م، بعنوان: (الخدمات الاجتماعية لعلماء الأندلس خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ١٤ و ١٥م)^(٥٠٠)، والتي هدفت للكشف عن التجربة الاجتماعية للعلماء الأندلسيين، واستخدم الباحث والباحثة المنهج التاريخي، وكان من أبرز نتائج الدراسة: أن الوقف كان من أبرز مجالات علماء الأندلس في الخدمة الاجتماعية، بل من أولى أولوياتهم.

الثاني: وهو ما يتعلق بالدراسات العلمية بالأندلس، تحديداً علمي التفسير والقراءات، وهي كالتالي:

١. دراسة بو غزالة ٢٠٠٥م (مدرسة القراءات بالأندلس – نشأتها وتطورها وأثارها)^(٥٠٦) والتي هدفت إلى التعريف بمدرسة القراءات بالأندلس من حيث نشأتها، وتطورها، وبيان جملة من مصنفاتهم في هذا الفن، وقيمتها العلمية في الساحة الثقافية، واستخدم الباحث المنهج التاريخي لمعالجة موضوع الدراسة، والتي كان من أبرز نتائجها: أن المكانة العالية للمدرسة الأندلسية في القراءات تظهر من خلال أعلامها الأفاضل كمكي والداني والشاطبي، من خلال ما ألفوه من مصنفات بديعة في علم القراءات، مع ما اتسمت به تلك المؤلفات من التحليل والتوسع في مسائل الإقراء، وشمولها لما يتعلق به من علوم، كالتجويد والرسم والضبط وعدد الآيات القرآنية، بالإضافة لإبراز أثر مدرسة الإقراء الأندلسية على العلوم الأخرى، كعلم التفسير وعلم النحو، حيث ساعد على ارساء قواعد هذه العلوم وتأصيلها.

٢. دراسة المشني ١٩٨١م (مدرسة التفسير في الأندلس)^(٥٠٧) والتي هدفت إلى إبراز جانب التراث الإسلامي الذي تركه المفسرون الأندلسيون، والذي يعتبر جزء من الحضارة الإسلامية المتكاملة، واستخدم الباحث المنهج التاريخي، وكان من أبرز نتائج الدراسة: أن الإسلام طاقة خيرة وفعالة، حولت المجتمع الأندلسي إلى أمة تبوأَت مكانتها في التاريخ، وارتقت في سلم الحضارة، حتى غدت مركزاً لإشعاع العلم والمعرفة، وأن مدرسة التفسير الأندلسية تميزت بالتنوع والإحاطة والشمول، وكانت القراءات أصلاً قام عليه منهجهم في التفسير، كما أنهم امتثلوا منهج أهل السنة والجماعة في التفسير، الذي لا يخرج عن القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين

(٥٠٠) يمني، رشيد، وابن داود، حفيظة، مجلة مدارات تاريخية، مركز المدار المعرفي، المجلد الأول، عدد خاص، ٢٠١٩م.
(٥٠٦) بو غزالة، عبد الكريم، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية أصول الدين والحضارة الإسلامية، قسم الكتاب والسنة، شعبة القراءات، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
(٥٠٧) المشني، مصطفى إبراهيم، رسالة دكتوراة منشورة، جامعة الأزهر، قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٩٨١م



وغيرهم من أصحاب الآراء السليمة، وقد برزت قيمة المدرسة الأندلسية في التفسير، من حيث المصنفات والأساتذة والعلماء، الذين شهد لهم بذلك خيرة المؤرخون وأصحاب التراجم، ومن أخذ عنهم من المفسرين.

التعليق على الدراسات السابقة:

تشابهت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في المنهج العلمي المستخدم، وهو المنهج التاريخي، فجميع الدراسات الثلاثة، عالجت موضوعاتها من زاوية تاريخية، باستقراء التاريخ الأندلسي وكتب التراجم، للتوصل لأهداف الدراسة.

في حين اختلفت الدراسة الحالية في أهدافها عن الدراسات السابقة، حيث هدفت للكشف عن الجهود التطوعية العلمية بالأندلس خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، في علمي التفسير والقراءات، في حين أن دراسة يمانى وابن داود (٢٠١٩م) هدفت للكشف عن الخدمات الاجتماعية الأندلسية في نفس الفترة، ولكن باتساع مجال الخدمات الاجتماعية، ما بين علمية ودينية وخيرية وإغاثية، فكانت الدراسة الحالية أكثر تحديداً، بالاققتصار على الخدمات العلمية، وفي مجالي التفسير والقراءات فقط.

أما أهداف دراسة بو غزالة (٢٠٠٩م)، ودراسة المشني (١٩٨١م) فقد اتسعت لتشمل الجهود العلمية الأندلسية في التفسير والقراءات، على طول التاريخ الأندلسي (٧٨١ عاماً)، والممتد من عام ٩٢هـ / ٧١١م إلى ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م، فجاءت الدراستان أشمل في حدودهما الزمانية والمكانية، في حين اقتصرَت الدراسة الحالية على الجهود العلمية الأندلسية للتفسير والقراءات خلال القرنين السابع والثامن الهجريين فقط، والتي كانت ضمن مملكة غرناطة (دولة بني نصر، آخر ملوك دولة الإسلام بالأندلس).

كما امتازت الدراسة الحالية عن الدراسات الثلاثة السابقة، بأنها تناولت الجهود العلمية من زاوية تطوعية، بالاققتصار على الجهود التطوعية فقط، بحسب النص الواردة ضمنه في كتب التراجم والتاريخ الأندلسية، وعليه فإنها تعتبر الدراسة الوحيدة التي تناولت موضوع التطوع في الأندلس، على حد علم الباحثة والله تعالى أعلم.

وفيما يلي معالجة الدراسة في محاورها الثلاث، والتي تحقق أهداف الدراسة، وتجب على تساؤلاتها الثلاث:

المحور الأول، وهو اجابة التساؤل الأول من تساؤلات الدراسة:

العوامل الاجتماعية للأندلس خلال القرنين السابع والثامن الهجريين

إن من أساسيات المنهج التاريخي، أن تتم قراءة الماضي ضمن سياقه الاجتماعي والحضاري، بحيث لا يمكن اجتزاء أي جزء من التراث الإنساني، في مختلف ميادين الحياة، وشتى علوم المعرفة، والبناء عليه، أو اخراجه كمنتج معرفي جديد، بمعزلٍ عن محيطه الذي نشأ فيه، وإلا فإنه سيبدو كمادة جافة، صعبة الربط بالإنسان، وعديمة الجدوى في الواقع والحياة.

وعليه فلا بد من قراءة الجهود التطوعية الأندلسية في التفسير والقراءات؛ ضمن سياقها الاجتماعي والحضاري، لا سيما وأنها جهود بشرية، تؤثر وتتأثر بالمجتمع، ولهذا كان لزاماً على الباحثة تحليل وتفسير واقع الأندلسيين في تلك الفترة، من جميع النواحي، الجغرافية، والطبيعية، والبشرية، والسياسة والثقافية وغيرها.



العوامل الجغرافية:

الأندلس هي الدولة التي أقامها المسلمون العرب بأوروبا.^{٥٠٨} والتي تقع في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال المعاصرتان)، في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا، على شكل مخمس، تقطعه سلاسل الجبال المتعرجة، وبين كل سلسلة وأخرى أودية تقطعها الأنهار.^{٥٠٩}

يحدّها من الشرق والجنوب الشرقي البحر الأبيض المتوسط، ويفصلها عن قارة أفريقيا مضيق جبل طارق – يُعرف قديمًا بأعمدة هرقل – ويحدّها من الغرب والجنوب الغربي المحيط الأطلسي، ومن الشمال خليج بسكاي وجبال البرانس، فهي بحق شبه جزيرة، بل جزيرة تبلغ مساحتها ٥١٦,٠٠٠ كم^٢.^{٥١٠}

ونقل مؤنس عن المؤرخ الانجليزي نيفل بارير: أن الأندلس بالنسبة للعرب؛ بلاد ما وراء البحار، بمعنى أنها بلاد المهجر البعيد، الذي لن يقصده إلا خيرة الرجال، ويؤكد على ذلك؛ أن الاندلسيين جعلوا من وطنهم؛ واحدًا من أزهر بلاد الإسلام، وأقاموا وراء البحر دولة الإسلام الأندلسية، صرحًا مجيدًا، وحضارة زاهرة، وجسرًا حضاريًا؛ عبرت به حضارة العرب إلى بلاد الغرب الأوروبي.^{٥١١}

العوامل الطبيعية:

توفرت في الأندلس الإمكانات الطبيعية المتنوعة، والموقع الجغرافي المتميز، الرابط بين أقدم قارتين في العالم – أفريقيا وأوروبا – والمطل على أهم البحار: البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي، كل هذا أدى إلى التطور السريع في الزراعة والصناعة، ومهد لاتساع تجاري كبير؛ أدى لامتزاج العناصر البشرية المتنوعة، من الشرق والغرب، مما فتح الآفاق الرحبة للعطاء والانتاج، وتلاقح الخبرات والأفكار.^{٥١٢}

قال المقري واصفًا موارد الأندلس وإمكاناتها: "واعلم أن بأرض الأندلس من الخصب والتّضرة، وعجائب الصنائع وغرائب الدّنيا؛ ما لا يوجد مجموعه غالبًا في غيرها".^{٥١٣} ونقل عن ابن سعيد في وصفها: "وميزان وصف الأندلس أنها جزيرة قد أهدقت بها البحار، فأكثر فيها الخصب والعمارة من كل جهة، فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة؛ لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع، والصحاري فيها معدومة، ومما اختصّت به أن قراها في نهاية من الجمال، لتصنّع أهلها في أوضاعها وتبويضها، لئلا تنبو العيون عنها".^{٥١٤}

(٥٠٨) مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط٥، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، دار الرشاد، القاهرة، ص ٢٦٢

(٥٠٩) مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص ٢٦١

(٥١٠) سامعي، إسماعيل، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، ط١، ٢٠١٨، مركز الكتاب الأكاديمي ص ١٥، ١٦

(٥١١) حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص ٢٦٢

(٥١٢) سامعي، إسماعيل، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، مرجع سابق، ص ١٠

(٥١٣) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٧

(٥١٤) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٥



العوامل البشرية:

أدى الموقع الجغرافي المتميز للأندلس، والطبيعة الخلابة، وتوافر الإمكانيات الطبيعية، لجعلها مقصد الكثير من التجار والمهاجرين، والسياح، كما أن النهضة العلمية للأندلس جعلتها قبلة العلم والعلماء من الشرق والغرب.

كل هذا أدى إلى تنوع بشري في الثقافات والأديان، وامتزاج للعلوم، وتلاقح في الخبرات والتجارب، في ظل دولة بني الأحمر التي كانت تشجع على البذل والعطاء والانتاج في شتى المجالات ومختلف العلوم.

فكان التكامل بين أصناف العلوم والآداب، وبين الإمكانيات الطبيعية والتنوع البشري، سبباً لخلق الروح الإيجابية والمتطلعة لكل خير، مما أدى إلى تنافس إيجابي في جميع المجالات، أدى إلى نهضة حضارية وتقدم علمي وثقافي، ورغبة جامحة للاكتشاف والابتكار.^{٥١٥}

العوامل السياسية:

تعتبر فترة الدراسة الحالية – القرنين السابع والثامن الهجريين – ضمن دولة بني نصر (بني الأحمر) في غرناطة، والتي امتدت من ٦٢٦ – ٨٩٧هـ / ١٢٣٢ – ١٤٩٢م، فترة اضطرابات ونزاعات، ولكن الله قيّض للإسلام والمسلمين ملوك بني نصر، الذين حملوا على عاتقهم راية العلم والجهاد، وبهم نصر الله دولة الإسلام بالأندلس، وكتب لتلك المملكة الصغيرة – غرناطة – أن تصمد لمدة قرنين ونصف من الزمان، ازدهرت فيها ازدهاراً عظيماً، وصمدت أمام مختلف التحديات والصراعات، وذلك لما امتاز به أمراءهم من عقل وحكمة وحسن تدبير.

فعلى الرغم من الاضطرابات السياسية والاقتصادية الشديدة التي مرت بها مملكة غرناطة في تلك الفترة، إلا أن الحركة العلمية استمرت بأوج نشاطها ووفرة عطاءها. فظل التأليف مستمرا، وعطاء العلماء وارفاً.

العوامل الثقافية:

إن من أبرز ما أعان علماء الأندلس على العطاء العلمي، وسهّل لهم دروب التعليم والمدارس، إمراء بني نصر، الذين كان لهم دور بالغ في تشجيع العلم، واستمرار حركة التعليم، لآخر عهود دولة الإسلام في الأندلس، وفي رسالة ابن الخطيب للسلطان يوصيه بتقريب العلماء ما يدل على ذلك:

"واعلم بأنّ مواقع العلماء من ملكك مواقع المشاعر المتألّفة، والمصائب المتعلّقة، وعلى قدر تعاهدها؛ تبذل من الضياء، وتجلو بنورها صور الأشياء، وفرّغها لتحبير ما يزيّن مدتك، ويحسنّ من بعد البلاء جدّتك".^{٥١٦}

وقد كانوا يقربون الطلبة والعلماء، ويفخرون بهم في أخص مجالسهم، وعند استقبال أضيافهم، بل إن الملوك والأمراء كانوا يتخذون الوزراء والسفراء من الأعلام والصلحاء، ولربما يتهدى الوزير الواحد ملوك عدة،^{٥١٧} مثل: لسان الدين

(٥١٥) سامعي، إسماعيل، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، مرجع سابق، ص ١٢

(٥١٦) ابن الخطيب، لسان الدين محمد السلماني (ت ٧٧٦هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط ١، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٤، ص ٥٤٤

(٥١٧) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مراجعة: المنشاوي، عبد الله والبحقيري، مهدي، ط ١، ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠، مكتبة الإيمان، مصر، ج ٢، ص ٢٥٤



ابن الخطيب،* الذي كان يلقب بذي الوزارتين، وهو لقب انفرد به دون غيره، لفضله في فن الحكم، وفنون المعرفة الأخرى التي أسهم في إثرائها بالعديد من المؤلفات النفيسة في الفقه والشريعة والسياسة وعلم الكلام والتصوف واللغة من نحو وصرف والتاريخ والطبقات والتراجم والرحلات والبلدان والطب والفلسفة والصيدلة والبيطرة والبيزرة والأدب بعمامة، والقصيدة والموشحات بخاصة، هذا فضلا عن كونه أديبا شاعرا.^{٥١٨}

وكان العلم العلامة؛ أبو بكر محمد الرقوتي،* محل اعجاب ملوك العرب والغرب، أعجب به سلطان الروم وقربه، وبنى له مدرسة يدرس فيها المسلمين والنصارى واليهود بلغاتهم، كما طلبه سلطان المسلمين، ثاني الملوك من بني نصر، واستقدمه، وتلمذ له، وأسكنه في أعدل البقع من حضرته. وكان الطلبة يغشون منزله المعروف له، فتعلم عليه الطب والتعاليم وغيرها، إذ كان لا يجارى في ذلك. وكان قويّ العارضة، مضطلعا بالجدل، وكان السلطان يجمع بينه وبين منتابي حضرته، ممن يقدم منتحلا صناعة أو علما، فيظهر عليهم، لتمكنه ودأته، وكان يركب إلى باب السلطان، عظيم التؤدة، معار البغلة، رائق البزة، رفيق المشي، إلى أن توفي بها، سمح الله له.^{٥١٩}

وعالم الحساب والهندسة والطب والهيئة؛ أبو عبد الله ابن الرّقام الأوسي (ت ٧١٥هـ) أقرأ التعاليم والطب والأصول بغرناطة، لما استقدمه السلطان ثاني الملوك من بني نصر، من مدينة بجاية، فانتفع الناس به، وأوضح المشكلات، وسئل من الأقطار النازحة في الأوهام العارضة، ودون في هذه الفنون كلها، ولخص، ولم يفتر من تقييد وشرح وتلخيص وتدوين.^{٥٢٠}

كما كان أمراء بني نصر يقربون العلماء والصلحاء، ويدللون لهم سبل العلم والطلب، ويفرغونهم للتدريس والتأليف، فهذا أبو حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، الذي رحل من الأندلس، بعد أن طلب أحد علماء المنطق والفلسفة والرياضة والطبيعة من السلطان؛ أن يختار مجموعة من الطلبة النبهاء؛ ليعلمهم تلك العلوم، لأنه قد كبر وخاف أن يموت، وينقطع عمله، فأشير لابن حيان أن يكون من أولئك الطلبة، ليتفرغ للعلم، ويرتب له راتبًا جيدًا، وكساء، ولكنه تمنع وخاف أن يكره على ذلك ورحل عن الأندلس.^{٥٢١}

وحتى بعد أن رحل عن الأندلس، وجاب الأقطار الإسلامية، طالبًا للعلم، فوصل إلى مصر، وأقعد ملكها المنصور لتدريس التفسير في مدرسة القبة، فتفرغ بذلك لكتابة تفسيره البحر المحيط، يقول في خطبة كتابه: "وَمَا زَالَ يَخْتَلِجُ فِي ذِكْرِي، وَيَعْتَلِجُ فِي فِكْرِي، أَنِّي إِذَا بَلَغْتُ الْأَمَدَ الَّذِي يَتَعَصَّدُ فِيهِ الْأَدِيمُ، وَيَتَنَعَّصُ بِرُؤْيَيْي النَّدِيمُ، وَهُوَ الْعَقْدُ الَّذِي يَحُلُّ غُرَى الشَّبَابِ، الْمُقُولُ فِيهِ إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ السِّتِينَ، فَإِيَّاهُ وَإِيَّا الشَّوَابَّ، أَلُوذُ بِجَنَابِ الرَّحْمَنِ، وَأَقْتَصِرُ عَلَى النَّظَرِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ،

(*) الذي اعتمدت الباحثة على كتبه في الدراسة الحالية، لا سيما كتابه: الإحاطة في أخبار غرناطة.

(^{٥١٨}) الشكعة، مصطفى، المغرب والأندلس "أفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية"، ط ١، ١٤٠٧/١٩٨٧، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص ٢١

(٥١٩) الإحاطة في أخبار غرناطة، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٨

(٥٢٠) الإحاطة في أخبار غرناطة، المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٩

(٥٢١) السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د، ط)، المكتبة

العصرية، صيدا، (عدد الأجزاء: ٢)، ج ١، ص ٢٨٠، ص ٢٨١



فَأَتَاكَ اللَّهُ لِي ذَلِكَ قَبْلَ بُلُوغِ ذَلِكَ الْعُقْدِ، وَبَلَّغَنِي مَا كُنْتُ أُرُومُ مِنْ ذَلِكَ الْقَصْدِ، وَذَلِكَ بِإِنْتِصَابِي مُدْرَسًا فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ فِي قُبَّةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ، قَدَّسَ اللَّهُ مَرْقَدَهُ".^{٥٢٢}

المحور الثاني: وهو اجابة التساؤل الثاني من تساؤلات الدراسة:

الجهود التطوعية الأندلسية لتفسير القرآن الكريم

اهتمَّ الأندلسيون بالقرآن الكريم، وعنوا به عناية فائقة، إذ هو دستور حياتهم، به انتظم عقدهم، وتوحدت كلمتهم، وانتظمت شؤون معاشهم، بل إنه مفتاح علومهم ودراساتهم، عكفوا على دراسته طوال عمرهم، ووضعوا حوله التأليف والتصانيف، التي كانت مصادر لعلماء الغرب والشرق، وعليها تتلمذ طلبة العلم من كل حذب وصوب.^{٥٢٣}

فنبغ منهم الأئمة والأعلام الذين أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله تعالى، وخلفوا كتبًا هي من أمهات كتب التفسير عند أهل السنة والجماعة، ولا أدلَّ على ذلك؛ من أن التفسير الأندلسي مازالت إلى اليوم تلقى قبولًا ورواجًا، ويعتمد عليها الطلاب والمريدون، وما هذا إلا لحسن نيتهم، وجهودهم المخلصة في خدمة كتاب الله تعالى.

ومن تلك التفسير الأندلسية الرائدة في علم التفسير على مستوى العالم الإسلامي:

١. تفسير بقي بن مخلد القرطبي (ت ٢٧٦هـ)، من أعلام القرن الثالث الهجري، الذي قال عنه ابن حزم في معرض رسالته عن فضائل أهل الأندلس: "وفي تفسير القرآن؛ كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد، فهو الكتاب الذي أقطع قطعًا لا أستثني فيه؛ أنه لم يُؤلف في الإسلام تفسيرًا مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره".^{٥٢٤}
٢. المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) - من أعلام القرن الخامس الهجري - متبحر في علوم القراءات والعربية، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علم القرآن، فمن تأليفه: (الهداية إلى بلوغ النهاية) في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه، وهو سبعون جزءًا، و(الموجز في القراءات) جزءان، وكتاب (التبصرة في القراءات) خمسة أجزاء، وهو من أشهر تأليفه، وكتاب (المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره) عشرة أجزاء.^{٥٢٥} وكتاب (اختصار أحكام القرآن) أربعة أجزاء، كما له كتب أخرى في النسخ والمنسوخ منها: كتاب (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه) ثلاثة أجزاء، وكتاب (الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه) جزءًا واحد.^{٥٢٦}

(٥٢٢) البحر المحيط في التفسير، مرجع سابق، ج ١، ص ١٠

(٥٢٣) المشني، مصطفى إبراهيم، مدرسة التفسير في الأندلس، مرجع سابق، ص ٧٧٠

(٥٢٤) المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٦٨

(٥٢٥) الأدنه وي، أحمد بن محمد (المتوفى: ق ١١هـ)، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط ١،

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١، ص ١١٤

(٥٢٦) ابن خلكان، شمس الدين البرمكي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط ١، ١٩٩٤، دار صادر، بيروت، ج ٥، ص ٢٧٥ - ٢٧٦



٣. تفسير أحمد بن عمار المهدوي (٤٤٠ هـ) - من أعلام القرن الخامس الهجري أيضًا - وعنوانه: (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) وهو تفسير كبير للآيات، يذكر القراءات والإعراب، ثم اختصره وسمّاه (التحصيل في مختصر التفصيل)،^{٥٢٧} والكتابان كما قال عنهما القفطي: "مشهوران في الآفاق، سائران على أيدي الرفاق"^{٥٢٨}.

٤. تفسير (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) والمعروف بـ (التفسير الكبير) لأبي إسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) - من أعلام القرن الخامس الهجري أيضا - الذي كان أوجد زمانه في علم التفسير، وصنّف التفسير الكبير والذي فاق غيره من التفاسير.^{٥٢٩}

٥. تفسير (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لابن عطية الغرناطي (ت ٥٤٢ هـ) - من أعلام القرن السادس الهجري - والذي ذاع صيته في المشرق والمغرب، وهو يمثل مذهب أهل السنة والجماعة، ويلخص ما تناثر في التفاسير المختلفة،^{٥٣٠} وقد جعل ابن عطية تفسيره مطية عمره، وثمره عمله، وقد أشار لذلك في مقدمة تفسيره حين قال: فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم؛ على قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتنها حبّالاً، وأرسخها جبّالاً، وأجملها آثاراً، وأسطعها أنواراً، علم كتاب الله جلّت قدرته، وتقدست أسماؤه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريباً إلى الله تعالى، وتخليصاً للنيات، وقد ذكرت في هذا الكتاب كثيراً من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخاطر، وعمرت به زماني، واستفرغت فيه منني، وأنا أسأل الله جلّت قدرته، أن يجعل ذلك كله لوجهه، وأن يبارك فيه وينفع به.^{٥٣١}

٦. تفسير (أحكام القرآن) و(القانون في تفسير القرآن العزيز) لأبو بكر ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ) من أعلام القرن السادس الهجري.

٧. تفسير (جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان) للقرطبي أبو عبد الله الأنصاري (ت ٦٧١ هـ) - من أعلام القرن السابع الهجري - في اثني عشر مجلداً، وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا، أسقط

(٥٢٧) الزركلي، لأعلام، مرجع سابق، ج ١، ص ١٨٤

(٥٢٨) القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٢٧

(٥٢٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٩

(٥٣٠) براهيم، عديش، المساهمات الأندلسية في حركة التفسير بالمغرب الأوسط من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي، العام الثامن، العدد ٧١، يناير ٢٠٢١، (الصفحات: ١١١ - ١٢٤)، ص ١١٥

(٥٣١) ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢ هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط ١، ١٤٢٢ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ٣٤



منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ.^{٥٣٢} قال عنه الذهبي: "وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الرُّكبان، وهو كامل في معناه".^{٥٣٣}

٨. تفسير (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل) و(البرهان في ترتيب سور القرآن) لأبو جعفر ابن الزبير الثقفي الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) من أعلام القرن السابع الهجري.^{٥٣٤}

٩. تفسير (التسهيل لعلوم التنزيل) لأبو القاسم ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ) - من أعلام القرن الثامن الهجري - ومما قال في مقدمة كتابه: وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسلكت مسلكا نافعا، إذ جعلته وجيزا جامعاً، في كتاب صغير الحجم، تسهيلا على الطالبين، وتقريبا على الراغبين، احتوى على ما تضمنته الدواوين الطويلة، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفصولها، وذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، فلما توجد في كتاب، لأنها من بنات صدري، وبنابيع ذكري، ومما أخذته عن شيوخه رضي الله عنهم، أو مما التقطته من مستظرفات النواذر، الواقعة في غرائب الدفاتر.^{٥٣٥}

١٠. تفسير (البحر المحيط) لأثير الدين أبي حَيَّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) - من أعلام القرن الثامن - والذي كتبه تطوعاً لله تعالى، لا رغبة في عروض الدنيا، أشار لذلك في مقدمته حين قال: "فعكفت على تصنيف هذا الكتاب، وانتخاب الصفو واللباب، أجيل الفكر فيما وضع الناس في تصانيفهم، وأنعم النظر فيما اقترحوه من تأليفهم، فألخص مطولها، وأحل مشكلها، وأقيد مطلقها، وأفتح مغلقها، وأجمع مبددها، وأخلص منقدها، وأضيف إلى ذلك ما استخرجته القوة المفكرة من لطائف علم البيان، المطلاع على إعجاز القرآن، إلى أن قال: ومن بركاتها علي - يقصد بلاد مصر - تصنيفي لهذا الكتاب، المقرب من رب الأرباب، المرجو أن يكون نورا يسعى بين يدي، وسترا من النار يصفو علي. فما لمخلوق بتأليفه قصدت، ولا غير وجه الله به أردت.^{٥٣٦}

وبهذا نجد هذه التفاسير المباركة المتداولة لليوم بين أيدي الطلاب والمريدين، ما هي إلا ثمرة جهود علماء الأندلس التطوعية، التي أخلصوا فيها نياتهم لله، فكافئهم بالقبول والثناء على مر مئات السنين.

وتنوء كتب التراجم والأعلام الأندلسية بنماذج العلماء البرّاقة في علم تفسير القرآن الكريم، فمنهم:

أبو عبد الله الشوزي المعروف بالحلوي (توفي في مطلع القرن السابع)، ظل مع طالب له في تفسير البسملة وحدها عشرة أيام، قال عنه أبو اسحاق الأوسي، عندما ابتدأت معه قال لي: اقرأ كتاب الله العزيز أولا فهو أحق أن يفتتح به، فتعوذت

(٥٣٢) إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، (عدد الأجزاء: ١)، ص: ٣١٧ - ٣١٨

(٥٣٣) الذهبي، محمد ابن قَائِمَاز (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط ٢، ١٤١٣/١٩٩٣م، دار الكتاب العربي، بيروت، (عدد الأجزاء: ٥٢)، ج ٥٠، ص ٧٥

٥٣٤ الأعلام للزركلي (١ / ٨٦)

(٥٣٥) ابن جزي، محمد ابن الكلبي (ت ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، ط ١، ١٤١٦هـ، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ج ١، ص ١٠

(٥٣٦) ابن حيان، البحر المحيط في التفسير، مرجع سابق، ج ١، ص ١٠ - ١٢
٢٣٩



بالله من الشيطان الرجيم، وقرأت بسم الله الرحمن الرحيم، فتكلم في فضلها عشرة أيام.^{٥٣٧} وقال له: أنت معجب تظن نفسك شيئاً، لا، حتى تقرأ العلوم، فقال له ابن دهاق: إني أحفظ القرآن بالروايات، قال: لا حتى تعلم تأويله بالحقيقة، فقال: علمني، فبكرت، فخلا بي في موضع، ثم جعل يفسر لي القرآن تفسيراً عجيباً مدهشاً، ويأتي بمعاني، فبهمني، وقلت: أحب أن أكتب ما تقول، فقال: اسأل الله أن يفقهك في الدين، فجعل كلما ألقى علي شيئاً حفظته، قال: فجميع ما تروونه مسني من بركته.^{٥٣٨}

وأبو عثمان بن زاهر الأنصاري البنسي (ت ٦٥٤هـ)، لم يكن له عمل ولا حرفة، ولا خلطة للناس؛ سوى الاشتغال بإقراء القرآن، رواية وتفهماً، وبسطاً وتعليماً.^{٥٣٩}

وأبو عبد الله المُرْسِيُّ السُّلَمِيُّ (ت ٦٥٥هـ) كان بارعاً في الحديث والتفسير والنحو مشاراً إليه بالفضل،^{٥٤٠} لم يكن بالأندلس في فنه مثله، يقوم بعلم التفسير، ولو قيل: هذه الآية تحتل ألف وجه؛ لقام بها.^{٥٤١} من كتبه (التفسير الكبير) يزيد على عشرين جزءاً، سمّاه (ريّ الظمان) و (التفسير الأوسط) عشرة أجزاء، و (التفسير الصغير) ثلاثة.^{٥٤٢}

وأبو عبد الله الشَّاطِئِي، يقال له ابن أبي الربيع (ت ٦٧٢هـ) من كتبه (اللمعة الجامعة) في تفسير القرآن.^{٥٤٣}

وأبو الحسن ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، شرح جزءاً من كتاب الله العزيز، وسلك فيه مسلكاً لم يسبق إليه من الإيراد والإصدار والأعذار، بما يتعلق بالألفاظ ثم بالمعاني ثم بإيراد الأسئلة الأدبية على أنحاء مستحسنة، وقال: لو أعني الوقت وأمدني الله بالمعونة منه وأكمل هذا الشرح.^{٥٤٤}

(٥٣٧) ابن مريم، المليتي المديوني (توفي ما بين ١٠٢٥ و ١٠٢٨ هجرية)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعلبية، الجزائر، ص ٦٨، ٦٩

(٥٣٨) الذهبي، محمد بن قَائِمَاز (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط ٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت، (عدد الأجزاء: ٢٥)، ج ١٦، ص ٤٦٠

(٥٣٩) أبو العباس الغبريني (ت ٧١٤هـ)، عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السَّابِعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، الناشر: منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٩ م عدد الأجزاء: ١، ص ٢٨٩ - ٢٩٠

(٥٤٠) الحسن بن محمد بن أحمد المكي، (ت ٨٣٢هـ)، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (عدد الأجزاء: ٢)، ج ١، ص ١٤٥

(٥٤١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ١٦، ص ٤٥٩

(٥٤٢) الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٣٣

(٥٤٣) الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٥٠

(٥٤٤) أبو العباس الغبريني (ت ٧١٤هـ)، عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السَّابِعة ببجاية، مرجع سابق، ص ٣١٦ - ٣١٨



المحور الثالث: وهو اجابة التساؤل الثالث من تساؤلات الدراسة:

الجهود التطوعية الأندلسية لإقراء القرآن الكريم

كانت الأندلس في احدى الفترات مركز العالم الإسلامي في القراءات، وبرز علمائها في هذا الفن - بعد أن تتلمذوا على علماء المشرق، فطوّروا وأتقنوا ما تعلموه - حتى صاروا وجهةً لطلبة العلم، وقبلهً يتجه إليها كل من قصد التعمق والتخصّص في القراءات، حتى إن كتبهم أصبحت مناهج ومصادر لطلبة العلم، وقد زحرت كتب تراجم القراء وطبقاتهم بما يدل على هذه الحقيقة، وبما أثمروه في هذا المجال من التأليف والتعليق والشرح والاختصار، مما يدل جميعه على ترُبّع علماء الأندلس على كرسي الاستاذية في القراءات القرآنية.^{٥٤٥}

فكبار هذا الفن هم من أهل الأندلس، كمجاهد وأبي عمرو الداني صاحب كتاب التيسير، والشاطبي الذي اختصر ما ورد في التيسير من قواعد في قصيدته (بحر الأماني ووجه التهاني).

ويقراً أهل الأندلس القرآن الكريم بقراءة الإمام "نافع المدني"، والتي تلقّاها الناس في جميع المدن والحوضر بالقبول؛ والتي تلقّاها عنه القارئ الأندلسي أبو محمد الغازي بن قيس (ت ١٩٩ هـ) في رحلته إلى الحجاز، فحج وأخذ القراءة عن الإمام نافع عرضاً وسماعاً، وصحح عليه مصحفه ثلاث عشرة مرة.^{٥٤٦}

فمن أعلام القرن السابع الذين برزت جهودهم التطوعية في إقراء القرآن الكريم؛ ابن صاحب الصلاة الأنصاري (ت ٦٠٩ هـ)، والذي كان مقرئاً نبياً جليلاً القدر، نفع الله به جملة من الطلبة، فبرعوا عليه.^{٥٤٧} وأبو جعفر الحصار (ت ٦٠٩ هـ)، آخر المقرئين بشرق الأندلس، الذي تصدر للإقراء، ورأس في ذلك أهل عصره وكانت الرحلة إليه في وقته في الأخذ عنه، ولم يكن أحد من أهل صناعته يدانيه في الضبط والتجويد والإتقان وحسن الأداء، وطال عمره فأخذ عنه الآباء والأبناء.^{٥٤٨}

ومنهم القارئ أبو جَعْفَر القرطاجني (ت ٦١٠ هـ) الذي تصدر ببِلَدِهِ للإقراء وأخذ عنه، والقارئ الأَجْرِي أبو جَعْفَر (ت ٦١١ هـ) والذي أقرأ القرآن بِمَسْجِدِ حَبِيبٍ من شرقيه، وأسمع الحديث، وَكَانَ يَوْمَ بِهِ، وَيَذْكُرُ النَّاسُ.^{٥٤٩} وأبو بكر الحاج عتيق المريبطيري (ت ٦١٢ هـ)، الذي كان مقرئاً للقرآن عارفاً بإقراءه، وربما (كان) يُقَرَأُ القرآن ولا يأخذ عليه أجره.^{٥٥٠}

(٥٤٥) المشني، مصطفى إبراهيم، مدرسة التفسير في الأندلس، ط ١، ١٤٠٦/١٩٨٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٧٧ (* نافع بن أبي نعيم الليثي (ت ١٦٩ هـ) أحد القراء العشرة، وإمام القراء في المدينة النبوية، ولد في حدود ٧٠ هـ، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة.

(٥٤٦) المختار، محمد، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م، ص ٢٤٩

(٥٤٧) ابن عسك، أبو بكر بن خميس (المتوفي بعد ٦٣٩ هـ)، مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، تحقيق: عبد الله المرابط الترغي، ط ١، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ١٢٥ - ١٢٦

(٥٤٨) ابن الأبار، ابن بكر القضاعي (ت ٦٥٨ هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، (د، ط)، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، دار الفكر، لبنان، ج ١، ص ٨٩

(٥٤٩) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، المرجع السابق، ج ١، ص ٩٢

(٥٥٠) ابن عسك، مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، مرجع سابق، ص ٢٨٥ - ٢٨٦



وأبو محمد غلبون بن فتحون الأنصاري (ت ٦١٣هـ) الذي تلا القرآن بالسبع، وكان مقرئًا مجودًا متقنًا، تصدر للإقراء وشهر بحسن الأداء.^{٥٥١}

ومنهم القارئ المتقن القرطبي محمد بن يوسف الإدريسي (ت ٦١٧هـ) والذي كان مقرئًا لكتاب الله تعالى، عالمًا بطرق روايته، قائمًا على تجويده وإتقانه،^{٥٥٢} وأبو محمد الحميري (توفي بعد سنة ستمائة) كان مقرئًا لكتاب الله تعالى قائمًا به، عارفًا لطرق روايته وتجويده وإتقانه، وكان يُقرئ بالجامع الكبير بمالقة.^{٥٥٣}

ولقد كان علماء الأندلس وقراءها يجمعون بين التعليم والتربية، فهذا محمد بن يوسف بن عمّار المكتب (ت ٦٢٤هـ)، يعلم الصبيان ويرفق بهم، ويحُنُّ عليهم، قال عنه ابن عسك في ترجمته له: هو أول من أدبني وعلمني القرآن رحمه الله ونفعه به، كان فاضل الخلق، حسن العشرة، موطأ الأكناف، مشفقًا، كنت أقرأ عليه القرآن في الصغر، وأنا يومئذ من نحو ست سنين، فربما كان النوم يغلبني، فيضمنني إلى نفسه، ويغطيني بردائه. جزاه الله خيرًا وأسكنه الجنة بمئه.^{٥٥٤}

وابن أبي زاهر المكتب (ت ٦٣٣هـ)، الذي أخذ القراءات عن أبيه، وأدب بالقرآن، قال عنه ابن الأبار أبو بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ): كَانَ معلِّمي، وَعنه أخذت قِرَاءَةً نَافِعَةً، وَبه انتفعت في صغري وَسمعت مِنْهُ، وَأَجَازَ لي.^{٥٥٥}

كما كانوا يُقرؤون الكبار والصغار، والعامّة من الناس والوجهاء، مثل: أبو عامر ابن ربيع الأشعري (ت ٦٣٧هـ)، الذي كان علمًا من أعلام الأندلس، أقرأ بغرناطة لأكابر علمائها ونبهاؤها؛ الحديث والأصليين وغير ذلك، بالمسجد الجامع منها وبغيره.^{٥٥٦}

وأبو عبد الله سعيد الأنصاري المعروف بالطَّرَازُ (ت ٦٤٥هـ)، كان مقرئًا جليلاً، ومحدثًا حافلاً، ضابطاً متقناً، عارفاً بالأسانيد والطرق والرجال وطبقاتهم، مقدماً عارفاً بالقراءات، مشاركاً في علوم العربية والفقه والأصول.^{٥٥٧}

وأبو البركات ابن الحاج بن عيَّاش السِّلَميَّ (ت ٦٦١هـ)، الذي كان طيّب النّعمة بالقرآن،^{٥٥٨} أدبياً نحوياً قارئاً متقناً، ارتحل لطلب العلم، وجال القطر الأندلسي، وأقرأ بسبّطة القرآن والعربية.^{٥٥٩}

والمقرئ الرَّحالة ابن الزَّيَّات أبو جعفر الكلاعي البلشي (ت ٧٢٨هـ) قال الذهبي: كان ذا فنون وتواضع ومروءة، من كتبه (لذة السمع في القراءات السبع) قصيدة على نمط الشاطبية.^{٥٦٠}

-
- (٥٥١) المراكشي، السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٢٤ - ٥٢٥
(٥٥٢) ابن عسك، مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، مرجع سابق، ص ١٥١
(٥٥٣) ابن عسك، مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، مرجع سابق، ص ٢٣٤
(٥٥٤) ابن عسك، مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، مرجع سابق، ص ١٥٨
(٥٥٥) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٣٥
(٥٥٦) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٢٠
(٥٥٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٢٣، ص ٢٥٨ - ٢٦٠
(٥٥٨) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٣، ٨٤
(٥٥٩) السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٢٣ - ٤٢٤
(٥٦٠) الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج ١، ص ١١١



وعتيق بن محمد بن علي الغساني (ت ٦٧٠هـ)، كان مقرئاً عارفاً بالقراءات، حسن القيام عليها، متقناً في الأداء، دخل مراكز واعمات وريكة وأقرأ بهما وبغيرهما، أخذت عنه زوجه القرآن بالسبع وأتقنتها.^{٥٦١} وأبو عبد الله الشاطبي، يقال له ابن أبي الربيع (ت ٦٧٢هـ) كان عالماً بالقراءات، من كتبه (شرف المراتب والمنازل) في القراءات.^{٥٦٢} وصاحب الألفية والتسهيل جمال الدين أبو عبد الله ابن مالك الطائي (ت ٦٧٢هـ)، كان إماماً في القراءات، وعالماً بها، وصنف فيها قصيدة دالية مرموزة على قدر الشاطبية.^{٥٦٣}

ومن أعلام القرن الثامن، عالم القراءات؛ ابن أبي السداد الأموي المالقي (ت ٧٠٥هـ) شرح كتاب التيسير لأبي عمرو الداني في مؤلفه: (الدر النثير، والعذب النمير، في شرح كتاب التيسير)،^{٥٦٤} والعلامة أبو جعفر الأندلسي الحافظ النحوي (ت ٧٠٨هـ)، تصدر لإقراء كتاب الله تعالى، وإسماع الحديث، وتعليم العربية، وتدريس الفقه، عاكفاً على ذلك عامة نهاره، مثابراً على إفادة العلم ونشره، انفرد بذلك وصارت الرحلة إليه، وهو من أهل التجويد والإتقان، عارفاً بالقراءات.^{٥٦٥}

ومن الأندلسيين من طاب له الإقراء خارج بلاد الأندلس، كفاس ومراكش وسبته وتلمسان وتونس، ومصر ومكة ودمشق وطبرية وبلاد الشام، وغيرها من أقطار العالم الإسلامي.^{٥٦٦} وذلك خلال رحلاتهم العلمية لطلب العلم، فهذا أبو عبد الله ابن غصن الإشبيلي (ت ٧٢٣هـ)، أقرأ القرآن بمكة مدة بالقراءات، وبالمدينة وبيت المقدس، وممن قرأ عليه خليل إمام المالكية بالحرم، والشهاب الطبري إمام الحنفية بالحرم، وله مصنفات في القراءات: منها (مختصر الكافي).^{٥٦٧}

وأبو جعفر الزيّات الكلاعي (ت ٧٢٨هـ) كانت له الرياسة في تجويد القرآن، مزدهم المجلس، كثير الإفادة، صبورا على الغاشية، كان الناس ينسألون عليه ويغشون منزله.^{٥٦٨}

وأبو حسن القيجاطي علي بن عمر الكناني (ت ٧٣٠هـ)، قال عنه ابن الخطيب: وهو أول أستاذ قرأت عليه القرآن والعربية والأدب، استوطن غرناطة، حتى عدّ من أهلها قراءة وإقراء ولزوما، أوجد زمانه علما وتخلّفا وتواضعا وتفنّنا. قعد بالمسجد الأعظم بغرناطة يقرئ فنونا من العلم، من قراءات وفقه وعربية وأدب. عظيم النفع. وقصده الناس، وأخذ عنه البعيد والقريب، وحضر مجالسه العامة.^{٥٦٩}

(٥٦١) المراكشي، السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، مرجع سابق، ص ١٣٠

(٥٦٢) الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٥٠

(٥٦٣) المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٢٢ - ٢٢٨

(٥٦٤) الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٧٧

(٥٦٥) العسقلاني، أحمد ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط ٢، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م،

مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، صيدر اباد، (عدد الأجزاء: ٦)، ج ١، ص ٩٦ - ٩٨

(٥٦٦) شباح، محمد، عناية أهل الأندلس بالمصحف الشريف من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،

كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤، ص ٣٠

(٥٦٧) المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٠٧، ٢٠٨

(٥٦٨) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٤٥ - ١٥٠

(٥٦٩) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المرجع السابق، ج ٤، ص ٨١



وإمام القراءات أثير الدين أبو حَيَّان الأَنْدَلُسِيُّ (ت ٧٤٥هـ) تلاها إفراداً وجمعاً على مشايخ الأندلس، فقرأ القرآن بقراءة السبعة بجزيرة الأندلس، وقرأ الثمان بثغر الاسكندرية، وقرأ القرآن ثانية بالقراءات السبعة بمصر، وألف في القراءات كتابه (عقد اللآلئ على وزن الشاطبية وقافيتها).^{٥٧٠}

وأبو القاسم ابن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ (ت ٧٤١هـ) كان مقرئاً للقرآن وصنف في القراءات (المختصر البارع في قراءة نافع) وكتاب (أصول القراء الستة غير نافع).^{٥٧١}

ومن أبرز قراء الأندلس، الذي لا يزل طلبة العلم يتتلمذون على كتبه ومنهجه العلمي إلى اليوم، الإمام الشَّاطِبِيُّ، القَاسِمُ بْنُ فَيْزِهِ (٥٩٠هـ)، من أعلام القرن السادس الهجري، سيد القراء، الأندلسي الضرير، ناظم (الشَّاطِبِيَّة)، و(الرَّائِيَّة) له الباع الأطول في فن القراءات، قرأ القرآن بالسبع وأقرأها، قال عن نظمه في القراءات: لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا وينفعه الله، لأنني نظمتها لله.^{٥٧٢}

قال عنها محمد المختار: ولا اعتقد أنه يوجد في القراءات أبدع من قصيدة الشاطبية المعروفة بحرز الأمانى ووجه التهاني، وهي هدية المغرب إلى المشرق، ولا أدل على شدة جاذبيتها من قوة ما أثارته من اهتمام، ووفرة من تناولها بالشرح والمحاكاة والمعارضة، ولعل من أسرار نجاحها الباهر؛ نية قائلها المخلصة ودعوته المباركة،^{٥٧٣} فقد أكملها كما قال في خاتمتها:

وقد وفق الله الكريم بمؤنه	لإكمالها حسناء ميمونة الجلا
وقد كسيت منها المعاني عنايئة	كما عريت عن كل عوراء مفصلا
وتمت بحمد الله في الخلق سهلة	منزهة عن منطق الهجر مقولا
ولكنها تبغي من الناس كفؤها	أخا ثقة يعفو وبُغضي تجملا

وقدم عنها ابن الجزري في غاية النهاية بقوله: "ولقد رزق الله هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، وأكاد أقول ولا في غير هذا الفن، فإنني لا أحسب أن بلدًا من بلاد الإسلام يخلو منه، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة له، ولقد تنافس الناس فيها، ورغبوا في اقتناء النسخ الصحاح بها، إلى غاية أنه كانت عندي نسخة اللامية بخط الحجيج، صاحب السخاوي، في مجلدة، فأعطيت بوزنها فضة فلم أقبل"^{٥٧٤}

هذه بعض جهود علماء الأندلس في إلقاء القرآن الكريم وقراءاته، تميزوا وأتقنوا ما تعلموه من علماء المشرق، حتى أصبحت جهودهم مباركة، ارتقت بعلم القراءات، فاحتلت الأندلس الصدارة بين الأقطار الإسلامية في التخصص والإبداع

(٥٧٠) ابن حيان، البحر المحيط في التفسير، مرجع سابق، ج ١، ص ٤

(٥٧١) الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٢٥

(٥٧٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٢١، ص ٢٦١ - ٢٦٤

(٥٧٣) المختار، محمد، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - ١٤٢٢هـ/

٢٠٠١م، ص ٣٤٥

(٥٧٤) ابن الجزري، شمس الدين محمد (ت ٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، ط ١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠، ج ٢، ص ٢٢



فيه، فاحتلت قرطبة الصدارة من حيث مراكز الإقراء في المساجد والجوامع، تلتها إشبيلية، ثم ألمرية، ثم غرناطة، ثم مرسية، ثم الجزيرة الخضراء، ثم طرطوشة، ثم أندة ثم المنكب، ثم إشب، ثم شاطبة، ثم سرقسطة، ثم طليطلة.^{٥٧٥}

وخلّفت تلك الجهود الأندلسية المباركة ٤٣٥ كتابًا في القراءات القرآنية، طُبِع منها ٥٨ كتابًا، وتحتفظ خزائن المخطوطات بـ ٧٢ كتابًا، والباقي وعددها ٣٠٥ كتابًا لم تصل إليه أيدي الباحثين بعد، ولا يمكن الحكم ببقائها، وتتصدر كتب القراءات السبع وما يلحق بها هذه المصنفات بـ ٩٥ كتابًا، ثم الكتب المؤلفة في أصول القراءات بـ ٧٨ كتابًا، ثم الكتب المؤلفة في اختلاف روايات القراءة الواحدة بـ ٥٤ كتابًا، وفي الوقف والابتداء ٣١ كتابًا، ثم الكتب المؤلفة في التجويد بـ ٤٠ كتابًا، وفي رسم المصاحف ٣٥ كتابًا، وفي اختلاف روايات القراءات المفردة ٢٦ كتابًا، وفي الخلاف بين قراءتين مختلفتين ٢٢ كتابًا، وتعليل القراءات القرآنية وما يلحق بها ١٨ كتابًا، وفي القراءات الشاذة ٩ كتب، وفي ضبط المصحف ٨ كتب، وفي القراءات العشر ٧ كتب، وفي عدد آي المصحف ٧ كتب أيضًا.^{٥٧٦}

الخاتمة والنتائج والتوصيات

نتائج الدراسة:

٤. ظلّت الأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين، وعلى الرغم من الاضطرابات السياسية والاقتصادية، في أوج حضارتها، وذروة نهضتها، ولا أدلّ على ذلك؛ من استمرارها قرنين ونصف من الزمان؛ حتى سقوطها عام ٨٩٧هـ.
٥. من أبرز دوافع الجهود التطوعية الأندلسية لتفسير القرآن الكريم وإقراءه؛ الدعم السياسي للعلم وأهله؛ من الملوك والأمراء، من تشجيع وتقريب، واستوزار، وتفرغ للطلب والتأليف والتصنيف.
٦. حفّزت جغرافية الأندلس، وطبيعتها الخلابة، وإطلالتها على البحار، ووفرة مواردها، الأندلسيين للتفوّق والإبداع، في شتى العلوم والمعارف، لا سيما علمي التفسير والقراءات.
٧. تعظيم الأندلسيين للقرآن، وصدق نواياهم لخدمة علومه، من أعظم دوافعهم لبذل الجهود طوعًا وحبًا لله تعالى.
٨. أثار بُعد الأندلس عن مهبط الوحي، والشرق عمومًا، في نفوس الأندلسيين؛ النية الصادقة، والعزيمة الرائدة، لبذل غاية الجهد، وبلوغ البراعة والإتقان، في علوم القرآن عموماً، والتفسير والقراءة خصوصاً.
٩. ضرب الأندلسيون أروع أمثلة الوفاء، فبرعوا فيما استلهموه من علماء الشرق، وأعادوا بلورته وفق منظورهم وخصوصيتهم، ليقدّموا مصنفاتهم في مختلف العلوم، لا سيما في التفسير والقراءات، عرفاناً لهم بالجميل، ووفاءً بحقّهم من الإجلال والتقدير.

(٥٧٥) شبّاح، محمد، عناية أهل الأندلس بالمصحف الشريف من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤، ص ٣٠.

(٥٧٦) بورواض، مصطفى، مدرسة القراءات القرآنية في الأندلس وأثارها العلمية من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع، رسالة دكتوراة، دار الحديث السنية، المغرب، ٢٠٠٨.



١٠. حققت الجهود الأندلسية التطوعية المباركة، في علم قراءة القرآن الكريم مكان الصدارة، وأصبحت؛ ولا زالت؛ المصنفات الأندلسية في القراءات مناهج مقررة، ومصادر أساسية لطلبة العلم، وغدا قراء الأندلس، قراءاً للعالم أجمع.

١١. تعتبر كتب التفسير الأندلسية من أجل ما كُتب في علم التفسير، وأكثرها نفعاً، ولا زالت تلقى قبولا ورواجاً بين طلبة العلم إلى اليوم.

١٢. تضمّنت سير الأعلام الأندلسيين بالقرنين السابع والثامن الهجريين، ومقدمات كتبهم؛ ما يدل على تطوعهم بتلك الجهود العلمية في تفسير القرآن الكريم وإقراءه، رغبة فيما عند الله تعالى من الثواب والأجر.

توصيات الدراسة:

١. استغلال وسائل التواصل والإعلام لإعادة تفعيل العمل التطوعي إلى مكانته التي كان عليها في العصور الإسلامية، والاهتمام بهدي علماء الأندلس الذين بذلوا الجهود، وأفنوا الأعمار، وواصلوا الليل بالنهار؛ لخدمة كتاب الله تعالى، ونشره، حتى عمّت مصنفاتهم الشرق والغرب.

٢. توعية المعلمين وأعضاء هيئة التدريس؛ بالدور التربوي التطوعي؛ كلاً في مكانه، ووفقاً لتخصصه، وإبراز نماذج الجهود التطوعية الأندلسية باستخدام مختلف وسائل التواصل والإعلام الحديثة، وذلك لإعادة النظر في مكانة الأمة القيادية، وإدراك مدى التأخر والتخلف الذي لحق بها اليوم، بسبب ضعف التمسك بالإسلام.

مقترحات الدراسة:

١. توجيه جهود الباحثين لدراسة التراث الإسلامي، الذي يتعرض لحملات مؤدلجة ومجندة، لطمسه، وتشويهه، أو سرقة، فالساحة شاغرة، والمساح ضئيلة، والجهود لا زالت متواضعة.

٢. برع الأندلسيون في جميع مجالات العلم والمعرفة، من حساب ومنطق وفلسفة، وطب وهيئة وهندسة وفلك وغيرها الكثير، وكلها تحتاج لجهود الباحثين المخلصين، للنهش عنها، وبيان براعتهم وسبقهم فيها.

٣. تنوعت جهود الأندلسيين التطوعية في كل مجالات الحياة، وما ذكر في جانب التطوع العلمي، لعلمي القراءات والتفسير؛ غيضٌ من فيض، وهناك التطوع السياسي، والأمني، والإغاثي، والصحي، وغير ذلك الكثير، مما يحتاج للتنقيب والتفتيش، للإمتاع الفكري، ونشره وفسحه أمام أجيال المسلمين، وإثارة العزة والفخر بمآثر الأجداد الأندلسيين، وحذوا سبيلهم، وامتنال هديهم.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن فرحون (ت ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢. ابن الأبار، ابن بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، (د، ط)، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، دار الفكر، لبنان.
٣. ابن الجزري، شمس الدين محمد (ت ٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، ط ١، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠.



٤. ابن الخطيب، لسان الدين محمد السلماني (ت ٧٧٦هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط ١، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥. ابن تيمية، أحمد الحراني (ت ٧٢٨هـ)، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: محمد العزازي، ط ١، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦. ابن جزي، محمد ابن الكلبي (ت ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، ط ١، ١٤١٦هـ، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
٧. ابن حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي جميل، (د، ط)، ١٤٢٠هـ، دار الفكر، بيروت.
٨. ابن خلدون، عبد الرحمن الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط ٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، دار الفكر، بيروت.
٩. ابن خلكان، شمس الدين البرمكي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط ١، ١٩٩٤، دار صادر، بيروت.
١٠. ابن عسك، أبو بكر بن خميس (المتوفي بعد ٦٣٩هـ)، مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، تحقيق: عبد الله المرابط الترغي، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
١١. ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط ١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢. ابن مريم، المليتي المديوني (توفي ما بين ١٠٢٥ و ١٠٢٨ هجرية)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر.
١٣. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط ٣، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت.
١٤. أبو العباس الغبريني (ت ٧١٤هـ)، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩ م.
١٥. الأدنه وي، أحمد بن محمد (المتوفى: ق ١١هـ)، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٦. بخاري، محمد سعيد، الخدمات التطوعية في الكتاب والسنة، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، دار الوطن، الرياض.
١٧. براهيم، عبيدش، المساهمات الأندلسية في حركة التفسير بالمغرب الأوسط من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي، العام الثامن، العدد ٧١، يناير ٢٠٢١.
١٨. برزان، جابر أحمد، العمل التطوعي، ط ١، ٢٠١٧، الجندرية، سلطنة عمان.
١٩. بورواض، مصطفى، مدرسة القراءات القرآنية في الأندلس وآثارها العلمية من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع، رسالة دكتوراة، دار الحديث السنية، المغرب، ٢٠٠٨.
٢٠. الحازمي، ماجد عبد الله، قيم العمل التطوعي وتطبيقاتها التربوية من منظور إسلامي، مجلة البحث العلمي في التربية، جامعة عين شمس.



٢١. الحسني، محمد المكي (ت ٨٣٢هـ)، **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٢. حلاق، حسان، **مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات "بين النظرية والتطبيق"**، (د، ط)، دار النهضة العربية، بيروت.
٢٣. حمادي، دور **مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية العمل التطوعي**، دراسة وصفية تحليلية لصفحة الفيس بوك لجمعية ناس الخيرورقلة، ماجستير، الأردن.
٢٤. الحنفي، عبد القادر القرشي (ت ٧٧٥هـ)، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، تحقيق: المراجع الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، المملكة الأردنية الهاشمية. (د، ط)، الناشر: مير محمد كتب خانه: كراتشي.
٢٥. الدمياطي، أحمد بن محمد (ت ١١١٧هـ)، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، تحقيق: أنس مهرة، ط ٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦. الذهبي، محمد ابن قَائِمَاز (ت ٧٤٨هـ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط ٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٧. الذهبي، محمد بن قَائِمَاز (ت ٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٨. الرفاعي، مصطفى صادق، **تاريخ آداب العرب**، مراجعة: المنشاوي، عبد الله والبحقيري، مهدي، ط ١، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠، مكتبة الإيمان، مصر.
٢٩. الزركلي، خير الدين الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، ط ١٥، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.
٣٠. زينو، رندة محمد، **العمل التطوعي في السنة النبوية "دراسة موضوعية"**، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم الحديث الشريف وعلومه، غزة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٣١. سامعي، إسماعيل، **تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي**، ط ١، ٢٠١٨، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان.
٣٢. سعيدوني، ناصر الدين، **أساسيات منهجية التاريخ**، دار القصبة، ٢٠٠٠م، الجزائر.
٣٣. السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د، ط)، المكتبة العصرية، صيدا.
٣٤. شباح، محمد، **عناية أهل الأندلس بالمصحف الشريف من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤.
٣٥. الشكعة، مصطفى، **المغرب والأندلس "آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية"**، ط ١، ١٤٠٧/ ١٩٨٧، دار الكتاب المصري، القاهرة.
٣٦. العساف، صالح بن حمد، **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ.
٣٧. العسقلاني، أحمد ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط ٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، صيدر اباد.



٣٨. عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط ١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، عالم الكتب، بيروت.
٣٩. عميرة، محمد، منهجية البحث التاريخي، ط ٢، ٢٠١٢م، دار هومة، الجزائر.
٤٠. محمود، المثني عبد الفتاح، التطوع في القرآن الكريم "مفهومه - شروطه - مجالاته - تأصيله"، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤١، ملحق ١، ٢٠١٤م.
٤١. المختار، محمد، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م
٤٢. المختار، محمد، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م
٤٣. المراكشي، محمد الأنصاري (ت ٧٠٣هـ)، السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، ١٩٦٥م، دار الثقافة، بيروت.
٤٤. المشني، مصطفى إبراهيم، مدرسة التفسير في الأندلس، ط ١، ١٤٠٦/ ١٩٨٦، مؤسسة الرسالة، بيروت
٤٥. المقرئ، شهاب الدين (ت ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، ١٩٩٧، دار صادر، بيروت.
٤٦. مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط ٥، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، دار الرشاد، القاهرة.
٤٧. الهدان، آمال محمد إبراهيم، أثر برنامج رخصة العمل التطوعي على الأداء الاحترافي للمتطوعات في القطاع الحكومي: حاضنة نورة العطاء التطوعية في عمادة خدمة المجتمع بجامعة الأميرة نورة أنموذجاً، مج ٢٧، مجلة الجامعة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، غزة
- المواقع الإلكترونية:

- موقع الأمم المتحدة، رابط استرجاع: <https://www.un.org/ar/>
- رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠م (٢٥/ أبريل/ ٢٠١٦)، رابط: <http://vision2030.gov.sa>



التفكير الاستدلالي في علم أصول الفقه، منهجيته ومميزاته

د. مؤمنة فضيل منذر المؤيد (العظم) - دكتورة - في أصول الفقه من جامعة أم القرى مكة المكرمة

Email:mumena@diraneyya.com

ملخص البحث:

هذا بحثٌ عنوانه: "التفكير الاستدلالي عند الأصوليين، منهجيته ومميزاته". مقدّم إلى مؤتمر إثراء المعرفة للأبحاث والنشر العلمي، في مكة المكرمة، خلال الفترة ٢١-٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٦-٢٨ نوفمبر ٢٠٢١ م.

هدفه: بيان دور علم أصول الفقه في التأسيس للتفكير الاستدلالي، وإظهار ملامح هذا التفكير، ومميزاته.

ومن أهم النتائج التي خرج بها: أنّ التفكير الاستدلالي عند الأصوليين والفقهاء هو أعمال المستدل مجموعة من المعايير اللغوية والمنطقية (العقلية) والشرعية؛ ليستخلص بها حقائق من حقائق، عن طريق ترتيبها وتركيبها.

وأنّ هذا التفكير الاستدلالي مثّل ميزاناً ضابطاً في فهم الدليل يقي من الزلل أو الانخداع بالمغالطات، ويمنع الفهم أن يميل مع الهوى، مما منح علم أصول الفقه قيمته المنهجية، والتفكيرية الاستدلالية التي تستحق الدراسة.

وبناءً عليه أوصى بعدة توصيات منها: تطبيق منهجية التفكير الاستدلالي على العلوم الشرعية الأخرى.

كلمات مفتاحية: أصول الفقه، استدلال، التفكير الاستدلالي، مناهج، معايير.

Research Summary

This study is entitled "Deductive Reasoning of Fundamentalists, its Methodology and Distinctive Characteristics" submitted to the Conference of Knowledge Enrichment for Research & Scientific Publication, in Makkah Al-Mukarmah, held in the period 21-23 Rabi' al-Thani 1443, 26-28 November 2021.

Objective: demonstrating the role of Uṣūl Al-fiqh in establishing deductive reasoning. The study also elaborates Uṣūl Al-fiqh's characteristics and peculiarities.

Among the most important conclusions of the study is that deductive reasoning of fundamentalists is carried out by applying several linguistic, rational, and textual (Sharia-based) criteria, to obtain facts from facts, through ordering and combining these criteria.

It is also concluded that deductive reasoning is indeed a rigorous tool for evaluating interpretations of evidence. It helps avoid faults and fallacies and protects one's comprehension from being swayed by desire. Hence, Uṣūl Al-fiqh has its unique methodology and reasoning manner that are worthy of investigating.



The study recommends that we apply deductive reasoning methodology on other Sharia disciplines.

Keywords: Uṣūl Al-fiqh, Islamic Jurisprudence Fundamentals, Deductive Reasoning, Methodologies, Criteria

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فهذا بحث مقدم لمؤتمر الدراسات الإسلامية المنعقد في مكة المكرمة في الفترة من ٢١-٢٢ ربيع الثاني ١٤٤٣ هجري، الموافق ٢٦-٢٨ نوفمبر ٢٠٢١ م، بعنوان: التفكير الاستدلالي في علم أصول الفقه، منهجيته ومميزاته.

مبني على فرضية مدى إسهام علم أصول الفقه في التأسيس لتفكير استدلال، له منهجية خاصة به.

وأهميته تتجلى في استحضار ملامح هذا المنهج التفكير الاستدلالي، واستثمارها في العلوم ذات الصلة.

وهدفه: إبراز وظيفة أصول الفقه المنهجية الاستنباطية، واستجلاء مهارات التفكير الاستدلالي عند الأصوليين، واستنباط المعايير التي ساهمت في تأسيس هذا التفكير الاستدلالي المنضبط. ومدى اختلافه عن التفكير الاستدلالي الغربي.

وأما عن الدراسات السابقة فتكاد تكون الدراسة الوحيدة السابقة التي شابها بحثي في مقصده هي دراسة "محمد عبد السلام عوام" بعنوان " الفكر المنهجي العلمي عند الأصوليين " والتي تقدّم بها للحصول على درجة الدكتوراة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-ظهر المهرّاز، فاس (عام ٢٠٠٨ م). ثم طبعت بعد ذلك من قِبل: المعهد العالمي للفكر الإسلامي-هرندن-فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، عام (١٤٣٥هـ-٢٠١٤م). وكانت دراسته في بابين جمع في أولهما ثماني عشرة قاعدة منهجية في الدليل، وفي ثانيهما بيّن نظرية الموازنة والترتيب. أما غيرها فلم أجد ما يشفي الغليل من دراسات حول الموضوع، وكل ما رأيته محصور في مقالات متناثرة مقتضبة عن منهجية علم الأصول.

وهذا البحث رغم أنه يتشابه معها في استقصاء الفكر الأصولي، إلا أنه يختلف عنها من ناحية تخصيصه بالتفكير الاستدلالي، وتوضيح أسس اختلافه عن قرينه في المناهج الغربية، ومن ناحية تقصيه لمعايير الاستدلال التي استعملها الأصوليون.

ولتحقيق ذلك قمت بتقسيم البحث إلى تمهيد، أعرف فيه مصطلحات عنوان البحث، وخمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التفكير الاستدلالي عند الأصوليين.

المبحث الثاني: علاقة أصول الفقه بالتفكير الاستدلالي.

المبحث الثالث: أهمية التفكير الاستدلالي عند الأصوليين.

المبحث الرابع: مميزات التفكير الاستدلالي عند الأصوليين عن قرينه في المناهج الغربية.

المبحث الخامس: منهج التفكير الاستدلالي عند الأصوليين.

مبحث تمهيدي في تعريف مصطلحات عنوان البحث



أولاً: تعريف التفكير الاستدلالي: للتفكير الاستدلالي عدّة تعريفات متقاربة: فهو: "العملية العقلية التي نستنبط بواسطتها قضية من قضية أخرى أو أكثر، وترتبط القضية المستنبطة -نتيجة الاستدلال- بطريقة معينة بالقضية أو القضايا التي تم استنباطها منها، بحيث يتوقف صدقها على صدق هذه القضية أو القضايا"^(١).

أو هو: "عملية ذهنية تتضمن وضع المعلومات، أو المواقف، أو الخبرات، بطريقة منظمة، بحيث تؤدي إلى استنتاج منطقي، أو تؤدي إلى اتخاذ قرار، أو حل مشكلة"^(٢).

أو هو: "نمط من أنماط التفكير الذي يستهدف حل مشكلة واتخاذ قرار، أو حل ذهني عن طريق الرموز. وهو عملية تتضمن الوصول إلى نتيجة من مقدمات معلومة. ويقتضي تدخل العمليات العقلية العليا كالتهليل والاستنباط والتجريد والتعميم والاستنتاج والتمييز والتعليل والنقد وهو وثيق الصلة بالذكاء"^(٣).

أو هو: "مجموع العمليات العقلية المستخدمة في تكوين وتقييم المعتقدات، وفي إظهار صحة الادعاءات والمقولات أو زيفها. وتتضمن هذه العمليات العقلية ما يأتي: توليد وتقييم الحجج والافتراضات، والبحث عن الأدلة، والتوصل إلى نتائج محددة، والتعرف على الارتباطات والعلاقات السببية بين الأشياء"^(٤).

ويلاحظ من التعريفات السابقة للتفكير الاستدلالي:

١. أنه تفكير يهدف إلى الوصول إلى أدلة، كما أنّ من عمله تقييم الأدلة الصادقة واستبعاد غير الصحيحة.

٢. وأنه طريق لإثبات أو نفي الفروض أو البدائل، فهو طريق لبناء معتقدات في النفس.

٣. وأنه يبحث في الأسباب والمسببات وأنواع العلاقات والارتباطات بين الأشياء.

٤. وأنه يولد طرقاً في البحث عن الدليل، وطرقاً في الحجج للتوصل إلى نتائج محددة.

٥. وأنه يعمل على فحص وتقييم خطواته ونتائجه بالحصول على أدلة تثبتها أو تنفيها.

ثانياً: تعريف أصول الفقه: في ورقة بحثية مختصرة كهذه لا مجال لإطالة التعريفات، لذا أختصر بتعريف أصول الفقه باعتباره لقباً، التعريف الذي يناسب موضوع هذا البحث، وهو التعريف الذي أدخل أبواب هذا العلم بمجملها في التعريف: "مجموع طرق الفقه على سبيل الإجمال، وكيفية الاستدلال بها، وكيفية حال المستدل بها"^(٥).

فتظهر في التعريف الصفة التفكيرية الاستدلالية لعلم أصول الفقه، فهو عبارة عن الطرق المتبعة لتحصيل الفقه وكيفية استخدامها^(٦) إضافة إلى شروط المستدل الذي يُعد أهلاً للبحث في تلك الطرق، قادراً على استعمالها على الوجه الصحيح.

(١) المنطق والتفكير الناقد، جميل، عصام زكريا (ص ٩١).

(٢) تعليم التفكير ومهاراته تدريبات وتطبيقات عملية، عبد العزيز، سعيد (ص ١٩١).

(٣) اتجاهات حديثة في تعليم العلوم في ضوء الاتجاهات المعايير العالمية وتنمية التفكير والنظرية البنائية، النجدي، أحمد، وراشد، علي، وعبد الهادي، منى (ص ٢٤٣).

(٤) وهو تعريف: "نيكرسون". نقلاً عن: تعليم التفكير، جروان (ص ٢٥٧).

(٥) المحصول في علم الأصول، الرازي، ت: د. طه جابر العلواني (ص ٨٠). وقريب من هذا التعريف في نهاية السؤل (٧/١).

(٦) انظر: علم أصول الفقه ومناهج البحث العامة، السلمي (ص ١٣٤).



فلا شك أن استعمال المجتهد لهذا المنهج فيه إثراء وتوسعة لطرق الاستدلال، وزيادة بيان للمعايير والضوابط التي يحكم على أساسها بصحة وسلامة الاستدلال.

المبحث الأول: مفهوم التفكير الاستدلالي عند الأصوليين

سبق تعريف التفكير الاستدلالي عموماً، ووجب هنا تعريفه عند الأصوليين على وجه الخصوص. ولأنَّ مصطلح التفكير الاستدلالي اصطلاح حادث، فمن البديهي ألا يوجد في مصنفاتهم تعريف مصطلحي خاص له، لذلك يُبحث عن معنى التفكير ومعنى الاستدلال عندهم، من خلال ما ساقوه من تعريفات صريحة لهما، ومن خلال النظر في كيفية استعمالهم لتلك الألفاظ ونظائرها عندهم؛ ليتوصل بعد ذلك إلى تعريفٍ اصطلاحِي مناسب.

المطلب الأول: تعريف التفكير عند الأصوليين: فأما التفكير فلم يرد عند الأصوليين تعريف متداول بشأنه، سوى بعض إشارات عند بعضهم: كتعريف (أبي الحسين البصري: ت ٥٤٣٦) للنظر أو الفكر أو الاستدلال^(٧)، حيث قال: "النظر هو الفكر. ولك أن تقول هو الاستدلال. والاستدلال هو ترتيب اعتقادات أو ظنون ليتوصل بها إلى الوقوف على الشيء باعتقاد أو ظن. وأما النظر الصحيح فهو ترتيب للعلوم أو للظنون، بحسب العقل، ليتوصل بها إلى علم أو ظن"^(٨). فيُفهم من تعريفه أنه فرّق بين المصطلحين، فخصص مصطلح "الاستدلال" بالنظر بحسب الشرع، ومصطلح "النظر" بالنظر بحسب العقل.

ويُستنتج من تعريف النظر عند (القاضي أبي يعلى: ت ٥٤٥٨): "والنظر بالقلب، وَحْدَهُ: الفكر في حال المنظور فيه، والمنظور فيه هو الأدلة والأمارات الموصلة إلى المطلوب، والمنظور له هو الحكم، لأنه ينظر لطلب الحكم والناظر هو الفاعل للفكر"^(٩) أن تعريف الفكر عنده أنه النظر بالقلب. وقريب منه، ما قاله (السمعاني: ت ٥٤٨٩): "وأما رؤية القلب علمه بنظره، ونظره التفكير لا يتصور غيره"^(١٠).

وأما (الجويني: ت ٥٤٧٨) فعرف النظر تعريفاً عاماً غير محدد المعالم، بقوله: النظر يتردد بين معان، والأصح أن يُقال: إنه: "الفكر الذي يُطلب به معرفة الحق في ابتغاء العلوم، وغلبات الظنون"^(١١) موضحاً أن منه الصحيح ومنه الفاسد، وكلاهما يندرج في حقيقة النظر.

وفسر (الرازي: ت ٥٦٠٦) التفكير بما يشبه التعريف فقال: "التفكير في الشيء لا معنى له إلا استحضر علوم أو ظنون؛ ليتوصل بها إلى تحصيل علوم، أو ظنون، فالمتفكر كأنه يريد التسوية بين المطلوب المجهول، وبين المقدمات المعلومة، ليصير المجهول معلوماً"^(١٢). وللرازي تعريف آخر عرف به النظر فقال "هو ترتيب تصديقات في الذهن؛ ليتوصل بها إلى تصديقات أخرى، والمراد من التصديق: إسناد الذهن أمراً بالنفي أو بالإثبات، إسناداً جازماً أو ظاهراً. ثم تلك التصديقات

(٧) وقد فرّق العسكري بين الاستدلال والنظر في اللغة فقال: "الاستدلال طلب معرفة الشيء من جهة غيره، والنظر طلب معرفته من جهته ومن جهة غيره"، الفروق اللغوية (٧٤/١).

(٨) المعتمد (٦/١).

(٩) انظر: العدة في أصول الفقه (١٨٤/١).

(١٠) انظر: قواطع الأدلة (٣٥١/٢).

(١١) التلخيص في أصول الفقه، الجويني (١٢٣/١).

(١٢) انظر: المحصول (٦٤/٥).



التي هي الوسائل إن كانت مطابقة لمتعلقاتها فهو النظر الصحيح، وإلا فهو النظر الفاسد^(١٣). وتعريفه هذا أقرب ما يكون لمعنى التفكير الاستدلالي؛ لأنه استوفى فيه عناصر الاستدلال السليم.

فيظهر من مجموع ما سبق أنّ لفظ التفكير عند الأصوليين امتزج معناه بالاستدلال والنظر، ولم يخرج عن معنى التفكير الاستدلالي. فَمَنْ عَرَفَهُ تعريفاً عاماً نظراً إليه كوسيلة لمعرفة الحق ولطلب الحكم، وهو هدف التفكير الاستدلالي. وَمَنْ عَرَفَهُ تعريفاً أخصّ بأنّه ترتيب مقدمات أو تصديقات ليتوصل بها إلى علوم أو ظنون، فوصفه قريباً من الاستدلال العقلي المنطقي، ولا شك أنّ المنطق متداخلٌ مع التفكير الاستدلالي.

المطلب الثاني: تعريف الاستدلال عند الأصوليين: وأما لفظ الاستدلال فقد اضطربت تعريفاتهم له، ويظهر أنهم استعملوه بمعناه اللغوي العام كما استعملوه بمعنى خاص. فالذين استعملوه بمعناه العام قال بعضهم: هو طلب الدليل^(١٤)، والبعض قال: هو ذكر الدليل^(١٥)، وآخرون قالوا: إقامة الدليل^(١٦)، والمعاني متقاربة. وإن كان التعبير بإقامة الدليل أقرب إلى معنى التفكير الاستدلالي لأنّه أوسعهم معنى، فيشمل معنى طلب الدليل، وذكره، وإثباته.

وأما من استعملوه بمعنى خاص، فقد تفاوتوا: فعند (ابن حزم: ت ٥٦٥٤) الاستدلال هو طلب الدليل من قبل معارف العقل ونتائجه، أو من قبل إنسان يعلم^(١٧).

واستعمله (الجويني: ت ٥٤٧٨) بمعنى عرفي خاص فعرفه بأنّه: "معنى مشعر بالحكم، مناسب له فيما يقتضيه الفكر العقلي من غير وجدان أصل متفق عليه والتعليل المنسوب جار فيه"^(١٨). وقال في موضع آخر: "أما المعنى الذي لا نجد له أصلاً ولا مستنداً فهو الذي سميناه الاستدلال"^(١٩)، فكأنّه خصص مصطلح الاستدلال بنوع واحد من الأدلة وهو المصلحة المرسلّة. بينما يكاد يتفق كثير من الباحثين على أن يطلقوا عبارة الاستدلال على الأدلة المختلف فيها مجتمعة^(٢٠).

وهو مفهوم الاستدلال الذي عرضه (الأمدي: ت ٥٦٣١) قائلاً بأنّ الاستدلال يطلق على نوع خاص من الأدلة، لا يكون نصّاً ولا إجماعاً ولا قياساً^(٢١). وقال (الشوكاني: ت ١٢٥٠هـ) كقوله^(٢٢).

(١٣) المحصول (٨٧/١).

(١٤) انظر: العدة (١٣٢/١).

(١٥) انظر: الإحكام، الأمدي (١١٨/٤). ومختصر ابن الحاجب (٢٥٠/٣).

(١٦) انظر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٣٨٢/٢).

(١٧) انظر: الإحكام، ابن حزم (٣٩/١). ورسائل ابن حزم (٤١٣/٤).

(١٨) البرهان (١٦١/٢).

(١٩) المرجع السابق (٢٠٥/٢).

(٢٠) الاستدلال عند الأصوليين، العميريني، د. علي بن عبد العزيز (معناه وحقيقته، الاحتجاج به، أنواعه) (ص ٧).

(٢١) الإحكام، الأمدي (١١٨/٤).

(٢٢) إرشاد الفحول (١٧٢/٢).



فما سبق يُفهم أنّ الأصوليين لم يعتمدوا تعريفاً واحداً للاستدلال، بل كان من المصطلحات التي استعملها كل منهم بمعنى^(٢٣). ولما تقصّى (الكفراوي) في رسالته تغيّر مفهوم مصطلح الاستدلال عند الأصوليين وتطوره، استنتج له تعريفاً يحسّن الاستعانة به هنا قال: "الاستدلال: بناء حكم شرعي على معنى كلي، من غير نظر إلى الدليل التفصيلي"^(٢٤).

أي أنّه عملية عقلية يُستنبط فيها الحكم من معرّفات أخرى، مأخوذة من عموم الأدلة، لا من أحدها بعينه.

فالاستدلال بهذا المعنى عند الأصوليين يدلّ على جزءٍ من معنى التفكير الاستدلالي موضوع هذا البحث. لأنّ التفكير الاستدلالي المقصود هنا يشمل الاستنباط من الدليل، فمعناه أعمّ من هذه الناحية. بالإضافة إلى أنّ المقصود منه هو المعنى المنهجي العام للتفكير الاستدلالي، كبيان طرقه وأدواته ومهاراته، واستخراج أساسياته ووسائله. وسيوضح هذا أكثر فيما سيأتي عند اختيار تعريفٍ مناسب له.

وبمزيدٍ من البحث والتقصي، عُثر على مجموعة أخرى من الألفاظ استعملها الأصوليون في معنى التفكير الاستدلالي:

المطلب الثالث: استعمالات الأصوليين لألفاظ التأمل والتدبر والتفكير والنظر:

وهي مفردات قرآنية أُستعملت لندلّ على عمليات عقلية أو تفكيرية. استعملها الأصوليون في مواضع عدّة:

استعمل (الجصاص: ت ٥٣٧٠) لفظ التأمل في إدراك معنى "الخفي". فقال: "هو الذي يُدرك بالتأمل والتدبر والنظر والفكر"^(٢٥)، واستعمله أيضاً فيما خفي من حجج العقل فاحتاج في إدراكه إلى تأمل، واستعمله لمّا عرّف الدليل فقال: "هو الذي إن تأمله الناظر أوصله إلى العلم بالمدلول"^(٢٦).

واستعمل (الشاشي) لفظ "التأمل" في مسألة تمييز اللفظ "المُشكل" و"المتشابه" من غيره، فقال: "لا يُنال المراد إلا بالطلب ثم بالتأمل حتى يتميز عن أمثاله"^(٢٧).

واستعمل (العكبري: ت ٥٤٢٨) لفظي: النظر والتأمل، بمعنى: الدليل أو الحجة. فذكر أنّ القياس يفهمه أهل النظر والاستدلال، يقصد أنّه يحتاج لتفكير استدلال، وليس "كفحوى الخطاب" الذي تفهمه العقول من غير فكر ولا روية^(٢٨).

ومثله استعمال (ابن حزم: ٥٤٥٦) للفظ التأمل، عندما حتّ على طلب البرهان الصحيح، وتأمّله للوصول إلى الاعتقاد الصحيح^(٢٩).

وقال (القاضي أبو يعلى: ت ٥٤٥٨) في "المُشكل" أنّه يحتاج إلى تأمل وتدبر^(٣٠).

(٢٣) انظر لمزيد من الاطلاع: الاستدلال عند الأصوليين، د. أسعد الكفراوي. والاستدلال عند الأصوليين (معناه وحقيقته، الاحتجاج به، أنواعه)، د. علي العميريني.

(٢٤) الاستدلال عند الأصوليين، الكفراوي، د. أسعد عبد الغني السيد (ص ٤٩).

(٢٥) الفصول في الأصول، الجصاص (٤٨/٣، ٣٧٠).

(٢٦) المرجع السابق (٧/٤، ٧٦).

(٢٧) أصول الشاشي (ص ٨١).

(٢٨) انظر: رسالة في أصول الفقه، العكبري (ص ٩٩).

(٢٩) انظر: الإحكام، ابن حزم (٨٢/٥).

(٣٠) انظر: العدة (١٥٢/١).



واستعمل (السرخسي: ت ٨٣هـ) لفظ التأمل في التفريق بين الواجب والفرض عندهم. وأيضاً استعمله في معرفة رتبة الدليل^(٣١).

وقال (السمعاني: ت ٨٩هـ) أن "المتشابه" يحتاج تأملاً وتفكيراً للوقوف على المراد منه^(٣٢).

واستعمل (الغزالي: ت ٥٥هـ) لفظ التأمل بمعنى القدرة على الاستنباط والاستقراء في المنطق والفلسفة، أي في الاستدلال المنطقي المبني على مقدمتين^(٣٣).

وقريب منه استعمال (الرازي: ت ٦٠٦هـ) فإنه عبر بالتأمل عن التفكير الاستدلالي الذي يكتشف خطأ في المقدمات، لحقه خطأ في الروابط والاستنتاجات^(٣٤). وجعل (البخاري: ت ٧٣٠هـ) وسيلة الإدراك التأمل^(٣٥).

وقد قرن بعضهم بين عدّة ألفاظ؛ كالقاضي (أبي يعلى: ت ٤٥٨هـ) حيث قرن بين التفكير والتأمل والاجتهاد في استنباط علة الحكم، فيفهم من كلامه أنها تفيد معنى واحداً^(٣٦). وفعل مثله (السمعاني: ت ٤٨٩هـ) فقرن بين النظر والاجتهاد والتأمل^(٣٧). و(الغزالي: ت ٥٥هـ) أيضاً جعل النظر والدليل والحيلة والتأمل كلهم بمعنى واحد^(٣٨). وقرن (الرازي: ت ٦٠٦هـ) و(البخاري: ت ٧٣٠هـ) بين التأمل والاستدلال^(٣٩) فدلّ أنهما بمعنى واحد عندهما. وقرن (ابن قدامة: ت ٦٢٠هـ) و(الطوفي: ت ٧١٦هـ) بين التأمل والنظر^(٤٠).

وبعد تتبع تعريفات واستعمالات الأصوليين لهذه الألفاظ يُستنتج الآتي:

١. التفكير عند الأصوليين هو ترتيب عقلي للمعلومات.
٢. المقدمات التي يُبنى عليها التفكير قد تكون معلومة أو مظنونة، فما بُني على علم أنتج علماً وما بُني على ظن أنتج ظناً.
٣. غاية التفكير إنتاج معرفة كانت مجهولة، من مقدمات معلومة.
٤. للتفكير طرق صحيحة وطرق فاسدة.
٥. استعمل الأصوليون معنى التفكير والفكر والنظر والتأمل والاستدلال -بمعناه العام- كمرادفات، فأطلقوها على عمليات تفكيرية يجمعها أنها تحتاج إلى نوع من تروٍ وتأنٍ وتفكير عميق، ولم يطلقوها على ما فهم بأدنى تفكير.

(٣١) انظر: أصول السرخسي (١١٢/١-١١٣).

(٣٢) انظر: قواطع الأدلة (٢٦٥/١).

(٣٣) انظر: المستصفى (ص ٥١ و ٤٢).

(٣٤) انظر: المحصول، الرازي (٢٠٥/١).

(٣٥) انظر: كشف الأسرار (٤٣/١).

(٣٦) انظر: العدة (١٣٥٨/٤).

(٣٧) انظر: قواطع الأدلة (٣٠٨/٢).

(٣٨) انظر: المستصفى (ص ٤١).

(٣٩) انظر: المحصول، الرازي (٣٦٠/١). وكشف الأسرار (٦/١).

(٤٠) انظر: روضة الناظر (٢٩١/١). وشرح مختصر الروضة (٧١٨/٢).



٦. من العمليات التفكيرية التي ذكروها: المطالبة بالدليل، والبرهنة بالحجة والسبب لما وصلوا إليه من نتيجة، والاستنباط والاستقراء في الاستدلال المنطقي، واستخراج نتائج من مقدمات، وما استند من التفكير إلى قواعد معينة.

٧. استعمالهم لما سبق من ألفاظ تفيد معنى التفكير الاستدلالي بمجموعها.

وبعد التأمل فيما سبق، وفي منهج الأصوليين في التعامل مع الأدلة عموماً، يستنتج هذا البحث أنّ التفكير الاستدلالي عند الأصوليين هو:

إعمال المستدل مجموعة من المعايير اللغوية والمنطقية (العقلية) والشرعية؛ ليستخلص بها حقائق من حقائق، عن طريق ترتيبها وتركيبها.

فيكون التفكير الاستدلالي هو عملية تحكيم موازين ومعايير معينة، للوصول إلى حقائق. واختيار تلك المعايير قائم على ملاحظة استعمال الأصوليين لها في استدلالاتهم، وظهورها في حاجتهم عن كيفية الفهم السليم للنصوص.

فما احتيج فيه إلى فهم مفردات وألفاظ حُكِّمَ فيه فهم العرب لمفردات اللغة، لأنّ القرآن نزل على لغتهم. وما سار حسب قوانين العقل، حُكِّمَ فيه تلك القوانين كالتناقض واللزوم وغيرهما.

وكلاهما: المعايير اللغوية والمعايير العقلية، تحكمها دائرة أوسع وهي معايير قواعد الشرع المثبتة المجمع عليها، فلا تخرج عنها. فعملية التركيب بهذا الشكل تسدّد سير الاستدلال، وتحول دون انحرافه.

وهدف التفكير الاستدلالي، أن يستخلص حقائق من حقائق، أي يبني على حقيقة ليصل إلى حقيقة، وذلك لضمان سلامة الاستدلال وعدم فساده.

فتعريف التفكير الاستدلالي بهذا الشكل يوضح اختلافه عن مصطلح الاستدلال عند الأصوليين، كما سبق القول. إذ إنّ التفكير الاستدلالي يمثل الجانب المنهجي في الاستدلال عموماً، والذي يعمل وفق طرق تفكير تتفق عليها العقول السليمة، استعمالها الأصوليون كما استعمالها غيرهم.

المبحث الثاني: علاقة أصول الفقه بالتفكير الاستدلالي

موضوع أصول الفقه -حسب تعريفه- هو النص الشرعي، والتعامل معه، بمعرفة طرق الاستدلال وشروط المستدل. وهي إجراءات لازمة لمنهجية علم أصول الفقه، الذي يمثل منهجه قواعد تضبط عملية الفهم والاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية، والتعامل مع القرآن والسنة، فمنهجية أصول الفقه منهجية استدلالية قائمة على استيعاب كل ما يحيط بالمسألة من تحليل وتحليل وتركيب قبل البتّ فيها^(٤١)، فكان هذا العلم يمسك بالخيط الأساسية في التفكير الاستدلالي.

وأما عن نقاط التلاقي بين علم أصول الفقه والتفكير الاستدلالي، فستظهر في حالة اعتبار موضوع التفكير الاستدلالي هو منهج التعامل مع الأدلة أو البحث عن البراهين، بتمييزها وترتيبها للوصول إلى نتيجة موثوقة، فكلاهما يبحث في مصادر الاستدلال من أدلة وبراهين، وكيفية التعامل معها، وكلاهما يُعمل تفكيره في هدفٍ مقصود نحو مسألة بعينها، يركز فيها

(٤١) انظر: التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية، ملكاوي (ص ١٢٦، ٢٠٠-٢٠١). وعلم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة، جمعة (ص ٩).



ولا ينحرف عنها، مرتباً نتائجها على مقدمات معلومة مُسلم بها أو مبرهن عليها، معتمداً على منهج غايته صحة المعرفة المتوصل إليها وسلامتها، مؤكداً من صحة المقدمات، وصحة الربط بين النتائج والمقدمات، أو التلازم بينهما، مما يدفع لاعتبار التفكير الاستدلالي بمثابة العمود الفقري لعلم أصول الفقه، والذي هو مرتكز قواعد الأصوليين في الحجية التي تحدد المصادر الأساسية للاستدلال، كقاعدة: "الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال" (٤٢)، وهي قاعدة عقلية محضة يمكن استخدامها في مجالات الاستدلال كلها، فإن كان الاحتمال الأول مساوياً لاحتمال الآخر، دون ترجيح أحدهما على الآخر، يسقط الاستدلال بالدليل لعدم وجود ما يُرجح.

ومرتكز قواعد وجوه الاستدلال من الدليل؛ كالقواعد المنهجية التي نتجت عن استقراء متكامل بين الشرع والعقل، مثل: الحكم على الشيء بالنفي والإثبات فرع عن صورته (٤٣)، واجتماع النقيضين محال (٤٤)، واجتماع التحليل والتحريم في عين واحدة محال (٤٥). وبين اللغة والشرع كقاعدة: العمل بمعاني اللغات واجب في الأحكام الشرعية (٤٦) وكثير غيرها.

المبحث الثالث: أهمية التفكير الاستدلالي عند الأصوليين

تظهر أهمية التفكير الاستدلالي بدايةً في ارتباطه بمنهج الاستدلال عند الأصوليين، حيث التفكير الاستدلالي ركن أساسي وجزء مهم فيها، بحيث لا يقوم علم أصول الفقه دون التفكير الاستدلالي، لأن بُنية علم أصول الفقه بنية تفكيرية عقلية استدلالية. بل يمكن القول بأن التفكير الاستدلالي فريضة مطلوبة لذاتها، لأن إصلاح التفكير مقدّم على إصلاح العمل، بل هو مفتاحه (٤٧)؛ ولأن فهم التكاليف والواجبات الشرعية وحسن تطبيقها، يتوقف على فهمها والاستدلال عليها. وكله متوقّف على تشغيل هذه المنظومة الفكرية الاستدلالية، باستحضار الأدلة والأدوات المناسبة، ففي معظم نواحي الاستدلال الأصولي لا يكون الحكم جاهزاً واضحاً، بل يحتاج فهماً وتنزيلاً.

ثم إن أهميته تكمن في تحقيق وظيفته المنهجية التي هي واحدة من ثلاثة وظائف، ومتوسطة بين وظيفته المعرفية ووظيفته العملية. ولعلها أهم وظائفها لكونها برزت في تعريفه، ف"مجموع طرق الفقه" توازي مصادر البحث، و"كيفية الاستدلال بها" توازي طرق البحث، و"كيفية حال المستفيد بها" توازي شروط البحث (٤٨). فأصول الفقه بهذا المفهوم هو منهج للتعامل مع النصوص، وأسس منهجية للبحث الفقهي، ومنهج بحث عند الفقيه، أو منطق له، أو قانون يحميه ويعصم ذهنه من الخطأ في الاستدلال على الأحكام، فأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه كالمنطق بالنسبة إلى الفلسفة (٤٩).

ويستمد التفكير الاستدلالي أيضاً أهميته عند الأصوليين من كونه هو الطريق المؤصل إلى معرفة مراد الله من خطابه، فمن أهم أهداف التفكير الاستدلالي وغاياته أن يصل إلى مراده تعالى من أوامره ونواهيه. ولذلك جعل الأصوليون معرفة

(٤٢) انظر: الفروق (٩٢/٢). والبحر المحيط في أصول الفقه (٢٠٨/٤).

(٤٣) نهاية السؤل (ص ١٥).

(٤٤) انظر: إرشاد الفحول (١٠٩/٢).

(٤٥) انظر: المحصول، ابن العربي (ص ١٥٣).

(٤٦) البناية شرح الهداية، العيني (٤٨٨/٨).

(٤٧) انظر: التحرير والتنوير (٦٧/١٥، ٢٥٤/٢١).

(٤٨) انظر: أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية، علي جمعة (ص ٧).

(٤٩) انظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، النشار، د. علي (ص ٧٩).



مراد الله من خطابه من شروط المجتهد^(٥٠). وهذا الهدف في الوصول لمراد الله من كتابه الكريم كان أساساً في تقسيم دلالات الألفاظ، حيث صنف الأصوليون "المتشابه" مع خفي الدلالة، لأنه مما تقصر أفهام البشر عن العلم به والاطلاع على مراد الله منه^(٥١).

ويضاف إلى ما سبق أنّ التفكير الاستدلالي عند الأصوليين له مكانة مهمة باعتباره جزءاً من أجزاء الاجتهاد^(٥٢) فمحيطه ودائرته كشف وإظهار ما أودعه الله من أحكام في المعاني الكلية المستخلصة من نصوصه وتكليفاته الجزئية المنصوصة، بابتكار آليات موثوقة قادرة على سدّ الفراغات التشريعية.

ومن أهمية التفكير الاستدلالي الأصولي: أنّه يخلّص التفكير من النظرة الجزئية، التي تؤدي إلى تضخيم بعض الفروع، ويمنحه النظرة الشمولية التركيبية التي تعلو بالتفكير أبعد من النظرة السطحية المفككة التي تعين كل جزء وكأنه يقوم وحده، ففيه آليات ومهارات الجمع والمقارنة والترتيب والتمييز بين عناصر الشبه، وفيه إمكانية التركيب والتركيز للوصول إلى الدلالات النهائية، واستشراف رؤية مستقبلية لمآلات الأحكام^(٥٣).

ومن أهميته أيضاً: أنّه يضع معالم منهجية للتفكير الاستدلالي، فإن هذا التفكير يصل إلى مجموعة من الحقائق والقوانين والقواعد التي يمكن تعميمها، أي استخدامها في مسائل مشابهة، فقيمتها في هذا التعميم وهذه الإمكانية.

كما أنّ للتفكير الاستدلالي دوراً في ردّ شبه المغرضين الواردة على بعض النصوص الشرعية، التي ظاهرها التعارض، فدفع هذا التعارض بمنهج الفكر الاستدلالي يكون: إما بمحاولة الجمع بين النصوص إن أمكن، أو الترجيح بينها، أو الحكم بالنسخ إذا عُرف المتأخر، أو التساقط واللجوء إلى دليل آخر. وهذه العملية تتطلب فكراً استدلالياً في كل مراحلها.

والحاصل: أنّ التفكير الاستدلالي يمكن استخدامه مع المنكرين للشرعية؛ لأنه مبني على محض العقول، والعقول قضايها مسلّمة عند الجميع.

المبحث الرابع: مميزات التفكير الاستدلالي عند الأصوليين عن قرينه في المناهج الغربية

ارتبط مفهوم التفكير المنهجي في تاريخ الفكر الغربي بالعلوم الطبيعية أكثر من غيرها من العلوم، وارتبط هذا المفهوم في تاريخ الفكر الإسلامي بالعلوم النقلية أكثر من غيرها من العلوم. وبغض النظر عن الأسباب التي أدّت لذلك، فإنّها أدّت لتولّد فروق جوهرية في مرجعية العلم في نظرية المعرفة بين الرؤية الغربية والرؤية الإسلامية. فالعلم في الغرب هو في الأساس العلم الذي يدرس المواد الطبيعية، والمنهج الذي يستعمله العلماء هو المنهج العلمي، وبصورة أكثر تحديداً المنهج العلمي التجريبي. وفي المقابل فإنّ مفهوم العلم في الرؤية الإسلامية يتعلق بتطور المدركات البشرية في سائر شؤون الحياة، المادية والاجتماعية والنفسية والروحية، ومرجعية هذه الرؤية هي الوحي الإلهي^(٥٤). فالمنهج الاستدلالي

(٥٠) جعلوا من صفة المفتي أن يعرف من اللغة والنحو ما يعرف به مراد الله ومراد رسوله في خطابهما، انظر اللمع، الشيرازي (ص ١٢٧) وقواطع الأدلة (٣٠٦/٢).

(٥١) انظر: إرشاد الفحول (٩١/١). والتلخيص (٢٣٥/١). والمحصول، الرازي (٣٨٥/١) وما بعدها.

(٥٢) لأنّ الاستدلال أعمّ من الاجتهاد. انظر: الفصول في الأصول (١١/٤) ..

(٥٣) انظر: تشكيل العقل المسلم خليل، عماد الدين (ص ١٧، ٦٨).

(٥٤) التكامل المعرفي مقدمات منهجية، ملكاوي (ص ١٦٨) بتصرّف. وانظر قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، إعداد مجموعة، تحرير: د. نصر محمد عارف (٢٢٢ وما بعدها).



الذي يستقي من الوحي في الرؤية الإسلامية لا يلجأ إلى التجربة، بل تُستخلص منه القضايا بالتسلسل من مقدمات أولية إلى قضايا أخرى، وهو يقابل المنهج الاستقرائي أو التجريبي القائم على الملاحظة والتجربة والذي بات يستعمله الغربيون حتى في النواحي الاجتماعية. بعد أن انحصرت فكرة المنهجية الواحدة في الغرب، وانحصرت تحديداً في المنهج التجريبي العلمي، وهو غير صالح على الحقول الإنسانية والاجتماعية، بسبب الفوارق الجذرية بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة الاجتماعية^(٥٥).

والمنهجان متباينان إلا أنَّ منهج التفكير الاستدلالي عند الأصوليين يتميز بالآتي:

المطلب الأول: منهجية التحفيز على التفكير: إنَّ حثَّ العقل ليفكر هو منهج القرآن الذي يربط بين الفهم والعمل، فلا يُوصَل إلى عملٍ صحيح إلا باستنباط سليم. ولا ينجو المؤمن في الآخرة إلا إذا أَلَمَّ بالحقائق. مما يعني أنَّ آلية المنهج الاستدلالي الأصولي بُنِيَتْ بشكلٍ يحفِّز التفكير، ويجعله أساساً ومنطقاً. وقد نبه (العقاد: ت ٥١٣٨٣) إلى أنَّ التفكير في أمور الدين أصل من الأصول المقررة. لأنَّ المسلم مكلف في اتباعه للشريعة في التفكير في مواضع الاتباع والامتنال، وليس اتباع النص بمعنى العمل به من غير فهم، بل التفكير فريضة مطلوبة منصوص عليها لذاتها، ولما يتوقف عليها من فهم أوامر الله ونواهيه. قال: "أما التقليد فهو حالة من حالات الضرورة، التي تعفي من الاجتهاد بالفهم من يعجز عنه ولا يستطيعه. والفرائض كلها في الإسلام تتساوى في شرط واحد وهو الاستطاعة، ومنها التفكير. والفهم واجب على المسلم في الأخذ من جميع المصادر والعمل بها، فلا تعارض بين النص والاجتهاد في وجوب الفهم في كل منها"^(٥٦) فهو يميز بين حالة الاجتهاد وحالة التقليد، فيجعل الأولى هي الأصل والثانية متعلقة بالضرورة. وهو تمييز جيد متوافق مع مسار وتوجه الشريعة، ومتوافق مع علاقة التفكير الاستدلالي في أصول الفقه بعلم الاجتهاد.

فالدوافع المحفزة على التفكير الاستدلالي موجودة في نسيج علم أصول الفقه، ومنهجه القائم على البرهنة بمثابة طرق ومهارات تحث عقل الأصولي ليشمر عن ساعديه ويعمل أدواته. وتوالد المسائل والمشكلات فيما يجد من أحوال، يُمَثَّل دافعاً آخر للعلماء المجتهدين والمفتين، للبحث والتفكير في إيجاد حلول لما يطرأ، ففي كل عصر تزيد التحديات وتظهر الحاجة إلى استنباط أحكام تلائم حال العلم والمجتمع. وأما المنهج الاستدلالي الغربي فإنه خالٍ من هذه الدوافع التي تحفِّز التفكير وتحث عليه. لذلك فإنه ينطلق من دوافع أخرى غير دينية، مما يعني أنها غير ثابتة وقد تكون غير صائبة. فإما أنها غير ثابتة فلأنها تتعلق بقوة الدافع، والذي يزيد وينقص بسبب عوامل كثيرة فردية واجتماعية واقتصادية متغيرة، حيث "يرى بعض الباحثين أن التفكير لا يحدث إلا إذا سبقه موقف انفعالي معين، هذا الموقف الانفعالي ضروري

(٥٥) موضوع المقارنة بين منهجهم العلمي التجريبي والمنهج الاستدلالي الأصولي متعلق بكونهم أسقطوه على العلوم الاجتماعية، كبديل عن الوحي الإلهي. وقد كان لدوركايم دورٌ خطيرٌ في تثبيت النظام الوضعي، وتحرير علم الاجتماع من اللاهوت والفلسفة. فالوضعية تقوم في أساسها على وحدة المنهج في التفكير بغض النظر عن الموضوع المدروس، بدعوى أنَّ الجيل الماضي كان يعاني من انفصام حينما كان يستخدم المنهج الوضعي في معالجة العلوم الطبيعية والمنهج = اللاهوتي في العلوم الإنسانية، يقول كونت: "إننا ما دمنا نفكر بشكل وضعي في مادة علم الفلك أو الفيزياء، لم يعد بإمكاننا أن نفكر بطريقة مغايرة في مادة السياسة أو الدين. فالمنهج الوضعي الذي نجح في العلوم الطبيعية غير العضوية يجب أن يمتد إلى كل أبعاد التفكير". انظر: منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، امزيان، محمد محمد (ص ٤٧ وما بعدها). ومناهج البحث العلمي، بدوي، عبد الرحمن (ص ٨٢، ١٢٧).

(٥٦) التفكير فريضة إسلامية، العقاد (ص ٩٧-٩٨) بتصرف. وانظر: المحصول، الرازي، ففيه كلام مشابه (١٧١-١٧٠/١).



كمحرض على التفكير، إذ أنّ الإنسان لا يبذل جهداً في التفكير إلا إذا كان هناك دافع قوي يدفعه إليه^(٥٧). وإما أنّه قد يختلط بدافع غير صائب، فمثاله استعمال الاستدلال العلمي فيما يسيء للبشرية ولموارد الأرض^(٥٨) بهذا تفوّق التفكير الاستدلالي عند الأصوليين بجمعه بين الدافع الثابت، والصائب بذات الوقت.

المطلب الثاني: ثراء المهارات المستخدمة في التفكير: يكاد الباحثون يتفقون على أنّ مهارات التفكير الاستدلالي التي تبدو في كل نشاط عقلي استدلالى عموماً، هي الاستقراء والاستنباط؛ فمهارة الاستنباط هي انتقال الحكم من العام إلى الخاص، أي الانتقال من القاعدة وتطبيقاتها إلى الجزئيات، فمفسر الاستدلال من المسلّمات والقواعد العامة حتى يصل إلى جزئياتها. ومهارة الاستقراء وهي انتقال الحكم من الخاص إلى العام، أي التوصل إلى القاعدة العامة من الجزئيات، فمفسر الاستدلال من الجزئيات لينتهي بالقانون العام الذي يكشف عن العلاقة بينها^(٥٩). ثم انتبه البعض إلى أنّ طبيعة التفكير الاستدلالي تعتمد على تقديم نتيجة جديدة مختلفة عن المقدمات والقضايا التي بدأ بها الاستدلال، واستخدام مهارتي الاستنباط والاستقراء وحدهما لا ينتج ما هو جديد، فإن ما ينتج سيكون قواعد عامة وحقائق غير مترابطة، ويبقى الاستدلال غير إنتاجي. أما إن رُبط بين هذه القواعد العامة باستعمال مهارة الاستنتاج، لإيجاد علاقات بينها، فإن استنتاج هذه العلاقات بين تلك القواعد من شأنه أن يُظهر نتائج جديدة لم تكن واضحة من قبل، ويصبح الاستدلال منتجاً. لذلك أضافوا مهارة الاستنتاج لمهارتي الاستقراء والاستنباط، بل جعلوها أهم مهارات التفكير الاستدلالي^(٦٠)؛ لأنّها المهارة التي يتحقق بها معنى الاستدلال بالوصول إلى حقيقة جديدة، وبالقول بها يتسق تعريف التفكير الاستدلالي مع مهاراته.

وأما مهارات الاستدلال في منهج التفكير عند الأصوليين فقد سبقت المنهج الاستدلالي الغربي في اعتماد مهارة الاستنتاج في عملية الاستدلال. فإن مهارات الاستنتاج تحوي مهارات فرعية أخرى؛ كالنتبؤ بالنتائج، واستخلاص نتيجة جديدة، والربط بين السبب والنتيجة، وتفسير المعلومات^(٦١)، وكلها مهارات استعمالها الأصوليون في اكتشاف الأسباب والعلل، بل إنهم استعملوا مهارات الاستقراء والاستنباط والاستنتاج في تفكيرهم الاستدلالي كجزء من منظومة أكبر ابتكروا لها أدوات إضافية. فأبواب الاجتهاد تُعتبر من مهارات التفكير التي استعمالها الأصوليون؛ كالقياس، فإنّ المجتهد عندما يرى رأياً فيما لا نص فيه، يقيسه على ما ورد من نص للمشابهة في العلة. وكالاستحسان، ففي المفاضلة ترجيحاً أو تقديماً بين حكمين مستنديين إلى النصوص، لأنّ الراجح منهما أوفى بالقصد، وأقرب إلى السبب المشروط في إجراءاته. وكالمصالح المرسلّة، التي لم تتقيد بنص، ولم يسبق لها نظير، ولكنها عمل تتحقق به مصلحة الأمة في حالة من الحالات، فيتصرف فيها الإمام المسؤول بما يوافق تلك المصلحة ويمنع الضرر من فواتها^(٦٢) فكلها وأمثالها تعتبر من مهارات التفكير وأدواته، حيث تُكتشف فيها العلاقات بين المسائل، وتُستخرج أوجه التشابه والاختلاف، وتُرتب المصالح والمفاسد ويُوازن بينها.

(٥٧) الفكر طبيعته وتطوره، نوري، جعفر (ص ١٨٥).

(٥٨) انظر كدليل على ذلك كتاب: هيروشيما وناغاساكي مأساة القنبلة الذرية، لمؤلفه: تاكيشي إيتو، ترجمة: أكيرا كوبانو، مراجعة: محمد عبده.

(٥٩) انظر: تعليم التفكير النظرية والتطبيق، أبو جاد، د. صالح محمد، ونوفل، د. محمد بكر (ص ٣٥).

(٦٠) انظر: اللغة والتفكير الاستدلالي، خوالدة (ص ٢٦٤-٢٦٥). وعلم النفس المعاصر، المليجي، د. حلمي (ص ٢٢٦).

(٦١) انظر: اللغة والتفكير الاستدلالي، خوالدة (ص ٢٦٧).

(٦٢) انظر: التفكير فريضة إسلامية، العقاد (ص ١٠١-١٠٢).



وثمة خلاف واضح بين المنهج الاستدلالي الغربي والمنهج الاستدلالي عند الأصوليين وهو موقع اللغة كأداة من أدوات الاستدلال، ففي التفكير الاستدلالي الأصولي اللغة هي الأساس القطعي الذي يركز عليه الاستدلال من النصوص. بينما في المنهج الغربي يقولون: إنّ الألفاظ خادعة لأنّ أصلها شعبي، فهي لا تصلح لتصوير المعاني الدقيقة التي تضطرب في عقول العلماء، وأنّ ما أصابها من تأويل وتفسير أضعف الثقة بها، إذ لا يُعرف أي معنى أراده القدماء منها، فينتهي الأمر إلى خلافات لفظية ومنازعات بين العلماء، وأنّ الرجوع إلى العالم نفسه هو الطريق الصحيح للمعرفة^(٦٣)، وبهذا نَحَوُا اللغة بعيداً عن منهجهم في الاستدلال. ولا بدّ من التذكير في هذا السياق أنّ لغة الوحي لا تقارن بلغات البشر بحال، وأنّ عناية الأصوليين في اللغة العربية وطرق فهمها كانت كبيرة، تجلّى ذلك في معظم استدلالاتهم، وسيأتي مزيد تفصيل لاحقاً بإذن الله.

والملفت في الاختلاف بين التفكير الاستدلالي الغربي والاستدلالي الأصولي أنّ الغربي يستبعد المصادر الدينية ويمكنّ الحس والعقل كبديل عنها، لذلك فإنّ مساحته انحصرت في العلوم التجريبية، وبهذا لا تتكامل منظومته التفكيرية لأنّ العقل والحس مصدران محدودان وهما قاصران عن إدراك الحقيقة. ومن جهة أخرى فإنّ تمكينهما كبديل عن المصادر الدينية يجعلهما في ذات المكان، فهما المصدر والآلية! فإنّ جانب العقل الصواب ووقع في الخطأ، احتاج إلى معيار لوزن أفكاره، فلا يصح أن يكون معياراً لنفسه. وأما في التفكير الاستدلالي الأصولي فإنّ المصدر مختلف عن آليات التفكير ومهاراته، فالمصدر هو الوحي، والعقل والحس هما آليتان لفهمه، هذا ما قرره الأصوليون بقولهم "العقل هادٍ ومرشد، لا مشرّع وموجب"^(٦٤)، فالعقل والحس أداتا معرفة وفهم وتفسير وتوظيف. وبهذا يتفوّق المنهج الاستدلالي الأصولي على المنهج الغربي بتكامله، فتكامله تكامل مصادر وتكامل آليات، وتكامل المصادر مع الآليات.

المطلب الثالث: محاربة عوائق التفكير: هناك نوع من عوائق التفكير تحرف التفكير بشكل يزيّفه أو يربكه، فيظن الإنسان نفسه يفكر جيداً بينما تفكيره قد شابه ما يشوشه ويؤثر على سلامة وجهته. وقد تكون عوائق التفكير الاستدلالي لفقد الدليل أو لعدم كفاية المعلومات، أو لغموض المعاني وإيهامها، أو لسوء فهم المستدل لها. أو أن تكون مقدمات ومعلومات لا يرى المستدل رابطاً واضحاً بينها وبين الموضوع المستدل عليه مما يربكه ويعوق تفكيره. لذلك وفرة المعلومات شرط ضروري للاستدلال السليم^(٦٥). ولا تغني وفرتها عن حُسن تنظيمها وترتيبها، فإنّ أخلّ في ذلك فسد الاستدلال.

ومن أكبر العوائق: العوائق النفسية التي تنسلل إلى تفكير الإنسان فتزيّف له أنّ استدلالاته منطقية، وهي في حقيقتها ناتجة عن اندفاعه وراء انفعالات توقعه في أخطاء التحيز. كاتباع الهوى، والكبر والخوف من السلطة، فيكون دافعه أهواءه ومصالحه لا الاستدلال السليم. وأثر الدوافع في الإدراك وضّحه القرآن بأبلغ صورة: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُهُمْ} [سورة فصلت: ٥]، ومثله آتباع الهوى {أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ} [سورة الجاثية: ٢٣] فجعل القرآن هوى النفس مقابل العلم، كالنقيضين، فلا يجتمعان^(٦٦). والهوى مناقض

(٦٣) انظر: دراسات في الفلسفة الحديثة، السايح، أحمد عبد الرحمن (ص ١٤). وأضواء على الفلسفة الحديثة والمعاصرة (ص ٦). من كتاب مؤتمر المعهد العالمي، بحث د. البيومي (ص ٦٢). وهي فكرة لها وجاهتها عندهم كون كتابهم المقدّس قد حرقه علماءهم، لكنها لا تنطبق على كتاب القرآن الذي حفظه تعالى من التحريف. ورغم هذا الاختلاف الواضح كالعيان، يحتاج الحدّاثيون عن هذه الفكرة، ويبدلون جهدهم في تسريبها إلى الفكر الإسلامي عن طريق أركون ومحمد شحرور وأمثالهما.

(٦٤) شرح مختصر الروضة (١٥٢/٣).

(٦٥) انظر: أصول علم النفس، راجح، د. أحمد عزت (ص ٢٩٦).

(٦٦) انظر: تفسير الرازي (٤٦٣/٢٤). والبحر المحيط في التفسير (٤٢٢/٩). والتحرير والتنوير (٣٥٨/٢٥).



للموضوعية لأنه يدفع إلى تأويل الحقائق تأويلاً يوافق رغبات النفس، لذلك أطلق عليه البعض: التفكير الارتعابي^(٦٧)، أي توجهه الرغبات لا الوقائع والحقائق^(٦٨)، حيث يبدأ الفرد من النتيجة المقررة لديه سلفاً ثم يحاول تبريرها فهو عكس التفكير المنطقي.

ومن عوائق التفكير الاستدلالي: البناء على مقدمات موهومة أو مشكوك فيها أو خاطئة ثم تصبح بمرور الزمن كالمسلمات ويدخل فيها التقديس، مما يقيد التفكير. لذلك اهتم الأصوليون في التثبت من صدق الأفكار والمقدمات والتأكد من صلاحيتها، وكان هذا من مميزات منهجهم الاستدلالي^(٦٩).

ومن عوائق التفكير الاستدلالي أيضاً: الجمود أو التعصب وهو استمساك المفكر بفكرة واحدة والتشبث بها دون غيرها مهما بدا عدم جدواها، فهذا الجمود يحول دون النظر إلى المسألة من زوايا أخرى مختلفة فيحول دون حلها^(٧٠).

ومن أكبر المشاكل التي قد تعوق التفكير في واقعنا المعاصر: تأثيرات التأطير^(٧١). والمقصود بها جمع مجموعة أفكار مختلطة بقصد التشويش، ثم تزييف روابط تربط بينها، وإبرازها ضمن إطار واحد، وعنوان خادع يقدمها كحقيقة ثابتة، وهذا ما يحصل مع بعض مسائل المرأة، حيث تجمع تحت عنوان ظلم المرأة في الإسلام، بهدف استفزاز نساء المجتمع وإثارة حفيظتهن. واستخدام أسلوب الاستفزاز غالباً ما يحقق أهدافه فيحجب الرؤية الصحيحة ويعوق التفكير الاستدلالي كونه يقفز إلى نتائج بسبب تحيز انفعالي، دون التحقق من خطوات الاستدلال.

ومن مميزات التفكير الاستدلالي عند الأصوليين أنه لا يتيح القفز إلى النتائج بسبب خطواته وضبوطاته أولاً، وثانياً لأن الأدلة دائماً تتوفر بطريقة ما، فلا يكون شح الدليل المتوفر يبدو كما لو أن المستدل قفز إلى النتيجة قفزاً.

وأخيراً قد يُقال: إنَّ عوائق التفكير قد تصيب التفكير الاستدلالي الأصولي كما قد تصيب الغربي، فالمستدل الأصولي إن تعصب لمذهبه أو اتبع هواه، فإنه سيعيقه عن التفكير الاستدلالي السليم. وهو صحيح. لكن بالنظر إلى المنظومة الاستدلالية الكلية للشريعة الإسلامية نجد أنها تحاول الحدّ من عوائق التفكير هذه، فهي قد وفرت مصادر واسعة للمعلومات، منعاً من أن يصيب التفكير الاستدلالي الشلل عند فقدها. بالإضافة إلى أنها حذرت من اتباع الهوى والجمود والتقليد والتعصب، فهذه المنظومة الأخلاقية الدينية تحدّ من الوقوع في الأهواء والتعصب إلى حدٍ كبير. وإن حصل أن وقع فيهما أحدهم فإن مناقشات العلماء وحجاجهم واستدراكاتهم كفيلة بتصويب الاستدلال. وهذا كلّ لا يُوجد ما يوازيه في المنظومة الاستدلالية الغربية، سوى التنبيه على الموضوعية والتجرد. مما يمكن معه القول أن افتقار التفكير الاستدلالي الغربي لهذه المنظومة الدينية الأخلاقية التي تعمل على الحدّ من عوائق التفكير بكل توجهاتها أفقده عنصراً أخلاقياً ضابطاً.

(٦٧) الارتعاب: من رَغِب، وارتغب فيه، بمعنى واحد. ويروى في ديوان جرير. انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، ت: د. حسين العمري وآخرون (٢٥٦٥/٤). ولسان العرب (٢٧٣/٥).

(٦٨) انظر: أصول علم النفس، راجح (ص ٣٠١).

(٦٩) انظر: الجدل، أبو زهرة (ص ١١). والإسلام والفكر العلمي، محمد المبارك (ص ٤٣).

(٧٠) انظر: أصول علم النفس (ص ٢٩٧).

(٧١) انظر: التفكير السريع والبطيء، كانمان. ترجمة: شيماء طه الريدي ومحمد سعد طنطاوي (ص ١١٩). والفكر طبيعته وتطوره، نوري جعفر (ص ١٥٨). والحديث هنا عن تأطير المختلفات والجمع بينهما بغير وجه حق، وإلا فالتأطير للمسلمات والحقائق يضبطها وهو صحيح.



المطلب الرابع: تقليص احتمال الخطأ في النتيجة: إنّ صحة المعرفة المتوصل إليها وسلامتها تعتمد بشكل كبير على المنهج المتبع في تحصيلها، وفي هذه النقطة يظهر الفرق بين منهج الاستدلال الأصولي ومنهج الاستدلال الغربي على النحو التالي: في التفكير الاستدلالي الغربي إذا اختل أحد أعمدة النظرية العلمية من حيث كونها تعتمد على السببية، وتتميز بكونها محتملة الخطأ، كونها تجريبية، فسينهار منهج الاستدلال وتختل النتائج. في حين أن التفكير الاستدلالي الأصولي المبني على النص الديني لا يمكن إثبات أنه مبني على السببية أو أنه خاطئ، ومهما يكن من خطأ فهو ناتج عن خطأ في المقدمات الاستدلالية^(٧٢). ثم إنّ الإطار المرجعي للحكم الشرعي لا يتفق مع الإطار المرجعي للحقائق العلمية. فإن الأحكام الشرعية يمكن الوصول إليها من خلال المعاني الكامنة في النص من خلال آليات منهج أصول الفقه، والنظريات العلمية إطارها المرجعي التجربة، والطريق العلمي المحتمل للتخلف في كثير مما صُودق عليه^(٧٣). مثال ذلك: بدا للناس في وقت معيّن أنّ قوانين (نيوتن) مطلقة الصحة، حتى وضع (آينشتاين) النظرية النسبية، فظهر أن قوانين نيوتن لا يمكن تطبيقها على حركة الضوء، أي أنها غير صحيحة عندما تصف حركة الضوء، فابتلعت نظرية آينشتاين نظرية نيوتن وتجاوزتها وأثبتت أن ما كان حقيقة مطلقة ليس إلا حالة من نظرية أوسع وأعم^(٧٤). أمّا في التفكير الاستدلالي الأصولي فإنّ اعتمادهم على معلومات تفيد اليقين أو غلبة الظن يقيهم من الخطأ في النتيجة، فإن حصل بعض الخطأ فيمكن كشفه بعد التأمل، لأنّ منظومة التفكير الأصولية عبارة عن مهارات وآليات يُميّز فيها بين الحقائق والمزاعم، وتُحدّد مصداقية المعلومات، ويُحرّى التعصب والتحيز، ويُعرّف على المغالطات ويُكشف عن أوجه التناقض، وتُستخرج أوجه الشبه والاختلاف بين مسألتين، وتُوضع معايير الحكم على المسائل. وكلها مراجعات مستمرة تضمن ألا يستمر استدلال خاطئ دون إمكانية كشفه والتدليل على خطئه.

فالخطأ وارد في نتائج التفكير الاستدلالي في المنهج الغربي كونها محتملة وقابلة للنقض. وتقف النصوص الدينية على النقيض التام في هذا السياق، فإنّ التفكير الاستدلالي الأصولي يستمد حجّيته من صحة النصوص الدينية، وطرق استدلاله منها، والتي يمكن بحثها وإثباتها عن طريق آليات الاستدلال في علم أصول الفقه، وهي علوم غير تجريبية ولا تخضع لقواعد العلم التجريبي.

ويجدر التنبيه هنا أنّ اختلاف نتائج الاستدلال أحياناً بين مستدل وآخر أو بين مجتهد ومجتهد، لا يدلّ على خطأ في نتيجة أحدهما، فإنّ ضبّط منهج التفكير الاستدلالي، وضبّط طرق الاستنباط لا يلزم منه أن يخرج كل مستدل ومجتهد بنتيجة واحدة. لأنّ النصوص محتملة والعقول متفاوتة، وبمنظرة سريعة إلى التالي تتضح المسألة:

- ١- نصوص محتملة + عقول وأفهام متفاوتة = آراء مختلفة.
- ٢- نصوص قطعية الثبوت والدلالة + عقول وأفهام واحدة = آراء واحدة^(٧٥).

(٧٢) انظر: الاتجاهات النقدية المعاصرة في الفكر الأصولي (ص ٢٨٥-٢٨٦).

(٧٣) المرجع السابق (ص ٢٨٦).

(٧٤) انظر: التفكير العلمي، زكريا، د. فؤاد (ص ١٧).

(٧٥) انظر: دراسات في الاختلافات العلمية، البياتوني، محمد أبو الفتح (ص ١٩).



فاختلاف النتائج لا يعيب التفكير الاستدلالي، بل إنه من أسباب تميزه ودافع لتجده وتطويره وتشغيله، ليصبح منهجاً استدلالياً خادماً للمعرفة بكل أبعادها. ولهذا تعددت الروايات والأقوال عن الأئمة الأعلام أمثال: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وقال العلماء: إنَّ هذا دليل على سعة علمهم ورسوخ قدمهم، وشدة فطنتهم.

المبحث الخامس: منهج التفكير الاستدلالي عند الأصوليين

عندما يكون الكلام عن التفكير الاستدلالي يلزم إجراء استقصاء حول الآليات المنهجية التي ابتكرها الأصوليون في تفكيرهم الاستدلالي، وهي كالتالي:

المطلب الأول: البناء على دليل: الدليل هو الذي إذا تأمله الناظر المستدل أوصله إلى العلم بالمدلول. فهو شبيه بهادي القوم ودليلهم الذي يرشدهم إلى الطريق^(٧٦). أو هو: "كل أمر صحَّ أن يتوصَّل بصحيح النَّظر فيه إلى علم ما لا يعلم بالاضطرار، وكذلك الدَّلالة"^(٧٧).

فلا شك أنَّ أي منهج علمي رصين يعتمد على دليل ليصل إلى حقيقة الشيء، وكل من ادَّعى أمراً فعلياً فله دليل وفق طرق وأدوات تناسب الأمر المُستدَلَّ عليه. وهذا ما سار عليه الأصوليون فلا يذكرون مسألة إلا ويستدلون عليها، وكل حكم اختلفوا فيه ذكروا دليله، ودليل المخالف، والجواب عنه^(٧٨). فالدليل إذن هو المرتكز الأول في التفكير الاستدلالي. وأهمية الدليل في التفكير الاستدلالي ليست مثار شك؛ لأنَّ إدراك الأحكام يحتاج تصوراً فلا يُدرك الشيء دون تصوُّره، ولا بدَّ للتصوُّر السليم، من سندٍ من قول أو فعل موصول إلى الشريعة، حتى يعتدَّ به، ويضمن سلامة الاستدلال. لكن النصوص محدودة بلفظها، ولا تشمل كل الوقائع والحوادث المتعددة المتغيرة مع تقدم الزمن، لذلك ابتكر الأصوليون آليات استدلال أخرى ضمن المنظومة التفكيرية الاستدلالية.

المطلب الثاني: توسيع النصوص: ابتكر الأصوليون أدوات عند فقد النص، فمن هنا جاءت نظرية: الإلحاق^(٧٩)، التي أخذت في مضمونها أشكالاً متعددة، أولها: القياس، ومثاله: "مثال الميزان الذي يوزن به الشيء من الفروع، يُعلم ما يوازنه من الأصول فيُعلم أنه نظيره، أو لا يوازيه فيُعلم أنه مخالفه"^(٨٠)، وهو مثال جميل بديع يظهر فيه كيف ولَّد الأصوليون من النص دليلاً آخر، أو آلية استدلال مضبوطة دقيقة كأنها الميزان. وثانيها: إجراء الكلي على جزئياته، أو العمومات قال (الجويني: ت ٥٤٧٨): "كالاسم يعم في مسميات ويختص بها، فهو في تعديده إلى مضمونه عام فيه، وفي اختصاصه خاص"^(٨١) يقصد تطبيق المبدأ العام على أفرادهِ. فالكل حتى الظاهرية^(٨٢) قائلون بالإلحاق، وإن أنكروا هيئة مخصوصة منه وهو القياس. وثالثها: نظرية الاستدلال والتي وضع الأصولي فيها مجموعة من المحددات تؤثر بطريقة

(٧٦) انظر: الفصول في الأصول (٧/٤). والتقريب والإرشاد (٢٠٢/١). والعدة (١٣١/١). والفقيه والمتفقه (٤٤/٢). واللمع (ص ٥). والورقات (ص ٩). وقواطع الأدلة (٣٢/١). والمحصول، ابن العربي (ص ٢١). والإحكام للآمدي (٩/١).
(٧٧) التلخيص (١١٥/١).
(٧٨) انظر: الرسالة، ت: شاكر (ص ٤٧٧). ورسالة في أصول الفقه (ص ١٤٢).
(٧٩) علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية، جمعة (ص ٣٠). وانظر: البرهان في أصول الفقه (٢١/٢).
(٨٠) الفقيه والمتفقه، البغدادي (٤٤٧/١).
(٨١) التلخيص في أصول الفقه، الجويني (١٢/٢).
(٨٢) انظر: ابن حزم وموقفه من قواعد الاستدلال بتعدية الحكم بغير القياس، العتلة، د. خالد عبد الخالق (ص ١٣).



أو بأخرى في الحكم الشرعي؛ كالعرف والعادة وقول الصحابي وشرع من قبلنا، فأثبت حجيتها البعض واعترف بها، والبعض أنكرها، ومن هنا جاء باب الأدلة المختلف عليها^(٨٣).

فالأصوليون عملوا على توسيع الدليل النصي، فاستخرجوا منه تلك المحدّدات فكأن عملهم تكبير الدليل ليسع مسائل أكبر، وليس اختراع أدلة جديدة، وعملية توسيع الدليل من أهم مميزات منهجهم.

وكان جزءاً من اهتمامهم بالدليل، أن يتعاملوا مع مصداقية كل دليل، وما يُورثه من العلم أو الظن، وهو ما يمكن أن أطلق عليه:

المطلب الثالث: موثوقية الدليل: وضع الأصوليون معياراً يُوزن به موثوقية كل دليل، وهو ما أسموه حجّة الدليل، فيميزان حجّة الدليل، له معياران: هما: القطع، والظن. لأنّ الهدف بناء الاستدلال على الحقيقة واليقين ما أمكن، فإن كان الدليل قطعياً بلغ اليقين عند المستدل مبلغه، وأدرك الحقيقة وجزم بها، ولم يتطرق شك إلى تفكيره، واطمأنّ إلى دليله غاية الاطمئنان، فبنى استدلاله على يقين فأنّج يقيناً، وهذا أعلى درجات التفكير الاستدلالي موثوقية. فالإدراك له علاقة وثيقة باليقين، واليقين من مُبلّغات الإدراك. قال (الغزالي: ت ٥٥٠٥): "يجب الاعتماد على مدارك اليقين ما أمكن"^(٨٤). وبذل الجهد في تحصيل اليقين أساس الاستدلال السليم. وإثبات حجّة الدليل عند الأصوليين كان مركز اهتمامهم ومحل رعايتهم، ونقطة انطلاق تفكيرهم الاستدلالي حيث فرّقوا بين الدليل القطعي والدليل الظني، حتى أطلق بعضهم على القطعي: دليلاً، وعلى الظني: أمانة^(٨٥).

وعملهم في إثبات حجّة الدليل ظهر في إثبات حجّة ما اتفقوا عليه من الأدلة؛ مثل: خبر الأحاد، والإجماع، والقياس. إذ أفرد الإمام (الشافعي: ٥٢٠٤) في رسالته صفحات في بيان حجّة السنة وعلاقتها بالكتاب، وبيان حجّة خبر الأحاد بصفة مخصوصة^(٨٦)، ويكاد لا يخلو كتاب أصولي من الكلام حول حجّة المتواتر والأحاد، وإثبات حجّة القياس^(٨٧)، وإثبات حجّة الإجماع مما استغرقهم صفحات طوالاً. ومن باب أولى أن يظهر اهتمام الأصوليين بحجّة الدليل أيضاً في الأدلة التي اختلفوا عليها، فكلّ يحاول الاستدلال لحجّة دليله، ويحاول تفنيد حجج من خالفه، فلا تكاد تخلو مناقشة من مناقشتهم من اختلاف حول حجّة أحد الأدلة، مما يؤكد القول بأن إثبات الحجّة من أهم معايير الدليل في التفكير الاستدلالي عند الأصوليين.

وأما عن طريقة فهمهم للدليل وهل هي مقبولة صحيحة أم خاطئة؟ فهنا يأتي الوثوق من الفهم السليم للنص.

المطلب الرابع: موثوقية فهم الدليل: وضع الأصوليون موازين متعددة تضمن صحة فهم النصوص، وصحة الاستدلال. فنصّبوا موازين الأدلة العقلية وقوانين المنطق، وموازين اللغة العربية وقواعدها ومفرداتها وخصائصها. وأضافوا إلى

(٨٣) انظر: علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة (ص ٣٠).

(٨٤) المستصفى (١٠٧/١). وانظر: المعتمد (١٩٤/٢). والعدة في أصول الفقه (١٣٥/١).

(٨٥) انظر في علاقة الإدراك بالأدلة بمجموعها والظن: المحصول، الرازي (٢٢٩/٤).

(٨٦) انظر: الرسالة (ص ٣٢ وما بعدها، ص ٨٥ وما بعدها).

(٨٧) في إثبات حجّة القياس ألف الرازي رسالته في إبطال القياس، فأسهب في بيان أدلة النافين لحجّيته، ثم رد عليهم مثبتاً حجّيته، فاشتهر بهذا الاسم. انظر مقدمة المحقق: د. طه العلواني لمحصول الرازي (٤٢/١).



ما سبق موازين تضمن اتساق الفهم بالنظر إلى مجموع الأدلة، كالمقيد والمطلق، والعام والخاص، وأمثالهما، حيث يوزن بها صحة الفهم بمجموع الأدلة وهو فهم بمستوى آخر؛ أعلى وأوسع وأوثق.

ولكل ميزان من تلك الموازين معايير استعملوها لوزن صواب فهمهم. فاستعملوا معايير العقل وبراهين علم المنطق، كما ابتكروا معايير دلالات الألفاظ التي ولدت من رحم اللغة العربية، والتي تنتظر للفظ من ناحية وضوح معناه أو خفائه. وكذلك حروف المعاني والتي فصلوا معانيها واستعمالاتها، حتى أضحت كتبهم مرجعاً لغوياً فيها.

فما سبق نرى دقة المنهج الاستدلالي الأصولي، التركيبي بطبعه، الشمولي لا الجزئي. فلا يكتفي المستدل بتحديد حجبة دليله من القطع أو الظن، بل يضيف إليها صحة فهمه لدليله، فيبحث هل يفيد القطع أو الظن؟ ليحدد موثوقية فهمه.

ويلاحظ أن قطعية الدليل مختلفة عن قطعية فهمه، فقد يثبت النص قطعي الثبوت، ويختلف في فهمه لبعض غموض شابه كلفظ "القرء" المشترك بين الحيض والطهر، فيصبح ظني الدلالة. ولتوضيح الفكرة تختزل رياضياً كالاتي:

دليل قطعي الثبوت + قطعي الدلالة = استدلال قطعي.

دليل قطعي الثبوت + ظني الدلالة = استدلال ظني.

دليل ظني الثبوت + قطعي الدلالة = استدلال ظني.

فإن الثبوت يعبر عن موثوقية الدليل، والدلالة تعبر عن احتمالات الفهم.

المطلب الخامس: تركيب الاستدلال من عدة أدلة: إن منهجية أصول الفقه منهجية استدلالية قائمة على استيعاب كل ما يحيط بالمسألة من تعليل وتحليل وتركيب قبل البت فيها وكل المعايير التي استعملها الأصوليون استعملوها مركبة.

والقصد من التركيب هنا أن تعدد موازين النظر ومعايير الفهم تعتبر أساساً من أساسيات منهج التفكير الاستدلالي، فلا يمكن أن يكتفي المستدل بدليل واحد، ولا أن يفهم الدليل بمعيار واحد، بل عليه أن يركب الأدلة مع معايير الفهم ليصل إلى استدلال سليم، فالإقتصار على معيار واحد لا ينتج استدلالاً صحيحاً، ومثاله: استعمال أدوات اللغة وحدها كمعيار في

الفهم، لتفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٦] حيث الفاء تفيد التعقيب، بما

يمكن أن يفهم منه أن الوضوء بعد الصلاة. فإن ادّعى مدع أن هذا هو معناها لم تكف أدوات اللغة لرد دعواه. لذلك كان لا بد من الاعتماد على دليل آخر كالإجماع^(٨٨)، ولا يوصل لفهم سليم دون تركيب الأدلة بمجموعها.

وقاله (الشاطبي: ت ٥٧٩٠): "إن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين، إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها، وجزئياتها المرتبة عليها... كأعضاء الإنسان إذا صورت صورة مثمرة"^(٨٩) وهو تصوير

(٨٨) أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة (ص ٢٩). وانظر: قواطع الأدلة (١/ ٢٥٠). والمستصفي (ص ٢١٤). وشرح تنقيح الفصول (ص ١٢٤).

(٨٩) الاعتصام، الشاطبي، ت: سليم الهلالي (١/ ٣١١-٣١٢). وانظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، (ص ٣٣٢).



جمالي بلاغي لمنهج التفكير الاستدلالي الأصولي، فكما أنّ العضو الواحد لا يُسمّى إنساناً إلا في تكامل صورته في الإنسان، فكذلك التفكير الاستدلالي لا يكون استدلالاً حقيقياً ما لم يُؤخذ من مجموع الأدلة.

والأخذ بالأدلة بمجموعها يمنع المستدل من أن يستعمل معيار المنطق أو العقل وحده، إذ إنّ معايير العقل أو الأدلة العقلية إن استعملت فإنما تستعمل مركبة على أدلة نصية لا مستقلة بالدلالة، لأنّ النظر فيها نظر في أمر شرعي، والعقل ليس مصدراً ولا مشرعاً^(٩٠).

المطلب السادس: ترتيب الأدلة وفق معايير قوّة الدليل: عند اجتماع وتضافر الأدلة يجب ترتيبها فيقدم الدليل الأقوى.

ومعايير ترتيب الدليل هي قوة الدليل من حيث قطعته فيقدم على الظني، أو من حيث جلاؤه فيقدم الجلي على الخفي، أو من حيث النطق فيقدم النص على القياس^(٩١)، إلى آخر ذلك مما نصّ عليه الأصوليون، أو استقرئ من ترجيحاتهم.

المطلب السابع: الموازنة والترجيح وفق معايير المصالح والمفاسد: وأهمها معيار النفع والضرر فيوزن به الراجح على المرجوح. إذ لا بدّ من معيار دقيق وواضح يحكم عند تضافر الأدلة، أو تعارضها، فكان النفع والضرر أو المصلحة والمفسدة هو المعيار. وهذا ما قاله (الشاطبي: ت ٥٧٩٠) في سياق استدلاله على مسألة الإخلال بالمصلحة العامة؛ كالعالم يعتزل الناس خوفاً من الرياء: "الضابط في ذلك التوازن بين المصلحة والمفسدة، فما رجح منها غلب، وإن استويا كان محل إشكال وخلاف بين العلماء"^(٩٢)، معنى ذلك أن على العالم أن يوازن بين مصالح اختلاطه بالناس لمعرفة ما يجدّ لهم من قضايا فيقوم بنصحهم وإرشادهم، وبين مفاسد ما يعتريه جرّاء ذلك من الإعجاب بعلمه أو بصلاحه أو ما شابه. فإن غلبت مصلحة اختلاطه، اختلط، وإن غلبت مفسدة الاختلاط، اعتزل الناس، وإن استويا رجّح كل عالم ما يراه.

النتائج والتوصيات

١. إن منهجية التفكير الاستدلالي منهجية خاصة لا تشبه أي منهجية أخرى قوامها تحكيم موازين ومعايير معينة، عن طريق ترتيبها وتركيبها، للوصول إلى حقائق.
٢. وهي تدل على ذهنية مرتبة، وتعتمد على الترتيب، فإن الأصولي لا يباشر في التنفيذ إلا بعد النظر في المقدمات وترتيب الموضوعات.
٣. كما أن منهجية التفكير الاستدلالي عند الأصوليين معيارية لا تقبل النسبية ولا المقاسمة مع مناهج أخرى.
٤. إنّ تعاون معايير الاستدلال وتركيبها في الاستدلال يدل على منهجية متوازنة بين الثابت وهو المعيار النقلي، والمرن المتغير كمعيار المصلحة والمفسدة، وهو ما منح التفكير الاستدلالي في علم أصول الفقه صلاحيته لعبور الأزمنة والأمكنة.
٥. كما أن تعاون المعايير في الاستدلال وتركيبها يسدّد سير الاستدلال ويمنع من انحرافه أو القول بالهوى فيه.

(٩٠) انظر: الموافقات (٢٧/١).

(٩١) الورقات (ص ٢٨). وانظر: المنحول (ص ١٢٧). والمحصول، ابن العربي (ص ١٣٤).

(٩٢) الموافقات (٣/٩٥-٩٦).



٦. وأخيراً توصي الباحثة بمزيد من الدراسات حول منهجية التفكير الاستدلالي عند الأصوليين، كما توصي بتطبيق معايير التفكير الاستدلالي على العلوم الشرعية الأخرى، كالفقه والتفسير.

فهرس المراجع

١. نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسَنوي الشَّافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢. العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المبارك، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الثانية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٣. المعتمد في أصول الفقه، المؤلف: محمد بن علي الطيب أبو الحُسَيْن البَصْرِي المعتزلي (المتوفى: ٤٣٦هـ)، المحقق: خليل الميس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.
٤. قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشَّافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشَّافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٩م.
٥. التلخيص في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجَوْنِي، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت.
٦. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان.
٧. الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الأفاق الجديدة، بيروت.
٨. بيان المختصر شرح مختصر ابن الحَاجِب، المؤلف: محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: محمد مظهر بقا، الناشر: دار المدني، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٩. البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجَوْنِي، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٠. أصول الشاشي، ينسب الكتاب إلى: نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي (المتوفى: ٣٤٤هـ) ولم تثبت نسبته له. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
١١. رسالة في أصول الفقه، أبو علي الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب العكبري الحنبلي (المتوفى: ٤٢٨هـ)، المحقق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: المكتبة المكية، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٢. الفصول في الأصول (أصول الجصاص)، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرَّاَزي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.



١٣. أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
١٤. المستصفي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
١٥. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي.
١٦. روضة الناظر وجنة المناظر، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير: ابن قدامة المقدسي، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣-٥١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٧. شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين الطوفي (المتوفى: ٧١٦هـ) المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٨. الرسالة، الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) المحقق: أحمد شاكر، مصر: مكتبة الحلبي، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م.
١٩. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٢٠. المحصول في أصول الفقه، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، المحقق: حسين علي اليدري - سعيد فودة، الناشر: دار البيارق، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢١. المحصول، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي الملقب بفخر الدين الرّازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٢٢. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٢٣. المنطق والتفكير الناقد، المؤلف: عصام زكريا جميل، دار النشر: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الطبعة: الأولى، ٢٠١٢-١٤٣٣م.
٢٤. تعليم التفكير ومهاراته تدريبات وتطبيقات عملية، المؤلف: سعيد عبد العزيز، دار النشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩-١٤٣٠م.
٢٥. اتجاهات حديثة في تعليم العلوم في ضوء الاتجاهات المعايير العالمية وتنمية التفكير والنظرية البنائية، المؤلف: أحمد النجدي، وعلي راشد، ومنى عبد الهادي، دار النشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٢٦-٢٠٠٥م.
٢٦. تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، المؤلف: فتحي عبد الرحمن جروان، الناشر: دار الفكر- عمان- الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٢٧. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.



٢٨. جمع الجوامع، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي، وشرح المحلي عليه، المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وحاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، المؤلف: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
٢٩. رسائل ابن حزم الأندلسي، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان - الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ١، ١٩٨٠م، الجزء: ٢ - الطبعة: ٢، ١٩٨٧م، الجزء: ٣ - الطبعة: ١، ١٩٨١م، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٨٣م.
٣٠. الاستدلال عند الأصوليين (معناه وحقيقته، الاحتجاج به، أنواعه)، المؤلف: د. علي بن عبد العزيز العميريني، الناشر: مكتبة التوبة - الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٣١. الاستدلال عند الأصوليين، المؤلف: د. أسعد عبد الغني السيد الكفراوي، تقديم: د. علي جمعة محمد، الناشر: دار السلام، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٣٢. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٣. التحرير والتنوير، (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
٣٤. مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، المؤلف: د. علي سامي النشار، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٣٥. حول تشكيل العقل المسلم، المؤلف: عماد الدين خليل، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن - فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة: الرابعة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٣٦. علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية، المؤلف: د. علي جمعة محمد، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٣٧. اللمع في أصول الفقه، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ.
٣٨. منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، المؤلف: فتحي حسن ملكاوي، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنندن-فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٣٩. قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، إعداد مجموعة، تحرير د. نصر محمد عارف، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٤٠. منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، محمد محمد امزيان، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن-فيرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٤١. مناهج البحث العلمي، المؤلف: عبد الرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٧م.
٤٢. التفكير فريضة إسلامية، المؤلف: عباس محمود العقاد، الناشر: دار الهلال، ٢٠٠٢م.



٤٣. التفكير العلمي، المؤلف: د. فؤاد زكريا، سلسلة: عالم المعرفة، رقم: ٣، الكويت، (مارس، ١٩٧٨م).
٤٤. الورقات، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، المحقق: د. عبد اللطيف محمد العبد.
٤٥. التقريب والإرشاد (الصغير)، المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٤٦. الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.
٤٧. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٤٨. المنحول من تعليقات الأصول، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، حققه وخرج نصه وعلق عليه: الدكتور محمد حسن هيتو، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سورية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٤٩. شرح تنقيح الفصول، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة: الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٥٠. ابن حزم وموقفه من قواعد الاستدلال بتعدية الحكم بغير القياس، المؤلف: د. خالد عبد الخالق العتلة، الناشر: دار الخليج، عمان، الأردن، ٢٠١٦م.
٥١. دراسات في الاختلافات العلمية، المؤلف: محمد أبو الفتح البيانوني، الناشر: دار السلام، مصر، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٥٢. الاتجاهات النقدية المعاصرة في الفكر الأصولي، المؤلف: نصر صالح البطاطا، الناشر: جامعة الكوفة، كلية الآداب، المجلد ١، العدد ٢٥ (٣١ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٥م) الصفحات: (٢٧٥-٣٣٦).
٥٣. التفكير السريع والبطيء، المؤلف: دانيال كانمان، ترجمة: شيماء طه الريدي ومحمد سعد طنطاوي، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٤م.
٥٤. أصول علم النفس، المؤلف: د. أحمد عزت راجح، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- القاهرة، الطبعة: السابعة، ١٩٦٨م.
٥٥. تاريخ الجدل، المؤلف: محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، نسخة مصورة عن الطبعة: الأولى، ١٩٣٤م.
٥٦. الإسلام والفكر العلمي، المؤلف: محمد المبارك، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٥٧. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.



٥٩. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي الملقب بفخر الدين الرّازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٦٠. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٦١. التحرير والتنوير، (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
٦٢. مناهج البحث عند علماء المسلمين، وأثرها في تكوين المنهجية التجريبية والعقلية عند الغرب، المؤلف: د. محمد عبد الرحيم البيومي، (ص ٥١-٨٩)، كلية دار العلوم، المؤتمر الدولي الثاني عشر للفلسفة الإسلامية، (من ٧-٩ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ / ٢٤-٢٦ إبريل ٢٠٠٧م) بعنوان: مناهج العلوم وفلسفتها من منظور إسلامي، بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
٦٣. هيروشيما وناغاساكي مأساة القنبلة الذرية، لمؤلفه: تاكيشي ايتو، ترجمة: أكيرا كوبانو، مراجعة: محمد عبده، الناشر: دار الشروق للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٦٤. تعليم التفكير النظرية والتطبيق، د. صالح محمد أبو جادو، ود. محمد بكر نوفل، الناشر: دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، الأردن، الطبعة: السادسة، ٢٠١٧م.
٦٥. اللغة والتفكير الاستدلالي، المؤلف: د. أكرم صالح محمود خوالدة، الناشر: دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ٢٠١٦م.
٦٦. علم النفس المعاصر، المؤلف: د. حلمي المليجي، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة: الثامنة، ٢٠٠٠م.
٦٧. علم أصول الفقه ومناهج البحث العامة، مقارنة ومقارنة، د. عياض بن نامي السلمي، بحث منشور في مجلة الشريعة بالكويت: م ٢٧، العدد: ٩١. ٢٠١٢م.
٦٨. الفكر طبيعته وتطوره، طبيعة الإنسان في ضوء العلم الحديث، المؤلف: نوري جعفر، الناشر: المكتبة الوطنية، بغداد، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.
٦٩. البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.



موقف الفقه الإسلامي من أحكام التزام البائع بتسليم البضاعة في عقد البيع الدولي للبضائع

د. خالد بن يوسف بوعبيد- قطاع التعليم بالهيئة الملكية بالجبيل - المملكة العربية السعودية

Email: kh337@hotmail.com

الملخص

أحكام التزام البائع بتسليم البضاعة في عقد البيع الدولي للبضائع مقارنًا بالفقه الإسلامي. وقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

١. ميز كل من الفقه و اتفاقية فيينا بين طبيعة البضاعة وأثره في كيفية التسليم.
٢. يتفق كل من الفقه و اتفاقية فيينا على أن مجرد التخلي لا يعد تسليمًا في المنقولات.
٣. يتفق كل من الفقه و اتفاقية فيينا على أنه عند خلو العقد من تحديد مكان التسليم، فإن مكان البضاعة وقت إبرام العقد هو مكان التسليم.
٤. يختلف الفقه و اتفاقية فيينا في مسألة ميعاد تسليم البضاعة إذا خلا العقد من ميعاد محدد: فالفقه يراه فورًا. و اتفاقية فيينا تراه خلال مدة معقولة.

Abstracts

The provisions of the seller's obligation to deliver the goods in the international sale of goods contract in comparison with Islamic jurisprudence. The research reached the following results:

- 1 . Both jurisprudence and the Vienna Convention distinguish between the nature of the goods and its impact on the manner of delivery.
- 2 . Both jurisprudence and the Vienna Convention agree that mere abandonment is not considered tasleem in movables.
- 3 . Both jurisprudence and the Vienna Convention agree that when the contract is devoid of specifying the place of delivery, the place of the goods at the time of conclusion of the contract is the place of delivery.
- 4 . The jurisprudence and the Vienna Convention differ on the issue of the time for delivery of the goods if the contract is free of a specific date: the jurisprudence sees it immediately. The Vienna Convention sees it within a reasonable time.



.Key words: Jurisprudence, obligation, seller, delivery, merchandise, sale, international

مقدمة البحث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه.

أما بعد، فإن عقد البيع يعد من أبرز التصرفات التجارية والاقتصادية التي يمارسها الإنسان عبر التاريخ. ومع اتساع وتعمُّد الحياة وثورة المواصلات والاتصالات، اقتربت الشعوب كثيرًا من بعضها، وصارت حركة التجارة العالمية أسهل، وظهرت أنواع كثيرة من البيوع. والتي كان من بينها "عقد البيع الدولي" الذي يتم إبرامه بين شخصين في دولتين مختلفتين. وظهرت إشكالية أي القوانين يجب تطبيقها على هذا النوع من العقود: هل قوانين بلد البائع، أم قوانين بلد المشتري؟ واتجه البحث القانوني إلى تحية القوانين الوطنية ومحاولة إيجاد قوانين دولية موحدة تكون حاکمة على هذا النوع من العقود. وبذلت محاولات كثيرة في هذا الصدد، إلى أن صدر الأمم المتحدة عن الأمم المتحدة "اتفاقية فيينا سنة ١٩٨٠م الخاصة بعقد البيع الدولي للبضائع"، والتي وافقت عليها غالبية دول العالم، وصارت هي المنظم الأساسي لعقود البيع الدولي للبضائع. فصار لاتفاقية فيينا أسبقية على القوانين الوطنية للدول المتعاقدة، ما عدا الحالات التي يُسمح فيها للدول المتعاقدة بالتحفظ على بعض مواد الاتفاقية.

ويعد عقد البيع من العقود التي تُوجب التزامات وحقوقًا متبادلة على طرفيه "البائع - المشتري". ويعتبر التزام البائع بالتسليم أهم التزاماته على الإطلاق، كما يعتبر -بالمقابل- التزام المشتري بالوفاء بثمن المبيع أهم التزاماته. ولكن يقابل التزام البائع بالتسليم، التزام المشتري بالتسليم أيضًا. وهذا يعني أن التزامات البيع الأساسية هي: التسليم المطابق من جانب البائع، والتسليم والوفاء بالثمن من جانب المشتري^(٩٣).

وقد تضمن الفصل الثاني من الجزء الثالث من اتفاقية فيينا المشار إليها: التزامات البائع في عقد البيع الدولي للبضائع، والجزاءات التي تترتب على إخلال البائع بتنفيذ الالتزامات التعاقدية وذلك في المواد من (٣١) إلى (٥٢). وتضمنت الاتفاقية نصًا افتتاحيًا لالتزامات البائع يتضمن عرضًا مجملًا لها، هو نص المادة (٣٠) الذي قرر أنه: "يجب على البائع أن يسلم البضاعة، ويسلم المستندات المتعلقة بها، وأن ينقل ملكية البضاعة"^(٩٤) وفقًا لما يتطلبه عقد البيع وهذه الاتفاقية.

ثم قد أوردت الاتفاقية عند تفصيل التزامات البائع الالتزام بتسليم كلٍّ من البضاعة والمستندات في فرع واحد وذلك في المواد من (٣١) إلى (٣٤)، والالتزام بالمطابقة وضمان ادعاء الغير في فرع ثانٍ في المواد من (٣٥) إلى (٤٤)^(٩٥). وعلى ذلك فالذي يقع على عاتق البائع التزامات ثلاثة؛ هي: تسليم البضاعة، وتسليم المستندات، والالتزام بالمطابقة

^{٩٣}- حداد، حمزة أحمد، العقود النموذجية في قانون التجارة الدولية، (ص ١٦٤).

^{٩٤}- قضت المادة (٤) من الاتفاقية صراحةً بأن "الالتزام بنقل الملكية" يعد من المسائل المستبعدة من نطاقها، وتنظيم الآثار التي قد يحدثها عقد البيع في شأن ملكية البضائع المبيعة، بحيث تخضع هذه المسألة لأحكام القوانين الوطنية. ويرجع ذلك إلى اختلاف التشريعات الوطنية بشأن هذه المسألة، بحيث يصعب توحيد الحكم فيها في نطاق اتفاقية دولية. ينظر: شفيق، محسن، اتفاقية الأمم المتحدة بشأن البيع الدولي للبضائع، (ص ٨٤).

^{٩٥}- الشراوي، محمود سمير، العقود التجارية الدولية، (ص ١٢٥، ١٢٦).



وضمن ادعاء الغير. وبما أن الالتزام بتسليم البضاعة يعد أهم التزامات البائع على الإطلاق، فسوف أتناوله في هذا البحث، مع مقارنة أحكام هذا الالتزام بأحكام عقد البيع في الفقه الإسلامي وبيان أوجه التشابه والاختلاف.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- ١- يعد عقد البيع الدولي للبضائع من العقود المهمة في حركة التجارة العالمية.
- ٢- عدم وجود دراسة علمية تبين موقف الفقه الإسلامي من أحكام عقد البيع الدولي للبضائع حسب بحثي القاصر، خاصة في ظل انضمام دول إسلامية لـ "اتفاقية فيينا سنة ١٩٨٠م الخاصة بعقد البيع الدولي للبضائع".

أهداف البحث:

- ١- بيان أحكام التزام البائع بتسليم البضاعة في عقد البيع الدولي للبضائع طبقاً لـ "اتفاقية فيينا".
- ٢- بيان موقف الفقه الإسلامي من أحكام هذا الالتزام في عقد البيع الدولي للبضائع طبقاً لـ "اتفاقية فيينا".
- ٣- بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين أحكام الفقه الإسلامي واتفاقية فيينا فيما يتعلق بتسليم البضاعة.

حدود البحث:

- **الحد الموضوعي:** يقوم هذا البحث بدراسة عقد البيع الدولي للبضائع دون سواه من عقود البيع، وسوف أتناول التزام البائع فقط دون المشتري، وسيدور البحث حول التزام واحد فقط هو تسليم البضاعة، وذلك في إطار "اتفاقية فيينا سنة ١٩٨٠م الخاصة بعقد البيع الدولي للبضائع" دون سواها من الاتفاقيات والقوانين الدولية.

الدراسات السابقة:

يعد د. محسن شفيق من أوائل الباحثين الذين تناولوا هذه الاتفاقية بالدراسة، حيث كان د. شفيق ضمن الوفد المصري المشارك في إعداد هذه الاتفاقية ضمن وفود الدول الأخرى. تلاه تلميذه د. محمود سمير الشرقاوي. ثم تابعت بعد ذلك الدراسات المختلفة التي تناولت بعض النقاط وليس كل الاتفاقية. إلا أن كافة هذا الدراسات وغيرها والتي تناولت أحكام "اتفاقية فيينا سنة ١٩٨٠م الخاصة بعقد البيع الدولي للبضائع" كانت دراسات قانونية خالصة، ولم تتناول من قريب أو بعيد موقف الفقه الإسلامي من أحكام هذه الاتفاقية، وهو ما يحاول هذا البحث القيام به.

منهج البحث:

استخدام الباحث في هذا البحث المنهج التحليلي المقارن، لتحليل نصوص اتفاقية فيينا ومقارنة أحكامها بأحكام الفقه الإسلامي فيما يخص عقد البيع وبيان مدى توافقها مع أحكام الشريعة الإسلامية.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى: تمهيد، ثلاثة مباحث، وخاتمة؛ وذلك على النحو التالي:



- التمهيد: التعريف بعقد البيع الدولي للبضائع: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: عقد البيع الدولي.

المطلب الثاني: اتفاقية الأمم المتحدة للبيع الدولي للبضائع.

- المبحث الأول: الالتزام بتسليم البضاعة في اتفاقية فيينا.

- المبحث الثاني: الالتزام بتسليم البضاعة في الفقه.

- المبحث الثالث: المقارنة بين الفقه والقانون.

- خاتمة البحث: وتشتمل على نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد

التعريف بعقد البيع الدولي للبضائع

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: عقد البيع الدولي.

المطلب الثاني: اتفاقية الأمم المتحدة للبيع الدولي للبضائع.

المطلب الأول: عقد البيع الدولي

ويشتمل على فرعين:

الفرع الأول: تعريف عقد البيع.

الفرع الثاني: تعريف عقد البيع الدولي.

الفرع الأول: تعريف عقد^(٩٦) البيع:

^{٩٦} - العقد اصطلاحاً عرفه الجصاص بقوله: "ما يعقده العاقد على أمر يفعله هو أو يعقد على غيره فعله على وجه إلزامه إياه". ينظر: الجصاص، أحكام القرآن، (٢٨٥/٣). وعرفه الفخر الزيلعي بأنه: "مجموع إيجاب أحد المتكلمين مع قبول الآخر". ينظر: الزيلعي، تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق، (٩٤/٢). وينظر: ابن الهمام، فتح القدير، (١٨٧/٣)، وابن نجيم، البحر الرائق، (٨٥/٣)، وابن عابدين، حاشية رد المحتار، (٣/٣). وعرفه علي حيدر باشا بأنه: "ارتباط الإيجاب بالقبول". ينظر: حيدر، علي، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، (٢١/١). وعرفه أبو عبد الله الرصاع بأنه: "لزوم للعاقد على نفسه أمراً من الأمور". ينظر: الرصاع، الهداية الكافية الشافية، (ص ١٥٣). وعرفه بدر الدين الزركشي بأنه: "ارتباط الإيجاب بالقبول الالتزامي". ينظر: الزركشي، المنشور في القواعد الفقهية، (٣٩٧/٢). وعرفه ابن قدامة تعريفاً مختصراً فقال: "العقد: الإيجاب والقبول". ينظر: ابن قدامة، الكافي، (٤٨٧/١). وعرفه المعاصرون بأنه: "ارتباط إيجاب بقبول، على وجه مشروع يثبت أثره في محله". ينظر: الزرقا، المدخل الفقهي العام، (ص ٣٨١).



البيع لغةً مصدر ثلاثي للفعل "باع" وهو: مقابلة شيء بشيء. ويسمى المتعاقدين: بائع وبيّع، ومُشْتَرٍ وشارٍ^(٩٧). قال الزبيدي: "البيع: من حروف الأضداد في كلام العرب، يقال: باع فلانٌ: إذا اشترى. و: باع من غيره"^(٩٨). فالبيع لغة يعني: المقايضة وإعطاء شيء من أجل الحصول على شيء يحتاجه الإنسان.

أما البيع في الفقه: فقد عرف الحنفية البيع بقولهم: "مبادلة شيء مرغوب فيه بمثله على وجه مخصوص"^(٩٩). وعرفه المالكية بقولهم: "نقل الملك بعوض"^(١٠٠). وعرفه الشافعية بأنه: "مقابلة مال بمال أو نحوه"^(١٠١). وعرفه الحنابلة بأنه: "مبادلة المال بالمال تمليكيًا وتملُّكًا"^(١٠٢). فمضمون البيع في الفقه هو المبادلة: شيء مقابل شيء. والبيع جائز بالكتاب والسنة والإجماع^(١٠٣). أما الكتاب فقول الله تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ} [البقرة: ٢٧٥]، وقوله تعالى: {وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ} [البقرة: ٢٨٢]، وقوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} [النساء: ٢٩]، وقوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} [البقرة: ١٩٨]. وأما السنة، فقول النبي ﷺ: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا"^(١٠٤). وغيرها من الأدلة.

والبيع في القانون: "عقد يلتزم به البائع أن ينقل للمشتري ملكية شيء أو حقًا ماليًا آخر في مقابل ثمن نقدي"^(١٠٥). وعرف "عقد على تملك شيء أو نقل حق مالي آخر لقاء عوض مالي"^(١٠٦). فالقانون في تعريفه لعقد البيع يركز على صفته كعقد ناقل للملكية، إذ يرتب التزامًا في ذمة البائع بنقل ملكية المبيع إلى المشتري^(١٠٧).

الفرع الثاني: تعريف عقد البيع الدولي:

يعرف "العقد الدولي" بصفة عامة بأنه: "العقد الذي يُبرم بين مختلفي الجنسية أو متحديها إذا كان مكان إبرامه، أو أعمال تنفيذه، أو مكان وجود محله يهم أكثر من نظام قانوني". فالعقد لن يعتبر "دوليًا" إلا إذا كان يتعلق بمعاملة دولية

^{٩٧} - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (٢٣/٨)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، (٢٥٦/٢)، مادة "ب ي ع".

^{٩٨} - الزبيدي، تاج العروس، (٣٦٥/٢٠)، مادة "ب ي ع".

^{٩٩} - ابن تُمَرْتاشي، متن تنوير الأبصار، مع شرحه الدر المختار للحصكفي وحاشية رد المحتار لابن عابدين، (٥٠٢/٤)، (٥٠٣).

^{١٠٠} - المازري، شرح التلقين، (٢٦٩/٢)، (٤١٨). وقد نقله عنه خليل بن إسحاق الجندي، التوضيح في شرح جامع الأمهات، (١٩٠/٥).

^{١٠١} - النووي، روضة الطالبين، (٣٣٨/٣).

^{١٠٢} - ابن قدامة، المغني شرح مختصر الخرقي، (٤٨٠/٣).

^{١٠٣} - المرجع السابق، (٤٨٠/٣).

^{١٠٤} - البخاري، الجامع الصحيح، كتاب: البيوع، باب: إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، (٢٠٧٩)، رقم (٥٨/٣)، ومسلم، المسند

الصحيح، كتاب: البيوع، باب: الصدق في البيع والبيان، (١١٦٤/٣)، رقم (١٥٣٢).

^{١٠٥} - المادة (٤١٨) من القانون المدني المصري، رقم (١٣١) لسنة ١٩٤٨م.

^{١٠٦} - المادة (٤٥٤) من القانون المدني الكويتي، رقم (٦٧) لسنة ١٩٨٠م. ويشار هنا إلى أنه لا يوجد في الأنظمة السعودية تعريف لـ "عقد البيع".

^{١٠٧} - السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، (٢٧/٤)، وعبد الحميد، خالد، فسخ عقد البيع الدولي للبضائع، (ص ١٢).



تقتضى تبادل بضائع أو أموال أو خدمات بين دول مختلفة، ولا يتوقف اعتباره دوليًا على مجرد اختلاف جنسية أو موطن أطرافه إن لم يقتض مثل هذا التبادل^(١٠٨).

ويعرف "عقد البيع الدولي" بأنه: "كل عقد دولي يلتزم فيه البائع بنقل ملكية محله من بضائع إلى المشتري، مقابل ثمن نقدي"^(١٠٩). فالبيوع الدولية تختلف في نظرتها لأثر البيع الناقل للملكية عن البيوع المحلية الوطنية، إذ ينصرف نظر أصحاب البيوع الدولية إلى التسليم الموافق لشروط العقد وحده، باعتباره مركز الثقل في هذه المعاملات، وتنتقل الملكية إلى المشتري بمجرد تمام هذا التسليم^(١١٠). فأصبح الالتزام بالتسليم هو أساس العقد الدولي لبيع البضائع ومحور أحكامه، وأصبح يعني في الوقت الحاضر الالتزام بنقل الملكية؛ وذلك لصعوبة الفصل بين الالتزامين في التعامل التجاري؛ لتعلق بيع البضائع في الغالب بأشياء منقولة معينة بالنوع فلا تنتقل ملكيتها بمجرد التعاقد، كما هو شأن بيع المنقول المعين بالذات. ولذلك فإن الاتفاقيات الدولية التي نظمت عقد البيع الدولي لم تتعرض للالتزام بنقل الملكية، وإنما للالتزام بالتسليم وحده^(١١١).

المطلب الثاني: اتفاقية الأمم المتحدة للبيع الدولي للبضائع

ويشتمل على فرعين:

الفرع الأول: ظهور اتفاقية الأمم المتحدة للبيع الدولي للبضائع.

الفرع الثاني: الأقسام المكونة لاتفاقية الأمم المتحدة للبيع الدولي للبضائع.

الفرع الأول: ظهور اتفاقية الأمم المتحدة للبيع الدولي للبضائع:

ظلت دول العالم والمنظمات الدولية تسعى في العقود الأخيرة إلى توحيد قانون التجارة الدولية، وظهرت عدة محاولات في هذا الشأن. وفي سنة ١٩٦٦م أنشأت الأمم المتحدة لجنة تسمى "اللجنة الأمم المتحدة لقانون التجارة الدولية" والتي عرفت باسم أو "اليونيسيترال UNCITRAL"^(١١٢)، ومهمتها: إعداد وترويج معاهدات أو اتفاقيات دولية جديدة ونماذج قوانين Model Laws وقوانين موحدة وتقنين ونشر الاصطلاحات والشروط والعادات والأعراف التجارية الدولية. وكان من أبرز إنجازات تلك اللجنة: اتفاقية الأمم المتحدة بشأن عقود البيع الدولي للبضائع في فيينا سنة ١٩٨٠م، والتي دخلت دور النفاذ في أول يناير سنة ١٩٨٨م فيما يتعلق بالدول التي انضمت إليها^(١١٣).

١٠٨- عبد الحميد، خالد، فسح عقد البيع الدولي للبضائع، (ص ١٥)، والشرقاوي، جميل، محاضرات في العقود الدولية، (ص ٢٤).

١٠٩- سامي، أسماء مدحت، الإعفاء من المسؤولية في اتفاقية الأمم المتحدة للبيع الدولي للبضائع فيينا ١٩٨٠م، (ص ٢١).

١١٠- حبيب، ثروت، دراسة في قانون التجارة الدولية مع الاهتمام بالبيوع الدولية، (ص ٣٩٢).

١١١- الشرقاوي، محمود سمير، الالتزام بالتسليم في عقد بيع البضائع، (ص ٩).

١١٢- الشرقاوي، محمود سمير، الالتزام بالتسليم في عقد بيع البضائع، (ص ٨).

١١٣- شفيق، محسن، اتفاقيات لاهاي لعام ١٩٦٤م بشأن البيع الدولي للمنقولات المادية، (ص ٨٤، ٨٥).



وقد تصدت لجنة الأمم المتحدة لقانون التجارة الدولية "UNCITRAL" للقيام بهذه المهمة؛ فشكّلت مجموعة عمل لوضع قانون موحد للبيع الدولي، على أن هذه المجموعة لم تبدأ من فراغ، وإنما اتخذت من اتفاقيتي لاهاي سنة ١٩٦٤م أساساً لعملها في محاولة لوضع قانون موحد يكون مقبولاً بقدر الإمكان من عدد كبير من الدول.

وبتاريخ ١١ أبريل سنة ١٩٨٠م تم توقيع الاتفاقية في فيينا، وقد وقعت عليها عشرون دولة، وصدرت الاتفاقية باللغات الرسمية الست للأمم المتحدة "العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والأسبانية، والروسية، والصينية"^(١١٤).

وقد نصت المادة (٩٩) من اتفاقية فيينا سنة ١٩٨٠م على أن تدخل الاتفاقية في مرحلة النفاذ في اليوم الأول للشهر التالي لانتهاؤه اثني عشر شهراً بعد تاريخ إيداع وثيقة التصديق من الدولة العاشرة.

وبدأ نفاذ الاتفاقية طبقاً للنص السابق في أول يناير ١٩٨٨م فيما يتعلق بإحدى عشرة دولة^(١١٥).

وأصبح عدد الدول التي صدقت على الاتفاقية حتى نهاية عام ١٩٩٨م ٥٣ دولة^(١١٦).

الفرع الثاني: الأقسام المكونة لاتفاقية الأمم المتحدة للبيع الدولي للبضائع:

تتكون الاتفاقية من (١٠١) مادة، وتتضمن أربعة أقسام على النحو التالي:

القسم الأول: في نطاق تطبيق الاتفاقية والأحكام العامة لها.

القسم الثاني: في تكوين عقد البيع الدولي للبضائع.

القسم الثالث: في الأحكام الموضوعية للبيع الدولي للبضائع.

القسم الرابع: في الأحكام الختامية.

أي أن هذه الاتفاقية قد جمعت في نصوصها بين الأحكام التي تضمنتها اتفاقيتا لاهاي سنة ١٩٦٤م بشأن تكوين العقد والأحكام الموضوعية له.

وقد نصت المادة (٩٢) من اتفاقية فيينا على حق أية دولة متعاقدة عند التوقيع أو التصديق أو الموافقة أو الانضمام للاتفاقية أن تلتزم فقط بأحد القسمين الثاني أو الثالث من هذه الاتفاقية. والمقصود من هذا الحكم: توفير الحرية اللازمة للدول

^{١١٤} - هذه الدول هي: النمسا، وشيلي، والصين، وتشيكوسلوفاكيا، والدانمارك، وألمانيا الاتحادية، وألمانيا الديمقراطية، وفنلندا، وغانا، وإيطاليا، ويوغوسلافيا، وليسوتو، وهولندا، والنرويج، وبولندا، والسويد، وسنغافورة، والمجر، والولايات المتحدة الأمريكية، وفنزويلا.

^{١١٥} - هذه الدول هي: الأرجنتين، وإيطاليا، وسوريا، وزامبيا، والصين، وفرنسا، وليسوتو، ومصر، والمجر، والولايات المتحدة الأمريكية، ويوغسلافيا. ينظر: سرور، محمد شكري، موجز أحكام عقد البيع الدولي للبضائع، (ص ١١٨).

^{١١٦} - الشرفاوي، محمود سمير، الالتزام بالتسليم في عقد بيع البضائع، (ص ٤٧).



للاضمان إلى أحد الموضوعين اللذين يعالجهما كل من القسم الثاني والثالث من الاتفاقية، كما لو كان كل منهما اتفاقية مستقلة تعالج موضوعاً مستقلاً، كما هو الشأن بالنسبة لاتفاقيتي لاهاي سنة ١٩٦٤م^(١١٧).

المبحث الأول

الالتزام بتسليم البضاعة في اتفاقية فيينا

لم تتضمن اتفاقية فيينا سنة ١٩٨٠م نصاً يعرف "التسليم". إلا أن اتفاقية لاهاي السابقة عليها عرفت في المادة (١٩) "التسليم" بأنه: "نقل السلطة أو السيطرة على بضائع مطابقة لما تم التعاقد عليه". فالتسليم ينصرف إلى الحيابة المادية الفعلية للبضاعة^(١١٨).

وسوف أتناول فيما يلي أبرز أحكام الالتزام بتسليم البضاعة:

أولاً: مكان التسليم:

يعد مكان التسليم من العناصر المهمة في عقد البيع الدولي، وأهمية مكان التسليم واضحة؛ إذ ترجع أهميته إلى أنه مكان اللقاء بين المشتري والمبيع^(١١٩).

وقد نصت المادة (٣١) من اتفاقية فيينا على تحديد مكان تسليم البضاعة، بالرغم من أنه غالباً ما يُحدد عقد البيع الدولي للبضاعة هذا المكان؛ لذلك فإن حكم المادة (٣١) من الاتفاقية لا ينطبق إلا عندما يخلو عقد البيع الدولي للبضاعة من تحديد مكان التسليم^(١٢٠).

لذا يجري نص المادة (٣١) على النحو التالي: "إذا كان البائع غير ملزم بتسليم البضاعة في أي مكان معين آخر، يكون التزامه بالتسليم وفقاً لما يأتي:

أ) متى تضمن عقد البيع نقل البضاعة المبيعة، فيتم التسليم بنقل حيازة البضاعة إلى الناقل الأول لإيصالها إلى المشتري.

ب) وفي الحالات غير المنصوص عليها في الفقرة السابقة، فإذا تعلق العقد ببيع بضاعة محددة، أو بضاعة محددة بنوعها وغير مفرزة، وسيتم سحبها من مخزون محدد أو تصنع أو تنتج، ويعلم الطرفان عند إبرام العقد أن البضاعة موجودة في مكان معين أو ستنتج في مكان معين، فإن التسليم يتم بوضع البضاعة تحت تصرف المشتري في ذلك المكان.

ج) وفي غير ذلك من الحالات، بوضع البضاعة تحت تصرف المشتري في المكان الذي كان يوجد فيه مركز أعمال البائع وقت إبرام العقد".

ويتبين من هذا النص: أنه يفرق فيما يتعلق بمكان التسليم بين البيع الذي يتضمن نقلاً للبضاعة وغيره من البيوع:

^{١١٧} - هاني، أحمد، الفحص والإخطار كواجب على المشتري في اتفاقية الأمم المتحدة، (ص٧).

^{١١٨} - الشرقاوي، محمود سمير، العقود التجارية الدولية، (ص١٢٨).

^{١١٩} - عبيد، رضا، الالتزام بالتسليم في القانون الموحد للبيع الدولي للبضائع، (ص٢٧٧).

^{١٢٠} - الشرقاوي، محمود سمير، العقود التجارية الدولية، (ص ١٣٠).



- فإذا تضمن البيع نقلًا للبضاعة، فالتسليم يتم بوضع البضاعة ماديًا في حيازة الناقل الأول لإيصالها إلى المشتري؛ أي: لا يكفي مجرد وضع البضاعة تحت سيطرة الناقل.

- أما في غير ذلك من البيوع، فيتم التسليم بوضع البائع للبضاعة تحت تصرف المشتري، وذلك في مكان وجود البضاعة متى كانت معينة بذاتها أو مفرزة، أو في المكان المعلوم لطرفي العقد متى كانت البضاعة غير مفرزة وتسحب من مخزون محدد أو تصنع أو تنتج. ويتم التسليم في غير هذه الأحوال جميعًا في المكان الذي يوجد فيه مركز أعمال البائع عند البيع^(١٢١).

ثانياً: تسليم البضاعة محل التصدير:

تضمنت المادة (٣٢) من اتفاقية فيينا أحكامًا تتعلق بتسليم البضاعة متى كان البيع يقتضي تصديرها من مكان إلى آخر عن طريق ناقل يقوم بنقلها من محل البائع إلى محل المشتري، وذلك بالنص على أنه: "١- إذا قام البائع -طبقاً لأحكام العقد أو لأحكام هذه الاتفاقية- بتسليم البضاعة إلى ناقل، ولم تكن البضاعة معينة بشكل واضح على أنها البضاعة محل عقد البيع، سواء بوجود علامات على البضاعة أو طبقاً لمستندات الشحن أو بطريقة أخرى، فيجب على البائع أن يرسل إلى المشتري إخطاراً بالشحن يتضمن تعيين البضاعة.

٢- إذا كان البائع ملزماً بتدبير عملية نقل البضاعة، فيجب عليه إبرام العقود اللازمة لإتمام النقل إلى المكان المحدد، بوسائل النقل المناسبة وفقاً للظروف وحسب الشروط المعتادة في مثل هذا النوع من النقل.

٣- إذا لم يكن البائع ملزماً بإبرام عقد التأمين على نقل البضاعة، فعليه بناء على طلب المشتري أن يزوده بكافة المعلومات اللازمة لتمكينه من إتمام هذا التأمين"^(١٢٢).

ثالثاً: ميعاد التسليم:

ميعاد التسليم هو عصب عقد البيع الدولي؛ إذ أن الميعاد يلعب دوراً رئيسياً في تحديد مسؤوليات الأطراف المتعاقدة في إطار البيع الدولي. ويمكن أن نستخلص مدى أهمية الميعاد في عقد البيع الدولي من تلك الكلمات المعبرة التي قالها Samuel Williston في إطار القانون الإنجليزي حيث يذهب إلى القول أنه "إذا لم يكن الميعاد أساسياً في عقد بيع العقارات، إلا أنه من غير المعقول منطقاً أن نعتبره كذلك في إطار بيع البضائع". وقد ثبت من إحصائية القضاء الفرنسي أن نسبة ٣٤٪ من المنازعات التجارية تدور حول المواعيد^(١٢٣).

وتنص المادة (٣٣) من اتفاقية فيينا على أنه: "يجب على البائع أن يسلم البضاعة:

(أ) في التاريخ المحدد أو القابل للتحديد طبقاً للعقد.

(ب) في أي وقت خلال المدة المحددة أو القابلة للتحديد طبقاً للعقد.

١٢١- شفيق، محسن، اتفاقية الأمم المتحدة بشأن البيع الدولي للبضائع، (ص١٣٨)، وعبد الحميد، خالد، فسخ عقد البيع الدولي للبضائع، (ص٨٧).

١٢٢- عبد الحميد، خالد، فسخ عقد البيع الدولي للبضائع، (ص٢٧٨).

١٢٣- عبيد، رضا، الالتزام بالتسليم في القانون الموحد للبيع الدولي للبضائع، (ص٢١٢).



ج) خلال مدة معقولة من تاريخ إبرام العقد في أية حالة أخرى".

ويعني ذلك: أن ميعاد التسليم قد يكون محددًا في عقد البيع، وقد لا يحدد فيه صراحة، وإنما يكون قابلاً للتحديد بالرجوع إلى العقد.

وقد لا يكون ميعاد التسليم محددًا أو قابلاً للتحديد بالرجوع إلى العقد.

وفي حالة تحديد الميعاد أو قابليته للتحديد طبقاً للعقد، فقد يكون ذلك إما بتحديد:

أ) تاريخ محدد التسليم أو قابل للتحديد، كأن يتفق على أن يتم تسليم البضاعة في ٢ يوليو أو أن يتم تسليمها في أول يوم عمل بعد انتهاء إجازة عيد معين يُشار إليه في العقد.

أو قد يتم ميعاد التسليم بتحديد:

ب) مدة معينة أو قابلة للتعيين، كما لو قيل: خلال الأسبوع الأول من شهر يوليو، أو خلال الأسبوع التالي لانتهاء إجازة عيد معين في العقد، فيكون للبائع اختيار اليوم الذي يتم فيه التسليم خلال هذه المدة، إلا إذا اتفق على أن يترك هذا الاختيار للمشتري، أو تبين من ظروف الحال ترك الاختيار للمشتري.

فإذا لم يتضمن عقد البيع تحديد تاريخ التسليم، أو تحديد مدة معينة يتم خلالها، فإن تسليم البضاعة محل البيع يجب أن يتم خلال مدة معقولة **"Reasonable time"** يتم تقريرها اعتباراً من تاريخ إبرام العقد^(١٢٤).

^{١٢٤} - الشرقاوي، محمود سمير، العقود التجارية الدولية، (ص ١٣٣، ١٣٤)، وحداد، حمزة أحمد، العقود النموذجية في قانون التجارة الدولية، (ص ١٧٩)، وسرور، محمد شكري، موجز أحكام عقد البيع الدولي للبضائع، (ص ١٣٦).



الالتزام بتسليم البضاعة في الفقه

عرف الفقه الإسلامي التسليم بأنه: "أن يخلي البائع بين المبيع وبين المشتري برفع الحائل بينهما على وجه يتمكن المشتري من التصرف فيه فيجعل البائع مسلماً للمبيع، والمشتري قابضاً له" (١٢٥).

وقد ميّز الفقهاء بين نوعين من المبيع:

- **النوع الأول:** المبيع الذي لا ينقل كالأرض والعقار، وهذا يكفي في تسليمه التخلية بينه وبين المشتري بإجماع الفقهاء (١٢٦).

"(القبض في العقار) من أرض وشجر وضياع (أن خلاه) بفتح الهمزة أي بأن خلاه البائع للمشتري بلفظ يدل على التخلية مع تسليمه المفتاح فيما له مفتاح، وتفريره العقار من أمتعه كما قال: (قلت: ومن متاعه أخلاه) نظراً للعرف في ذلك؛ لعدم ما يضبطه شرعاً أو لغة كالإحياء، والحرز في السرقة وغيرهما، فلو لم يُخله من متاعه لم يحصل القبض؛ لكونه منتقلاً به. حتى لو جمع متاعه ببيت من الدار، حصل القبض بالتخلية فيما عداه" (١٢٧).

- **النوع الثاني:** المبيع الذي يمكن نقله "المنقولات"، وقد اختلف الفقهاء في كيفية تسليم هذا النوع على قولين:

القول الأول: ويرى أنه يكفي في تسليم المنقولات التخلية. وهو مذهب الحنفية (١٢٨). فقد جاء في مجلة الأحكام العدلية: "تسليم العروض يكون بإعطائها ليد المشتري أو بوضعها عنده أو بإعطاء الإذن له بالقبض مع إراءتها له" (١٢٩).

القول الثاني: ويرى التفصيل في حال المنقول: حيث إن بعضها يتناول باليد عادة وبعضها الآخر لا يتناول. وما لا يتناول باليد نوعان: أحدهما: لا يعتبر فيه تقدير في العقد. والثاني: يعتبر فيه. فتحصل لديهم في المنقول ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يكون مما يتناول باليد عادة، كالنقود والثياب والجواهر والحلي وما إليها، وقبضه يكون بتناوله باليد عند جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة (١٣٠).

الحالة الثانية: أن يكون مما لا يعتبر فيه تقدير من كيل أو وزن أو ذرع أو عد، إما لعدم إمكانه وإما مع إمكانه لكنه لم يراع فيه، كالأمتعة والعروض والدواب والصبرة جزأً. وفي هذه الحالة اختلف المالكية مع الشافعية والحنابلة في كيفية قبضه على قولين:

١٢٥- الكاساني، بدائع الصنائع، (٢٤٤/٥). وينظر: نظام الدين البلخي، الفتاوى الهندية، (١٦/٣).
١٢٦- ابن عابدين، رد المحتار، (٥٦١/٤)، والحطاب، مواهب الجليل، (٤٧٧/٤) وما بعدها، والنووي، روضة الطالبين، (٥١٥/٣)، والبهوتي، كشف القناع، (٢٠٢/٣).
١٢٧- زكريا الأنصاري، الغرر البهية شرح البهجة الوردية، (٢/٣).
١٢٨- ابن الشحنة، لسان الحكام، (ص ٣١١).
١٢٩- لجنة من فقهاء الخلافة العثمانية، مجلة الأحكام العدلية، المادة (٢٧٤).
١٣٠- القرافي، الذخيرة، (١٥٢/١)، والخطيب الشربيني، مغني المحتاج، (٧٢/٢)، وابن قدامة، المغني، (٣٣٢/٤)، والبهوتي، كشف القناع، (٢٠٢/٣).



أحدهما للمالكية: وهو أنه يرجع في قبضه إلى العرف^(١٣١).

والثاني للشافعية والحنابلة: وهو أن قبضه يكون بنقله وتحويله^(١٣٢).

واستدل الشافعية والمالكية على ذلك بالمنقول والعرف:

فأما المنقول: فما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنا نتلقى الركبان، فنشتري منهم الطعام جزأاً، فنهانا رسول الله ﷺ أن نبيعه حتى ننقله من مكانه^(١٣٣). وقيس على الطعام غيره^(١٣٤).

وأما العرف، فلأن أهله لا يعدون احتواء اليد عليه قبضاً من غير تحويل، إذ البراجم^(١٣٥) لا تصلح قراراً له^(١٣٦).

الحالة الثالثة: أن يكون مما يعتبر فيه تقدير من كيل أو وزن أو ذرع أو عد، كمن اشترى صبرة حنطة مكايلة أو متاعاً موازنة أو ثوباً مذارعة^(١٣٧) أو معدوداً بالعدد، وفي هذه الحالة اتفق الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة على أن قبضه يكون باستيفائه بما يقدر فيه من كيل أو وزن أو ذرع أو عد^(١٣٨).

واشترط الشافعية بالإضافة إلى ذلك نقله وتحويله. قال النووي: "والقول الجملي فيه -يعني: حقيقة القبض-: أن الرجوع فيما يكون قبضاً إلى العادة، ويختلف بحسب اختلاف المال. وتفصيله: أن المبيع نوعان: إن كان مما لا ينقل كالأرض والدور، فقبضه بالتخلية بينه وبين المشتري، وتمكينه من اليد والتصرف بتسليم المفتاح إليه، ولا يعتبر دخوله وتصرفه فيه، ويشترط كونه فارغاً من أمتعة البائع. وإن كان المبيع من المنقولات، فالمذهب والمشهور: أنه لا يكفي فيه التخلية، بل يشترط النقل والتحريك"^(١٣٩).

ودليل جمهور الفقهاء على أن قبض المقدرات من المنقولات إنما يكون بتوفيتها بالوحدة القياسية العرفية المراعاة فيها من الكيل أو الوزن أو الذراع أو العد ما يلي:

١. روي عن النبي ﷺ أنه نهى عن بيع الطعام حتى يجري فيه الصاعان، صاع البائع وصاع المشتري^(١٤٠).

- ١٣١- الخرشي، شرح مختصر خليل، (١٥٨/٥)، والدردير، الشرح الكبير، (١٤٥/٣).
- ١٣٢- النووي، روضة الطالبين، (٥١٥/٣)، والخطيب الشربيني، مغني المحتاج، (٧٢/٢)، وابن قدامة المغني، (٣٣٢/٤).
- ١٣٣- مسلم، المسند الصحيح، كتاب: البيوع، باب: بطلان بيع المبيع قبل القبض، (١١٦١/٣)، رقم (١٥٢٧).
- ١٣٤- الخطيب الشربيني، مغني المحتاج، (٧٢/٢)، وابن قدامة، المغني، (٣٣٢/٤).
- ١٣٥- البراجم: مفصل الأصابع، وهي رؤوس السلاميات إذا قبض الإنسان كفه ارتفعت. الواحدة: برجمة. وقولهم: الأخذ بالبراجم عبارة عن القبض باليد. نظر: المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب، (٧١/١).
- ١٣٦- النووي، المجموع شرح المذهب، (٢٨٢/٩)، وابن قدامة، المغني، (١١٢/٤).
- ١٣٧- من الذراع.
- ١٣٨- الرافعي، فتح العزيز، (٤٤٨/٨)، والنووي، روضة الطالبين، (٥١٧/٣)، وابن عبد السلام، قواعد الأحكام، (١٧١/٢)، والدردير، الشرح الكبير، (١٤٤/٣)، والبهوتي، كشف القناع، (٢٠١/٣).
- ١٣٩- النووي، روضة الطالبين، (٥١٧/٣).
- ١٤٠- ابن ماجه، السنن، كتاب: التجارات، باب: النهي عن بيع الطعام قبل ما لم يقبض، (٧٥٠/٢)، رقم (٢٢٢٨). وقد حسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، (٢٥٤/٥).



٢. قوله ﷺ: "من ابتاع طعاماً، فلا يبعه حتى يكتاله"^(١٤١). فدل ذلك على أنه لا يحصل فيه القبض إلا بالكيل، فتعين فيما يقدر بالكيل الكيل، وقيس عليه الباقي^(١٤٢).

وبناء على ما سبق فإن التسليم بشكل عام لدى الفقهاء هو الحال الذي يتحقق فيه تمكين المشتري من تسلم البضاعة بلا أية مشاكل أو معارضة من الغير، ولا أدل على ذلك من القاعدة التي وضعوها في هذا الشأن وهي: "قبض كل شيء بحسبه على ما جرت العادة فيه"^(١٤٣).

وفيما يخص مكان تسليم البضاعة، فالأصل أن تسلم البضاعة في المكان الذي اتفق عليه البائع والمشتري. فقد جاء في مجلة الأحكام أنه: "إذا بيع مال على أن يسلم في محل كذا، لزم تسليمه في المحل المذكور"^(١٤٤). لكن إذا خلا عقد البيع من النص على مكان تسليم البضاعة، فإن التسليم يكون في المكان الموجود فيه البضاعة وليس في المكان الذي أبرم فيه العقد. فجاء في مجلة الأحكام أنه: "مطلق العقد يقتضي تسليم المبيع في المحل الذي هو موجود فيه حينئذٍ.

وفيما يخص زمن تسليم البضاعة، فإنه على البائع تسليم المبيع فور الوقت الذي يتسلم فيه الثمن من المشتري إذا كان هذا الثمن معجلاً مستحقاً على المشتري أدائه فور إبرام عقد البيع^(١٤٥). فقد نص الفقهاء على قاعدة "مطلق العقد يقتضي تسليم المعقود عليه في الحال"^(١٤٦). فالعقد إذا كان غير مقيد بشرط من الشروط، فإنه يقتضي أن تترتب عليه آثاره التي أبرم لأجلها، وعلى رأسها التسليم والتسلم لما تم التعاقد عليه مباشرة من غير تأخير، فالتسليم في الحال واجب، سواء نُص على اشتراطه في العقد أم لا؛ لأنه من مقتضيات العقد التي لا تنفك عنه؛ إذ المقتضى لا ينفك عن المقتضي، ومن ثم لا يجوز اشتراط التأخير بحال من الأحوال. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأصول أبي حنيفة تقتضي أنه لا يصحح في العقود شرطاً يخالف مقتضاها المطلق، وإنما يصحح الشرط في المعقود عليه إذا كان العقد مما يمكن فسخه، ولهذا له أن يشترط في البيع خياراً، ولا يجوز عنده تأخير تسليم المبيع بحال"^(١٤٧). ويقول الكاساني: "القياس يأبى جواز التأجيل أصلاً؛ لأنه تغيير لمقتضى العقد، لأن عقد المعاوضة تملك بتمليك وتسليم بتسليم، والتأجيل ينفي وجوب التسليم للحال، فكان مغيراً لمقتضى العقد"^(١٤٨).

قال الشلبي الحنفي: "بخلاف ما إذا كان الثمن مؤجلاً إذ ليس للبائع حق حبس المبيع؛ لأنه بالتأجيل أسقط حقه في الحبس، وكذا إذا كان بعض الثمن حالاً وبعضه مؤجلاً، فله حق حبس المبيع إلى استيفاء الحال. ولو سلم المشتري جميع الثمن إلا درهماً، فله حق حبس جميع المبيع؛ لأن حق الحبس لا يتجزأ. قال في التحفة: ولو دفع المشتري إلى البائع بالثمن رهناً أو تكفل به كفيل، لا يسقط حق الحبس؛ لأن هذا وثيقة بالثمن فلا يسقط حقه عن حبس المبيع لاستيفاء الثمن"^(١٤٩). وجاء

١٤١- مسلم، المسند الصحيح، كتاب: البيوع، باب: بطلان بيع المبيع قبل القبض، (١١٦٠/٣)، رقم (١٥٢٥).

١٤٢- الخطيب الشربيني، مغني المحتاج، (٧٣/٢)، والبهوتي، كشاف القناع، (٢٠١/٣).

١٤٣- الزركشي، شرح مختصر الخرق، (١٠٨/٢). وينظر: العيني، البناية شرح الهداية، (١٧٠/١٠)، وابن قدامة، المغني، (٨٥/٤)، وابن القيم، إعلام الموقعين، (٢٥٧/٢).

١٤٤- المادة (٢٨٧) من مجلة الأحكام العدلية.

١٤٥- إدريس، إبراهيم سيد عبد الله، أحكام التسليم والقبض وأثرهما في العقود في القانون مقارناً بالفقه الإسلامي، (ص ٩٦).

١٤٦- السرخسي، المبسوط، (٩٥/١٢). وينظر: الكاساني، بدائع الصنائع، (٢٦٠/٥).

١٤٧- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٤٧١/٣).

١٤٨- الكاساني، بدائع الصنائع، (١٧٣/٥).

١٤٩- الشلبي، حاشية على تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق، (١٤/٤).



مجلة الأحكام العدلية أنه: "في البيع بالثمن الحال - أعني غير المؤجل- للبائع أن يحبس المبيع إلى أن يؤدي المشتري جميع الثمن" (١٥٠).

إما في حالة الاتفاق على تأجيل الثمن أو تقسيطه على أقساط تُستحق بعد فترة من إبرام العقد، يتوجب على البائع أن يسلم المبيع فور الانتهاء من إبرام البيع. أي يبدأ في إجراءات تسليم البضاعة. فقد جاء مجلة الأحكام العدلية أنه: "في بيع النسيئة: ليس للبائع حق حبس المبيع، بل عليه أن يسلم المبيع إلى المشتري، على أن يقبض الثمن وقت حلول الأجل" (١٥١).

المبحث الثالث

المقارنة بين الفقه والقانون

من خلال استعراض أحكام التزام البائع بتسليم البضاعة بين كل من الفقه الإسلامي واتفاقية فيينا سنة ١٩٨٠م الخاصة بعقد البيع الدولي للبضائع تبين لي اتفاق كل من الفقه واتفاقية فيينا في أوجه واختلافهما في أوجه أخرى، وسوف أعرض ذلك فيما يلي:

أولاً: أوجه الاتفاق:

١. يتفق كل من الفقه واتفاقية فيينا على أهمية التزام البائع بتسليم البضاعة، وأنه التزام جوهري. ويتجلى ذلك من خلال تركيز أحكام كل من الفقه واتفاقية فيينا على تناول أدق التفاصيل المتعلقة بتسليم البضاعة.
٢. ميز كل من الفقه واتفاقية فيينا بين طبيعة البضاعة وأثره في كيفية التسليم.
٣. يتفق كل من الفقه - جمهور الفقهاء باستثناء الحنفية - واتفاقية فيينا على أن مجرد التخلية لا يعد تسليمًا في المنقولات.
٤. يتفق كل من الفقه واتفاقية فيينا على أنه عند خلو العقد من تحديد مكان التسليم، فإن مكان البضاعة وقت إبرام العقد هو مكان التسليم.

ثانياً: أوجه الاختلاف:

١. ركزت القوانين الوطنية والدولية على التمييز ما بين عقود البيع المحلية والدولية والتمييز بين كل منهما في الأحكام الخاصة بكل منهما وذلك لطبيعة وخصوصية العقود الدولية. الأمر الذي لا نجده حاضراً بشكل واضح في الفقه الإسلامي، فغالب أحكام الفقه مبنية على أن عقد البيع يتم بين طرفين في إقليم واحد. ولعل ذلك يرجع إلى مرونة الفقه الإسلامي من خلال ما ذكر به من قواعد فقهية كلية مكنته من مواجهة تطورات الحركة التجارية حول العالم.
٢. يختلف الفقه واتفاقية فيينا في مسألة ميعاد تسليم البضاعة إذا خلا العقد من ميعاد محدد: فالفقه يرى أن ميعاد التسليم في هذه الحالة يكون حالاً فوراً. أما اتفاقية فيينا فترى أن تسليم البضاعة محل البيع يجب أن يتم خلال مدة معقولة يتم تقريرها اعتباراً من تاريخ إبرام العقد.

١٥٠- المادة (٢٧٨) من مجلة الأحكام العدلية.

١٥١- المادة (٢٨٣) من مجلة الأحكام العدلية.



خاتمة البحث

من خلال استعراضنا لأحكام التزام البائع بتسليم البضاعة في كل من الفقه واتفاقية فيينا توصلت إلى النتائج التالية:

١. يعتبر التزام البائع بالتسليم أهم التزاماته على الإطلاق.

٢. يعرف "عقد البيع الدولي" بأنه: "كل عقد دولي يلتزم فيه البائع بنقل ملكية محله من بضائع إلى المشتري، مقابل ثمن نقدي".

٣. تعد "اتفاقية الأمم المتحدة بشأن عقود البيع الدولي للبضائع في فيينا سنة ١٩٨٠م"، أهم الجهود القانونية الساعية إلى قوانين التجارة الدولية.

٤. لم تتضمن اتفاقية فيينا سنة ١٩٨٠م نصاً يعرف "التسليم". أما التسليم في الفقه فيعرف بأنه: "أن يخلي البائع بين المبيع وبين المشتري برفع الحائل بينهما على وجه يتمكن المشتري من التصرف فيه فيجعل البائع مسلماً للمبيع، والمشتري قابضاً له".

٥. تفرق اتفاقية فيينا بين ما يتعلق بمكان التسليم بين البيع الذي يتضمن نقلاً للبضاعة وغيره من البيوع: فإذا تضمن البيع نقلاً للبضاعة، فالتسليم يتم بوضع البضاعة مادياً في حيازة الناقل الأول لإيصالها إلى المشتري؛ أي: لا يكفي مجرد وضع البضاعة تحت سيطرة الناقل. أما في غير ذلك من البيوع، فيتم التسليم بوضع البائع للبضاعة تحت تصرف المشتري، وذلك في مكان وجود البضاعة متى كانت معينة بذاتها أو مفرزة، أو في المكان المعلوم لطرفي العقد متى كانت البضاعة غير مفرزة وتسحب من مخزون محدد أو تصنع أو تنتج. ويتم التسليم في غير هذه الأحوال جميعاً في المكان الذي يوجد فيه مركز أعمال البائع عند البيع.

٦. ميعاد التسليم في اتفاقية فيينا قد يكون محدداً في عقد البيع، وقد لا يحدد فيه صراحة، وإنما يكون قابلاً للتحديد بالرجوع إلى العقد. وقد لا يكون ميعاد التسليم محدداً أو قابلاً للتحديد بالرجوع إلى العقد. وفي حالة تحديد الميعاد أو قابليته للتحديد طبقاً للعقد، فقد يكون ذلك إما بتحديد:

أ) تاريخ محدد التسليم أو قابل للتحديد، كأن يتفق على أن يتم تسليم البضاعة في ٢ يوليو أو أن يتم تسليمها في أول يوم عمل بعد انتهاء إجازة عيد معين يُشار إليه في العقد.

أو قد يتم ميعاد التسليم بتحديد:

ب) مدة معينة أو قابلة للتعيين، كما لو قيل: خلال الأسبوع الأول من شهر يوليو، أو خلال الأسبوع التالي لانتهاء إجازة عيد معين في العقد، فيكون للبائع اختيار اليوم الذي يتم فيه التسليم خلال هذه المدة، إلا إذا اتفق على أن يترك هذا الاختيار للمشتري، أو تبين من ظروف الحال ترك الاختيار للمشتري.

٧. إذا لم يتضمن عقد البيع تحديد تاريخ التسليم، أو تحديد مدة معينة يتم خلالها، فإن تسليم البضاعة محل البيع يجب أن يتم خلال مدة معقولة يتم تقريرها اعتباراً من تاريخ إبرام العقد طبقاً لاتفاقية فيينا.

٨. أجمع الفقهاء على أن المبيع الذي لا ينقل كالأرض والعقار، يكفي في تسليمه التخلية بينه وبين المشتري.



٩. اختلف الفقهاء في كيفية تسليم المبيع الذي يمكن نقله "المنقولات".

١٠. مكان تسليم البضاعة في الفقه، فالأصل أن تسلم البضاعة في المكان الذي اتفق عليه البائع والمشتري. فإذا خلا عقد البيع من النص على مكان تسليم البضاعة، فإن التسليم يكون في المكان الموجود فيه البضاعة وليس في المكان الذي أبرم فيه العقد.

١١. زمن تسليم البضاعة في الفقه يكون فور الوقت الذي يتسلم فيه الثمن من المشتري إذا كان هذا الثمن معجلًا مستحقًا على المشتري أداؤه فور إبرام عقد البيع. إما في حالة الاتفاق على تأجيل الثمن أو تقسيطه على أقساط تُستحق بعد فترة من إبرام العقد، يتوجب على البائع أن يسلم المبيع فور الانتهاء من إبرام البيع.

١٢. يتفق كل من الفقه واتفاقية فيينا على أهمية التزام البائع بتسليم البضاعة، وأنه التزام جوهري. ويتجلى ذلك من خلال تركيز أحكام كل من الفقه واتفاقية فيينا على تناول أدق التفاصيل المتعلقة بتسليم البضاعة.

١٣. ميز كل من الفقه واتفاقية فيينا بين طبيعة البضاعة وأثره في كيفية التسليم.

١٤. يتفق كل من الفقه - جمهور الفقهاء باستثناء الحنفية - واتفاقية فيينا على أن مجرد التخلية لا يعد تسليمًا في المنقولات.

١٥. يتفق كل من الفقه واتفاقية فيينا على أنه عند خلو العقد من تحديد مكان التسليم، فإن مكان البضاعة وقت إبرام العقد هو مكان التسليم.

١٦. ركزت القوانين الوطنية والدولية على التمييز ما بين عقود البيع المحلية والدولية والتمييز بين كل منهما في الأحكام الخاصة بكل منهما وذلك لطبيعة وخصوصية العقود الدولية. الأمر الذي لا نجده حاضراً شكلاً واضحاً في الفقه الإسلامي، فغالب أحكام الفقه مبنية على أن عقد البيع يتم بين طرفين في إقليم واحد. ولعل ذلك يرجع إلى مرونة الفقه الإسلامي من خلال ما ذكر به من قواعد فقهية كلية مكنته من مواجهة تطورات الحركة التجارية حول العالم.

١٧. يختلف الفقه واتفاقية فيينا في مسألة ميعاد تسليم البضاعة إذا خلا العقد من ميعاد محدد: فالفقه يرى أن ميعاد التسليم في هذه الحالة يكون حالاً فوراً. أما اتفاقية فيينا فتري أن تسليم البضاعة محل البيع يجب أن يتم خلال مدة معقولة يتم تقريرها اعتباراً من تاريخ إبرام العقد.



- (١) إدريس، إبراهيم سيد عبد الله، أحكام التسليم والقبض وأثرهما في العقود في القانون مقارناً بالفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه، كلية القانون، جامعة الخرطوم، يناير ٢٠٠٩م.
- (٢) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، جدة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- (٣) البهوتي، الشيخ منصور بن يونس بن صلاح الدين الحنبلي، كشاف القناع عن الإقناع، دار عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- (٤) ابن تُمَرْتَأَشِي، الشيخ محمد بن عبد الله الحنفي، تنوير الأبصار وجامع البحار، مطبوع مع: شرح الدر المختار في شرح تنوير الأبصار وجامع البحار للحصكفي، ومعه: حاشية رد المحتار لابن عابدين وتكملة ابنه، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- (٥) التوضيح في شرح جامع الأمهات لابن الحاجب، لضياء الدين خليل بن إسحاق الجندي المالكي، تحقيق: د.أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
- (٦) ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني الحنبلي، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
- (٧) الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- (٨) حبيب، ثروت، دراسة في قانون التجارة الدولية مع الاهتمام بالبيع الدولية دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.
- (٩) ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني الشافعي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، إشراف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بتصحيح تجاربه وتحقيقه: محب الدين الخطيب، راجعه: قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م.
- (١٠) حداد، حمزة أحمد، العقود النموذجية في قانون التجارة الدولية دراسة في البيع الدولي، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.
- (١١) الخطاب، الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي الرُّعِينِي المالكي، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- (١٢) حيدر، وزير العدلية القاضي علي خواجه أمين أفندي التركي الحنفي، درر الحكام شرح مجلة الأحكام «العدلية»، تعريب: المحامي فهمي الحسيني، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
- (١٣) الخَرَشِي، العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي المالكي، شرح مختصر خليل، ومعه: حاشية الشيخ علي الصعيدي العدوي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- (١٤) الخطيب الشربيني، الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.



- ١٥) الدردير، الإمام أبو البركات أحمد بن محمد المالكي، شرح مختصر خليل «الشرح الكبير»، ومعه: حاشية الشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- ١٦) الرافعي، الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الشافعي، فتح العزيز شرح الوجيز، المعروف بـ«الشرح الكبير»، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- ١٧) الرِّصَّاع، الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري التونسي، الهداية الكافية الشافعية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، المكتبة العلمية، بيروت، ط ١، ١٣٥٠هـ، ١٩٣٢م.
- ١٨) الزرقا، الشيخ مصطفى بن أحمد، المدخل الفقهي العام: الفقه الإسلامي في ثوب جديد، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م.
- ١٩) الزركشي، العلامة شمس الدين محمد بن عبد الله الحنبلي، شرح مختصر الخِرقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- ٢٠) الزركشي، للإمام بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي، المنثور في القواعد الفقهية، تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط ٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ٢١) الزَّيَّدي، العلامة أبو الفيض مجد الدين محمد مرتضى بن محمد الحسيني الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي وآخرين، طبعة وزارة الإعلام، الكويت، ط ١، ١٣٨٥-١٤٠٦هـ.
- ٢٢) زكريا الأنصاري، الإمام أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، ومعه: بهجة الحاوي «البهجة الوردية» لابن أبي الفوارس الوردی، وحاشية ابن قاسم العبادي، المطبعة الميمنية، القاهرة، د.ت.
- ٢٣) الزيلعي، العلامة فخر الدين عثمان بن علي بن محجن الحنفي، تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق، وبهامشه: حاشية شهاب الدين أحمد الشَّيْلبي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣١٣هـ، ١٨٩٦م.
- ٢٤) سامي، أسماء مدحت، الإعفاء من المسؤولية في اتفاقية الأمم المتحدة للبيع الدولي للبضائع فيينا ١٩٨٠م، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، د.ت.
- ٢٥) السرخسي، شمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل الحنفي، المبسوط، تصحيح: راضي الحنفي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
- ٢٦) سرور، محمد شكري، موجز أحكام عقد البيع الدولي للبضائع وفقا لاتفاقية فيينا ١٩٨٠م، مقال بمجلة الحقوق، جامعة الكويت، السنة الثامنة عشرة، العدد الثالث، سبتمبر، ١٩٩٤م.
- ٢٧) السنهوري، د. عبد الرزاق أحمد، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
- ٢٨) الشرقاوي، أحمد عبد الوهاب وآخرين، جغرافية الممالك العثمانية، مشروع مصادر التاريخ العثماني، المركز الثقافي الآسيوي، دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١٨م.
- ٢٩) الشرقاوي، جميل، محاضرات في العقود الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧م.



- ٣٠) الشرقاوي، محمود سمير، العقود التجارية الدولية: دراسة خاصة لعقد البيع الدولي للبضائع، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢م.
- ٣١) ابن الشَّحْنَة، أبو الوليد لسان الدين أحمد بن محمد بن محمد الحلي الحنفي، لسان الحكام في معرفة الأحكام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
- ٣٢) الشَّيْبَانِي، شهاب الدين أحمد الحنفي، حاشية على تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدين الزيلعي، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣١٣هـ، ١٨٩٦م.
- ٣٣) شفيق، محسن، اتفاقية الأمم المتحدة بشأن البيع الدولي للبضائع: دراسة في قانون التجارة الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ٣٤) شفيق، محسن، اتفاقيات لاهاي لعام ١٩٦٤م بشأن البيع الدولي للمنقولات المادية: دراسة في قانون التجارة الدولية، مجلة القانون والاقتصاد، السنة (٤٣)، العدد الثالث، سبتمبر، ١٩٧٤م.
- ٣٥) الصحيح، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٣٧٥هـ.
- ٣٦) ابن عابدين، العلامة محمد أمين الحنفي، حاشية رد المحتار على الدر المختار لعلاء الدين الحصكفي شرح متن تنوير الأبصار وجامع البحار لابن مُرْتَأَشِي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- ٣٧) عبد الحميد، خالد، فسح عقد البيع الدولي للبضائع وفقاً لاتفاقية فيينا لعام، ١٩٨٠م، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ٣٨) عبيد، رضا محمد إبراهيم، الالتزام بالتسليم في القانون الموحد للبيع الدولي للبضائع، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ١٩٧٩م.
- ٣٩) العيني، الإمام بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد الحنفي، البناية في شرح الهداية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- ٤٠) الفيروزآبادي، الإمام العلامة اللغوي أبو إسحاق مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
- ٤١) ابن قدامة، الإمام الفقيه مَوْفَّقُ الدين عبد الله بن أحمد الجَمَاعِي الحنبلي، الكافي في فقه ابن حنبل، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- ٤٢) ابن قدامة، الإمام الفقيه مَوْفَّقُ الدين عبد الله بن أحمد الجَمَاعِي الحنبلي، المغني شرح مختصر الخرقي، مكتبة القاهرة، القاهرة، د.ط، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
- ٤٣) القرافي، الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المالكي، الذخيرة، تحقيق: د. محمد حجي، أ. محمد بوخبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
- ٤٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لسلطان العلماء الإمام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي، تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف، بيروت، د.ت.



- ٤٥) ابن القيم، الإمام محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الحنبلي، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
- ٤٦) الكاساني، الإمام علاء الدين أبو بكر مسعود بن أحمد الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
- ٤٧) لجنة من فقهاء الخلافة العثمانية، مجلة الأحكام العدلية، مطبوعة مع شرحها: درر الأحكام شرح مجلة الأحكام، لوزير العدلية القاضي علي حيدر خواجه أمين أفندي التركي الحنفي، تعريب: المحامي فهمي الحسيني، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
- ٤٨) ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، السنن، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
- ٤٩) المازري، الإمام أبو عبد الله محمد بن علي المالكي، شرح التلقين، تحقيق: د. محمد المختار السلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- ٥٠) المطرزي، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي، المغرب في ترتيب المغرب، دار الكتاب العربي، د.ت.
- ٥١) ابن منظور، الإمام العلامة جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- ٥٢) ابن نجيم، الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن محمد الحنفي، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ومعه: تكملة البحر الرائق للعلامة الطوري القادري، وبهامشه: منحة الخالق على البحر الرائق لابن عابدين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٣٤هـ، ١٩١٦م.
- ٥٣) نظام الدين، الشيخ نظام الدين البلخي وجماعة من علماء الهند الأعلام، الفتاوى الهندية العالمية، ومعه: الفتاوى البرازية والفتاوى الخاتية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط٢، ١٣١٠هـ، ١٨٩٣م.
- ٥٤) النووي، الإمام الفقيه أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الشافعي، المجموع شرح المذهب، يليه: تكملة السبكي والمطيعي، ومعه: فتح العزيز للرافعي، والتلخيص الحبير لابن حجر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- ٥٥) النووي، الإمام الفقيه أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الشافعي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ومعه: منتقى الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- ٥٦) هاني، أحمد، الفحص والإخطار كواجب على المشتري في اتفاقية الأمم المتحدة بشأن عقد البيع الدولي للبضائع، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة المنوفية، د.ت.
- ٥٧) ابن الهمام، الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي الحنفي، فتح القدير للعاجز الفقير، شرح على الهداية شرح بداية المبتدي، ومعه الهداية شرح بداية المبتدي لبرهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني، ومعه شرح العناية على الهداية لأكمل الدين محمد بن محمود البابرتي، وحاشية المحقق سعد الله بن عيسى الشهيري وسعدي جلي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.



تحديات الحوار في الفكر الإسلامي وسبل تعزيزها

أ.د. صفية عبد الله أحمد بخيت* ١ د/ وفاء احمد الغامدي* ٢

د/ هدى عبدربه القرشي* ٣ د/ فائزة حميدان الصاعدي* ٤

تدقيق ومراجعة: أ.د/ حنان سرحان النمري

المستخلص

هدف البحث إلى معرفة التحديات النفسية والتعليمية واللفظية للحوار في الفكر التربوي الإسلامي، وسبل تعزيزها، واستخدمت الباحثات المنهج النوعي الاستقرائي، وقد تمّ تخطيط الدراسة في إطار عام، شمل: المقدمة، والمشكلة، والأسئلة، والأهداف، والأهمية، والمنهج، والمصطلحات، والدراسات السابقة، ثم إطار نظري، اشتمل على ثلاثة محاور، عرض المحور الأول: التحديات النفسية للحوار في الفكر التربوي الإسلامي وسبل تعزيزها، وتناول المحور الثاني: التحديات التعليمية للحوار في الفكر التربوي الإسلامي وسبل تعزيزها، وبينما كشف المحور الثالث عن التحديات اللفظية للحوار في الفكر التربوي الإسلامي وسبل تعزيزها، وانتهى البحث باستخلاص النتائج، والتوصيات.

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج، من أهمها:

إنّ الحوار والانفتاح بين الأمم والحضارات أمرٌ ضروريٌّ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧ الدعوة إلى لانفتاح والعالمية تنطلق من قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات: ١٣،

أنّ العصر الحالي يتسم بالتدفق المعرفي والتقدم التكنولوجي والانفتاح العالمي؛ إلّا أنّ الواقع يحتاج إلى المزيد من فهم ثقافة الحوار والتواصل مع الآخر، واحترام الرأي المخالف.

أنّ الحوار صفةٌ ملازمةٌ للإنسان، وممارسته مع الآخرين ليست هدفًا في حدّ ذاتها، وإنما وسيلةٌ الهدف منها تحقيق الرضا النفسي، والتواصل والتقارب بين أفراد المجتمع؛ من خلال الثقة المتبادلة بين المتحاورين، والتواضع ولين الجانب، والرفق، والتأني، وسعة الصدر، والبعد عن المداهنة، والاعتماد على الحقيقة في الحوار،

وما يميز به العالم الإسلامي من تحديات مدعاة أكثر إلى الالتفات حول منهج الحوار؛ لمواجهة التحديات النفسية. ولتجاوز التحديات التي تواجه الحوار التعليمي، وتجعله حوارًا فعليًا لا بد أن يلجأ المحاور إلى ما ورد في مصادر التشريع الإسلامي من قواعد بنّاءة للحوار، كقيلةً بإنجاح الحوار، وتعزيزه؛ في تقبّل الطرف الآخر، والانطلاق من احتياجات المتحاورين، والاعتماد على الحقيقة معيارًا للحوار، واستخدام الأساليب المتنوعة، واستخدام المنهجية العلمية، والاعتماد على الأدلة العقلية في الحوار. ولا بد من التركيز على تعليم الأجيال أساليب جديدة، تتماشى مع اتساع دائرة العلم والمعرفة، وتؤدي إلى تنمية الثقافة، ومعرفة أساليب الإقناع، وهندسة الحوار؛ من خلال استراتيجيات وطرائق التعليم وأساليبه؛ التي تتناغم مع تلك المتطلبات، وتحقق الهدف منها. بالإضافة إلى إن نجاح الحوار مرهونٌ بمواجهة التحديات



اللفظية، وتعزيزها؛ للوصول على حوار هادف بنّاء؛ يقوم على القول الحسن، والكلمة الطيبة، والأسلوب الجزل، والأدب في السؤال، والبعد عن الإساءة والتجريح، واعتماد التلميح لا التصريح، والبعد عن التعميم والتحدي والإقحام.

وفي ضوء تلك النتائج أوصت الباحثات بضرورة نشر الوعي، وتنمية الاتجاهات الإيجابية نحو الحوار التعليمي بين المعلم والمتعلم، وضرورة رسم خارطة معرفية تقوم على الحوار ومهارات التواصل، ومشاطرة الآخرين أفكارهم؛ إذ إنّ ساحة العالم أصبحت ميداناً للأخذ والعطاء، وضرورة الاهتمام بملاحح الحوار الفعّال الهادف، وتعليمها للأجيال، والتدريب عليها باستمرار؛ للحصول على جيلٍ واعٍ مثقف، ينهج الحوار البناء في كشف الحقيقة، ورسم معالم المستقبل.

المقدمة:

إنّ بناء وتطوير المجتمع أمرٌ يتطلّب تغذيةً مستمرةً ومثابرةً، كما أنّ لكلّ فردٍ دورًا يلعبه في بناء مجتمع أكثر صحةً وفعاليةً، والخيارات التي نعتمدها في المنزل والعمل والمدرسة واللعب وأماكن العبادة تحدّد بشكلٍ كبيرٍ ضوابط الصحة الفردية والحيوية المجتمعية، ومجتمع الشباب هو أساس بناء الأمة ونهضتها وتطورها، وهو الذي يوضع على كاهله بناء الأوطان في المجتمعات المحلية التي تساعد على إحداث التغيير الإيجابي.

ويشهد العالم من بداية التسعينات فيضًا من التحولات التي تعكس في مجملها التحولات والتغيرات في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية، بالإضافة إلى بروز ظاهرتي التطرّف والعنف المرتبطتين بالهوية الدينية والعرقية، فضلاً عن دخول بعض المجتمعات في صراعاتٍ دمويةٍ بين أطرافها، كلّ ذلك يفرض علينا الاهتمام بتجاوز الركود والجمود العلمي، وبذل المزيد من الجهود التوعوية؛ من أجل استعادة قيم الحوار المجتمعي بين شباب الأمة؛ الذي يُعدّ القلب النابض والمستقبل المنتظر للأمة العربية. ومن هنا تأتي ضرورة التغيير لاستيعاب التغيرات العالمية، والوعي بها، والاستفادة منها؛ دون عنصرية أو انغلاق، لاسيما إذا ما استطعنا إيجاد مزاجية هادئة بين القدرة على مواكبة التغيرات والثقة بالذات؛ دون تهميش أو تغييب لجهود الشباب (بدر الدين، ٢٠٠٨، ٢١٨).

والحوار من أبرز أساليب الإقناع، وحل المشكلات، وهو أهمها للتواصل الفكري والثقافي والاجتماعي التي تتطلّبها الحياة في المجتمع المعاصر؛ لما له من أثرٍ في تنمية قدرة الأفراد على التفكير والتحليل والاستدلال، وهو من الأنشطة التي تحرّر الإنسان من الانغلاق والانعزالية، وتفتح أمامه قنوات التواصل؛ ليكسب من خلالها المزيد من المعرفة والوعي" (اللبودي، ٢٠٠٣، ١٥). فهو بذلك خير وسيلة لبناء شخصية الفرد وتشكيلها، وهو من الأساليب التي تساعد على غرس القيم والأداب والأخلاق، وزيادة الثقة بالنفس، بالإضافة إلى أنّه من العوامل الداعمة لأواصر المحبة والتعاون بين أفراد الأسرة، وكذا المجتمع، وبالتالي تحقيق التآلف، والقضاء على الفرقة، وحل النزاعات. وعلى العكس من ذلك، فإنّ انعدام الحوار يؤدي إلى الوقوع في النزاعات، وزيادة الفرقة، بالإضافة إلى انعدام الثقة بين أفراد الأسرة وتفككها، وبالتالي تفكك المجتمع.

ويُتضح مما سبق أنّ الحوار هو البديل عن الفوضى العارمة في الأفكار والمفاهيم والاتجاهات، فحين ينغلق الأفق وتُسدّ المنافذ أمام الحوار القائم على معايير منطقية في جَوِّ تسوده الحرية والاحترام، سينغلق كلّ صاحب فكرٍ على نفسه، ويحاط مريدوه بسياجٍ يحجبهم عن الآخر، وفي هذا خطرٌ جسيمٌ على المجتمع، يجعله عرضةً للفوضى والاضطراب الداخلي في أيّة لحظة، فالحوار هو أهم وسيلة لتعميق الوحدة، وتعظيم القواسم المشتركة بين أبناء المجتمع. وبالحوار تنضج الأفكار،



وتستخرج الأمة أفضل ما لديها؛ مما يُسهم في نهضتها ورفقيها، فالأمة ترقى وتتقدم بسمو الفكر الذي يحمله أبنائها، وعليه فإنَّ فتح أبواب الحوار بين جميع أبناء المجتمع في كل ما يعرض لهم من قضايا فكرية واجتماعية وسياسية والاستجابة لمخرجات هذا الحوار هو السبيل الأمثل لتجاوز حالة الجمود الفكري والحضاري التي تعيشها الأمة.

ورغم أهمية الحوار وما يترتب عليه من آثار إيجابية فإنَّه في الواقع يواجه العديد من التحديات، ولعلَّ من أبرزها التحديات النفسية والتعليمية واللفظية التي تحاول الورقة الحالية استجلائها.

أسئلة البحث:

يجيب البحث الحالي عن السؤالين التاليين:

- ما التحديات النفسية والتعليمية واللفظية للحوار في الفكر التربوي الإسلامي؟
- ما سبل تعزيز التحديات النفسية والتعليمية واللفظية للحوار في الفكر التربوي الإسلامي؟

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى معرفة التحديات النفسية والتعليمية واللفظية للحوار في الفكر التربوي الإسلامي، وسبل تعزيزها.

أهمية البحث:

تستمدُّ الدراسة الحالية أهميتها من أهمية الموضوع الذي تناولته، وذلك كالتالي:

- يُعدُّ الحوار صورةً من صور الاتصال بالناس، وإثراءً للعلاقات الاجتماعية، وسبيلاً للتعاون بين الناس، والانفتاح عليهم، والاستفادة من وجهات النظر المختلفة؛ مما يؤدي إلى تنقيح الآراء، وتبادل الأفكار، ونقل العلوم والمعارف والخبرات. فالحوار بكافة صوره وأشكاله ومسمياته.
- يعتبر الحوار لغة هذا العصر، بل هو لغة كلّ عصرٍ، وهو لغة التوحيد والتشريع، ولغة الأنبياء والمرسلين، ولغة التفاهات والتعاون بين سائر الخلق أجمعين، لغة إنَّ لم تسبق السلاح فليس بعدها إلاَّ العويل والنواح، "وعلينا أن نأخذ بأحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا من وسائل الحوار، وعرض الأفكار، والردي على الإشاعات، وإيضاح الصورة الحقيقية للإسلام" (الجوزو، ٢٠٠٢، ٤٤٦).
- إن معرفة التحديات التي تواجه الجوار مدعاة الى تجاوزها .



منهج البحث:

اعتمدت الباحثة على المنهج النوعي الاستقرائي؛ للوصول إلى التحديات النفسية والتعليمية واللفظية للحوار، وسبل تعزيزها؛ من خلال استقراء الأدبيات المتخصصة، والدراسات السابقة ذات العلاقة، واستنباط تلك التحديات وسبل تعزيزها.

الدراسات السابقة:

دراسة عسيري (٢٠٢٠): هدفت إلى تناول متطلبات تعزيز الحوار والتماسك الاجتماعي بصورة تحليلية من منظور التربية الإسلامية، واستخدمت المنهج الوصفي والأصولي، وتكونت الدراسة من إطار عام، شمل المقدمة، والمشكلة، والأسئلة، والأهداف، والأهمية، والمنهج، والمصطلحات، والدراسات السابقة، ثم إطار نظري، اشتمل على ثلاثة محاور، عرض المحور الأول: الإطار المفاهيمي للحوار من منظور التربية الإسلامية، وتناول المحور الثاني: ملامح التماسك الاجتماعي في التصور التربوي الإسلامي، بينما تناول المحور الثالث: متطلبات تعزيز الحوار والتماسك الاجتماعي من منظور التربية الإسلامية، وكان من أبرز النتائج ما يلي: يُعدُّ التماسك أساساً من الأسس التي يجب أن تقوم عليها العلاقات الاجتماعية بين الناس، فهو ضرورة من أجل سلامة المجتمع، واستقراره، واستمراره، كما يُعدُّ الحوار من أبرز أساليب الإقناع، وحل المشكلات، وهو أهم وسائل التواصل الفكري والثقافي والاجتماعي؛ التي تتطلبها الحياة في المجتمع المعاصر، كما أنه البديل عن الفوضى المنتشرة في الأفكار والمفاهيم والاتجاهات، ولتعزيز الحوار والتماسك المجتمعي ينبغي توافر المتطلبات التالية: التربية على المواطنة والانتماء، وتفعيل دور الإعلام الإسلامي في توجيه عناصر الشخصية، وقيام المجتمع على المساواة بين أبنائه، وتحقيق المؤاخاة بين أفراد المجتمع، واعتماد الحوار البناء بين جميع فئات المجتمع، والرفق المتبادل بين فئات المجتمع، والتشجيع والتحفيز المتبادل بين فئات المجتمع، والثقة المتبادلة بين أبناء المجتمع، وتفعيل حوار التعاون العلمي بين جميع فئات المجتمع، والتكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع، وتنظيم العلاقة مع غير المسلمين، وتفعيل حوار التقارب والتعايش، وتحقيق التوازن بين طبقات المجتمع، وتقرير وحدة الأمة ووحدة القيادة، وتعزيز المسؤولية الاجتماعية بين أبناء المجتمع.

دراسة السيد (٢٠١٦): هدفت إلى بيان كيفية إسهام الوالدين في تنمية شخصية طفل المرحلة الابتدائية من خلال أساليب الحوار، واستخدمت المنهج الوصفي، وعرضت الدراسة لمفهوم الحوار وأهميته، وأساليب الحوار التي يمكن توظيفها في تنمية جوانب شخصية الطفل، وكان من أهم نتائجها: أنَّ الحوار مع الأطفال يؤثر في تشكيل أخلاقهم، وأفكارهم، وسلوكياتهم؛ حيث تُعدُّ تربية الأطفال على الحوار من أحسن الوسائل الموصلة إلى تعديل سلوكياتهم، وتقوية العلاقات الأسرية، وللحوار مع الأطفال ضوابط وآداب كثيرة تضمن نجاحه، وإكسابه قيمته العلمية، وهذه الضوابط تتمثل في: مراعاة خصائص النمو وحاجاته، والحرص على الرفق واللين والحنان أثناء الحوار؛ مع وجود الثقة والاحترام المتبادلين، والحرص على حسن الاستماع والإنصات، بالإضافة إلى ضبط النفس وتحمل الخطأ من الأطفال؛ مع مخاطبتهم على قدر عقولهم، واختيار الوقت والمكان والظروف المناسبة للحوار معهم؛ مع مراعاة مشاعرهم، وتقديرها، والاعتراف بها، كما أنَّ هناك عقبات للحوار مع الأطفال، من أبرزها: جهل الوالدين أو أحدهما بأهمية الحوار مع الطفل، وجدواه، وضوابط الحوار مع الأطفال، وانعدام الثقة بين الوالدين والأطفال، وانشغال الوالدين وقلة الوقت للحوار مع الأطفال، بالإضافة إلى عدم تعويد الأطفال على الحوار في مرحلة الطفولة المبكرة، كما توصلت الدراسة إلى أنَّ للوالدين دورهما



التربوي الفعّال في تنمية كافة جوانب شخصية طفل المرحلة الابتدائية؛ عن طريق الحوار، وأنّ للحوار مع الأطفال أساليب يمكن توظيفها في تنمية جوانب شخصية طفل المرحلة الابتدائية، وهذه الأساليب هي: أسلوب المشاورة، وأسلوب الأسئلة والمناقشة، وأسلوب حل المشكلات، وأسلوب الأوامر والنواهي، وأسلوب التوجيه، وأسلوب الخطاب المباشر للطفل، وأسلوب استغلال المناسبات والفرص، وأسلوب الرواية، وأسلوب الأحكام.

دراسة البقمي (٢٠١٤): هدفت إلى الكشف عن دور الإعلام في الدول العربية والإسلامية في تعزيز ثقافة الحوار، وتكوّنت الدراسة من مقدمة وأربعة مباحث، تناول المبحث الأول تعريف الحوار، وأهدافه، وعرض المبحث الثاني للموقف من الحوار، وكشف المبحث الثالث عن دور الإعلام في تعزيز ثقافة الحوار، أما المبحث الرابع فقد عرض لواقع الإعلام في الدول العربية والإسلامية، ثم قدّم البحث مجموعة من التوصيات منها: يلزم إعادة صياغة ميثاق شرف الإعلام بين الدول العربية والإسلامية، وتفعيلها بشكل تطبيقي؛ لتأسيس بيئة إعلامية تسودها لغة التفاعل الإيجابي بين العرب والمسلمين؛ من منطلق المصلحة المشتركة أولاً، والمصلحة مع الآخر المختلف ثانياً، وبما يحقق مصالح الجميع، وتفعيل دور الجاليات العربية والإسلامية في الغرب، وإشراكهم في صياغة ثقافة حوارية مناسبة مع الآخر، وإيجاد مرجعية قانونية إعلامية على مستوى الوطن العربي والإسلامي؛ لفض النزاعات، ومعاينة وسائل الإعلام المتجاوزة.

دراسة فلمبان (٢٠١١): سعت الدراسة إلى التعرف على دور الحوار في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري. وأظهرت نتائجها: أنّ ثقافة الحوار بما تتضمنه من أصول وآداب بين أوساط الشباب والأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع ضعيفة جداً، أو تكاد تكون معدومة أثناء اللقاءات والمناقشات، كما أنّ كثيراً من الشباب يفتقدون إلى الحوار المفيد والبناء معهم من قبل الأسرة والمدرسة والجامعة، وبالتالي فهم يعانون من شحّ فرص التعبير عن حاجاتهم ورغباتهم، والتنفيس عن مشكلاتهم، كما ألمحت الدراسة إلى أنّه ومن خلال أسئلة الشباب واستفساراتهم أثناء الحوار معهم يمكن الكشف عن بعض المفاهيم الخاطئة، والاتجاهات السلبية لديهم، وأكدت الدراسة افتقاد المربين والمربين بعض أساليب التواصل بينهم وبين الشباب، والتي من أهمها الحوارات والمناقشات.

دراسة القحطاني (١٤٣٠): وهدفت إلى تعرف دور الأسرة في تنمية الحوار لدى الأبناء من منظور تربوي إسلامي، وخُصّصت الدراسة إلى أنّ ثقافة الحوار تحظى بمكانة مرموقة في الفكر التربوي الإسلامي؛ مع ضرورة تحديد منهجية علمية له في الأسرة وبين أفراد المجتمع، كما أكدت الدراسة على أنّ المستوى التعليمي للأسرة يعدّ واحداً من أكثر المتغيرات تأثيراً في تفعيل دور الأسرة في تنمية الحوار لدى الأبناء، وتضمّنت الدراسة تصوراً لتنمية الحوار لدى الأبناء.

المحور الأول: التحديات النفسية للحوار في الفكر التربوي الإسلامي وسبل تعزيزها

مفهوم الحوار:

يعد مفهوم الحوار أحد المفاهيم القديمة التي تعود إلى ما قبل الفلاسفة اليونانيين، والذين تناولوا الحوار كأحد العناصر الأساسية للحياة والتعلم، وقاموا بتطويره، وأضافوا إليه الكثير من الآليات والأنماط والأشكال، فالحوار أحد الأدوات الفعّالة في البحث والكشف عن الحقائق والعناصر غير الظاهرة، كما أنّه وسيلة فعّالة في الإجابة عن العديد من أدوات الاستفهام والإشكاليات العقلية التي قد لا يجد لها الفرد حلولاً واضحة، وهو أداة تتضجّ بها الأفكار والقرارات (عقيل، ٢٠١٢، ٧٨).



والحوار أحد الأدوات المهمة التي تعمل على تعزيز وتنمية العلاقات الاجتماعية في البيت، ومكان العمل، والمدرسة، والمسجد، ووسائل الإعلام، وجميع مؤسسات المجتمع، بل إنَّ الحوار هو أحد المحددات الأساسية للرفق والتقدم والتطور في المجتمعات، وهو أحد مؤشرات التنمية والتطوير في المجتمع (بو هزاع، ٢٠١٤، ٤١٥).

وللحوار آثارٌ نفسيةٌ على المتحاورين؛ من حيث تدريب الإنسان على قبول الحقِّ والإذعان إليه، واحترام الآخرين، وتقدير آرائهم، كما أنَّه يُسهِّم في تحرير الإنسان من مشاعر العدوانية للآخرين، ومن الخوف والقلق والتوجس من الآخر، وهو وسيلةٌ لتعديل السلوك؛ من خلال تغيير قناعات الأفراد؛ إذ إنَّ الخطوة الأولى في تعديل السلوك هي تغيير الأفكار والقناعات، ودمج هذه القناعات في البناء الفكري للشخص، وهذا سينعكس حتمًا على سلوكهم (الصعامنة، ٢٠١٦، ٦٦٠).

فوائد الحوار وأهميته:

تبدو فوائد الحوار وأهميته للفرد ومن ثمَّ للمجتمع فيما يلي:

- الحوار ينمي سلوكيات الأفراد في التعامل مع الآخرين، واحترام آرائهم، وتقدير مشاعرهم (عبد الجواد، ٢٠٠٥، ١٦).
- إنَّ الحوار بين الأطفال والوالدين يقود "إلى الصراحة وتلافي الخوف، ويدفع إلى الحديث المتواصل مع الآباء والأمهات، والإعراب عن طموحاتهم وأمانيتهم، حتى وإن كانت تتعارض مع بعض رغبات الآباء والأمهات" (عبد الجواد، ٢٠٠٥، ٢١)، وهذه الصراحة بين الأبناء والوالدين تمنح الأبناء الإحساس بثقة آبائهم؛ مما يجعلهم يتصرفون بشكلٍ طبيعيٍّ مع البعد عن الكذب، فتقوى علاقة الأبناء بالوالدين، وتُحمى الفواصل بينهم، وبالتالي فإنَّ هذه الثقة تمكِّن الوالدين من الوقوف على مشكلات الأبناء أوَّلًا بأولٍ، والعمل على حلِّها.
- يُعدُّ الحوار من أهم ألوان النشاط اللغوي للصغار والكبار على السواء، فهو إضافة إلى أنه يجوِّد عملية الكلام لدى الأبناء وقدرتهم على التعبير، فهو أيضًا يجوِّد عملية استماعهم (أبو شريخ، ٢٠٠٥، ١٣٢).
- الحوار وسيلةٌ للوصول إلى إقناع الطفل؛ حيث يرفع قدرته على الوصول إلى مرحلة النضج في المجال الاجتماعي والأخلاقي.
- الحوار "أقوى دافعٍ يحرك لسان الإنسان، ويوقظ ملكاته، ويطلق جميع القوى الكامنة فيه؛ بحثًا عن الكلمات التي يضعها على شفثيه؛ ليصور بها ومنها ما يريد من محاوره نفسه أو الآخرين" (الفتياني، ٢٠٠٥، ٥).
- يزرع الحوار الهادئ القيم والمبادئ التي لا ينساها الأبناء؛ ذلك أنَّ المعلومات التي يحصلها الإنسان من خلال التحوار والمشاركة هي أكثر المعلومات ثباتًا (بدري، ٢٠٠٦، ٧٨).
- الحوار "أحد الطرق والأساليب المُعينة في التربية والتعليم؛ حيث يساعد على غرس القيم والآداب والأخلاق الإسلامية في نفس المتعلم" (المغامسي، ٢٠٠٤، ٤٨).



التحديات النفسية للحوار وسبل تعزيزها:

تتعدد الآثار والتحديات النفسية للحوار، ولعل أبرزها يستدعي الالتزام بأدابه وأخلاقياته، ويمكن الإشارة لأبرز هذه الآثار المتصلة بأدابه وأخلاقياته على النحو التالي:

١. **الثقة المتبادلة بين المتحاورين:** تُعدُّ الثقة بين المتحاورين من أبرز التحديات النفسية للحوار؛ ولذا فإنَّ من أهم ما يميز المجتمع الإسلامي العلاقة القوية التي تربط أفرادَه، فالتعامل بين أفراد المجتمع قائمٌ على أساس الأخوة التي أشار إليها القرآن بقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (سورة الحجرات، الآية: ١٠)، وشبَّه النبي ﷺ العلاقة التي تربطهم بالبنين الذي يشدُّ بعضه بعضاً، فعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَكَ أَصَابِعَهُ" (البخاري، ١٤٢٢ هـ، رقم ٤٨١)، بل وشبَّههم بالجسد الواحد الذي يعتلُّ جميعه باعتلال جزء منه، فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى" (البخاري، ١٤٢٢ هـ، رقم ٦٠١١).

فمن هذا المنطلق حَرَصَ الرسول ﷺ على غرس الثقة في نفوس المؤمنين تجاه بعضهم البعض؛ وذلك من خلال الحقوق والواجبات التي جاءت بها الشريعة الإسلامية؛ لتحقيق للمجتمع الاستقرار في جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ومن الأساليب التي استخدمها النبي ﷺ لتعزيز الثقة في مجال الحياة الاجتماعية، الحثُّ على رعاية الحقوق واحترامها، فوجد الشريعة جاءت لتحثَّ على بر الوالدين والعناية بهما، فعن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله أيُّ العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها» قلت: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» فسكت عن رسول الله ﷺ ولو استزددته لزداني (البخاري، ١٤٢٢ هـ، رقم ٢٧٨٢). ونبَّه رسول الله ﷺ على ضرورة تربية الأبناء التربية السليمة، والحرص على تخلقهم بأجمل الخصال، فقال ﷺ: «ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن» (الترمذي، ١٩٩٨، رقم ١٩٥٢)، كما تكفَّل الرسول ﷺ لليتيم بحقوقه، عن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينهما شيئاً (البخاري، ١٤٢٢ هـ، رقم ٥٣٠٤).

وكفَّل الإسلام حقوق المرأة الأرملة، فعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار» (البخاري، ١٤٢٢ هـ، رقم ٥٣٥٣).

كما جعل الثواب العظيم لمن قام على المطلقة، فعن سراقه بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أدُلُّكَ عَلَى الصَّدَقَةِ أَوْ مِنْ أَعْظَمِ الصَّدَقَاتِ؟ ابْنَتُكَ مَرْدُودَةٌ عَلَيْكَ لَيْسَ لَهَا كَاسِبٌ غَيْرُكَ» (الحاكم، ١٩٩٠، ج ٤، رقم ٧٣٤٥، ١٩٥) ونبَّه أيضاً إلى حق الجار وحرَمَ إيذاءه، فعن أبي شريح: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقِهِ» (البخاري، ١٤٢٢ هـ، رقم ٦٠١٦).

كما اهتمَّ الرسول ﷺ بالحقوق اهتمَّ أيضاً بإشاعة روح المحبة والاحترام، والتعاون بين المسلمين، فنراه يحثُّ على احترام الكبير ورحمة الصغير، فعن أنس رضي الله عنه قال: جاء شيخٌ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا» (أبو داود، ٢، ١٩٩٨، رقم ٤٩٤٣، ٢١٠٥)



كما شجّع الرسول ﷺ على الابتسامة، فجعلها من باب الصدقة، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإمطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة» (الترمذي، ١٩٩٨، رقم ١٩٥٦).

ومن باب تعزيز ثقة المؤمنين ببعضهم نهاهم النبي ﷺ عن سوء الظن فيما بينهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يؤثر عن النبي ﷺ قال: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث» (البخاري، ١٤٢٢هـ، رقم ٥١٤٣)، والواجب على مَنْ يسمع ذكر أخيه المؤمن بسوء أن يذنب عنه، فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (الترمذي، ١٩٩٨، رقم ١٩٣١)، ولقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على هذا التوجيه النبوي، ويظهر ذلك في قصة توبة كعب بن مالك، فعنه رضي الله تعالى عنه قال: ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكًا، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك؟». قال رجل من بني سلّمة: يا رسول الله حبسه بُزْدَاهُ وَالنَّظْرُ فِي عِطْفِيهِ، فقال له معاذ ابن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلّا خيرًا (القشيري، ١٤٢٤هـ، رقم ٢٧٦٩). فردّ معاذ رضي الله عنه عن عرض أخيه وأحسن الظن به، بل إنَّ الله جلَّ وعلا يضع لنا منهجًا في التعامل مع مثل هذه الحالات التي يُشاع فيها سوء الظن عن المسلم، فضلاً عمَّنْ عُرفَ بالتقوى والصلاح؛ حيث يقول في حادثة الإفك التي لم يسلم فيها عرض خير البرية من إساءة الظن به من قبل المنافقين: قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة النور، الآية: ١٢)، ففي الآية عتابٌ من الله تعالى للمؤمنين في ظنهم حين قال أصحاب الإفك ما قالوا؛ لأنَّ الواجب أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم. وروي أنَّ هذا النظر السديد وقع من أبي أيوب وامرأته رضي الله تعالى عنهما، فعن محمد بن عمرو، عن أبيه، عن بعض الأنصار أنَّ امرأة أبي أيوب قالت له حين قال أهل الإفك ما قالوا، فقال لها: يا أم أيوب أكنتِ تفعلين ذاك؟ فقالت: لا والله، فقال: فعائشة والله خيرٌ منك وأطيب، فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة النور، الآية: ١٢، يعني قول أبي أيوب لأم أيوب، وكان أبو أيوب قال لها: إنَّ الذين قالوا لها هو إفك (ابن راهويه، ج ٣، ١٤١٢هـ، رقم ١٦٩٨، ٩٧٨).

٢. **البعد عن المداهنة في الحوار:** فالمداهنة في اللغة مأخوذة من الدهن: دهنَ المطر الأرض بلّها بللاً يسيراً كالدهن الذي يدهن به الرأس، والإدهان في الأصل مثل التدهين، لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة، وترك الجد (الأصفهاني، ١٤١٨هـ، ١٨، وابن منظور، ١٤١٧هـ، ج ١٣، ١٦٢). أمّا التعريف الاصطلاحي: فلا يتفق مع اللغوي، فمن تعريفات المداهنة الاصطلاحية: إظهار خلاف ما يبطن أو ما يضمّر، وهي معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه؛ من غير إنكار عليه (ابن حجر، ٢٠٠١، ج ١٠، ٥٢٨). قال الله تعالى: (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) [القلم: ٩]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((ودوا لو ترخص لهم فيرخصون)) (الطبري، ١٤٢٢هـ، ج ٢٣، ٢٦٢)، فالآية تبين توجيه الله سبحانه لرسوله ﷺ، وتحذيره له من مصانعة كفار قريش؛ وذلك بالسكوت عن عيب دينهم وآلهتهم؛ لأنَّ هذا الفعل يناقض المبدأ الأول الذي بُعث الرسول ﷺ من أجله، وهو الدعوة إلى توحيد الله وعبادته، ولا ينبغي هنا المداراة؛ حيث يُخدش الدين، ويُرتكب المنكر، وتُساء الظنون (الألوسي، ١٩٨٥، ٣٢٤).



ولقد جاءت النصوص الشرعية أمرة المؤمنين بالصدع بالحق وعدم كتمانها، وتحذيرهم من الوقوع في المحذور الذي وقع فيه بنو إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فالمداينة ليست من شيم المسلم ولا سمته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

٣. **اللين والرفق في لغة الحوار:** ينبغي التواصل باللين والرفق بين المتحاورين، فكلُّ منهما يسعى لإثبات حجته؛ دون النظر للآخر، وكان هدفه التفوق على محاوره، وليس الوصول إلى حقيقة الأمر المتحاور فيه؛ ولذا أمر تعالى نبينا محمد ﷺ بالرفق واللين فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران، ١٥٩). وقد حث النبي ﷺ على الرفق واللين، ووضَّح أهميته، فعن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ الرفق لا يكون في شيءٍ إلَّا زانه ولا ينزع من شيءٍ إلَّا شانه)) (مسلم، ٢٠٠٦، ج ٤، رقم ٢٥٩٤، ص ٢٠٠٤).

وانطلاقاً من الآيات والأحاديث التي تأمر بالرفق واللين؛ لما له من أثر عظيم في تحقيق الطمأنينة والسكينة في النفوس، وتقبل الحوار والتوجيهات والتعليمات ترى الباحثات أنَّ على الوالدين إدراك أنَّ الحوار مع الأطفال في هذه المرحلة العمرية يحتاج إلى الرفق والحنان، فهم يحتاجون إلى ذلك أكثر من غيرهم، فخصائص وحاجات نموهم ونفسياتهم وأفكارهم تختلف عن غيرهم من الكبار؛ إذ تنقصهم الخبرة والفهم السليم للمواقف، فالرفق واللين عند الحوار مع الأطفال يجعلهم متقبلين لما يطرحه الوالدان من أفكارٍ أو أوامر وتعليمات؛ مما "يحدث أثره في تغيير السلوك إلى الأفضل، فالناس تكره الشدة والقسوة" (ديماس، ١٩٩٩، ٩٨).

٤. **التأني وسعة الصدر بين المتحاورين:** ينبغي أن يقوم الحوار على التواضع وسعة الصدر، فالتواضع عن هفوات الناس، والعفو عنهم، وعدم الحقد عليهم من صفات المؤمنين، فسعة الصدر منحة إلهية، ورحمة ربانية، وتدلُّ على راحة العقل والحكمة، والتسرع في الحكم على الآخرين إيذاءً يتبعه ندم واعتذار، وبالتالي "فالحوار الذي يقوم على تلك الصفات يصل إلى النتيجة المرجوة منه بسهولة ويسر، بعكس الحوار القائم على التعالي والتفاخر والغرور" (المعاينة، ٢٠٠٧، ١٥٢)، والتواضع يوجب على المتحاورين ألا أحدهم على الآخر، ولا يفخر بنفسه، قال رسول الله ﷺ (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ) (مسلم، ٢٠٠٦، ج ١، رقم ٩١، ص ٩٣).

٥. **التواضع بين طرفي الحوار:** التواضع ليس أدباً من آداب الحوار فحسب، بل هو أيضاً منهجٌ لا بدَّ من اتِّباعه في كلّ المواقف، بحيث يصبح نهجاً يتبعه العامة، وخاصةً إذا كان في طلب العلم، وبناءً على ذلك فالتواضع أدبٌ من آداب العلماء، وهو صفةٌ محمودةٌ، بينما الكبر صفةٌ مذمومةٌ، حتى ولو كان مع الكافرين والمشرِّكين، فالكبر لا يليق إلا بالله سبحانه وتعالى؛ لاستغنائهم جلَّ شأنه عن كلّ أحدٍ، يقول النبي ﷺ عنه سبحانه: (العز إزاره والكبرياء رداؤه) (مسلم، ٢٠٠٦، ج ٤، رقم ٦٠٢٠، ص ٢٠٢٣)، ويرتبط التواضع ببعض آداب الحوار الأخرى، "فمن صفات التواضع تجنُّب تزكية النفس، والثناء عليها، والتكلم بضمير المتكلم دائماً، وعدم قبول الحق، وقد يؤثر التواضع في الإخلاص وحسن النية" (القوسي، ٢٠٠٨، ٥٩).



٦. القدرة على ضبط الانفعالات أثناء الحوار: إنَّ عدم التوازن الانفعالي في المحاورات يجعل الإنسان يتكلم بكلام لا يعرف عواقبه، وتلك الكلمات تُحسب عليه في دنياه، وقد يُحاسب عليها في آخرته؛ لذلك "وجب على المحاور أن يضبط نفسه أثناء المحاورة، وفي نفس الوقت لا يجعل الطرف الآخر يتجاوز الحدود في أمور لا يسمح بها الشرع" (الشتري، ٢٠٠٦، ٣١)، كما يجب على المحاور أن يكون رحيماً يرحم الطرف الآخر، فهو يسعى لهداية الآخرين، وإبداء النصيحة لهم؛ حتى يصل الحوار للهدف المرجو منه، "ولا يكون الهدف من الحوار الكيد والانتقام والحقد على الطرف الآخر؛ مما يؤدي إلى نشر العداوة، وبث الكراهية بين الأطراف" (الزمزمي، د.ت، ٢٠٦)، واستخدام أسلوب الرحمة يدلُّ على الصدق والإخلاص، ويجعل الطرف الآخر يقابله بنفس الأسلوب، فيصبح الحوار ناجحاً، ويحقق أهدافه.

٧. اعتماد الحوار على الحقيقة: إنَّ الحوار الذي يقوم على حقائق ثابتة، ومعلومات صادقة، وأخبار صحيحة، يؤتي ثماره، ويحقق أهدافه، ويكون حواراً مباركاً، أما الحوار الذي يقوم على معلومات مغلوطة، وأخبار كاذبة، وشائعات لا صحة لها، لا يحقق أهدافه، ويكون ضرباً من العبث؛ "لأنَّ الأحكام التي مصدرها الأراجيف التي لا أساس لها من الصحة، تكون أحكاماً فاسدة؛ لأنَّه لا سند لها من العقل الصحيح، أو النقل السليم" (طنطاوي، ١٩٩٧، ٤٨).

وفي الفكر الإسلامي فإنَّ الحوار صفةٌ ملازمةٌ للإنسان، وإنَّ ممارسة الحوار مع الآخرين ليست هدفاً في حدِّ ذاتها، وإنما وسيلةٌ الهدف منها تحقيق الرضا النفسي، والتواصل والتقارب بين أفراد المجتمع؛ من خلال الثقة المتبادلة بين المتحاورين، والتواضع ولين الجانب، والرفق، والتأني، وسعة الصدر، والبعد عن المداهنة، والاعتماد على الحقيقة في الحوار، وما يمرُّ به العالم الإسلامي من أزمتٍ مدعاة أكثر إلى الالتفات حول منهج الحوار؛ لمواجهة التحديات النفسية.

والحوار الهادف يؤثر تأثيراً كبيراً في حياة المسلم اليومية؛ فيؤسِّع الإنسان المسلم أن يملأ أجواءه بالبهجة، والسرور، والأمل، والرجاء، والقوة، والنشاط، والسلام، والوئام، والتآلف، والتآزر، والتعاطف، والتعاون، والتكافل، وجعل الرفق واللفظ والطف والفتاوى زينة وحلية الدين، وصدقة يتصدق بها المسلم، كما في الحديث الشريف قال ﷺ: (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ) صحيح ابن حبان (٢٢١/٢) حديث رقم (٤٧٤) (وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ) صحيح البخاري (١٠٩٠/٣) حديث رقم (٢٨٢٧)

المحور الثاني: التحديات التعليمية للحوار في الفكر التربوي الإسلامي وسبل تعزيزها

لقد أولى المنهج الإسلامي من خلال القرآن والسنة الحوار التعليمي أهمية بالغة في مواقف التربية والتعليم، وجعله الإطار الفني لتوجيه الناس وإرشادهم، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم؛ بلغة مفهومة وسهلة، تخاطب الفطرة، وتبتعد عن الغموض والجدل، وتؤكد على الإيجابية؛ بأحسن الألفاظ، وألطف الطرق، فالحوار التعليمي حديثٌ يشترك فيه اثنان أو أكثر، في محاورة علمية أو فلسفية، فيكتسب أحدهم العلم والمعرفة من الآخر (عبد السلام، ٢٠٠٥). ويقصد به كذلك أسلوبٌ تربويٌّ يعتمد على مقابلة الرأي بالرأي الآخر، ومقارنة الحجَّة بالحجَّة؛ لغرض تغيير رأي المعارض، وجعله مقتنعاً بما يراه من حقائق (عمر، ٢٠٠٠). وعرفه منشد والبهادلي (٢٠١٨) بأنَّه: "مجموعة الأسئلة والنقاش بين المعلم والمتعلم لإتاحة الفرصة للحوار المتبادل"، ويُعرف كذلك بأنَّه: "الاتصال الفكري واللغوي بين المعلم والمتعلم، والذي يحدث من خلال طرح الآراء والأفكار، وبيان تفاعلها بين المجموعة الموجودة في حجرة الدراسة؛ بهدف الكشف عن جوانب موضوع مهمٍّ لأعضاء المجموعة" (البصير، ٢٠١٤).



مما سبق يمكن تعريف الحوار التعليمي في الفكر الإسلامي إجرائياً بأنه: الحوار بين المعلم والمتعلم؛ وفق آداب وضوابط الحوار الإسلامية؛ بهدف نقل المعارف والعلوم، وترسيخها في أذهان المتعلمين، ومن ثمّ مشاركة المتعلم الإيجابية في الدرس، وتنشيط عملية التفكير لديه، وتبادل الأفكار بينه وبين المعلم، وبينه وبين زملائه في الصف، ومن ثمّ الوصول إلى الحقيقة، وفهمها واستيعابها.

إنّ أهمية الحوار التعليمي لا تقتصر على المتعلم فقط، بل تهدف إلى النهوض بالعملية التعليمية الملقاة على عاتق المعلم وإشراك المتعلم في العملية التعليمية، والانتقال من التعليم القائم على التلقين إلى التعليم القائم على المشاركة والحوار.

والحوار التعليمي بهذا المفهوم يساهم في تحقيق العديد من الأهداف لكلّ من المعلم والمتعلم، منها:

- يساعد المعلم في الكشف عن المستوى العلمي والفكري للمتعلمين، وبالتالي يكون قاعدة معرفية ينطلق منها المعلم للبناء العلمي للمتعلم.
- ينمي لدى المتعلم الثقة بالنفس، ودقة الملاحظة، والقدرة على النقد والتحليل.
- يساهم في الكشف عن الفروق الفردية بين المتعلمين؛ بالكشف عن جوانب النقص، لمعالجتها، والوقوف على جوانب القوة لدعمها، وتعزيزها.
- يخلق جو من الألفة والمودة بين المعلم والمتعلم.

أهمية الحوار التعليمي:

إن أهمية الحوار التعليمي لا تقتصر على علاج مواطن الخلاف فقط؛ بل تظهر أهميته في شتى أبعاد الحياة (بشاري، ٢٠٠٤). وتتجلى أهمية الحوار التعليمي فيما يلي:

١. الحوار التعليمي وسيلة فعّالة للتناصح والتشاور.
٢. يساعد الحوار التعليمي المعلم في التعرف على اتجاهات المتعلم الفكرية والنفسية، وبالتالي يتمّ تدارك الأخطاء مبكراً.
٣. يسهّل الحوار التعليمي للمعلم كشف مواهب وقدرات المتعلمين.
٤. يرفع الحوار التعليمي مستوى التحصيل العلمي لدى المتعلمين.
٥. ينمي الحوار التعليمي روح المبادرة والمنافسة بين المتعلمين.
٦. يدرّب الحوار التعليمي المتعلمين على تقبل الآخرين المختلفين؛ علمياً وفكرياً.
٧. يقوي الحوار التعليمي ثقة المتعلمين بأنفسهم، ويشجعهم على اتخاذ القرارات بشكلٍ مستقلّ.
٨. وأخيراً فإنّ الحوار التعليمي يبني العلاقات الإيجابية بين المعلم والمتعلمين، ويزرع الاحترام المتبادل بينهم. (عبد السلام، ٢٠٠٥).



بالرغم من أهمية الحوار في العملية التعليمية إلا أنه يواجه العديد من التحديات التي أثرت على الإنتاج والتطور العلمي للأمة الإسلامية؛ حيث باتت تعاني من مشكلات فكرية عديدة؛ بسبب عزوفها عن الأخذ بالمنهج الحوار في العملية التعليمية. فنجد تحديات مرتبطة بالمتحاورين من معلمين ومتعلمين؛ بسبب عدم امتلاكهم لمهارات الحوار الفعال (البصير، ٢٠١٤). وقد ترتبط بالطرق والاستراتيجيات التي يتبعها المتحاور مع المتعلمين، وقد أشارت العديد من الدراسات إلى ضعف استخدام استراتيجية الحوار في التدريس؛ مما انعكس سلباً على التفاعل المطلوب بين المعلم والمتعلمين (منشد، ٢٠١٨) و(السعود، ٢٠١٨). وقد ترتبط التحديات بأخلاقيات الحوار نفسه، فيظهر جهل المتحاورين، وعدم معرفتهم بأداب الحوار (العلياني، ٢٠١٦) و(جبوري، ٢٠١٣)، وقد ترتبط بالبعد عن الموضوعية في موضوع الحوار، فيتم تغليب دوافع الذات وعواطفها ومصالحها وانحيازاتها الفكرية عن العناصر الحقيقية للموضوع (القرشي، ١٩٩٨)، وقد ترتبط التحديات بالمؤسسة التعليمية وعدم تمكُّنها من تنمية ثقافة الحوار لدى منسوبيها من معلمين ومتعلمين (الحرزاوي وآخرون، ٢٠١٩). ولتجاوز هذه التحديات وجعل الحوار التعليمي فعالاً فعلى المحاور أن يلجأ إلى ما ورد في مصادر التشريع الإسلامي من قواعد بناة للحوار، كقيلة بإنجاح الحوار، وتعزيزه.

وقد اشتمل القرآن الكريم والسنة المطهرة على نماذج متفردة من الحوارات، تميّزت بضوابط وقواعد يجب الاستناد عليها عند استخدام الحوار في التعليم، ومن هذه الضوابط:

١. تقبل الطرف الآخر واحترام حقه في التعبير: قال تعالى: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ

يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٥-٢٦]. ويعني التسليم باحتمال صواب رأي الطرف الآخر من الحوار. وقد وصف رأي الطرف الآخر "بالعمل" ومقابل "الجرم" مما يشير إلى التقبل المسبق للرأي في حال ثبوت صحة رأي الطرف الآخر، وهذا ما يجعل المعلم يقبل رأي المتعلم ابتداءً، ثم يناقشه فيه، ويحدّد صحته من عدمها؛ مع ضرورة التأكيد على أن المعلم ليس خصماً للمتعلم.

٢. الانطلاق من المشتركين: وذلك لتحقيق التوازن والتوافق، والوصول إلى أفكار صحيحة حول الموقف التعليمي،

كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وفي الحديث الشريف ما ورد عن عبدالرحمن بن أبي بكر عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قعد على بغيره وأمسك إنسان بخطامه - أو بزمame - قال: «أي يوم هذا»، فسكتنا حتى ظننا أنه سيسمي به سوى اسمه، قال: «أليس يوم النحر» قلنا: بلى، قال: «فأي شهر هذا» فسكتنا حتى ظننا أنه سيسمي به غير اسمه، فقال: «أليس بذِي الحجة» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه» [البخاري، ج ١، ٦٧]. مع التأكيد على عدم جواز الحوار حول ثوابت الشرع.



٣. **الحقيقة هي معيار الحوار:** فالحوار ليس هدفًا بذاته، بقدر ما يهدف إلى التوصل إلى الحقيقة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٤-٣٦]، وفي الحديث الشريف ماورد عن ابن مسعود رضي الله عنه عندما قال: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالتَّامِصَاتِ وَالْمُتَمَصَّاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ؛ قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ؛ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَمَصَّاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحِي الْمَصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ؛ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: بلى. قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عنها) [البخاري، ج ٦، ٤٨٨٦]. وبالتالي فالحوار يتوقف عند الوصول إلى الحقيقة.
٤. **تجنب إطلاق الأحكام المسبقة:** ممَّا يعني ضرورة موضوعية الحوار، وبعده عن إصدار الأحكام قبل التحقق من صحتها، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. ممَّا يعني أنَّه لإنجاح الحوار فعلى المتحاورين توضيح موقفهم من موضوع الحوار، والأخذ بالرأي الصحيح الذي يثبت صحته؛ دون تردد.
٥. **التزام المتحاورين بالمنهجية العلمية:** ممَّا يعني تمتعهم بالحرية الفكرية، والإحاطة بموضوع الحوار وقضيته، والبعد عن التقليد. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۖ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]. وعن أبي هريرة عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ" [رواه مسلم، ج ١، ١٥٣]. فعلى المعلم والمتعلم عند الحوار اتِّباع الحقيقة، والبعد عن التمسك بالأفكار القديمة؛ إذا ثبت بطلانها.
٦. **الاعتماد على الأدلة العقلية للتدليل على الرأي الصحيح:** وتعتبر هذه القاعدة من أسس الحوار الفعَّال، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النحل: ٦٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ



إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿البقرة: ١١١﴾، فعلى المتحاورين تقديم أدلة وبراهين نقلية أو عقلية أو حسية على صحة أفكارهم ومعتقداتهم العلمية.

٧. الحوار بالتي هي أحسن: إن الحوار الإسلامي يتَّصف بالبعد عن الحدة والسخرية والعنف، ويتميز بالقول الحسن، قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۚ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَّ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْغَنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ) [رواه مسلم، ٢٥٩٣]. فعلى المعلم أَنْ يُوَجِّهَ المتعلمين بأسلوب حسن؛ لتحقيق أهداف الموقف التعليمي المرجوة.

٨. عدم ربط الموضوعات بشخصية أطراف الحوار: فيجب الاقتناع بالأفكار الصحيحة؛ دون النظر إلى شخص قائلها، لأن هدف الحوار هو التوصل إلى الحقيقة؛ بغض النظر عن مصدرها.

٩. استخدام أساليب متنوعة في الحوار التعليمي: كأسلوب الوعظ والنصح الذي يشعر المتعلمين بخوف المعلم عليهم، ورغبته في مصلحتهم، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]. ومن الأساليب أيضا أسلوب التدرج الذي يجعل المعلم يبدأ بمناقشة الأفكار البسيطة ثم المعقدة، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۚ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وأسلوب الترغيب والترهيب؛ لما له من أثر في الإقناع، حيث يبين المعلم للمتعلمين ما يترتب على استجاباتهم وتفاعلهم مع الموقف التعليمي، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٣]. ومن الأساليب كذلك أسلوب الاستفهام وضرب الأمثال، كما في حوار إبراهيم مع أبيه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، وقد أثبت هذا الأسلوب نجاحه في تهيئة المتعلمين لتقبل الدرس، وقد وردت في القرآن قصصٌ استخدم فيها أسلوب الحوار في التعليم، كما في قصة موسى عليه السلام مع الخضر في سورة الكهف. (المغامسي، ١٤٢٣). والمعلم الناجح هو من ينوِّع في استخدام الأساليب الحوارية؛ لتحفيز تفكير المتعلم، وضمان تعليمهم، وتحقيق أهدافه.



١٠. **التهيئة النفسية لتقبل نتائج الحوار:** فقد يبذل المعلم الجهد اللازم ولا يجد الاستجابة المرجوة من المتعلمين، وعندئذٍ عليه أن يتقبل النتيجة، ويُغيّر أسلوب الحوار؛ لتحقيق الأهداف المخطط لها. وقد انتقد القرآن من يرفض الحقيقة حتى بعد ثبوت صحتها، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ۖ حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]. (السعود، ٢٠١٨) و(العلياني، ٢٠١٦) و(القرشي، ١٩٩٨).

المحور الثالث: التحديات اللفظية للحوار في الفكر التربوي الإسلامي وسبل تعزيزها

للحوار أدابٌ لابد من توفرها في المحاور؛ ليضمن سيره باتزان وسلامة إلى عقول المحاورين له وقلوبهم، وهذه الآداب تضيف على حوار الهدوء، وتقوده إلى تحقيق الأهداف بكل يسر وسهولة، وبالتالي توضيح الحقائق، وبناء المفاهيم، وهذا يجري في كل مجالٍ من مجالات الحياة، فقد يكون منشأ الحوار وسببه هو إيضاح حقّ التبس على الطرف الآخر؛ ممّا يستلزم محاورته وسماع ما لديه عن هذا الأمر، وإيصال الحقّ إليه، فلا بد للمحاور أن يكون على درايةٍ بطريقة الحوار، وأسلوبه، وينتقي له الألفاظ المناسبة، وقد كان الرسول ﷺ يسلك العديد من أساليب الحوار التي ينتقي فيها الكلمات المؤثرة، والألفاظ الموحية للمعاني والدالة عليها؛ لأنها أقوى في ترسيخ المعلومة وتنبيتها لدى المتلقي.

فالحوار اللفظي هو مناقشة بين طرفين أو أطراف؛ يقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حقّ، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول، والرأي (بن حميد، ١٤١٥ هـ ص ٦).

أهمية الحوار اللفظي:

يُعتبر الحوار أسلوب تواصلٍ وتفاهمٍ بين الناس، وطريقاً لتعرّف الناس على بعضهم، فهو المفتاح لإقناع الطرف الآخر المخالف بالرأي الصائب، كما يُعدُّ منهجاً للإصلاح والدعوة في المجتمع، ووسيلة التربية والتعليم للأبناء، وهو نقطة الالتقاء والتقارب بين الأفراد.

وللحوار اللفظي دورٌ بارزٌ في إنهاء الخلافات بين الناس، فلولا له لعمّ الفساد، ولتصرف الأفراد بطيشٍ وتهوّر، فهو الطريق لبيان الحقّ؛ دون حدوث خسائر، أو إهانةٍ لأحد الطرفين.

التحديات اللفظية للحوار وسبل تعزيزها:

إنّ الحوار الجميل خيرٌ من الصمت، ولكن السكوت يكون أجمل عندما لا ينشرح القلب لبيعث الكلمة الطيبة، ويرفد الخير؛ قال رسول الإسلام ﷺ: (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) صحيح البخاري (٢٢٤٠/٥) حديث رقم (٥٦٧٣)، وهناك العديد من التحديات اللفظية التي تواجه الحوار الفعّال، يجب الالتفات إليها، وتعزيزها بسبلٍ متنوعة، تجعل من الحوار أسلوب تفاهمٍ، ووسيلة ترابطٍ، وأداة ألفة ومودة واحترامٍ، منها ما يلي:

١٠. **الكلمة الطيبة والقول الحسن:** فمن القول الحسن؛ حسن المناداة للطرف الآخر، واختيار أحبّ الأسماء إليه، ومن احتاج إلى مناظرة وجدال، فيكون بوجه حسنٍ، وحسن خطابٍ، ولين جانبٍ، فيناقش بأسلوبٍ حسنٍ؛ بعيدٍ عن التجريح والإساءة للطرف الآخر، فلا يتعمّد أن يُوقعه في الإحراج أو أن يتحدّاه، ويتحلّى بالأدب



واللباقة أثناء الحديث، ويبتعد عن السخرية وإثارة غضب الطرف الآخر والاستهزاء به. وقد تأدب الأنبياء بهذا الأدب في خطابهم لأقوامهم، فقد كان يقول الرسول لخصومه المعاندين: (يا قوم) في تودُّدٍ وسماحةٍ، وتذكيرٍ بالروابط التي تجمعهم؛ ليستثير مشاعرهم، ويُطمئنهم فيما يدعوههم إليه. (كامل، ١٤٢٥).

٢٠. **التعريض والتلميح بدلاً عن التصريح:** إنَّ لفت النظر إلى الأخطاء بشكلٍ غير واضحٍ، وتجنُّب اللوم المباشر، وعدم تخطئة الطرف الآخر بعبارةٍ صريحةٍ، كلُّ ذلك له أثره في تسليم الخصم للحقِّ، والرجوع عن الخطأ، فالنفوس غالباً لا تتحمَّل المواجهة بقوةٍ وصرامةٍ، وهناك من الألفاظ الموحية والكلمات اللطيفة التي تؤدي الغرض نفسه؛ دون جرحٍ لمشاعر الآخرين، أو إشعارهم بالذلِّ والهزيمة. وفي هذا الصدد يقول الطنطاوي: "ويكون الإحسان إلى الناس بالستر؛ بإخفاء عيوبهم، والتغاضي عن زلاتهم، وبالتجاوز عن سيئاتهم، وكما غفرنا وتغاضينا اختصرنا خلافتنا مع الناس، فنسعد ويسعدون، وقد نعطيهم بذلك الحافز ليتخلصوا من شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم؛ فيتوبوا، وربما يحاولون (بتغاضينا وتسامحنا) السمو والارتفاع بنباتهم وأعمالهم، كلُّ حسب قدرته، وقوة إيمانه، وعلمه بالخطأ والصواب" (عابدة المؤيد العظم، ١٤٢٤ هـ، ص ٢١٩).

٢١. **عدم ثناء المحاور على نفسه أو على خصمه بالحق:** إنَّ الكلام عن النفس ومدحها والثناء عليها مذمومٌ غالباً، ولا يجب الناس أن يسمعوا ممَّن يملأ أذانهم بمناقبه وسيرته وأحواله وتقلباته، بل إنَّ من يفعل ذلك ويفرح به ويكثر منه يُعدُّ ناقصاً في عقله، أو ربما فاسداً في نيته وقصده، وكما قال الإمام مالك: "إنَّ الرجل إذا ذهب يمدح نفسه ذهب بهاؤه" (أعلام النبلاء: ٨/ ١٠٩). وقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن تركية النفس والتمدح بطهارتها، فقال سبحانه وتعالى: (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى). (النجم: ٣٢).

٢٢. **حسن الاستماع:** لا بدَّ للمحاور الناجح أن يُتقن فن الاستماع، فالاستماع أدبٌ وفنٌ، وليس الحوار من حق طرفٍ واحدٍ يستأثر فيه بالكلام؛ دون محاورَةٍ، فالفرق بين الحوار الذي فيه تبادل الآراء وبين الاستماع إلى خطبةٍ ومحاضرةٍ. ومما ينافي حسن الاستماع مقاطعة كلام الطرف الآخر؛ إذ إنَّه طريقٌ سريعٌ لتنفير الخصم، وسببٌ مباشرٌ لانقطاع الأفكار؛ مما يؤثر في تسلسل الأفكار وترابطها، ويؤدي إلى اضطرابها، ومن ثمَّ نسيانها. وقد ذكر العلماء في آداب المتناظرين: ألاَّ يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه تماماً، وأنَّ ينتظر كل واحدٍ منهم صاحبه حتى يفرغ من كلامه، ولا يقطع عليه كلامه حتى يتمَّه. كما أنَّ حُسْنَ الاستماع إلى الطرف الآخر الإنصات إليه تهيبُّ الطرف الآخر لقبول الحق، وتمهِّد نفسه للرجوع عن الخطأ. (زمزمي: ١٤١٤).

٢٣. **تجنُّب التحدي والإقحام وإقامة الحجة على الخصم:** إنَّ الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحقِّ، فعلى المحاور أن يتجنَّب أسلوب الإقحام والإسكات؛ لأنَّه يترك في نفس المحاور حقداً وغيظاً وكرهيةً، ولكن يلجأ المحاور إلى التحدي والإقحام مع مَنْ استطال وتجاوز حدود الأدب، وطعنى وظلم وعادى الحقَّ، وكابر مكابرةً بينةً، ولجأ إلى الاستهزاء والسخرية. وفي مثل هؤلاء جاءت الآية: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) (النساء: ١٤٨) ولمَّا أمر الله سبحانه بالتلطُّف في المناقشة حتى



مع الكفار أستثنى حالة إذا ما ظلموا وبغوا، فلا يقع معهم الرفق واللين، بل يستعمل معهم الغلظة والشدّة (وَلَا

تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) (العنكبوت: ٤٦)

٥٦. **البعد عن التعميم:** يُعدُّ التعميم من الخطأ إذ إنّ من الإنصاف أن تكون العقوبة والجزاء على المخطئ، كما أنّ للمحسن الإحسان، ومن التعدي والظلم تعميم الخطأ، وإنزاله على أناس لم يكن لهم في ذلك مشاركة ولا تأييد، وفي ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنّ أعظم الناس فريّة لرجل هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها) (ابن ماجه: ٢ / ١٢٣٧)

٥٧. **أدب السؤال:** يلزم المحاور الناجح اختيار السؤال المناسب في الوقت المناسب، والتأدّب في طرح السؤال؛ باختيار الألفاظ الحسنة، ونبرة الصوت الهادئة، وتعبيرات الوجه المطلقة، وقد يلجأ المحاور إلى الإعراض اللفظي في حال إصرار المحاور، أو ارتكابه خطأ فادحاً؛ حين لا يجدي معه الحوار، ولا يغني العتاب، ويكون ذلك بالجسد، أو العين، أو بالوجه، أو باللفظ. وأوصى يحيى بن خالد بن جعفر فقال له: "لا تردّ على أحد جواباً حتى تفهم كلامه، فإنّ ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكد الجهل عليك، ولكن إفهم عنه، فإذا فهمته فأجبه، ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام، ولا تستح أن تستفهم إذا لم تفهم؛ فإنّ الجواب قبل الفهم حمق. وإذا جهلت فأسأل فيبدو لك، واستفهامك أجمل بك، وخير من السكوت على العلم" (القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ١٤٨)

إنّ الإحساس بأهمية الحوار وأثره مقترنٌ منذ ظهور الإسلام بتأكيد الوحي الإلهي على مكانة الحوار وأساليبه، ومن خلال التأكيد على أنّ الإنسان مسؤولٌ عن أقواله، وأعماله؛ دُفّت أم جُلّت، قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق: ١٨. ونجاح الحوار مرهونٌ بمواجهة التحديات اللفظية، وتعزيزها؛ للوصول على حوار هادف بناءً؛ يقوم على القول الحسن، والكلمة الطيبة، والأسلوب الجزل، والأدب في السؤال، والبعد عن الإساءة والتجريح، واعتماد التلميح لا التصريح، والبعد عن التعميم والتحدي والإقحام.

دور الإعلام الإسلامي في تعزيز الحوار:

إنّ الإعلام الإسلامي المستمد من التشريع الإسلامي بأسسه: الأصولية، والفقهية، يسهم في إعداد الشخصية الإنسانية في عناصرها المختلفة؛ الفكرية، والجسمية، والروحية، والاجتماعية، بما يقدمه من أسسٍ تشريعية في جانيه، وعليه فالشخصية هي التفاعل المنظم الدقيق بين استعدادات الفرد، والمثيرات التي تتطلب السلوك؛ بحيث يشكّل هذا التفاعل الحال العام للإنسان في تصرفاته المختلفة؛ الفكرية، والنفسية، والحركية، والاجتماعية، وما إلى ذلك. والإعلام التربوي المستمد من التشريع الإسلامي في أسسه المختلفة يربي أفراده على التوسط والاعتدال، وعدم الإفراط أو التفريط، أو المبالغة في الإشباع والحرمان؛ وذلك من خلال طبع الشخصية الإنسانية بسماتٍ، من أهمها:

- الاستسلام والخضوع لله رب العالمين طوعاً واختياراً، قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (سورة آل عمران: آية ٨٣).



- الاستقلالية في السلوك؛ بحيث يكون كلُّ سلوكٍ يقوم به الإنسان منبثقاً من ذات الشخصية، والمفاهيم التي تؤمن بها، في ضوء الإسلام؛ عقيدةً وشريعةً. والاستقلالية من الدوافع الفطرية التي تُسهم في تقرير ذات الإنسان وإثباتها؛ ولهذا جاء الإعلام المستمد من التربية الإسلامية لتربية هذا الدافع لدى الإنسان المسلم؛ ليعيش في مجتمعه بكلِّ ثقةٍ وثباتٍ (محمود، ٢٠٠١ م، ٢٧).

- حرية الإنسان في كلِّ ما يصدر عنه؛ في داخله وخارجه، في علاقاته مع أسرته، ومع أمته، ومع الإنسانية من حوله؛ لذلك جعل الإسلام حرية الفرد المتكاملة هدفاً أساسياً، ونعى على المتخاذلين المستسلمين المستضعفين الذين يقبلون الذل والهوان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (سورة النساء: آية ٩٧).

- الوعي الدائم؛ حيث يربي الإعلام التربوي الإسلامي لدى المؤمن الوعي الدائم، ذلك أنَّ المؤمن يفكر في كلِّ عملٍ يقوم به، فيزنه بميزان الشرع؛ بما يرضي الله تعالى، فأساس احترام الإرادة- مثلاً- يصل صفة رقابة الذات؛ لأنَّ الإنسان وإنَّ اختار أعماله بمحض إرادته فإنه مسؤولٌ مسؤوليةً تامةً عن كل ما يفعل.

- يسهم الإعلام المستمد من التربية الإسلامية في بلورة الجانب الاجتماعي في الشخصية من خلال النقاط الآتية:

■ بناء نظام اجتماعي، يحدّد لكلِّ إنسانٍ مصارف نشاطه، وقواعد سلوكه، وكيفية معيشته في أسرته، وتعامله مع الناس.

■ تكوين الجانب الاجتماعي للشخصية؛ من خلال ما يمثّله من إحقاق الحقّ، وإعطاء الحقوق لأصحابها.

■ إيجاد نمطٍ من المرونة في العلاقات الاجتماعية المتشكّلة داخل دوائر الانتماء الاجتماعي؛ بدءاً من الأسرة، وانتهاءً بالإنسانية في مجالات الحياة المختلفة.

■ مراعاة اليسر ورفع المشاق في تربية الإنسان على التسامح والوسطية في تعامله مع الآخرين.

- يسهم الإعلام التربوي الإسلامي في تكوين الجانب النفسي للشخصية الإنسانية وتوجيهه، من خلال ما يأتي:

■ إن التزام الإعلام بالمنظور الإسلامي فيه تحقيقٌ للاستقرار والطمأنينة في حياة الفرد والأمة، فالمؤمن الذي أجمع فكره وقلبه على الله تعالى، واتّبع شرعه وتعاليمه يعيش عيشةً هنيئةً مستقرةً؛ بعيداً عن الأمراض النفسية، والأفكار المضطربة (نعمان، ١٩٩٨ م، ١٢٥).

■ يسهم الإعلام الإسلامي في تكريم ذات الإنسان في تحقيق الأمن والسعادة النفسية؛ من خلال ما يقرّره من قيمةٍ للإنسان، فيقدّم ما به حماية لكيانه المادي والمعنوي، ويحافظ على حياته، ويجعلها حياةً يتمنّع فيها بقدراتٍ جسميةٍ وعقليةٍ، ويحافظ على كيانه المعنوي، ممثلاً في حفظ دينه، وعرضه، وكرامته، إضافةً إلى إعطائه قيمة قيادية، تجعله سيداً يعمر الأرض، ويحقّق الخلافة فيها.



■ الإعلام الموجه إسلامياً يؤدي إلى الشعور بالسكن والراحة والطمأنينة، كما يؤدي إلى الشعور بالسعادة والأمن النفسي، مما يكسر شر النفوس ويحدث توازناً في الشخصية.

نتائج البحث:

أسفر البحث عن النتائج التالية:

- ٠١ الحوار والانفتاح بين الأمم والحضارات أمرٌ ضروريٌّ، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) الأنبياء: ١٠٧
- ٠٢ الدعوة إلى لانفتاح والعالمية تنطلق من قول الله تعالى: وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا^١ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ^٢ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ الحجرات: ١٣
- ٠٣ على الرغم من أنَّ العصر الحالي يتسم بالتدفق المعرفي والتقدم التكنولوجي والانفتاح العالمي؛ إلا أنَّ الواقع يحتاج إلى المزيد من فهم ثقافة الحوار والتواصل مع الآخر، واحترام الرأي المخالف.
- ٠٤ الحوار صفةٌ ملازمةٌ للإنسان، وممارسته مع الآخرين ليست هدفاً في حدِّ ذاتها، وإنما وسيلةٌ الهدف منها تحقيق الرضا النفسي، والتواصل والتقارب بين أفراد المجتمع؛ من خلال الثقة المتبادلة بين المتحاورين، والتواضع ولين الجانب، والرفق، والتأني، وسعة الصدر، والبعد عن المداينة، والاعتماد على الحقيقة في الحوار، وما يمرُّ به العالم الإسلامي من أزماتٍ مدعاةً أكثر إلى الالتفات حول منهج الحوار؛ لمواجهة التحديات النفسية.
- ٠٥ لتجاوز التحديات التي تواجه الحوار التعليمي، وتجعله حواراً فعالاً لا بد أن يلجأ المحاور إلى ما ورد في مصادر التشريع الإسلامي من قواعد بنَّاء للحوار، كفيلةً بإنجاح الحوار، وتعزيزه؛ في تقبُّل الطرف الآخر، والانطلاق من احتياجات المتحاورين، والاعتماد على الحقيقة معياراً للحوار، واستخدام الأساليب الممنوعة، واستخدام المنهجية العلمية، والاعتماد على الأدلة العقلية في الحوار.
- ٠٦ لا بد من التركيز على تعليم الأجيال أساليب جديدة، تتماشى مع اتساع دائرة العلم والمعرفة، وتؤدي إلى تنمية الثقافة، ومعرفة أساليب الإقناع، وهندسة الحوار؛ من خلال استراتيجيات وطرائق التعليم وأساليبه؛ التي تتناغم مع تلك المتطلبات، وتحقق الهدف منها.
- ٠٧ إن نجاح الحوار مرهونٌ بمواجهة التحديات اللفظية، وتعزيزها؛ للوصول على حوار هادف بنَّاء؛ يقوم على القول الحسن، والكلمة الطيبة، والأسلوب الجزل، والأدب في السؤال، والبعد عن الإساءة والتجريح، واعتماد التلميح لا التصريح، والبعد عن التعميم والتحدي والإقحام.
- ٠٨ الإعلام التربوي المستمد من التشريع الإسلامي في أسسه المختلفة يربي أفراداً على التوسط والاعتدال، وعدم الإفراط أو التفريط، أو المبالغة في الإشباع والحرمان؛ وذلك من خلال طبع الشخصية الإنسانية بسماتٍ إيجابية تؤهله للحوار البنَّاء الفعَّال.



التوصيات:

- ينبغي نشر الوعي، وتنمية الاتجاهات الإيجابية نحو الحوار التعليمي بين المعلم والمتعلم.
- ضرورة رسم خارطة معرفية تقوم على الحوار ومهارات التواصل، ومشاطرة الآخرين أفكارهم؛ إذ إنّ ساحة العالم أصبحت ميداناً للأخذ والعطاء.
- ضرورة الاهتمام بملامح الحوال الفعّال الهادف، وتعليمها للأجيال، والتدريب عليها باستمرار؛ للحصول على جيل واعٍ مثقف، ينهج الحوار البناء في كشف الحقيقة، ورسم معالم المستقبل.

المصادر والمراجع:

- الألوسي، محمود. (١٩٨٥). روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤.
- ابن حجر العسقلاني. (د.ت). فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم. (١٤١٢هـ). المسند، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٧هـ). لسان العرب، مكتبة الرشد، الرياض، ط٦.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث. (١٩٩٨). سنن أبي داود، القاهرة، دار الحديث.
- أبو شريح، شاهر ذيب. (٢٠٠٥). الأساليب التربوية والوسائل التعليمية في القرآن الكريم، الأردن - عمان، دار جرير.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٠١هـ) صحيح البخاري، دار الفكر لبنان.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٢هـ). صحيح البخاري، ج٨، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، دار طوق النجاة.
- بدر الدين، محمد بهاء الدين. (٢٠٠٨). المشكلات الاجتماعية الأخلاقية الجامعية كما يراها الشباب والمربون ودور طريقة العمل مع الجماعات في التعامل معها، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية العلوم الإنسانية لكلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ٢٢.
- بدري، محمد محمد. (٢٠٠٦). اللمسة الإنسانية، ط٣، القاهرة، دار الصفوة.
- بشاري، محمد (٢٠٠٤م) في فقه الحوار وفقه التعايش، عمان، مكتبة دار الثقافة\البقمي، محمد عبد الله عيد. (٢٠١٤). دور الإعلام في الدول العربية والإسلامية في تعزيز ثقافة الحوار، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد: (١٥٩)، الجزء الأول) يوليو.
- البصير، عمار مفتاح (٢٠١٤م) مفهوم الحوار ودور المحاور في العملية التعليمية والاجتماعية، المؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، عالم التربية.
- بو هزاع، خليل. (٢٠١٤). متطلبات الحوار الاجتماعي في دول مجلس التعاون، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر السابع للجمعية الاقتصادية العمانية، التنمية المستدامة وسوق العمل. عمان. الأردن.
- الترمذي، محمد بن عيسى. (١٩٩٨). سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- جبدوري، صابر عوض (٢٠١٣م) معوقات ممارسة الحوار في البيئة الجامعية، دراسة ميدانية مطبقة على عينة من طلاب كلية التربية بجامعة طيبة، جمعية الاجتماعيين، الشارقة.



- الجوزو، محمد علي. (٢٠٠٢). "الحوار مع الغرب" أبحاث المؤتمر الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، وزارة الأوقاف، ٢٠-٢٢ مايو.
- الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري. (١٩٩٠). المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ديماس، محمد راشد. (١٩٩٩). فنون الحوار والإقناع، لبنان - بيروت، دار ابن حزم.
- الراغب الأصفهاني. (١٤١٨هـ). المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد عيتاني.
- الزمزمي، يحيى بن محمد. (د.ت). الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، رسالة ماجستير منشورة، مكة، دار التربية والتراث.
- السعود، أدب مبارك (٢٠١٨م) منهج القرآن الكريم في استخدام الحوار في العملية التعليمية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمادة البحث العلمي، مج ٥، ع ٢٤.
- السيد، مها بنت هاشم بن عبد الكريم. (٢٠١٦). إسهام الوالدين في تنمية شخصية طفل المرحلة الابتدائية من خلال الحوار، مجلة التربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد ١٦٨، أبريل، الجزء الأول.
- الشتري، سعد بن ناصر. (٢٠٠٦). أدب الحوار، الرياض، كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع.
- الصعامنة، قاسم. (٢٠١٦). المنهج الإسلامي في الحوار، مجلة التربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، ج ١، العدد ١٦٨، أبريل.
- الطبري، محمد بن جرير. (١٤٢٢هـ). تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة.
- طنطاوي، محمد سيد. (١٩٩٧). أدب الحوار في القرآن، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
- عبد الجواد، محمد أحمد. (٢٠٠٥). كيف تحاور أبناءك وتستمتع بهذا الحوار؟، ط ١، مصر - القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- عبد السلام، مندور (٢٠٠٥م) تصور مقترح لتنمية الحوار التعليمي في ضوء المنهج الإسلامي، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم.
- عسيري، فاطمة سعد محمد فايز. (٢٠٢٠). متطلبات تعزيز الحوار والتماسك الاجتماعي (دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية)، مجلة العلوم التربوية، كلية الدراسات العليا للتربية، المجلد (٢٨) العدد الرابع، أكتوبر.
- عقيل، أيمن. (٢٠١٢). الدور المنتظر لمنظمات المجتمع المدني في إدارة الحوار المجتمعي في مرحلة ما بعد الربيع العربي، مؤتمر دور منظمات المجتمعات المدني العربي في الحوار المجتمعي المتعدد الأطراف، مركز دراسات المجتمع المدني، القاهرة.
- العلواني، سعد هاشم (٢٠١٦م) أهمية الحوار في الإسلام وأثره في العملية التعليمية، مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية، ع ٧.
- عمر، عمر أحمد (٢٠٠٠م) فلسفة التربية في القرآن الكريم، دار الكتب، دمشق.
- الفتياني، تيسير محبوب. (٢٠٠٥). كيف نحاور الآخرين؟، د.ط، الأردن - عمان، بيت الأفكار الدولية.
- فلمبان، هلال حسين. (٢٠١١). دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض.
- القحطاني، الجوهرة. (١٤٣٠هـ). دور الأسرة السعودية في تنمية الحوار لدى الأبناء. ط ١. الرياض : مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.



القريشي، علي (١٩٩٨م) التربية الحوارية دراسة في إشكاليات الاختلاف والوحدة في الإطار الإسلامي، مج ٢٢، ٨٨ع، جمعية المسلم المعاصر.

القشيري، مسلم بن الحجاج. (١٤٢٤هـ). صحيح مسلم؛ بيروت: دار الكتاب.

القوسي، مفرح بن سليمان. (٢٠٠٨). ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، الرياض، مركز الملك عبد العزيز.

اللبودي، منى إبراهيم. (٢٠٠٣). الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه: منى إبراهيم اللبودي، مكتبة وهبة، القاهرة.

محمود، مثقال أيوب. (٢٠٠١). "أثر التربية الإسلامية في تكوين الشخصية المستقلة"، (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري. (٢٠٠٦). صحيح مسلم، الرياض، دار طيبة.

المعاينة، قيس سالم. (٢٠٠٧). ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، عدد ١، مجلد ٣.

المغامسي، سعيد فالح. (٢٠٠٤). التربية بالحوار مع الشباب وأثرها في تحصينهم من الانحرافات الفكرية والسلوكية، الرياض، دار الوطن للنشر.

منشد، فيصل، والبهادلي، أمل (٢٠١٨م) أثر أسلوب الحوار التعليمي في تنمية التفكير التأملية لدى طالبات كلية التربية للبنات، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية.

نعمان، مأمون صالح. (١٩٩٨). "مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا— دراسة تحليلية"، (رسالة ماجستير منشورة)، جامعة أم القرى.

النيسابوري، مسلم بن حجاج (١٤٠٤هـ) صحيح مسلم بشرح الامام النووي، ط ٣، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.



المنهج النبوي في الوقاية من الشبهات على مستوى الفرد والمجتمع

The Prophetic Approach in Preventing Suspicions at the Individual and Society Level

أ.عبير سليمان وائل التويجري - طالبة دراسات عليا - جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

Email: Abeeraltwi@hotmail.com

ملخص البحث

اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بتحسين أمته من الوقوع في مآهات الضلال والشبهات؛ فوضع القواعد الكلية، والخطوط العريضة؛ لتسير عليها أمته ويثبتوا بإذن الله من الزيغ والانحراف، وقد أشار عليه الصلاة والسلام إلى عدد من سبل الوقاية من الشبهات، منها ما هو على مستوى الفرد: كالاكتساب بالكتاب والسنة، والتحصن بالعلم الشرعي والعمل به، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة، ومجالسة الصالحين. ومنها ما هو على مستوى المجتمع: كترسيخ العقيدة في النفوس، والاهتمام بالرعية بالنصح والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد ختم البحث بأهم النتائج منها: اشتغال أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم على قواعد كلية، يمكن من خلالها استنباط المنهج الوقائي من الوقوع في الشبهات؛ منها ما هو على الفرد، ومنها ما هو على المجتمع.

وأهم التوصيات: استخراج هدي الوحيين في التعامل مع الشبهات والمشكلات المعاصرة، وتطبيقها، ونشرها؛ لتنفع بها الأمة أجمع.

الكلمات المفتاحية: منهج، وقاية، شبهات.

Abstract:

The Prophet, may God's prayers and peace be upon him, was concerned with immunizing his ummah from falling into the labyrinths of misguidance and suspicion. He set the overall rules and outlines; So that his nation may walk upon it and prove, God willing, from deviation and deviation, and he, peace and blessings be upon him, referred to a number of ways to prevent suspicions, including what is at the level of the individual: such as holding fast to the Qur'an and Sunnah, fortifying with Islamic knowledge and acting upon it, initiating good deeds, and sitting with the righteous. Including what is at the community level: such as consolidating the belief in the souls, caring for the people with advice and guidance, and enjoining good and forbidding evil.

The research concluded with the most important results, including: the inclusion of the hadiths of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, on holistic rules, through



which it is possible to derive the preventive approach from falling into suspicions; Including what is on the individual, and what is on the community.

The most important recommendations: extract the guidance of the two revelations in dealing with suspicions and contemporary problems, then apply and spread them; For the benefit of the whole nation.

Keywords: method, prevention, suspicions.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن من رحمة الله تعالى بعباده أن أرسل إليهم رسوله، نبي الأمة وخير البشر -ﷺ-، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ فجاء مبلغاً لدين الله، ومعلماً للأمة، ومطهراً لها من دنس الشرك والكفر، ومبيناً لها شرائع دين الله، قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

وجاءت سنته المطهرة شاملةً لكل الجوانب التي تحتاجها الأمة؛ فعن سلمان الفارسي -رضي الله عنه- أنه قيل له: «قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ -ﷺ- كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةِ» (١٥٢)، قَالَ: فَقَالَ: أَجَلُ» (١٥٣).

ويكثر في هذا العصر أمواجٌ من الشبهات التي تطعن في الدين وثوابته، فتزعزع عقيدة الإنسان، وتدخله في دوامة الشك والارتياب؛ إن لم يحصن نفسه تحصيناً متيناً يثبتته أمامها.

وقد جاءت السنة النبوية بالمنهج الواضح في الوقاية من هذه الشبهات، وكيفية التصدي لها -كما جاء بها القرآن الكريم-؛ لذا يتحتم إبراز هذا المنهج الوقائي، وتوضيحه للناس كافة؛ لإرشادهم، ولتبين هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الوقاية من الشبهات.

لذا تم اختيار عنوان: [المنهج النبوي في الوقاية من الشبهات على مستوى الفرد والمجتمع]، ومن الله أستمد العون والتوفيق والساد.

أهمية البحث:

- انتشار الشبهات في المجتمع العربي المسلم؛ مما يتحتم على طالب العلم تبين المنهج النبوي في التصدي لهذه الآفة المعضلة؛ صوناً للمجتمع المسلم.
- خطر انتشار الشبهات على الفرد والمجتمع.
- بيان مكانة السنة النبوية في كونها قد جاءت بسبل الوقاية من الوقوع في الشبهات، على مستوى الفرد والمجتمع.

(١٥٢) الخِرَاءَةُ أي: "الجلسة للتخلي، والتنظف منه، والأدب فيه". غريب الحديث، الخطابي، (٣/ ٢٢٠).
(١٥٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الاستنابة، (١/ ٢٢٣)، (ج: ٢٦٢)، عن سلمان الفارسي -رضي الله عنه- مرفوعاً.



- موافقة هذه الدراسة لرؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) التي تسعى إلى تحقيق الأمن الفكري، وصون الفرد والمجتمع من الوقوع في الشبهات.

مشكلة البحث:

- ما المقصود بالشبهات؟
- ما أسباب انتشار الشبهات في العصر الحالي؟
- ما المنهج النبوي في الوقاية من الوقوع في الشبهات على مستوى الفرد والمجتمع؟

أهداف البحث:

- تحصين المجتمع المسلم من الوقوع في الشبهات الزائفة.
- بيان المنهج النبوي في الوقاية من الشبهات.
- إبراز مكانة السنة النبوية في اعتناءها بترصين الفرد والمجتمع من الوقوع في الشبهات.

الدراسات السابقة:

من خلال التتبع في المكتبات وقواعد البيانات، ومراكز البحث؛ لم أطلع على دراسة اعتنت ببيان المنهج النبوي في الوقاية من الشبهات على مستوى الفرد والمجتمع، ومن الدراسات المقاربة للموضوع:

- ١- "المنهج النبوي في التعامل مع الفتن"، إعداد: د. نوال عمر باسعد، مجلة جامعة الملك عبد العزيز – الآداب والعلوم الإنسانية، عام: ٢٠٢٠م.
- ٢- "منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة"، إعداد: ندى حمزة خياط، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، لم تذكر سنة النشر.
- ٣- "دور السنة النبوية في محاربة الإلحاد"، إعداد: د. مالك حباب الرشدي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، عام: لم تذكر سنة النشر.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث اتباع **المنهج الاستقرائي**؛ في استقراء الأحاديث من كتب السنة النبوية المتعلقة بالموضوع، و**المنهج التحليلي** في تحليل هذه الأحاديث. أما خطوات البحث الإجرائية، فهي:

- ١- جمع الأحاديث وترتيبها حسب موضوعاتها.
- ٢- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها كما وردت في المصحف الشريف في المتن.
- ٣- توثيق المادة العلمية من مصادرها المعتمدة في الهامش.
- ٤- بيان غريب الحديث بذكر المعنى من مصادره المعتمدة.
- ٥- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، وترتيبها وفق التالي: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، جامع الترمذي، سنن النسائي، سنن ابن ماجه، موطأ مالك، مسند الإمام أحمد، سنن الدارمي.
- ٦- إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، فيتم الاقتصار في التخريج عليهما.
- ٧- السير على المنهج العلمي في صياغة التخريج وذلك ذكر اسم المصنّف، والمصنّف، واسم الكتاب، والباب، ورقم الجزء والصفحة، ورقم الحديث في الهامش، ثم التعقيب بذكر أقوال أهل العلم في الحكم على الحديث، إن لم يكن في الصحيحين.



التمهيد: تعريف الشبهات وأسباب انتشارها

قبل الشروع في صلب الموضوع، لا بد من تبیین معنى الشبهات، ومعرفة أسباب انتشارها، وتوضيح ذلك:

المطلب الأول: تعريف الشبهات لغة واصطلاحاً:

تعريف الشبهات لغة:

الشبهات جمع شبهة، ويعود أصلها إلى مادة: (شبه) التي تدل على المشابهة والمماثلة، فـ"الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوئاً ووصفاً، يقال شبه وشبه وشبيهه"^{١٥٤}، ويأتي أيضاً بمعنى: الالتباس، والإشكال^{١٥٥}، "والمشبهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمران، إذا أشكلا"^{١٥٦}.

فتبين مما سبق أن الشبهة في اللغة تأتي بمعنى المشابهة، والالتباس، والإشكال.

تعريف الشبهات اصطلاحاً:

قيل في تعريف الشبهة: "هو ما لم يتيقن كونه حراماً أو حلالاً"^{١٥٧}، وقيل: "مشابهة الحق للباطل، والباطل للحق، من وجه إذا حقق النظر فيه ذهب"^{١٥٨}، وقيل: "ما التبس أمره، فلا يدري أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل"^{١٥٩}، فيتبين مما سبق وجود تقارب بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فالالتباس والارتباب هو المقصود من الشبهة.

المطلب الثاني: أسباب انتشار الشبهات:

لانتشار الشبهات أسباب عدة، منها ما هو على مستوى الفرد، كـ:

١- ضعف الوازع الإيماني:

إن ضعف الوازع الإيماني سبب مهم لانتشار الشبهات، فكما كان القلب لاهياً غافلاً عن الله، تسلطت عليه شياطين الإنس والجن بالوسوسة والإضلال.

٢- البعد عن العلم الشرعي:

إن البعد عن العلم الشرعي، والانشغال عنه بالعلوم الأخرى، سبب لتقبل القلب للشبهات؛ إذ إنه لم يكون لنفسه حصناً منيعاً من العلم الشرعي يعلم بسببه الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، والعلم الشرعي يحمي المرء بإذن الله من الوقوع في الشبهات.

٣- التأثير بمواقع التواصل الاجتماعي:

انتشر في هذا العصر استعمال مواقع التواصل الاجتماعي، ولكل منها مزايا وعيوب، فمن عيوب هذه المواقع أنها أتاحت لأهل الضلال نشر شبهاتهم وضلالاتهم على نطاق واسع؛ مما أدى إلى سرعة انتشارها، وتقبلها لدى كثير من العامة، خصوصاً إن لم تلق هذه الشبهات الرد العلمي المفحم من أهل العلم.

^{١٥٤} مقاييس اللغة، ابن فارس، (مادة: شبه)، (٣/ ٢٤٣).
^{١٥٥} ينظر: الصحاح، الجوهري، (مادة: شبه)، (٦/ ٢٢٣٦).
^{١٥٦} مقاييس اللغة، ابن فارس، (مادة: شبه)، (٣/ ٢٤٣).
^{١٥٧} التعريفات، الجرجاني، (ص: ١٢٤).
^{١٥٨} التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، (ص: ٢٠١).
^{١٥٩} المعجم الوسيط، (١/ ٤٧١).



٤- مجالسة أهل الضلال والاستماع إليهم:

للجلوس تأثيرٌ على صاحبه، فمجالسة أهل الضلال والاستماع لأقوالهم، تجعل المرء يتأثر بأفكارهم ومعتقداتهم، والمجالسة في هذا العصر لا تقتصر على المجالسة المباشرة وحسب، بل تشمل حتى مصاحبة أهل الضلال على مواقع التواصل الاجتماعي.

ومنها ما هو على المجتمع، كـ:

٥- إهمال ترسيخ العقيدة الإسلامية في النفوس:

إن إهمال المجتمع لترسيخ العقيدة في النفوس، سبب من أسباب تقبل الشبهات وانتشارها في المجتمع، فكلما ضعفت العقيدة، صار تقبل الشبهات أكثر ولا ريب؛ وكلما ترسخت العقيدة في النفوس، امتلك المجتمع بذلك حصناً منيعاً ضد الشبهات.

٦- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن ترك المجتمع لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب من أسباب انتشار الشبهات في المجتمع، إذ إن ترك هذه الشعيرة تجعل المرء يظن أن الباطل حق، والخطأ صواب، فالكسوت عن تبيين الباطل من الحق للمجتمع في ظل موجة الشبهات، تجعل المجتمع يظن أن هذه الشبهة صحيحة، خصوصاً إن وجد كثير من يروج لها وينشرها، دون إنكار من أهل العلم لها.

المبحث الأول: المنهج النبوي في الوقاية من الشبهات على مستوى الفرد

أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدد من سبل الوقاية من الشبهات، والتي إن عمل بها العبد، حُفظ بإذن الله من الوقوع في دائرة الشكوك والشبهات، منها^{١٦٠}:

المطلب الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة:

حث النبي صلى الله عليه وسلم أمته على التمسك بكتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم؛ لما فيهما من ثبات للمسلم أمام الشبهات، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «... وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ»^{١٦١} الحديث، وقال عليه الصلاة والسلام في إحدى خطبه: «أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّدِينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»^{١٦٢}، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ»^{١٦٣} فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن الأمة ستختلف إلى ملل وفرق شتى، كل

^{١٦٠} تم الاقتصار على عدد منها؛ نظراً لمحدودية صفحات البحث.

^{١٦١} جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، (٢/ ٨٨٦)، (ح: ١٢١٨)، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- مرفوعاً.

^{١٦٢} النواجذ: آخر الأضراس. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٥/ ٢٠).

^{١٦٣} أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٧/ ١٦)، (ح: ٤٦٠٧)؛ والترمذي في جامعه، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (٥/ ٤٤)، (ح: ٢٦٧٦)؛ وابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، (١/ ١٥)، (ح: ٤٢)؛ كلهم عن العرياض بن سارية -رضي الله عنه- مرفوعاً. الحكم على الحديث: قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". (٥/ ٤٤).



يدعي اعتقادًا غير اعتقاد أهل السنة، فأوصى عليه الصلاة والسلام أمته بتقوى الله وطاعة ولاة الأمر، والتمسك بسنته عليه الصلاة والسلام^{١٦٤}.

وإن التمسك بكتاب الله وسنة نبيه تجعل المسلم ينطلق من قاعدة رصينة، وأساس ثابت لا يتزعزع، فإن كتاب الله دستور لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكلاهما شاملان لكل ما تحتاجه الأمة، فهما محفوظان باقية حجتهم إلى قيام الساعة^{١٦٥}.

وقد حرص السلف الصالح -رضوان الله تعالى عليهم- على اتباع هدي نبيهم؛ فحثوا بعضهم على التمسك بالكتاب والسنة، فعن أنس بن مالك، أنه سمع عمر، الغد حين بايع المسلمون أبا بكر، واستوى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، تشهد قبل أبي بكر فقال: «أَمَّا بَعْدُ، فَاخْتَارَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي عِنْدَهُ عَلَى الَّذِي عِنْدَكُمْ، وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَكُمْ، فَخُذُوا بِهِ تَهْتَدُوا وَإِنَّمَا هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ»^{١٦٦}؛ فإن أعظم نعمة أنعم الله بها على السلف الصالح، تمسكهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها عندهم: أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن أو السنة برأيه، ولا بذوقه، ولا بقياسه، ولا نحو ذلك، فإنه قد ثبت عندهم بالبراهين والآيات، أن الرسول قد جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم^{١٦٧}.

فعلم من ذلك أن سبب ضلال بعض العباد ووقوعهم في برائن الشبهات؛ هو ابتعادهم عن الكتاب والسنة، واتباعهم الهوى؛ لذا ينبغي على المسلم أن يتمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ ليحمي نفسه من الوقوع في الشبهات وظلمات الضلال بإذن الله.

المطلب الثاني: تذوق حلاوة الإيمان والاهتمام بأعمال القلوب:

إن وصول القلب لحلاوة الإيمان، يثبت القلب بإذن الله من الوقوع في الشبهات، فعن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»^{١٦٨}، وحلاوة الإيمان هي: عبارة عما يجده المؤمن المحقق في إيمانه، من اطمئنان في نفسه، وانسراح في صدره؛ لأن رضاه بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً دليل ثبوت معرفته ونفاذ بصيرته بما رضي به من ذلك ومخالطة بشاشته قلبه؛ فإن من ذاق حلاوة الإيمان لم يطلب غير الله تعالى، ولم يسع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما وافق شريعة محمد صلى الله عليه وسلم^{١٦٩}.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^{١٧٠}، فحلاوة الإيمان تجعل القلب

^{١٦٤} ينظر: شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد، (ص: ٩٧)؛ شرح المصابيح، ابن الملك، (١/ ١٧٣).

^{١٦٥} ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير، محمد الحسني، (٥/ ٣٣).

^{١٦٦} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (٩/ ٩١)، (ح: ٧٢٦٩)، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- موقوفاً.

^{١٦٧} ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣/ ٢٨).

^{١٦٨} أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، (١/ ٦٢)، (ح: ٣٤)، عن العباس -رضي الله عنه- مرفوعاً.

^{١٦٩} ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، (١/ ٢٧٠)؛ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، (١/ ٢١٠)؛ شرح النووي على مسلم، (٢/ ٢).

^{١٧٠} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (١/ ١٢)، (ح: ١٦)؛ وباب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقي في النار من الإيمان، (١/ ١٣)، (ح: ٢١)؛ وكتاب الأدب، باب الحب في الله، (٨/ ١٤)، (ح: ٦٠٤١)؛ وكتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، (٩/ ٢٠)، (ح: ٦٩٤١)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، (١/ ٦٦)، (ح: ٤٣)، كلاهما عن أنس -رضي الله عنه- مرفوعاً.



يستلذ بالطاعات، ويتحمل المشقات في رضى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتجعله يؤثر ذلك على عرض الدنيا، وإن العبادات تكون ميسرة على من خالط إيمانه قلبه؛ "وذلك أن الإنسان إذا رضى أمراً واستحسنه سهل عليه أمره، ولم يشق عليه شيء منه، فكذاك المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان، سهلت عليه الطاعات، ولذت له، ولم يشق عليه أعبائها"^(١٧١).

ومما يدل على أن الإيمان سبب من أسباب الثبات والوقاية من الشبهات، قوله تعالى: «يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» [إبراهيم: ٢٧]؛ فإن أعظم نعيم يكرم الله به أهل الإيمان، هو الثبات والاطمئنان في زمن الفتن والشبهات، ومن اشتغل بأعمال القلوب فاهتم بها وعهدها فهو المستحق لهذا التثبيت، قال ابن عاشور -رحمه الله-: "ومعنى تثبيت الذين آمنوا بها: أن الله يبسر لهم فهم الأقوال الإلهية على وجهها، وإدراك دلائلها حتى اطمأنت إليها قلوبهم، ولم يخامرهم فيها شك، فأصبحوا ثابتين في إيمانهم غير مزعزين، وعاملين بها غير مترددين"^(١٧٢).

وإن الإيمان يورث في القلب السكينة والطمأنينة، وينفي عنه كير الشكوك والشبهات التي تقلقله، فيكون القلب مستريحاً مطمئناً ثابتاً؛ ولهذا لما سأل هرقل أبا سفيان -رضي الله عنه- عن أصحاب النبي ﷺ -بقوله: «... وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخَطٌ»^(١٧٣) لَهُ، فَرَعَمْتُ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بِشَاشَةَ الْقُلُوبِ»^(١٧٤).

وكلما اجتهد المؤمن في تحصيل أعمال القلوب، من إخلاص وتقوى ونحو ذلك، أعطاه الله فرقاناً وبصيرةً يفرق بها بين الحق والباطل، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» [الأنفال: ٢٩].

ومن حفظ قلبه وعهده بالصون، فإن الله سيحفظه من كل سوء، قال النبي ﷺ لابن عباس -رضي الله عنهما-: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَمْتُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١٧٥). والحفظ هنا لا يشمل الحفظ الحسي فحسب، بل يشمل أيضاً الحفظ المعنوي، وهو حفظ إيمان العبد وثباته أمام الشبهات والشهوات^(١٧٦). فعلم مما سبق أن تذوق حلاوة الإيمان سبب للثبات أمام الشبهات، وأن أعمال القلوب تحفظ القلب من الوقوع في الشبهات بإذن الله؛ إذ بها يطمئن القلب ويثبت، وبها يفرق بين الحق والباطل، وبها يحفظ ويصان.

^{١٧١} شرح النووي على مسلم، (٢/٢).

^(١٧٢) تفسير ابن عاشور، (٢٢٦/١٣).

^{١٧٣} السخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٢/٣٥٠).

^(١٧٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، (٩/١)، (ح: ٧)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، (٣/١٣٩٥)، (ح: ١٧٧٣)، عن أبي سفيان رضي الله عنه.

^(١٧٥) أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٤/٢٨٥)، (ح: ٢٥١٦)، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- مرفوعاً.

الحكم على الحديث: قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح" جامع الترمذي، (٤/٢٨٥).

^(١٧٦) ينظر: صيد الأفكار، حسين المهدي، (١/١٣٢)؛ موسوعة فقه القلوب، محمد التويجري، (١/٢١٥).



المطلب الثالث: التحصن بالعلم الشرعي والعمل به:

حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعليم أمته ما ينفعهم؛ ليكون عندهم حصن منيع ضد الشبهات والفتن، فعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^{١٧٧}. فإن من أراد الله به نفعًا وخيرًا جعله عالمًا بالأحكام الشرعية، ذا بصيرة فيها؛ وليُعلم أنه يلزم على كل المؤمن أن يتعلم من أمر دينه ما لا يسعه جهله، وأما تحصيل العلم بحيث يصير مجتهدًا في بلد ومفتيًا، فهذا فرض كفاية لا فرض عين^{١٧٨}.

وقد ذكر البخاري هذا الحديث تحت باب: "قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» يقاتلون، وهم: أهل العلم"^{١٧٩}، وهذا يشير إلى مكانة أهل العلم، وأنهم هم الغالبون، وأن من الجهاد: طلب العلم.

ولا يكفي أن يكون المرء عالمًا بالأحكام الشرعية وحسب؛ بل يلزمه أن يكون عاملاً بها، مبلغًا عنها، فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ»^{١٨٠}، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرَبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ»^{١٨١}، لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^{١٨٢}، فضرِبَ النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً لما جاء به من العلم والدين، ولمن جاءهم بذلك، فشبه ما جاء به من العلم والدين بالمطر الغزير الذي يأتي الناس حال إشرافهم على الهلاك، ثم شبه أصناف الناس في تقبلهم لما جاء به بالأرض المختلفة^{١٨٣}:

"فالأول: لمن يقبل الهدى ويعلم غيره فينتفع وينفع، والثاني: لمن ينفع غيره بالعلم ولا ينتفع. والثالث: لمن لا ينفع ولا ينتفع"^{١٨٤}.

فمن تحصن بالعلم الشرعي، وعمل به، وعلم غيره، امتلك بذلك حصناً متيناً ضد الشبهات، بعكس من كان جاهلاً لا يعلم ولا يفقه، والواقع يشهد بأن من ابتعد عن العلم الشرعي، كان تقبله للشبهات والشكوك أقوى، إذ لم يكون لنفسه ما يمنع قلبه وعقله من الوقوع في هذه الشبهات؛ لذلك قيل: "طلب العلم أفضل من الجهاد، ولولا العلم ما علم الجهاد"^{١٨٥}؛ لأن

^{١٧٧} جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، (١/ ٢٥)، (ج: ٧١)؛ وكتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: {فإن لله خمسته وللرسول} [الأنفال: ٤١]، (٤/ ٨٥)، (ج: ٣١١٦)؛ وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» يقاتلون وهم أهل العلم، (٩/ ١٠١)، (ج: ٧٣١٢)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، (٢/ ٧١٩)، (ج: ١٠٣٧)؛ وكتاب الإمارة، باب: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، (٣/ ١٥٢٤)، (ج: ١٠٣٧)، كلاهما عن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- مرفوعاً.

^{١٧٨} ينظر: تفسير الموطأ، القنازعي، (٢/ ٥٧٧)؛ المفاتيح في شرح المصابيح، المظهري، (١/ ٣١٩).

^{١٧٩} (٢٠٢/ ٩).

^{١٨٠} أجادب: "صلاّب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعاً". النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (١/ ٢٤٢).

^{١٨١} قيعان: "جمع قاع، وهو المكان المستوي الواسع في وطة من الأرض". المرجع السابق، (٤/ ١٣٢).

^{١٨٢} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، (١/ ٢٧)، (ج: ٧٩)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم، (٤/ ١٧٨٧)، (ج: ٢٢٨٢)، كلاهما عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- مرفوعاً.

^{١٨٣} المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، (٦/ ٨٣).

^{١٨٤} كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، (١/ ٤١٠).

^{١٨٥} تفسير الموطأ، القنازعي، (٢/ ٥٧٧).



حفظ الشريعة إنما يكون بالعلم، والجهاد بالسلاح في سبيل الله مبني على العلم، لا يتقدم المجاهد، ولا يقاتل، ولا يقسم الغنيمة، ولا يتصرف في شيء؛ إلا عن طريق العلم، فالعلم هو كل شيء^{١٨٦}.

وقال الإمام أحمد: "طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحت نيته. قيل: فأى شيء تصحيح النية؟ قال: ينوي بتواضع، وينفي عنه الجهل"^{١٨٧}. أي: ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره. فإنه لن يتصدى للشبهات، إلا طالب علم يحقق المسائل ويدقق النظر في الأدلة؛ لذلك يجب على العبد أن يتحصن بالعلم الشرعي وأن يعمل به؛ ليحمي نفسه وغيره من الوقوع في ضلالات الشبهات.

المطلب الرابع: الإكثار من الأعمال الصالحة والمبادرة إليها:

إن اشتغال المؤمن بالأعمال الصالحة، ومسارحته إليها، سبب للوقاية من الشبهات بإذن الله، وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالمبادرة إلى فعل الطاعات، قال عليه الصلاة والسلام: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^{١٨٨}، ففي هذا الحديث الحث على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل تعذرها، واغتنام الوقت فيها قبل أن يحول بين العبد وبينها الفتن؛ فإن بادر فيها قبل حلولها؛ كان العمل الصالح حماية له منها^{١٨٩}.

ومما يدل على أن الأعمال سبب للوقاية من الشبهات، ما روته أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: «اسْتَيْقِظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَرَعَا يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجَرَاتِ -يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّيْنَ- رَبٌّ كَاسِيَةٌ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ»^{١٩٠}، ففي هذا الحديث دليل على أن الأعمال الصالحة تنجي من الفتن، وأنه يعتصم بها في المحن^{١٩١}.

فما سبق يتبين أهمية المبادرة إلى الأعمال الصالحة، والإكثار منها، فإنها تحفظ المرء من الوقوع في الشبهات بإذن الله.

المطلب الخامس: مجالسة الصالحين:

للجلوس تأثير على صاحبه، وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم أمته بمجالسة الصالحين ومخالطتهم؛ لطيب أثرهم، وحذرهم من مجالسة الأشرار؛ لسوء أثرهم، فعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ»^{١٩٢}، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكِيرِ:

^{١٨٦} ينظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، (١/ ١٠٨).

^{١٨٧} الجامع لعلوم الإمام أحمد، (٥/ ٤٠).

^{١٨٨} أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، (١/ ١١٠)، (ح: ١١٨)، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعاً.

^{١٨٩} ينظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، (٨/ ١٦٤)؛ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، (١/ ٣٢٦)؛ شرح النووي على مسلم، (٢/ ١٣٣).

^{١٩٠} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، (٢/ ٤٩)، (ح: ١١٢٦)؛ وكتاب اللباس، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس والبسط، (٧/ ١٥٢)، (ح: ٥٨٤٤)؛ وكتاب الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، (٩/ ٤٩)، (ح: ٧٠٦٩)، عن أم سلمة -رضي الله عنها- مرفوعاً.

^{١٩١} ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطلان، (٣/ ١١٦)؛ فتح الباري، ابن حجر، (١٣/ ٢٣).

^{١٩٢} الكير: الزق الذي ينفخ به النار. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٤/ ٢١٧).



إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^{١٩٣}، فمثل النبي صلى الله عليه وسلم بهذين المثليين، ترغيباً في صحبة الصالحين والعلماء ومجالستهم؛ فإنها تنفع في الدنيا والآخرة، وتحذيراً من صحبة الأشرار والفساق؛ فإنها تضر ديناً ودنياً، فبين عليه الصلاة والسلام أن الجليس الصالح كحامل المسك يُنتفع بما معه، إما بهبة، أبو بعوض، أو نحو ذلك، فالخير الذي يصيب العبد من جلسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك، فإنه إما أن يُعلم ما ينفع صاحبه من أمور دينه ودنياه، أو يهدي له نصيحة، أو يحثه على طاعة، أو يحذر من معصية، ونحو ذلك، فخير صاحب الصالح عظيم^{١٩٤}؛ ولذا رغب النبي صلى الله عليه وسلم في اصطفاء الجلساء الصالحين؛ فعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»^{١٩٥}.

وقد قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وشبهه صلى الله عليه وسلم جلس السوء بالحداد، نافخ الكير، فإنه إما أن يشرك صاحبه في شره فتحرقه النار، أو يسيء إلى سمعته بأنه يصاحب الأشرار؛ ولذا حذر عليه الصلاة والسلام من مصاحبة جلس السوء؛ لضررها من جميع الوجوه، فكم هلك بسبب مصاحبة الأشرار أقوام، وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون؛ ولهذا كان من أعظم نعم الله على العبد المؤمن، أن يوفقه لصحبة الأخيار، ومن عقوبته لعبد، أن يبتليه بصحبة الأشرار^{١٩٦}.

ومما سبق يعلم أن مجالسة الصالحين سبب من أسباب الوقاية من الشبهات بإذن الله، وأن مخالطة أهل السوء ومجالستهم والاستماع إليهم سبب للوقوع في متاهات الشبهات، والمجالسة لا تقتصر على المجالسة المباشرة وحسب، بل إن المجالسة في العصر الحالي، تشمل المجالسة الافتراضية -أي عبر مواقع التواصل الاجتماعي-، فإن تأثير هذه المواقع على صاحبها لا يقل عن المصاحبة المباشرة، بل قد يكون تأثيرها أقوى عند بعضهم، خصوصاً من كانت مدة جلوسه على هذه المواقع طويلة. وكذا مجالسة الكتب، ونحو ذلك؛ لذا ينبغي على المرء أن يحسن انتقاء جلسائه، لينفعوه لا ليضره.

المبحث الثاني: المنهج النبوي في الوقاية من الشبهات على مستوى المجتمع

اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بتوجيه أمته إلى ما فيه خير وصلاح لهم، وقد أشار عليه الصلاة والسلام إلى عدد من سبل الوقاية من الوقوع في الشبهات، والتي إن تمسك بها المجتمع وطبقها وحرص عليها، حُفظ بإذن الله من الوقوع في الشبهات، منها^{١٩٧}:

^{١٩٣} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، (٣/ ٦٣)، (ج: ٢١٠١)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، (٤/ ٢٠٢٦)، (ج: ٢٦٢٨)؛ كلاهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه -مرفوعاً.

^{١٩٤} ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي، (٨/ ٣١٣٦)؛ بهجة قلوب الأبرار، السعدي، (ص: ١٥٦)؛ المنهل الحديث في شرح الحديث، موسى شاهين، (٤/ ١١١).

^{١٩٥} أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، (٧/ ٢٠٣)، (ج: ٤٨٣٢)؛ والترمذي في جامعه، أبواب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، (٤/ ٦٠٠)، (ج: ٢٣٩٥)؛ كلاهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه -مرفوعاً. الحكم على الحديث: قال الترمذي: "هذا حديث حسن". جامع الترمذي، (٤/ ٦٠٠).

^{١٩٦} ينظر: بهجة قلوب الأبرار، السعدي، (ص: ١٥٦)؛ المنهل الحديث في شرح الحديث، موسى شاهين، (٤/ ١١١).
^{١٩٧} تم الاختصار على عدد منها؛ نظراً لمحدودية صفحات البحث.



المطلب الأول: ترسيخ العقيدة في النفوس:

حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس أمته، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لَمَّا بعث معاذًا على اليمن، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَثَرَدٌ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»^{١٩٨}، فابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم بأهم أمر وهو: الدعوة إلى توحيد الله، وإلى معرفته سبحانه، وهذا من العقيدة؛ فإن هم أقرؤا بذلك؛ فعليهم بمطالب هذه العقيدة، وهي: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج^{١٩٩}.

وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ: «أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ»^{٢٠٠}، فيتبين هنا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ترسيخ العقيدة بشتى الوسائل، فقد استعمل هنا صيغة السؤال؛ ليكون أبلغ وأكثر وقعًا في نفس سامعه^{٢٠١}، فبين عليه الصلاة والسلام أن حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ولأجل هذا الأمر خلق الله العباد، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولأجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّاعُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. أما حق العباد على الله إن هم قاموا بالتوحيد الخالص من الشرك: ألا يعذبهم.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قَالَ: كُنْتُ خَلَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَمْتُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا سَأَلْتِ فَاسْأَلِي اللَّهَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^{٢٠٢}، فيتضح هنا عناية النبي صلى الله عليه وسلم بترسيخ العقيدة، سواء كان سامعه صغيرًا أم كبيرًا، فقد كان من هديه عليه الصلاة والسلام تربية الصغار وتعليمهم أمور دينهم، من العقيدة الصحيحة، ونحو ذلك، وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم وابن عباس في الثالثة عشر، وقيل: في الخامسة عشر من عمره^{٢٠٣}.

^{١٩٨} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، (٢/ ١١٩)، (ح: ١٤٥٨)؛ وكتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، (٩/ ١١٤)، (ح: ٧٣٧٢)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، (١/ ٥١)، (ح: ١٩)؛ كلاهما عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- مرفوعًا. ^{١٩٩} ينظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى بن شاهين، (١/ ٧٠)؛ توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، عبد العزيز الراجحي، (١/ ٨٢).

^{٢٠٠} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، (٧/ ١٧٠)، (ح: ٥٩٦٧)؛ وكتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، (٨/ ٦٠)، (ح: ٦٢٦٧)؛ وكتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، (٨/ ١٠٥)، (ح: ٦٥٠٠)؛ وكتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، (٩/ ١١٤)، (ح: ٧٣٧٣)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار، (١/ ٥٨)، (ح: ٣٠)؛ كلاهما عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- مرفوعًا.

^{٢٠١} ينظر: توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، عبد العزيز الراجحي، (١/ ٩٨).

^{٢٠٢} سبق تخريجه.

^{٢٠٣} ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، (٣/ ٢٩١).



ففي هذا الحديث يحث النبي صلى الله عليه وسلم أمته على حفظ حدود الله، وذلك بفعل ما أمره الله وترك ما نهاه؛ فإن حفظ العبد حدود الله، حفظه الله من كل شر، وسهّل عليه كل مطلوب؛ وإذا سأل العبد حاجة من الحوائج، فليتجه إلى الله، فهو الذي بيده تدبير الأمور كلها؛ وإذا استعان فليستعن بالله فهو المعين وحده لا سواه؛ وليعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه، لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولن يضروه إلا بشيء قد قدره الله عليه، فإن المقادير قد كتبت قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف سنة^{٢٠٤}.

ومما سبق يتبين أهمية ترسيخ العقيدة في النفوس، وأنها سبب للوقاية من الشبهات بإذن الله، فكلما ترسخت العقيدة في نفس العبد، امتلك بذلك حصناً منيعاً ضد الشبهات؛ لذا فالواجب على الجميع اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الاهتمام بالعقيدة الإسلامية، وتنويع أساليب الدعوة؛ لجذب نفوس السامعين وتشويقهم، وتعزيزها في نفوس من حولهم صغاراً كانوا أم كباراً.

المطلب الثاني: الاهتمام بالرعية بالنصح والتوجيه:

إن الاهتمام بالرعية واجب من واجبات كل مسؤول مهما كان منصبه، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم أمته على الاهتمام بالرعية، فقال عليه الصلاة والسلام: «كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فِكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^{٢٠٥}، وأصل الرعاية: "حفظ الشيء، وحسن التعهد له"^{٢٠٦}، والراعي هو الذي يقوم على الشيء، فيرعى مصالحه فيهيئها، ويرعى مفسده فيجنبه إيها، كراعي الغنم. فكل من جعله الله أميئاً على شيء، لزمه الاجتهاد في الاهتمام برعيته من نصح، وتوجيه، ورعاية، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وعليه ألا يفرط في ذلك من شيء^{٢٠٧}.

ومما يدل على أهمية الاهتمام بالرعية، وحرص الشريعة عليها، ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ»^{٢٠٨}، ففي هذا الحديث التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله شيئاً من أمرهم، واسترعاه عليهم في أمور دينهم أو دنياهم، فأهلهم؛ إما بتضييعه تعريفهم ما يلزمهم من دينهم، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حمايتهم، ومجاهدة عدوهم، ونحو ذلك، فمن فعل شيئاً من ذلك فقد غش رعيته، وخان فيما أوثمن عليه، وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك من الكبائر المبعدة عن الجنة^{٢٠٩}.

فيتبين مما سبق ضرورة الاهتمام بالرعية، وتفقد أحوالهم، والنصح لهم في أمور دينهم وديناهم، وأن هذا من أسباب الوقاية من الشبهات بإذن الله؛ لذا فالواجب على كل من ولي أحدًا أن يهتم بتوضيح وترسيخ العقيدة الإسلامية لرعيته، فلا

^{٢٠٤} ينظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (١/ ٤٦٢).

^{٢٠٥} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، (٢/ ٥)، (ح: ٨٩٣)؛ وكتاب الاستقراض، باب: العبد راعٍ في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، (٣/ ١٢٠)، (ح: ٢٤٠٩)؛ وكتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي أو أمتي وقال الله تعالى، (٣/ ١٥٠)، (ح: ٢٥٥٤)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، (٣/ ١٤٥٩)، (ح: ١٨٢٩)، كلاهما عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعاً. ^{٢٠٦} أعلام الحديث، الخطابي، (١/ ٥٧٩).

^{٢٠٧} ينظر: المرجع السابق؛ شرح صحيح البخاري، ابن بطل، (٧/ ٣٢٢)؛ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، (٤/ ٢٧). ^{٢٠٨} أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، (١/ ١٢٦)، (ح: ١٤٢)، عن معقل بن يسار -رضي الله عنه- مرفوعاً.

^{٢٠٩} ينظر: شرح النووي على مسلم، (٢/ ١٦٦).



شيء أخطر من ضياعها، وأن يحرص على متابعتهم بشتى الوسائل، فلو أن الأسر، ومن كان يعمل في المدارس، والجامعات، والمستشفيات، وسائر من يعمل في القطاعات الحكومية والخاصة عمومًا، اهتموا برعتهم من نصح، وتوجيه، ومتابعة؛ لكان المجتمع أكثر تماسكًا بالدين الإسلامي، معتزًا بهويته.

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وصف الله تعالى هذه الأمة بالخيرية في كتابه الكريم؛ لأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم أمته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لما فيه من مصلحة عظيمة للعباد والبلاد، فعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^{٢١٠}، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بتغيير المنكر، كل حسب استطاعته، فمن كانت له سلطة، واستطاع تغيير المنكر بيده فليفعل؛ فإن لم يستطع، غيّر المنكر بالقول المرتجى نفعه، من لين أو إغلاظ حسب ما هو أنفع؛ فإن لم يستطع، غيّر بقلبه، ومعناه: أن يكره ذلك الفعل بقلبه، ويعزم على أن لو قدر على التغيير لغيّره، وهذه آخر خصلة من الخصال المتعينة على المؤمن في تغيير المنكر^{٢١١}.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به البعض، سقط الإثم عن البقية، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف^{٢١٢}؛ لذا يلزم على من رأى من حوله من أهل، أو زملاء، أو غير ذلك، قد تركوا معروفًا، أو فعلوا منكرًا، أن ينصحبهم ويوجههم؛ لنلا يحصل لهذه الأمة كما حصل لبني إسرائيل من عقوبة؛ جزاء تركهم لهذه الشعيرة العظيمة، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]، أي: كان لا ينهى أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم؛ فعاقبهم الله بالعقاب الأليم، وهو الطرد من رحمته، واستحقاق السخط والغضب^{٢١٣}.

فاشترك الساكتون عن المنكر، القادرون على إنكار المنكر، مع المباشرون لهذه المعصية، في هذا العذاب؛ لتهاونهم بأمر الله، ولقلة تعظيمهم لمحارمه، إذ لو كان لديهم تعظيم لربهم؛ لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه، وقد استحق السكوت عن المنكر هذا الجزاء العظيم؛ لما فيه من مفساد وأضرار جسيمة، فالسكوت عن المنكر سبب في زيادة الشر على الأمة؛ إذ يزداد العصاة بارتكاب المنكرات، ونشرها بين الناس، كما أن في السكوت عن المنكر اندراس للعلم، وفشو للجهل، فإن المنكر مع تكرره وصدوره من عدد كبير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل العلم له، قد يظن أنه ليس بمنكر، بل ربما ظن البعض أنه عبادة مستحسنة، كما هو مشاهد من ابتداع الأعياد والعبادات غير المشروعة، ونحو ذلك^{٢١٤}، ولا شيء أخطر من انتشار الشبهات، واستحسان الناس لها، وسكوت كثير من أهل العلم عن الرد والتصدي لها؛ إذ فيه أضرار ومفاسد عظيمة على الأمة الإسلامية.

^{٢١٠} أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، (١/ ٦٩)، (ح: ٤٩)، عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- مرفوعًا.

^{٢١١} ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، (١/ ٢٣٤)؛ شرح النووي على مسلم، (٢/ ٢٣).

^{٢١٢} ينظر: المرجع السابق.

^{٢١٣} تفسير ابن كثير، (٣/ ١٦٠).

^{٢١٤} ينظر: تفسير ابن كثير، (٣/ ١٦٠)؛ تفسير السعدي، (ص: ٢٤١).



فيتبين مما سبق أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه من أسباب الوقاية من الشبهات بإذن الله؛ فكلما كان المجتمع حريصاً على إنكار المنكر، مهتماً بتبيين الزائف من معتقدات وأفكار باطلة للناس، كان المجتمع أكثر تحصناً من الوقوع في الشبهات، وأما السكوت عن تبیین الباطل من الحق للناس في ظل موجة الشبهات، يجعل المجتمع يظن أن هذه الشبهة صحيحة، خصوصاً إن وجد كثير من يروج لها وينشرها، دون إنكار من أهل العلم لها، والواقع يشهد لذلك؛ ولخطورة ذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الاهتمام بهذه الشعيرة بأي طريقة كانت؛ ليكون المجتمع سالمًا محصنًا بإذن الله.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد كان هذا البحث المعنون بـ: **(المنهج النبوي في الوقاية من الشبهات على مستوى الفرد والمجتمع)**، مركزاً على جانب اعتناء النبي صلى الله عليه وسلم بوضع القواعد الكلية لتحسين الفرد والمجتمع من الوقوع في الشبهات، وقد خلص البحث إلى نتائج عدة، أهمها:

- ١- اشتمال أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم على قواعد كلية، يمكن من خلالها استنباط المنهج الوقائي من الوقوع في الشبهات؛ منها ما هو على الفرد، ومنها ما هو على المجتمع.
- ٢- أبرز أسباب انتشار الشبهات في العصر الحالي:
 - أ- ضعف الوازع الإيماني. ب- البعد عن العلم الشرعي. ج- التأثير بمواقع التواصل الاجتماعي. د- مجالسة أهل الضلال.
 - هـ- إهمال ترسيخ العقيدة الإسلامية في النفوس. د- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٣- أبرز سبل الوقاية من الوقوع في الشبهات على مستوى الفرد:
 - أ- الاعتصام بالكتاب والسنة. ب- تذوق حلاوة الإيمان والاهتمام بأعمال القلوب. ج- التحصن بالعلم الشرعي والعمل به.
 - د- المبادرة إلى الأعمال الصالحة والإكثار منها. هـ- مجالسة الصالحين.
- ٤- أبرز سبل الوقاية من الوقوع في الشبهات على مستوى المجتمع:
 - أ- ترسيخ العقيدة في النفوس. ب- الاهتمام بالرعية بالنصح والتوجيه. ج- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن التوصيات:

- ١- حصر سبل الوقاية والعلاج من الوقوع في الشبهات، وتقسيمها على مستوى الفرد والمجتمع.
- ٢- استخراج هدي الوحيين في التعامل مع الشبهات والمشكلات المعاصرة، وتطبيقها، ونشرها؛ لتنفع بها الأمة أجمع.



فهرس المصادر والمراجع

- ❖ القرآن الكريم.
- ❖ أعلام الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- ❖ الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، (ت ٥٦٠ هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن، سنة النشر: ١٤١٧ هـ.
- ❖ بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت ١٣٧٦ هـ)، المحقق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ❖ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- ❖ التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ❖ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ❖ تفسير الموطأ، عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصاري، أبو المطرف القنّازي (ت ٤١٣ هـ)، حققه وقدم له وخرج نصوصه: الأستاذ الدكتور عامر حسن صبري، الناشر: دار النوادر - بتمويل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ❖ التّنويزُ شرحُ الجامع الصّغير، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، (ت ١١٨٢ هـ)، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- ❖ توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، الناشر: مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.
- ❖ التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١ هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ❖ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ❖ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السّلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ❖ الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م.
- ❖ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ❖ شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ)، الناشر: مؤسسة الريان، الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ❖ شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١ هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.
- ❖ شرح صحيح البخاري، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩ هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ❖ شرح صحيح مسلم، المسمى إكمال المعلم بقوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤ هـ)، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ❖ شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، محمد بن عزي الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن فرشتا، الرؤمي الكرماني، الحنفي، المشهور بـ ابن الملك (ت ٨٥٤ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- ❖ الصحاح تاج اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.



- ❖ صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ.
- ❖ صحيح مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي - القاهرة.
- ❖ صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي حسين بن محمد المهدي، الناشر: سجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة ٢٠٠٩ م، راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي، مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي.
- ❖ غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، الناشر: دار الفكر - دمشق، عام النشر: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ❖ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- ❖ فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، الناشر: دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ❖ الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ❖ كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن - الرياض.
- ❖ مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
- ❖ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤ هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ❖ مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- ❖ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ❖ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
- ❖ المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني الكوفي الضريز الشيرازي الحنفي المشهور بالمظهري (ت ٧٢٧ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- ❖ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميسنو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بدوي - محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ❖ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية.
- ❖ المنهل الحديث في شرح الحديث، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، الناشر: دار المدار الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.
- ❖ موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية.
- ❖ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.



"ملاحم نظرة الاستشراق للإسلام في القرون الوسطى"

أ.مريم بنت خالد عبدالفتاح- جامعة طيبة - المملكة العربية السعودية

Email: Mabdulfatah@taibahu.edu.sa

مقدمة

شكّل ظهور الإسلام صدمةً قويةً لأوروبا في القرون الوسطى، فدقّت كنائسها ناقوس الخطر من المجهول القادم الذي بدأ يطرق حدود جغرافيتها؛ خوفاً من اكتساحه المسيحية وتحويل أتباعها منها إليه، فهرع رهط من الرهبان والقديسين لحماية الكنيسة وأتباعها متخذين من الهجوم اللاذع وسيلة للدفاع، ونتج عن ذلك صورة مؤذية لدين الإسلام فضلاً عن كونها حقيقة، لقد كان ما فعلوه إساءة بالغة لحقيقة الإسلام ونبيه وأتباعه لدرجة كبيرة أثرت في وعي الغرب وفي أعماق وجدان ذلك المكان من العالم والتي مازالت حتى اليوم..

تهدف هذه الورقة العلمية إلى الكشف عن التصورات الأولى التي صاغها الغرب عن الإسلام ونبيه وأتباعه في القرون الوسطى، كما أنها تلقى الضوء على الآثار التي تركتها المعرفة الاستشراقية التي نتجت في تلك العصور على الشرق والغرب، من خلال طرح السؤالين التاليين: ماهي أبرز ملاحم تلك النظرة؟ وكيف كان أثرها على العالمين معاً؟

الكلمات المفتاحية: الاستشراق- الإسلام- القرون الوسطى.

The raise of Islam caused a strong shock in Europe in the middle ages. European churches sounded the alarm in fear of the unknown danger which started to expand closer to European territories. The fear that Islam could rival Christianity in these territories caused many priests and christians to criticize Islam and misrepresent the image of Islam as a defense strategy. This damaged and distorted the reality of Islam and its followers. This distorted image still remains in the west until today.

The goal of this paper is highlight the western first impressions about Islam, Prophet Mohammed, and Muslims that were made in the middle ages. Then, the effect of these first impressions will be presented in this paper. It will answer the following questions: what are the first impressions? How did it effect both the west and the east?

keywords: Orientalism- middle Ages- Islam.



أولاً: مفهوم الاستشراق

يمكن القول بشكل عام وأولي أنّ (الاستشراق) هو اهتمام الغرب بالشرق، ثم تبدّى هذا الاهتمام ليصبح بامتياز نشاطاً بحثياً ومعرفياً حول الآخر وهو (العالم العربي والإسلامي)، والذي ظهرت إرصاصاته الأولى طوال القرون الوسطى، واستمر عبر محطات متفاوتة حتى عهدنا هذا، فراكم موضوعات ضخمة، مختلفة الغايات والمقاصد، ومتفاوتة الأهمية والقيمة من حيث المنهجية العلمية والدراسة البحثية، وعليه فالاستشراق هو هذه المعرفة التي تراكمت عبر العصور، وانتظمت في نسق له مقدمات ونتائج وعمل بمناهج مخصوصة^{٢١٥}، إلى الوقت الحاضر من خلال اهتمامات الباحثين الغربيين بحقول معرفية بحثية مختلفة ومتجددة تتعلق بالشرق.

ثانياً: مفهوم القرون الوسطى

هي الفترة الممتدة من القرن الرابع والخامس الميلاديين تقريباً وحتى القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، باعتبار أن القرن السابع منها، هو القرن الهجري الأول في التاريخ الإسلامي.

وفي الحقيقة؛ تم اعتبار القرنين الرابع والخامس الميلاديين بداية للعصور الوسطى، وذلك لأسباب عدة منها السياسية؛ حيث غدت الإمبراطورية الرومانية في أوج قوتها واتساعها، ومن الناحية الاقتصادية والاجتماعية فقد تناقص في تلك الفترة عدد العبيد، الأمر الذي أدى إلى انتشار وسيادة النظام الإقطاعي بدلاً من النظام والعلاقات العبودية، ومن الناحية الفكرية فقد ظهرت وانتشرت الديانة المسيحية بدلاً من الوثنية التي كانت مسيطرة قبل هذه الفترة.

كما أنه تم اعتبار القرنين الخامس عشر والسادس عشر هو نهاية فترة العصور الوسطى، لجوانب عديدة أيضاً، منها عدد من الأحداث السياسية التي تمثلت في فتح العثمانيين "القسطنطينية" سنة ١٤٥٣م، وتوقف حرب المئة عام بين إنجلترا وفرنسا، وخروج الأندلس من أيدي المسلمين سنة ١٤٩٢م، واكتشاف أمريكا في نفس السنة، وكذلك نشوء بدايات الحركة الإصلاحية في ألمانيا، أما من الجانب الاقتصادي والاجتماعي؛ فقد انقلب الاقتصاد الزراعي إلى اقتصاد صناعي – تجاري ينزع إلى الرأسمالية مما ساعد النظام الإقطاعي بإطاحة النظام البرجوازي، ومن الجانب الفكري، فقد تحررت العقلية الأوروبية من سيطرة الدين، ودُحرت الكنيسة أمام الفكر العلماني، وبدأت آلات الطباعة بنشر الأفكار التقدمية^{٢١٦}.

ثالثاً: مقارنة تاريخية بين الإسلام والقرون الوسطى

حين نقارب بين العالمين في التاريخ الحضاري والإنساني للبشرية نجد بأنهما قد كانا عالمين متناقضين من نواحي متعددة، من الناحية الفكرية والاجتماعية والثقافية، وفي محاولة للمقاربة بين العالمين، على صعيد الجانب الفكري، استناداً على المرجع الفكري الأول لدى الأوروبيين في ذلك الوقت وهو "الكنيسة" فقد اعتمدت في نقضها للأفكار المناوئة عنها في القرون الوسطى إلى تفوقها الاجتماعي وإلى تقاليدها العريقة الواثقة من نفسها، حيث جرى نقض المفكرين المسيحيين للجدل اليهودي من موقع المتفوق المستخفّ الآمن، وهو نفس الشأن الذي اتخذته الكنيسة ومفكروها المسيحيون في مواجهة

^{٢١٥} ينظر: بنسالم حميش، العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، ط ١، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١١م)، ص ١٧.

^{٢١٦} أشرف صالح سيد، قراءة في تاريخ وحضارة أوربا العصور الوسطى، ط ١، (لبنان: شركة الكتاب العربي الإلكتروني، ٢٠٠٨)، ص ١١ و ٢٠.



الفرق المسيحية والهرطقات التي ظهرت في القرن الحادي عشر، وكذلك انفصال الكنيسة الشرقية عن الغربية، حيث جرى التعامل مع ذلك كله بالأسلوب نفسه، إلا أن الإسلام كان عصياً على المعاملة بالطريقة نفسها لتحقيقه نجاحات ضخمة ومهمة في كافة المجالات، حيث استطاع أن يقف في وجه الحملات العسكرية (الحروب الصليبية) القادمة من أوروبا، وكذا استطاع أن يحتوي موجات التبشير، فما كان بوسع أوروبا أن تنال منه أو أن تُضعفه^{٢١٧}.

أما من الناحية الاجتماعية فلم يكن الإسلام والمسيحية الغربية في العصور الوسطى منظومتين متفاوتتين من الناحية الفكرية والدينية فقط، بل وأيضاً من الناحية الاجتماعية لأن كلاهما سادا في وسطين اجتماعيين مختلفين أيضاً، "فقد ظلّ الغرب طوال العصور الوسطى تقريباً، وعلى امتداد رقعته الجغرافية؛ بلاداً زراعية فيها الفلاحون والإقطاعيون والرهبان والكهنة بالدرجة الأولى؛ في الوقت الذي كانت فيه الحضارة الإسلامية تتمركز في مدن الإسلام الكبرى، وبلاطاته الغنية، وطرقه التجارية الممتدة"^{٢١٨}.

وقد شكّلت حينها الرهبنة، والكهانة، والهرمية الاجتماعية؛ المثل الأساسية لأوروبا الوسطية، بينما شهد الإسلام الوسيط في بنيته الاجتماعية الأساسية فئات بشرية مدنية متحررة تتمتع بسواسية اجتماعية، مقبلة على العمل والحياة، وبالتالي اختلف التطور الاجتماعي لدى المنظومتين، حيث خلدت أوروبا حقبة طويلة إلى غفوتها ثم نهضت منها في نهايات العصور الوسطى، واستمرت بالصعود البطيء، بينما بلغ الإسلام منذ ظهوره أوجاً اجتماعياً في وقت قصير، ثم بدأ بالتراجع البطيء دون اتجاه لذروته مرة أخرى^{٢١٩}.

ومن الناحية الثقافية فقد كان الإسلام يزدهر ثراءً في المجالات كلّها؛ بينما لم يملك الغرب في الحقب نفسها (العصور الوسطى) إلا ثقافة آباء الكنيسة، والشعراء الكلاسيكيين، وثقافة مدرسيّ اللاتين، ولم يدرك العلماء اللاتين ذلك التفاوت الهائل بين الثقافتين (الإسلام، والغرب المسيحي) إلا في القرن الثاني عشر حيث شكّل ذلك صدمة قاسية لهم^{٢٢٠}.

لقد "حقّق الإسلام خلال قرونه الأربعة الأولى تطوراً ثقافياً وحضارياً عالياً؛ لم تستطع أوروبا المسيحية تحقيقه إلا عبر عصور متطاولة من النضوج البطيء والمتردد"^{٢٢١}، حيث أظهرت الحضارة الإسلامية في كل من القرن التاسع والعاشر والحادي عشر من علماءها وأعمالها العلمية ما لم تستطع المسيحية الأوروبية أن تفعله حتى القرن الرابع عشر من تاريخها الحضاري^{٢٢٢}.

^{٢١٧} ينظر: ريتشارد سوزن، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة: رضوان السيد، ط٢، (دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٦)، ص ٤٠.

^{٢١٨} المرجع السابق، ص ٤٢، ٤٣.

^{٢١٩} ينظر: المرجع السابق.

^{٢٢٠} ينظر: المرجع السابق، ص ٤٤.

^{٢٢١} المرجع السابق، ص ٤٢، ٤٣.

^{٢٢٢} ينظر: المرجع السابق.



رابعاً: أهمية التعرف على النظرة في القرون الوسطى

أعتبرت الكتابات قبل القرن السابع عشر كتابات كنسية عبّرت عن اتجاه الكنيسة المعادي للإسلام فلم تكن حينها الأهداف والدوافع لدراسة الإسلام دوافعاً علمية بل كانت الدوافع المعلنة والواضحة من قبل المستشرقين دوافع دينية بحثة تستهدف حماية الكنيسة والدفاع عن المسيحية وأتباعها وذلك من خلال محاربة الإسلام^{٢٢٣}.

فقد شكّل نجاح الإسلام وتوسعه تحدياً كبيراً، وتهديداً وجودياً لأوروبا الوسطية^{٢٢٤}، مما سبب خوفاً عميقاً من الدين الجديد (الإسلام) وشعوراً بعدم الأمان والصدمة الحضارية وعدم الرضا^{٢٢٥}، لقد كان الإسلام بالنسبة لأوروبا من "أخطر عوامل الإرهاب والإرهاق؛ وعلى كل المستويات"^{٢٢٦}، وقد فضّل الغرب (كنيسة و دولة) أن يواجه هذا العدو من الطريق الأسهل وذلك من خلال "إدانته واستبعاده باعتباره همجياً كافراً بدلاً من فهمه"^{٢٢٧}.

من هنا تنطلق أهمية التعرف على نظرة الاستشراق في القرون الوسطى إلى الإسلام لكونها أسست البدايات الأولى التي شكلت صورة الإسلام لدى الغرب، كما أن للقرون السابقة دوراً كبيراً ومثالاً في الذهنية الغربية المعاصرة إذ رسخت تلك النظرة القديمة مواقف الغربيين تجاه الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، والتي ما زالت حتى اليوم مؤثرة في "أعماق الأوروبيين تظهر في المناسبات بوعي أو بغير وعي"^{٢٢٨}، وبشكل عام فإن مواقف الغرب الأساسية تجاه الدين الإسلامي لم تتغير في عصرنا الحاضر، حيث نجد بعض الكتاب الغربيين "لا يزالون حتى اليوم أسرى التصورات القديمة التي خلفتها العصور الوسطى عن الإسلام ونبيه"^{٢٢٩}، ومن هنا تتجلى أهمية البحث عن ملامح تلك الصورة التي تشكلت في الكتابات الاستشراقية المبكرة عن الإسلام ونبيه، وأتباعه.

المبحث الثاني: أبرز ملامح النظرة الاستشراقية في القرون الوسطى للإسلام

يرى وليام موانتغمري وات أن صورة الإسلام في القرون الوسطى ارتكزت على أربعة نقاط أساسية وهي: أن الإسلام دين باطل، وأنه انتشر بالعنف والسيوف، وأنه دين انغماس في الملذات، وأن محمد هو المسيح الدّجال^{٢٣٠}.

وفيما يلي عرض بتقنين ملامح تلك النظرة، بفصل كل جانب على حدة، الدين الإسلامي، ثم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأخيراً أتباعه المسلمين.

^{٢٢٣} حمدي زقزوق، الإسلام في تصورات الغرب، ط١، (مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ص ١٣٠.
^{٢٢٤} ينظر: جون لـ. إسبزييتو، التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة، ترجمة: د. قاسم عبده قاسم، ط٢، (القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢م-٢٠٠٢م)، ص ٤٥.
^{٢٢٥} ينظر: ريتشارد سودرن، مرجع سابق، ص ٣٩.
^{٢٢٦} المرجع السابق، ص ٣٧.
^{٢٢٧} جون لـ. إسبزييتو، مرجع سابق، ص ٦١.
^{٢٢٨} حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص ١٢٨.
^{٢٢٩} المرجع السابق، ص ١٢٩.
^{٢٣٠} ينظر: وليام موانتغمري واط، تأثير الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: سارة الذيب، ط١، (بيروت: جسور للترجمة والنشر، ٢٠١٦م)، ص ١٣٢.



أولاً: الدين الإسلامي

إنّ بروز الإسلام تحدياً وحدثاً تاريخياً واحتكاكاً بأوروبا بشكل مباشر - وذلك على نحو ما قد ذكر - عجل بالكتاب الأوربيين للبحث عن المصادر المتاحة لديهم؛ من أجل إسعافهم لمواجهة ذلك المد من خلال الرجوع إلى الوثيقة الأولى والأساسية المتاحة بين أيديهم - بطبيعة الحال - في ذلك الوقت وهو الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد^{٢٣١}.

وقد أدّى هذا البحث الإنجيلي بكتاب العصر الوسيط إلى التمسك بفكرة ارتكزت حول تفسير ظهور الإسلام بكونه "غضباً إلهياً" سابقاً لظهور المسيح الدجال، أي علامة من علامات الغضب الإلهي على العالم المسيحي الذي كان يُعاني حينذاك من التشرذم الطائفي وعدم التمسك بالدين والكنيسة،^{٢٣٢} وقد أثّرت هذه الفكرة تأثيراً بالغاً لدى بعض الكتاب المتأخرين نسبياً عن العصور الوسطى^{٢٣٣}.

كما تدور معظم الكتابات حول الدين الإسلامي في ذلك العصر باعتباره هرطقة مسيحية، حين زوّد محمد بنسخة مشوهة من المسيحية، تلقّاها من راهب هرطقي يدعى (سيرجيوس) كان قد أجبر على الهروب من المسيحية، وتفسّر كارين أرمسترونغ ذلك بأن ما جعلهم يعتبرون الإسلام كما زعموا هرطقة من الهرقات، أو شكلاً من أشكال الانفصال عن المسيحية، هو الإطار الذي وضع فيه المسيحيون أنفسهم من إنكارهم وجود الوحي في الحقيقة التي جاء بها محمد^{٢٣٤}.

ويجدر القول بأنّ مصادر البحث الأوروبي في العصور الوسطى لم تكتفِ فقط بالكتاب المقدس بل امتدت إلى ما كتبه رجال الدين الذين استندوا إلى المؤلفات الجدالية اللاهوتية للمسيحيين الشرقيين، وأيضاً إلى الحكايات الشعبية، وقصص الأبطال والحجاج القديسين، وترجمات بعض مفكريهم وعلمائهم، إلا أن المعلومة كانت تنتزع من سياقها الأصلي، ومن ثم تُقدم إلى القارئ الأوروبي، مما شكّل تشويهاً وتزييفاً للوقائع على غير حقيقتها وبصورة متعمدة وواعية أحياناً^{٢٣٥}.

ثانياً: النبي محمد صلى الله عليه وسلم

لقد وجد المسيحيون في ظهور النبي محمد مشكلة كبرى؛ لأنه كان في اعتقادهم أن الهدف من إرسال الأنبياء للخلق هو بلوغ ذروة التاريخ الكوني وهو ما يُقصد به "التجسيد الإلهي" الذي حدث في شخص المسيح عيسى عليه السلام، واستناداً

^{٢٣١} ينظر: محمد الدعي، الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، ط٢، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨م)، ص٣٥.

^{٢٣٢} ينظر: المرجع السابق.

^{٢٣٣} يشار إلى ذلك ما ألفه المستشرق (همفري بريدو - Prideaux) بعنوان: (الطبيعة الحقيقية للدجل - ١٦٩٧)، وهو يدور حول اعتبار الإسلام غضباً إلهياً وقع على المسيحية الشرقية التي استحققت ذلك العقاب بسبب ما طرأ على كنيستهم من انشقاقات، ويوحي المؤلف بوجود موازاة تاريخية بين (المسيحية الشرقية) المنشقة والتي استحققت عقوبة الرب وغضبه بسبب تلك الانشقاقات، وبين (المسيحية الغربية) الأوروبية في عصره وذلك بسبب ما كانت تعانيه من الانشقاقات التي قد تقودها إلى مواجهة مصير الكنيسة الشرقية ذاته، فقد وجد في ظهور الإسلام (أداة الغضب الإلهي) تحذيراً لقرّانه من التمادي في قبول الطوائف المنشقة في عصره والكنائس الجديدة. ينظر: محمد الدعي، مرجع سابق، ص٤٣ نقلًا عن: Humphrey, *Prideaux, the True Nature of Imposture Fully Displayed in the Life of Mahomet. With a Discourse Annexed, for the Vindicating of Christianity From this Charge: Offered to the Consideration of the Deists of the Present* (Age, 10th ed. (London: W. Bayane, 1808), PP.vii-viii).

^{٢٣٤} كارين أرمسترونغ، الإسلام في مرآة الغرب محاولة جديدة في فهم الإسلام، ط٢، (دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م) ص٢٨، ٢٩.

^{٢٣٥} أليسكي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، دط (الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٩٦م)، ص٥٩.



لما يعتقدوه فقد رأى المسيحيون في شخص محمد رجلاً مزيفاً وليس نبياً حقيقياً، وأن ما جاء به لا يعدو سوى أن يكون ادعاءات وأضاليل، أو لوناً جديداً من الهرطقات، أو ضرباً من ضروب الوثنية^{٢٣٦}.

وعليه فقد ترسخت أسطورة محمد العدو بقوة في المخيلة الغربية^{٢٣٧}، وقد بنت الأسطورة الأوربية على ذلك العداء وصوفاً بالغة الحقد وشديدة الكراهية، وهو ما شهد به رينان على تحامل المستشرقين من أبناء ملته وجنسه على النبي محمد صلى الله عليه وسلم حين قال: "لقد كتب المسيحيون تاريخاً غريباً عن محمد... إنه تاريخ يمتلئ بالحقد والكراهية له، لقد ادعوا بأن محمداً كان يسجد لتمثال من الذهب كانت تخبئه الشياطين له...، ولقد كان محمد في نظر كتاب العصور الوسطى تارة ساحراً وتارة أخرى فاجراً شنيعاً ولصاً يسرق الإبل، وكاردينالاً لم يُفلح في أن يصبح بابا فاخترع ديناً جديداً أسماه الإسلام لينتقم به من أعدائه، وصارت سيرته رمزاً لكل الموبقات وموضعاً لكل الحكايات الفظيعة"^{٢٣٨}.

لقد ارتبط وصف السحر عند كتاب العصور الوسطى بتلفيق المعجزات الزائفة من أجل تدمير الكنيسة في الشرق الأوسط وإفريقيا، وأيضاً لإقناع واستمالة عقلاء العرب لإتباع ديانتهم، وطالت تلك الادعاءات حالات الوحي التي جسدت روح القدس بالحمامة التي تنقر الحب من بين أذنيه وهو يهمس فيها، ولم يفت تلك الادعاءات والافتراءات التركيز على الجانب الجنسي إذ صُوِّر وبشكل مسرف بكونه مثلاً للمنحرفين، بل أكثر من ذلك إذ جعلت تلك الادعاءات الجانب الجنسي سبيلاً لجذب الناس إلى دينه وتشجيعهم لإشباع غرائزهم الأكثر انحطاطاً.

ثم زعموا أن لا شيء في دينه صحيح إذ كان دجالاً مخادعاً، وأنه لولا السيف لما ازدهرت ديانتهم، وقد رسموا له وفق زعمهم نهاية مناسبة له إذ مَرَّقَ قطيع من الخنازير جسده أثناء واحدة من نوبات تشنجاته الشيطانية^{٢٣٩}، - حاشاه عن ذلك كله-.

ثالثاً: المسلمون

عند تتبع البدايات التاريخية للمواجهة التي حصلت بين العالم المسيحي وأقرب جيرانه الإسلام، وذلك من خلال فترة الحروب الصليبية نجد أنّ "المسيحية" أسست في منظور رؤيتها "للإسلام" بوصفها له شيئاً يتعذر سبر أغواره، وبكونه موضعاً للغرابة، ومثاراً للدهشة، وأنه عالم تسكنه العجائب والغرائب، وتعرض في وصفه المشاهد الوحشية والبربرية^{٢٤٠}.

كما أنّ الحروب الصليبية قامت بعمل دورٍ بارزٍ، في خلق وإدامة تمثيلات للمسلمين، وذلك بوصفهم أشراراً وفاسدي الأخلاق، برابرة وفاسقين، جهلة وأغبياء، متوحشين وبشعيين، قذرين ومن نوع أدنى وعنيفين، حيث أستمَدَّت هذه النظرة المختزلة من وجهة نظر العالم المسيحي (القرون الوسطى)، واستدام تداولها في أعماق وجدان ذلك العالم والذي أصبح يسمى اليوم بالغرب^{٢٤١}.

^{٢٣٦} المرجع السابق، ص ٦٠.

^{٢٣٧} كارين أرمسترونغ، مرجع سابق، ص ٢٧.

^{٢٣٨} عبدالرحمن بدوي، دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقسين من قدره، عبدالرحمن بدوي، ترجمة: كمال جاد الله، د. ط، (الدار العالمية للكتب والنشر، د.ت) ص ٥، نقلاً عن: إرنست رينان: دراسات في التاريخ الديني، باريس (١٨٥٩)، د. ص.

^{٢٣٩} ينظر: كارين أرمسترونغ، مرجع سابق، ص ٢٨، ٢٩.

^{٢٤٠} ينظر: ضياء الدين ساردار، الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، ترجمة: فخري صالح، مراجعة: د. أحمد خريس، ط ١، أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة (مشروع كلمة)، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، ص ٢٣.

^{٢٤١} ينظر: المرجع السابق.



وقد كشفت نماذج الكتابة الأوروبية في ذلك العصر أفضع الأوصاف التي نُعت بها المسلمون، والتي مازالت آثارها باقية حتى اليوم لدى الذهنية الغربية في تصورهما عن المسلمين^{٢٤٢}، ومن ذلك "قصيدة رولاند"^{٢٤٣} حين وصفتهم بأنهم وثنيون، وكفرة، وزعمت بأنهم يعبدون الأصنام، كما زعمت أنهم يعبدون إلها اسمه محمد، وآخر اسمه أبولو، يعيشون دونما قيود أخلاقية لأنهم ينهبون ويحرقون، كما أنهم يهدمون بيوت الله، ويختطفون الناس^{٢٤٤}.

المبحث الثالث: أثر هذه النظرة على العالمين (الشرق والغرب)

أما عن أثر هذه النظرة على العالمين (الشرق والغرب)، فهي تدور حول ثلاث نقاط أساسية وهي: تأثيرها على تشكيل هوية الغرب، كما أن لها دوراً لا يمكن إغفاله في تزييف المعرفة الحقيقة عن الإسلام، وأخيراً استمرارية العداء والكرهية من قبل العالم الغربي في نظريته وتعامله مع العالم الشرقي، وذلك كالتالي:

أولاً: تشكيل هوية الغرب

ركّزت الرواية الغربية تركيزاً متمعداً على السمات التي جعلت من الشرق عالماً مختلفاً عن الغرب، حيث نفته إلى عالم (الآخر) بعيداً عن الذات، لقد كان في تلك الروايات مقولتان كان لهما أهميتها في العصور الوسطى، وظلت تتردد بدرجات متفاوتة من القوة حسب ما يقتضيه الحال إلى وقتنا الحاضر وهي أن هذا (الآخر – الشرق)، هو مكان الفسق والملاذات، كما أنه عالم العنف المتأصل^{٢٤٥}، وبناءً عليه فإن الذات (الغرب) هي على العكس تماماً مما كان عليه الآخر (الشرق).

لقد تشكلت الهوية الغربية (الذات) عن نفسها بفعل الفكرة المضادة وهي ما عليه الشرق، إذ مثل الشرق "صورة من أعماق صور الآخر وأكثرها تواتراً لدى الأوروبيين"^{٢٤٦}، وبالتالي فقد ساهم ذلك في تحديد صورة أوروبا (أو الغرب) باعتبار أن الشرق هو الصورة المضادة، أو الفكرة والشخصية والخبرة المضادة للغرب^{٢٤٧}.

وكانت بدايات ذلك التشكيل ما حصل من تشويه للمعرفة الأوروبية عن (الشرق) والإسلام تحديداً في القرون الوسطى إذ شهدت تلك الفترة "تحولات عظيمة في التاريخ الأوروبي، نشأت فيها الهوية الأوروبية"^{٢٤٨}، حيث أستخدمت المعرفة القليلة والمشوهة عن الإسلام والمسلمين ليكون الغرب بالمقابلة هويته المسيحية الأوروبية وإبرازها في ذلك الحين^{٢٤٩}.

ويستدل بيرند توم على ذلك بما جاء في "قصيدة رولاند"، حيث سهّل ذلك إبراز فضائل المسيحية حين ورد في القصيدة ما يدل على حث الغربيين أن يكونوا شجعاناً، نبلاء الخلق، متواضعين، ومطيعين لله وسيدهم، بالمقابلة مع الانحطاط

^{٢٤٢} بيرند توم، الشرق الغريب في تراث أوروبا الفكري، بحث منشور في مجلة فكر وفن الألمانية، السنة (١٩٩٤م)، العدد (٥٩)، ص ٥.
^{٢٤٣} ألّفت قصيدة رولاند حوالي ١١٧٠، في مدينة ريغنسبورغو ومن الممكن أيضاً أن تكون ألّفت قبل ذلك ببضعة عقود، وتذكر هذه الملحمة الحرب التي شنها شارلمان قيصر المسيحيين المشهور، على المسلمين بالأندلس، وقد دخلت القصص المحاكاة حول رولاند وشارلمان في الرصيد الأسطوري الأوروبي وأثّرت في تربية أجيال من الناشئة الأوروبية. ينظر: بيرند توم، مرجع سابق، ص ٥.

^{٢٤٤} المرجع السابق.

^{٢٤٥} رنا قباني، أساطير أوروبا عن الشرق لفق تسد، ترجمة: صباح قباني، ط ٣، (دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٣م)، ص ١٨، ١٩.

^{٢٤٦} إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، ط ١، (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م)، ص ٤٤.

^{٢٤٧} المرجع السابق.

^{٢٤٨} بيرند توم، مرجع سابق، ص ٥.

^{٢٤٩} ينظر: المرجع السابق.



الأخلاقي المزعوم لدى المسلمين والمذكور في القصيدة "الكفرة المسلمين يعيشون دونما قيود أخلاقية, فهم ينهبون ويحرقون, ويهدمون بيوت الله ويختطفون الناس"^{٢٥٠}.

وبناءً على ما سبق يمكن القول أن أية مراجعة للكتابة الاستشرافية المبكرة حول الإسلام لا يمكنها "أن تقلت من كنه حقيقة العدائية المتعامية التي تمت من خلالها معالجات الإسلام ودراسته"^{٢٥١}؛ وإذا كان العداء هو الطابع الغالب والثابت في تلك الكتابات الأوروبية القديمة, فإنه يمكن استنتاج منطلقها الذي كان "من دافع خدمة أوروبا وعكس صورتها من خلال مرآة" الآخر"^{٢٥٢}.

ثانياً: التزييف المعرفي

وكما سبق بيانه فإن لبنة المعرفة الغربية عن الإسلام كانت قد وُضعت في العصور الوسطى, وقد صُنعت هذه المعرفة "طافحة بالأخطاء المتعمدة, كما كانت تحوي في ثناياها مقداراً كبيراً من الإمعان في الأسطورة"^{٢٥٣}, واحتمل كِبَر هذا العمل رجال الكنيسة الذين تحول بعض منهم إلى مستشرقين محترفين حضوا الإسلام وقاموا بتثويته ونسجوا له صورة كالحة السواد, وذلك بهدف تحصين المواطن الغربي ضد الإسلام, إلا أن هذا العمل قد ترك أثراً غير حميدة على العالمين معاً وعلى حد سواء, إذ أن حقيقة ما قاموا به هو تزييف للوعي الغربي وحجب حقيقة الإسلام عنه, ويمكن القول أن ما قاموا به حيال حقيقة الإسلام يعدّ "أكبر عملية تزييف وعي في التاريخ"^{٢٥٤}, لقد تمكنوا من إنجاز مهمتهم بنجاح على الرغم من أنهم خانوا الأمانة ولم يقدموا الحقيقة كما هي عليه.^{٢٥٥}

إنّ هذه الإساءة المعرفية قد تجاوزت الغرب إلى الإنسانية كلها, لأنها استطاعت أن تخلق مناخاً سيطر عليه الخوف من الإسلام وكراهيته, حتى ورث واقعنا المعاصر تلك الصورة النمطية, وتم إعادة انتاجها على نطاق أوسع, مما "كرس بدوره عمق الشعور العدائي وزاد من توتير العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي"^{٢٥٦}.

لقد قاد سوء الفهم والجهل العنيد بعض الغربيين في معرفتهم للشرق (الإسلام تحديداً) - حتى بعد توافر معرفة بديلة بيسر وسهولة- "واستطاعت هذه الروح أن تواصل الحضور متحدية وتبقى مهيمنة"^{٢٥٧}.

^{٢٥٠} المرجع السابق.

^{٢٥١} محمد الدعي, مرجع سابق, ص ٤٩.

^{٢٥٢} المرجع السابق.

^{٢٥٣} رنا قباني, مرجع سابق, ص ٣٩.

^{٢٥٤} محمد الشرقاوي, الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام, ط ١, (مصر: دار البشير للثقافة والعلوم, ١٤٣٧ هـ, ص ٢٩).

^{٢٥٥} ينظر: المرجع السابق.

^{٢٥٦} المرجع السابق.

^{٢٥٧} ضياء الدين ساردار, مرجع سابق, ص ٤٨.



ثالثاً: استمرار الكراهية والعداء بين العالمين

ما من شك في أنّ الحملات الصليبية تركت سجلاً حافلاً بالكراهية والعدوانية تجاه الشرق^{٢٥٨}، وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها بعض الغربيين للوصول إلى نظرة أكثر إيجابية وموضوعية، إلا أن الاستمرار على خطا الأساطير والعداوة القديمة بقيت^{٢٥٩}.

وكما تقرر ذلك زيغريد هونكة بقولها: "إن نظرة القرون الوسطى هذه لم تمت بعد، إذ أنه ما زالت حتى يومنا هذا، جماعة محدودة الآفاق بعيدة عن التسامح الديني تبني الحواجز في وجه النور، ولو بطريقة لا شعورية نابعة من تصرف غائص متشعب الجذور في أنفسهم إزاء أناس جعلت الدعاوة منهم أبالييس مجرمين بشعين، وعبداء أوثان وفنانين مزورين"^{٢٦٠}.

فقد نُظر إلى الإسلام منذ الحروب الصليبية وإلى اليوم بأنه العدو اللدود للحضارة الغربية، وقد لعبت هذه التحاملات الغربية ومازالت تلعب دوراً لا يمكن أن يُستهان به في النزاع الحالي، كما أنها أثّرت بأشكال في غاية التعقيد حول الطريقة التي يرى فيها الغربيون الشرق الأوسط اليوم.^{٢٦١}

وما من مفر في أنه لا بد من بذل جهد حقيقي إذا ما أراد أن يتخلص الغرب من أحكامه المسبقة التي ورثها من العصور الوسطى، ونبد الكثير منها على اعتبار أنها لازالت باقية في خلق الأذى، وأنها كذلك لا تنفك تتجدد باستمرار، لأنها تحول دون الوصول إلى ما وراءها من إيجاد روابط إنسانية مشتركة وتفاهم أفضل بين الغرب والإسلام.^{٢٦٢}

النتائج

لقد خلصت نتائج الورقة الإجابة عن سؤالي البحث، وذلك كالتالي:

١- إنّ أبرز ملامح ما تركه استشراق القرون الوسطى، يرتكز حول الأساطير المغرضة التي نتجت بدافع الخوف والجهل، وعليه فإن تلك المعرفة الاستشراقية التي أسست معالم نظرة الغرب للإسلام اليوم، كانت بعيدة كل البعد عن الحقيقة والصواب فضلاً عن وصفها أفطع الأوصاف عن الدين الإسلامي ونبه وأتباعه.

٢- أثر استشراق القرون الوسطى تأثيراً كبيراً على الشرق والغرب وبطرق مختلفة، إذ ساهم في تنشئة هوية الغرب من خلال إثبات ضد صورة الآخر (الشرق)، كما أنه أساء للمعرفة الإنسانية بتزييفه للحقيقة، مما كرس استمرار الكراهية والعداء الذي كان عاملاً مهماً في سد طرق الفهم والحوار بين العالمين.

^{٢٥٨} جون م. غانم، الاستشراق والقرون الوسطى، ترجمة: عبلة عودة، ط١، (أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة (مشروع كلمة)، ٢٠١١م)، ص ٣٤.

^{٢٥٩} كارين أرمسترونغ، مرجع سابق، ص ٣٦.

^{٢٦٠} زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوروبا، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، ط٨، (بيروت: دار الجبل الجديد، ١٤١٣م - ١٩٩٣م)، ص ١٢، ١٣.

^{٢٦١} كارين أرمسترونغ، الحرب المقدسة الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم، ترجمة: سامي الكعكي، د.ط، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ص ١١.

^{٢٦٢} رنا قباني، مرجع سابق، ص ٣٠.



- أساطير أوروبا عن الشرق لفق تسد، رنا قباني، ترجمة: صباح قباني، ط ٣، (دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٣م).
- الاستشراق الاستجابية الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، محمد الدعيمي، ط ٢، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨م).
- الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، محمد الشرفاوي، ط ١، (مصر: دار البشير للثقافة والعلوم، ١٤٣٧هـ).
- الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، ضياء الدين ساردار، ترجمة: فخري صالح، مراجعة: د. أحمد خريس، ط ١، (أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة (مشروع كلمة)، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).
- الاستشراق والقرون الوسطى، جون م. غانم، ترجمة: عبلة عودة، ط ١، (أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة (مشروع كلمة)، ٢٠١١م).
- الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، ط ١، (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م).
- الإسلام في تصورات الغرب، حمدي زقزوق، ط ١، (مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).
- الإسلام في مرآة الغرب محاولة جديدة في فهم الإسلام، كارين آرمسترونغ، ط ٢، (دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م).
- الإسلام والمسيحية، أليسكي جورافسكي، د. ط (الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٩٦م).
- تأثير الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، وليام موانتغمري واط، ترجمة: سارة الذيب، ط ١، (بيروت: جسور للترجمة والنشر، ٢٠١٦م).
- التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة، جون ل. إسبزينو، ترجمة: د. قاسم عبده قاسم، ط ٢، (القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢م).
- الحرب المقدسة الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم، كارين آرمسترونغ، ترجمة: سامي الكعكي، د. ط، (بيروت: دار الكتاب العربي).
- دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقسين من قدره، عبدالرحمن بدوي، ترجمة: كمال جاد الله، د. ط، (الدار العالمية للكتب والنشر، د.ت).
- الشرق الغريب في تراث أوروبا الفكري، بيرند توم، بحث منشور في مجلة فكر وفن الألمانية، السنة (١٩٩٤م)، العدد (٥٩).
- شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوروبا، زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، ط ٨، (بيروت: دار الجيل الجديد، ١٤١٣م - ١٩٩٣م).
- صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ريتشارد سوزنر، ترجمة: رضوان السيد، ط ٢، (دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٦م).
- العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، بنسالم حميش، ط ١، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١١م).
- قراءة في تاريخ وحضارة أوروبا العصور الوسطى، أشرف صالح سيد، ط ١، (لبنان: شركة الكتاب العربي الإلكتروني، ٢٠٠٨م).



الانحرافات المعاصرة في باب الرقية (دراسة عقدية)

د. منيرة بنت صياف العمري - وزارة التعليم - منطقة المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

Email:misktaiba@gmail.com

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام ، على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد... فإن موضوع الرقية من الموضوعات الهامة التي لا بد من الوقوف على معانيها، ومعرفة أحكامها وضوابطها ، فالرقية من الوسائل الشرعية التي دل عليها الشرع في باب الاستشفاء ، والحاجة إليها ماسة لخاصة المسلمين، وعامتهم.

وذلك لتجدد الحاجة إليها ؛ لتجدد الأمراض التي يسعى المرضى للتداوي منها؛ كما أنه قد جد في حياة الناس من صور الرقى ، وطرق الرقاة المعاصرين ما يعد من النوازل التي تستدعي معرفة أحكامها بعرضها على النصوص ، واستنباط الأحكام الصحيحة لها .

ويقوي هذا عناية النبي ﷺ بتعليم أصحابه إياها ، وتصحيح المفاهيم المتعلقة بها ؛ ولذا كان يقول عليه الصلاة والسلام: "اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك" (٢٦٣).

وإن دراسة هذا الموضوع من الأهمية بمكان؛ وذلك لاتصاله بالتوحيد والعقيدة، فالعلم به ضروري لكل مسلم. كما أن النفوس جبلت على طلب الاستشفاء وتعجله، وبذل كل الأسباب في تحصيله ، وقد تستخدم المشروع أو غيره من عمل الدجالين والمشعوذين فينتشر بذلك كثير من الشرك والفساد.

وإذا كان بعض هذه الانحرافات في الجاهلية قبل الإسلام ؛فإنها أصبحت من النوازل في هذه الأوقات بعد أن أحدث الناس فيها طرقاً حديثة انتشرت وتوسع الرقاة فيها ، فكان لا بد من تصورها والوقوف على أحكامها.

وهذا ما أردت إيضاحه من خلال هذا البحث وهو: إلقاء الضوء على هذه الانحرافات المعاصرة في باب الرقية بالسبر والتتبع لها، ثم معالجتها على ضوء الكتاب والسنة ،وتوجيهات سلف الأمة، وقد عنونت لها بـ(الانحرافات المعاصرة في باب الرقية.(دراسة عقدية)

وقد قسمت بحثي إلى : (مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة مباحث، وخاتمة).

أما المقدمة ففي: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.

وأما التمهيد :ففي التعريف بالرقية ، وأقسامها، وأحكامها.

وقد اشتمل على مسألتين :

الأولى : في التعريف بالرقية .

(٢٦٣) صحيح مسلم (٤/ ١٧٢٧)، برقم (٢٢٠٠).



الثانية : أقسامها، وأحكامها.

المبحث الأول: الانحرافات المعاصرة المتعلقة بالراقي.

المبحث الثاني: الانحرافات المعاصرة المتعلقة بالمرقي.

المبحث الثالث: الانحرافات المعاصرة المتعلقة بالمرقي به.

المبحث الرابع: الانحرافات المعاصرة بطريقة الرقية.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد: في التعريف بالرقية ، وأقسامها، وأحكامها.

ويشتمل على مسألتين :

المسألة الأولى :تعريف الرقية :

الرقية في اللغة: عرف علماء اللغة الرقية بمعنيين:

الأول: أنها بمعنى (العوذة):قال الأزهري :«رقى الراقي رقيةً ورقياً: إذا عوذ ونفث»(٢٦٤)، وقال ابن الأثير: «الرقية بالضم: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة»(٢٦٥).

الثاني: أنها بمعنى (العزيمة): قال الجوهري: «العزائم هي: الرقى» (٢٦٦)، وقال الفيروز أبادي: «العزائم، أي الرقى»(٢٦٧).

والذي يظهر بعد التأمل عدم التعارض بين المعنيين؛ فالرقية مشتملة على كل منهما ، ولكن عبر كل فريق من العلماء عنها بمعنى؛ فالرقية: هي تعويذات بالله من شر المرض، وهي عزائم بمعنى العزم على الله بطلب الشفاء . وفي الحديث: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له»(٢٦٨).

فالراقي: متعوذ بالله من المرض، عازم عليه في الشفاء .

والرقية في الشرع : ما يتعوذ به مما جاء في كتاب الله ، أو أحاديث النبي ﷺ، طلباً للشفاء (٢٦٩).

المسألة الثانية : أقسام الرقية، وأحكامها :

(٢٦٤) تهذيب اللغة (٢٩٣/٩).

(٢٦٥) النهاية في غريب الحديث (٢٥٤/٣).

(٢٦٦) الصحاح (١٩٨٥/٥).

(٢٦٧) القاموس المحيط (١٤٦٨).

(٢٦٨) صحيح البخاري (٧٤ /٨) ، برقم (٦٣٣٨)، صحيح مسلم (٢٠٦٣ /٤)، برقم (٢٦٧٨).

(٢٦٩) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٢٨/١-٣٨١)، (١٩٥/١٠)، شرح الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٢ /٨)، حاشية العدوي

(٤٥٢/٢)، عون المعبود شرح سنن أبي داود (٣٧٠/١٠).



تنقسم الرقية إلى رقية شرعية ،ورقية محرمة.

١-الرقية الشرعية :وهي ما جمعت شروط الرقية الصحيحة ، يقول ابن حجر : « يتلخص من كلام أهل العلم أن الرقية تكون مشروعة إذا تحقق فيها ثلاثة شروط وهي:

أ- أن لا يكون فيها شرك ،ولا محرم.

ب- أن تكون بالعربية، أو ما يفقه معناه.

ج- أن لا يعتقد كونها مؤثرة بذاتها ؛بل بإذن الله تعالى»(٢٧٠).

وحكمها : جائزة من حيث الأصل ، ثم إن حكمها يختلف باختلاف حال الراقي والمرقي والمسترقي (٢٧١):

❖ فهي في مندوبة في حق الراقي ، لأن فيها نفعاً للناس. قال النبي ﷺ :«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»(٢٧٢).

❖ وجائزة في حق المرقي ، كما دلت على ذلك عموم الأدلة في جواز الرقية .

❖ ومكرهة في حق المسترقي : لما جاء في حديث السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وفيه :«هم الذين لا يسترقون»(٢٧٣).

٢-الرقية المحرمة: وهي الرقية التي خالفت معناً من معاني الرقية الشرعية، وفقدت شرطاً من شروطها؛ كما سيأتي في الحديث عن صورها . قال الخطابي:« فأما الرقى فالمنهي عنه هو ما كان منها بغير لسان العرب فلا يدرى ما هو ولعله قد يدخله سحراً أو كفراً»(٢٧٤).

وحكمها:

❖ تكون محرمة إذا خالفت شرطاً من شروط الرقية الشرعية .

❖ وتكون شركاً إذا كانت مصحوبة بصورة من صورة الشرك

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:« وإن كان في ذلك كلمات محرمة مثل أن يكون فيها شرك، أو كانت مجهولة المعنى يحتمل أن يكون فيها كفر، فليس لأحد أن يرقى بها ولا يعزم، ولا يقسم»(٢٧٥).

والرقية لها أربعة أركان ، وحكمها يتأثر بالأحوال المصاحبة لكل ركن من أركانها ، وهذه الأركان هي: الراقي، المرقي، المرقي به، طريقة الرقية.

(٢٧٠) فتح الباري (١٠ / ١٦٦).

(٢٧١) انظر: النوازل في الرقية الشرعية، (ص: ٤١).

(٢٧٢) صحيح مسلم (٤ / ١٧٢٦)، برقم (٢١٩٩).

(٢٧٣) صحيح البخاري (٧ / ١٢٦)، برقم (٥٧٠٧)، صحيح مسلم (١ / ١٩٨)، برقم (٣٧١).

(٢٧٤) معالم السنن (٤ / ٢٢٦).

(٢٧٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣ / ١٣).



ولهذا بنيت كلامي في الانحرافات المعاصرة للرقية على هذه الأركان فأفردت كل ركنٍ منها بمبحثٍ مستقل ، ونبهت من خلاله على الانحرافات المعاصرة المتعلقة به.

المبحث الأول: الانحرافات المعاصرة المتعلقة بالراقي:

الراقي هو: من يقوم برقية المريض، والأحوال المصاحبة للراقي من حيث توفر شروط الرقية الصحيحة فيه من عدمها مؤثرٌ في حكم الرقية بدرجةٍ كبيرة ؛ ولهذا فالانحرافات المعاصرة المتعلقة بالراقي هي من أكبر الانحرافات في باب الرقية المعاصرة ، وفيما يلي بيانٌ بأهم تلك الانحرافات .

١- اتخاذ الرقية حرفة:

أخذ الأجرة على الرقية مما دلت عليه السنة كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه الذي أخرجه الشيخان ، وفيه أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مروا بقومٍ فاستضافوهم ، ولم يضيفوهم فلدغ سيد القوم فطلبوا من الصحابة رقيته فأبوا عليهم إلا أن يجعلوا لهم جُعلاً فأعطوهم قطيعاً من الغنم بعد أن رقى أحدهم ذلك السيد فشفي، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال للراقي منهم الذي رقى ذلك السيد بفاتحة الكتاب: «وما يدريك أنها رقية»، ثم قال: «قد أصبتم، اقسموا، واضربوا لي معكم سهماً» (٢٧٦).

فدل الحديث على جواز أخذ الأجرة على الرقية من غير خلاف بين العلماء في ذلك، وإنما وقع الخلاف في امتهان الرقية ، وأخذ الأجرة عليها، واتخاذ الرقية حرفة يفد الناس على الراقي فيرقيهم ، ثم يأخذ على كل من رقاها أجرة على رقيته كما يأخذ الأطباء أجرتهم من المرضى ؛فهذه الصورة مع ما يصحبها من أنواع المتاجرة مثل تعبئة المياه في قوارير صغيرة، أو خلط العسل بالزيت والقراءة فيه، أو الكتابة في قراطيس ، وبيع ذلك كله بمبالغ باهضة تعد من النوازل المعاصرة (٢٧٧).

وبناءً على هذا نهى عنها أهل العلم ، وحذروا منها لما يترتب عليها من المحاذير الشرعية، وقد وجه سؤالٌ لفضيلة الشيخ ابن عثيمين حول ذلك وكان من جوابه: أخذ العوض عن الرقية وكونها تُجَلَّ صيدلية يفتح الإنسان محلاً ويضع فيه هذا الماء أو هذا الزيت، ويصل بالبعض بأن يقين لكل نوع من القراءة ثمناً مثل: آية الكرسي بعشرة، والفاتحة بعشرين، وهكذا، هذا غلط، ولهذا أوجه النصيحة من هذا المكان إلى إخواني القراء ألا يتخذوا القراءة وسيلة للتكسب الدنيوي وأن يكون أكبر غرضهم نفع إخوانهم المسلمين، ثم إن أعطوا شيئاً وقبلوه فلا بأس بذلك، وإن تركوه -أيضاً- حتى بدون شرط فهو أفضل بلا شك، أما أن يجعلوا هذا شيئاً -كما وصفث- شيئاً مقنناً وكأنها صيدلية يختلف فيها الدواء فهذا غلط (٢٧٨).

وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ - حفظه الله تعالى - : «..أما مخالفت الرّاقين: أولها وأعظمها أن يتخذ القراءة والرقية حرفة يتفرغ لها تفرغاً كاملاً، والمعلوم أن الناس بحاجة إلى الرقية، والتفرغ لها لم يكن من هدي الصحابة في عهده عليه الصلاة والسلام مع أن فيهم راقين، ولم يكن من هدي الصحابة ولا التابعين، وإنما نشأ في عصر متأخرة، فالذي عليه هدي السلف الصالح والذي دلت عليه السنة أن ينفع المرء إخوانه بجعل أو بغير جعل في الرقية؛ ولكن لا

(٢٧٦) صحيح البخاري، (٩٣/٣)، برقم (٢٢٧٦).

(٢٧٧) انظر: بيان الأدلة النقلية والعقلية في الفرق بين الرقية الشرعية والرقية التجارية، (ص: ١٠، ٩).

(٢٧٨) انظر: لقاء الباب المفتوح، ١٢٤.



يتفرغ لها لا يتخذ الرقية حرفة يكون كالطبيب المتفرغ لها، وهذا من جهة أنه لم يرد أو لم يكن في الزمن الأول في قيام الحاجة إليه.

أيضاً من جهة أخرى فيما رأينا من الذين تفرغوا أورثتهم أشياء ممنوعة كثيرة، فمن تفرغ للرقية تجد عنده أشياء من المخالفات؛ لأنه يحتاج إلى أشياء يفعلها وإلى أشياء يتركها، وفعلوا أشياء من بيع من غير برهان، ومن فعل بالرقية عن طريق الأشرطة وعن طريق الأصوات يكون هو يقرأ في غرفة والسماعات في غرفة أخرى على الراقيين، ونحو ذلك مما فيه مخالفة للوارد، وهذا ينبغي أن يمنع سداً للذريعة؛ لأنه ربما أقضى إلى أشياء مذمومة من توسع هؤلاء القراء في أشياء لا تجوز أو لم يأذن بها الشرع. ...» (٢٧٩)

ومعلوم ما يترتب على هذا الأمر من آثار سيئة مثل:

أ- إعراض الناس عن رقية أنفسهم هذا مع ما هو معلوم من كراهية الاسترقاء كما هو ظاهر في حديث عمران بن حصين المتقدم في السبعين ألف، (٢٨٠) فكيف إذا صاحبه هذه الأحوال.

ب- جعلها مهنة ومصدراً للرزق، وقد كره علماء السلف التكسب من الدنيا بعمل الآخرة، سئل عبد الله بن المبارك عن سقلة الناس؟!، فقال: «الذي يأكل بدينه» (٢٨١)، وقال سفيان الثوري: «إن أقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة» (٢٨٢).

ج- التصدر للرقية من غير أهل العلم والفضل؛ فيقدم عليها غيرهم طلباً للكسب والرزق.

د- تمني المرض للناس والفرح بمصائبهم حتى تروج سوقهم، تجارتهم. قال أبو طالب: «سألت أبا عبد الله «يعني الإمام أحمد بن حنبل» عن الرجل يغسل الميت بكراء؟! - أي بأجرة - ، فقال: «بكراء!!»، واستعظم ذلك، قلت: يقول «أنا فقير»؛ فقال: «هذا كسب سوء»؛ قال ابن تيمية - معلقاً على ذلك -: «ووجه هذا أن تغسيل الموتى من أعمال البر، والتكسب بذلك يورث تمني موت المسلمين، فيشبه الاحتكار» (٢٨٣). (٢٨٤).

هذا مع ما يصحب هذه الصورة من صرف وجوه الناس إلى هؤلاء الرقاة واعتمادهم عليهم، وهذا ما سيأتي بيانه وإيضاحه في الصورة التالية.

٢- المبالغة في طلب الرقية من الغير، والاعتماد على الرقاة، وتعلق القلوب بهم.

هذه المسألة مهمة جداً، وهي من الانحرافات المعاصرة في باب الرقية، وصورتها: تعلق قلوب بعض الناس بالراقي لا بالرقية نفسها، فيكون اعتمادهم على الرقاة أعظم من توكلهم على ربهم، ومضنتهم تحقق الشفاء بالرقاة أعظم من اعتقادهم أن الله هو الشافي وهذا ما جاء لفت الأنظار إليه في قول النبي: «اشف أنت الشافي لا شفاء لا شفاؤك شفاء لا

(٢٧٩) مادة صوتية بعنوان: الرقية وأحكامها. لفضيلة الشيخ صالح آل الشيخ.

(٢٨٠) تقدم تخريجه (ص: ٤).

(٢٨١) حلية الأولياء (٨ / ١٦٨).

(٢٨٢) المصدر نفسه، (٧ / ٥٤) و (٨ / ٣٤٣).

(٢٨٣) انظر: المستدرک على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (٤ / ٥٢)، والفتاوى الكبرى (٤ / ٤٩٥ - ٤٩٦).

(٢٨٤) انظر: بيان الأدلة النقلية والعقلية في الفرق بين الرقية الشرعية والتجارية، (ص: ١٧).



يغادر سقماً»(٢٨٥). فليتأمل كيف يتوسل النبي ﷺ لربه في مقام الاسترقاء بأنه الشافي الذي لا شفاء إلا شفاؤه؛ وذلك منعاً من تعلق القلوب بالرقية والتي هي سبب دون الله تبارك وتعالى الذي يملك الأسباب ومسبباتها.

ومن هنا كانت الحكمة في التشريع لهذه الأمة بالترغيب في الرقية بكلام الله والمأثور عن رسوله ﷺ دون الاسترقاء - وهو طلب الرقية من الغير - لما في الرقية من ارتباط القلوب بالله والتوكل عليه وتقويض أمر الشفاء إليه دون الاسترقاء الذي يصحبه انصراف القوب إلى الراقي والتعلق بالسبب دون مسبب الأسباب وخالقها وهو الله ، كما ثبت في حديث عمران بن حصين المتقدم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ". قال: من هم يا رسول الله؟ قال: " هم الذين لا يسترقون، ولا يكتون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون " (٢٨٦) فدل هذا الحديث على الترغيب في ترك الاسترقاء وترتب عليه هذا الثواب ،وبه استدل بعض أهل العلم على كراهية الاسترقاء في هذا المعنى.

وهذا التقرير إذا كان في طلب الاسترقاء ولو لمرة واحدة فكيف به مع تكراره وانصراف القوب إلى الرقاة والبحث عنهم بل شد الرحال إليهم لطلب الاسترقاء (٢٨٧).

وهذه المسألة متعلقة بالمسألة السابقة وهي امتهان الرقية التي تم بيان حكمها ، وأما هذه المسألة فهي وإن كانت من أثر الانحراف الناتج عن المسألة السابقة إلا أنها مستقلة بحكمها لكون هذا التعلق قد يكون بممتن الرقية أو بغيره. وهذا التعلق وإن كان يحصل قديماً إلا أنه ظهر انتشاره في هذا العصر بشكل كبير حتى أصبح ظاهرة من ظواهر الانحرافات المعاصرة في الرقية.

خاصة ما يصحب ذلك الراقي من تلميع لاسمه وبهرجة تسلب عقول الناس وتعلق قلوبهم بهم من دون الله ،مثل: من اشتهر بين الناس ببعض الأوصاف والألقاب المثيرة، ترويحاً لعيادتهم وجذباً للعامة والمرضى لهم دون غيرهم، مع فرحهم بتلك الألقاب والأوصاف التي لا تخلو من تزكية للنفس، فضلاً عن الكذب والدجل مثل: طارد الجان، قاهر الشياطين، وملك الرقاة... إلخ(٢٨٨).

وفي مقابل هذا الترغيب المصحوب بالدجل يمارس هؤلاء الرقاة أسلوب التهديد حتى إن بعضهم يهدد بعض الناس بأنه سيدخل الجان في فلان، ويخرجه من فلان.

وستأتي بيان بعض الصور المتعلقة بالانحراف بالراقي من وجوه أخرى في الانحرافات المتعلقة بالرقية بالتقنية الحديثة؛ لكونها ألصق بالطريقة من الراقي .

المبحث الثاني: الانحرافات المعاصرة المتعلقة بالمرقي:

المرقي: و هو المريض المقصود بالرقية والانحرافات المعاصرة التي يتعرض لها صورها عديدة منها:

(٢٨٥) صحيح البخاري (١٣٢ /٧)، برقم(٥٧٤٢)، صحيح مسلم (١٧٢١ /٤)، برقم(٢١٩١)

(٢٨٦) تقدم تخريجه (ص: ٤).

(٢٨٧) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣ /٦٩).

(٢٨٨) انظر: مقال على شبكة المسلم، بعنوان : التداوي بالرقى دراسة فقهية معاصرة، د. عبود بن علي بن عائض درع



الصورة الأولى: الانحرافات الاعتقادية المتعلقة بالمرقي:

وتتضمن عدة انحرافات :

أ- اعتقاد المرقي أن الراقي يملك الشفاء ، وتعلقه به:

المشروع في الرقية أن يعتقد بأنها سبب وهذا أصلٌ عظيم في باب الرقية وغيرها ، وأما الشفاء فهو بيد الله

ومن الانحرافات المعاصرة والشائعة في هذا العصر هو تعلقهم بالرقاة ، فمن الناس من يعتقد ويظن أن الشفاء من عند الراقي لا بسبب الرقية، فيعتقد أن الراقي يملك الشفاء والقدرة على إزالة المرض وبيده النفع ، وكشف الضر ، وينسى أن النافع هو الله تعالى وحده ، بيده كل شيء، والرقية ما هي إلا سبب لأن الراقي مثل الطبيب يبذل السبب، ويحاول نفع المريض. (٢٨٩)

وقد تقدم بيان أن من شروط الرقية الصحيحة اعتقاد أن الشفاء بيد الله، وأن الرقية إنما هي سبب ، وتعلق القلوب بالرقاة مخالفٌ لشروط الرقية الصحيحة ، ومن هنا كان هذا الأمر من صور الانحرافات في باب الرقية المتعلقة بالمرقي .

ب- اعتقاد المرقي أن هناك أسراراً وصيغاً خاصة للرقية لا يعرفها إلا الراقي:

فمن الانحرافات المعاصرة في الرقية اعتقاد بعض المرضى، ومن يطلب الرقية أن لدى بعض الرقاة صيغاً اختصوا بها لا يعرفها غيرهم ، ولربما قوى هذه الشبه بعض ما يدعيه الرقاة من أن لديه رقية رأها في المنام ، أو أنها مجربة لديه لا يعرفها غيره ، أو يقول للمرضى عندي جنّ أستعين بهم، يخبرونني ما هو المرض، ونوع المرض، وأكشف لكم ذلك بأيّ وسيلة تكون، أو يوهّمهم أن لديه طريقة في معرفة الأمراض ، والكشف عنها، ومعرفة من سحره؟ ومن أعانه؟ ومن؟ ومن؟ إلى آخر ذلك (٢٩٠)، وهذا كله من الاعتقاد الباطل فعلم الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى وحده ، والرقية الصحيحة مرجعها إلى الكتاب والسنة دون أن يختص بها أحد دون أحد، وقد تقدم معنا في شروط الرقية أنها لا بد أن تكون بالقرآن والسنة والكلام الواضح المفهوم من لغة العرب.

وبالتالي فما يدعيه بعض المرقين أو الرقاة أنفسهم في أن لدى بعض الرقاة صيغاً اختصوا بها دون غيرهم لا تخلوا من أمرين:

١- إما أن يكون هذا من الكذب ، وأن ما يرقى به هؤلاء الرقاة هو من جنس ما يرقى به غيرهم مما جاء في الكتاب والسنة ، وبه تبطل دعوى الاختصاص .

٢- أو تكون هذه الرقى من جنس الشعوذة والدجل والتعاويذ البدعية فهذه لا يشرع بها الرقية بل الرقية بها محرمة فلا انتفاع للمرقي ولا الراقي بها.

ج- اعتقاد المرقي أنه لو رقى نفسه لن يحصل له الشفاء:

(٢٨٩) انظر: المفيد في مهمات التوحيد (ص: ١٣٧).

(٢٩٠) انظر: الرقية بين المشروع والممنوع، فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، خطبة مفرغة، على الشبكة العنكبوتية، موقع الألوكة.



وهذا أيضاً من الانحرافات المعاصرة في أن بعض المرضى يعتقد أنه لو رقى نفسه لم يحصل له الشفاء لما يظن من نفسه من التقصير في أمر الله ، وأن الله لا يشفيه إن رقى نفسه فيتعلق قلبه ببعض الرقاة لما يظن بهم من الصلاح فرجع الأمر إلى مخالفة شرعية في باب الرقية ، وأن هذا المرقى لا يستترقي معتقداً أن الشفاء بيد الله ، وأن الرقية سبباً له بل يعتقد أن سبب الشفاء في رقية فلان أو فلان الذي يظن بهم الصلاح ، وهذا الاعتقاد مقابل للانحراف السابق في الفقرة الأولى وهو تعلق قلبه بالراقي ظناً منه أن الله يستجيب له في رقيقته ، وهذا الانحراف هنا هو في اعتقاده أن الله لا يستجيب له إن رقى نفسه (٢٩١) .

ومن هنا أفردته بالبحث عن الانحراف السابق لأنه مستقل عنه؛ وإن كان بينهما تلازم في كثير من الصور.

الصورة الثانية: الانحرافات الأخلاقية المتعلقة بالأخلاق والسلوك.

وهذا يتضمن عدة انحرافات:

أ- تعرض المرقى للفتنة في دينه في بعض صور الرقية ، كأن يكون المرقى امرأة يرقئها رجل أو العكس.

ومن صور الانحراف في الرقية هو تعرض بعض المرقئين للفتنة كما في حالة أن يكون المرقى امرأة يرقئها رجل أو العكس بأن يكون المرقى رجلاً ترقئه امرأة ، ومعلوم ما يصحب الرقية من فتنة في هذا المقام من مس الرائي لبدن المرقى ، ولضعف المرقى في حال المرض وتسليمه لنفسه للراقي مما يحصل بسببه فتنة عظيمة خاصة مع قلة الوازع الديني مع بعض الرقاة فلربما استغل بعضهم هذه الحالة ، والدخول في فتنة عظيمة من مس من يرقئه من النساء بشهوة ، ولربما بلغ الأمر أعظم من ذلك بالوقوع في الزنا . وقد يدعي بعض هؤلاء للوصول لما يريد ضرورة الخلوة بالمرأة ، ومس بعض جسدها بقصد الحاجة إليه في الرقية ، وما ذلك إلا لما تطلبه نفسه من الفتنة (٢٩٢).

وقد جاء الشرع بسد الذرائع المفضية إلى هذه الفتنة بمنع الرجال من الدخول على النساء ؛ كما في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله قال : «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار : «يا رسول الله ، أفرأيت الحمى ؟!» ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «الحمى : الموت !» (٢٩٣)؛ قال النووي : «[الحمى] قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه» (٢٩٤)، والراقي كذلك فلا يخطر بالبال الشك في مقصده فيكون محل الأمان والثقة .

ولا يخفى ما يحصل في هذا من الاختلاط بين الرجال والنساء أو النظر إلى النساء وتجاذب الحديث فيما بينهم من فتنة، قال الإمام ابن القيم : «ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة ، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا ، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة» (٢٩٥). (٢٩٦).

- (٢٩١) انظر: مقال بعنوان: فقه الرقية الشرعية، أبو عبد الرحمن عبد الباقي .
(٢٩٢) انظر: بيان الأدلة النقلية والعقلية في الفرق بين الرقية الشرعية والتجارية، (ص: ٢٢).
(٢٩٣) صحيح البخاري (٣٧ / ٧) برقم (٥٢٣٢) ، صحيح مسلم (٤ / ١٧١١)، برقم (١٧١١) .
(٢٩٤) رياض الصالحين ، (ص: ٣٧٢) ؛ وانظر : شرحه على صحيح مسلم (١٤ / ١٥٤) .
(٢٩٥) الطرق الحكمية ، (ص: ٣٧٠ - ٣٧١).
(٢٩٦) انظر: بيان الأدلة النقلية والعقلية في الفرق بين الرقية الشرعية والتجارية، (ص: ٢٤).



المبحث الثالث: الانحرافات المعاصرة المتعلقة بالمرقي به:

ويشتمل على ثلاث مسائل:

١- الرقية بالألفاظ الشركية :

تقدم معنا في شروط الرقية أن تكون بكلام الله ورسوله ، واللغة العربية، وإن من الانحرافات المعاصرة في الرقية استخدام الألفاظ الشركية ، والاستعادة بأسماء غريبه من تصرفات المشعوذين والدجالين، أو الاستعانة بالجن في الرقية، والعلاج من المس.

والرقية بالألفاظ الشركية محرمة كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: « اعرضوا علي رقاكم لأبأس بالرقى مالم تكن شركاً» (٢٩٧) ، والرقية بالألفاظ الشركية متنوعة فمن هؤلاء الرقى من يرقى بأسماء الملائكة أو الجن أو بعض الصالحين أو ببعض مالا يعرف معناه من الطلاسم التي قد ترمز لبعض أسماء الجن والشيطان ، أو يأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل، فيجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم ؛ ومن الانحرافات في هذا العصر انتشار هذه الرقية الشركية بين الرقاة المشعوذين ، وجهلة الناس ، ومن هنا دخلت هذه الصورة في صور الانحرافات المعاصرة. (٢٩٨)

٢- الرقية بالألفاظ البدعية :

ومن صور الانحراف في الرقية المعاصرة : الاعتماد على صيغ رقى بدعية غير مشروعة، أو توسلات بدعية ببعض ذوات الصالحين وجاههم ، وكذلك إجراء حوارات مع بعض الجن ومقابلات يتجاذب فيها أطراف الأحاديث عن الأمور الغيبية، وأسئلة خاصة عن أحوالهم، وربما عن كيفية إصابتهم الإنس، ثم أمرهم بالخروج وتهديدهم، وأخذ العهد عليهم بما يزعمونه عهد سليمان النبي عليه الصلاة والسلام، إلى غير ذلك من الهراء الكثير، والأخبار الغيبية، وتحديد الساحر والعائن والحاسد الذي تسبب بهذه الأمراض، ومصدره في ذلك؛ إخبار الجن له، ومعلوم أن الأصل عدم تصديقهم(٢٩٩).

٣-الرقية بما لا يعرف معناه من لغة العرب:

ومن الانحرافات المعاصرة في الرقية: الرقية بما لا يعرف معناه من لغة العرب ،مما لا يؤمن معه أن تكون هذه الرقى من الرقى الشركية القائمة على الاستغاثة بالجن ، وببعض الصالحين ؛ وقد تقدم في شروط الرقية أن تكون بما يعرف معناه من لغة العرب فالرقى بهذه الألفاظ الأعجمية يتنافى مع هذا الشرط ، وبه تتدخل هذه الصورة في الصور الممنوعة فوجود رقية بلغات غير مفهومة ، مما يجعل الرقية عرضة للدجل والشعوذة ؛ لأن المريض يجهل الكلام أو اللغة التي يتحدث بها الراقي .

وقد وجه سؤالاً لفضيلة الشيخ البراك ما هو أصل اللغة السريالية وسبب استخدام بعض الرقاة (هذه اللغة)، وكان من جوابه: إذا كانت الرقية بلغة غير مفهومة فلا يجوز قبولها، لأنه يحتمل أن تكون مشتملة على ما هو شرك، وهذا الراقي

(٢٩٧) تقدم تخريج الحديث، (ص:٢).

(٢٩٨) انظر: فتح الباري (١٠ / ١٩٦).

(٢٩٩) انظر: الرقى الشرعية بين التنزيل والتطبيق، (ص:٨٠).



الذي رقى المريض بلغة سريانية متهم، فما الذي حمله على العدول عن اللغة العربية أو اللغة المعروفة، التي يعرفها المريض وأهله، والأحرى أن هذا دجال، يستعين بالشياطين على مقصوده، فيجب الإنكار عليه والتحذير من الرجوع إليه، وكشف حقيقة أمره حتى لا يغتر به، وذكر العلماء أيضاً من شروط الرقية ألا يعتمد عليها المريض لأنها سبب من الأسباب، والاعتماد على الأسباب شرك في التوحيد، بل يؤمن بأن الرقية الشرعية سبب يرجو من الله أن ينفعه به، وهذا هو الواجب في جميع الأسباب، والله أعلم (٣٠٠).

المبحث الرابع: الانحرافات المعاصرة المتعلقة بطريقة الرقية:

طريقة الرقية: هي الكيفية التي يتم من خلالها القراءة على المريض .

وتشتمل على عدة صور:

١- الصورة الأولى: الرقية الجماعية:

وهي من الانحرافات المعاصرة التي ظهرت في باب الرقية وصورتها تكون بجمع المرضى في مكان واحد وقيام الراقي بالقراءة عليهم جميعاً والنفث عليهم جميعاً في وقت واحد، وقد تكون القراءة بمكبرات الصوت أو بدونها.

قال الشيخ ابن عثيمين: " القراءة الجماعية على المصابين ليست طريقاً مأثوراً ، ولا موروثاً عن السلف، بل هو حادث" (٣٠١).

ولا يخفى ما في هذه الرقية الجماعية من مفساد كثيرة منها:

١- انكشاف العورات، خاصة إذا كان المرضى من النساء

٢- توهم بعض المرضى أن بهم مساً بسبب ما يرونه حولهم من الصرع والمناظر التي يستخدمه الراقي.

٣- تساهل بعض المعالجين في التعامل مع النساء .

٤- اطلاع الآخرين على أسرار المريض ، نتيجة حوار الراقي مع الجني المتلبس ، بل ربما قام البعض بالتصوير ، أو تسجيل ذلك ونشرها بين الناس (٣٠٢).

٥- استخدام مكبرات الصوت لإيصال الرقية إلى المرضى ، وقد سئلت اللجنة لدائمة عن قراءة القرآن أثناء الرقية بمكبر الصوت أو عبر الهاتف مع بعد المسافة. فأجابت: «الرقية لا بد أن تكون على المريض مباشرة ، ولا تكون بواسطة الهاتف ؛ لأن هذا يخالف ما فعله رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان في الرقية ، وقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (٣٠٣)» (٣٠٤).

(٣٠٠) انظر: موقع طريق الإسلام على الشبكة العنكبوتية.

(٣٠١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٧-١٨).

(٣٠٢) النوازل في الرقية الشرعية (ص: ١٢٦).

(٣٠٣) صحيح البخاري (٣/ ١٨٤) برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم (٣/ ١٣٤٣)، برقم (١٧١٨).

(٣٠٤) المجموعة الثانية ، (٩٢/١)، برقم (٢٠٢٦١)، وقد وقع على هذه الفتوى الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ ، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ بكر أبو زيد .



٢- الصورة الثانية: الرقية عبر وسائل التقنية الحديثة : ولها عدة صور:

أ: الرقية عن طريق الأشرطة الصوتية- مقاطع اليوتيوب- القنوات الفضائية :

وهذه من النوازل المعاصرة في باب الرقية حيث انتشر بين الناس سماع الرقية عبر الأشرطة الصوتية ومقاطع اليوتيوب لبعض القراء وهذه المسألة من النوازل، كما يشبهها في الحكم الرقية عبر القنوات الفضائية-قال الشيخ صالح الفوزان : "والرقية بواسطة البث الفضائي لا أصل له" (٣٠٥).

ب: الرقية من خلال جهاز الرقية الحديث:

وهذا الجهاز من الانحرافات المعاصرة في باب الرقية ، والتي أحدثت ضجة قبل فترة، وأفتى بتحريمه أكثر العلماء، وفكرته : أنه جهاز صغير يوضع على ورق الماء البارد ويبدأ بتلاوة القرآن ، وقد انتشر في الأسواق باسم : (جهاز الماء الشافي) أو (رسالة إلى الماء)، ومن يستخدمه يعتقد فيه الرقية الشرعية، وأنه بديل عنها (٣٠٦).

وقد أفتى فضيلة الشيخ عبد الله المطلق أن الرقية بواسطة وضع الأجهزة الحديثة على الماء غير شرعية، لافتقارها لشروط الرقية الشرعية التي تقتضي القراءة المباشرة والدعاء بنية العبادة، مؤكداً أن التكسب والمتاجرة بهذه الأعمال غير جائز وفيه مخادعة للعامة لمخالفتها للرقية المشروعة في العلاج بنصوص القرآن والسنة. (٣٠٧).

وهذه التقنية بكل صورها المتقدمة مخالفة للرقية الشرعية : وذلك لأن الراقي لا يكون حاضراً عند المريض ، وقد يكون غائباً وقد يكون ميتاً. ويعرض هذه الصورة على شروط الرقية الصحيحة يظهر أنها غير شرعية؛ لأن من شرط الرقية قراءة الراقي لبعض كلام الله وما جاء في السنة من الرقى الشرعية ثم النفث على المريض ومعلوم أن هذا لا يتحقق في قراءة القراء المسجل على الأشرطة لعدم توفر قصد الرقية ، ولأن هذه القراءة من القراء هي تلاوة للقرآن وليست رقية، وفرق بين القراءة والرقية ، ولأنه لا يحصل بها النفث من الريق مع قراءة القرآن الذي يحصل به السبب الشرعي للانتفاع بالرقية كما هو معلوم، قال الشيخ ابن باز في جواب لسؤال حول استخدام هذه التقنية في الرقية: "كل هذا لا أصل له ، كل هذا مجازفات لا أصل لها لا من طريق الهاتف ، ولا من طريق الأشرطة ، ولا من طريق مكبرات الصوت ، إنما ينفث على محل مرض المريض ، على يده ، رجله فقط هذه هي الرقية نفس محل المرض" (٣٠٨).

وهذه الصور يترتب عليها آثار عديدة منها:

١- استغلال هذه التقنية للكسب المادي ببيع الأشرطة ، أو الاستفادة من اتصال بعض المرضى على هذه القنوات، واستغلال المكاسب من خلال هذا الاتصال.

٢- وجود بعض البدع والخرافات والدجل في هذه القنوات وقد تصل إلى الشرك مثل ما يضعونه من اختبارات للشخص إن كان به مس أو سحر تجرى عليه ثم يتضح ما به من مرض.

(٣٠٥) موقع فضيلة الشيخ الفوزان على الشبكة.

(٣٠٦) انظر: مقال نشر في صحيفة الشرق بعنوان: تهافت على جهاز «رسالة إلى الماء».. وهينة كبار العلماء: فيه مخادعة للعامة ورقيته غير شرعية.

(٣٠٧) انظر: الفتوى في الموقع نفسه.

(٣٠٨) فتاوى السحر والمس والعين ، شريط صوتي مفرغ للشيخ ابن باز رحمه الله.



٣- أنها قد تتسبب في الضرر بالمرضى مما تثيره من ألفاظ على الجني المتلبس بالمرضى وتكون سبباً في إيذائه (٣٠٩).
٤- وجود الكثير من المخالفات داخل هذه القنوات كالإعلانات التي يطلب من ورائها الكسب المادي، وظهور النساء وغيرها.

- الصورة الثالثة: الرقية في خزانات المياه والبرك الكبيرة :

وهي من الانحرافات المعاصرة التي يجب التنبيه عليها ، وصورتها أن يقرأ الراقي في بركة كبيرة أو خزان ماء كبير وينفث داخله ، ثم يشرب منه المرضى جميعاً ، وقد سئل بن باز - رحمه الله - عن بعض القراء ممن يستخدم خزان ماء كبير يقرأ فيه مدة عشر دقائق ثم يقوم العمال بتعبئة قوارير وتباع على الناس فهل هذا العمل جائز أو مشروع؟؟؟
فأجاب: «لا أعرف لهذا أصلاً فالقراءة الصحيحة أن يقصد مريضاً معيناً في إناء ماء أو لبن يشربه أو ما أشبه ذلك ، أما أن يقرأ في خزان أو برميل ثم يوزع على الناس فلا ، ولكن إذا طلب منه جماعة رقية فقرأ لهم جميعاً في إناء ثم وزعه بينهم وهو ينويهم فلا بأس» (٣١٠).

وجاء في جواب سؤال للجنة الدائمة : القراءة تكون في الماء ويشربه المريض ، أما أن يقرأ الراقي في ماء ثم يفرغ ذلك الإناء في بركة أو خزان ، أو ينفث في خزان رقية عامة ، أو يرقى المريض بواسطة مكبر الصوت ، فهذا لم يرد به دليل ، وهو مخالف لموضوع الرقية الجائزة ؛ لأنها إنما تكون على المريض مباشرة ، أو تكون بماء قليل يسقاه المريض ، والأصل في الرخص الاقتصار فيها على ما ورد (٣١١).

- الصورة الرابعة: وضع جداول وبرامج للراقي وتخصيصها بأسابيع وأيام معينة: وتعد هذه الطريقة من الانحرافات المعاصرة في الرقية، وصورتها: وضع جداول برامج للأسابيع ، فيكتب برنامج الأسبوع الأول: وبداخله قراءة سور معينة من القرآن ، وبعض الأوراد، واستخدام زيوت معينة .

وهذه الصور انتشرت في بعض القنوات ، وبعض مواقع الشبكة العنكبوتية (٣١٢).

وهذه الطريقة لا شك أنها مخالفة للسنة النبوية وطريقة الرقية الشرعية الصحيحة ، فإن الرقية جاءت مطلقة بكلام الله وبالمأثور من السنة ؛ وأما وضع جداول للرقية بهذه الطريقة فهذا يدخل في البدع الإضافية ، وذلك بتقييد المطلق، وهو أحد صور البدع الإضافية .

ولقد أخبر نبينا ﷺ أن إحداث أي عملٍ مخالفٍ لسنة فهو من البدع ومردود على صاحبه، قال ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد» (٣١٣).

-الصورة الخامسة: استخدام مواد كيميائية أو تركيبات بالراقي:

(٣٠٩) انظر: النوازل في الرقية الشرعية، (ص: ٢٣).

(٣١٠) فتاوى اللجنة الدائمة - ٢ (١/ ٨٩).

(٣١١) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ٨٩).

(٣١٢) كثير من هذه الجداول موجود على الشبكة العنكبوتية، بعضها بأسماء مستعارة وبعضها بأسماء صريحة .

(٣١٣) تقدم تخريجه (ص: ١٤).



وهذه من الانحرافات المعاصرة في الرقية : وصورتها أن يستخدم الراقي أحماضاً حارقة، أو تركيبات وخلطات من مواد يحتفظ بعناصرها لنفسه كبعض الأعشاب والزيوت والحبوب وغيرها، أو أنياب بعض الوحوش أو جلودها أو محنطاتها، كل ذلك يزعمون أنه طارد للجن، قاهر له وقتل (٣١٤).

وهذه محرمة لأنها ليست من الوسائل المشروعة في الرقية بل هي من الأمور المحدثّة، ومن وسائل الشعوذة التي تفضي إلى الشرك أو بعض الاعتقادات الباطلة في هذه الوسائل .

الصورة السادسة: الرقية بالتخيل:

وهي من الانحرافات المعاصرة التي يفعلها بعض الرقاة أثناء الرقية، وصورتها : أن يطلب الراقي من المرقى أن يتخيل الشخص الذي أصابه بالعين حين سماعه لآيات الرقية ، والصورة التي ترد في ذهنه تكون الشخص المقصود الذي أصابه بالعين ، وقد يطلب بعضهم من القرين فعل ذلك ، والأسوء أن يقوم بعض الرقاة بالتخيل وتحديد العائن أثناء القراءة (٣١٥).

وقد أجابت اللجنة الدائمة عن ذلك، وكان من جوابها: " تخيل المريض للعائن أثناء القراءة عليه ، وأمر القارئ له بذلك هو عمل شيطاني لا يجوز ، لأنه استعانة بالشياطين ، ولأنه يسبب العداوة بين الناس ، ويسبب نشر الخوف والرعب بين الناس ، فيدخل في قوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا } [الجن: ٦]. (٣١٦)

وقال الدكتور ناصر العقل: «ما يرد إلى الإنسان القارئ من تخيلات وخواطر تتعلق بأشخاص غائبين بأنهم حصل منهم ضرر على المريض من عين أو سحر أو نحوه لا أصل له شرعاً» (٣١٧).

ويترتب على هذا الفعل كثير من المحذورات ، منها:

١- الاستعانة بالجن وهذا محرم شرعاً، و لم يدل عليه دليل وهو ذريعة إلى الشرك؛ لأن الاستعانة بهم لا تكون إلا بصرف شيء من أنواع العبادات لهم.

٢- أنها مبنية على التخيلات والوهم ، وقد تتسبب في زرع الحقد والعداوة والقطيعة بين الناس.

٣- تجعل الشخص حبيس الوسواس والوهم، فيفقد الثقة في من حوله، ويتخيل أنهم أعداؤه، مما يؤثر على سلوكه ، وتنمو داخله رغبة الانتقام.

الصورة السابعة: الرقية بالصعق الكهربائي:

وهو من الانحرافات المعاصرة التي يستخدمها الراقي في رقية المريض ، وصورتها: استخدام العلاج بالصعق الكهربائي في علاج من يشبهون بتلبس الجن بهم ، وذلك بحجة التصديق على الجن أو إحراقهم بزعمهم (٣١٨).

(٣١٤) انظر: الرقى الشرعية بين التنزيل والتطبيق، (ص: ٨٠).

(٣١٥) مقدمة الشيخ الدكتور ناصر العقل لكتاب الشيخ عبد الله السدحان كيف تعالج مريضك بالرقية الشرعية (ص: ٤).

(٣١٦) انظر: النوازل في الرقية الشرعية، (ص: ١٠٩).

(٣١٧) مقدمة الشيخ الدكتور ناصر العقل لكتاب الشيخ عبد الله السدحان كيف تعالج مريضك بالرقية الشرعية (ص: ٤).

(٣١٨) ينظر: الرقى الشرعية بين التنزيل والتطبيق، د. فلاح مندار (ص: ٨٣).



وهذه الطريقة ليس لها أصلٌ في الشرع ، وقد منع منها أهل العلم ، وأرشدوا إلى الرقية الشرعية .

قال الشيخ ابن باز حينما سئل عن جواز استخدام الصعق الكهربائي في الرقية : "لا ليس له أصل، وإنما يقرأ عليه ، وينفث عليه، ويدعو له"(٣١٩).

وهذه الصورة محدثة لم يدل عليها الشرع مع ما يصحبها من الأضرار التي يتعرض لها المريض عن طريق الصعق الكهربائي ، ولو رجع للأطباء المختصين لبيّنوا هذه الآثار التي يتعرض لها المريض عند الصعق الكهربائي.

ولأن طرد الجن عند التلبس إنما يكون بالرقية الشرعية من كلام الله والمأثور عن النبي ﷺ ، مما ينتفع به المريض، ويطرده الجن بإذن الله، وأما الصعق الكهربائي فلم يدل دليل على أن أثره يقع على الجن عند التلبس دون المريض، بل قد يكون العكس ، فيتضرر به المريض دون الجن.

وهذه الصورة كما أنها مخالفة للشرع ولا أصل لها يترتب عليها كثير من الآثار السيئة مثل:

١- لا يخفى ما فيه من أذى على المريض .

٢- قد يتأذى بعض الناس من استخدام هذا الجهاز ولا يوجد فيه مس

٣- كشف العورات خاصة إذا كان المرضى من النساء (٣٢٠).

الصورة الثامنة: الرقية بالمغناطيس:

وهي من الانحرافات المعاصرة التي يستخدمها الراقي مع المرقى، وهي أن يقوم الراقي باستخدام التنويم المغناطيسي مع المريض بهدف معرفة سبب المرض أو الدلالة على مكان السحر أو معرفة بعض المغيبات ونحو ذلك(٣٢١).

وصورته: أن يلجأ المنوم إلى التأثير على المريض حتى ينام ، فإذا نام فإن المنوم يأمره بالانتقال من مرحلة نوم عادي ، إلى مرحلة نوم أعمق حتى يصل إلى مرحلة لا يسمع معها سوى صوت المنوم ، وينفذ أوامره ، ثم يأمره بأن يستحضر روحاً معينة من الأرواح بعد تلاوة تعاويذ معينة(٣٢٢).

وقد سئل الشيخ ابن باز عن ذلك فأجاب: «وما يدعيه الدجالون من تحضير الأرواح إنما هي أرواح شياطين يخدمها بعبادتها وتحقيق مطالبها وتخدمه بما يطلب منها كذباً وزوراً في انتحالها أسماء من يدعونه من الأموات ، كما قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (١١٣) [الأنعام: ١١٢، ١١٣] .» (٣٢٣)

(٣١٩) فتاوى السحر والمس والعين ، شريط صوتي مفرغ للشيخ ابن باز رحمه الله.

(٣٢٠) انظر: النوازل في الرقية الشرعية، (ص: ٨٧).

(٣٢١) انظر: اللجنة الدائمة (١/٢٤٦، ٢٤٨)، برقم (١٧٧٩).

(٣٢٢) انظر: السحر والسحرة إبراهيم الأدهم (١٧١)، وقد فضحهم د. محمد حسين في كتابه (الروحية الحديثة)، وكان ممن انخدع بهذه

الشعوذة زمناً طويلاً ثم هداه الله إلى الحق وكشف ضلالهم.

(٣٢٣) مجموع الفتاوى (٣/٣١٢).



وقال أيضاً: «لا صحة لما يدعيه المشعوذون من قدرتهم على تحضير أرواح من يشاءون من الأموات ويكلمونها ويسألونها فهذه ادعاءات باطلة ليس لها ما يؤيدها من النقل ولا من العقل» (٣٢٤).

وما ذكره الشيخ من تحريم تحضير الأرواح وأن هذه دعوى باطلة هي صورة من صور التنويم المغناطيسي على ما تقدمت الإشارة إليه من طلب المنوم من المريض يستحضر روحاً معينة من الأرواح بعد تلاوة تعاويذ معينة.

وظاهر من هذه الصورة وهي دعوى التنويم المغناطيسي أن هذه طريقة محدثة لم يأت بها الشرع ولم يرشد إليها ، وقد دلت الأدلة على أن النائم مرفوع عنه القلم كما جاء في الحديث ، فكيف يتكلم النائم ، وإن تكلم تحت تأثير ضغوط معينة فكيف يستند لهذا في علاجه ، ولأن المريض في حال اليقظة هو حريص على إجابة الطبيب على ما يسأل عنه ، فما هي الثمرة؟! من التنويم المغناطيسي ؟

الصورة التاسعة: الرقية بجلد الذئب: من الانحرافات المعاصرة: الرقية باستخدام جلد الذئب ؛ بدعى أن الجن تخاف منه، وصورته: أن يبدأ الراقي القراءة ويضع جلد الذئب ، أو شيئاً من عظامه وأنيابه قريباً منه فإذا سقط المريض فهذا دليل على تلبسه بالجان (٣٢٥).

ولا شك أن هذه الطريقة مخالفة للرقية الشرعية وشروطها ، وقد ورد سؤالاً لفضيلة الشيخ ابن عثيمين عن ذلك ؛ جاء فيه: فضيلة الشيخ! بعض الناس يقصون جلدة جبهة الذئب ويحضرونها عند الذي أصابه مس ثم يخرج هذا الجني بقولهم، وبعض الناس يضع هذه الجلدة في البيت حرزاً من الجن حتى لا يدخل بيته. فما الحكم في المسألتين؟ الجواب: الحكم في المسألتين: أن هذا لا أصل له، ولا صحة له، ولو كان هذا كذلك لكانت الذئاب بأعلى الأثمان، هذا لا صحة له (٣٢٦).

الآثار المترتبة عليها:

١- تعلق القلوب بأسباب غير شرعية كالرقية بجلد الذئب .

٢- أن هذا الأمر قد يصحبه اعتقاد في الذئب نفسه وأن له قدرة على قتل الجان ، وما يترتب على هذا من محاذير شرعية كتريبة الذئاب لهذا الغرض ، وما يصحب هذا من اعتقادات باطلة مترتبة على هذا الأمر.

٣- أن هذا يضعف الاعتقاد الصحيح في أن الشفاء بيد الله بسبب الرقية بأسمائه وصفاته.

الخاتمة ، وفيها أهم النتائج والتوصيات:

وأخيراً أحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم علي به من القراءة والاستفادة في البحث حول هذا الموضوع المهم؛ وأود أن أشير إلى بعض الأمور المهمة التي خلصت لها بعد الكتابة في هذه الورقة البحثية منها:

(٣٢٤) المرجع نفسه، (٣/٣١١)، وانظر فتوى للألباني السلسلة الصحيحة (٦/١٤٦)، فتاوى اللجنة الدائمة (١/٣٩٤) برقم (١٧٧٩).
(٣٢٥) انظر: موقع الرقية الشرعية أبو البراء أسامة المانعي. على الشبكة العنكبوتية. وتوجد فتاوى حول هذا الموضوع لفضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين ، وخالد الجريسي في الفتاوى الذهبية.
(٣٢٦) لقاء الباب المفتوح (٨/١٢٤).



- ❖ أن هذا الموضوع متصل بالتوحيد والعقيدة، فالعلم به من الذي ينبغي على كل مسلم أن يحرص عليه، وأن يطلب معرفة حكم الله جل وعلا فيه.
- ❖ عناية النبي ﷺ بتعليم أصحابه الرقية الشرعية، وتصحيح المفاهيم المتعلقة بها .
- ❖ أن الرقية تنقسم إلى رقية شرعية وهي ما توفرت فيها شروط الرقية الصحيحة ورقية محرمة وهي ما خالفت الرقية الشرعية وفقدت أحد شروطها.
- ❖ أن حكم الرقية يختلف باختلاف حال الراقي والمرقي والمسترقي.
- ❖ على المريض أن يبدأ برقية نفسه أولاً ، ويحسن إلى أهله فيرقيهم حفظاً لعقيدتهم، وصيانةً لأعراضهم.
- ❖ أن اتخاذ الرقية حرفة يفد الناس على الراقي فيرقيهم ، ثم يأخذ على كل من رقاها أجره على رقيته، من الانحرافات المعاصرة في باب الرقية.
- ❖ أن الانحرافات المعاصرة في باب الرقية، منها ما يتعلق بالراقي، والمرقي ، والمرقي به، وطريقة الرقية.
- ❖ تجنب العلاج بالنظريات العلمية، والفرار من المشعوذين والدجالين ، وعدم الوقوع في شباكهم.
- ❖ ضرورة التفريق بين الرقية الشرعية ، والمحرمة .
- ❖ إذا كانت هذه الصور المعاصرة في باب الرقية تمثل هذه الخطورة على توحيد الإنسان فإنه لا بد من التحصن والوقاية منها قبل أن يسلب إيمان المرء وعقيدته ويقع في الشرك والعياذ بالله .

أهم التوصيات:

- أوصي نفسي أولاً، وأخواتي، وكل من يقرأ هذا الموضوع بعدة وصايا أسأل الله تعالى أن ينفعنا بها :
- ١- تحصين أنفسنا وأبنائنا من هذه الانحرافات في باب الرقية، وذلك بدراسة أحكام الرقية الشرعية وشروطها دراسة شرعية تأصيلية.
- ٢-التوعية الدينية والاجتماعية ، والصحية للأفراد بموضوع الرقية، وذلك بعقد الندوات وإقامة المحاضرات التوعوية النافعة.
- ٣- تعاون الأفراد والمجتمعات مع رجال الحسبة، وهينة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القضاء على هؤلاء الدجالين، وتجار الرقية .
- ٤- تنقيف الناس عبر وسائل الإعلام حول خطورة الانحرافات في باب الرقية، وربطهم بكتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ.
- ٥- إيقاف القنوات الفضائية الهدامة التي تقدح في عقيدة المسلم وتروج الرقية المحرمة والباطلة في برامجها وصفحاتها على الشبكة العنكبوتية.



قائمة بأهم المراجع:

- ❖ بيان الأدلة النقلية والعقلية في الفرق بين بين الرقية الشرعية والرقية التجارية، وبيان وجه تعظيم واحترام ذكر الله تعالى ، عبد الكريم بن صالح الحميد ، ١٤٢٧ هـ، بريدة، الطبعة الأولى .
- ❖ تهذيب اللغة ، محمد أحمد الأزهرى، تحقيق: عبد السلام هارون ، راجعه: محمد علي النجار.
- ❖ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ❖ حاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد :الشيخ علي الصعيدي العدوي-دار المعرفة، بيروت.
- ❖ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ،الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- ❖ الرقى الشرعية بين التنزيل والتطبيق ، فلاح مندار، الكويت، الطبعة الأولى.
- ❖ الرقية الشرعية من الكتاب والسنة ، علي ناصر الفقيهي، ١٤٢٢ هـ، الطبعة الأولى.
- ❖ السحر والسحرة من منظار القرآن والسنة ،د. إبراهيم كمال الأدهم، دار الندوة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- ❖ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٥ هـ
- ❖ شرح الدر النصيد في إخلاص كلمة التوحيد، المؤلف: محمد حسن عبد الغفار، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- ❖ شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه:الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر:مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
- ❖ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري-دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.
- ❖ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ،للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، اعتنى به: هيثم خليفة ، المكتبة العصرية ، ١٤٣٣ هـ.
- ❖ عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥
- ❖ لفتاوى الكبرى لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- ❖ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب : أحمد الدويش .نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ هـ.
- ❖ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
- ❖ كيف تعالج مريضك بالرقية الشرعية، عبد الله السدحان. دار شفاء.



- ❖ لقاء الباب المفتوح ،للشيخ محمد ابن عثيمين.
- ❖ مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.
- ❖ مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
- ❖ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر : دار الوطن - دار الثريا، الطبعة : الأخيرة - ١٤١٣هـ،
- ❖ المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ
- ❖ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق مجموعة من المختصين، إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ.
- ❖ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى.
- ❖ المفيد في مهمات التوحيد، عبد القادر بن محمد عطا صوفي، الناشر: دار الاعلام، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ١٤٢٣ هـ.
- ❖ معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م
- ❖ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
- ❖ النوازل في الرقية الشرعية، إعداد: ميثاء عواد غانم الشمري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة حائل، ١٤٣٤ هـ.

المصادر الصوتية:

- ❖ فتاوى السحر والمس والعين، شريط صوتي مفرغ للشيخ ابن باز رحمه الله.
- ❖ الرقية وأحكامها. لفضيلة الشيخ صالح آل الشيخ.
- ❖ المقالات والمواقع على الشبكة العنكبوتية:
- ❖ موقع فضيلة الشيخ الفوزان على الشبكة.
- ❖ موقع الرقية الشرعية أبو البراء أسامة المانعي
- ❖ موقع طريق الإسلام على الشبكة العنكبوتية.
- ❖ مقال نشر في صحيفة الشرق بعنوان: تهافت على جهاز «رسالة إلى الماء».. وهينة كبار العلماء: فيه مخادعة للعامة ورقيته غير شرعية.
- ❖ مقال على شبكة المسلم، بعنوان: التداوي بالرقى دراسة فقهية معاصرة، د. عبود بن علي بن عائض درع
- ❖ مقال بعنوان: فقه الرقية الشرعية، أبو عبد الرحمن عبد الباقي.
- ❖ الرقية بين المشروع والممنوع، فضيلة [الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله آل الشيخ](#)، خطبة مفرغة، على الشبكة العنكبوتية، موقع الألوكة.



أثر الطلاق في الإصلاح الأسري والمجتمعي

The impact of divorce on family and societal reform.

د. محمود شعبان سيد إبراهيم - دكتوراه في فلسفة الآداب، شعبة الدراسات الإسلامية - جامعة حلوان - مصر.

Email: amahmoudshapaan1991@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان وتوضيح أثر الطلاق في الإصلاح الأسري والمجتمعي، وذلك من خلال حكمة تشريعه، والتي تكمن من خلال كونه هو الحاجة إلى الخلاص من تباين الأخلاق، وطروء البغضاء الموجبة عدم إقامة حدود الله تعالى، فكان تشريعه رحمة منه - سبحانه وتعالى - فالطلاق هو العلاج الحاسم، والحل النهائي والأخير لما استعصى حله على الزوجين والحكمين، بسبب تباين الأخلاق، وتنافر الطباع، وتعدد مسيرة الحياة المشتركة بين الزوجين، أو بسبب الإصابة بمرض لا يحتمل، أو عقم لا علاج له، مما يؤدي إلى ذهاب المحبة والمودة، وتوليد الكراهية والبغضاء، فيكون الطلاق منفذاً متعيناً للخلاص من المفاسد والشرور الحادثة.

وفي سبيل تحقيق ذلك حرص الباحث على توظيف المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال جمع المادة العلمية، والوقوف على النصوص الشرعية في هذا الجانب، ومن ثم الاستعانة بالمنهج التحليلي من أجل بيان وتوضيح تلك القضية، وبيان أثر الطلاق في الإصلاح الأسري والمجتمعي.

وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج التي سعى الباحث في استخلاصها من خلال ما قدمه في منهج موضوعه العلمي وذلك في بيان اهتمام الشريعة الإسلامية بالأسرة، والتي من بينها أن الإسلام ألزم طرفي الأسرة الزوج والزوجة بضوابط معينة متبعة لا يجوز لهما شرعاً إهمال بعض جوانبها أو عدم اتباعها كما شرعت من ناحية الترتيب وذلك عند اتخاذهما أو اتفاقهما للطلاق والانفصال عن بعضهما البعض من حياتهما الأسرية.

Abstract

This study aims to clarify the impact of divorce on the family and societal reform, through the wisdom of its legislation, which lies through the fact that it is the need to the salvation from the differences of morality, and the tenderness of hatred positive not to establish the limits of Allah Almighty. So that his law of mercy was derived from him -Almighty. Divorce is the decisive remedy and the final solution when it is difficult for the spouses and the two judges to solve it. Because of the differences of morality, the dissonance of character, and the complexity of the journey of life shared by the spouses, or because of an intolerable disease, or untreatable infertility, which leads to the departure of love and passion, and the generation of hatred and hate. Divorce is an imperious outlet for salvation from the evils and abuse that have occurred.



To achieve this, the researcher was keen to use the inductive approach, by collecting scientific material and identifying the legitimate texts in this aspect, and then using the analytical approach in order to clarify and declare this issue and to show the impact of divorce on family and societal reform.

مقدمة:

عنيت الشريعة الإسلامية كشأنها دائماً في كل ما تقوم به من إصلاح وتقويم للأوضاع الاجتماعية من كل خلل يطرأ عليها، بنظام يكفل لكل من الزوجين حقوقهما، ويحفظ ويصون كرامتهما عند اتخاذ هذه الخطوة -الطلاق- التي يشعر من خلالها الزوجين بالمصلحة العامة لهما، وأنَّ الطلاق في هذه الحالة بداية حياة جديدة، وليست نهاية الأمل في الحياة.

فالشريعة الإسلامية لم تجعل الطلاق أداة للتلاعب بقضية الزواج، وعدم الاستقرار العام للحياة الزوجية، ولكنها نظمت كل ما يتعلق بظاهرة الطلاق، سواء من ناحية الزوج أو من ناحية الزوجة.

فالنظر المتأمل في قضية الطلاق يجد أنَّ الشريعة الإسلامية هي أول الشرائع التي جاءت بنظام يكفل لكل من الزوجين حقوقهما، ويحفظ ويصون كرامتهما عند اتخاذ هذه الخطوة.

فقد شرع الله -سبحانه وتعالى- الطلاق بعد فشل جميع المحاولات في إعادة توازن واستقرار الحياة الأسرية بين الزوجين، وخلوها من الخلافات وكذلك النزاعات، وبعد فشل كل المحاولات التي هدفت في الجمع بين الزوج والزوجة من أجل إقامة حياة أسرية سعيدة خالية من الخلافات والنزاعات، والتي قد تؤدي إلى الانهيار والفرار، والخروج من قواعد الزواج من السكن والمودة والرحمة، إلى الانهيار والتشتت والفرقة الأبدية.

والطلاق في الشريعة الإسلامية هو موطن تتضح فيه حكمة الشريعة الإسلامية التي تنطلق من الوسطية والاعتدال ومن ثم التسامح والعفو، الأمر الذي يُعتبر من خلاله أنَّ الإسلام هو أول شريعة وأول تشريع جاء بقضية الطلاق على صورته الكاملة التي بيَّنها الإسلام.

لذلك تهدف هذه الدراسة إلى بيان وتوضيح أثر الطلاق في الإصلاح الأسري والمجتمعي، وذلك من خلال حكمة تشريعه، والتي تكمن من خلال كونه هو الحاجة إلى الخلاص من تباين الأخلاق، وطروء البغضاء الموجبة عدم إقامة حدود الله تعالى، فكان تشريعه رحمة منه -سبحانه وتعالى- فالطلاق هو العلاج الحاسم، والحل النهائي والأخير لما استعصى حله على الزوجين والحكمين، بسبب تباين الأخلاق، وتنافر الطباع، وتعقد مسيرة الحياة المشتركة بين الزوجين، أو بسبب الإصابة بمرض لا يحتمل، أو عُقم لا علاج له، مما يؤدي إلى ذهاب المحبة والمودة، وتوليد الكراهية والبغضاء، فيكون الطلاق منفذاً متعيناً للخلاص من المفاصل والشرور الحادثة.

وفي سبيل تحقيق ذلك حرص الباحث على **توظيف المنهج الاستقرائي**، وذلك في جمع المادة العلمية من خلال الآيات القرآنية، ومن ثم الاستعانة بالمنهج التحليلي من أجل بيان وتوضيح قضية أثر الطلاق في الإصلاح الأسري والمجتمعي.



واقترضت طبيعة الموضوع على أن يكون في تمهيد ومبحثين، وخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات، وقائمة المصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي:

التمهيد: التعريف بالطلاق، ومنهجية الإسلام في مشروعيتها.

المبحث الأول: ضوابط الطلاق، والضروريات التي تقتضي إلى وقوعه في الإسلام.

المبحث الثاني: أثر الطلاق في الإصلاح الأسري والمجتمعي.

الكلمات المفتاحية: (الطلاق- الإصلاح- الأسري- المجتمعي)

التمهيد

التعريف بالطلاق، ومنهجية الإسلام في مشروعيتها.

يُعد الطلاق من المشكلات المُتوطنة، والمُزمنة التي تصاحب الزواج، والتي تعتبر مقياس لمستوى كفاءة وجودة العلاقات الأسرية بين الزوجين، لما له من آثار خطيرة على الفرد، ومن ثمَّ على المجتمع نفسه والذي يتأثر بالإيجاب والسلب من ناحية وجود أفراد، ومدى تفاعلهم معه. وفي هذا المطلب سوف أبين جُملة من الآثار الناتجة من قبل الطلاق على الفرد والمجتمع، حيث إنَّ المتأمل في آثار الطلاق يلاحظ آثاره الاجتماعية والاقتصادية، ومن ثمَّ النفسية والعاطفية على كافة أعضاء الأسرة سواء بين الزوجين فقط، أو بين الزوجين وبين الأطفال في حالة وجودهما، وكذلك بين الأهل وبعضهم البعض، انتهاءً بعد ذلك بآثاره السلبية على المجتمع وعلى حركة تقدمه واستقراره.

مفهوم الطلاق، وسر تسميته:

فالطلاق لغة هو كما ذكره «الفيومي»، في «المصباح المنير» أنَّ الطلاق لغة مصدر: " (ط ل ق)، ومن ثمَّ طَلَّقَ الرجل امرأته "تَطْلِيقًا" فهو "مُطَلَّقٌ" فإن كثر تطليقه للنساء قيل "مُطْلِقٌ" و"مُطْلَاقٌ" والاسم "الطَّلَاقُ" و"طَلَّقَتْ" هي "تَطْلُوقُ" من باب قتل وفي لغة من باب قَرَبَ فهي "طَالِقٌ" بغير هاء قال الأزهرى: وكلهم يقول: "طَالِقٌ" بغير هاء " (٣٢٧).

والطلاق مصدر من: "طَلَّقَتِ المرأةُ فهي مَطْلُوقَةٌ إذا ضربها الطَّلَقُ عند الولادة. والطَّلَاقُ: تخلية سبيلها" (٣٢٨). أي المرأة المتزوجة. وكذلك الطلاق هو: "رفع القيد" (٣٢٩).

(٣٢٧) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، (ص ١٩٥)، مادة (طلق).

(٣٢٨) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (١٠١/٥)، مادة (طلق)، باب (باب القاف والطاء واللام معهما ق ل ط، ل ق ط، ط ل ق مستعملات).

(٣٢٩) طلبة الطلبة، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (المتوفى: ٥٣٧هـ)، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، د. ط، ١٣١١هـ، (ص: ٥١)، كتاب الطلاق.



أما مفهوم الطلاق في الاصطلاح الشرعي، فقد اتفق أهل العلم على اختلاف عصرهم على أنَّ الطلاق هو حل الرابطة الزوجية أو العصمة الزوجية بين الزوجين، بألفاظ مخصوصة، وضوابط شرعية معلومة، ومُبيّنة من النصوص الدينية التي دلت على ذلك.

فالطلاق هو: "حلّ عقدة النكاح، وهو راجعٌ إلى معناه في اللغة؛ لأن من حلّ قيدَ نكاحها، فقد خُلّيت" (٣٣٠).

و "الأصل في الطَّلاقِ هُوَ الْحَظَرُ وَالْإِبَاحَةُ لِحَاجَةِ الْخَلَّاصِ" (٣٣١).

وكذلك "قال إمام الحرمين هو لفظ جاهلي ورد الإسلام بتقريره" (٣٣٢).

وكذلك هو: "قَطْعُ عِصْمَةِ النِّكَاحِ بِلَفْظِ الطَّلَاقِ، وما في معناه" (٣٣٣).

كذلك يعرف الطلاق قانوناً بأنه: طريقة لانحلال الزواج في حياة الزوجين نتيجة لحكم قضائي يصدر بناءً على طلب أحدهما أو كليهما وذلك لسبب من الأسباب التي حددها القانون وتعارف عليها وعلى العمل بها (٣٣٤).

كذلك يعرف الطلاق اجتماعياً أو من الناحية الاجتماعية بأنه ظاهرة اجتماعية متعارف عليها في جميع المجتمعات قديماً وحديثاً، حيث تنبع تلك الظاهرة من المجتمع، وتتجم عن علاقات اجتماعية غير سليمة، وينتج عنها أثراً سلبية على الفرد والمجتمع كله (٣٣٥).

ومن ثم فالطلاق هو مشتق من الإطلاق وهو الإرسال والترك ومنه طلقت البلاد أي تركتها ويقال طلقت المرأة وطلقت بفتح اللام وضمها والفتح أفصح تطلق بضمها فيهما، فالمتطلع الناظر في المفهوم اللغوي لمصطلح الطلاق وكذلك المفهوم الاصطلاحي ومن بعد ذلك المفهوم الشرعي يلاحظ أنَّ مصطلح الطلاق يراد به ويقصد من خلاله تحرر المرأة من الرابطة الزوجية، ولكن بعد النظر والتمعن في هذا المصطلح أو المراد وهو (التحرر) لاحظت أنه وإن كان مصطلح الطلاق يراد به (التحرر) هو ذلك المعنى الذي لا يخضع صاحبه بعد ذلك لما كان عليه قبل التحرر، كالطلاق وغير ذلك

(٣٣٠) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨ هـ)، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، (٥/ ٤٢٠).

(٣٣١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤ هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، (٥/ ٢١٣٤).

(٣٣٢) سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمر (المتوفى: ١١٨٢ هـ)، دار الحديث، بدون طبعة وبدون تاريخ، (٢/ ٢٤٧).

(٣٣٣) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البرماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: ٨٣١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، (١٣/ ٣٦٩).

(٣٣٤) ينظر: الطلاق وأسبابه في مدينة الموصل- دراسة تحليلية، هناء جاسم السبعائي، مجلة إضاءات موصلية، العدد (٧٤)، ٢٠١٣، (ص ٣).

(٣٣٥) ينظر: الطلاق وأسبابه في مدينة الموصل- دراسة تحليلية، هناء جاسم السبعائي، (ص ٣).



كما هو الحال في مسألة تحرير العبيد، فقد كان يُقال لمن يريد أن يحرر عبده أو يشتري عبداً ويحرره (أنت حر)، أو (هذا العبد حر)، وقد استخدم هذا المصطلح في تحرير الذي يراد من خلاله (التحرر) أكثر من إطلاق لفظ (أنت طليق)، أو (لقد أطلقت سراحك)، أو غير ذلك ما قد كان يطلق على العبيد، الأمر الذي يفرض من خلال ذلك علي العبد الحرية الدائمة والأبدية، وعدم العودة لما كان عليه من قبل.

أمّا مصطلح الطلاق وإن تحررت المرأة أو الزوجة من زواجها فقد تستطيع الرجوع مرة أخرى إلى زوجها، واسترجاع زوجها لها بعد ذلك فبذلك يكون سر تسمية الطلاق بهذا الاسم ناتجاً عن (الاسترجاع) بينهما بعد ذلك، حتى وإن بانّت الزوجة من زوجها بينونة كبرى، فقد يسترجعها مرة أخرى بعد أن تنتكح زوجاً غيره.

من هنا يتبين لي أنّ سر التسمية ناتجاً عن هذا الأمر، وهو الاسترجاع، وليس من معنى التحرر الذي يتطلب الحرية الأبدية والدائمة، والتي لا يستطيع المتحرر الرجوع لما كان عليه قبل التحرر بعد ذلك.

منهجية الإسلام في مشروعيته:

فالم تأمل الناظر في آيات القرآن الكريم إجمالاً وتفصيلاً يلاحظ أنّه لم يرد في القرآن الكريم، وكذلك عن النبي الكريم أمرٌ بالطلاق من خلال نص شرعي صحيح، وإنّما كل ما ورد من نصوص دينية قرآنية ونبوية ليس إلّا للحديث عن الطلاق وما ينبغي أن يكون عليه وضوابطه ومنهجيته القرآنية، الأمر الذي يتبين من ذلك أنّ الطلاق في الشريعة الإسلامية لا يباح به إلّا عند الضرورة القصوى وعند الحاجة إليه.

وفي مشروعية النكاح مصالح العباد الدينية والدنيوية، وفي الطلاق إكمال لها إذ قد لا يوافقه النكاح فيطلب الخلاص عند تباين الأخلاق وعروض البغضاء الموجبة عدم إقامة حدود الله فمكّن من ذلك رحمة منه سبحانه وفي جعله عدداً حكمة لطيفة لأن النفس كذوبة ربما تظهر عدم الحاجة إلى المرأة أو الحاجة إلى تركها وتسوّله، فإذا وقع حصل الندم وضاق الصدر به وعيل الصبر فشرعه سبحانه وتعالى ثلاثاً ليحرب نفسه في المرة الأولى فإن كان الواقع صدقها استمر حتى تنقضي العدة وإلا أمكنه التدارك بالرجعة، ثم إذا عادت النفس فمثل الأول وغلبته حتى عاد إلى طلاقها نظر أيضاً فيما يحدث له فما يوقع الثالثة إلا وقد جرب وفقه في حال نفسه، ثم حرمها عليها بعد انتهاء العدد قبل أن تتزوج آخر ليثاب بما فيه غيظه وهو الزوج الثاني على ما عليه من جبلة الفحولية بحكمته ولطفه تعالى بعباده^(٣٣٦).

وقد وجد الطلاق منذ القدم، ومن ثمّ جاءت مشروعية الطلاق عندما يكون هو العلاج الوحيد والحل الوحيد لإنقاذ العلاقات الأسرية من جو الخلافات التي طرأت علي حياة الزوجين، فالطلاق ظاهرة اجتماعية قديمة قدم معرفة الإنسان بالزواج، "وقد استخدمته المجتمعات البدائية، وكانت تستعمله المرأة أحياناً في وجه الرجل كما هو الحال عند قبائل الفيديا في جزيرة سيلان، فقد كانت المرأة هي التي تطلق زوجها وتطرده من مخيمها"^(٣٣٧).

(٣٣٦) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ، (٨/ ١٢٥).

(٣٣٧) الإسلام وبناء المجتمع، الدكتور/ أحمد محمد العسّال، مكتبة وهبة، الطبعة الحادية عشر، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، (ص ٢٧١).



ومن الأدلة القرآنية على مشروعية الطلاق ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، [البقرة: ٢٢٧]، وقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ.....﴾، [البقرة: ٢٢٩]، وكذلك قوله: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾، [النساء: ١٣٠]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، [الطلاق: ١].

كذلك ومن بين ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة التي بينت ذلك، ما ورد عن ابن عمر، قال: طَلَّقْتُ امْرَأَتِي عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ ذَلِكَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيَدْعُهَا حَتَّى تَطْهَرُ، ثُمَّ تَحِيضَ حَيْضَةً أُخْرَى، فَإِذَا طَهَّرْتَ فَلْيُطَلِّقْهَا قَبْلَ أَنْ يُجَامِعَهَا، أَوْ يُمْسِكَهَا، فَإِنَّهَا الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ». قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: قُلْتُ لِنَافِعٍ: مَا صَنَعْتَ النَّطْلِيقَةَ؟ قَالَ: «وَاحِدَةً اغْتَدَّ بِهَا» (٣٣٨).

خلاصة القول:

ومن ذلك كله يتبين لنا مشروعية الطلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك من خلال النصوص القرآنية وآراء الفقهاء في مذاهبهم الفقهية المختلفة، ومن ثم تأتي هذه المشروعية كمحاولة من محاولات اثبات واقعية القرآن الكريم في حل وعلاج الخلافات والنزاعات التي قد تطرأ علي حياة الإنسان، نتيجة لأحد الأسباب المؤدية إلى ذلك الخلاف، حيث جعلت الشريعة الإسلامية الطلاق كوسيلة يتخلص بها الزوجان المتباغضان والمتخالفان في حياتهما الزوجية والأسرية، ومن أجل إقامة حياة جديدة سواء كانت للزوج أو الزوجة، فالطلاق ليس كما هو معلوم نهاية الحياة ونهاية المطاف، بل هو بداية حياة جديدة لمن ظنَّ أو رأى أنَّها توقفت عند هذا الجانب، ومن ذلك بين الله سبحانه وتعالى - في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾، [النساء: ١٣٠].

المبحث الأول

ضوابط الطلاق، والضروريات التي تقتضي إلى وقوعه في الإسلام.

للطلاق ضوابط معينة، حددها الإسلام، وجاءت في العديد من النصوص الشرعية، المتمثلة في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، فمن رحمة الله سبحانه وتعالى - بعباده أن جعل للطلاق ضوابط معينة لا بد من الالتزام بها والرجوع إليها، حيث راعت تلك الضوابط واقعية كل من الزوج والزوجة، وكذلك المطلق والمطلقة في حياتهما.

وهنا نلاحظ أنَّ للطلاق ضروريات تستدعي إلى وقوعه، سواء من قبل الزوج أو الزوجة، وقد حرص الإسلام على وجود هذه الضروريات لوقوع الطلاق، وقد اجتهد أهل العلم قديماً وحديثاً في تفصيل وتوضيح هذه الأسباب، ومن ذلك ما يلي:

أولاً: التَطْلِيقُ بِالضَّرَرِ الْبَيِّنِ، وَلَوْ لَمْ تَشْهَدْ الْبَيِّنَةُ بِتَكَرُّرِهِ.

(٣٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، وأنه لو خالف وقع الطلاق ويؤمر برجعتها، (١٠٩/٢)، رقم (١٤٧١).



ذكر الدسوقي في الشرح الكبير أن: "للزوجة (التطليق) على الزوج (بالضرر) وهو ما لا يجوز شرعا كهجرها بلا موجب شرعي وضربها كذلك وسبها وسب أبيها، نحو يا بنت الكلب يا بنت الكافر يا بنت الملعون كما يقع كثيرًا من رعا ع الناس ويؤدب على ذلك زيادة على التطليق كما هو ظاهر وكوطئها في دبرها لا بمنعها من حمام وفرجة وتأديبها على ترك صلاة أو تسر أو تزوج عليها ومتى شهدت بينة بأصل الضرر فلها اختيار الفراق" (٣٣٩).

وهنا للزوجة الحق في طلب الطلاق، لما حدث لها من أمور كان لها نتيجة في ضررها، وهذه الأمور أو النتائج لا يقبلها الشرع، والتي من بينها ضربها المبرح دون سبب ودون حاجة تقتضي إلى ذلك، وكذلك سب الزوجة، وغير ذلك مما يعطي لها الحق في طلب الطلاق.

ثانيًا: غياب الزوج عن زوجته مدة زمنية طويلة:

فإذا غاب الزوج عن زوجته مدة بغير عذر، كان لها طلب التفريق منه، فإذا كان تركه بعذر لم يكن لها ذلك، وهذا مذهب الحنابلة، أمّا المالكية، فقد ذهبوا إلى أن الرجل إذا غاب عن زوجته مدة، كان لها طلب التفريق منه، سواء أكان سفره هذا لعذر أم لغير عذر، لأن حقها في الوطء واجب (٣٤٠).

وسئل أحمد كم للرجل أن يغيب عن أهله؟ قال: يروى ستة أشهر. وقد يغيب الرجل أكثر من ذلك لأمر لا بد له، فإن غاب أكثر من ذلك لغير عذر، فقال بعض أصحابنا: يرأسه الحاكم فإن أبي أن يقدم، فسخ نكاحه. ومن قال: لا يفسخ نكاحه إذا ترك الوطء وهو حاضر، فها هنا أولى. وفي جميع ذلك، لا يجوز الفسخ عند من يراه إلا بحكم حاكم؛ لأنه مختلف فيه (٣٤١).

وهنا يتبين لنا أنه إذا خافت الزوجة الفتنة على نفسها بسبب غياب زوجها فلها الحق في رفع أمرها إلى القضاء لإجراء اللازم نحو عودته أو تطليقها، حفاظا على الأعراض، ومنعاً للفساد، فالإسلام لا ضرر فيه ولا ضرار فيه.

ثالثًا: اللعان:

إذا رأى الرجل زوجته تزني، ولم يمكنه إقامة البينة، أو قذفها بالزنا ولم تقر هي بذلك، فقد شرع الله عز وجل اللعان حلاً لمشكلته، وإزالة للحرَج عنه؛ لئلا يلحقه العار بزناها، ويفسد فراشه، ويلحقه ولد غيره، ويأثم بسكوته عن الفاحشة في فراشه (٣٤٢).

(٣٣٩) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: ١٢٣٠ هـ)، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ، (٢/ ٣٤٥).

(٣٤٠) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥ جزء، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)، الأجزاء ١ - ٢٣: الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت، الأجزاء ٢٤ - ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر، الأجزاء ٣٩ - ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة، (٢٩/ ٦٣).

(٣٤١) المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ)، مكتبة القاهرة، بدون طبعة، (٧/ ٣٠٥).

(٣٤٢) موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، (٤/ ٢٣٤).



فإذا تم اللعان فإنه يفرق بين الزوجين لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- وذلك فيما ورد عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المتلاعنان إذا تفرقا لا يجتمعان أبداً" (٣٤٣).

فاللعان من بين الأمور التي توجب الطلاق، فلا يستمر الزواج بين الزوجين في هذه الحالة، فإذا حصل اللعان بين الزوجين، فهو من بين الأمور والضروريات التي تستدعي الطلاق، وتتطلب وقوعه.

ومن ثم تقع الفرقة بين الزوجين إذا فرغا من اللعان، وتكون الفرقة على سبيل التأبيد، فلا يحل له نكاحها أبداً. والفرقة الحاصلة باللعان فسخ لا طلاق؛ لأن التحريم بهذه الفرقة مؤبد، وليس للمرأة بعده نفقة ولا سكنى أثناء العدة.

رابعاً: الطلاق بسبب ضرر ناتج عن عيوب مرضية في الزوج، وكذلك الزوج.

بيّن أهل العلم أنه يجوز لأحد الزوجين أن يطالب بفسخ النكاح لأسباب معينة محددة واضحة، وهي على النحو التالي (٣٤٤):

- ١- العيب كالجنون أو الجذام والبرص أو داء الفرج المفوت للذة.
 - ٢- الغرر كأن يتزوج مسلمة فتظهر أنها كتابية أو حرة فتظهر أنها أمة أو صحيحة فتظهر مريضة بعورة أو عرج، والدليل قول عمر الأنف الذكر.
 - ٣- الإعسار في النفقة فمن أعسر في نفقة زوجته، انتظرت ما استطاعت من الوقت فلها الحق في فسخ نكاحها من زوجها بواسطة القاضي لقول الصحابة بهذا وفعلهم له.
 - ٤- إذا غاب الزوج ولم يعرف مكان غيبته ولم يترك للزوجة نفقة ولم يوص أحداً عليها بالإنفاق ولم يكن لديها ما تنفقه على نفسها.
- ولهذه الأسباب يجوز للزوجة أن تطلب الطلاق من زوجها، وكذلك الحال بالسنة للزوج أن يطلب الطلاق ويحق له إذا وقع أي من الأسباب السابقة في زوجته.
- فالرجل إذا منع امرأته النفقة، لعسرت، وعدم ما ينفقه، فالمرأة مخيرة بين الصبر عليه، وبين فراقه (٣٤٥).

(٣٤٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى، السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، باب ما يكون بعد التعان الزوج من الفرقة ونفي الولد وحد المرأة إن لم تلتعن، (٧/ ٦٧٢)، حديث رقم، (١٥٣٥٤).

(٣٤٤) النكاح والطلاق أو الزواج والفراق، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مطابع الرحاب، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، (ص ٨).

(٣٤٥) المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ)، مكتبة القاهرة، بدون طبعة، (٨/ ٢٠٤).



خامساً: الظهار:

وهو أن يُحرّم الرجل زوجته على نفسه، كأن يقول: "أنت عليّ كظهر أمي"، ففي هذه الحالة تحرّم عليه زوجته إلا إذا كفر عن يمينه، وإن لم يكفر عن يمينه فيحقّ للزوجة حينها طلب الطلاق.

فالظهار: هو تشبيه زوجته أو بعضها بكل أو ببعض من تحرم عليه أبداً كقوله: أنت عليّ كأمي، أو كظهر أختي ونحو ذلك.

فقد كان الرجل في الجاهلية يغضب على امرأته لأمر من الأمور ثم يقول: (أنت عليّ كظهر أمي) فتطلق منه.

فلما جاء الإسلام أنقذ المرأة من هذا الحرج، وبيّن أن الظهار منكر من القول وزور؛ لأنه قائم على غير أصل، فالزوجة ليست أمّاً حتى تكون محرمة كالأم، وأبطل هذا الحكم، وجعل الظهار محرماً للمرأة حتى يكفر زوجها عمّا حصل منه كفارة الظهار.

فالظهار: حرام، وقد ذم الله المظاهرين بقوله: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾، [المجادلة: ٢].

ومن ثمّ فإذا ظاهر الرجل من امرأته وأراد أن يطأها حرّم عليه وطؤها حتى يكفر كفارة الظهار (٣٤٦).

سادساً: ردة أحد الزوجين:

كذلك ومن بين ضروريات الطلاق، والتفريق من بين الزوجين ردة أحدهما، وذلك لكون "الردة بمنزلة الموت لأنها سبب يُفضي إليه، والميت لا يكون محلاً للنكاح، ولهذا لم يجز نكاح المرتد ابتداءً، فكذا في حال البقاء؛ ولأنه لا عصمة مع الردة" (٣٤٧).

ومن ثمّ يحدث الطلاق ويستدعي له باتفاق المذاهب بسبب ردة أحد الزوجين، لأن الردة تتضمن تبنيب الغدر والحدق والعداوة للمسلمين، فلا يناسبها بقاء الحياة الزوجية التي ينبغي أن تقوم على الوفاء والصفاء والحبّ والوئام والسلام، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا

(٣٤٦) مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، (ص ٨٤٦).

(٣٤٧) الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (المتوفى: ١٣٦٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، (٤/ ٣٧٨).



الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [البقرة: ٢٢١] (٣٤٨).

خلاصة القول:

وبالرجوع إلى النصوص القرآنية في مسألة الطلاق نجد أنَّ الإسلام لم يُقيد مسألة الطلاق بالنسبة للزوجة، وذلك لأنَّ أكثر الآيات التي تتناول الطلاق لا يقع من خلالها ضرر على الزوجة يتطلب هذا التقييد، كذلك وإذا جُعل الطلاق من خلال تقييده بالنسبة للزوجة في إلزام المطلق بتعويض مادي يدفعه للمطلقة إن لم يأتي بسبب يبرر ذلك، فنجد أنَّ الجهات الحكومية المختصة بهذا الأمر تكون موضع مستمر لتشنيع الزوجات، كما أنَّ المطلق يمكنه الفرار من ذلك الأمر عند إلزامه بتعويض مادي، ولا يلجأ إلى توثيق الطلاق، ويطلق لفظاً فقط، الأمر الذي يجعل للمطلقة بعد ذلك مشكلات اجتماعية واقتصادية كثيرة فضلاً عن مشكلاتها الدينية في مسألة تزوجها بعد ذلك، أو في المعاشية في الحرام عند انكاره الطلاق وعدم اثباته، أو جعل الزوجة كالمعلقة فلا تعتبر زوجة لها حقوق ولا هي مطلقة تتزوج بعد ذلك بمن ترغبه، وتكون المطلقة أو الزوجة هي الجانب الذي يتأثر بالضرر ويلحق بها بلا شك أكثر من زوجها.

كذلك ومن واقعية الإسلام في مسألة الطلاق أنَّ النصوص الدينية قد بيَّنت أنَّ الحق - سبحانه وتعالى - عندما عالج قضية الطلاق في الإسلام وفي المجتمع نجد أنَّه عالجها علاجاً يمنع وقوع، المجتمع في الآفات، أو الداءات الاجتماعية الخطيرة، والتي تضمن استقرار المجتمع، وحفظه من الانحلال والانهيار، وهذا ما راعته الشريعة الإسلامية في واقعيتها للطلاق.

فمن واقعية الشريعة الإسلامية في مسألة الطلاق وواقعيتها لتلك الظاهرة أنَّها لم تُقيد الطلاق بين الزوجين، كما نادى به البعض، بضرورة جعل الطلاق بين يدي القاضي، وأنَّ من يطلق بغير إذن القاضي يُلزم بتعويض مادي إلى من طلقها، وذلك في حالة عدم وجود أسباب يقدمها المطلق من أجل بيان ما دفعه إلى ذلك الأمر.

فكل هذه الأسباب التي ذكرت من أسباب الطلاق وضروريات وقوعه في الإسلام، بالإضافة إلى الأسباب التي ظهرت وانتشرت خاصة في العصر الحديث، من إدمان الزوج، وتعاطيه للمخدرات والعقاقير التي تذهب بالعقل، وتجعل صاحبه في مرتبة الجنون، فهذا الأمر ليس مقتصرًا على الزوج فقط، فذلك الحال بالنسبة للزوجة خاصة في عصرنا الحديث.

إضافة إلى ارتكاب أحد الزوجين بما يسمى بالخيانة الزوجية في حق الآخر، وغير ذلك مما نلاحظه وانتشر بين الناس خاصة في هذا العصر.

(٣٤٨) الفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخریجها)، أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة، دار الفكر - سورية - دمشق، الطبعة الرابعة المنقحة المعدلة بالنسبة لما سبقها (وهي الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة)، (٤/ ٣١٨٠).



أثر الطلاق في الإصلاح الأسري والمجتمعي.

فمن تمام حكمة الإسلام، ومراعاة الشريعة الإسلامية وملائمتها للسنن الاجتماعية عدم تحريم الطلاق بتاتاً؛ لكون الطلاق ليس شرّاً على الإطلاق، بل يُعد وسيلة من وسائل الإصلاح الاجتماعي والأسري، وعلى الرغم من تحريم الطلاق، وحرص الشريعة الإسلامية على عدم وقوعه من خلال الضوابط التي وضعتها أمامه، إلا أنّ هناك ضرورات اجتماعية دينية تقتضي لوقوعه.

فالطلاق لا يحسن إلاّ عند ضرورة تقتضيه لأنّه هدم للعائلة، ومن حكمة الله - سبحانه وتعالى - أنّه جعل الطلاق مرة بعد مرة، جعل بين وقوعهم مدة زمنية لما تُسمّى بلم الشمل، وإعادة حسابات كل طرف من الطرفين، وذلك ليكون للزوج وقت كاف وفرصة سانحة للتروي، والرجوع وتلافي الندم، ومعالجة جوانب الخلاف بينهما، كما شرع الله - سبحانه وتعالى - ذلك لتكون فرصة كافية للصالح والتفاهم بين الزوجين، إن كان سوء التفاهم هو الباعث على الطلاق، أو لكونه نتيجة لأسباب اجتماعية خارجية عن نطاق الزوجين^(٣٤٩).

إن القانون العام لانتظام المعاشرة هو الوفاق في الطباع والأخلاق والأهواء والأميال، فالمعاشرة الزوجية تدور حول نوعين:

النوع الأول: معاشرة حاصلة بحكم الضرورة، وهي معاشرة النسب، المختلفة في القوة والضعف، بحسب شدة قرب النسب وبعده كمعاشرة الآباء مع الأبناء، والإخوة بعضهم مع بعض، وأبناء العم والعشيرة، واختلافها في القوة والضعف يستتبع اختلافها في استغراق الأزمان، فنجد في قصر زمن المعاشرة، عند ضعف الأصرة، ما فيه دافع للسّامة والتخالف الناشئين عما يتطرق إلى المتعاشرين من تنافر في الأهواء والأميال، وقد جعل الله في مقدار قرب النسب تأثيراً في مقدار الملاءمة لأنّه بمقدار قرب النسب، يكون التّئام الذات مع الأخرى أقوى وأتم، وتكون المحاكاة والممارسة والتقارب أطول، فنشأ من السببين الجبلي، والاصطحابي، ما يقوي اتحاد النفوس في الأهواء والأميال بحكم الجبلية، وحكم التعود والإلف، وهكذا يذهب ذلك السببان يتباعداً بمقدار ما يتباعد النسب.

النوع الثاني: معاشرة بحكم الاختيار وهي معاشرة الصّحبة والخلة والحاجة والمعاونة، وما هي إلا معاشرة مؤقتة تطول أو تقصر، وتستمر أو تغب، بحسب قوة الداعي وضعفه، وبحسب استطاعة الوفاء بحقوق تلك المعاشرة، والتقصير في ذلك، والتخلص من هذا النوع ممكن إذا لم تتحد الطباع. ومعاشرة الزوجين في التنويع، هي من النوع الثاني، وفي الآثار محتاجة إلى آثار النوع الأول^(٣٥٠).

فالطلاق لا يمثل مشكلة في المجتمع الإسلامي، بل هو وسيلة من وسائل علاج المجتمع وإصلاحه، والذي يتوقف إصلاحه على صلاح الأسرة واستقامتها، فقد ذكر الدكتور «أحمد محمد العسّال»، في كتابه «الإسلام وبناء المجتمع» من "أنّ

(٣٤٩) ينظر: تفسير القرآن المسمى أولى ما قيل غي آيات التنزيل، تأليف العلامة الشيخ رشيد الخطيب الموصلي، ٥١٤٠٠-٥١٣٠٣ هـ، اعتنى به وقدم له مجد أحمد مكي، أروقة، للدراسات والنشر، (٣٣١ / ٢).

(٣٥٠) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، (٢ / ٤٦٠)، بتصرف بسيط.



القول بأنَّ الطلاق يمثل مشكلة في المجتمع الإسلامي قول لا يستند على أساس، والعكس هو الصحيح، أي أنَّ وجود الطلاق منح المجتمع الإسلامي طيلة فترات التاريخ البعد عن مشكلات الانحراف، والعقد وصان الأخلاق وحمل النسل والأعراض، فلم يحدث عندما أصيبت به المجتمعات الغربية من الاضطراب إلى إباحة الزنى أو العيش مع الخيلات بدلاً من العيش في الحلال^(٣٥١).

فالطلاق هنا ليس نهاية الطريق والحياة، ولكنَّه بداية حياة جديدة، لمن أيقن ذلك، ويسعى إلى تحقيقها، ومع ذلك لم تخلو المطلقة من الكثير من الآثار الناتجة عن طلاقها في المجتمع، سواء على جانب أسرتها، وأقربائها، أو من جانب مجتمعها الذي تعيش فيه، ومن جانب من يعلم بحالتها الاجتماعية بعد ذلك.

ومن ثمَّ يكون ذلك عندما تنبثق ظاهرة الطلاق بين الزوجين في المجتمع من خلال الضوابط القرآنية التي نصَّ عليها القرآن الكريم، ومن ثمَّ أجملها الفقهاء وفصلوها في ثنايا كتبهم الفقهية، وذلك من خلال قول الله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَسْرِيحٍ بِاِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ اَنْ تَاْخُذُوْا مِمَّا آتَيْتُمُوْهُنَّ شَيْئًا اِلَّا اَنْ يَخَافَا اَلَّا يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ فَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهٖ تِلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ فَلَا تَعْتَدُوْهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُوْدَ اللّٰهِ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ﴾، [البقرة: ٢٢٩].

وكذلك من خلال قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَسْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، [البقرة: ٢٣١].

أمَّا ما نراه اليوم في مجتمعنا المعاصر، وفي جميع المجتمعات أيضاً من أنَّ الطلاق أصبح اليوم تفكيك الروابط الاجتماعية في المجتمع بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، وفي هدف كلٍّ من الزوجين في السيطرة على أكبر قدر ممكن من الجوانب المادية من الآخر، الأمر الذي جعلهما يسعيا إلى الطرق القانونية، من أجل التحايل على الآخر مما نهى عنه الإسلام، وجعل أمور التفرقة بين الزوجين من البدايات الأولى التي يغني الله كل من سعته، وذلك كما بيَّنه الله - سبحانه وتعالى - في قوله: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾، [النساء: ١٣٠]، وذلك من خلال الضوابط القرآنية والفقهية المنصوص عليها في هذه الظاهرة.

وهذه الآية الكريمة التي تُبين أنَّ وقوع الطلاق في هذه المرحلة وفي هذه الحالة ما هو إلا وسيلة من وسائل إصلاح الأسرة داخياً وخارجياً، وإصلاح المجتمع - لما ذكرنا من قبل - والذي يتوقف إصلاحه على إصلاح الأسره بكل جوانبها وجميع أطرافها.

(٣٥١) الإسلام وبناء المجتمع، الدكتور/ أحمد محمد العسَّال، مكتبة وهبة، الطبعة الحادية عشر، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، (ص ٢٥٢).



وهنا نلاحظ أنَّ المولى - سبحانه وتعالى- ذكر حلاً لهذه القضية، وهي ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾، [النساء: ١٣٠]، خشية أن لا يقيما حدود الله، ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾، [النساء: ١٣٠]، وربما يُهيئ لكل منهما زوجاً صالحاً أو عيشاً مريحاً، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾، [النساء: ١٣٠]، في أحكامه.

فالآية الكريمة تُشجّع على هذا الفراق والطلاق الواقع بعد استحالة الوفاق، لأنَّ مضرَّته - وإن عظمت- تكون دون مضرَّة الحياة القائمة على الكُره والشقاق، لأنَّها جحيماً لا يُطاق^(٣٥٢).

والإسلام بمنهجيته وبضوابطه العامة حول الطلاق حرص على بناء العلاقات الأسرية والزوجية بأن تكون في غاية السعادة، ولكن قد لا تفلح هذه العلاقة بالاستمرار، فشُرِع الطلاق حلاً للمشاكل والخلافات التي لا تتم إلّا به، وجعله آخر الحلول، حيثُ استحالَت العشرة بين الزوجين وبلغت حدَّها، واستعصى حلها بشتى الطرق، فقال -جلَّ شأنه- ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾، [النساء: ١٣٠].

لذلك حرص الإسلام على رباط الزوجية المقدس، إذ عمل من البداية على وقايتها وحمايتها من المشاكل وأحاطها بالعناية والحفظ، وأكثر من الحواجز التي وضعها في طريق الطلاق، وأرشد إلى الأسباب المؤدية للوفاق بينهما، لكنه حين أباح حكم الطلاق أباحه على بغض وكرهية له، مع تقديره أنه قد يكون ضرورة لا بد منها لذوي الأعدار الذيم يبغون رفع الحرج عنهم، وتمكينهم من أسباب الراحة في حياتهم وبهذا أثبت الإسلام أنه دين عملي يسائر سنن الحياة الصحيحة، يخرج بالزوجين المتخاصمين من حياتهما الضيقة البائسة إلى مجال رحب واسع.

وقد شُرِع الطلاق في الأصل لمكان المصلحة؛ لأن الزوجين قد تختلف أخلاقهما وعند اختلاف الأخلاق لا يبقى النكاح مصلحة؛ لأنه لا يبقى وسيلة إلى المقاصد فتتقلب المصلحة إلى الطلاق ليصل كل واحد منهما إلى زوج يوافقه فيستوفي مصالح النكاح منه إلا أن المخالفة قد تكون من جهة الزوج وقد تكون من جهة المرأة، فالشرع شرع الطلاق وفوض طريق دفع المخالفة والإعادة إلى الموافقة إلى الزوج لاختصاصه بكمال العقل والرأي^(٣٥٣).

فوقوع الطلاق عند الحاجة إليه، والضرورة التي تقضتية من أهم عوامل الإصلاح الأسري والمجتمعي، ونلاحظ إجماع أهل العلم قديماً وحديثاً على جواز الطلاق، والعبرة دالة على جوازه، فإنه ربما فسدت الحال بين الزوجين، فيصير بقاء النكاح مفسدة محضة، وضرراً مجرداً بإلزام الزوج النفقة والسكنى، وحبس المرأة، مع سوء العشرة، والخصومة الدائمة من غير فائدة، فافتضى ذلك شرع ما يزيل النكاح، لتزول المفسدة الحاصلة منه^(٣٥٤).

(٣٥٢) تفسير القرآن المسمى أولى ما قيل غي آيات التنزيل، تأليف العلامة الشيخ رشيد الخطيب الموصل (١٣٨ / ٥).

(٣٥٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، (٣ / ١١٢).

(٣٥٤) المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، بدون طبعة، (٧ / ٣٦٣).



فعلى سبيل الإصلاح المجتمعي والذي يكون نتيجة حتمية للإصلاح الأسري من خلال وقوع الطلاق، بأن: "مصالح النكاح قد تتقلب مفسد، والتوافق بين الزوجين قد يصير تنافراً، فالبقاء على النكاح حينئذ يشتمل على مفسد من التباغض والعداوة والمقت وغير ذلك، فشرع الطلاق دفعاً لهذه المفسد، ومتى وقع لغير حاجة فهو مباح مبغوض لأنه قاطع للمصالح، وإنما أبيحت الواحدة للحاجة وهو الخلاص على ما تقدم، وفي الحديث «مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئاً عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَتَاقِ، وَلَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئاً أَبْغَضَ مِنَ الطَّلَاقِ» (٣٥٥) (٣٥٦).

ومن ذلك كله شرع الله - سبحانه وتعالى - وفق منهجية قرآنية محددة، أوجب على الزوجين الالتزام بها، إذا أقدموا على هذه الخطوة، فالزواج - كما نعلم - شرعه الله - جلّ شأنه - ليكون أساساً لحياة عائلية سعيدة، وليحقق مقاصده السامية التي شرع من أجلها فينعم الزوجان بحياة هائلة، ويكون كل منهما سكناً لصاحبه، ومودة ورحمة لقلبه، ورياً لعواطفه ووجدانه تسود بين ذلك كل معالم الرحمة والمودة والسكن التي جعلها الله - سبحانه وتعالى - نتيجة من نتائج الزواج، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، [الروم: ٢١].

ومن ذلك تتضح أثر الطلاق في الإصلاح الأسري من خلال حكمة تشريعه، والتي تظهر حكمته من خلال كونه هو الحاجة إلى الخلاص من تباين الأخلاق، وطروء البغضاء الموجبة عدم إقامة حدود الله تعالى، فكان تشريعه رحمة منه - سبحانه وتعالى - أي أن الطلاق علاج حاسم، وحل نهائي أخيراً لما استعصى حله على الزوجين وأهل الخير والحكمين، بسبب تباين الأخلاق، وتنافر الطباع، وتعدد مسيرة الحياة المشتركة بين الزوجين، أو بسبب الإصابة بمرض لا يحتمل، أو عُقْم لا علاج له، مما يؤدي إلى ذهاب المحبة والمودة، وتوليد الكراهية والبغضاء، فيكون الطلاق منفذاً متعيناً للخلاص من المفسد والشرور الحادثة.

فالطلاق إذن ضرورة لحل مشكلات الأسرة والمجتمع، ومشروع للحاجة ويكره عند عدم الحاجة، «ليس شيء من الحلال أبغض إلى الله من الطلاق» (٣٥٧)، وحديث: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتَ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةٌ

(٣٥٥) رواه الدارقطني في سننه، سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، (٥/ ٦٣)، حديث رقم، (٣٩٨٤).

(٣٥٦) الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلية البلدي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: ٦٨٣هـ)، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة (من علماء الحنفية ومدرس بكلية أصول الدين سابقاً)، مطبعة الحلبي - القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية - بيروت، وغيرها)، تاريخ النشر: ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م، (٣/ ١٢١).

(٣٥٧) رواه البيهقي في السنن الكبرى، السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، (٧/ ٥٢٧)، حديث رقم، (١٤٨٩٦).



الجنة»^(٣٥٨). ومن أسبابه المبيحة له طاعة الوالدين فيه، قال ابن عمر: «كانت تحتها امرأة أحبها، وكان أبي يكرهها، فأمرني أن أطلقها فأبيت، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا عبد الله بن عمر: طلق امرأتك»^(٣٥٩)، وصرح الحنابلة: أنه لا يجب على الرجل طاعة أبويه ولو عدلين في طلاق أو منع من تزويج. وما قد يترتب على الطلاق من أضرار، وبخاصة الأولاد، يحتمل في سبيل دفع ضرر أشد وأكبر، عملاً بالقاعدة: «يختار أهون الشرين»^{(٣٦٠)(٣٦١)}.

خلاصة القول:

شرع الله - سبحانه وتعالى - الطلاق بعد فشل جميع المحاولات في إعادة توازن واستقرار الحياة الأسرية بين الزوجين، وخلوها من الخلافات وكذلك النزاعات، وبعد فشل كل المحاولات التي هدفت في الجمع بين الزوج والزوجة من أجل إقامة حياة أسرية سعيدة خالية من الخلافات والنزاعات، والتي قد تؤدي إلى الانهيار والفراق، والخروج من قواعد الزواج من السكن والمودة والرحمة، إلى الانهيار والتشتت والفرقة الأبدية.

والطلاق في الشريعة الإسلامية هو موطن تتضح فيه حكمة الشريعة الإسلامية التي تنطلق من الوسطية والاعتدال ومن ثم التسامح والعفو، الأمر الذي يُعتبر من خلاله أن الإسلام هو أول شريعة وأول تشريع جاء بقضية الطلاق على صورته الكاملة التي بينها الإسلام.

نتائج الدراسة.

ومن خلال ما تمّ عرضه وبيانه توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، لعلّ من أهمها ما يلي:

- ١- ألزم الإسلام كلا من الزوج والزوجة بضوابط معينة مُتبعة لا يجوز لهما شرعاً إهمال بعض جوانبها أو عدم اتباعها كما شرعت من ناحية الترتيب وذلك عند اتخاذهما أو اتفاقهما للطلاق والانفصال عن بعضهما البعض من حياتهما الأسرية.

(٣٥٨) رواه أبو داود في سننه، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، باب في الخلع، (٥٤٣/٣).

(٣٥٩) رواه الترمذي في سننه، الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م، باب ما جاء في الرجل يسأله أبوه أن يطلق زوجته، (٤٨٦/٢)، حديث رقم، (١١٨٩).

(٣٦٠) شرح القواعد الفقهية، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا [١٢٨٥هـ - ١٣٥٧هـ]، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم - دمشق / سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، (٢٠٣/١).

(٣٦١) الفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخريجها)، أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة، دار الفكر - سورية - دمشق، الطبعة الرابعة المنقحة المعدلة بالنسبة لما سبقها (وهي الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة)، (٦٨٧٤-٦٨٧٥).



- ٢- للطلاق أثرٌ كبير في الإصلاح الأسري والمجتمعي، من خلال كونه هو الحاجة إلى الخلاص من تباين الأخلاق، وطروء البغضاء الموجبة عدم إقامة حدود الله تعالى.
- ٣- أوجبت الشريعة الإسلامية طرفي الأسرة -الزوج والزوجة- على احترام العلاقة بينهما، وعلى مراعاة سبل المعاشرة بالمعروف من أجل سد وإيقاف جميع السبل المؤدية إلى وجود الخلافات الزوجية، من نشوز وشقاق، ومن أجل إقامة حياتهما الأسرية على مبدأ العدل والمعاشرة بالمعروف، ومن أجل المحافظة على الإصلاح الأسري والمجتمعي.
- ٤- بيّن الإسلام أنَّ قضية الطلاق من بين التكاليف والأحكام الشرعية التي تتضمن مظاهر الرحمة والعدل والتيسير في النصوص الدينية التي تُبين أحكام الطلاق في الإسلام.
- ٥- للوقوع الطلاق وضروريات وقوعه عدة أسباب، فصلّها أهل العلم قديماً وحديثاً، تتمثل في التَّطَلُّقُ بِالضَّرَرِ الْبَيِّنِ، وَلَوْ لَمْ تَنْشَهِدِ الْبَيِّنَةُ بِتَكَرُّرِهِ، وغياب الزوج عن زوجته مدة زمنية طويلة، والطلاق بسبب ضرر ناتج عن عيوب مرضية في الزوج، وكذلك الزوج، وكذلك اللعان، والظهار، وردّة أحد الزوجين، وغير ذلك.

توصيات الدراسة:

- أمّا توصيات الدراسة، فنظراً لأهمية هذا الموضوع الديني والعلمي والاجتماعي، فيوصي الباحث في نهاية دراسته له بما يلي:
- ١- الاهتمام بمثل هذه المؤتمرات العلمية التي تهتم بدراسة قضايا الأسرة، والتي تعمل على التوعية بقضايا الإصلاح الأسري والمجتمعي.
 - ٢- تجديد الخطاب الديني حول قضايا الأسرة، بالمفهوم الذي يتوافق مع المقصد العام لتجديد الخطاب الديني، والذي يقصد منه تفعيل النص القرآني في حياتنا اليومية.
 - ٣- عقد واقتراح حلول مناسبة على شكل برامج تُعد للمقبلين على الزواج، وكذلك للزوجين، من أجل توضيح وبيان مكانة الأسرة في الإسلام، ومدى عناية الشريعة الإسلامية بها، والتوعية بخطر قضية الطلاق، وبيان أثرها على الفرد والأسرة، وكذلك المجتمع كله.
 - ٤- العمل على نشر ثقافة الإعلام الإيجابي ونشر من خلال منهجه ثقافة الحوار الأسري الذي يعمل على ترسيخ مبادئ الحوار الأسري البناء وترسيخ مبدأ الشورى داخل الأسرة المسلمة.
 - ٥- ضرورة توافر جانب الكفاءة في كافة الجوانب الدينية والاجتماعية والاقتصادية وكذلك الثقافية والفكرية إلى جانب الكفاءة الجنسية والنفسية بين الزوجين، من أجل تجنب الخلافات بينهما فيما بعد الناتجة من ناحية هذه الجوانب.



- ١- الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود بن مودود الموصللي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: ٦٨٣هـ)، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة (من علماء الحنفية ومدرس بكلية أصول الدين سابقاً)، مطبعة الحلبي - القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية - بيروت، وغيرها)، تاريخ النشر: ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م.
- ٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.
- ٣- الإسلام وبناء المجتمع، الدكتور/ أحمد محمد العسّال، مكتبة وهبة، الطبعة الحادية عشر، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- ٤- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٥- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- ٦- تفسير القرآن المسمى أولى ما قيل غي آيات التنزيل، تأليف العلامة الشيخ رشيد الخطيب الموصللي، ١٣٠٣هـ - ١٤٠٠هـ، اعتنى به وقدم له مجد أحمد مكي، أروقة، للدراسات والنشر.
- ٧- الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م، باب ما جاء في الرجل يسأله أبوه أن يطلق زوجته.
- ٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٩- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: ١٢٣٠هـ)، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- ١٠- رواه البيهقي في السنن الكبرى، السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ١١- سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، دار الحديث، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- ١٢- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ١٣- سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ١٤- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.



- ١٥- شرح القواعد الفقهية، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا [١٢٨٥هـ - ١٣٥٧هـ]، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم - دمشق / سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ١٦- الطلاق وأسبابه في مدينة الموصل- دراسة تحليلية، هناء جاسم السبعلاوي، مجلة إضاءات موصلية، العدد (٧٤)، ٢٠١٣م.
- ١٧- طلبه الطلبة، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (المتوفى: ٥٣٧هـ)، المطبعة العامرة، مكتبة المتنى ببغداد، د. ط، ١٣١١هـ.
- ١٨- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ١٩- الفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخريجها)، أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة، دار الفكر - سورية - دمشق، الطبعة الرابعة المنقحة المعدلة بالنسبة لما سبقها (وهي الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة).
- ٢٠- الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (المتوفى: ١٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢١- كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٢٢- اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البرماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: ٨٣١هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- ٢٣- مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٢٤- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٥- المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، بدون طبعة.
- ٢٦- موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٢٧- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ)، الأجزاء ١ - ٢٣: الطبعة الثانية، دارالسلاسل - الكويت، الأجزاء ٢٤ - ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر، الأجزاء ٣٩ - ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.
- ٢٨- النكاح والطلاق أو الزواج والفرق، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مطابع الرحاب، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.



مقاصد الشريعة وأثرها في تطوير الذات

د. أمل بنت أحمد سعيد عقلان - أستاذ مساعد في أصول الفقه - بجامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية

Email: aaglan@kku.edu.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قد خلق الله سبحانه وتعالى عباده لهدف أسمى وهو تحقيق العبودية له سبحانه لا شريك له وأن لا معبود سواه، وجعلهم خلائف يخلف بعضهم بعضاً، ويسعون للإصلاح في الأرض ما هداهم إلى ذلك سبيلاً .

والسؤال الذي يطرح نفسه!! هل سعى كل منا لتحقيق هذا الهدف؟ وهل وجد ثمرة هذا السعي في تحقيق أحلامه وتطوير ذاته؟

وما مدى التلازم بين مقاصد الشريعة الغراء والسعي في تحقيق الأهداف الدينية والدنيوية؛ ليصل الإنسان للرضا والاطمئنان الداخلي والفوز بسعادة الدارين ولسان حاله يردد: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ {النجم: ٣٩} .

ويعلم في نهاية المطاف أن التطور الذاتي الحقيقي هو المستمد من أصول الشريعة الغراء، ومقاصدها الجليلة، وحكمها البليغة وأسرارها اللطيفة .

وهناك من يناشد بتطوير الذات والسعي لأجل تحقيق المناصب والجاه والمال ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ {آل عمران: ١٥٢} فشتان بين هذا وذاك .

من أجل ذلك قدمت بين يدي القارئ هذا الجهد المتواضع، سهل المقال، صعب المُنال، فمن منا لا يجاهد نفسه لنيل أعلى الدرجات، وأسمى الأهداف والمقامات، ووسمت هذا البحث بـ(مقاصد الشريعة وأثرها في تطوير الذات) .
وتناولت الدراسة ما يلي:

- ١- التطوير والقيادة والإبداع نابعة من ديننا الحنيف ومقاصده السمحة التي كانت ولا زالت أساس كل ما وصل إليه العالم الغربي في مجال التطور والإبداع وغيرها بلا منازع.
- ٢- الشريعة الإسلامية ومقاصدها الغراء مصدر للتطوير الذاتي والمهاري .
- ٣- تنظيم الحياة وإدارتها مع ما يتناسب من مقصود الشارع بالاستخلاف في الأرض .
- ٤- توجيه المفاهيم الأساسية لتطوير الذات للمقصود الأعظم من وجود الإنسان .

سبب اختيار الموضوع وأهميته:

- ١- تحويل الأفكار النظرية في تطوير الذات إلى تطبيقات عملية شرعية نافعة للفرد والمجتمع .
- ٢- التوجه الشرعي لاكتساب المهارات والسلوكيات التي تجعل الإنسان يشعر بالرضا والسلام الداخلي .

٣٧٨



المؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية

خلال الفترة ٢١-٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٣هـ الموافق ٢٦ - ٢٨ نوفمبر ٢٠٢١ م

٣- الترابط والتلازم بين مقاصد الشريعة والتطور الذاتي الحقيقي .

أما منهجية البحث فقد تمثلت فيما يلي:

١- اتبعت في هذه الدراسة المنهج التحليلي عند الحديث عن جزئيات مصطلحات البحث وألحقها بكليات الشريعة ومقاصدها الغراء.

٢- بيان المصطلحات اللغوية ، من كتب اللغة المعروفة .

٣- تخريج الأحاديث من كتب الصحاح المعروفة كالبخاري ومسلم أو سنن الأربعة وغيرها من كتب الأسانيد، ثم الحكم على الحديث، وماكان في الصحيحين أو في أحدهما أكتفي بتخريج الحديث منهما .

٤- توثيق النقول من المصادر المعتمدة .

٥- وضع هامش لتوثيق المصادر والمراجع مرقماً بالجزء ورقم الصفحة، وذلك بجعل هامش مستقلة لكل صفحة

٦- العناية بتفسير الكلمات الغريبة وبيان معناها من كتب اللغة المعروفة أو الألفاظ الاصطلاحية إن وجدت .

٧- ذكر المصادر والمراجع .

وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول: التعريف بمقاصد الشريعة وتطوير الذات

المطلب الأول: التعريف بمقاصد الشريعة:

أولاً: التعريف اللغوي:

المقاصد: جمع مقصد. مشتق من الفعل قصد يقصد قصداً .

وهو على معاني منها :

١- القصد يأتي بمعنى: استقامة الطريق. قصد يقصد قصداً، فهو قاصد^(١). ومنه قوله تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] أي: على الله تبين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحج والبراهين الواضحة^(٢)

٢- والقصد يأتي بمعنى: العدل في الأمور. وفي الحديث الشريف: ((**القصد القصد**

تبلغوا))^(٣) أي: عليكم بالعدل في القول والعمل ، وهو الوسط بين الطرفين^(٤) .

٣- والقصد يأتي بمعنى إتيان الشيء. تقول : قصدته وقصدت له وقصدت إليه بمعنى^(٥)

(١) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري (٥٠٩/١) مادة (قَصَدَ) .

(٢) لسان العرب لابن منظور (٣٥٣/٣) مادة (قَصَدَ) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩٨) ٢٣٧٣/٥ في كتاب الرقاق (باب القصد والمداومة على العمل) .

(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٣٥٣/٣) مادة (قَصَدَ) .

(٥) القاموس المحيط للفيروز أبادي (ص ٢٩٤) ، مادة (قَصَدَ) .



وكل هذه المعاني اللغوية تصلح إضافتها لكلام الشارع ومقاصده . فالشارع قصد في أحكامه التشريعية الإستقامة ، والعدل فيها ، وإتيانها بعللها ومعانيها المقصودة شرعاً .

ومعنى الشريعة في اللغة :

تطلق على : مورد الماء ومنبعه ومصدره^(٦) .

وفي الاصطلاح : ما شرع الله لعباده من الدين . وتطلق على : الدين والملة والمنهاج . ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾. [المائدة: ٤٨] ^(٧).

وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣] .

ثانياً: التعريف الاصطلاحي لمقاصد الشريعة:

هي الحكم التي راعاها الشارع في تشريع الأحكام مصلحةً للعباد .

والحكم: تشمل المعاني والأسرار والغايات التي تدور عليها أحكام الشريعة .

مصلحة للعباد: أي: أن تلك المعاني والحكم مبناها على جلب المصالح ودرء المفسدات عنهم. وتشمل:

أ- المعاني الكلية: كالحفاظ على الضرورات الخمس (المصالح الضرورية)^(٨)، ومبدأ رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، ومبدأ رعاية المصالح والمفسدات.

ب- المعاني الجزئية: وهي المختصة بكل حكم من أحكام الشريعة الإسلامية، كقصد الشارع ديمومة النكاح واستمراره وما يترتب عليه من معان تتعلق بأبواب النكاح.

كذلك أحكام البيوع ومعاملات وما تشمل من معان جزئية من تبادل المنافع بين الناس ورفع الحرج عنهم، وهي ما تسمى بـ(بالمصالح الحاجية)^(٩) .

كذلك التحلي بكمال الأخلاق ومحاسن العادات، وهي ما تسمى بـ(بالمصالح التحسينية)^(١٠) .

والهدف منها: تحقيق العبودية لله عز وجل للفوز بسعادة الدارين .

(٦) مقاييس اللغة لابن زكريا (٢٦٢/٣)؛ أساس البلاغة (٣٢٦/١)؛ مختار الصحاح للرازي (ص ١٤١) مادة(شَرَعَ) .

(٧) مختار الصحاح للرازي (ص ١٤١) مادة (شَرَعَ) .

(٨) هي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، وفقدانها يؤدي لهلاك الناس وفسادهم، وهي تتمثل في الكليات الخمس المراعاة في كل ملة، وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال. وسيأتي الحديث عنها في المبحث التالي بإذن الله تعالى. ينظر: الموافقات للشاطبي (١٧/٢: ٢٠) .

(٩) هي التي يفتقر إليها الناس من حيث التوسعة ورفع الحرج عنهم، ويؤدي فقدانها للحرج والمشقة ولكن لا تبلغ مبلغ الفساد المتوقع من فقدان المصالح الضرورية، وهي جارية في العبادات والعادات والمعاملات. ينظر: المصدر السابق (٢١/٢) .

(١٠) هي الأخذ بمحاسن العادات وكمال الأخلاق، وهي جارية في العبادات والمعاملات والعادات، كأداب الأكل والشرب وآداب الطهارة من النجاسات ونحوه. ينظر: المصدر السابق (٢٢/٢) .



المطلب الثاني: التعريف بمفهوم تطوير الذات:

أولاً: التعريف اللغوي:

تطوير الذات تتكون من كلمتين: **التطوير و الذات**، ويجدر بنا تعريف كل منهما على انفراد .

معنى التطوير لغة: من طور يطور تطويراً، والمراد: تحول من طور إلى طور.

والتطور: التغير التدريجي الذي يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها ويطلق أيضاً على التغير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو النظم أو القيم السائدة فيه^(١).

والذات: النفس و الشخص، يقال في الأدب: نقد ذاتي يرجع إلى آراء الشخص وانفعالاته و هو خلاف الموضوعي. و يقال: جاء فلان بذاته عينه و نفسه. ويقال: عرفه من ذات نفسه سريره المضمره، و جاء من ذات نفسه طيعاً^(٢) .

ثانياً: التعريف الاصطلاحي لتطوير الذات:

هو منهج وأسلوب في الحياة لتنمية واكتساب المهارات والسلوكيات التي تجعل الإنسان يشعر بالرضا والسلام الداخلي^(٣).

والمنهج والأسلوب في الحياة هو بلا شك ما رسمه المولى عز وجل لعباده منذ أن بدأ خلق آدم عليه السلام وذريته فلم يخلقهم عبثاً بل أنزل الكتب على أيدي رسله وأنبيائه وختم الشرائع والأديان بشريعة ومنهج وطريقة خير الرسل نبينا المصطفى المجتبي محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

ولو نظرنا لجزئيات التعريف لمفهوم تطوير الذات، لأدركنا جلياً العلاقة بين هذا المفهوم، ومفهوم مقاصد الشريعة الغراء.

فالهدف من مقاصد الشريعة: تحقيق العبودية لله عز وجل والفوز بسعادة الدارين .

والهدف من تطوير الذات: الشعور بالرضا والسلام الداخلي.

وحتى نصل للعلاقة بين المفهومين، نحلل جزئيات مفهوم تطوير الذات كالآتي:

قولهم: ((تنمية واكتساب المهارات والسلوكيات)) تدخل تحتها مهارات وسلوكيات متعددة منها على سبيل المثال:

مهارة الاتصال مع الناس والتعامل معهم، فقد أرشدنا الله عز وجل في كتابه العزيز في عدة مواضع لحسن الخلق، وطيب

الكلام، وحسن التعامل مع الناس، فقال سبحانه في محكم آياته: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ {القلم: ٤} يمدح فيها

سبحانه أخلاق رسولنا الكريم وهو قدوة لأمته في أخلاقه وتعامله مع الناس.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ يَصْعَدُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ {فاطر: ١٠} .

(١) المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين (٢/٥٦٩ : ٥٧٠) .

(٢) المعجم الوسيط (١/٣٠٧) .

(٣) ينظر: www.yourdictionary.com ؛ www.educba.com .



وقال سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ {البقرة: ٨٣} وغيرها من الآيات الدالة على توجيه الشارع لمحاسن ومكارم الأخلاق وحسن التعامل مع الناس، وهذا متمثل في المقاصد والمصالح التحسينية التي قصدها الشارع في تشريع الأحكام والمعاملات بين الناس كما سبق بيانه .

كذلك: مهارة التخطيط للمستقبل من مفاهيم تطوير الذات.

ومن المعلوم أن التخطيط للمستقبل لابد أن يكون متوازناً غير جافٍ ولا غالي، فلا يعمل الإنسان ويخطط للعالم محصور التفكير، كأنه يعيش أبداً، محدود المصير، كأنه يموت غداً ، بل يضع نصب عينه طول الأمل وقصر الأجل كما أخبرنا بذلك رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه ((عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا فَقَالَ هَذَا الْأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ))^(١٤) استرشاداً بقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ

الدُّنْيَا﴾ {القصص: ٧٧}.

فالتوازن في الأمور، ووضعها في نصابها ، مراعيًا بذلك المصالح الضرورية والحاجية ، مبتغياً رضا مولاه ، حينها بلا شك يصل الإنسان إلى هدفه الأسمى وهو تحقيق العبودية لله، وبالأحرى الشعور بالرضا والسلام الداخلي .

ومن هنا يظهر المفهوم الشرعي لمقاصد الشريعة الغراء ، وأثره في مفهوم تطوير الذات .

المبحث الثاني: أثر المقاصد الضرورية في تطوير الذات

المطلب الأول: حفظ الدين:

وهو أعلى المقاصد الضرورية التي راعاها الشارع في الأحكام، وهي التي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا.

ويراعى حفظ الدين من جانبين:

٢- **جانب الوجود:** وهو ما يقيم أركان الدين ويثبت قواعده، كالنطق بالشهادتين، والعمل بأوامر الشرع كالأمر بالصلاة والزكاة ونحوها .

١- **جانب عدم:** وهو ما يدرأ عنه الاختلال الواقع فيه، كالنهى عن الشرك والابتداع في الدين ونحوه^(١٥).

ولو تساءلنا: لماذا نعمل على تطوير الذات؟

لتبادر إلى الأذهان الجواب: لتعمير الكون والاستخلاف في الأرض، ولا يكون الاستخلاف والتمكين في الأرض إلا بحفظ الدين وتنشيط قواعده وأركانه ودرء كل ما يؤدي إلى اختلاله، أو الوقوع في الشرك والعياذ بالله أو الابتداع في الدين.

(١٤) أخرجه البخاري (٦٠٥٥) ٢٣٥٩/٥ في كتاب الرقاق (باب: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) .
(١٥) ينظر: الموافقات (١٨/٢) .



قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ {النور: 55} .

المطلب الثاني: حفظ النفس:

وهو المقصد الثاني من المقاصد الضرورية التي راعاها الشارع في الأحكام. ويراعى حفظها من جانبين:

- ١- جانب الوجود: وهو الأمر بكل ما يحفظها من التلف والهلاك، كالأمر بالأكل والشرب، والحفاظ على الصحة بالتداوي.
- ٢- جانب عدم: وهو النهي عن كل ما يخل بوجودها، كتحريم قتل النفس، وتشريع القصاص، والحدود في الجنايات ونحوه. (١٦) .

فالحفاظ على النفس البشرية بتأمين كل ما يحفظها، ودرء عن كل ما يخل بها وهو الأساس في تطوير هذه الذات والعمل على تقويمها وتنميتها، وهو مقصد ضروري وملحظ مهم راعى الشارع الحكيم الاعتناء به والحفاظ عليه .

المطلب الثالث: حفظ النسل:

وهو المقصد الثالث من المقاصد الضرورية التي راعاها الشارع وأمر بحفظها. ويراعى ذلك من جانبين:

- ١- جانب الوجود: كمشروعية النكاح والتناسل، وحفظ الشرف والعفة والحياء .
 - ٢- جانب عدم: كترك ما يعرض النسل والعرض للزوال، كالزنا والقذف والخلو المحرمة (١٧) .
- فلا يحصل تطوير الذات البشرية بدون الحفاظ على النسل والعرض، والتمسك بالثوابت الشرعية وفق حدود الشريعة الإسلامية، فمصالح العباد لا تنال على أكمل الوجوه إلا من خلال التمسك بثوابت الدين ومقاصده الجليلة .

المطلب الرابع: حفظ العقل:

وهو المقصد الرابع من المقاصد الضرورية التي راعاها الشارع وأمر بحفظها. ويراعى من جانبين:

- ١- جانب الوجود: كالأمر بطلب العلم، والتفكير في آيات الكون، وإقامة دور العلم ونحوه .
- ٢- جانب عدم: كالنهى عن شرب المسكرات، وإبطال الأفكار العقدية الهدامة لكيان الأمة الإسلامية .

(١٦) ينظر: الموافقات (١٩/٢) .

(١٧) ينظر: المصدر السابق.



فتطوير الذات البشرية إنما يكون من خلال العقل بالقراءة والاطلاع على كل ما هو مفيد للعقل البشري وتنميته، واكتساب المهارات من خلال الثقافات المختلفة في كل مجالات الحياة، من أجل تحقيق المصالح الدينية والدنيوية، ونفع الفرد والمجتمع .

وكان أول منازل من القرآن الكريم الأمر بالقراءة ^ق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ {العلق: ١} لما في القراءة من أهمية بالغة في كمال عقل البشر وسلوكهم الطريق القويم والبحث في أسرار الوجود والكون والطبيعة .

المطلب الخامس: حفظ المال:

وهو المقصد الخامس من المقاصد الضرورية التي راعاها الشارع وأمر بحفظها.

وهي تراعى من جانبين:

١- **جانب الوجود:** كالعامل على نماء المال وتطويره، والأمر بالعمل والتكسب الحلال من مصادره المشروعة ونحوه .

٢- **جانب العدم:** كالنهي عن المعاملات المحرمة كالربا والرشوة، والنهي عن تبذير المال والإسراف فيه.

وتطوير الذات يناشد بالعمل والإنتاج من أجل الحصول على المال والتكسب ونحو ذلك، وهو مطلب ضروري راعته الشريعة الإسلامية ودعت إليه بضوابط وثوابت لا يمكن الحياد عنها من أجل تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد .

وقد أرشدنا رسولنا الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- على كيفية حفظ المقاصد الضرورية وما يترتب على الحفاظ عليها في كلمات مختصرة موجزة تغني عن آلاف السطور، فقال ﷺ: ((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ))^(١٨) .

((ومع تحديات العصر ومتطلباته يتحتم علينا التعامل مع المنظومة المقاصدية من أجل البناء للمستقبل والترشيد للحاضر، فعصرنا الحالي - بكل اختصار- في حاجة أكيدة وملحة إلى علم دقيق وثقافة واعية وموسعة وفاعلة بالمقاصد الشرعية ودورها في قيام تكليف الفرد وعبادته وطاعته، وفي قيام رسالة المجموعة المسلمة ، وبأثرها في مجالات الحياة في شتى الصور التنموية والحضارية بوجه عام))^(١٩) .

المبحث الثالث: أثر مقاصد الشريعة في مفاهيم تطوير الذات

المطلب الأول: مفهوم ترتيب الأولويات:

وهو أن يكون الشخص مرناً في التعامل مع أعماله بشكل منظم^(٢٠) .

وقد حرصت شريعتنا الإسلامية على تقديم الأهم فالمهم في جميع الأعمال التعبدية والعادية فإذا تزامنت الأعمال يقدم الأهم فالمهم .

^(١٨) أخرجه الترمذي (٢٤١٧) ٢٤/٤ في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص) وقال: حسن صحيح ؛ والدارمي في باب من كره الشهرة والمعرفة (٥٣٧) ١٤٤/١ .

^(١٩) ينظر: المقاصد الشرعية لنور الدين الخادمي (٩ : ١٠) بتصرف .

^(٢٠) ينظر: www.yourdictionary.com ؛ www.educba.com .



فعلى الصعيد الشخصي: قد يتزاحم عمل تعبدى مع عمل عادي في وقت واحد، والعمل التعبدى قد يكون فرضاً أو نافلة، والعمل العادي قد يكون ضرورة أو حاجة، فيُقدم الضروري على الحاجي، وتُقدم الفريضة على النافلة، ويقدم العمل العادي الضروري على العمل الحاجي، ويقدم العمل الحاجي على التحسيني .

والخلاصة: أن المقاصد الضرورية مقدمة على المقاصد الحاجية، والمقاصد الحاجية تقدم على المقاصد التحسينية .

مثال: تزاحم وقت الصلاة مع شراء حاجيات للمنزل والاستعداد لحسن المظهر والاعتناء والتطيب .

فإقامة الصلاة مطلب ضروري، فيُقدم على شراء الحاجيات؛ لأنها مطلب حاجي، ثم يُنتقل إلى المطلب التحسيني وهو حسن المظهر والاعتناء، فيقدم الأهم على المهم، وهكذا في شتى مجالات الحياة.

((**فمصالح الدنيا** تنقسم إلى الضرورات والحاجات والتكاملات، فالضرورات كالمأكل والمشارب والمناخ والجوالب للأقوات وغيرها ماتمس إليه الضرورات، وأقل المجزئ من ذلك ضروري، وما كان من ذلك في أعلى المراتب، كالمأكل والطيبات... ونكاح الحواريات والسراري الفائقات فهو من التتمات والتكاملات، وماتوسط بينهما فهو من الحاجات، وأما **مصالح الآخرة**، ففعل الواجبات واجتناب المحرمات من الضروريات، وفعل السنن المؤكدة الفاضلات من الحاجات، وما عدا ذلك من المنوبات التابعة للفرائض أو المستقلات فهي من التتمات والتكاملات))^(٢١) .

وكذلك إذا تزاحمت المصالح، فتقدم المصلحة الراجحة على المصلحة المرجوحة^(٢٢).

وتقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة^(٢٣) .

فمصلحة حفظ الدين مقدمة على مصلحة حفظ النفس، ومصلحة حفظ النفس مقدمة على ما هو دونها وهكذا .

مثال: كثرة السهر في القراءة مثلاً (مصلحة تحسينية) قد تكون مؤدية لضياع صلاة الفجر (مصلحة ضرورية)، وتقويت تحصيل المعاش (مصلحة حاجية) .

وهذا قد يؤدي للتوتر والاضطراب والحياة الفوضوية مما يسبب الكثير من المفسدات في الدين والدنيا، والاضطرابات النفسية والجسدية والاجتماعية .

فلو قدم المهم الضروري على الأهم الحاجي أو التحسيني لكان أدعى لجلب المصلحة ودرء المفسدة والأضرار ، وتحقيق الصلاح في الفرد والمجتمع .

(٢١) ينظر: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، لعز الدين بن عبد السلام (ص ٣٤١) .

(٢٢) المصلحة لغة: من الصلاح وهو ضد الفساد . ينظر: القاموس المحيط (ص ٢٢٣) مادة (صَلَح) .

شرعاً: هي جلب المنفعة أو دفع المضرّة. روضة الناظر: (١/٤٨٧) .

فالمراد بالمصلحة هو عين المناسبة، وهي: الوصف الملائم للحكم بحيث يترتب عليه مصلحة مقصودة للشارع من شرع ذلك الحكم .

(٢٣) المصلحة العامة: هي التي يعود نفعها لعموم الأمة، ولا يلتفت فيها للنفع الخاص بالأفراد. والمصلحة الخاصة: هي التي يعود نفعها على فرد

من الأفراد أو بعض الأفراد . ينظر: مقاصد الشريعة لابن عاشور (ص ٨٤، ٨٥) .



المطلب الثاني: مفهوم تنظيم الوقت:

وهو عملية إدارية على الصعيد الشخصي تهدف إلى استثمار الوقت لإنجاز جميع المهام والواجبات اليومية دون تأجيل^(٢٤) وتنظيم الوقت يترتب على حسب أولوية الأعمال وأهمها كما سبق ذكره.

فإما أن يجعل لكل عمل أو مهمة وقت معين، أو يمكن أن ينجز مهمتين في وقت واحد، وقد عني الشارع الحكيم بتنظيم الوقت فقال في محكم آياته: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ {النور: 44} .

وأشار رسولنا الكريم ﷺ عن سؤال المرء ((عن عمره فيما أفناه))^(٢٥) .

وقد اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بالمحافظة على الوقت، ولهم آثار تدل على ذلك، منها:

قول ابن مسعود رضي الله عنه ((إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرَى الرَّجُلَ فَارِغًا لَا فِي عَمَلٍ دُنْيَا وَلَا آخِرَةٍ))^(٢٦) .

فإذا اعتبر الإنسان بمضي الوقت عرف قيمته وبالتالي يستثمر وقته فيما ينفع، فينظم وقت للعبادة، ووقت للعمل والتكسب، ووقت للجانب الصحي، ووقت للتفكير وطلب العلم، فإذا أحسن التنظيم في الوقت بترتيب أولوياته نفع نفسه ومجتمعه، ونفع الناس من أعظم أسباب السعادة.

قال ﷺ: ((أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس))^(٢٧) .

المطلب الثالث: مفهوم القيادة:

وهو علاقة تعني التكيف والتعامل مع الآخرين وتحقيق أهداف مشتركة^(٢٨).

وهي ليست سلطة على الناس، ولكنها قدرة على التأثير في الناس، ونفعهم؛ لذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ممن يملكون هذه القدرة واستطاعوا أن يؤثروا في الناس؛ لأن القائد لابد أن يتميز بصفتين:

١- القدرة على الصبر والتأثير في الناس.

٢- أن يكون قدوة في نفسه .

فلا يصح أن يكون قائداً بدونهما، وقد أشار الشارع الحكيم إلى هاتين الصفتين، فقال في محكم آياته: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ {السجدة: ٢٤} .

وإنما نالوا هذه الدرجة؛ لصبرهم على العلم والتعليم للناس، والدعوة إلى الخير، وعملوا بما علموه، فكانوا قدوة للناس، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

(٢٤) ينظر: www.yourdictionary.com ؛ www.educba.com .

(٢٥) تقدم تخريجه (ص ١٠) .

(٢٦) المعجم الكبير للطبراني (٨٥٣٨) ١٠٢/٩ ؛ المجالسة وجواهر العلم للدينوري (١٣٢٦) ١٥٢/٤ .

(٢٧) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٨١٦) ١٠٦/٢ ، قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٢٣) ٣٥٩/٢ : حسن لغيره .

(٢٨) ينظر: www.yourdictionary.com ؛ www.educba.com .



ومن شاهد الواقع: وجد أن الشخص القدوة المؤثر مقدّم على غيره في المناصب والولايات.

وكان قدوتنا في ذلك خير الرسل والأنبياء ﷺ فبأخلاقه وصبره وقدرته على التأثير استطاع أن يقود البشرية إلى ما فيه صلاحهم في معاشهم ومعادهم، فالأخذ بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق حرصت عليها شريعتنا الإسلامية؛ فبها كمال حال الأمة في نظامها، وسياساتها، وقياداتها وحضاراتها .

المطلب الرابع: مفهوم الإبداع:

وهو عملية تحويل الأفكار النظرية إلى تطبيقات نافعة للمجتمع^(٢٩) .

والإبداع يعتمد على القيادة الناجحة، فلو تأملنا المصلين كيف يصطفون جماعات وراء قائدهم وإمامهم بإبداع وتنظيم، والطيور في جماعات تابعة لقائدها في نظام بديع ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ﴾ {الملك:19} ، وكل ذلك يدل على أن القيادة الرشيدة المؤثرة ينتج عنها إبداع وتنظيم، فالإبداع والتنظيم شيء ضروري في كل مجالات الحياة.

((وينقسم الإبداع باعتبار هدفه وغايته إلى قسمين:

الأول: إبداع نافع:

وهو ينقسم أيضاً إلى قسمين:

أ- إبداع عام : وهذا القسم شامل لجميع الإنسانية، كاختراع الكهرباء، والحاسب الآلي، ووسائل النقل، ومعظم الأمور الحاجية والتحسينية .

ب- إبداع خاص: وهذا القسم خاص بفئة معينة من الناس كالعلماء، والأطباء، والبارعين في معظم الأمور الضرورية .

والثاني: إبداع ضار:

وهو ما يعود بالضرر على الإنسان في العاجل أو الآجل مثل:

الإبداع في بعض الأمور المحرمة: كنحت وتصوير ذوات الأرواح ، وصنع آلات الموسيقى ، ونحوها من الأمور التي لا طائل من وراءها، فإن هذا شر كله لا نفع فيه))^(٣٠) .

ومدار مقاصد الشريعة على درء المفسدات عن المكلفين، وجلب النفع والمصالح لهم، فراعى الشارع الحكيم بديع السماوات الأرض كل ما هو نافع ومفيد وأحلّه، ودرء عنهم كل ما فيه ضرر ومفسدة فحرّمه عليهم، قال سبحانه: ﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتُ﴾ {الأعراف:157}؛ مصلحة ورأفة بالعباد؛ ليصلوا لأرقى درجات الإبداع والتفوق في جميع مجالات الحياة .

^(٢٩) ينظر: www.educba.com ؛ www.yourdictionary.com .

^(٣٠) ينظر الإبداع العلمي، د.أحمد القرني (ص ٢٦ : ٢٧) .



فالمبدع لا يستغني في جميع أموره عن الضروريات والحاجيات والتحسينات؛ حتى يتفرغ للعمل والإنتاج والإبداع .

وينبغي أن يبستحضر المبدع الكلمة المبدعة التي قالها علي بن أبي طالب عليه السلام: ((قيمة كل امرئ ما يحسن)) (٣١) .

وقد عاش سلفنا الصالح والخلف من بعدهم مراحل المجد والإبداع فكانوا من أذكى العالم وعابرة الدنيا، وحسبهم في ذلك قوله عليه السلام: ((خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) (٣٢) .

فكانت لهم الأولوية والخيرية في جميع مجالات الحياة، ومن رجع إلى سيرهم، ونفائس أعمالهم، ومآثرهم وتمكنهم من ثغور الإسلام؛ لرأى مؤلفات شهيرة، وأخبار كثيرة...كيف لا؟! وقد كان قائدهم ومعلمهم صاحب لواء الحق والإبداع نبينا عليه السلام الذي علمنا بأخلاقه وتعاملاته التي كانت ولا زالت أساس كل ما وصل إليه العالم الغربي في مجال القيادة والإبداع وغيرها بلا منازع .

فالإبداع هو أحد الأسباب الرئيسية للخروج بالأمة الإسلامية من الذل والضعف والهوان إلى العزة والقوة والتمكين .

المطلب الخامس: مفهوم النجاح

وهو خلاصة العمل الجاد والقيادة الجيدة والإبداع (٣٣) .

والنجاح كلمة محببة إلى النفوس، وهو غاية كل حي، وهدفه في الحياة، فالكل يحب النجاح، والكل يسعى إليه، ولكن: ماهو النجاح الحقيقي؟ هل هو الثروة والشهرة والمنصب؟

ولو نظرنا لمعنى النجاح في المعنى اللغوي: فهو مرادف لـ: الظفر، والفوز، والفلاح (٣٤) .

إلا أن الفوز والفلاح أضيف إليه معنى زائد، وهو (البقاء والاستمرار) فالفلاح يجمع بين نجاح الدنيا والفوز بالآخرة، فقد ينجح الإنسان في الدنيا لكن لا يكون مفلحاً، فكل فلاح هو نجاح، وليس كل نجاح هو فلاح .

إذاً: الشخص الناجح قد يكون حائزاً على الفلاح، أو لا يكون.

أما المؤمن الفالح: هو المتمسك بدينه؛ فينجح في الدنيا، ويفلح في الآخرة برضوان الله تعالى والدار الآخرة .

وهذا المعنى: هو المقصود الأعظم من مقاصد الشريعة الغراء.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ {المؤمنون:1} ثم ذكر صفاتهم .

وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ رُحِّحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ {آل عمران:185} وهذا هو الفوز الحقيقي .

(٣١) أمالي ابن سميون (٤٣٥/١) ؛ تاريخ بغداد (٣٥/٥) .
(٣٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الشهادات (باب: لا يشهد على شهادة زور إذا شهد) (٢٥٠٨) ٢/٩٣٨؛ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم..) (٢٥٣٥) ٤/١٩٦٤ .

(٣٣) ينظر: www.yourdictionary.com ؛ www.educba.com .

(٣٤) ينظر: مختار الصحاح (٢٦٩/١) ؛ القاموس المحيط (ص٢٣٥) ؛ المعجم الوسيط (٩٠١/٢) مادة (نَجَح) .



إذاً: تطوير ذواتنا والسعي على نجاحها مرتبط بفلاحها دنيا وأخرى، فلا يسعى المسلم بتطوير نفسه بما لا يتفق مع الثوابت والمقاصد الشرعية فهي أساس مصالح الدنيا والآخرة وسعادتها ((والسعادة كلها بالمعارف والأحوال والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله في كل حال)) (٣٥).

المبحث الرابع: التطور الذاتي الحقيقي

التطور الذاتي الحقيقي الذي يسعى المسلم لتحقيقه؛ لينال الرضا الداخلي والأمن والسعادة المرجوة؛ لا بد وأن يرتبط بأمرين وهما:

١ - إخلاص النية

٢ - مخالفة الهوى .

المطلب الأول: الإخلاص:

وهو تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته، وتحقيقه: أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه يسمى: خالصا، ويسمى الفعل المخلص: إخلاصا (٣٦).

وهو مطلب حقيقي في جميع الأعمال التعبدية والعادية، قليلها وكثيرها، فلا ثواب من غير نية .

وهو التطور المتمثل في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {الأنعام:162} وهو المقصود الأعظم في التشريع الإلهي؛ لنصل للهدف المنشود: وهو رضا الله عز وجل والسعادة في الدارين.

ونقل عن شيخ الإسلام بن تيمية، بأن نصوص الكتاب والسنة قاضية بأن: المقاصد والنيات معتبرة في التصرفات من العبادات والعادات (٣٧). أي: أن أعمال العباد وتصرفاتهم مبينة على مقصودهم ونياتهم.

وقوله ﷺ: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)) (٣٨) صريح وواضح في أن الأعمال لا تعتبر إلا بنية، ولفظة (إنما) للحصر تدل على العموم، فهي تشمل كل الأعمال التعبدية والعادية .

ولما كان الأصل في العبادات التعبد، وفي المعاملات النظر إلى المصلحة المترتبة على فعل المكلف، وكانت المصلحة مقصودة للشارع، فالشارع إنما قصد ترتب المصالح والمنافع في أفعال المكلفين، ناسب أن يقال: المقاصد معتبرة في التصرفات من العبادات والعادات .

(٣٥) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (ص ٥١٤) .

(٣٦) التعريفات للجرجاني (ص ٢٨) .

(٣٧) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠/٢٦ : ٣١) .

(٣٨) متفق عليه. أخرجه البخاري في باب بدء الوحي (١) ٣/١ ؛ ومسلم في كتاب الإمارة (باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنية) (١٩٠٧) ١٥١٦/٣ .



وعلى هذا: يجب أن تكون التصرفات من العبادات والعادات موافقة للتشريع الإسلامي ولا تكفي النية وحدها، بل تكون الأعمال التعبدية والعادية وفق الضوابط والحدود التي راعتها الشريعة الإسلامية ومقاصدها الجليلة .

و ((قد مر معنا أن قصد الشارع المحافظة على الضروريات وما رجع إليها من الحاجيات والتحسينيات، وهو عين ماكَّلَف به العبد، فلا بد أن يكون مطلوباً بالقصد إلى ذلك، وإلا لم يكن عاملاً على المحافظة عليها؛ لأن الأعمال بالنيات .

وحقيقة ذلك: أن يكون خليفة له في إقامة هذه المصالح بحسب طاقته وسعته، وأقل ذلك خلافته على نفسه، ثم على أهله، ثم على كل من تعلقت له به مصلحة؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: ((**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**))^(٤٠) فالحكم كلي عام غير مختص، فلا يتخلف عنه فرد من أفراد الولاية عامة كانت أو خاصة فإذا كان كذلك، فالمطلوب منه أن يكون قائماً مقام من استخلفه، يجري أحكامه ومقاصده مجاريها))^(٤١)

فيتبين من هذا: أن الأعمال بالنيات، وأن المقاصد معتبرة في التصرفات من العبادات والمعاملات والعادات .

المطلب الثاني: مخالفة الهوى:

والهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع^(٤٢) .

ويمكن أن يعرف بما يلي: اتباع ملذات النفس وشهواتها، والاعتیاد عليها، ما يترتب عليه حصول مفسدة في الدين على الجملة^(٤٣) .

فمخالفة ما تهوى الأنفس شاق عليها، وصعب خروجها عنه في العادة، والشارع إنما قصد بوضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه؛ حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبد الله اضطراراً لا العكس^(٤٤) .

((**مثال ذلك:** بُعث رسول الله ﷺ إلى الناس كافة؛ لعبادة الواحد الديان، وترك الأصنام والأوثان، فامتثل أهل الإيمان، وانقادوا لأمر الله، وإن كان ذلك الأمر شاق على نفوسهم وأهوائهم، وعوائدهم، وعلائقهم، وامتنع أهل الشرك والهوى، وصمموا على ما هم عليه؛ حتى رضوا بإهلاك النفوس والأموال، ولم يرضوا بمخالفة الهوى))^(٤٥) .

وقد قال سبحانه في الفريقين: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ {النازعات: 37-41} .

^(٤٠) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض وأداء الديون (باب: العبد راع في مال سيده..) (٢٢٧٨) ٨٤٨/٢ ومسلم في كتاب الأمانة (١٨٢٩) ١٤٥٩/٣ .

^(٤١) الموافقات (٢٤/٣، ٢٥) .

^(٤٢) التعريفات للجرجاني (ص ٣٢٠) .

^(٤٣) ينظر: الموافقات (٢٦٤/٢، ٢٦٥) بتصرف .

ولا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، ولكن المقصود والمذموم ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار، ولما كان الغالب موافقة الهوى عموم غلبة الضرر أطلق ذم الهوى والشهوات. ينظر: ذم الهوى لابن الجوزي (ص ٣٥) .

^(٤٤) ينظر: الموافقات (٢٨٩/٢) .

^(٤٥) ينظر: المصدر السابق (٢٦٤/٢) .



وقال الإمام ابن القيم: ((وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحکم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحکم هلاكه، ولا في أمة إلا وفسد أمرها أتم الفساد))^(٤٦).

ومن ثم: كان لزاماً على المكلفين، اتباع شرع الله وأحكامه التكليفية على وفق ما أراد الشارع سبحانه، ومخالفة الهوى، وعدم تقديم العقل على النقل، فالشرع اتباع لا ابتداء، وأن ما أراده الشارع لعباده من هذه التكاليف إنما هو قائم على مصالحهم الدينية والدنيوية، وما رخص لهم من رخص شرعية، ما هو إلا لرفع الحرج عنهم، والتيسير عليهم، ودفع المفسدات الدينية والدنيوية عنهم.

وصدق الإمام الشافعي - رحمه الله - إذ قال^(٤٧):

إذا حار أمرک في مَعْنينِ
ولم تدرِ حيث الخطأ والصوابُ
فخالف هواك فإن الهوى
يقود النفوس إلى ما يُعابُ

وأخيراً: التطور الذاتي الحقيقي التمسك بالشرعية الإسلامية ومصادرها ومقاصدها الغراء، حتى نصل للهدف المنشود: وهو الشعور بالرضا والسلام الداخلي والفوز بسعادة الدارين.

الخاتمة والتوصيات

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، أكمل دينه بحفظ الضرورات، ورفع الحرج عن الأمة بالتيسير والتخفيف والرخص ومراعاة الحاجيات، وزين شرعه بمراعاة الآداب وحسن الأخلاق والتبقيات والتكميلات، أحمده سبحانه حمداً يليق بجلاله وعظيم إحسانه، القائل في محكم الآيات: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ {المائدة: 3} ديناً يخضع له كل من في الأرض والسموات؛ يقيناً بأن مصالحهم ومنافعهم بيد خالقهم العالم بالسرائر والنيات، ودرء عنهم الأضرار والشرور والبلبات، فانقادوا اطمئناناً للفوز بجنة عرضها الأرض والسموات، ولسان حالهم يردد: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ {الأعراف: ٤٣}.

نتائج البحث:

- ١- مقاصد الشريعة في التكليف مبناها على جلب المصالح ودرء المفسدات عن المكلفين، متمشياً مع طاقاتهم وقدراتهم.
- ٢- تنظيم الحياة وإدارتها مع ما يتناسب من مقصود الشارع بالاستخلاف في الأرض وعمارة الكون.
- ٣- المفاهيم الأساسية للتطور الذاتي لا تخرج عن المبادئ والثوابت الشرعية ومقاصدها، وأنها أساس مصالح الدنيا والآخرة وسعادتها.

^(٤٦) إعلام الموقعين (ص ٥٥).

^(٤٧) ديوان الإمام الشافعي (ص ٤٢).



التوصيات:

- ١ - توجيه المفاهيم والأفكار الجديدة في الأعمال التطويرية والتنموية للمقصود الأعظم من وجود الإنسان واستخلافه في الأرض وعمارة الكون .
 - ٢ - تحويل الأفكار النظرية لاكتساب المهارات والسلوكيات المختلفة في شؤون الحياة إلى تطبيقات عملية نافعة للفرد والمجتمع تمثيلاً مع مقاصد الشريعة وأثرها في تطور الذوات والمجتمعات بشكل عام .
- والله الهادي إلى سواء السبيل-



فهرس المصادر والمراجع

- ١ - أساس البلاغة :
للزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، المتوفى سنة: ٥٣٨ هـ. الطبعة: [بدون] ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، دار الفكر : بيروت .
- ٢ - إعلام الموقعين عن رب العالمين:
لابن القيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المتوفى سنة: ٧٥١ هـ. تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م، دار طيبة: الرياض .
- ٣ - أمالي ابن سمعون:
لابن سمعون: أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي، المتوفى : ٣٨٧ هـ. دار النشر: [بدون] .
- ٤ - التعريفات:
للجرجاني: علي بن محمد بن علي، المتوفى سنة: ٨١٦ هـ . تحقيق : إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى: ١٤٠٥ هـ ، دار الكتاب العربي : بيروت
- ٥ - ديوان الإمام الشافعي:
للشافعي: أبي عبد الله محمد بن إدريس المطلبي، المتوفى سنة: ٢٠٤ هـ. شرحه و ضبط: د/عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم: بيروت، الطبعة [بدون] .
- ٦ - ذم الهوى:
لابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المتوفى سنة: ٥٩٧ هـ. تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٧ - روضة الناظر وجنة المناظر:
لابن قدامة: موفق الدين محمد بن عبد الله المقدسي الحنبلي، المتوفى سنة: ٦٢٠ هـ . تحقيق: د. محمد اسماعيل ، الطبعة الثانية: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، مؤسسة الرسالة: بيروت .
- ٨ - سنن الترمذي (الجامع الصحيح) :
للترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي، المتوفى سنة: ٢٧٩ هـ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، الطبعة: [بدون] ، سنة النشر: [بدون] ، دار إحياء التراث العربي: بيروت .
- ٩ - سنن الدارمي :
لدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، المتوفى سنة: ٢٥٥ هـ . تحقيق : فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي ، الطبعة الأولى: ١٤٠٧ هـ ، دار الكتاب العربي : بيروت .
- ١٠ - صحيح البخاري المسمى (الجامع المسند الصحيح...) :



للبخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المتوفى سنة: ٢٥٦ هـ . تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، دار ابن كثير : بيروت .

١١ - صحيح الترغيب والترهيب:

للألباني: محمد ناصر الدين ، المتوفى سنة: ١٤٢٠ هـ . مكتبة المعارف: الرياض ، الطبعة الخامسة .

١٢ - صحيح مسلم:

للنيسابوري: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري ، المتوفى سنة: ٢٦١ هـ . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: [بدون] ، سنة النشر: [بدون] ، دار إحياء التراث العربي : بيروت .

١٣ - علم المقاصد الشرعية:

للدكتور: نور الدين بن مختار الخادمي. مكتبة العبيكان: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٧-٢٠٠٦ م

١٤ - القاموس المحيط :

للفيروزآبادي: محمد بن يعقوب، المتوفى سنة: ٨١٧ هـ ، إعداد وتقديم: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الثانية: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ ، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

١٥ - قواعد الأحكام في إصلاح الأنام:

لعز الدين: عبد العزيز بن عبد السلام، المتوفى سنة: ٦٦٠ هـ. دار ابن حزم: بيروت الطبعة الأولى: ١٤٢٤-٢٠٠٣ م .

١٦ - لسان العرب :

لابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، المتوفى سنة : ٧١١ هـ . الطبعة الأولى، سنة النشر: [بدون] ، دار صادر : بيروت .

١٧ - المجالسة وجواهر العلم

للدبنوري: أبو بكر أحمد بن مروان المالكي (المتوفى : ٣٣٣ هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن حزم (بيروت - لبنان) تاريخ النشر : ١٤١٩ هـ .

١٨ - مجموع الفتاوى:

لابن تيمية: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، المتوفى سنة: ٧٢٨ هـ . تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية .

١٩ - مختار الصحاح :

للالرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، المتوفى سنة: ٧٢١ هـ . تحقيق : محمود خاطر، الطبعة : ١٤١٥ - ١٩٩٥ ، مكتبة لبنان ناشرون : بيروت .

٢٠ - المعجم الصغير (الروض الداني) :

للطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب المتوفى سنة: ٣٦٠ هـ . تحقيق : محمد شكور الحاج أمير، الطبعة الأولى: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، درا عمار: بيروت .



٢١ - المعجم الكبير :

للطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب المتوفى سنة: ٣٦٠ هـ . تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م، مكتبة الزهراء: الموصل .

٢٢ - المعجم الوسيط :

لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر، محمد النجار ، تحقيق : مجمع اللغة العربية، الطبعة: [بدون] ، سنة النشر: [بدون] ، دار الدعوة .

٢٣ - المقاصد الشرعية (تعريفها- أمثلتها- حجيتها):

للدكتور: نور الدين بن مختار الخادمي. دار كنوز اشبيليا: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤-٢٠٠٣ م .

٢٤ - مقاصد الشريعة الإسلامية:

لابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، المتوفى: ١٣٩٣ هـ. تحقيق: محمد الطاهر الميناوي، دار النفائس: الأردن، الطبعة الثانية: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٢٥ - مقاييس اللغة :

لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المتوفى سنة : ٣٩٥ هـ . تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، دار الجيل : بيروت .

٢٦ - الموافقات في أصول الشريعة :

للشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، المتوفى سنة: ٥٧٩٠ هـ . تقديم: العلامة بكر أبو زيد. علق عليه: أبو عبيدة مشهور آل سلمان ، الطبعة الثالثة: ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م، دار ابن القيم: الرياض، دار ابن عفان: القاهرة

المواقع:

٢٤ - www.yourdictionary.com

٢٥ - www.success.com

٢٦ - www.coachingpositiveperformance.com,

٢٧ - www.lifehack.org

٢٨ - www.educba.com .



أهمية توظيف زخارف المنطقة الجنوبية (القط العسيري) بفن الترقيع على الملابس وأثرها في التوعية بالتراث المحلي في المملكة وترسيخ الحضارات الإسلامية

The importance of employing the decorations of the southern region (Asiri cat) with the art of patching on clothing and its impact on raising awareness of the local heritage in the Kingdom and consolidating Islamic civilizations

د/إيمان عبدالحفيظ عبداللطيف صدرالدين - دكتوراه فلسفة مشاريع في تخصص الملابس والنسيج - جامعة تبوك

Email: eqari@ut.edu.sa

ملخص البحث

تختلف الزخارف واستخداماتها من منطقة لأخرى ومن أهم الزخارف التي يمكن اقتباسها زخارف المنطقة الجنوبية وأهمها القط العسيري ويمكن توظيف القط العسيري (الزخارف) مع فن الترقيع لملابس النساء وأثرها في إحياء التراث وترسيخ الحضارة الإسلامية تكمن أهمية البحث الحالي في توظيف الزخارف من القط العسيري بوضعها بفن الترقيع على الملابس و توظيف الزخارف على الملابس وأثرها في إحياء التراث . تتلخص مشكلة البحث في التساؤل التالي ما أهمية توظيف فن القط العسيري (الزخارف) باستخدام فن الترقيع لملابس النساء أثرها في إحياء التراث . اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التطبيقي وتوظيف القط العسيري (الزخارف) مع فن الترقيع لملابس النساء في الاكمام وأجزاء من البنطلون كما تم استخدام الاستبيان من استخراج المعلومات والنتائج . تم جمع المعلومات بواسطة أداة الاستبيان ثم فرزت بنود الاستبيان حسب استجابات العينة وإدخالها في برنامج (SPSS) لاستخراج النسب المئوية وبعض الاختبارات $T=0,001$. توجد علاقة بين القط العسيري وبين فن الترقيع وتوجد علاقة بين الزخارف وبين إحياء التراث . تتلخص نتائج البحث بأنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين القط العسيري وبين فن الترقيع ويظهر ذلك في المحور الأول في العبارة التاسعة بنسبة ٨٠,٦٪ وتوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الزخارف وبين إحياء التراث ويظهر ذلك في المحور الثاني في العبارة العشرية بنسبة ٩٣,٦٪ .

Abstract

The decorations and their uses vary from region to region and one of the most important decorations that can be quoted is the decorations of the southern region, the most important of which is the asiri cat and can employ the asiri cat (decorations) with the art of patching women's clothes and its effect in reviving the heritage lies the importance of the current research in employing decorations from the difficult cat by placing them in the art of patchwork on clothing and employing decorations on clothing and its effect on the revival of heritage. The problem of research boils down to the following question of the importance of employing the art of the asiri cat (decorations) using the art of patching women's clothing has an impact on the revival of heritage. The researcher in this study followed the descriptive method of application and the employment of the cat asiri (decorations) with the art of



patching women's clothes in sleeves and parts of trousers as the questionnaire was used from extracting information and results. The results of the research that there is a statistically significant relationship between the asiri cat and the art of patching and this is shown in the first axis in the ninth phrase by 80.6% and there is a statistically significant relationship between decorations and the revival of heritage and this is shown in the second axis in the 20th phrase by 93.6%.

الكلمات المفتاحية : الزخارف التراثية في المملكة ، التوعية ، وترسيخ الحضارة الاسلامية.

الفصل الأول (مدخل الى البحث).

اولا : المقدمة

يعد فن النقش للمنزل العسيري قديماً فناً غاية في الإبداع والجمال والإمتاع ، حيث تتداخل فيه الألوان الطبيعة بشكل لافت وأخاذ ومما يثير الدهشة أيضاً أن هذه الإبداعات الفنية الجدارية المنزلية تنقش وترسم بأنامل نسائية ذهبية مبدعة وهذا الفن الراقي اشتهرت به بعض النساء العسيريات قديماً ، أما فن الباتشورك فن جذوره ضاربة في القدم ، وهو فن ينتشر في العالم كله ، فمنذ مئات السنين والترقيع ينتقل من جيل إلى جيل مكوناً من وحدات يتم ترقيعها مع بعضها البعض . ولذلك طرحت الباحثة توظيف القط العسيري (الزخارف) مع فن الترقيع لملابس النساء واثراها في إحياء التراث لنشر الفن التراثي السعودي بطريقة حديثة .

هنالك العديد من الدراسات منها دراسة عن القط العسيري بعنوان (جماليات المدرسة التكعيبية في استحداث مشغولات فنية مستوحاة من الفن العسيري) . تهدف الى استحداث مشغولات فنية مستوحاة من الفن العسيري بأسلوب المدرسة التكعيبية (عصام , حسني ، ٢٠١٩) .

ان هناك دراسة عن فن الترقيع بعنوان (تصميم أزياء مبتكرة باستخدام تقنيات فن الأبليلك) . ترجع أهمية البحث في امكانية استغلال بقايا الخامات النسجية المختلفة و إثراء المجال التعليمي لتصميم الأزياء بأسلوب فني جديد يزيد من فرص التجديد واستغلال بقايا الأقمشة والاستفادة منها في المجالات المختلفة (صباغ ، ٢٠٠٧)

وتفيد الدراسة الحالية المهتمين في تطورات التراث السعودي ومصممين الأزياء في ابتكار تصميمات من الفنون السعودية وطالبات تخصص تصميم الأزياء .

ثانيا : مشكلة البحث

تتلخص مشكلة البحث في التساؤل التالي : ما أهمية توظيف فن القط العسيري (الزخارف) مع فن الترقيع لملابس النساء أثراها في إحياء التراث وترسيخ الحضارات ؟



ثالثاً : أهداف البحث

يهدف البحث الحالي الى :

١. توظيف الزخارف من القط العسيري بوضعها بفن الترقيع على الملابس .
٢. توظيف الزخارف على الملابس وأثرها في إحياء التراث وترسيخ الحضارة الإسلامية .

رابعاً : أهمية البحث

تكمن أهمية البحث الحالي في توظيف الزخارف من القط العسيري بوضعها بفن الترقيع على الملابس . و توظيف الزخارف على الملابس وأثرها في إحياء التراث .

خامساً : مصطلحات البحث

١. القط العسيري

يعرف القط العسيري بأنه زخارف تجريدية تتسم بالفطرية والتلقائية والدقة في الأداء وفق تقاليد وعادات متوارثة ، فهي تتكون من خطوط وألوان ومساحات ، رسمت بأسلوب زخرفي تقليدي اكتسبت عن طريق المشاهدة والممارسة (مرزوق ، ٢٠١٠) .

ويعرف بأنه أحد الفنون التجريدية التي نشأت في منطقة عسير في السعودية تقوم به النساء لتزيين بيوتهن ، حيث تُختار أنماط هندسية مختلفة متناسبة لإنجاز طبقات فوق بعض تتشكل فيها العديد من الخطوط والرسومات لكل منها مصطلحها الخاص ثم تلون بعدد من الألوان (<https://ar.wikipedia.org/wiki>) .

وترى الباحثة أن القط العسيري (الزخارف) هي أشكال هندسية أو طبيعة حورت بشكل تكعيبي لا واقعي بأيدي نسائية تزين المنازل و تضي لمسة جمالية عليها .

٢. فن الترقيع

فن الترقيع هو إضافة قطع صغيرة من النسيج إلى مساحة كبيرة مختلفة عنها في اللون ، وفي كثير من الأحيان في المادة ؛ وذلك بواسطة خياطتها بواسطة اليد أو الماكينة (Mercik , 1997) .

ويعرف ايضاً بالفرنسية الإضافة ، حيث يتم فيه جمع القطع بالحاكة يدوياً أو آلياً (Turner , 1992) .

وترى الباحثة أن فن الترقيع هو صنع قطعة فنية من خامات مختلفة تستخدم بشكل جمالي او نفعي .

٣. الملابس التراثية

تعرف بأنها أنماط الملابس التي تتوارث داخل جماعة من الجماعات ليس لها بداية وليس لها مصمم وتعكس عادات وتقاليد المجتمع الذي تنتمي إليه ، و أنماط الحياة (العجاني , ٢٠١٥هـ).



وتعرف أيضاً بأنها مصدرراً وثائقياً يعكس مظهرراً من مظاهر الحياة التقليدية لأي شعب من الشعوب وعنصرراً مهماً من عناصر التراث المادي (البسام , العجايي , ٢٠٠٥) .

وترى الباحثة أن الملابس التراثية هي أزياء تمثل الثقافة المادية والمعنوية التي تركتها الأجيال السابقة للأجيال الحاضرة وتعكس نمط الحياة التي عاشوا بها.

سادسا : منهج البحث

يتبع البحث الحالي المنهج الوصفي التطبيقي .

سابعا: أدوات البحث

استخدمت الباحثة في البحث الحالي اداة الاستبيان للحصول على المعلومات واستخراج النتائج .

ثامناً: حدود البحث

حدود زمانية : من ١٦ \ ٦ \ ١٤٤٢ هـ الى ٢٣ \ ٨ \ ١٤٤٢ هـ .

حدود مكانية : المملكة العربية السعودية – تبوك .

حدود بشرية : طالبات جامعة تبوك من كلية التصميم والفنون .

تاسعا : الدراسات السابقة

قسمت الباحثة الدراسات الى :

١. دراسات خاصة بفن القط العسيري (الزخارف) .

١,١ دراسة بعنوان(استحداث تصاميم مستوحاة من الفن الجداري العسيري القط لإثراء جماليات الزي النسائي).تهدف الدراسة إلى التعرف على أصول وسمات الفن الجداري العسيري وتحليل عناصره ومقوماته واستحداث تصميمات زخرفية وبنائية للزي النسائي من الفن الجداري العسيري واتباع البحث المنهج الوصفي التحليلي إلى جانب الدراسة التطبيقية وإعادة صياغة مفرداته والاستلهاً منها لإثراء جماليات الزي النسائي وقد قامت الباحثة بتقديم ١٠ تصميمات مقترحة مستوحاة من زخارف فن القط وتم تنفيذ تصميمين منها و أوصت الباحثة بالاهتمام بدراسة التراث وما يحتويه من فنون لما له من أهمية كبيرة إذ أنها تحفز على تذوق الفن التقليدي والمحافظة عليه حيث أنه مصدر غني يمكن أن يساهم في إثراء تصميم الأزياء والموضة باستخدام وسائل التقنية الحديثة مع الحفاظ على روح الفن التراثي الجداري لجنوب المملكة العربية السعودية (العسيري , ٢٠١٧). وترى الباحثة أن هذه الدراسة تتفق مع الدراسة الحالية في توظيف الزخارف العسيرية القط في ملابس النساء .

١,٢ دراسة بعنوان(جماليات القط العسيري ودوره في إثراء الإنتاج الفني المعاصر). هدفت الدراسة إلى توضيح جماليات القط العسيري وإبراز القيم الفنية والجمالية التي تتميز بها مفردات القط العسيري . واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي وذلك لوصف مفردات القط العسيري وتحليل بعض الأعمال الفنية لبعض فنانين وفنانات منطقة عسير وسعت



هذه الدراسة إلى تأكيد مفهوم الأصالة والتراث من خلال استلهم القط العسيري وتوظيفه بشكل معاصر وأوصت الدراسة بأن تنشأ أكاديمية تحت مظلة هيئة الثقافة مختصة بتعليم القط العسيري على أيدي الفنانين الشعبيين للمحافظة عليه ونشره في أوساط المجتمع (القحطاني , ٢٠١٩).

وترى الباحثة أن هذه الدراسة تتفق مع الدراسة الحالية في توظيف القط العسيري بشكل معاصر وإبراز النواحي الجمالية فيه حيث تكشف عن قدرات ومهارات الفنان الذي ينفذها .

٢. دراسات خاصة بالملابس التراثية

٢,١ دراسة بعنوان (إحياء التراث الشعبي في مجال تصميم المنسوجات باستخدام الحاسب الآلي). كان هدف البحث محاولة للجمع بين التقنيات الحديثة باستخدام الحاسب الآلي وبين المأثورات التراثية متمثلة في زخارف الفن الشعبي لاستحداث تصميمات مبتكرة منفذة بأكثر من أسلوب إنتاج تكنولوجي تريكو و لحمة لأحياء هذا التراث وحمايته من أخطار الاندثار وفقدان الهوية وبما يتواءم مع المتغيرات العصرية لأنه لا حضارة بدون تراث (عبدالباقى , ٢٠١٢). وترى الباحثة أن هذه الدراسة تتفق مع الدراسة الحالية بشكل كبير في إحياء التراث باستخدام الفنون الشعبية والمحافظة عليها .

١,٢ دراسة بعنوان (النماذج المسطحة للملابس التقليدية النسائية بالمملكة العربية السعودية).

هدفت الدراسة الى التعرف على اشكال ومسميات الملابس التقليدية الثوب و المقطع في مناطق المملكة العربية السعودية ومحاولة الوصول الى افضل الطرق للنموذج الاساسي المسطح بالأسلوب الصناعي بما يتوفر بها من قدر من الضبط والملائمة لجسم المرأة السعودية للحفاظ على الملابس التقليدية في المملكة العربية السعودية ومعالجة بعض الصعوبات والمشاكل التي تواجه بعض مصانع الملابس الجاهزة التي تنتج الملابس التقليدية وقد اتبع البحث المنهج الوصفي والمنهج التجريبي ومن أهم التوصيات تدريس طرق بناء النموذج الأساسي للملابس التقليدية للنساء في المملكة العربية السعودية ضمن مناهج التدريس في الكليات والمعاهد والمدارس المتخصصة بالأسلوب الصناعي تماشياً مع رؤية المملكة العربية السعودية (السرhan , عمار , ٢٠٢٠) .

وترى الباحثة هذه الدراسة تختلف مع الدراسة الحالية في الهدف منها حيث تكمن أهمية البحث الحالي في توظيف الزخارف على الملابس وأثرها في إحياء التراث .

٣. دراسات خاصة بفن الترقيع

٣,١ دراسة بعنوان (تصميم أزياء مبتكرة باستخدام تقنيات فن الأبليلك). يهتم البحث بدراسة أهمية تطوير فن الأبليلك في طريقة التنفيذ بإدخال تقنيات مختلفة عليه واستغلال الخامات النسيجية المتوفرة بالبيئة من البقايا المستهلكة ودمجها بأساليب جديدة واستخدام الطريقة العلمية المتمثلة في نظرية جيلفورد بهدف الوصول إلى حلول مبتكرة لتصميم الأزياء عن طريق الاعتماد على فن الأبليلك كجزء أساسي في التصميم وتحقيق الاستفادة من بقايا الأقمشة المختلفة بدمج الخامات النسيجية لإعطاء تأثيرات ملمسية وتشكيلات متنوعة و استخدم لإجراء هذا البحث المنهج التجريبي بإدخال تغييرات متعددة في واقع ما بإعادة تشكيله وتقديم التحسين والتطوير عليه بأسلوب التجريب وتركيب الخامات المختلفة وبقاياها لتشكيل المساحات على تصميم الزي بفهم الخصائص الكامنة في الخامات المختلفة وإخراجها بأساليب جديدة



مبتكرة (صباغ , ٢٠٠٧). وترى الباحثة ان هذه الدراسة تتفق مع الدراسة الحالية في توظيف فن الترقيع في الملابس لإنتاج تصميمات حديثة ومبتكرة .

٣,٢ دراسة بعنوان (استحداث معلقات حائطية ببقايا الأقمشة). استعرضت الدراسة التقنيات المتنوعة والمضافة للمشغولة الفنية كأحد الأساليب والصياغات الجديدة والمبتكرة والتي يسعى الفنان الى تحقيقها والتي لا تلتزم بالاعتماد على أسلوب نمطى فأصبح من الممكن تجسيد أي عمل فني من خليط وتوليف بين عناصر وخامات مختلفة ، حيث اتجهت الدراسة إلى الاهتمام ببقايا الخامات سواء كانت طبيعية أو مصنعة حيث ركزت الدراسة على كيفية الاستفادة من بقايا الأقمشة في استحداث نماذج متنوعة من المعلقات الحائطية وقد خلصت النتائج إلى الحصول على صياغات مستحدثة للمشغولة الفنية في ضوء الفنون المعاصرة باستخدام بقايا الأقمشة كما كشفت الدراسة عن أساليب مختلفة للتوليف بين بقايا الأقمشة مما ساعد على تكوين رؤية مبتكرة لتوظيف بعض الخامات المتوفرة في البيئة دون التعرض إلى ضغوط الإنفاق (حسين , ٢٠١٥). وترى الباحثة ان هذه الدراسة تختلف مع الدراسة الحالية في طريقة توظيف فن الترقيع حيث تعتمد الدراسة الحالية في توجيه المصممين على استخدام فن الترقيع في تصميم الأزياء .

عاشرا : فروض البحث

١. توجد علاقة بين القط العسيري وبين فن الترقيع .

٢. توجد علاقة بين الزخارف وبين إحياء التراث .

الفصل الثاني (الإطار النظري).

أولا : القط العسيري (الزخارف).

رافقت الزخرفة الإنسان منذ ما قبل التاريخ وازدهرت في كافة العصور ، وتعتبر مرآة الحضارات ففيها عكست الأمم المتلاحقة أشكال ونظم الحياة والمعيشة والعادات والتقاليد . واعتبرت الزخرفة إحدى وسائل معرفة تاريخ الأمم السابقة ومدى تطورهم وتعمقهم الفكري والديني والمعرفي ومدى تحضرهم .

١. التعبيرات المستخدمة في الزخرفة

١.١ التعبيرات الرمزية

١,٢ التعبيرات النباتية

١,٣ التعبيرات الهندسية

١,٤ التعبيرات التجريدية (<https://ar.wikipedia.org/wiki>) .

اما فن القط العسيري فهو فن زخرفي تجريدي و مرن يتأثر بالبيئة المحيطة ويرتبط ارتباطاً وطيداً بفن العمارة البيئية كأحد عناصر فن التصميم الداخلي والخارجي الذي يعتني بتزيين الفراغ المعماري من حيث تخطيط المساحات وترابطها وتناغمها وانسجامها مستخدماً أدوات وخامات بدائية .



١. أشكال النقش في القط العسيري

١,١ البناة

١,٢ المحاريب

١,٣ الأرياش

١,٣ الركون (عارف , ٢٠١٦) .

٢. الألوان المستخدمة في نقش القط العسيري

٢.١ الأحمر

٢.٢ الأصفر

٢.٣ الأسود

٢.٤ الأزرق

٢.٥ الأخضر (القحطاني ، ٢٠١٩) .

من أبرز رائدات القط اللائي اشتهر بعضهن منذ حوالي ١٥٠ عاماً فاطمة بنت علي أبو قحاص وهي الرائدة الأولى لفن القط وأبرزهن على الساحة (زكريا , ٢٠١٩) . وترى الباحثة أن هذا الفن لا يعتمد على أشكاله وأنماطه وإنما يعتمد كذلك على صناعة المرأة للألوان من الطبيعة فالهدف هو تجميلي حيث أن الزخرفة تشيع الغبطة بالنفس وتبعث في القلب الرضا والانشراح .

ثانيا : الملابس التراثية

يشكل التراث الشعبي مرآة تنعكس عليها الأحداث والظروف التاريخية التي عاشها المجتمع ، كما أن عناصره تمتد بجذورها في أغوار الحقب التاريخية منذ قديم الزمان , فتراث اليوم ما هو إلا أثر من آثار الماضي التي نستطيع من خلالها أن نقيس مدى أصالة ذلك الشعب وعمق جذوره في الحياة الإنسانية (مقلان ، نادر، ٢٠١٠) . وقد كان هناك تباين بين أزياء الشعوب المختلفة ، ونتيجة اختلاط العرب بالأجانب ، كان من الممكن التمييز ما بين عربي من الشرق وعربي من الغرب من خلال أزيائه (دوزي ، ١٩٧١) .

١. مميزات الملابس التراثية

١,١ محتشمة

١,٢ مريحة وفضفاضة

١,٣ سهولة الاستعمال (مقلان، نادر، ٢٠١٠) .



وترى الباحثة أن الملابس التراثية تعد من الإرث التاريخي والحضاري وهي رمز فخر واعتزاز وسفيرة للدولة التي تنتمي إليها .

ثالثا : فن الترقيع

تعد ظاهرة التوليف بين الخامات أحد أهم العمليات الفنية في مجال الأشغال الفنية فالتوليف ليس مجرد جمع بين خامات عديدة فقط ولكن تحويل أفكار الفنان إلى واقع فني ملموس ذو قيمة فنية تشكيلية (الغنيمي , ٢٠١٨).

١ . مسميات فن الترقيع في بعض الدول

١.١ شغل الخيام في مصر

١.٢ شغل الصرمة في تركيا

١.٣ فن الرشت في إيران

١.٤ الزخرفة المضافة او المرقعات في اوروبا (صباغ , ٢٠٠٧) .

وترى الباحثة أن فن الترقيع هو صنع قطعة فنية من خامات مختلفة تستخدم بشكل جمالي او نفعي في الأزياء او قطع الاثاث .

الفصل الثالث (أساليب وإجراءات البحث).

أولا : منهج الدراسة

اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التطبيقي تم استخدام المنهج الوصفي في وصف كيفية استغلال زخارف القط العسيري في الملابس والمنهج التطبيقي في توظيف القط العسيري (الزخارف) مع فن الترقيع لملابس النساء في الاكمام وأجزاء من البنطلون كما تم استخدام الاستبيان من استخراج المعلومات والنتائج .

ثانيا : مجالات البحث

هناك من المجالات التي تحدد مكان وزمان لهذه الدراسة ومنها :

مجال زمني : استخدمت الباحثة الفترة من ١٦ / ٦ / ١٤٤٢ هـ الى ٢٣ / ٨ / ١٤٤٢ هـ

مجال مكاني : مكان هذه الدراسة المملكة العربية السعودية – تبوك .

ثالثا : مجتمع وعينة الدراسة

كانت العينة البشرية على طالبات جامعة تبوك من كلية التصميم والفنون في المستوى الثالث والرابع والخامس والسادس وتم توزيع الرابط ونشره في يوم الاثنين الموافق ٢ / ٨ / ١٤٤٢ هـ وكان عدد الاستبيانات ٣١ استبياناً ويحتوي الاستبيان على المحاور التالية المحور الأول العلاقة بين القط العسيري وبين فن الترقيع ويحتوي على عدد ١٠ عبارات



متنوعة تفيد في استحداث تصميمات عصرية من القط العسيري بأسلوب فن الترقيع . المحور الثاني العلاقة بين الزخارف وبين إحياء التراث ويحتوي على عدد ١٠ عبارات متنوعة تفيد في ترسيخ مفاهيم الأصالة والتراث في المجتمع .

رابعاً : أساليب وأدوات جمع البيانات

استخدمت الباحثة أداة الاستبيان حيث تم تجهيز الاستبيان في صورته الأولية ثم تم اختبار صدق الاستبيان تم وتوزيعه على طالبات جامعة تبوك من كلية تصاميم والفنون ثم تم قفل الرابط الإلكتروني بعد إنهاء الاستبيان .

خامساً : أساليب وأدوات المعالجة والاحصائية

تم جمع المعلومات بواسطة أداة الاستبيان ثم فرزت بنود الاستبيان حسب استجابات العينة وإدخالها في برنامج (word) لاستخراج النسب المئوية .

سادساً : الجزء التطبيقي

تم تنفيذ الجزء التطبيقي من خلال طالبتين في قسم الملابس والنسيج كمشروع لهم في مادة تقوم الباحثة بتدريسها لهم ولدعم الطالبات في إحياء التراث باستخدام أساليب مختلفة لفن الترقيع بزخارف القط العسيري:

الأدوات المستخدمة	
صورة (٣،١)	١. قميص ثقيل , بنطلون ملاحظة تم استخدام ملابس جاهزة
صورة (٣،٢)	٢. قماش بنقشة القط العسيري



صورة (٣،٦)



٣. الشكل النهائي للقميص

تم إضافة زخارف القط المنفذة من قبل الباحثة في الأكمام

صورة (٣،٧)



٤. الشكل النهائي للبنطلون

تم إضافة زخارف القط المنفذة من قبل الباحثة في جزء من البنطلون

صورة (٣،٢٢)



١. خياطه قطعه من القط على الجيب

صورة (٣،٢٣)



٢. الشكل النهائي للقميص

تم إضافة زخارف القط المنفذة من قبل الباحثة في كم القميص وجزء من الجيب



صورة (٣،٢٤)	١٠. قص أسفل البنطلون
صورة (٣،٢٦)	١١. خياطة القماش بالبنطلون
صورة (٣،٢٧)	١٢. الشكل النهائي للبنطلون تم إضافة زخارف القط المنفذة من قبل الباحثة في أسفل البنطلون

جدول يوضح الجزء التطبيقي (٣،١)

الفصل الرابع (النتائج)

أولاً : مناقشة النتائج

كان عدد الاستبيانات التي تم توزيعها بالرابط الإلكتروني واستخراج النتائج منها ٣١ استبيان. تتلخص النتائج للمحور الأول في الجدول التالي:

العلاقة بين القط العسيري وبين فن الترقيع								
المتوسط	الحد الأدنى	الحد الأقصى	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	العبارات
10	6	13	صفر	صفر	٦	١٢	١٣	١- إدراج القط العسيري في الجامعات
20.27%	0.00 %	41.90 %	%	%	١٩,٤٠ %	٣٨,٧٠ %	٤١,٩٠ %	



والمدارس كمورث شعبي								
٢- إبراز دور المرأة العسكرية في الحفاظ على فن القط العسيري	١٧	١٢	٢	صفر	صفر	17	2	10
	٥٤,٨٠ %	٣٨,٧٠ %	٦,٥٠ %	٪٠	٪٠	54.80 %	0.00 %	22.11%
٣- القط العسيري فن أحال بيوت عسير الى متاحف م. فعمة بالألوان	١٤	١١	٦	صفر	صفر	14	6	10.2
	٤٥,٢٠ %	٣٥,٥٠ %	١٩,١٠ %	٪٠	٪٠	45.20 %	0.00 %	20.71%
٤- إبراز القيم الفنية والجمالية التي تتميز بها مفردات القط العسيري	١٤	١٤	٣	صفر	صفر	14	3	9.6
	٤٥,٢٠ %	٤٥,٢٠ %	٩,٧٠ %	٪٠	٪٠	45.20 %	0.00 %	20.76%
٥- الاستفادة من بقايا الاقمشة	١٣	١٤	٤	صفر	صفر	14	4	9.8
	٤١,٩٠ %	٤٥,٢٠ %	١٢,٩٠ %	٪٠	٪٠	45.20 %	0.00 %	20.74%



باستخدام فن الترقيع								
٦- يبين فن الترقيع	١١	١٥	٥	صفر	صفر	15	5	10.2
مدى التوافق بين الخامات	٣٥,٥٠ %	٤٨,٤٠ %	١٦,١٠ %	%٠	%٠	48.40 %	0.00 %	21.20%
٧- إمكانية فن الترقيع بتحويل الأقمشة الى تحف جذابة	١٤	١٤	٣	صفر	صفر	14	3	9.6
	٤٥,٢٠ %	٤٥,٢٠ %	%٩,٧٠	%٠	%٠	45.20 %	0.00 %	20.76%
٨- توجيه مصممين الأزياء نحو فن الترقيع	١٤	٩	٨	صفر	صفر	14	8	10.6
	٤٥,٢٠ %	%٢٩	٢٥,٨٠ %	%٠	%٠	45.20 %	0.00 %	20.74%
٩- استحداث تصميمات عصريه من القط العسيري بأسلوب فن الترقيع	١٢	١٣	٥	١	صفر	13	1	7.5
	٣٨,٧٠ %	٤١,٩٠ %	١٦,١٠ %	%٣,٢٠	%٠	41.90 %	0.00 %	20.26%
١٠- توجد علاقة بين القط العسيري	٦	١٦	٨	١	صفر	16	1	8
	١٩,٤٠ %	٥١,٦٠ %	٢٥,٨٠ %	%٣,٢٠	%٠	51.60 %	0.00 %	21.66%

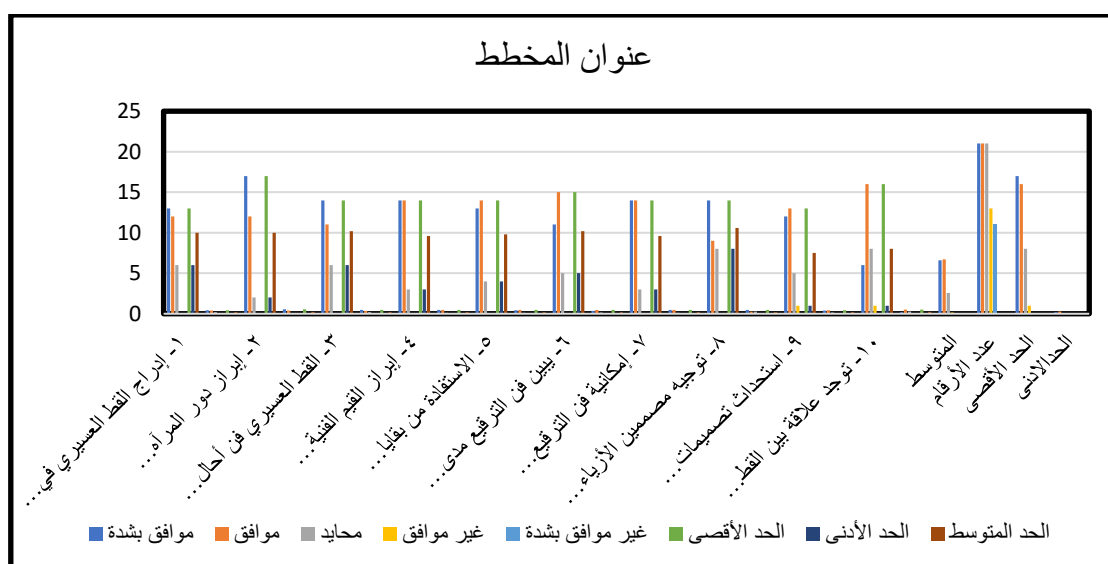


وفن الترقيع								
المتوسط	6.6065	6.7097	2.5805 5	0.172	0			
عدد الأرقام	21	21	21	13	11			
الحد الأقصى	17	16	8	1	0			
الحد الأدنى	0.194	0.29	0.065	0	0			

جدول يوضح نتائج المحور الأول (٤,١)

يتضح من الجدول (٤,١) النتائج التالية :

في العبارة الأولى كانت نسبة موافق بشدة أعلى نسبة وكانت نسبتها ٤١,٩٪ وفي العبارة الثانية كانت نسبة موافق بشدة أعلى نسبة وكانت نسبتها ٥٤,٨٪ وفي العبارة الثالثة كانت نسبة موافق بشدة أعلى نسبة وكانت نسبتها ٤٥,٢٪ وفي العبارة الرابعة كانت نسبة موافق بشدة أعلى نسبة وكانت نسبتها ٤٥,٢٪ وفي العبارة الخامسة كانت نسبة موافق أعلى نسبة وكانت نسبتها ٤٥,٢٪ وفي العبارة السادسة كانت نسبة موافق أعلى نسبة وكانت نسبتها ٤٨,٤٪ وفي العبارة السابعة كانت نسبة موافق بشدة أعلى نسبة وكانت نسبتها ٤٥,٢٪ وفي العبارة الثامنة كانت نسبة موافق بشدة أعلى نسبة وكانت نسبتها ٤٥,٢٪ وفي العبارة التاسعة كانت نسبة موافق أعلى نسبة وكانت نسبتها ٤١,٩٪ وفي العبارة العاشرة كانت نسبة موافق أعلى نسبة وكانت نسبتها ٥١,٦٪ .



تتلخص النتائج للمحور الثاني في الجدول التالي :

العلاقة بين الزخارف وبين إحياء التراث								
المتوسط	الحد الأدنى	الحد الأقصى	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	العبارات
١٠,٤	٣	١٨	صفر	صفر	٣	١٠	١٨	١١- هناك ارتباط وثيق بين الزخرفة والفن الإسلامي
%٢٢,٦٠	%٠,٠٠	%٥٨,١٠	%٠	%٠	%٩,٧٠	%٣٢,٣٠	%٥٨,١٠	
٧,٦٦٦٦٦٧	١	١٤	١	صفر	٢	١٤	١٤	١٢- الزخارف تعتبر مرآة الحضارات
%٢٠,٧٦	%٠,٠٠	%٤٥,٢٠	%٣,٢٠	%٠	%٦,٥٠	%٤٥,٢٠	%٤٥,٢٠	
١٠	٤	١٥	صفر	صفر	٤	١٢	١٥	١٣- تشكل الزخارف جذور عربية أصيلة
%٢١,٢٠	%٠,٠٠	%٤٨,٤٠	%٠	%٠	%١٢,٩٠	%٣٨,٧٠	%٤٨,٤٠	
٩,٨	٢	١٦	صفر	صفر	٢	١٦	١٣	١٤- الزخرفة تعبر عن تطور التعبير الإنساني
%٢١,٦٦	%٠,٠٠	%٥١,٦٠	%٠	%٠	%٦,٥٠	%٥١,٦٠	%٤١,٩٠	
١٠,٦	٣	١٩	صفر	صفر	٣	٩	١٩	١٥- يجب ترسيخ مفاهيم الأصالة والتراث في المجتمع
%٤٩٥,١٧	%٠,٠٠	%٦١,٣٠	%٠	%٠	%٩,٧٠	٢٩	%٦١,٣٠	
١٠	٤	١٥	صفر	صفر	٤	١٢	١٥	



١٦- يحتل التراث مكانة مهمة في حياتنا	٤٨,٤٠%	٣٨,٧٠%	١٢,٩٠%	٠%	٠%	٤٨,٤٠%	٠,٠٠%	٢١,٢٠%
١٧- يساهم التراث في تعزيز الاقتصاد وإنعاشه	١٧	٩	٣	٢	صفر	١٧	٢	٨,٣٣٣٣٣٣
	٥٤,٨٠%	٢٩	٩,٧٠%	٦,٥٠%	٠%	٥٤,٨٠%	٠,٠٠%	٤٩٥,١٧%
١٨- يعتبر التراث رمز للهوية والإنسانية الخاصة بالشعوب	١٧	١١	٣	صفر	صفر	١٧	٣	١٠,٢
	٥٤,٨٠%	٣٥,٥٠%	٩,٧٠%	٠%	٠%	٥٤,٨٠%	٠,٠٠%	٢٢,١١%
١٩- إبراز قيمة الزخارف التراثية بتقنيات مبتكرة	١٥	١٤	٢	صفر	صفر	١٥	٢	٩,٦
	٤٨,٤٠%	٤٥,٢٠%	٦,٥٠%	٠%	٠%	٤٨,٤٠%	٠,٠٠%	٢١,٢١%
٢٠- الزخارف الشعبية تجمع بين الفائدة والجمال	١٨	١١	٢	صفر	صفر	١٨	٢	١٠,٢
	٥٨,١٠%	٣٥,٥٠%	٦,٥٠%	٠%	٠%	٥٨,١٠%	٠,٠٠%	٢٢,٦٠%
الحد الأقصى	١٩	٢٩	٤	٢	١			
الحد الأدنى	٠,٤١٩	٠,٣٢٣	٠,٠٦٥	٠	٠			

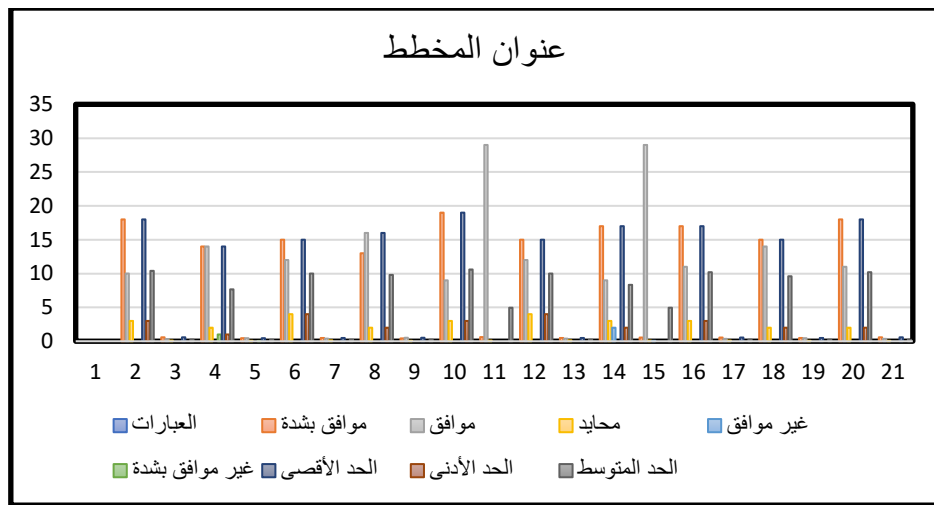


المتوسط	٨,٣٠٩	٨,٩٦١	١,٤٤٥٣	٠,١٨٧	٠,٠٩٣	

جدول يوضح نتائج المحور الثاني (٤,٢)

يتضح من الجدول (٤,٢) النتائج التالية :

في العبارة الحادية عشر كانت نسبة موافق بشدة أعلى نسبة وكانت نسبتها ٥٨,١٪ وفي العبارة الثانية عشر كانت نسبة موافق بشدة أعلى نسبة وكانت نسبتها ٤٥,٢٪ وفي العبارة الثالثة عشر كانت نسبة موافق بشدة أعلى نسبة وكانت نسبتها ٤٨,٤٪ وفي العبارة الرابعة عشر كانت نسبة موافق أعلى نسبة وكانت نسبتها ٥١,٦٪ وفي العبارة الخامسة عشر كانت نسبة موافق أعلى نسبة وكانت نسبتها ٤٥,٢٪ وفي العبارة السادسة عشر كانت نسبة موافق أعلى نسبة وكانت نسبتها ٦١,٣٪ وفي العبارة السابعة عشر كانت نسبة موافق بشدة أعلى نسبة وكانت نسبتها ٥٤,٨٪ وفي العبارة الثامنة عشر كانت نسبة موافق بشدة أعلى نسبة وكانت نسبتها ٥٤,٨٪ وفي العبارة التاسعة عشر كانت نسبة موافق أعلى نسبة وكانت نسبتها ٤٨,٤٪ وفي العبارة العشرون كانت نسبة موافق أعلى نسبة وكانت نسبتها ٥٨,١٪ .



شكل (٤,٢)

ثانيا : مدى ارتباط النتائج بالفروض

الفرض الأول : توجد علاقة بين القط العسيري وبين فن الترقيع ويتضح ذلك في الجدول الأول (٥,١) في المحور الأول في العبارة التاسعة بنسبة ٨٠,٦٪ كما أنها تحققت في العبارة العاشرة بنسبة ٧١٪ .

الفرض الثاني : توجد علاقة بين الزخارف وبين إحياء التراث وترسيخ الحضارات ويتضح ذلك في الجدول الثاني (٥,٢) في المحور الثاني في العبارة التاسعة عشر بنسبة ٩٣,٦٪ كما أنها تحققت في العبارة العشرون بنسبة ٩٣,٦٪ .

ثالثا : خلاصة النتائج

تتلخص نتائج البحث في التالي :



١. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين القط العسيري وبين فن الترقيع ويظهر ذلك في المحور الأول في العبارة التاسعة بنسبة ٨٠,٦٪ .
٢. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الزخارف وبين إحياء التراث ويظهر ذلك في المحور الثاني في العبارة العشرون بنسبة ٩٣,٦٪ .

رابعاً : التوصيات

توصي الباحثة بالتالي :

١. الاهتمام بفن القط العسيري بشكل أكبر وعمل دراسات بتوعيتهم بأهمية الأشكال الهندسية.
٢. إجراء المزيد من البحوث العلمية عن القط العسيري .
٣. إدراج الفنون الشعبية ليتم تدريسها بالجامعات والمدارس

المراجع

- البسام. ليلى . العجاجي. تهاني . (٢٠٠٥) . ملابس النساء التقليدية في المنطقة الشمالية من المملكة العربية السعودية . رسالة ماجستير . الرياض . كلية التربية للاقتصاد المنزلي والتربية الفنية .
- السرحان. ثناء . عمار. سعدية . (٢٠٢٠) . النماذج للملابس التقليدية النسائية بالمملكة العربية السعودية . المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة . ٢٦٤ . الأردن.
- العجاجي. تهاني . (٢٠١٥) . الأزياء التقليدية للأطفال في بادية نجد من المملكة العربية السعودية . أرسيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر . ٣١٤ . البحرين .
- العسيري. حنان . (٢٠١٧) . استحداث تصاميم مستوحاة من الفن الجداري العسيري القط لإثراء جماليات الزي النسائي . رسالة ماجستير . جدة . جامعة الملك عبدالعزيز .
- الغنيمي. أسماء . (٢٠١٨) . الإمكانات التشكيلية لتوليف الخامات الطبيعية والصناعية في التطريز اليدوي لإثراء المشغولة الفنية . مجلة كلية التربية النوعية . ٢٤ . جامعة بنها . مصر .
- القحطاني. يسرى . (٢٠١٩) . جماليات القط العسيري ودوره في إثراء الإنتاج الفني المعاصر . مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية . ٤٤ . المركز القومي للبحوث غزة . فلسطين .
- حسين. عبير . (٢٠١٥) . استحداث مملكات حائطية ببقايا الأقمشة . مجلة كلية التربية النوعية . ٢٤ . جامعة بورسعيد . مصر .
- دوزي. رينهارت . فاضل. أكرم . (٢٠١٢) . المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب . الدار العربية للموسوعات . بيروت .
- زكريا. فادية . (٢٠١٩) . فلسفة القط العسيري ودور المرأة في نقل المورث الثقافي الحرفي لإثراء المملكات النسيجية وتنشيط التسويق السياحي السعودي . مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية . ١٥٤ . الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية . مصر .



- صباغ. وسام . (٢٠٠٧) . تصميم أزياء مبتكرة باستخدام تقنيات فن الأبليلك . رسالة ماجستير . جامعة أم القرى . مكة .
- عارف. إيمان . (٢٠١٦) . موائمة فن نقش الجدار مع البيئة الطبيعية والانشائية المعمارية . مجلة التصميم الدولية . ع ٤ . الجمعية العلمية للمصممين . مصر .
- عبد الباقي. راوية . (٢٠١٢) . إحياء التراث الشعبي في مجال تصميم المنسوجات . المؤتمر العلمي السنوي الرابع . ع ١٤ جامعة المنصورة . مصر .
- عصام. نشوى . حسني. رشا . (٢٠١٩) . جماليات المدرسة التكعيبية في استحداث مشغولات فنية مستوحاة من الفن العسيري . مجلة بحوث التربية النوعية . ع ٥٥ . جامعة المنصورة . مصر .
- مرزوق. علي . (٢٠١٠) . فن زخرفة العمارة التقليدية بعسير . مكتبة الملك فهد للنشر . الرياض .
- مقلان. سمر . نادر. خديجة . (٢٠١٠) . الملابس التقليدية في المملكة العربية السعودية . فهرسة الملك فهد الوطنية . مكة المكرمة .

Brown. Pauline . (1989) . Applique . Merehurst . London .

Mercik . Agnes (1997) . Applique Innovations . Sterling Publishing company . New York .

Turner. Wilcox . (1992) . The Dictionary of Costume . B.T Batsford Ltd London . United Kingdom London .

- [www.فط_عسيري](https://ar.wikipedia.org/wiki/فط_عسيري) .

- [www.زخرفة](https://ar.wikipedia.org/wiki/زخرفة) .



موقف المستشرقين من مصادر التشريع الإسلامي (الإجماع والقياس- الاستحسان والمصالح المرسلّة)

د.إقبال بنت محمد باصم - جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين - مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية

Email:embasamad@uqu.edu.sa

ملخص البحث:

لقد سلك أعداء الإسلام طرقاً مختلفة لمحاربة الإسلام، فكرياً وثقافياً وعلمياً، حيث اهتم بعض المستشرقون بدراسة الإسلام بعيداً عن الميزان العلمي الصحيح في البحث والدراسة، دراسة محكومة بالهوى والرأي المجرد، بوضع النتيجة أولاً ثم البحث عن الأدلة والشواهد الضعيفة والشاذة، ومن هؤلاء من اهتم بدراسة مصادر التشريع باعتبارها مساحة واسعة للتطوير والتغيير، وبناء الأحكام الشرعية على الرأي المطلق، وإمكانية مخالفة نص الكتاب والسنة، وقد جاء البحث بدراسة أبرز شبهاتهم حول المصادر التالية: الإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلّة، والتوصل إلى أبرز النتائج، منها: ليس في مصادر التشريع المتفق عليها والمختلف فيها ما يستند على الهوى والرأي المجرد.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق بقدرته البشر.. وصرف بحكمته وقدر.. وابتعث محمد إلى كافة أهل البشر.. صلوات الله وسلامه عليه تسليماً كثيراً، قال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَبْغُهُمْ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩) (١)

لقد واجه الدين الإسلامي الكثير من التحديات، وإثارة الشبهات حول نبينا محمد-ﷺ- والوحي، وتعاليم الدين الإسلامي ومصادره الشرعية، وقد اهتم الغرب بدراسة الإسلام، لإيجاد ثغرة من الثغرات التي يمكن لهم الطعن في الإسلام عن طريقها، بتقصي الآراء الشاذة، والأدلة الواهية، بعيداً عن المنهج العلمي الصحيح في دراسة الإسلام وفهم حقيقته ومصادره، مع جهل بمقاصد الشريعة الإسلامية، وطرق الاستدلال المعتبرة. (٢)

وقد تصدى لذلك أهل العلم والاختصاص من المسلمين في الرد على شبهات المستشرقين، وبيان باطلها، دفاعاً وإظهاراً للقول الحق المبين، وعلى هذا أتقدم ببحثي بعنوان:

(موقف المستشرقين من مصادر التشريع الإسلامي)

أسباب اختيار الموضوع:

(١) تعدد مواقف المستشرقين من الشريعة الإسلامية.

(١) سورة آل عمران، آية رقم: (١٩).

(٢) ينظر: الاستشراق والدراسات الإسلامية، أ.د. عبد القهار داود العاني، دار الفرقان-عمان، ط١/١٤٢١هـ— ٢٠٠١م. (ص١٠).



٢) تأليفهم المؤلفات والكتب للطعن في صحة الإسلام ومصادره.

٣) كثرة الطعون الموجّهة لمصادر الشريعة بغية تهوينها، وإحلال الهوى المجرد محلها.

أهداف اختيار الموضوع:

١) بيان موقف المستشرقين من المصادر التشريعية الإسلامية.

٢) الرد على شبهات المستشرقين حول المصادر الشريعة.

٣) تفنيد أقوالهم بدحض الافتراءات الباطلة وأسبابها.

تساؤلات الدراسة:

١) ما هو معنى الاستشراق، وما هي أبرز اهتمامات المستشرقين بالفقه الإسلامي؟

٢) ما هي شبهات المستشرقين حول مصدري الإجماع والقياس؟

٣) ما هي شبهات المستشرقين حول مصدري الاستحسان والمصالح المرسلة؟

منهج البحث:

اتبعت منهج البحث الوصفي التحليلي في إيراد الشبه والرد عليها.

وقد راعيت في كتابة البحث النقاط التالية:

١- عزوت الآيات الكريمة بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مع الالتزام بالرسم العثماني.

٢- ترجمت للأعلام المستشرقين الوارد ذكرهم في البحث.

٣- الفصل التام بين أقوال المستشرقين وبين المناقشة والرد عليها.

٤- عرضت أبرز الشبهة المثارة حول الإجماع والقياس، وكذلك الاستحسان والمصالح المرسلة.

٥- الاكتفاء بذكر مناهج الاستشراق التي اتبعوها في دراسة المصادر، في التمهيد وذلك لتعدد المناهج المتبعة في الشبهة الواحدة.

٦- ما نقلته بنصه وضعته بين الأقواس مع عزوه إلى مصدره، وما نُقل بتصرف أُشير إليه في الحاشية بكلمة (ينظر).

٧- ذكرت معلومات المصادر والمراجع كاملة عند أول ذكر لها، ثم إذا تكررت يُكتفى باسم الكتاب، واسم المؤلف مختصراً.



الاستشراق (Orientalism) تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته، وأديانه، وآدابه ولغاته، وثقافته.

ولم يظهر مفهوم الاستشراق (Orientalism) في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام ١٧٧٩م، وفي فرنسا عام ١٧٩٩م كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م.^(٣)

وكلمة الاستشراق كلمة اصطلاحية لا يراد بها مدلولها اللغوي من حيث التوجه نحو الشرق، وإنما يقصد بالاستشراق في المفهوم الاصطلاحي: اهتمام العلماء الغربيين بالدراسات الإسلامية والعربية، ومنهج هؤلاء العلماء ومدارسهم واتجاهاتهم ومقاصدهم.

فهو طلب لعلوم الشرق، واتجاه للتخصص في معرفتها، والمستشرق هو المتخصص في علوم الشرق وحضارته وفنونه وآدابه وآثاره.

والاستشراق مرتبط كل الارتباط بالموروث التاريخي للشخصية الغربية في نظرتها للحضارة العربية والإسلامية، وهو موروث متقل بالتراكمات النفسية، ومشاعر ضاغطة مسيطرة على حركة الفكر مؤثرة في السلوكيات والمواقف.^(٤)

أبرز اهتمامات المستشرقين بالفقه الإسلامي ومصادره:

إن حقل الدراسات الفقهية في المنظومة الاستشرافية لم يهتم بها سوى فئة قليلة من المستشرقين وذلك بسبب سعة جوانبه وقضايا وأبوابه، فضلاً عن تهيّب معظم المستشرقين الخوض في تفاصيل وفروع علم واسع الأطراف، يزداد اتساعاً كلما تم اقتحام مجال أو ما يُعرف بالخلاف العالي والفقه المقارن؛ لذا فإن هناك فئة قليلة من المستشرقين ممن قضوا فترات طويلة من حياتهم في دراسة الفقه وفروعه، بينما اكتفى معظم المستشرقين بالنقل عن هؤلاء والاستفادة من نتائج أبحاثهم، مع الوقوف عند القضايا العامة.^(٥)

وأبرز من كتب في هذا المجال:

* المستشرق Goldziher^(٦).

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية- الرياض، ط ٥/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. (ج ٢/ص ٦٨٧).

(٤) ينظر: الاستشراق تعريفه مدارسه آثاره، د. محمد فاروق النبهان، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. إيسيكو- الرباط، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م. (ص ١١-١٢).

(٥) ينظر: آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، د. حسن عزوزي، مطبعة أنفو-فاس، ط بدون رقم/٢٠٠٦م. (ص ٨٧).

(٦) Goldziher: مستشرق يهودي مجري، ولد عام (١٨٥٠م-ت: ١٩٢١م)، بدأ نشاطه العلمي بالدراسات الشرقية مبكراً، معنياً بمسائل الدين والبحث في العقائد والعبادات، وكتب في أصول الفقه وأصول المذاهب الفقهية المختلفة وعن الإجماع والاختلاف بين المذاهب،
٤١٧



* المستشرق Joseph Schacht^(٧) الذي جمع أشتات (Goldziher) الأصولية من كتبه المتعددة وزاد عليها الشيء الكثير.

*المستشرق D.B.Macdonald^(٨).

*المستشرق Hamilton Gibb^(٩).

وقد تنوعت اهتماماتهم في هذا الجانب، وتنوعت كتاباتهم في الفقه وأصوله، ومن أبرز اهتماماتهم:

١- أبرزوا بشكل عام كتب الخلاف، وبنوا عليها مرونة الشريعة إلى حد وصل كأنها بُنيت على الهوى، أو يمكن أن تُبنى عليه.

٢- صوّروا الخلاف بين الأئمة على أنه خلاف في الأصول وليس في الفروع.

٣- الزعم بأن أحكام الإسلام صالحة لفترة معينة، وعلى ذلك فإن الاستنباط الفقهي قد توقف، ويجب أخذ أحكام الحوادث المستجدة وفق منظور الفقه الغربي.

٤- مع قلة كتاباتهم في (أصول الفقه) إلا أنها تحمل من الخطورة ما لا يقل من خطورة كتاباتهم في العلوم الإسلامية الأخرى.

٥- تتميز كتاباتهم في (أصول الفقه) بالجهل المكشوف، فلا تجد لهم جهوداً تُذكر في تفرعات علم أصول الفقه، بل تركزت جهودهم في جانب واحد، وهو (مصادر التشريع) والعزوف عن الكتابة في باب الأحكام بناءً على عدم التسليم بصحة الأصول والأدلة التشريعية التي تُبنى عليها الأحكام، والتشكيك فيها.

وهذا الفصل بين الأصول والأحكام مسلك خاطيء، وذلك أن علم أصول الفقه عنوان للأدلة الموصلة للأحكام، فهما في لازم الأمر وحقيقته شيء واحد، وبناءً على هذا الفصل فإن كتاباتهم تتصف بما يلي:

ومن أشهر أبحاثه (محاضرات في الإسلام- اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين). ينظر: موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين-بيروت، ط٣/١٩٩٣م. (ص١٩٧-٢٠١).

(٧) Joseph Schacht: مستشرق ألماني ولد عام ١٩٠٢م-ت: ١٩٦٩م) متخصص في الفقه الإسلامي، اشترك في الإشراف على ط٢ من (دائرة المعارف الإسلامية)، ويقسم إنتاجه إلى الأبواب التالية: (دراسة مخطوطات عربية- تحقيق نصوص مخطوطة في الفقه الإسلامي-دراسات في علم الكلام-مؤلفات ودراسات في الفقه الإسلامي- دراسات ونشرات في تاريخ العلوم والفلسفة في الإسلام)، كما نشر عدة نصوص فقهية، إلا أنه برز في ميدان الفقه الإسلامي، ومن مؤلفاته: (بداية الفقه الإسلامي-موجز في الفقه الإسلامي-مدخل إلى الفقه الإسلامي). ينظر: موسوعة المستشرقين، بدوي، (ص٣٦٦-٣٦٧).

(٨) D.B.Macdonald: مستشرق أمريكي الإقامة، بريطاني المولد والتنشئة، ولد عام ١٨٦٣م-ت: ١٩٤٣م) صرف نشاطاً كبيراً في التبشير المسيحي وإعداد المبشرين، إنتاجه العلمي يتسم بالوضوح إلا أنه خال من التعمق، اهتم بتاريخ العلوم في الإسلام، ومن مؤلفاته: (تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام- أوجه الإسلام- الموقف الديني والحياة الدينية في الإسلام). ينظر: موسوعة المستشرقين، بدوي، (ص٥٣٨).

(٩) Hamilton Gibb: مستشرق انجليزي، ولد عام ١٨٩٥م-ت: ١٩٧١م)، إنتاجه يتوزع بين ثلاثة ميادين: الأدب العربي- التاريخ الإسلامي- الدين الإسلامي وقد خصّه بكتابين هما: (المحمدية-الاتجاهات الحديثة في الإسلام. ينظر: موسوعة المستشرقين، بدوي، (ص١٧٤-١٧٥).



* الجهل بعلاقة الأحكام وصلتها بالأدلة.

* الوقوع في استنتاجات خاطئة لا يقرها منطق علمي.

* الجهل بصلة علم الفقه بأصول الفقه؛ إذ الفقه هو الثمرة العملية التطبيقية للأدلة.^(١٠)

* اتهامات باطلة، ومفاهيم قاصرة لأصحاب المذاهب الأربعة.

المصادر التشريعية عند المستشرقين:

تنقسم مصادر التشريع الإسلامي عند المستشرقين إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المصادر الأصلية: الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

القسم الثاني: المصادر التابعة: الاستحسان والمصالح المرسلة.

القسم الثالث: المصادر المادية: العرف وعمل الخلفاء وعمل القضاة والفقهاء.

ولم يكن تقسيمهم للمصادر على أن هناك مصادر مقبولة متفق عليها، ومصادر مختلف فيها، بل تناولوا المصادر كوحدة واحدة، باعتبار أن مصادر القسم الأول ليست مصادر متكاملة، لذلك جاءت مصادر القسم الثاني من علماء المسلمين كمحاولة لصياغة مجموعة قانونية متكاملة عند إضافتها إلى مصادر القسم الأول، وأما القسم الثالث جاء لتكميل سد الثغرات.^(١١)

وطريقة دراستهم لهذه المصادر التشريعية، تتلخص فيما يلي:

١- تضعيف المصدر.

٢- جمع سلبيات المصدر.

٣- تضمين السلبيات إلى مصدر آخر.

وذلك للوصول إلى نتيجة وهي: أن التشريع الإسلامي لا يمكن أن يكون إلهياً، بل هو من عند الرسول محمد -ﷺ- وأصحابه ومن جاء بعدهم، وبالتالي فلا يقوى ولا يصلح لمسايرة التقدم الحضاري المعاصر.^(١٢)

وقد اتبعوا في شبهاتهم حول مصادر التشريع عدة مناهج من أبرزها: منهج التحريف والتزييف في نقل روايات الفقهاء، ومنهج التطور والتجديد في مصادر التشريع، والتقديم بمقدمات صحيحة والتعويل عليها بنتائج خاطئة، وأخيراً منهج التأثير والتأثر.

المبحث الأول: موقفهم من الإجماع

(١٠) ينظر: المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، د. عجيل جاسم النشمي، الكويت، ط ١ / ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م. (ص ٢٢-٢٤).

(١١) ينظر: المرجع السابق، (ص ٢٥-٢٦).

(١٢) ينظر: المستشرقون ومصادر التشريع، النشمي، (ص ٢٦).



يعد الإجماع المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي، وقد تعرّض له المستشرقون بجملة من الشبهات والأقوال، فكان منها ما يلي:

الشبهة الأولى: اعتبار الإجماع من أصول العقيدة:

يقول D.B.Macdonald: (الإجماع: أحد الأصول الأربعة التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية، ويُعرّف بأنه اتفاق المجتهدين - وهم الذين لهم الحق بفضل ما أوتوا من علم أن يقرروا حكمًا برأيهم- من الأمة بعد وفاة الرسول في كل عصر وفي كل أمر ديني).^(١٣)

مناقشة الشبهة:

اعتبر الإجماع (أحد الأصول الأربعة التي تقوم عليها العقيدة) بينما الإجماع يصنّف في علم أصول الفقه تحت باب (أدلة الأحكام)، و(مصادر الفقه) وهي: أدلته التي يستند إليها ويقوم عليها، (الأدلة الشرعية) والدليل هو: ما يمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم بالمطلوب الخبري. والشرعية: أن تكون طريق معرفة دلالتها مستفادة من الشرع.^(١٤) وهناك فرق واضح جلي بين (أصول العقيدة) و (الأدلة الشرعية).

وأما قوله: (...أن يقرروا حكمًا برأيهم) فإن المتفق عليه عند الجمهور أن الأحكام تؤخذ من النص أو تحمل على النص، فكل المصادر مشتقة من النصوص راجعة إليها.^(١٥) إذ لا مكان للرأي والهوى كما يزعم.

الشبهة الثانية: تشبيه الإجماع بقول الصحابي

يقول D.B.Macdonald في الإجماع: (إن رواية صحابي واحد كانت تكفي لأن تأخذ بها الأجيال اللاحقة، وهذا هو رأي الشافعي في أول أمره قبل انتقاله إلى مصر، ولكنه رأى لا يقول به أحد الآن).^(١٦)

مناقشة الشبهة:

شبه الإجماع بقول الصحابي وهو تشبيه فاسد؛ لأن الإجماع من الأدلة المتفق على حجيته وثبوته، بينما قول الصحابي هو من الأدلة الشرعية المختلف فيها على قولين:

* حجة، وهو قول الإمام مالك والشافعي في القديم وبعض الحنفية.

* ليس بحجة، وهو قول الإمام أحمد والشافعي في الجديد.

وأما قوله (إن رواية صحابي واحدة... اللاحقة) هذا كلام على عمومته يحتاج إلى تحرير:

(١٣) دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: محمد ثابت الفندي-أحمد الشننتاوي-إبراهيم زكي خورشيد-عبد الحميد يونس، ط/بدون رقم- ١٩٣٤م. (ج ١/ص ٤٣٨).

(١٤) ينظر: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، أبو القاسم شمس الدين الأصفهاني، دار المدني-السعودية، ط ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م. (ج ١/ص ٣٥/ص ٤٥٤).

(١٥) ينظر: أصول الفقه، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط/بدون رقم وتاريخ. (ص ٧٥).

(١٦) دائرة المعارف الإسلامية، (ج ١/ص ٤٣٨).



- ١- قول الصحابي فيما لا مجال فيه للرأي والاجتهاد، له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ.
- ٢- قول الصحابي الذي اشتهر وذاع، ولم ينكره أحد، يدخل في الإجماع السكوتي.
- ٣- قول الصحابي لا يعتبر حجة بالاتفاق إذا ثبت رجوعه عنه.
- ٤- قول الصحابي إذا ثبت فهو حجة على العوام مطلقاً في أي عصر من العصور.
- ٥- قول الصحابي فيما للرأي فيه مجال، ولم يشتهر، هو محل الخلاف بين الأصوليين في ثبوت حجته.^(١٧)

الشبهة الثالثة: اعتبار الإجماع مصدرًا مستقلًا بذاته في تقرير الأحكام الشرعية

يقول D.B.Macdonald: (الحديث النبوي الذي يعتبر أساس الإجماع هو قوله-ﷺ: (لا تجتمع أمتي على ضلالة) ويضاف إليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥) (١٨) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (١٤٣) (١٩)، وعلى هذا فإنه يكون في مقدور الناس أن يخلقوا بطريقة تفكيرهم وأعمالهم عقائدًا وسننًا، لا أن يُسلّموا بما تلقوه عن طريق آخر فحسب، وقد أصبح بفضل الإجماع ما كان في أول أمره بدعة، أمرًا مقبولاً نسخ السنة الأولى.^(٢٠)

مناقشة الشبهة:

إن الإجماع لا بد له من مستند شرعي يعتمد عليه؛ لأن أهل الإجماع لا ينشئون الأحكام من قبيل رأيهم المجرد-كما توهم- فحق إنشاء الشرع لله تعالى، وبواسطة رسوله-ﷺ- الموحى إليه.^(٢١)

وأما الادعاء بأن الإجماع أعطى حرية للمسلمين بإضافة عقائد وسننًا، فهذا زعم باطل؛ لأن التشريع من اختصاص الشرع-الوحي الإلهي- والإجماع مصدر غير مستقل بذاته بل هو مبني على مستند شرعي، فالعقل غير مستقل في الأمور الشرعية بإدراكها دون الوحي، وإذا تقرر ذلك فإن الإجماع دليلاً شرعياً يعتمد على مستند شرعي يوحد آراء المجتهدين، ويمنع تخطيهم حدود الشرع.

والمستند في رأي أكثر العلماء: إما دليل قطعي من قرآن وسنة متواترة فيكون الإجماع مؤيداً ومعاضداً له، وإما دليل ظني وهو خبر الواحد والقياس، فيرتقي الحكم حينئذ بالإجماع من مرتبة الظن إلى مرتبة القطع واليقين.^(٢٢)

(١٧) ينظر: روضة الناظر، ابن قدامة (ج ١/ص ٤٦٦).

(١٨) سورة النساء، آية رقم: (١١٥).

(١٩) سورة البقرة، آية رقم: (١٤٣).

(٢٠) دائرة المعارف الإسلامية، (ج ١/ص ٤٣٩).

(٢١) ينظر: أصول الفقه، محمد أبو زهرة، دار (ص ٢٠٨).

(٢٢) ينظر: الوجيز في أصول الفقه، وهبة الزحيلي، دار الفكر-دمشق، ط ١٤١٩هـ-١٩٩٩م. (ص ٤٨-٤٩).



وبناء على مقدمته الباطلة، فقد توصل إلى نتيجة باطلة، حيث يقول: (وقد أصبح بفضل الإجماع ما كان في أول أمره بدعة، أمرًا مقبولاً..) وهو ناشيء عن عدم فهمه للسنة والبدعة، فالبدعة هي: (طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى).^(٢٣) ومن خلال هذا التعريف لا يستقيم أن يكون الإجماع بابًا لتحويل البدعة إلى سنة شرعية كما يزعم.

الشبهة الرابعة: الإجماع وسيلة لتبديل الأحكام كالاعتقاد بعصمة النبي محمد -ﷺ-

يقول D.B.Macdonald: (إن الاعتقاد بعصمة النبي -ﷺ- قد جعل الإجماع ينحرف عن نصوص واضحة في القرآن، فلم يقتصر الإجماع هنا على تقرير أمور لم تكن مقررة من قبل فحسب، بل غير عقائد ثابتة وهامة جدا تغييرا تامًا، وعلى هذا فهو يعتبر اليوم عند الكثيرين وسيلة فعالة للإصلاح، فهم يقولون إن المسلمين يستطيعوا أن يجعلوا من الإسلام ماشاءوا على شريطة أن يكونوا مجتمعين).^(٢٤)

مناقشة الشبهة:

إن مفهوم عصمة النبي -ﷺ- التي تحدث عنها مفهوم خاطيء، فليس من عصمة النبي محمد -ﷺ- أن يقرر أحكاما شرعية بدون وحي إلهي؛ إذ أن مفهوم العصمة الصحيحة للأنبياء:

١ - العصمة في تحمل الرسالة وتبليغها كاملة كما أراد الله ﷻ.

٢ - عصمة الرسول -ﷺ- من القتل حتى يبلغ الرسالة كاملة.

٣ - العصمة من الشرك وكبائر الذنوب.

٤ - عدم العصمة من الأعراض البشرية كالخوف والنسيان.^(٢٥)

ثم إن أحكام الشريعة الإسلامية تثبت بالوحي الإلهي، وليس لأحد من المسلمين حرية التشريع والتبديل والتغيير في العقائد والأحكام؛ لأن الأحكام الشرعية ليست مزيجًا من الآراء والأهواء، بل كل مصدر من مصادر التشريع بعد الكتاب والسنة له ضوابطه وأحكامه وقواعده وأدلته لقبوله والعمل به.

وأما اشتراط الاجتماع فقط لحصول الإجماع (شرطية أن يكونوا مجتمعين) فهو زعم باطل؛ لأن الإجماع لا يقوم على شرط الاجتماع فقط، بل على جملة من الشروط، منها: أن يكون الإجماع صادر من عدد من المجتهدين، فلا يتحقق بمجتهد واحد أو اثنان، وأن يحدث الاتفاق من جميع المجتهدين على الحكم الشرعي في وقت الحادثة من مختلف الأمصار، وأن يعتمد المجمعون على مستند شرعي في إجماعهم، وعدم مخالفتهم لحكم ثابت في الكتاب والسنة.^(٢٦)

الشبهة الخامسة: للإجماع قوة نسخ الكتاب والسنة

(٢٣) الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: محمد الشقير، دار ابن الجوزي-السعودية، ط ٢/١٤٣١هـ. (ج ١/ص ٤٧).

(٢٤) دائرة المعارف الإسلامية، (ج ١/ص ٤٣٩).

(٢٥) ينظر: الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح-الكويت، ط ٤/١٤١٠هـ-١٩٨٩م. (ص ٩٧-١٠٤).

(٢٦) ينظر: الوجيز في أصول الفقه، وهبة الزحيلي، (ص ٤٧).



يقول Joseph Schacht: (والإجماع لم يظل تابعاً للقرآن والسنة فحسب، بل اعتبر مؤيداً لهما نظراً للاعتقاد العام في تنزهه عن الخطأ.... بل إنهم جعلوا للإجماع، آخر الأمر، قوة نسخ أحكام الكتاب والسنة).^(٢٧)

مناقشة الشبهة:

إن حقيقة الإجماع يؤيد بنص الكتاب والسنة لا العكس؛ لأنه مصدر تابع لهما غير مستقل بذاته، وعلى ذلك لا يمكن للإجماع أن يكون ناسخاً للكتاب والسنة، لأن معنى النسخ: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه، وله ضوابط، منها مايلي:

١- النسخ إنما يكون في حياة النبي - ﷺ - فقط، ولا يجوز بعد وفاته؛ لأن النسخ يكون بالوحي، ولا وحي بعد وفاته، بينما شرط وقوع الإجماع أن يكون بعد وفاة النبي ﷺ.

٢- النسخ يجب أن يكون بقوة المنسوخ، ولا شيء في قوة الوحي إلا الوحي، وقد انقطع بوفاته ﷺ.

٣- الدليل الناسخ يجب أن يكون في قوة الدليل المنسوخ، أو أقوى منه، وأن يرد بعده لا قبله، وعلى ذلك فإن الإجماع لا يكون ناسخاً لنص من الكتاب والسنة؛ لأن النص إن كان قطعي الدلالة يمتنع انعقاد الإجماع على خلافه، وإن كان ظني الدلالة وانعقد الإجماع على خلافه، كان معنى هذا وجود دليل آخر ترجح في نظر الفقهاء المجمعين على النص الظني الدلالة، فيكون ذلك الدليل الذي بُني عليه الإجماع هو الناسخ لا الإجماع ذاته.^(٢٨)

المبحث الثاني: القياس

هو المصدر الرابع من مصادر التشريع المتفق عليها، وأقل المصادر تعرضاً للطعن والتشويه من قبل المستشرقين، ومن جملة الشبهات التي زعموها حول القياس، ما يلي:

الشبهة الأولى:

يقول Joseph Schacht: (لم يكن الشافعي واضع طريقة القياس، غير أنه كان له كبير الأثر في تنشئته والتوسع في تطبيقه، وطريقة القياس هي بالضرورة طريقة الرأي، اصطنعها تحت اسم القياس؛ لأن الناس كانوا أقل نفوراً من هذا الاسم).^(٢٩)

مناقشة الشبهة:

إن قوله يدل على اعتبار مصادر الشريعة صنعة بشرية، فيها مساحة لحرية الرأي والتبديل والتغيير؛ حيث يعتبر أن طريقة القياس هي طريقة الرأي المطلق، وهذا قول باطل لمن له أدنى معرفة بمصادر التشريع وأدلة ثبوتها، من خلال

(٢٧) أصول الفقه، Joseph Schacht، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد- عبدالرحمن يونس-حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ط بدون رقم/١٩٨١م. (ص ٨٨).

(٢٨) ينظر: الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، مؤسسة قرطبة-بغداد، ط ٦/ ١٩٧٦م. (ص ٣٩٠-٣٩١).

(٢٩) أصول الفقه، Schacht، (ص ٨٦).



تعريف القياس تظهر الحدود المعتبرة عند الأصوليين في اعتباره، فهو: (حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما).^(٣٠) بخلاف الرأي المجرد المطلق المعتمد على الهوى من غير مستند شرعي.

وأما موقف الإمام الشافعي-رحمه الله- فقد أخذ على ظاهره، حيث جاء في كتاب الرسالة: (فما القياس؟ أهو الاجتهاد؟ أم هما مفترقان؟ قلت: هما اسمان لمعنى واحد. قال: فما جماعهما؟ قلت: كل ما نزل بمسلم فقيه حكم لازم، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة، وعليه إذا كان فيه بعينه حكم: اتباعه، وإذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد. والاجتهاد القياس).^(٣١)

وبناء على هذا القول زعم Joseph Schacht في موضع آخر فيقول: (ويظهر أن القياس عند الشافعي مرادف للاجتهاد في معناه القديم، ذلك المعنى الذي كان يجعل الاجتهاد مرادفًا للرأي أي استعمال الفقيه لعقله).^(٣٢)

ويعاضده قول المستشرق D.B.Macdonald: (وقد استعمل-الشافعي- لفظ الاجتهاد في أول الأمر بمعنى القياس وخاصة في رسائل الشافعي).^(٣٣)

وتوضيح ذلك، أن هذه المصطلحات الثلاثة (الرأي والقياس والاجتهاد) اختلفت آراء العلماء في دلالتها، يقول الإمام الرازي: (نقل عن الصحابة القول بالرأي، والرأي هو القياس،... وإنما قلنا: إن الرأي عبارة عن القياس؛ لأنه يقال للإنسان: أقلت هذا برأيك أم بالنص؟ فيجعل أحدهما في مقابلة الآخر، وذلك يدل على أن الرأي لا يتناول الاستدلال بالنص سواء كان جليًا أو خفيًا).^(٣٤) وقيل: (القياس مناط الاجتهاد، وأصل الرأي).^(٣٥)

والإمام الشافعي يسمي القياس استدلالاً؛ لأنه فحص ونظر، ويسمي الاستدلال قياساً، لوجود التعليل فيه.

وقيل: أن القياس والاجتهاد واحد.

وظاهر ذلك لا يستقيم، فإن الاجتهاد أعم من القياس، والقياس أخص، إلا أنه لما كان الاجتهاد في عرف الفقهاء والأصوليين مستعملاً في تعريف ما لا نص فيه من الحكم، وطريق معرفة ذلك عند الإمام الشافعي لا يكون إلا بأن يحمل الفرع على الأصل فقط، وذلك قياس عنده، والذي عليه جمهور أهل العلم، أن الاجتهاد غير القياس، وهو أعم منه؛ لأن القياس يفتقر إلى الاجتهاد وهو من مقدماته، وليس الاجتهاد يفتقر إلى القياس؛ ولأن الاجتهاد يكون بالنظر في العمومات وسائر طرق الأدلة، وليس ذلك بقياس.^(٣٦)

وأما دلالة الرأي والقياس:

(٣٠) روضة الناظر، ابن قدامة، (ج ٢/ص ١٤١).

(٣١) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: احمد شاكر، مكتبة الحلبي-مصر، ط ١٣٥٨/١هـ-١٩٤٠م. (ص ٤٧٦).

(٣٢) أصول الفقه، Schacht، (ص ٨٦).

(٣٣) دائرة المعارف الإسلامية، (ج ١/ص ٤٣٥).

(٣٤) المحصول، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، تحقيق: د. طه علواني، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط ١٤١٨/٣هـ-١٩٩٧م. (ج ٥/ص ٦١-٦٢).

(٣٥) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، دار الكتبي، ط ١٤١٤/١هـ-١٩٩٤م. (ج ٧/ص ٥).

(٣٦) ينظر: البحر المحيط، الزركشي، (ج ٧/ص ١٤).



﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (٢٧) أي: ردوا الشيء إلى نظيره وهو معنى القياس. والتبيين المضاف إلينا هو: إعمال الرأي في المعاني المنصوصة؛ لإبانة حكم نظيرها والانتقال من حكم الأصل إلى حكم الفرع.

والرأي المذموم فيما يقابل النص أو يُعدم فيه النص، كما تدل الآيات على جواز استعمال الرأي لاستخراج معاني النص، نحو قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ (٣٨)، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٣٩) وفي القياس ذلك فيشملة بالدلالة لا القياس، لاشتراك المعنى اللغوي في فهمه من السياق. (٤٠)

والرأي نوعان:

* رأي صحيح: وهو الرأي المستند إلى استدلال واستنباط من النص وحده أو من نص آخر معه، وهو ما استعمله السلف الصالح، وعملوا وأفتوا به، وسوغوا القول به.

* رأي باطل بلا ريب: وهو الرأي المذموم الذي أشار إليه السلف، ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به، وأطلقوا ألسنتهم بزمه وذم أهله، ومن أنواعه:

١- الرأي المخالف للنص، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فسادَه وبطلانه، ولا تحل الفتيا به ولا القضاء، وإن وقع فيه من وقع بنوع تأويل وتقليد.

٢- الكلام في الدين بالخرص والظن، مع التفريط والتقصير في معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها، فإن من جهلها وقاس برأيه فيما سئل عنه بغير علم؛ فقد وقع في الرأي المذموم الباطل. (٤١)

الشبهة الثانية:

يقول Joseph Schacht: (أهل العراق استعملوا القياس للتخلص من الأحاديث الضعيفة وأحاديث الأحاد). (٤٢)

مناقشة الشبهة:

أولاً: مما هو متفق عند الأصوليين والفقهاء عدم العمل بالأحاديث الثابت ضعفها في تقرير الأحكام واستنباط دلالاتها الشرعية منها.

-
- (٣٧) سورة الحشر، آية رقم: (٢).
(٣٨) سورة يونس، آية رقم: (٢٤).
(٣٩) سورة البقرة، آية رقم: (١٧٩).
(٤٠) ينظر: فصول البدائع في أصول الشرائع، شمس الدين الفناري الرومي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ١/١٤٢٧هـ — ٢٠٠٦م. (ج ٢/ص ٣١٤-٣١٨).
(٤١) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ١/ ١٤١١هـ — ١٩٩١م. (ج ١/ص ٥٤-٥٦).
(٤٢) أصول الفقه، Schacht، (ص ٨٦).



ثانيًا: ما يتعلق بخبر الأحاد، فإن المذهب الحنفي نشأ في العراق، وقد كانت مسرحًا للخلافات السياسية، ومصدرًا للحركات الفكرية، وموطنًا لنحل مختلفة، ومرتعًا خصبًا لأهل البدع والهواء من الشيعة وغيرها من الفرق، التي كانت تضع الحديث على رسول الله -ﷺ- والتأويل بالزيادة والنقصان في أخبار الأحاد؛ الأمر الذي جعل الإمام أبا حنيفة ومن تبعه من أئمة المذهب الحنفي، يشددون في قبول الأحاديث، والاحتجاج بها على الأحكام الشرعية، ولم يثبت عنهم تقديم القياس على خبر الأحاد الثابت الصحيح.^(٤٣)

وكذلك عند الإمام الشافعي، يرى أن القياس منهج صحيح، ولكن ليس على إطلاقه، بل لابد أن يتأخر القياس عن الأحاديث حتى ما كان منها خبر الأحاد.^(٤٤)

المبحث الأول: الاستحسان

الاستحسان هو مصدر من مصادر التشريع المختلف عليها، وقد تناوله بعض المستشرقين مع قصور في إدراك حقيقته، فكان من شبهاتهم وزعمهم حوله ما يلي:

الشبهة الأولى: الاستحسان هو الرأي المجرد

يقول pearl : (إن الاستحسان ويضيف له الاستصلاح إنما هما أمثلة لصور خاصة للاجتهاد، وهذا كان من عمل الفقهاء الأولين، خاصة فقهاء الكوفة ليجعلوا منها سندًا وأسبابًا تدعم أقوالهم المبنية على الرأي).^(٤٥)

ويعاضده قول Joseph: (كان أهل العراق وكذلك أهل الحجاز يستعملون الاستحسان كنوع من أنواع الرأي، والاستحسان عبارة عن الانحراف عن النتيجة التي نتوقعها بحق من القياس لاعتبارات عقلية أو عملية).^(٤٦)

مناقشة الشبهة:

قوله: (الاستحسان نوع من أنواع الرأي المجرد)، فهم غير صحيح؛ لأن الرأي على إطلاقه المجرد من غير اعتماد على دليل، مذموم في الشرع، ومما يدل على فهمهم الخاطيء للرأي المجرد هو قول المستشرق Joseph Schacht في موضع آخر: (الرأي أي استعمال الفقيه لعقله).^(٤٧)

ولقد اختلف الأصوليون في معنى الاستحسان إلى تعريفات كثيرة، والخلاف بينهم لفظي مع الاتفاق في المعنى، حيث ذكر ابن السمعاني أن مرجع الخلاف بين الفقهاء في المسألة التسمية، وأما القول أن الاستحسان هو ما استحسنته الإنسان

(٤٣) ينظر: المذهب الحنفي، أحمد محمد النقيب، مكتبة الرشد-الرياض، ط ١ / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. (ج ١/ص ٣٨٧-٣٨٨).

(٤٤) ينظر: المذهب عند الشافعية، محمد الطيب اليوسف، مكتبة دار البيان الحديثة-السعودية، ط ١ / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م. (ص ٦٠).

(٤٥) المستشرقون ومصادر التشريع، النشمي، (ص ١٦٠). نقلًا عن: A Text Book on Muslim Law

(٤٦) أصول الفقه، Schacht، (ص ٨٦-٨٧).

(٤٧) المرجع السابق، (ص ٨٦).



ويشتهيه من غير دليل فهو باطل قطعاً ولا نظن أن أحداً يقول بذلك، والذين يقولون هو العدول في الحكم من دليل إلى دليل هو أقوى منه وهذا لا ننكره. (٤٨)

قال بعض المحققين: الاستحسان كلمة يطلقها أهل العلم على ضربين:

* الأول: واجب بالإجماع وهو: أن يقدم الدليل الشرعي، لحسنه، فهذا يجب العمل به؛ لأن الحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع.

* الثاني: أن يكون على مخالفة الدليل، مثل أن يكون الشيء محظوراً بدليل شرعي، وفي عادات الناس إباحته، أو يكون في الشرع دليل يغلظه وفي عادات الناس التخفيف، فهذا يحرم القول به، ويجب اتباع الدليل، وترك العادة والرأي، سواء كان ذلك الدليل نصاً، أو إجماعاً أو قياساً. (٤٩)

وأما اعتباره للاستحسان أنه انحراف للنتيجة عن القياس.. فهذا مفهوم غير صحيح، حيث يُعرّف الاستحسان في اصطلاح الأصوليين بتعريفات متعددة، منها: عدول المجتهد عن مقتضى قياس جلي إلى مقتضى قياس خفي، أو هو العدول عن حكم كلي إلى حكم استثنائي لدليل انقذ في عقله، رجّح لديه هذا العدول، ومعنى ذلك: إذا عرضت واقعة ولم يرد نص بحكمها، وللنظر فيها وجهان مختلفان: الأول: ظاهرة تقتضي حكماً، والثاني: خفية تقتضي حكماً آخر.

وقام بنفس المجتهد دليل رجّح وجهة النظر الخفية، فعدل عن وجهة النظر الظاهرة، فهذا يسمى شرعاً: (الاستحسان)، وكذلك إذا كان الحكم كلياً، وقام بنفس المجتهد دليل يقتضي استثناء جزئية من هذا الحكم الكلي، والحكم عليها بحكم آخر فهذا أيضاً يسمى شرعاً: (الاستحسان). (٥٠)

الشبهة الثانية: الإمام الشافعي أنكر الاستحسان.

يقول Joseph: (هاجم الشافعي طريقة الاستحسان في عنف لأنها طريقة ذاتية، وقال بصحة القياس وحده). (٥١)

مناقشة الشبهة:

قولهم أن الإمام الشافعي هاجم الاستحسان ورفضه، زعم باطل، والصواب:

١- الخلاف في المسألة بين الأصوليين خلاف لفظي، مع الاتفاق في المعنى.

٢- الإمام الشافعي- وغيره من الأئمة- أنكر وهاجم الاستحسان القائم على الهوى والتشهي.

(٤٨) ينظر: قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١/١٤١٨هـ-١٩٩٩م. (ج ٢/ص ٢٦٨-٢٧٠).

(٤٩) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب العربي- دمشق، ط ١/١٤١٩هـ-١٩٩٩م. (ج ٢/ص ١٨٣).

(٥٠) ينظر: علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاّف، مكتبة الدعوة الإسلامية- الأزهر، ط ٨/١٣٦١هـ-١٩٤٢م. (ص ٧٩-٨٠).

(٥١) أصول الفقه، Schacht، (ص ٨٧).



٣-الأصوليون قالوا بالاستحسان وعملوا به في مواطن متعددة، وقصدوا به الاستحسان القائم على أصل من أصول الشريعة، وقواعدها العامة، التي تهدف إلى جلب المصالح ودفع المفاسد، في كثير من المسائل الفقهية،^(٥٢)

فالإمام الشافعي استحسّن التحليف على المصحف، لما في ذلك من فضل الخوف من الله تعالى والتحرّج من الكذب، وقال: (وقد رأيت بعض الحكام يحلف بالمصحف، وذلك عندي حسن).^(٥٣) وغيرها من المسائل الفقهية في باب الشفعة مثلاً ومتعة المطلقة... يقول فيها استحساناً.

والإمام أحمد بن حنبل قد أطلق القول بالاستحسان في مسائل متعددة، منها: أنه قال: (استحسّن أن يتيمم لكل صلاة، ولكن القياس أنه بمنزلة الماء حتى يُحْدِث، أو يَجِدَ الماء).^(٥٤)

والإمام مالك يقول في الاستحسان إنه تسعة أعشار العلم، ومن المسائل التي قضى فيها بالاستحسان: إذا هلكت المرأة ولها ولد يتيم لا وصي له فأوصت عليه لم يجز ذلك إلا أن كان المال يسيراً نحو الستين ديناراً فلا ينزع من الوصي؛ استحسّنه مالك وليس بقياس.^(٥٥) وغيرها من الأمثلة، مما يدل دلالة واضحة على استعمالهم للاستحسان المستند على أدلة ورفضهم للاستحسان المستند على الآراء المجردة.

الشبهة الثالثة: الاستحسان دخيل على التشريع الإسلامي.

يقول pearl : (كان من المفروض ألا يبتعد بهما التشريع الإسلامي- أي الاستحسان والاستصلاح- فهما دخيلان عليه، وبالتالي فنتائجهما دخيلة أيضاً، ومع ذلك كله فقد ظلت نتائج الاستحسان والاستصلاح في جسد التشريع، وحاول الفقهاء المسلمون إسنادها بأحاديث مبتكرة لمجرد توثيق تلك النتائج).^(٥٦)

مناقشة الشبهة:

بناء على ما سبق بيانه أن هذا زعم باطل، لا يؤيده ولا ينتهض به دليل، بل إن الأدلة ضده، فالفقهاء المتقدمين والمتأخرين لم يختلفوا في مفهوم الاستحسان المشروع إطلاقاً، وظل الاستحسان كما هو بمفهومه الشرعي الصحيح الخالي من الهوى المجرد، ونتائجه لم تكن نشأاً حتى يتضرر الفقه الإسلامي بها، بل إن نتائجه طبيعية ومنسجمة مع بقية الأدلة والمصادر التشريعية، فزعمهم مبني على غير أساس صحيح لمعنى الاستحسان، ودعواهم لا مكان لها في ضوء التمهيص العلمي والاستدلال المنطقي، ولو أنهم تعمقوا في مراد الأصوليين بالاستحسان ما أجازوا لأنفسهم أن يرتبوا تلك النتائج الفاسدة.^(٥٧)

(٥٢) ينظر: روضة الناظر، ابن قدامة، (ج ١/ص ٤٧٧).

(٥٣) ينظر: الأم، محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة-بيروت، ط بدون رقم / ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. (ج ٦/ص ٢٧٨).

(٥٤) ينظر: العدة في أصول الفقه، محمد بن الحسين الفراء، ت: أحمد بن علي المبارك، الناشر: بدون، ط ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. (ج ٥/ص ١٦٠٤).

(٥٥) ينظر: المدونة الكبرى، مالك بن أنس الأصبحي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط بدون رقم وتاريخ. (ج ٤/ص ٢٩١).

(٥٦) المستشرقون ومصادر التشريع، النشمي، (ص ١٦٦). نقلاً عن: A Text Book on Muslim Law

(٥٧) ينظر: المستشرقون ومصادر التشريع، النشمي. (ص ١٦٥-١٦٦).



المبحث الثاني: المصالح المرسلّة- الاستصلاح

تعد المصالح المرسلّة من المصادر المختلف عليها، ومع قلة من تعرّض لهذا المصدر من المستشرقين إلا أن أقوالهم بُنيت على جهل بحقيقته، ومن جملة أقوالهم ما يلي:

الشبهة الأولى: قد تقرر المصلحة حكمًا مغايرًا للشرع ومقاصده.

يقول: Goldziher : (من بين المذاهب السنية الأربعة يعترف المذهب المالكي (بالمصلحة) أي: ما يقتضيه الصالح العام فككرة ينبغي أن تكون الغاية من تطبيق أحكام الشريعة، وعلى ذلك فمن الممكن التخلي عن القواعد التي قررتها الشريعة إذا ما ثبت أن مصلحة الجماعة تتطلب حكمًا يغير حكم الشريعة).^(٥٨)

مناقشة الشبهة:

قوله ينبغي أولاً عن الجهل بخصائص الشريعة الإسلامية فضلاً عن مصادرها ومعانيها، وبيان ذلك:

١- ثبت بالاستقراء والنصوص أن الشريعة الإسلامية قد اشتملت على مصالح الناس، وهذه المصلحة واضحة بيّنة لذوي العقول المستقيمة، وإن اختلفت على البعض أو اختلفوا فيها، فمنشأ ذلك استيلاء تفكير آخر على عقل أحد الناظرين، فلم يدرك حقيقة المصلحة الثابتة في الحكم الشرعي.^(٥٩)

٢- مقاصد الشريعة الإسلامية ومصالحها، تنقسم إلى ثلاثة أقسام بحسب أهميتها:

* الضروريات: وهي المصالح التي لا بد منها في قيام أمر الدين والدنيا، وصيانة مقاصد الشريعة حتى لا تفسد الحياة وتختل، وللمحافظة عليها شرع الله المقاصد الخمسة، وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال.

* الحاجيات: هي المصالح والأعمال التي تستمر الحياة بدونها، ولكن مع الضيق والحرَج.

* التحسينيات: هي المصالح والأعمال التي تختل الحياة بدونها، ولا يحدث أي ضيق ومشقة، وإنما هي من باب رعاية أحسن المناهج، وأحسن الطرق للحياة.

٣- وقوله: (ينبغي أن تكون الغاية من تطبيق أحكام الشريعة) وهو قول لا يمارى فيه أحد، فإن المصلحة المرسلّة هي: كل منفعة داخلّة في مقاصد الشرع الضروريات الخمس، دون أن يكون لها اعتبار شاهد بالاعتبار أو الإلغاء، فإذا حدثت حادثة ولم نجد حكمها في نص ولا في إجماع، ووجدنا فيها أمراً مناسباً لتشريع الحكم، من شأنه أن يدفع ضرراً أو يحقق نفعاً، فهذا الأمر المناسب في هذه الحادثة يسمى (المصلحة المرسلّة).^(٦٠)

(٥٨) العقيدة والشريعة في الإسلام، Goldziher. (ص ٢٥٥).

(٥٩) ينظر: أصول الفقه، أبو زهرة، (ص ٢٧٧).

(٦٠) ينظر: الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح، أ.د. عبد الكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد-الرياض، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م. (ص ٣٨٦-٣٨٧).



مما يدل على استحالة أن تقرر الشريعة حكماً أو قاعدة لا تتضمن مصلحة الخلق أجمعين، والمصلحة المرسلة في حقيقتها تنطوي على مقاصد الشريعة ومصالحها، فلا يمكن أن تخالف نصاً أو حكماً أو قاعدة شرعية مقررة- كما يزعم- إذ ليست قائمة على الرأي المجرد.

يقول ابن القيم رحمه الله: (فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة).^(٦١)

وقد اشترط الأصوليون شروطاً للعمل بالمصالح المرسلة، تثبت فساد النتيجة الباطلة التي توصل إليها من مغايرة الحكم الشرعي-كما يزعم- ومن جملة الشروط:

* الملائمة لمقاصد الشرع فلا تنافي أصلاً من أصوله، ولا تعارض دليلاً من أدلته القطعية، متفقة مع المصالح التي يقصدها الشارع.

* أن تكون فيما عُقل معناه على التفصيل، وجرت على الأوصاف المناسبة المعقولة، التي إذا عُرِضت على العقول تلتقتها بالقبول، ولا مدخل لها في التعبدات لأن العبادات لا تعقل معناها على التفصيل، كالوضوء والصلاة ونحوها.

* أن ترجع المصالح المرسلة إلى حفظ أمر ضروري، ورفع حرج لا زم في الدين، فهي من الوسائل لا من المقاصد، راجعة إلى باب التخفيف لا التشديد.^(٦٢)

٤- عبّر بكلمة (المصلحة) ولعله يريد (المصلحة المرسلة) بدلالة تخصيصها بالمذهب المالكي، وقد تصدّر فعلاً المذهب المالكي في القول بالمصلحة المرسلة، ولكنه ليس الوحيد من بين المذاهب كما ظن ذلك، وعلى فرض أنه يريد المصلحة عموم المصلحة، فإن كلامه حينئذ لا يستقيم بتخصيص المذهب المالكي بها من باب أولى.^(٦٣)

٥- اتفق جمهور الفقهاء أن المصلحة معتبرة في الفقه الإسلامي، وكل مصلحة يجب الأخذ بها مادامت ليست شهوة أو هوى، ولا معارضة فيها للنصوص ولا مناهضة لمقاصد الشرع، غير أن الشافعية والحنفية يشددون في وجوب إلحاقها بقياس ذي علة منضبطة، فلا بد أن يكون ثمة أصل يقاس عليه، وأن تكون العلة الجامعة منضبطة ووعاء للمصلحة، وقال المالكية والحنابلة: إن الوصف المناسب الذي ستحقق فيه المصلحة، وإن لم يكن منضبطاً يصلح علة للقياس، وإذا كان كذلك فالمصلحة المرسلة من نوعه، فتكون ثابتة أصلاً؛ ولهذا فإن الفقهاء جميعاً يأخذون بالمصلحة المرسلة، وإن سموها وصفاً مناسباً، أو أدخلوها في باب القياس.^(٦٤)

الشبهة الثانية: المصادر متداخلة ودخيلة على الشرع

(٦١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ١٤١١/١هـ-١٩٩١م. (ج ٣/ص ١١).

(٦٢) ينظر: الاعتصام، الشاطبي، (ج ٣/ص ٣٥-٤١).

(٦٣) ينظر: موقف المستشرقين من مصادر التشريع، النشمي، (ص ١٧٠).

(٦٤) ينظر: أصول الفقه، أبو زهرة، (ص ٢٨٣-٢٨٤).



يقول Joseph Schacht: (وما زال المالكية يسلّمون به-أي الاستحسان- ولكنهم على وجه عام يؤثرون تسميته بالاستصلاح وهو نوع من القياس يقرر ما يعتبر أنه أصلح، ويأخذ الشافعية كذلك بالاستصلاح وينكرون الاستحسان في شدة متفقين في ذلك أثر إمامهم والواقع أن الطريقتان متماثلتان).^(٦٥)

مناقشة الشبهة:

إن قوله فيه خلط بين أنواع المصادر التشريعية بلا دليل، وجهل بمذاهب الفقهاء في التعامل مع مصادر التشريع قبولاً ورفضاً، وعدم تحرّي أقوال الأصوليين في المصادر والضوابط المشتركة، بل تم إثبات خلاف ذلك بأقوال الفقهاء فيما سبق، وأما تأويل موقف الشافعية في رفض الاستحسان وقبول الاستصلاح، وهو قول باطل سبق بيانه في مبحث الاستحسان.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين.. والعاقبة للمتقين.. ولا عدوان إلا على الظالمين..

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.. نبينا محمد وعلى آله صحبه أجمعين..

وبعد توفيق الله -عزّ وجلّ- وتمام فضله وإحسانه، فقد توصلت إلى النتائج التالية:

- (١) ليس في مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها والمختلف فيها، ما يستند على الهوى والرأي المجرد.
 - (٢) إثارة الشبهات حول مصادر التشريع، وأنها مصادر قائمة على الهوى والرأي المجرد زعم باطل، وقد ثبت بالاتفاق بين الفقهاء فساد ذلك ولم يقل به أحد من أهل العلم.
 - (٣) الخلط بين معاني المصادر التشريعية وأقسامها والجهل بشروطها، محاولة للربط بين الرأي المطلق والحاجة للتطوير والتجديد، وإمكانية مغايرة نص الكتاب وابتكار أحاديث لمسيرة للعصر.
 - (٤) ضرورة التفقه الصحيح بالمصادر التشريعية، ومعرفة مكانتها، وطرق التعامل معها والاستدلال بها.
- * صلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم *

(٦٥) أصول الفقه، Schacht، (ص ٩١-٩٢).



* القرآن الكريم (جل منزله وعلا).

- (١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، هـ.أ.ر. جيب، ترجمة: هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة-بيروت، ط/ بدون رقم/ ١٩٦٦م.
- (٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب العربي- دمشق، ط ١/ ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- (٣) الاستشراق تعريفه مدارسه آثاره، د. محمد فاروق النبهان، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. إيسيكو- الرباط، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
- (٤) الاستشراق والدراسات الإسلامية، أ.د. عبد القهار داود العاني، دار الفرقان- عمان، ط ١/ ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- (٥) الاستشراق والفقهاء الإسلاميين، د. محمد الدسوقي، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الخامس/ ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- (٦) أصول الفقه، **Joseph Schacht**، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد- عبدالرحمن يونس- حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط بدون رقم/ ١٩٨١م.
- (٧) أصول الفقه، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط/ بدون رقم وتاريخ.
- (٨) الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: محمد الشقير، دار ابن الجوزي- السعودية، ط ٢/ ١٤٣١هـ.
- (٩) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١/ ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- (١٠) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١/ ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- (١١) آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، د. حسن عزوزي، مطبعة أنفو- فاس، ط بدون رقم/ ٢٠٠٦م.



- (١٢) الأم، محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة-بيروت، ط بدون رقم/ ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- (١٣) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، دار الكتبي، ط ١/١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- (١٤) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، أبو القاسم شمس الدين الأصفهاني، دار المدني-السعودية، ط ١/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- (١٥) الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح، أ.د.عبدالكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد-الرياض، ط ١/١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- (١٦) دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: محمد ثابت الفندي-أحمد الشنتناوي-إبراهيم زكي خورشيد-عبد الحميد يونس، ط/بدون رقم-١٩٣٤م.
- (١٧) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي-مصر، ط ١/١٣٥٨هـ-١٩٤٠م.
- (١٨) الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح-الكويت، ط ٤/١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- (١٩) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، موفق الدين ابن قدامة، المكتبة المكية-مكة، ط ٢/ص ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- (٢٠) العدة في أصول الفقه، محمد بن الحسين الفراء، ت: أحمد بن علي المبارك، الناشر: بدون، ط ٢/١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- (٢١) العقيدة والشريعة في الإسلام، Goldziher، ترجمة وتعليق: محمد موسى- علي عبدالقادر-عبد العزيز عبدالحق، دار الكتب الحديثة-مصر، ط ٢/٢٠٠٩م.
- (٢٢) علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاّف، مكتبة الدعوة الإسلامية-الأزهر، ط ٨/١٣٦١هـ-١٩٤٢م.
- (٢٣) فصول البدائع في أصول الشرائع، شمس الدين الفناري الرومي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ١/١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- (٢٤) قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١/١٤١٨هـ-١٩٩٩م.



- (٢٥) المحصول، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، تحقيق: د. طه علواني، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط٣/١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- (٢٦) المدونة الكبرى، مالك بن أنس الأصبحي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط بدون رقم وتاريخ.
- (٢٧) المذهب الحنفي، أحمد محمد النقيب، مكتبة الرشد-الرياض، ط١/١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- (٢٨) المذهب عند الشافعية، محمد الطيب اليوسف، مكتبة دار البيان الحديثة-السعودية، ط١/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- (٢٩) المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، د. عجيل جاسم النشمي، الكويت، ط١/١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- (٣٠) مناقشة آراء المستشرقين حول التشابه والاختلاف في القواعد والأحكام بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني، عبد الرحمن بن محمد المكي، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م. رسالة ماجستير.
- (٣١) موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين-بيروت، ط٣/١٩٩٣م.
- (٣٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية-الرياض، ط٥/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (٣٣) الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، مؤسسة قرطبة-بغداد، ط٦/١٩٧٦م.
- (٣٤) الوجيز في أصول الفقه، وهبة الزحيلي، دار الفكر-دمشق، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٩م.



(وقولوا للناس حسناً)

د. سامية بنت عطية الله المعبدي - الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

Email: Samoabady@uqu.edu.sa

ملخص البحث

يُعنى هذا البحث بما ورد في القرآن الكريم من آيات تتعلق بالقول الحسن والكلمة الطيبة؛ وذلك بهدف الوقوف على منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الإحسان في القول، وترغيبه سلوك سبيله. كذا يهدف البحث إلى إبراز المواطن التي يتأكد فيها الإحسان القولي، وإظهار ما يترتب عليه من ثمرات دنيوية وأخروية. وقد استعمل في تحقيق تلك الأهداف المنهج الاستقرائي الاستنباطي. وكان من أهم نتائج هذا البحث ما يلي:

- يدخل في معنى القول الحسن كل كلام مستحسن شرعاً وعقلاً.
 - تنوعت أساليب القرآن الكريم في الحث على الإحسان في القول.
 - وجوب الإحسان في القول لأمر الله تعالى به؛ والأمر يقتضي الوجوب.
 - القول الحسن من وسائل حماية المسلم من أن يوقع الشيطان بينه وبين غيره من المسلمين.
 - من صور الإحسان في القول التلطف في الخطاب الدعوي.
 - للإحسان في القول الكثير من الثمرات التي يجنيها صاحبه في الدنيا والآخرة.
- أما أهم التوصيات التي يوصي بها البحث فهي كالتالي:
- الدراسة المتعمقة للأساليب القرآنية والنبوية التي تحقق الحياة الطيبة للفرد والمجتمع؛ بحيث يفرد كل أسلوب منها ببحث خاص به مع ربط ذلك بالواقع.
 - الاهتمام بالقواعد القرآنية التي ذكرها الله تعالى في كتابه، والاهتمام بدراساتها والكتابة حولها.
- الكلمات المفتاحية:** إحسان- قول- أسلوب- ثمرات- تلطف.



Abstract

This research is concerned with the verses mentioned in the Holy Qur'an related to good speech and kind words; aiming to identifying the approach of the Holy Qur'an in calling for benevolence in speech, and encouraging to follow its path. Also, the research aims to highlight the situations in which verbal benevolence is confirmed, and to reveal the consequences of this worldly and the hereafter fruit. To achieve these objectives, the inductive and deductive approach was used.

The most important findings:

- The meaning of good speech includes all words that are acceptable in Sharia and rationality.
- The methods of the Holy Qur'an varied in urging benevolence in speech.
- The ought to benevolence in speech since it is the command of God Almighty; and it is obligatory.
- Good speech is one of the means of protecting from the devil discord between Muslims.
- One of the forms of benevolence in speech is kindness in the mission discourse.
- Benevolence in speech has a lot of fruits that its owner reaps in this world and the hereafter.

The most important recommendations:

- In-depth study of the Qur'anic and Prophetic methods that achieve a good life for the individual and society; each method must be for a unique research with linking that to reality.
- Paying attention to the Quranic rules mentioned by God Almighty in his book, and paying attention to studying and writing about them.

Keywords: Charity - Speech - Style - Fruits - Kindness.



الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فكان الإسلام الذي أتمه الله تعالى وأكمّله وارتضاه لعباده منهج حياة، مشتملا على كل ما يحتاجه العباد في

شؤون دينهم ودنياهم، هاديا لهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، مرشدا إياهم إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم. ومن جملة ما دعا إليه الإسلام، وكان محط عنايته واهتمامه الأمر بالإحسان في القول؛ إسعادا للخلق في ظل الحياة الطيبة القائمة على المنهج الحق، من هنا وقع اختياري لهذا الموضوع وجعلت له عنوانا من آيات الكتاب الحكيم، المعجز لفظه البين معناه، فكان هذا البحث الموسوم بـ(وقولوا للناس حسنا)

أهمية الموضوع:

1- تظهر أهمية هذا الموضوع من جهة أنه أحد موضوعات القرآن الكريم التي حث عليها، ونوع أساليب الدعوة إليها.

٢- ارتباطه بما أمر سبحانه من تدبر آيات الكتاب لفهم معانيها والعمل بمقتضاها ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ

لِيَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص الآية ٢٩]

٣- عظم الثمرات التي يجنيها العباد من التعامل فيما بينهم بالقول الحسن.

٤- إبراز شمولية الدين الإسلامي وأنه لا يأمر بشيء ويؤكد عليه إلا كان فيه الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

مشكلة البحث: تظهر مشكلة البحث من خلال إجاباته على الأسئلة الآتية

- ما هي الأساليب التي حض بها القرآن الكريم على الإحسان القولي؟

- ما المواطن التي يتأكد فيها القول الحسن؟ وما هي ثمراته؟

الدراسات السابقة:

لم أقف فيما بحثت فيه من قواعد البيانات على بحث أو رسالة علمية في هذا الموضوع.

منهج البحث: سألتبع في هذا البحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي، حيث أقوم بتتبع الآيات التي ورد فيها القول الحسن وتحليلها، واستنباط وجه الدلالة منها.

إجراءات البحث: قمت في هذا البحث باتباع الإجراءات التالية

- جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع البحث.

- إثبات الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية، ووضع الآيات بين الأقواس المزهرة.

- تخريج الأحاديث من المصادر المعتمدة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بالعزو إلى موضعه فيهما. وإن كان في غيرهما فإني أتبعه من أصول كتب السنة مع ذكر حكم العلماء عليه.



- وثقت ما استفدته من كلام العلماء وآرائهم فإن كان ما استفدته منهم بنصه وضعته بين علامات التنصيص المعروفة وأحلت في الهامش إلى مصدره مباشرة، وإن كان بمعناه فقد وضعته دون علامات تنصيص وأحلت إليه في الهامش بكلمة (انظر).

- إيضاح الغريب من الألفاظ والمصطلحات من خلال المعاجم اللغوية.

- الإحالة إلى جميع بيانات المصادر والمراجع بذكرها كاملة في ثبت المصادر والمراجع، والاكتفاء باسم الكتاب، واسم المؤلف أو شهرته، والجزء والصفحة في الحاشية.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: وفيه التعريف بالقول الحسن.

المبحث الأول: أساليب القرآن في الحث على الإحسان القولي، وفيه أربعة مطالب كالاتي: المطلب الأول الأمر به، المطلب الثاني ضرب الأمثال، المطلب الثالث الترغيب، المطلب الرابع التحذير.

المبحث الثاني: مواطن يتأكد فيها الإحسان في القول، وفيه خمسة مطالب: المطلب الأول: التلطف في القول مع الوالدين، المطلب الثاني: التلطف في الخطاب مع الأبناء والزوجة، المطلب الثالث: التلطف في الخطاب الدعوي، المطلب الرابع: الإحسان في القول عند رد التحية، المطلب الخامس: الإحسان في القول عند رد السائل.

المبحث الثالث: ثمرات القول الحسن.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات. تلتها قائمة بالمصادر والمراجع.

ومن ثمّ قاله أسأل العون والسداد، والتوفيق والرشاد، وأن يجعله عملاً صالحاً مقبلاً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد: التعريف بالقول الحسن

معنى القول: الْقَافُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَقُولُ كَلِمَةً، وَهُوَ الْقَوْلُ مِنَ النُّطْقِ. يقال: قَالَ يَقُولُ قَوْلًا. والمَقُولُ: اللِّسَانُ. وَرَجُلٌ قَوْلُهُ وَقَوْلٌ: كَثِيرُ الْقَوْلِ.^(١) و"الْقَوْلُ: الكلام على الترتيب، والقول هو اللفظ الموضوع لمعنى. (٢)

معنى الحسن: الحاء والسين والنون أصل واحد، يُقَالُ حَسَنٌ وَحَسَنٌ يَحْسُنُ حُسْنًا، فَهُوَ حَاسِنٌ وَحَسَنٌ. قال الليث: الحُسْنُ نعت لما حَسَنَ. والحُسْنُ ضد القبح ونقيضه، وهو عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مُستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحس.^(٣)

(١) - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤/٢٠٥)

(٢) - المعجم الاشتقاقي الموصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن، (٤/١٨٢٥)

(٣) - انظر معجم مقاييس اللغة، (٢/٤٥)؛ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٢٣٥



أما القول الحسن فيمكن تعريفه بأنه: ما عرف حسنه شرعا وعقلا، فكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال فهو داخل في معنى القول الحسن. يقول البلالي: "يأمرهم الله أن يقولوا التي هي أحسن على وجه الإطلاق، وفي كل مجال فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه" (٤)

المبحث الأول: أساليب القرآن في الحث على الإحسان القولي

المطلب الأول الأمر به: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣] أمر سبحانه بإحسان القول ومخاطبة الناس بالكلام الطيب الذي يجلب المودة، ويؤلف بين القلوب، ويرغب في الخير، ويوجب لصاحبه القبول فقال ﷺ (وقولوا للناس حسنا) أي قولوا هو الحسن في نفسه لإفراط حسنه (٥)، يقول الحسن البصري: لين القول، من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله وأحبه (٦). والأمر بالقول الحسن لا يختص بأحد بل هو عام في التعامل مع كافة الناس، قال الربيع: هذا على العموم في تحسين المقالة للناس كلهم (٧)، وقال القرطبي: "وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً ووجهه منبسطة طلقاً مع البر والفاجر، والسني والمبتدع من غير مداينة" (٨)، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضى مذهبه" (٩)

ومما يلفت الانتباه أن هذا الأمر الإلهي والتوجيه الرباني قد جاء ضمن بنود الميثاق الذي عقده الله تعالى بينه وبين بني إسرائيل، هذا الميثاق الذي اشتمل على جملة من الأصول الثابتة في دين الله يقول السعدي: "وهذه الشرائع من أصول الدين، التي أمر الله بها في كل شريعة، لاشتمالها على المصالح العامة، في كل زمان ومكان، فلا يدخلها نسخ، كأصل الدين" (١٠)؛ مما يدل على أهمية القول الحسن، وأنه في موضع الوجوب. كما أن التعبير بالمصدر، ووضع موضع الاسم يدل على المبالغة في التأكيد، والحث على إحسان القول، والحض على التلطف في الخطاب.

كذا جاء الأمر بالقول الحسن في قوله ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ

لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣] قال الطبري: "وقل يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من

المحاوراة والمخاطبة" (١١)، فأمر بالكلمة الطيبة والمقالة التي هي أحسن من غيرها، وعم ذلك "ما يكون من الكلام في التخطيب العادي بين الناس، حتى ينادي بعضهم بعضاً بأحب الأسماء إليه. وما يكون من البيان العلمي فيختار أسهل العبارات وأقربها للفهم حتى لا يحدث الناس بما لا يفهمون، فيكون عليهم حديثه فتنة وبلاء. وما يكون من الكلام في مقام التنازع والخصام فيقتصر على ما يوصله إلى حقه في حدود الموضوع المتنازع فيه، دون أذائية لخصمه، ولا

(٤) - البيان في مداخل الشيطان، عبد الحميد البلالي، ص ١٦٣

(٥) - غرائب القرآن ورجائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري، (٣٢٥/١)

(٦) - جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (٢/ ٢٩٦)

(٧) - الوسيط؛ الواحدي؛ (١/ ١٦٦)

(٨) = المداينة كالمصانعة. قال الله تعالى (ودوا لو تدهن فيدهنون) وقال قوم: داهنت بمعنى وارتيت، وأدهنت بمعنى غششت. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (٥/ ٢١١٦) وقال الجرجاني: المداينة هي أن ترى منكرا وتقدر على دفعه ولم تدفعه حفظا لجانب مرتكبه أو جانب غيره أو لقلّة مبالاة في الدين. التعريفات، ص ٢٦٥

(٩) - الجامع لأحكام القرآن؛ (٢/ ١٦)

(١٠) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ ص ٥٧

(١١) - جامع البيان في تأويل القرآن؛ الطبري؛ (١٧/ ٤٦٩)



تعرض لشأن من شؤونه الخاصة به. وما يكون من باب إقامة الحجة وعرض الأدلة، فيسوقها بأجلى عبارة وأوقعها في النفس، خالية من السب والقبح، ومن الغمز والتعريض، ومن أدق تلميح إلى شيء قبيح" (١٢)

ولم تقتصر الآية على الأمر بالقول الحسن بل جاء فيها الأمر باختيار ما هو الأحسن من الأقوال قال ابن باديس: "وأفاد قوله تعالى "أحسن" بصيغة اسم التفضيل أن علينا أن نتخير في العبارات الحسنة، فننتقي أحسنها في جميع ما تقدم من أنواع مواقع الكلام" (١٣)؛ إذ كلما كان القول أكمل في الحسن فهو أولى؛ لأثره الطيب على النفس؛ من هنا كان رسول الله ﷺ تعجبه الكلمة الطيبة ويعدّها من الفأل الحسن فعن أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: "لَا عُدْوَى، وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْقُلُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ" (١٤)

كما عدّ ﷺ حسن القول من علامات الإيمان ففي حديث أبي شريح رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ) (١٥) يقول ابن حجر: "هذا من جوامع الكلم؛ لأن القول كله إما خير وإما شر، وإما آيل إلى أحدهما، فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها، وندبها فأذن فيه على اختلاف أنواعه، ودخل فيه ما يؤول إليه، وما عدا ذلك مما هو شر، أو يؤول إلى الشر، فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت... ومن كان حاملاً الإيمان فهو متصف بالشفقة على خلق الله قولاً بالخير وسكوتاً عن الشر، وفعلاً لما ينفع، أو تركاً لما يضر" (١٦)

ومما يستدل به على الأمر بإحسان القول قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠] فقله (قولا سديدا) أي صدقا وصوابا، أو قاصدا إلى الحق؛ لأن السداد القصد إلى الحق (١٧) "فبالقول السديد تشيع الفضائل والحقائق بين الناس فيرغبون في التخلق بها" (١٨)

المطلب الثاني ضرب الأمثال: أسلوب ضرب المثل من الأساليب الناجعة في تقريب المعنى وتصويره في ذهن السامع؛ "والتذكّر المرجو بضرب المثل هو التفهم والتصور للمعاني المدركة بالعقل، فمتى أبرزت بالمحسوسات لم يُنَازَع فيها الحس والخيال والوهم، وانطبق المعقول على المحسوس، فحصل الفهم والوصول إلى المطلوب" (١٩) لذا استعمله القرآن الكريم للتمثيل للكلمة الطيبة، وترغيبه سلوك سبيلها، وبيانها أصالتها واستمرار خيرها ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥] فضرب سبحانه المثل للكلمة الطيبة التي هي أصل كل خير، أعلاها كلمة التوحيد، وفرعها كل ما يترتب عليها من عمل صالح وقول طيب، "فتشمل كل كلمة تدل على هدى أو ترد عن ردى، كل كلمة تطيب قلبا و تنشر خيرا، كل كلمة تصلح بين اثنين، أو تفصل بين متنازعين، أو تحل مشكلاً، أو تكشف غامضاً، أو تدفع

(١٢) - تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)؛ عبد الحميد بن باديس؛ ص ١١٣

(١٣) - المرجع السابق، ص ١١٤

(١٤) - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأدب، باب الطيرة والأفال وما يكون فيه من الشؤم، (٤ / ١٧٤٦) ح [٢٢٢٤]

(١٥) - جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب حفظ اللسان، (٨ / ١٠٠)، ح [٦٤٧٦]، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب

الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، (١ / ٦٩)، ح [٤٨]

(١٦) - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، (١٠ / ٤٤٦)

(١٧) - الأساس في التفسير، (٨ / ٤٤٨)

(١٨) - التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٢ / ١٢٢)

(١٩) - البحر المحيط في التفسير، (٦ / ٤٣١)



تأثيراً، أو تسكن غضباً" (٢٠) ضرب لها مثلاً بالشجرة الطيبة ثابتة الجذور، راسخة العروق، سامقة الفروع، "فكما أن الشجرة الطيبة الجنس هي التي ترسخ في الأرض وتعلو في الجو وتنمو على أحسن وجه وتؤتي ثمرها طيباً في كل موسم بدون إخلال كذلك الكلمة الطيبة هي التي تكون ذات أثر مفيد صالح ومستمر في كل وقت ومجال. وكما أن الشجرة إذا خبت جنسها لا ترسخ في الأرض ولا تعلو في السماء ولا تؤتي إلا أردأ الثمر وتقتلع بسهولة، كذلك الكلمة الخبيثة فإنها لا قرار ولا ثبات لها ولا نفع فيها" (٢١)، يقول ابن القيم: "شبه الله سبحانه الكلمة الطيبة - كلمة التوحيد- بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة تثمر الثمر النافع" (٢٢)، فالكلمة الطيبة أصلها ثابت في قلوب أهل الإيمان، وما يصدر عنها من أفعال زكية وأعمال صالحة إنما هو فرعها الذي في السماء، قال القرطبي: "فالإيمان ثابت في قلب المؤمن، وعمله، وقوله وتسيحه عالٍ مرتفع في السماء ارتفاع فروع النخلة" (٢٣)، وما يَكْسِبُ من بركة الإيمان وثوابه كما ينال من ثمرة النخلة في أوقات السنة كلها" (٢٤)، لقد شُبِّهَت تلك الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لبيان أن كلمة الحق ثابتة الجذور، سامقة الفروع لا تُزعزعها أعاصير الباطل، ولا تحطمها معاول الهدم والطغيان، تقارع الكلمة الطيبة كلمة الباطل فتجنتها فلا قرار لها ولا بقاء.

المطلب الثالث الترغيب: رغب القرآن الكريم في الكلمة الطيبة، وأغرى قائلها من جهة ذكر فضائلها وحسن عواقبها، مَنْ ﴿كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: 10] فكل كلام طيب كذكر الله أو هو الله كالنصيحة والعلم، أو كان دعوة إلى الحق والإصلاح وتنبيهها على سبل الفساد والضلال ونحو ذلك فهو إلى الله يصعد، ومعنى صعوده "قبوله تعالى إياه، أو صعود الكتبه بصحيفته" (٢٥)، وفي الإتيان بقوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ بعد الإخبار بأن ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ نكتة بلاغية أشار إليها سعيد حوى بقوله "إن للتعقيب المباشر بذلك بعد ذكر الحقيقة الضخمة مغزاه وإيحائه؛ فهو إشارة إلى أسباب العزة ووسائلها لمن يطلبها عند الله، القول الطيب والعمل الصالح. القول الطيب الذي يصعد إلى الله في علاه؛ والعمل الصالح الذي يرفعه الله إليه ويكرمه بهذا الارتفاع، ومن ثم يكرم صاحبه ويمنحه العزة والاستعلاء" (٢٦).

كذلك جاء الترغيب بالكلمة الطيبة حين بين سبحانه أثرها بقوله ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] فلا يستوي الإحسان إلى العباد بالقول أو الفعل ولا الإساءة إليهم، بل هما متفاوتان في ذاتهما وفي وصفهما وفي جزاءهما، لذا أمر ﷺ بالإحسان فقال ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا﴾

(٢٠) - انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج (١ / ١٨٠)

(٢١) - التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، (٥ / ٢٣١)

(٢٢) - إلام الموقعين عن رب العالمين؛ (١ / ١٣٢)

(٢٣) - أكثر المفسرين على أن الشجرة هي النخلة. انظر جامع البيان في تأويل القرآن، (١٦ / ٥٧٠-٥٧٢)؛ تفسير القرآن العظيم، (٤ / ٤٩٣)؛ البحر المحيط في التفسير، (٥ / ٤١٠) وغيرها

(٢٤) - الجامع لأحكام القرآن، (٩ / ٣٥٩)

(٢٥) - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (٤ / ٢٥٥)؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، (٧ / ١٤٥)

(٢٦) - الأساس في التفسير، سعيد حوى، (٤ / ٥٧٥)



"والدفع يكون بالقول كما يكون بالفعل" (٢٧). قال ابن بطال: "طيب الكلام من جليل عمل البر" (٢٨)، فمن اعترضته السيئة فليقبلها بالحسنة وليدفعها بها، فإن فعل كانت النتيجة ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ قال ابن عباس: "أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم" (٢٩)، ثم بين ﷺ أن هذه الخصلة الحميدة ما يلقاها إلا الذين صبروا "نفوسهم على ما تكره وأجبروها على ما يحبه الله" (٣٠)؛ ذلك أن النفوس مجبولة على مقابلة الشر بالشر، ودفع الإساءة بمثلاً فلا يحملها على ضد ذلك إلا مجاهدة النفس وحملها على الصبر. وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم "لكونها من خصال خواص الخلق التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة" (٣١)

كذا رغب القرآن في حسن القول والكلمة الطيبة بذكر عظيم أجرها، وما يجنيه العبد بها من الثواب والجزاء؛ فبين ﷺ للعباد أن من الأقوال ما يكون سبباً للنجاة والفوز في الآخرة، والقرب من الله والزلفى لديه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] قال النسفي: "راقبوا الله في حفظ ألسنتكم، وتسديد قولكم؛ فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها، ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها" (٣٢)، وقال ابن كثير: "وعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم، أي يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها" (٣٣)؛ فترتب مثل هذا الجزاء العظيم على القول الحسن يدفع المؤمن إلى الالتزام، ويجعله حريصاً على قول الحق والكلام الطيب. وفي الآية دلالة على أن تقوى الله تعالى وحفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير لذا ورد عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا (٣٤)، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» (٣٥). قال النووي: "في هذا الحديث حث على حفظ اللسان فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق، فإن ظهرت فيه مصلحة تكلم، وإلا أمسك" (٣٦). فكم من كلمة طيبة دفعت عن مسلم أذى، أو نصرت مظلوماً، أو فرجت كربة، أو علمت جاهلاً، أو ذكرت غافلاً، أو هدت ضالاً، أو رابت صدعاً أو أطفأت فتنة، كتب الله لصاحبها الرضوان، وكم من كلمة خبيثة مزقت بين القلوب، وفرقت بين الصفوف، وزرعت الأحقاد والضغائن في النفوس، فهوت بصاحبها إلى النار.

وكما رغب القرآن الكريم في القول الحسن بذكر أثره الدنيوي وجزاءه الأخروي، رغب فيه رسول الله ﷺ ببيانه لعظم ما أعده الله لصاحبه من الجزاء، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا فَقَالَ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ

(٢٧) - فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٠ / ٤٨٨)

(٢٨) - المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة

(٢٩) - فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٨ / ٥٦١)؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٥ / ١٦)

(٣٠) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص ٧٤٩

(٣١) - المرجع السابق، نفس الصفحة

(٣٢) - تفسير النسفي، (٣ / ٤٥٧)

(٣٣) - تفسير القرآن العظيم، (٦ / ٤٣٠)

(٣٤) - (لا يلقي لها بالاً) أي لا يبالى بها ولا يلتفت إلى معناها خاطره ولا يعتد بها ولا يعيها بقلبه. انظر صحيح البخاري بتعليق مصطفى البغا، (٨ / ١٠١)

(٣٥) - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حفظ اللسان، (٨ / ١٠١)، ح [٦٤٧٨]

(٣٦) - فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١١ / ٣١١) بتصرف.



الطَّعَامَ وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٣٧)، ورغب ﷺ بها حين بين أن الكلمة الطيبة صدقة، وحصنا من النار عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ النَّارَ، فَتَعَوَّدَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّدَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ - قَالَ شُعْبَةُ: أَمَّا مَرَّتَيْنِ فَلَا أَشْكُ - ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِكْلِمَةً طَيِّبَةً»^(٣٨)؛ قال ابن بطال: "وجه كون الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به قلب الذي يعطاه ويذهب ما في قلبه، وكذلك الكلام الطيب، فاشتبهت من هذه الحيثية" ^(٣٩)، بل قد بين ﷺ أن المسلم الحق هو من سلم المسلمون من لسانه ويده؛ قال ابن حجر في تعليقه على الحديث: "يُبَيِّنُ علامة المسلم التي يستدل بها على إسلامه وهي سلامة المسلمين من لسانه ويده" ^(٤٠).

ومن وسائل القرآن الكريم للترغيب في الكلمة الطيبة حصره الخيرية فيها، فنفي ﷺ الخير عن كل قول إلا قولاً طيباً يدعو إلى البر ويرغب في الخير قال تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤] "فهذه الآية عامة للناس يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير" ^(٤١)، وعن أم حبيبة رَوَى النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ الماوردي: "فينبغي لمن يقدر على إسداء المعروف أن يعجله حذار فواته ويبادر به خيفة عجزه، وليعلم أنه من فرص زمانه، وغنائم مكانه، ولا يهمله ثقة بالقدرة عليه فكم من واثق بالقدرة فاتت فأعقت ندماً، ومعوّل على مكنة زالت فأورثت خجلاً ... ولو فطن لنوائب دهره وتحفظ من عواقب أمره لكانت مغانمه مذخورة ومغارمه مجبورة" ^(٤٢).

ومن طرق القرآن في الترغيب في الكلم الطيب بيانه أنه مما هدى الله إليه عباده المؤمنين

قال تعالى ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤] "وهداية الله لهم إلى الطيب من القول في الدنيا، تصدق بالشهادتين، والتوسل إلى الله بجميع الأذكار المشروعة والأقوال الطيبة، المتعلقة بالبر والخير والإصلاح بين الناس، وخصوصاً الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهداية الله لهم إلى الطيب من القول في الآخرة، تصدق بمثل قولهم فيها قولته تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۚ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] قال تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۚ وَقَالُوا الْحَمْدُ

(٣٧) - المستدرک علی الصحیحین، النیسابوری، (١/ ١٥٣) قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، فَقَدْ اخْتَجَا جَمِيعًا بِحَبِيٍّ وَهُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُذَجَّجِيُّ صَاحِبُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَيُقَالُ مَوْلَاهُ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» وقال الذهبي: على شرطهما. قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢/ ٢٥٤) رواه أحمد والطبراني في "الكبير"، وإسناده حسن.

(٣٨) - أخرجه البخاري في صحيحه، باب طيب الكلام، (٨ / ١١)، ح [٦٠٢٣]؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، باب الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حَجَابٌ مِنَ النَّارِ، (٢ / ٧٠٢)، ح [١٠١٦]

(٣٩) - فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ (١٠ / ٤٤٩)

(٤٠) - المرجع السابق، (١ / ٥٣)

(٤١) - الوسيط في تفسير القرآن المجيد؛ (٢ / ١١٥)

(٤٢) - المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد الحميد بن حميد، ص ٤٤٨؛ المعجم الكبير، الطبراني، (٢٣ / ٢٤٣)، مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي،

(١٣ / ٥٦) قال حسين أسد محقق مسند أبي يعلى: إسناده حسن.

(٤٣) - الجامع لأحكام القرآن، (٥ / ٣٨٣)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد طنطاوي، (٣ / ٣٠٨)



لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣]، وما تتلقاهم به في الدار الآخرة ملائكة الرحمن، من البرور والرعاية ومزيد الإحسان^(٤)

كذلك من وسائل الترغيب في الإحسان القولي الثناء على أهله قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فأخبر الله ﷻ بأسلوب الترغيب القائم على المفاضلة؛ استنهاضا للهم أن أحسن الناس قولاً هو من دعا إلى الله، فهدى بقوله إلى صراط الله المستقيم، وحث على الامتثال لأوامر الدين، والانتهاز عما نهى عنه رب العالمين. يقول السعدي: "هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد (أحسن قولاً) أي: كلاماً وطريقةً وحالةً (مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام، وتحسينه ومجادلة أعدائه بالتبلي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الدعوة إلى الله تحبيبه إلى عباده بذكر تفاصيل نعمه وسعة جوده وكمال رحمته وذكر أوصاف كماله ونعوت جلاله، ومن الدعوة إلى الله الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على مكارم الأخلاق والإحسان إلى عموم الخلق ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام وبر الوالدين ومن ذلك الوعظ لعموم الناس في أوقات المواسم والعوارض والمصائب بما يناسب ذلك الحال إلى غير ذلك مما لا تنحصر أفرادها بما تشمله الدعوة إلى الخير كله والترهيب من جميع الشر " (٤٥). وقرنت الآية بين الدعوة إلى الله، وبين العمل الصالح وإظهار الالتزام به وذلك في قوله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فهو مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو بنفسه إلى امتثال أمر الله، بالعمل الصالح الذي يرضي ربه، وقال إنني من المنقادين لأمره، السالكين في طريقه، وهذه المرتبة تمامها للصديقين الذين عملوا على تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم (٤٦)

كذا رغب سبحانه في الكلمة الطيبة بجعلها من الصفات التي أوجبت الثناء منه تعالى لعباده فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، فإنهم إذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول، والسادد من الخطاب (٤٧)؛ ترفعا، واستعلاء، وصيانة للوقت والجهد أن ينفقا فيما لا يليق، فالإسلام قد ربى أبنائه على حسن القول، والرقي في الخطاب، والترفع عن مقابلة الكلام الفاحش بمثله.

كذا مما أثنى به عليهم من الصفات التي كانت سبب ظفرهم بمقصدتهم، وفلاحهم في الدنيا والآخرة ما ورد في قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)﴾ [المؤمنون: ١ - ٣] واللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى، كالكذب والشتم والهزل، يعني أن لهم من الجد ما شغلهم عن الهزل (٤٨) قال السعدي: "نزهوا

(٤٤) - التيسير في أحاديث التفسير، محمد الناصري، (٤/ ١٦٨)؛ وانظر زاد المسير، (٥/ ٤١٨)؛ التحرير والتنوير، (١٧/ ١٦٩)

(٤٥) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٤٩

(٤٦) - المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤٧) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٩/ ٢٩٥)

(٤٨) - تفسير النسفي، (٣/ ٩٧)



أنفسهم وأكرموها عن الخوض فيه ورأوا أن الخوض فيه وإن كان لا إثم فيه فإنه سفه ونقص للإنسانية والمروءة فربأوا بأنفسهم عنه" (٤٩)، من هنا وجه الرسول ﷺ الصائم عند تعرضه للشتم أن يتجنب الرد بالمثل، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (الصَّيَّامُ جُنَّةٌ فَلَا يَزِفْتُ وَلَا يَجْهَلُ وَإِنْ أَمْرٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فِيمَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَنْزُكُ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَشَهْوَتُهُ مِنْ أَجْلِي، الصَّيَّامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا) (٥٠)، قال النووي: "وقوله ﷺ (فليقل إنني صائم إنني صائم) اختلفوا في معناه، فقيل: يقوله بلسانه جهراً يسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالباً، وقيل: لا يقوله بلسانه، بل يحدث به نفسه؛ ليمنعها من مشاتمته ومقاتلته ومقابلته ويحرص صومه عن المكدرات، ولو جمع بين الأمرين كان حسناً. ثم قال: واعلم أن نهى الصائم عن الرفث والجهل والمخاصمة والمشاتمة ليس مختصاً به، بل كل أحد مثله في أصل النهي عن ذلك لكن الصائم أكد" (٥١)

المطلب الرابع التحذير: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣] فلما أمر ﷺ عباده أن يقولوا الكلمة الأحسن سواء في مخاطبتهم لإخوانهم من المؤمنين، أو في مخاطبتهم مع الكافرين؛ علل للجانب الأهم وهو قول الكلمة الأحسن للمؤمنين فقال ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ فحذرهم من أن يوقعهم الشيطان بنزغ في شباك العداوة والبغضاء والافتتال، ويغري بعضهم على بعض؛ ليقع بينهم المشاققة إذ النزغ إيقاع الشر، وإفساد ذات البين، فيوقع الشيطان الشر والمخاصمة والمقاتلة. (٥٢) قال السعدي: "يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم ودنياهم. فدواء هذا أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها، وأن يلينوا فيما بينهم لينقمع الشيطان الذي ينزغ بينهم فإنه عدوهم الحقيقي الذي ينبغي لهم أن يحاربوه فإنه يدعوهم {ليكونوا من أصحاب السعير}" (٥٣)

كذا حذر النبي ﷺ من القول البذيء والكلام الفاحش، وبين أنه يتنافى مع كمال الإيمان، عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: "أليس المؤمن بالظَّعَانِ ولا اللَّعَانِ ولا الفاحش البذيء" (٥٤)، وبوب ابن حبان على هذا الحديث بقوله: "ذكر نفي اسم الإيمان عن أتى ببعض الخصال التي تنقص بإتيانه إيمانه" (٥٥)

المبحث الثاني: مواطن يتأكد فيها الإحسان في القول

المطلب الأول: التلطف في القول مع الوالدين. فالوالدان أعظم الخلق حقاً، أوجب الله ﷻ الإحسان إليهما بعد الأمر بتوحيده قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] ومن صور الإحسان إلى الوالدين "برهما، ومراعاة حقهما، والوقوف

(٤٩) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٨٧

(٥٠) - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان وَقَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، (٢/ ٦٧٠)، ح [١٧٩٥]، وباب هل يقول إنني صائم إذا شتم، (٢/ ٦٧٣)، ح [١٨٠٥]؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، (٢/ ٨٠٧)، ح [١١٥١]

(٥١) - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (٢٨/٨- ٢٩)

(٥٢) - الأساس في التفسير، (٦/ ٣٠٨٣)، وانظر تفسير النسفي، (٢/ ٥٧)

(٥٣) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٦٠

(٥٤) - أخرجه الحاكم في المستدرک (١/ ٥٧) وصححه. وأخرجه أحمد في مسنده، (٣٨٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد، ص ١٦٢، والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، (٤/ ٣٥٠)، ح (١٩٧٧). قال الالباني: صحيح

(٥٥) - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان، (١/ ٤٢١)



عند إشارتهما، والقيام بخدمتهما، وملازمة ما كان يعود إلى رضاها وحسن عشرتهما ورعاية حرمتها، وألا يبدى شواهد الكسل عند أوامرها، وأن يبذل المكنة فيما يعود إلى حفظ قلوبهما^(٥٦)، ولا يقتصر الإحسان إليهما حال حياتهما بل حتى بعد موتتهما بالدعاء والاستغفار لهما، والصدقة عنهما، وحفظ وصيتهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقيهما والإحسان إلى من كان من أهل ودّهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

والإحسان إلى الوالدين وإن كان مطلوباً بالقول والفعل، إلا أن الله تعالى قد أكد على الإحسان لهما بالقول؛ لما للكلمة من أثر عميق على النفس، لاسيما في الوقت الذي يفتقر فيه والدان إلى من كان أفقر الناس إليهما، ويحتاجان إلى من كان محتاجاً إلى عونهما، لذا نهى عن إيذائهما بالقول، وبالع في المنع من ذلك بقوله (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ) فنبه بالأدنى على الأعلى؛ فإنه لما نهى عن قول كلمة (أف) وهي أدنى مراتب القول السيئ كان النهي عما فوقها من باب أولى، ثم صرح ﷺ بالنهي عن ما هو أشد بقوله (وَلَا تَنْهَرُهُمَا) أي "ولا تزجرهما عما يتعاطيان مما لا يعجبك لا قولاً ولا فعلاً" ^(٥٧)

ولما كان النهي عن القول المؤذي لا يكون أمراً بالقول الطيب، لا جرم أردفه بأن أمر بالقول الحسن والكلام الطيب؛ تأكيداً على وجوب الإحسان القولي لهما فقال سبحانه (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) أي قولاً حسناً جميلاً يرضاه الله ورسوله، مع ما يظهر فيه من اللطف واللين، وجبر خاطر، وبسط النفس. يقول السعدي: " بلفظ يحبانه وتأدب وتلطف، بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما وتطمئن به نفوسهما، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان"^(٥٨)، وهذا الإحسان الواجب للوالدين لا يختص بكونهما مسلمين، بل حتى وإن كانا كافرين وجب برهما والإحسان إليهما، فلا يصدر عن الابن في حقهما إلا كريم القول الدال على الرفق بهما، ومحبتهم، وأن يتضمن قوله ما ينفعهما في أمور دينهم ودنياهم، متجنباً غليظ القول الموجب لفترتهما أو ما يشعرهما بالضجر منهما.

ثم أرشد الله تعالى الأبناء إلى حسن الأدب مع الوالدين، والنزول على المروءة قال تعالى ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] قَالَ الْقَقَالُ: "إنه لم يقتصر في تعليم البر بالوالدين على تعليم الأقوال، بل أضاف إليه تعليم الأفعال، وهو أن يدعو لهما بالرحمة، فيقول: (رَبِّ ارْحَمْهُمَا) ولفظ الرحمة جامع لكل الخيرات في الدين والدنيا. ثم يقول (كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) يعين رب افعَل بهما هذا النوع من الإحسان كما أحسننا إلي في تربيتهما إِيَّاي" ^(٥٩)

المطلب الثاني: التلطف في الخطاب مع الأبناء و الزوجة

راعى الإسلام الأبناء، ودعا إلى مخاطبتهم بالرفق واللين، وما يشعرهم بالحب والتقدير، فنلمس اللطف في الخطاب القرآني الموجه للأبناء بصورة واضحة من خلال استخدام لفظة (يا بني)، ففي وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، ودعوتهما للتوحيد صدرا قولهما بهذا النداء ﴿ووصى بهما إبراهيم بنبيه ويعقوب يا بني إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وحينما أراد يعقوب عليه السلام أن يربي في نفوس أبنائه الثقة بالله ﷻ ويحول بينهم وبين

(٥٦) - لطائف الإشارات، القشيري، (٢/ ٣٤٤)

(٥٧) - تفسير النسفي، (٢/ ٢٨٥)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (٤/ ١٥٥)، روج المعاني، (١٥/ ٥٥)

(٥٨) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٥٦

(٥٩) - مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٠/ ١٥٣)



اليأس من رحمته خاطبهم بقوله ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ولما أدركت الشفقة نوحا عليه السلام، وخشي على ابنه الغرق كان نداء النبوة ظاهرا متصدرا قال تعالى ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

ويظهر حسن القول مع الأبناء من خلال التدرج في خطابهم، فالتدرج أسلوب نبوي أرشد النبي ﷺ معاذاً إليه حين بعثه لأهل اليمن، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "بدأ بالأهم فالمهم، وذلك من التلطف في الخطاب؛ لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة" (١٠). والتدرج في تربية الأبناء ونصحهم هو ما تجلى في وصايا لقمان الحكيم لابنه، فقد ابتدأ وصاياه بالجانب الأهم وهو الجانب الإيماني فحثه على التوحيد، وعرفه سعة علم الله ونمى فيه استشعار مراقبة الله؛ وأرشده إلى إقامة صلاته "إذ هي عماد الأعمال لاشتغالها على الاعتراف بطاعة الله والاهتداء للعمل الصالح" (١١) ثم تدرج به إلى المهم من الوصايا فحثه على القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٢)؛ لتعدى نفعهما، ووجهه إلى الصبر على ما يلقي؛ "لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يجران للقائم بهما معاناة من بعض الناس أو أذى من بعض فإذا لم يصبر على ما يصيبه أوشك أن يتركهما" (١٣)، كما حثه على التزام الأدب في معاملة الناس ووجهه إلى ما يحقق له النفع ويجلب له الخير، ثم قفى بحسن الأدب في حالته الخاصة وهما حالتي المشي والتكلم، وهما أظهر ما يلوح على المرء من آدابه.

ولا يقتصر حسن التعامل ولطف القول مع الأبناء فحسب، بل للزوجة في هذا حظ ونصيب، فإن الله تعالى حينما خلق الزوجين جعل بينهما المودة والرحمة "فهما يتوادان ويتراحمان، وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما" (١٤) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] وهما بمقتضى تلك المودة والرحمة يعامل كل منهما الآخر باللطف، ولين القول، والكلمة الطيبة التي تزيد ما بينهما من مودة وألفة وسكينة واطمئنان. كذا قال تعالى (وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) والمعاشرة تشمل التلطف لهن بالقول والهيئة والفعل كما يجب ذلك له منها (١٥)، يؤيده قوله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فحسن الصحبة في البيوت، والنفقة، والإجمال في القول، والملاطفة، والمداعبة وبسط الوجه، والتودد، والمؤانسة، والمحافظة على شعور الزوجة وإكرامها، ومناداتها بأحب الأسماء إليها، وإلقاء السلام عليها حين دخول المنزل، والتودد إليها بالهدية والكلمة الطيبة، كل ذلك من المعاشرة

(١٠) - فتح الباري، (٤٢١/٣)

(١١) - التحرير والتنوير، (١٦٤/٢١)

(١٢) - قال ابن عاشور: شمل الأمر بالمعروف الإتيان بالأعمال الصالحة كلها على وجه الإجمال ليتطلب بيانها في تضاعيف وصايا أبيه، كما شمل النهي عن المنكر اجتناب الأعمال السيئة كذلك. والأمر بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يقتضي إتيان الأمر وانتهاءه في نفسه لأن الذي يأمر بفعل الخير وينهى عن فعل الشر يعلم ما في الأعمال من خير وشر، ومصالح ومفاسد، فلا جرم أن يتوقاها في نفسه بالأولوية من أمره الناس ونهيه إياهم.

المرجع السابق، (١٦٤-١٦٥/٢١)

(١٣) - انظر التحرير والتنوير، (١٦٥/٢١)

(١٤) - الوسيط، الواحدي، (٤٣١/٣)

(١٥) - التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، مأمون حموش، (٢٠٧/٢)



بالمعروف، وفيه الدلالة على ما بين الزوجين من ألفة ومودة، مما يجعل كلا من الزوجين مدعاةً لسرور الآخر، وسبب هناؤه وسعادته، أسوتنا في ذلك الحبيب ﷺ فقد كان لأهله على حال لا يكون لغيره من حسن العشرة، واحتمال الأذى والإنصاف، كان ﷺ هينا لينا، حسن القول والفعل، حريصا على إدخال السرور على أهله قال ابن كثير: "وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته ويضحك نساءه" (٦٦). كما نجد حسن الخطاب مع الزوجة حاضرا في وصيته ﷺ حين قال «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلْفُنَّ مِنْ صَلَاحِ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الصَّلَاحِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ دَهَبَتْ تَقِيْمُهُ كَسَرَتْهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (٦٧)؛ إذ الخيرية تشمل حسن التعامل معها قولاً وفعلًا، قال أبو محمد التيجاني: "نبّه ﷺ على الرفق بهن، ومدارتهن، وأن لا يُتقصى عليهن في أخلاقهن، وانحراف طباعهن؛ فإن ذلك يؤدي إلى مفارقتهن" (٦٨)

ويتجلى الأمر بالإحسان -قولاً وفعلًا- إلى الزوجة والحض عليه في قوله ﷺ «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (٦٩) "فحسن العشرة مع الأهل من جملة الأشياء المطلوبة في الدين، والمتصف بذلك من جملة الخيار من هذه الجهة، ويحتمل أن المتصف به يوفق لسائر الصالحات، حتى يكون خيراً على الإطلاق، والله أعلم" (٧٠) وفي هذا الحديث تنبيه على أعلى الناس رتبة في الخير، وأحقهم بالاتصاف به وهو من كان خير الناس لأهله؛ فإن الأهل هم الأحقاء بالبشر وحسن الخلق والإحسان وجلب النفع ودفع الضرر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» (٧١) يقول الدهلوي: "حسن الخلق واللفظ بالأهل من أسباب كمال الإيمان" (٧٢). وقال الصنعاني: "وذكره في معرض حسن الخلق للناس أجمعين إشارة إلى أنه لا يتم حسن الخلق ويكون صاحبه خير الناس حتى يكون خيرهم لأهله لأنهم أحق الناس بحسن صحبته" (٧٣)

كما ورد عنه ﷺ النهي عن إيذاء الزوجة بالقول عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةٍ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَيَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا يُفَبِّحَ، وَلَا يَهْجُرَ إِلَّا فِي

(٦٦) - تفسير القرآن العظيم، (٢/ ٢١٢)

(٦٧) - رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، (٧/ ٢٦)، ح (٥١٨٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، (٢/ ١٠٩١)، ح (١٤٦٨)

(٦٨) - تحفة العروس ونزهة النفوس، ص ١٥٤

(٦٩) - رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم-، (٥/ ٧٠٩)، ح (٣٨٩٥)، وابن حبان في صحيحه، (٩/ ٤٨٤)، ح (٤١٧٧)، والطبراني في المعجم الأوسط، (٦/ ١٨٧)، ح (٦١٤٥). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث الثوري، ما أقل من رواه عن الثوري، وروي هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلًا. اهـ. والحديث أورده الألباني في السلسلة "الصحيحة" برقم (٢٨٥) من طريق سفيان الثوري ثم قال: إسناده صحيح على شرط الشيخين. اهـ.

(٧٠) - شرح سنن ابن ماجه، الهري، (١١/ ٣٨٩)

(٧١) - رواه الترمذي في سننه، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، (٣/ ٤٥٨)، ح [١١٦٢] وقال: هذا حديث حسن صحيح؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، (٧/ ٧٠)، ح [٤٦٨٢]؛ وابن حبان في صحيحه، باب البيان بأن من خيار الناس من كان خيرا لامراته، (٩/ ٤٨٣)، ح [٤١٧٦]، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عمرو - وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي- فقد روى له البخاري مقرونا، ومسلم متابعه، وهو صدوق. وقال الألباني: حسن صحيح.

(٧٢) - لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحق الدهلوي، (٦/ ٢٦)

(٧٣) - التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الصنعاني، (٣/ ٨١)



الْبَيِّنَاتِ»^(٧٤) فقولُه (لا يَقبَح) نهي عن التلَفُظ بما يؤذيها من القول، يقول المناوي: "أي لا يسمِعها المكروه، ولا يقل قبحك الله، ولا يشتمها"^(٧٥) وإذا امتنع التفتيح امتنع الشتم والسب واللعن بطريق الأولى.

المطلب الثالث: التلطف في الخطاب الدعوي

إن المنهج الذي دعا إليه الإسلام في سلوك سبيل الدعوة هو منهج الدعوة بالرفق واللين، والوعظ بالحسنى قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] فينبغي على من يدعو إلى الله أن يكون رحيماً بالعباد، هيناً لينا، ذا أسلوب سهل عفيف، غير فاحش ولا بذيء؛ ليتمكن من كسب القلوب، وجذب النفوس وتجد دعوته عند سامعها القبول؛ ذلك "أن النفس البشرية حالة غريزية فيها تكره الشدة والعنف، وتميل إلى داعي الخير"^(٧٦) من هنا امتن الله ﷻ على نبيه ﷺ بأن وهبه اللين في الدعوة إليه قال تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۚ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وبالرفق أوصى النبي ﷺ أمته فقال (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع في شيء إلا شانه)^(٧٧)، وبين لهم أن أعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنه ترجمان القلب والمعبر عنه^(٧٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)^(٧٩). والقول اللين هو ما وجهه الله ﷻ إليه موسى ﷺ- حين أرسله إلى فرعون أكثر الناس عنواً وفساداً فقال ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٤٣) ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٤٤) [طه: ٤٣-٤٤] يقول الحافظ ابن كثير: " هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين... ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع"^(٨٠) ويقول الشيخ السعدي في بيان معنى قوله تعالى {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا}: " أي سهلاً لطيفاً برفق ولين وأدب في اللفظ، من دون فُحْش ولا صلف، ولا غلظة في المقال أو فظاظة في الأفعال (لعله) بسبب القول اللين (يتذكر) ما ينفعه ويأتيه (أو يخشى) ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داعٍ لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه"^(٨١)

(٧٤) - أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، (٢/ ٢٠٤)، ح [٢٧٦٤] وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي على تصحيحه. ورواه أبو داود في سننه، باب في حق المرأة على زوجها، (٣/ ٤٧٦)، ح [٢١٤٢]؛ وابن ماجه في سننه، باب حق المرأة على الزوج، (٣/ ٥٧)، ح [١٨٥٠]؛ وابن حبان في صحيحه، (٩/ ٤٨٣)، ح [٤١٧٥]. قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن من أجل حكيم بن معاوية - وهو ابن خيدة القشيري - فهو صدوق حسن الحديث.

(٧٥) - فيض القدير، المناوي، (٣/ ٣٩٢).

(٧٦) - مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، نخبة من المفكرين والكتاب، ص ١١٠.

(٧٧) - أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، (٨/ ٢٢٢).

(٧٨) - شرح سنن ابن ماجه، السيوطي وآخرون، ص ٢٨٦.

(٧٩) - رواه الإمام أحمد في مسنده، (٣/ ١٩٨)، ح (١٣٠٧٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، (١/ ٤١). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٢٨٤١).

(٨٠) - تفسير القرآن العظيم، (٣/ ١٤٩).

(٨١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٠٦.



إن الداعي لا بد وأن يكون رفيقاً بالمدعو، ينم قوله عن خلق رفيع وتواضع جم "فالناس بحاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحُلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم. في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعينهم بهمهم، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء"^(٨٢). روى أنس بن مالك رضي الله عنه (أن أعرابياً قام إلى ناحية في المسجد فبال فيها فصاح به الناس، فقال رسول الله ﷺ دعوه، فلما فرغ أمر النبي ﷺ بذنوب فصُبَّ على بوله)^(٨٣)، يقول الإمام النووي: "وفيه الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافاً أو عناداً"^(٨٤).

إن لأسلوب اللين والرفق أثره العظيم في جذب القلوب، ومحبة المدعو، وقبول دعوته، والاستماع لنصحه وتوجيهاته "فبحسن الخلق تذلل العقبات، وبحسن الملاينة ورقة الملاطفة تلين النفوس، وبحسن الخلق تُنال المراتب وتُسر النفوس وتتحقق المطالب وتتغاضى النفوس عن كثير من الهفوات"^(٨٥).

ومما يلفت الأنظار أن الله ﷻ لما دعا إلى مجادلة من يحتاج إلى جدال ومناظرة أمر بأن يجادل بالتي هي أحسن فقال ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي بالوجه الحسن، برفق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه وحسن خطاب؛ لأن اللين في مقام المجادلة والاختلاف سبب في فتح قلب الخصم لقبول الحق، وهو مما يعين على الرجوع عن الضلال. يقول السعدي: "فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق أو كان داعية إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً من ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها"^(٨٦).

وفي قوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦] تبين منه ﷻ لهذه الأمة كيفية مجادلة من خالفهم، بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة، من إيضاح الحق بالرفق، ومقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم؛ "لأن ذكر الحجة لو اختلط به شيء من السب والشتم لقابلوكم بمثلِه كما قال تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 108]، ويردأ الغضب وتتكامل الفترة ويمتنع حصول المقصود، أما إذا وقع الاقتصار على ذكر الحجة بالطريق الأحسن الخالي عن الشتم والإيذاء أثر في القلب تأثيراً شديداً"^(٨٧) وقد تعهد الرسول ﷺ لمن ترك الجدل الذي لا نفع منه غير إيغار الصدور، وبث التباعد بين القلوب بالجنة حيث قال: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)^(٨٨).

(٨٢)- في ظلال القرآن، سيد قطب، (١/ ٥٠٠ - ٥٠١).

(٨٣)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى غسلها، (١/ ١٦٣).

(٨٤)- صحيح مسلم بشرح النووي، (٣/ ١٩١).

(٨٥)- مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، ص ١١١.

(٨٦)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٢.

(٨٧)- مفاتيح الغيب، (٢٠/ ٣٥٥).

(٨٨)- رواه أبو داود في سننه، باب في حسن الخلق، (٧/ ١٧٨)، ح [٤٨٠٠]؛ والطبراني في المعجم الكبير، (٨/ ٩٨)، ح [٧٤٨٨]؛ والبيهقي في شعب الإيمان، (٦/ ٢٤٢)؛ قال الشيخ الألباني: حسن. انظر السلسلة الصحيحة رقم (٢٧٣).



والأمر بالمجادلة بالحسنى عام عند مجادلة كل أحد إلا من ظلم فأفرط في الاعتداء والعناد، ولم يجد معه الرفق فيقابل عندئذ بالغلظة، فإن موسى عليه السلام مع أمر الله له أن يلين القول عند دعوته لفرعون، لكن حكى الله ﷻ عنه قوله ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: 102]، ذلك أن فرعون لم يقبل الدعوة، ولم يدع للحق مع إقامة الحجة عليه، فقابله موسى عليه السلام بالشدة والغلظة في القول. والغلظة في هذا الموطن لا تتنافى مع الأمر بالقول الحسن بل هي نوع من أنواعه، وأسلوب من أساليبه، يقول الرازي عند تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]: "الْقَوْلُ الْحَسَنُ لَيْسَ عِبَارَةً عَنِ الْقَوْلِ الَّذِي يَشْتَهُوهُ وَيُجِبُّوهُ، بَلِ الْقَوْلُ الْحَسَنُ هُوَ الَّذِي يَحْصُلُ انْتِفَاعُهُمْ بِهِ وَنَحْنُ إِذَا لَعَنَاهُمْ وَدَمَمْنَا لَهُمْ لِيَرْتَدَّعُوا بِهِ عَنِ الْفِعْلِ الْقَبِيحِ كَانَ ذَلِكَ الْمَعْنَى نَافِعًا فِي حَقِّهِمْ فَكَانَ ذَلِكَ اللَّعْنُ قَوْلًا حَسَنًا وَنَافِعًا، كَمَا أَنَّ تَغْلِيظَ الْوَالِدِ فِي الْقَوْلِ قَدْ يَكُونُ حَسَنًا وَنَافِعًا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَرْتَدَّعُ بِهِ عَنِ الْفِعْلِ الْقَبِيحِ، سَلَمْنَا أَنَّ لَعْنَهُمْ لَيْسَ قَوْلًا حَسَنًا وَلَكِنْ لَا نُسَلِّمُ أَنَّ وَجُوبَهُ يَنَافِي وَجُوبَ الْقَوْلِ الْحَسَنِ" ^(٨٩)

ومن صور التلطف في الخطاب الدعوي الدعوة بأسلوب التعريض، وهو أحد الأساليب التي يلجأ إليها الدعاة، وتعد من عوامل نجاحهم، وذلك بأن يعمم الداعية في خطابه، ويطلق في عباراته دون تخصيص أقوام أو تعيين أفراد. وهذا المنهج من الأدب الذي علمه الله ﷻ عباده في القرآن الكريم فالناظر في كتاب الله يجد أن الله - ﷻ - قد رتب الأحكام على الأقوال والأفعال لا على أصحابها، مثاله قول الله ﷻ في شأن المنافقين ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ﴾ [التوبة: 58]، وقوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۚ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 49]، وغيرها من الآيات التي تحدثت عن المنافقين وكشفت سوء أفعالهم وقبح أقوالهم، ومع ذلك لم يُسمَّ الله ﷻ أحداً منهم تأديباً لعباده المؤمنين؛ إذ ليس الغرض تبكيت الأشخاص ولومهم، إنما الغرض إزالة مفسدتهم والتنبيه على أخطائهم. كذلك مضت سنة الحبيب ﷺ بالتشهير بالخطأ لا بصاحبه، وما أكثر ما كان ﷺ يقول (ما بال أقوام؟) وهو يريد أقواماً بأعيانهم، من ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: رخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أمر فتنزه عنه ناس من الناس فبلغ ذلك النبي ﷺ - فغضب حتى بان الغضب في وجهه ثم قال: (ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية) ^(٩٠)، وقوله ﷺ في حق ابن اللثبية: (ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا...) الحديث ^(٩١) وذلك حين استعمله ﷺ على الصدقة فلما عاد قال هذا لكم وهذا أهدي لي.

ومن فوائد اللجوء إلى هذا الأسلوب إحداث مزيد من التقبل للقول، والالتزام بمضمون التوجيه، وذلك عن طريق رفع الحرج عن النفس واستثارة داعي الخير فيها؛ فإن المخطئ إن وجّه بهذا الأسلوب راجع نفسه ووجد أمامه الفرصة للعودة إلى جادة الطريق، أما إن شهِر به ودعي بأسلوب التصريح قد لا يجدي ذلك نفعاً إذ تأخذه العزة بالإثم فلا يستجيب للنصح استكباراً أو عناداً. وتارة يكون الداعية أقل شأنًا من المدعو أو أصغر منه سنًا فإن نصحه أو انتقده بصورة مباشرة حمله

(٨٩) - المرجع السابق، (٣/ ٥٨٩)

(٩٠) - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب مَنْ لَمْ يُوَاجِهْ النَّاسَ بِالْعِتَابِ، (٤/ ١١٠)، ح [٦١٠١]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله وشدة خشيته، (٧/ ٩٠).

(٩١) - جزء من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، (٦/ ١١).



ذلك على العناد والإصرار على الخطأ، لا سيما إن كانت نفسه منطوية على الكبر وعدم قبول النصيحة، يقول الإمام الزركشي: "ووجه حسنه - يعني التعريض - ظاهر؛ لأنه يتضمن إعلام السامع على صورة لا تقتضي مواجهته بالخطاب المنكر كأنك لم تعنه، وهو أعلى محاسن الأخلاق، وأقرب للقبول، وأدعى للتواضع" (٩٢)، فالتعريض أبلغ من التصريح، وأعظم تأثيراً في القلب، وأدعى إلى التنبيه على الخطأ لأنه "يستميل النفوس الفاضلة، والأذهان الذكية، والبصائر اللامحة. أما الأسلوب المباشر في النقد فإنه يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجراءة على الهجوم، والتبجح بالمخالفة، ويهيج على الإصرار والعناد" (٩٣).

المطلب الرابع: الإحسان في القول عند رد التحية

من مظاهر اهتمام الإسلام بالكلمة الطيبة، ودعوته للإحسان في القول أمره ﷺ بالإحسان عند رد التحية قال تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦] أي إذا دعي لكم بطول الحياة والبقاء والسلامة، فادعوا لمن دعا لكم بذلك بأحسن مما دعا لكم أو ردوا التحية. (٩٤) قال ابن كثير: "الزيادة مندوبة، والمماثلة مفروضة" (٩٥)، وقال السعدي: "التحية هي اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين على وجه الإكرام والدعاء، وما يقتدرن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها، وأعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع من السلام ابتداءً ورداً، فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حيوا بأي تحية كانت أن يردوها بأحسن منها لفظاً وبشاشة، أو مثلها في ذلك" (٩٦).

إن إفشاء السلام مما يوثق عرى الأخوة والمحبة بين المسلمين، ويزيد روابط الود بينهم؛ لذا لما سأل رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: "نُطْعِمُ الطَّعَامَ وَنُقَرِّأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتُمْ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفُوا" (٩٧) (٩٨) قال النووي: "وفي الحديث حث عظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف؛ والسلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وبإفشائه يحصل ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل الباطلة، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمة المسلمين." (٩٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى أَمْرِ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) (١٠٠) "قال القرطبي: إفشاء السلام إظهاره وإشاعته بينكم، وإقراؤه على المعروف لكم وعلى غير المعروف، ومعنى (وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا) أي لا يكمل إيمانكم ولا يكون حالكم كحال مَنْ كَمُلَ إيمانه حتى تفشوا السلام

(٩٢) - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، (٣٢٦/٢).

(٩٣) - إحياء علوم الدين، الغزالي، (٥٢/١).

(٩٤) - جامع البيان عن تأويل أي القرآن، (٥٨٦ / ٨).

(٩٥) - تفسير القرآن العظيم، (٣٢٥ / ٢).

(٩٦) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٩١.

(٩٧) - (ومن لم تعرف) أي: لا تخص به - أي: إقراء السلام - أحداً تكبراً أو تصنعاً، بل تعظيماً لشعار الإسلام ومراعاة لأخوة المسلم. فإن قيل: اللفظ عام، فيدخل الكافر والمنافق والفاسق، أجيب بأنه خصّ بأدلة أخرى، أو أن النهي متأخر، وكان هذا عاماً لمصلحة التأليف، وأما من شك فيه فالأصل البقاء على العموم حتى يثبت الخصوص. اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه، للقرطبي، (٣٤ / ١).

(٩٨) - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، (١٢ / ١)، ح (١٢)؛ وباب إفشاء السلام من الإيمان، (١٥ / ١)، ح (٢٨)؛ وفي كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، (٥٢ / ٨)، ح (٦٢٣٦)؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأمره أفضل، (٦٥ / ١)، ح (٣٩).

(٩٩) - شرح النووي على مسلم، (٣٦ / ٢).

(١٠٠) - أخرجه أبو داود في سننه، باب في إفشاء السلام، (٧ / ٤٩٠)، ح (٥١٩٣)، وصححه الألباني وكذلك الشيخ شعيب الأرناؤوط.



الجالب للمحبة الدينية والألفة الشرعية" (١٠١)، وجمع في الحديث بين إطعام الطعام، وإفشاء السلام؛ لأنه به يجتمع الإحسان بالقول والفعل، وهو أكمل الإحسان، وإنما كان هذا خير الإسلام بعد الإتيان بفرائض الإسلام، وواجباته (١٠٢)

المطلب الخامس: الإحسان في القول عند رد السائل

اعتنى الإسلام بالجانب النفسي، وحرص على طمأنة الخواطر وحفظ القلوب، لاسيما إن كان صاحبها في موضع الحاجة والانكسار، من هنا وجه المسلمون إلى إكرام السائل، ومقابلة سؤله بالبذل والعطاء أو بجميل القول والاعتذار حال العجز عن العطاء، قال تعالى ﴿وَمَا تَرْضَى عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨] فقوله (قولا ميسورا) أي "الطيفا برفق ووعد بالجميل عند سنوح الفرصة، واعتذار بعدم الإمكان في الوقت الحاضر" (١٠٣)؛ فإن القول الكريم يقوم مقام العطاء، وهو سبب في إدخال السرور على قلب السائل، وإن كان قولا قليلا كما يدل عليه تنكير كلمة (قولا ميسورا). قال ابن رجب رحمه الله: وربما كان معاملة الناس بالقول الحسن أحب إليهم من الإحسان بإعطاء المال. (١٠٤) وفي الوقت الذي أمر الله فيه بالقول الحسن والرد الجميل للسائل، نهى عن مقابلته بضد ذلك من الزجر قال تعالى ﴿وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠] يقول القرطبي: "فهو نهى عن إغلاظ القول، ولكن رده ببذل يسير أو رد جميل" (١٠٥)، وقال السعدي: "لا يصدر منك إلى السائل كلام يقتضي رده عن مطلوبه بنهر وشراسة خلق، بل أعطه ما تيسر عندك أو رده بمعروف وإحسان" (١٠٦)

كذا بين ﷺ أن رد السائل بلطيف القول والكلمة الطيبة خير من إعطائه ثم إتباع ذلك العطاء باليمن قال تعالى ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣] قال القرطبي: القول المعروف هو الدعاء، والتأنيس والترجية بما عند الله (١٠٧). فيكون المعنى: كلام حسن ورد جميل على السائل، وستر لما وقع فيه من الإلحاف في السؤال وغيره أنفع لكم وأكثر فائدة من صدقة فيها الأذى؛ لأنه وإن خيب رجاءه فقد أفرح قلبه وهون عليه ذل السؤال (١٠٨)، قال ابن القيم: "فالقول المعروف إحسان وصدقة بالقول، والمغفرة إحسان بترك المؤاخذه والمقابلة، فهما نوعان من أنواع الإحسان، والصدقة المقرونة بالأذى حسنة مقرونة بما يبطلها، ولا ريب أن حسنتين خير من حسنة باطلة" (١٠٩)، كما أن ملاقة السائل بالبشر والترحيب، ومقابلته بالطلاقة والتقريب تجعل المسؤول مشكورا إن أعطى، معذورا إن منع. ثم ختم ﷺ الآية بقوله ﴿وَطَعَامُ الْذِينَ﴾ لبيان غناه التام عن إنفاق المنفقين وصدقات المتصدقين، وإنه إنما أمرهم بذلك لمصلحة تعود عليهم، قال ابن عاشور: "تذليل للتذكير بصفتين من صفات الله تعالى ليتخلق بهما المؤمنون وهما الغنى الراجع إليه الترفع عن مقابلة العطية بما يبرد غليل شح نفس المعطي، والحلم الراجع إليه العفو والصفح عن رعونة بعض العفاة" (١١٠) إن مقابلة السائل بطيب الكلام وحسن القول له أفضل الأثر، مع عظم الجزاء يقول محمد طنطاوي: "الكلمة الطيبة

(١٠١) - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (١/ ٢٤٢)، شرح سنن أبي داود، ابن رسلان، (١٩/ ٥٠٩)

(١٠٢) - فتح الباري، لابن رجب الحنبلي، (١/ ٣٩)

(١٠٣) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٦

(١٠٤) - مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، (٤/ ٤٣)

(١٠٥) - الجامع لأحكام القرآن، (٣/ ٣٠٩)

(١٠٦) - تفسير المراغي، (٣/ ٣٢)

(١٠٧) - طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص ٣٦٧

(١٠٨) - التحرير والتنوير، (٣/ ٤٧)



للسائل، والستر عليه، والعفو عنه فيما صدر منه، كل ذلك يؤدي إلى رفع الدرجات عند الله وإلى تهذيب النفوس، وتأليف القلوب، وحفظ كرامة أولئك الذين مدوا أيديهم بالسؤال" (١٠٩)

المبحث الثالث: ثمرات القول الحسن

- تحقيق عبودية الله تعالى بامتثال أمره؛ فالله تعالى قد أمر بالقول الحسن وحض عليه بأساليب عدة وطرق متنوعة، فمن كان قوله حسنا فهو ممتثل للأمر، طائع لله تعالى.

- زيادة إيمان العبد؛ إذ أن الإيمان كما أنه اعتقاد بالقلب فهو قول باللسان وعمل بالأركان، يزيد بأعمال الطاعة والقول الحسن، وينقصه العصيان. قال تعالى ﴿فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥]: "أي بما تكلموا به من قولهم رَبَّنَا آمَنَّا الصادر عن اعتقاد وإخلاص واعتراف بالحق جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" (١١٠)، قال النسفي: "وفيه دليل على أن الإقرار داخل في الإيمان كما هو مذهب الفقهاء" (١١١)

إن الكلام الطيب والقول الحسن دليل على كمال إيمان العبد، لذا كان من صفات عباد الله المؤمنين التي أثنى بها عليهم، أنهم يعرضون عن اللغو فلا يقابلون الإساءة بمثلها قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)﴾ [المؤمنون: ١ - ٣]، واللغو هو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة دينية ولا دنيوية، قال السعدي: "إذا كانوا معرضين عن اللغو فأعرضهم عن المحرم من باب أولى وأحرى، وإذا ملك العبد لسانه وخزنه -إلا في الخير- كان مالكا لأمره" (١١٢) فمخاطبة الناس بأجمل الكلمات، وألف العبارات، وأحسن الجمل، هي سمة المؤمنين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَهْدُوا إِلَى الصَّبِّ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]

- القول الحسن من أسباب التذكر والخشية، وانتشار الفضائل والأخلاق الحسنة بين الناس، وهو من وسائل الدلالة على الهدى ونشر الخير، وصالح الأعمال.

- القول الحسن سبب في حصول المودة والألفة بين أفراد المجتمع المسلم، والتعاون على الخير والبر والرحمة؛ مما يزيد تماسك المسلمين ووحدتهم حتى يكونوا كالجسد الواحد والبنیان المرصوص، وبالقول الحسن تقطع ذرائع الخصومة، وتسد أبواب الفتنة، وتتقى أسباب الشقوة في العاجلة والآجلة، وبه تسد منافذ الشيطان وتتقى شرور أهل الشر من الإنس والجان، يقول الإمام الغزالي: "والكلام الطيب العف يجمل مع الأصدقاء والأعداء جميعا، وله ثماره الحلوة؛ فأما مع الأصدقاء فهو يحفظ مودتهم، ويستديم صداقتهم، ويمنع كيد الشيطان أن يُوْهي حبالهم، ويفسد ذات بينهم. وأما حسن الكلام مع الأعداء

فهو يطفئ خصومتهم، ويكسر حدتهم أو هو على الأقل يوقف تطور الشر واستطارة شره" (١١٣)

(١٠٩) - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (١/ ٦٠٦)

(١١٠) - محاسن التأويل، القاسمي، (٤/ ٢٢٧)

(١١١) - تفسير النسفي، (١/ ٢٧٩)

(١١٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٧

(١١٣) - خُلُق المسلم، الغزالي، ص ٦٢



- بالقول الحسن تُكسب القلوب وتُجذب النفوس، ويتمكن المسلم من الدعوة إلى الله، والتأثير في الآخرين ليقبلوا دعوته؛ "فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة. ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير" (١١٤)

- بالإحسان القولي ينال العبد ما أعده الله تعالى لعباده المحسنين، من التبشير بنصره ومعونته وتأنيده، فيحفظهم ويكلؤهم ويظهرهم على أعدائهم. ثَأْتًا فَقَدْ حِطَّ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْأَخْرَجَةِ مِنَ الْحَسِرِينَ ﴿١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨]، قال أبو السعود: "والمراد بالمعنية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر" (١١٥)

- بالقول الحسن ترتفع الدرجات، وتُنال المكرمات، وهو سبيل حصول العزة والقرب من الله تعالى، وبه تكفر السيئات وتتضاعف الحسنات. وأصحاب القول الطيب هم أهل الإحسان، ومحل محبة الباري تبارك وتعالى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۚ وَأَحْسِنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]

- القول الحسن أحد الأعمال التي توجب لصاحبها رضا رب البريات، ودخول الجنات، والفوز بالغرفات قال تعالى ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥] "فجزاهم الله وأعطاهم من الثواب بما نطق به ألسنتهم معبرا عما في قلوبهم من خالص الإيمان وصحيح الاعتقاد- جنات وحدائق في دار النعيم تجرى من تحت أشجارها الوارفة الظلال، الأنهار التي تسيل مياهها سلسبيلا، يخلدون فيها أبدا فلا يسلبها منهم أحد، ولا هم يرغبون عنها ويودون لو تركوها" (١١٦) قال تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۚ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦] يقول السعدي: "الذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه على وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد الله بما يقدر عليهم من الإحسان القولي والفعلي، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان، فهؤلاء الذين أحسنوا، لهم "الحسنى" وهي الجنة الكاملة في حسناتها و "زيادة" وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون. " (١١٧)

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والشكر له الذي أنعم بإتمام هذا البحث والذي توصلت من خلاله إلى عدة نتائج هي:

- ١- يدخل في معنى القول الحسن كل كلام مستحسن شرعا وعقلا.
- ٢- تنوعت أساليب القرآن الكريم في الحث على الإحسان في القول.
- ٣- وجوب الإحسان في القول لأمر الله تعالى به؛ والأمر يقتضي الوجوب.

(١١٤) - الأساس في التفسير، (٣٠١٠/٦)

(١١٥) - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١٥٣/٥)

(١١٦) - تفسير المراغي، (٨/٧)

(١١٧) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٦٢



٤ - العموم في الأمر بالقول الحسن يقتضي شموله لكل ما يقوله العبد من المخاطبة والمحاورة ونحوهما.

٥ - رغب القرآن الكريم في الكلم الطيب ببيان عظيم أثره الدنيوي والأخروي.

٦ - من وسائل القرآن الكريم للترغيب في الإحسان القولي الثناء على أهله.

٧ - القول الحسن من وسائل حماية المسلم من أن يوقع الشيطان بينه وبين غيره من المسلمين.

٨ - أكد القرآن الكريم على إحسان القول مع الوالدين، والأولاد، والأهل.

٩ - المنهج الدعوي الذي اختاره الإسلام هو منهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

١٠ - من صور التلطف في الخطاب الدعوي الدعوة بأسلوب التعريض.

١١ - للإحسان في القول الكثير من الثمرات التي يجنيها صاحبه في الدنيا والآخرة.

من التوصيات التي يُوصى بها:

- الدراسة المتعمقة للأساليب القرآنية والنبوية التي تحقق الحياة الطيبة للفرد والمجتمع؛ بحيث يفرد كل أسلوب منها ببحث خاص به مع ربط ذلك بالواقع.

- الاهتمام بالقواعد القرآنية التي ذكرها الله تعالى في كتابه، والاهتمام بدراساتها والكتابة حولها.

ثبت المصادر والمراجع

- اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه، أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؛ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (د.ت)

- الأساس في التفسير؛ سعيد حوى؛ دار السلام - القاهرة؛ الطبعة السادسة، ١٤٢٤ هـ

- إعلام الموقعين عن رب العالمين؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية؛ تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل؛ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي؛ تحقيق: محمد المرعشلي؛ دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

- البيان في مداخل الشيطان، عبد الحميد جاسم البلالي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، ١٩٩٧ م

- تحفة العروس ونزهة النفوس، محمد بن أحمد التيجاني، دار الجيل، ٢٠٠٢ م

- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ

- تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير؛ عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي؛ علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين؛ دار الكتب العلمية بيروت- لبنان؛ الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م



- تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط2، (د.م)، دار طيبة، 1420هـ - 1999م
- تفسير النسفي ، عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس - بيروت، ٢٠٠٥م
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهجري، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق؛ مؤسسة الرسالة؛ الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
- التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل الحسني الصنعاني، تحقيق: د. محمد إسحاق، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)؛ تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ
- الجامع لأحكام القرآن؛ محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي؛ تحقيق: هشام سمير البخاري؛ دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية؛ الطبعة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية ، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
- شرح سنن ابن ماجه، السيوطي ، عبد الغني فخر الحسن الدهلوي، قديمي كتب خاتنة - كراتشي
- شرح سنن ابن ماجه المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكثف على سنن المصطفى»، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهجري، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية - جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م
- شرح سنن أبي داود، أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (المتوفى: ٨٤٤ هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م
- الصحيح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان أبو حاتم البستي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، (د.ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414هـ - 1993م
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ط.د)
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤ هـ
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)
- فتح الباري - لابن رجب عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادى ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٢ هـ



- فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي؛ رقم كُتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي؛ قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب؛ عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م
- فيض القدير شرح الجامع الصغير؛ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي؛ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان؛ الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م
- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م
- لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي، تحقيق: تقي الدين الندوي، دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م
- المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م
- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: أبو مصعب طلعت الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي التميمي الموصل، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م
- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري؛ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي؛ دار إحياء التراث العربي - بيروت
- المعجم الاشتقاقي الموصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م
- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة : الثانية ، ١٩٨٣ م
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميسنو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
- مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، نخبة من المفكرين والكتّاب، ط (بدون) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد الحميد بن حميد بن نصر، تحقيق: صبحي البديري السامرائي و محمود محمد الصعيدي، مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م



القيم التربوية الإسلامية الواردة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية.

هيا عيسى العيسى - ماجستير تربية إسلامية - المملكة العربية السعودية

Email: Haya_ox@hotmail.com

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة إلى التعرف على القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط؛ من خلال الكشف عن القيم التربوية الإيمانية، والأخلاقية، والاجتماعية المتضمنة فيه؛ واستخدمت الباحثة في الدراسة المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المحتوى.

الكلمات المفتاحية: قيم تربوية، تربية إسلامية، مناهج دراسية.

Abstract

study aims to identify the Islamic educational values in the book " My Eternal Language" for the second grade in Middle schools revealing the educational values of faith, moral and social included in it, The researcher in this study relied on descriptive analysis (content analysis).

Key words: educational values, Islamic education, curricula.

مقدمة الدراسة:

ميز الله الإنسان عن غيره من الكائنات والمخلوقات بالعقل والإدراك، فأنزل له الكتب وأرسل له الرسل؛ ليجعل منه مخلوقاً قادراً على عمارة الأرض، قائماً بأمر ربه - سبحانه - في كل شؤونه، متحلياً بالأخلاق والمثل العليا، ويذكر أبو العيين (١٩٨٨م) أن الإنسان يتميز عن غيره من المخلوقات بأنه مدرك للقيم، ولهذا السبب وضع في مكانة سامية لا يصل إليها أي مخلوق آخر (ص٧).

والسلوك الإنساني ينبع من القيم؛ فتصورات الإنسان حول المواقف والأشياء والأفكار تحدد منظومة قيمه، ووفقاً لذلك يصدر السلوك؛ لذلك تعلم القيم وتعليمها بات من أهم الموضوعات التربوية (الجلاد، دت، ص ٤١)، ويؤكد الحارثي (٢٠١٠م) على أهمية القيم ويشير إلى أنها تُعد أداة تعتمد على فكرة الخير والشر والتي تعود إلى الحياة، وتبين علاقة الفرد ببيئته، وتضبط سلوكياته وتحكمها؛ هذا بالإضافة إلى كونها أساس كل نشاط إنساني، وتعتمد عليها العلاقات الإنسانية (ص٣)، ويضيف الزهراني (٢٠١٢م) أن القيم تنمي لدى الفرد الرقابة الذاتية؛ فتحميه من الانجراف وراء شهوات النفس وغرائزها، وتقيه من الانحرافات الفكرية (ص٨٠).

وللقيم أهميتها البالغة -أيضاً- على مستوى المجتمع؛ حيث يشير المدخلي (٢٠١٢م) أنه لا يمكن لنظام اجتماعي الاستمرار دون قيم يلتزم بها أفرادها؛ فأهداف المجتمع لا يمكن أن تتحقق دون وجود القيم التي تضبط سلوك الأفراد وتوجههم لتحقيق



هذه الأهداف، وفي ذات السياق يؤكد السليم (٢٠١٥م) أن القيم تضبط سلوك الأفراد وتحقق الانسجام والتكامل فيما بينهم؛ مما يؤدي إلى الالتزام بقواعد ونظام المجتمع، ويضيف أبو شريخ ومصطفى (٢٠١٤م) أن أهمية دراسة القيم التربوية تكمن في أنها من الركائز الأساسية التي يقوم عليها المجتمع المسلم؛ وذلك لأنها تؤثر في تكوين شخصية المتعلم وتوجه سلوكياته.

ومن خلال ما سبق تتبين أهمية القيم ودورها في الحفاظ على المجتمع الإسلامي من التشتت والضياع، ولهذا عدّ القرشي (٢٠١٠م) أن غياب القيم التي ينبغي أن يتحلّى بها أفراد المجتمع المسلم سبب لبروز مشكلات تربوية (ص٦)، والمتأمل في الواقع الاجتماعي الحالي يلحظ بعض التغيرات التي طرأت على المجتمع، فهناك الكثير من التحديات التي يواجهها والتي انعكست آثارها على القيم، منها تحدي العولمة؛ حيث يؤكد الحربي (٢٠٠٨م) أن العالم في الوقت الحالي يعيش صراعاً قيمياً بين العولمة، وبين قيم وثقافات الشعوب والتي من بينها قيم الثقافة الإسلامية.

ولا يخفى على أحد مدى قوة تأثير وسائل الإعلام الجديد وشبكة الإنترنت على المجتمع؛ حيث يرى العتيبي (٢٠١٢م) أن الإنترنت صار له تأثير كبير على المجتمعات في فرض ثقافة بعينها؛ مما أثر على القيم بشكل سلبي، ويضيف شحاتة (٢٠١٥م) أن التطور التقني والعلمي قد أدى إلى تغيير تصورات الفرد عن ذاته وعن الحياة؛ وهذا أدى إلى اهتزاز القيم وتخلخلها، وعدم التفريق بين ما هو صائب وخطأ مما يؤمنون به من قيم.

ولأهمية القيم التربوية الإسلامية في حياة الأفراد والمجتمعات يجب على المجتمع بكافة مؤسساته التربوية الاعتناء بغرسها وتثبيتها في قلوب وعقول النشء، وتعد المدرسة أحد أبرز المؤسسات التربوية في المجتمع، ويؤكد الزهراني (٢٠١٢م) أن المدرسة أحد أهم هذه المؤسسات التربوية المعنية بغرس القيم؛ لما تمتلكه من قوة تأثير على المتعلم (ص٤)، وتعدّ الكتب الدراسية أحد أهم عناصر العملية التعليمية، وأحد الوسائل المهمة في إكساب الطلبة القيم التربوية الإسلامية؛ حيث يؤكّد الجراح (٢٠١٦م) على أن الكتاب المدرسي يقوم بوظيفة مهمة في ترسيخ القيم في نفوس الطلبة؛ والتي بدورها تؤثر على سلوكياتهم واتجاهاتهم.

وكتب اللغة العربية الدراسية إلى جانب كونها محتوى تعليمي هي -أيضاً- وسيلة لنقل القيم التربوية، يذكر الخليفة (٢٠٠٤م) أن تعليم اللغة العربية ليس مجرد وسيلة تعليمية لتنمية المهارات اللغوية فحسب؛ بل هي تُعدّ ناقلة لقيم الأمة ومعبرة عن حضارتها، فيتعلم الطلبة أنماطاً من السلوك، ويكتسب مجموعة من القيم والمهارات المتعددة، وهو ما تؤكد -كذلك- عايذة ذيب وختام أحمد (٢٠١٨م) في أن النصوص العربية وما تتضمنه من مضامين ومواقف تربوية تساهم في تكوين الطلبة وتأسيسهم لغويا وأخلاقياً وسلوكياً.

ونظراً لأهمية الدور الذي تقوم به الكتب المدرسية تبين ضرورة أن تتضمن القيم التربوية الإسلامية المتنوعة التي تسهم في تشكيل شخصية الفرد بشكل سليم.



أهمية الدراسة:

اكتسبت الدراسة أهميتها من خلال الآتي:

أ- الأهمية النظرية:

- ١- تكتسب هذه الدراسة أهميتها من أهمية القيم في حياة الفرد والمجتمع؛ فبقدر الالتزام بالقيم التربوية الإسلامية يكون النجاح في أمور الدنيا والآخرة، حيث يشير التراي (٢٠٠٩م) في نتائج دراسته أن القيم إذا رسخت في نفس الفرد دفعته إلى بناء شخصيته بشكل إيجابي يسهم في الارتقاء في الحياة الدنيا ونيل الدرجات العالية من الله جل جلاله.
- ٢- تتجلى أهمية هذه الدراسة من أهمية الدور الذي تؤديه القيم التربوية في حياة الطلبة بشكل خاص، فهي تسهم -بشكل كبير- في تكوين شخصياتهم وتوجيه سلوكهم.

٣- يشهد الناشئة في هذا العصر تطور وسائل الاتصال التي تتيح الاطلاع على ثقافات مختلفة وانحرافات وقيم فاسدة قد تؤثر على الشباب المسلم، ومن طرق مواجهة هذه الانحرافات أن تتضمن الكتب الدراسية القيم التربوية الإسلامية.

٤- تسهم هذه الدراسة في معرفة القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة في الجوانب الثلاثة: الإيمانية، والأخلاقية، والاجتماعية، وهذا يفيد في معرفة القيم التي رُكِّز عليها، والقيم التي لم يُرَكِّز عليها.

ب- الأهمية التطبيقية:

- ١- ترجو الباحثة أن تساعد هذه الدراسة المعلمين والمعلمات القائمين بتدريس مادة لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط؛ وذلك من خلال إبراز القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في الكتاب؛ ليتمكنوا من تعزيزها في نفوس الطلبة.
- ٢- تأمل الباحثة أن تفيد هذه الدراسة في عملية تطوير الكتب الدراسية؛ وذلك بوضع نتائج الدراسة بين يدي مسؤولي تطوير المناهج في وزارة التعليم، وتلافي الخلل إن وجد والقيام بالتعديلات اللازمة.
- ٣- تتطلع الباحثة أن تسهم هذه الدراسة في دعم الباحثين التربويين فيما بعد؛ لإجراء بحوث حول القيم التربوية الإسلامية في المناهج الدراسية الأخرى.

أهداف الدراسة:

سعت الدراسة إلى تحقيق الهدف الرئيس وهو: الكشف عن القيم التربوية الإسلامية الواردة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية، ويتفرع منه الأهداف الآتية:

- ١- الكشف عن القيم التربوية الإيمانية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية.
- ٢- التعرف على القيم التربوية الأخلاقية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية.



٣- بيان القيم التربوية الاجتماعية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية.

أسئلة الدراسة:

سعت الدراسة إلى الكشف عن القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية وذلك بالإجابة عن سؤال الدراسة الرئيس:

ما القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية؟
ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

- ١- ما القيم الإيمانية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية؟
- ٢- ما القيم الأخلاقية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية؟
- ٣- ما القيم الاجتماعية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية؟

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة في بعدها الموضوعي على القيم الإيمانية والاجتماعية والأخلاقية الواردة في كتاب لغتي الخالدة المقرر للصف الثاني المتوسط الموحد للطلاب والطالبات طبعة ١٤٣٩ هـ - ١٤٤٠ هـ، بفصليه الأول والثاني.

مفهوم القيم:

- أ- القيم لغة: القارئ في معاجم اللغة العربية يجد أن للقيم عدة معانٍ، منها:
- الدوام والثبات على أمر، حيث ذكر الفيروز آبادي (٢٠٠٥م، ص ١١٥٢): "القيمة بالكسر: واحدة القيم، وما له قيمة: إذا لم يدم على شيء".
 - الثمن والتقدير، والتمسك بالدين، حيث أشار ابن منظور (١٩٩٣م، ص ٤٩٨-٥٠٠) إلى أن القيمة لغة: "القيمة: ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاوموه فيما بينهم... والقائم بالدين: المستمسك به الثابت عليه".
 - الاستقامة، عرف الفراهيدي (د.ت، ص ٢٣٣) القيمة بأنها: "القيمة: ثمن الشيء بالتقويم تقول: تقاوموا فيما بينهم. وإذا انقاد، واستمرت طريقته، فقد استقام لوجهه".
- ومن خلال ما سبق؛ يتبين أن معنى القيم لغة يدور حول عدة معانٍ، منها: الثبات والدوام، التقدير والتمن، التمسك بالدين، والاستقامة.

ب- القيم اصطلاحاً: تعددت الآراء في تحديد مفهوم القيم اصطلاحاً؛ وهذا راجع إلى اختلاف الانتماءات العلمية، وتعدد آراء الباحثين، وفيما يلي تعريفات للقيم حسب وجهات النظر المختلفة للعديد من المجالات العلمية:

- في بعض المجالات العلمية:



- في المجال الاقتصادي يذكر خليفة (١٩٩٢م) أن للقيمة مفهومين، الأول: قيمة المنفعة، والثاني: قيمة المبادلة.
- وفي مجال علم الاجتماع يرى زين الدين (٢٠١٦م) أن القيم هي ما يُحكم عند الفرد أو الجماعة بكونه حسناً ولائقاً ومطلوباً أو عكس ذلك.
- وفي مجال علم النفس يشير الحربي (٢٠١٠م) إلى تعدد مفاهيم القيمة في هذا المجال وتداخلها مع مفاهيم أخرى قريبة منها، ومن أشهر مداخل تعريف القيمة عند علماء علم النفس: القيمة كاتجاه، القيمة كترغبة، القيمة كمعتقد، القيمة كاهتمام، القيمة كحكم (ص ١٥).
- وفي علم الرياضيات يقصد بالقيمة الكم لا الكيف، وفي الفن يقصد بها الكم والكيف؛ وأما المعنى اللغوي للقيمة فيقصد بها قيمة اللغة؛ كالقيمة النحوية التي تبين معنى الكلمة ودورها في الجملة ودلالة ألفاظها (محمد، ١٩٨٩م).
- واختلف معنى القيم بين المدارس الفلسفية؛ حيث ترى الفلسفة الواقعية أن القيم عبارة عن أحكام يصدرها المرء من واقع تعامله وتفاعله مع الأشياء من حوله، فهي من نسج الخبرة الإنسانية، أما الفلسفة المثالية فتقول باستقلال القيم وانعزالها عن الخبرات الإنسانية، فهي تقسم العالم إلى قسمين عالم علوي وعالم هابط، ولا يمكن أن يُعد العالم المادي مصدرًا لتوجيه السلوك (الأفطش، ١٩٩٠م؛ محمد، ١٩٨٩م؛ خليفة، ١٩٩٢م).
- في المجال التربوي: عرف التربويون القيم بعدة تعاريف، منها تعريف العاجز (٢٠٠٢م) بأن القيم هي: "مقاييس يحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والمواضيع والمواقف الفردية والجماعية، من حيث حسناتها وقيمتها والرغبة بها أو من حيث سوءها وكرهيتها"، ويتفق معه الشعوان (١٩٩٧م) الذي يعرف القيم بأنها: "مفاهيم ومقاييس ومعايير تجريدية، ضمنية كانت أو صريحة، تستخدم للحكم على شيء ما بأنه مرغوب أو غير مرغوب، وتوجه سلوك الفرد إلى ما هو مرغوب فيه من قبل مجتمعه"، ويشير عاشور (٢٠٠٧م) بأنها: "مجموعة من الاهتمامات والأفكار التي يكونها الفرد من خلال الفلسفة التي يؤمن بها، ومن تجاربه المتنوعة في المجتمع، حيث اكتسبت الصفة المعيارية على تصرفات الإنسان، واتخذت سمة الإيجابية الشرعية للحكم على تصرفاته وسلوكه في المجتمع"، ويرى الخوالدة والشوكة (٢٠٠٥م) بأن القيم هي: "مجموعة من المعايير والمبادئ التي يكتسبها الطلبة؛ لتوجيه سلوكهم وممارستهم في الحياة الاجتماعية، وتوظيفها في إصدار الأحكام على الأشياء والأقوال والأفعال في حياتهم"، وهو ما يؤكد الحربي (٢٠٠٨م) حيث يُعرف القيم التربوية بأنها: "مجموعة من المعايير والمبادئ التي يكتسبها المتعلمون داخل المدرسة وخارجها بطريقة مقصودة وغير مقصودة، من خلال المناهج الدراسية الرسمية والخفية التي تؤثر تأثيراً مباشراً على سلوكهم سواء بالإيجاب أو السلب"، وعرفت ليلي الخزاعلة (٢٠١٤م) القيم بأنها: "المعتقدات التي يؤمن بها الفرد، فتوجه سلوكياته في الحياة وجهة محددة وفقاً لمعطياتها، وتهبه عاطفة تعمل على تشكيل شخصيته، وتحديد هويته التي تميزه عن غيره من الناس الآخرين" (ص ١٤).
- وعند تدقيق النظر في التعريفات السابقة يمكن إجمال أبرز نقاط الاتفاق بين التعريفات في الآتي:
- القيم عبارة عن مجموعة قوانين ومعايير ومقاييس معنوية أو معتقدات أو اهتمامات.



- تمثل القيم المعيار الذي من خلاله يمكن الحكم على الأشياء والمواقف والأشخاص.

- تؤثر القيم في السلوك وتوجهه.

- تصنيفات القيم:

تتعدد وتتنوع تصنيفات القيم؛ نتيجة لاختلاف المفاهيم المفسرة للقيمة، ومن أبرز تلك التصنيفات:

١- تصنيف القيم على أساس الشدة، يذكر الدباغ وحاتم (٢٠١٢م) أن لهذا التصنيف ثلاثة مستويات، وهي:

أ- القيم الملزمة، وهي القيم التي تتصل بالمبادئ، والالتزام بها واجب، كحق الرعية.

ب- القيم التفضيلية، وهي القيم التي لا يجب على أفراد المجتمع الالتزام بها، ويكتفى بتشجيعهم عليها، كإكرام الضيف.

ج- القيم المثالية، وهي القيم التي يرجو المجتمع تحقيقها بشكل كامل، إلا أنهم يجدون صعوبة في ذلك.

٢- تصنيف القيم على أساس المقصد، يذكر الحربي (٢٠١٠م) أن لهذا التصنيف قسمين:

أ- قيم وسائلية، وهي التي تعدُّ وسيلة لغاية أبعد.

ب- قيم غائية، وهي القيم التي تكون غاية في حد ذاتها (ص ٤٩).

٣- تصنيف القيم على أساس المحتوى، يذكر إبراهيم والأمين (٢٠٠٥م) أن أشهر التصنيفات التي اعتمدت على

المحتوى تصنيف سبرانجر، حيث حدّد ستة أصناف، وهي:

أ- القيم النظرية، وهي تتميز باهتمامها بالمعرفة وكشف الحقيقة.

ب- القيم الاقتصادية، وهي تهتم بالمنفعة الاقتصادية المادية، والسعي للمال والتكسب.

ج- القيم الجمالية، وهي التي تهتم بالجمال والشكل والتناسق.

د- القيم الدينية، وهي التي تهتم بما وراء هذا العالم، وتسعى لمعرفة مصير الإنسان.

هـ- القيم الاجتماعية، وهي التي تهتم بالعلاقات الاجتماعية ومحبة الناس والتعاطف معهم.

و- القيم السياسية، وهي السعي لاكتساب السلطة والنفوذ والقوة.

ومن الباحثين من صنف القيم على هذا الأساس؛ كتصنيف البشري (٢٠١٠م) حيث قسم القيم إلى تسعة أقسام، وهي:

قيم دينية، قيم اجتماعية، قيم أخلاقية، قيم نفسية، قيم عقلية، قيم عملية، قيم وطنية، قيم بيئية، قيم ترويقية، وكذلك صنف مقابلة والبشارة (٢٠٠٧م) القيم إلى عشرة أقسام، وهي: قيم اجتماعية، قيم دينية، قيم بيئية، قيم اقتصادية، قيم تاريخية، قيم صحية، قيم جمالية، قيم مهنية، قيم إنسانية، قيم وطنية.



٤- تصنيف القيم على أساس العمومية، ويوضح الدباغ وحاتم (٢٠١٢م) أن التصنيف على أساس العمومية على قسمين:

أ- قيم عامة، وهي القيم التي تنتشر في المجتمع كله بجميع فئاته وطبقاته.

ب- قيم خاصة، وهي القيم التي تتعلق بجماعة أو منطقة أو فئة أو مواقف معينة.

ومن خلال ما سبق يتبين الاختلاف بين هذه التصنيفات؛ وهذا يعود إلى أن كل تصنيف يتناول القيم من زاوية مختلفة. واعتمدت الباحثة في تصنيف القيم في هذه الدراسة على أساس المحتوى، ونظرًا لاختلاف التصنيفات التي اعتمدت على هذا الأساس رأت الباحثة تصنيف القيم بما يتناسب مع حدود الدراسة، وهي كالاتي: قيم إيمانية، قيم أخلاقية، قيم اجتماعية.

٤- ماهية القيم التربوية الإسلامية:

موضوع القيم التربوية الإسلامية موضوع عريض ومتشعب، وهذا راجع إلى ارتباطها الوثيق بالوحي؛ يشير سليمان (٢٠١٥م) أن القيم التربوية الإسلامية تعتمد بشكل أساسي على الوحي -بمصدره القرآن الكريم والسنة النبوية- الذي تناولت أحكامه وتشريعاته الأمور الدنيوية والأخروية، وارتكزت تعاليمه على العلم والعمل والاستقامة، لذلك يرى طایل (١٩٩٧م) أن القيم الإسلامية هي الدين نفسه، الشاملة للعقيدة والشرعية والأخلاق والمعاملات والعبادات، فهي ثابتة بثبات مصادرها، وهي المقياس لما هو صائب وخاطئ (ص ٣٠)، واهتمام العلماء المسلمين بالقيم قديم؛ وهذا راجع إلى اهتمامهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية، يذكر الصمدي (٢٠٠٨م) أن الفقهاء قديما لم يقصروا النظر على ناحية معينة عند بيان الأحكام الشرعية كالناحية العقدية أو الفقهية؛ بل نظروا إلى آثار ومقاصد هذه الأحكام التي ترتبط في كثير منها بقيم محددة، وقد أفردوا لها أبوابًا ومؤلفات خاصة؛ مثل كتاب الزهد لابن المبارك، والأدب المفرد للبخاري، وأدب الدنيا والدين للماوردي، وغيرها كثير (ص ١٥)، ومع ذلك يشير الجلال (د.ت) أن مصطلح القيم الإسلامية لم يرد ذكره في التراث التربوي الإسلامي، فهو كغيره من المصطلحات الحديثة التي ذاعت وانتشرت، ودخلت القاموس التربوي الإسلامي دون بيان دقيق لمفهومها (ص ٥٤)، وحاول الباحثون تعريف القيم التربوية الإسلامية، ومن ذلك تعريف أبو العينين (١٩٩٨م، ص ٧٩) للقيم التربوية الإسلامية بأنها: "مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة"

ويتفق معه الحازمي (٢٠١٤م) الذي يعرف القيم التربوية الإسلامية بأنها: "مجموعة المعايير والمبادئ التي جاء بها الإسلام والتي تحكم علاقة الشخص بالله عزَّ وجل، وبنفسه، وبالأخرين" (ص ١٩)، كما عرفها قميحة (١٩٨٤م) بأنها: "مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة" (ص ٤١)، ويقاربه في التعريف أحمد (٢٠٠١م) حيث يذكر أن القيم التربوية الإسلامية هي: "مجل الأخلاق التي حث عليها الوحي، وتعارف عليها أولو العلم وأهل الحل والعقد من رجال الأمة الإسلامية".



وذكر أبو زائدة (٢٠١٥م) أنها: "مجموعة من الضوابط والمثُل المنبثقة من الوحي، وما أجمع عليه المجتمع المسلم من الأخلاق الفاضلة والسلوكيات القويمة التي تضبط سلوك الأفراد، وتنمو لديهم بالتربية الحسنة واتباع شرع الله، وتوجه سلوكهم نحو أعمال الخير من دون مخالفة لتعاليم الدين وضوابط المجتمع، وهي ما يحدد علاقة الإنسان بربه، ومع نفسه، ومع غيره، وأي خروج عليها هو مخالفة وعصيان لشرع الله تعالى والمجتمع المسلم" (ص٦٦).

ومن خلال التعريفات السابقة نخلص إلى:

أ- تنبثق القيم التربوية الإسلامية وتستنبط من مصدرها الأساس وهو الوحي الإلهي.

ب- تشمل القيم التربوية الإسلامية المبادئ العقدية والتشريعات العبادية والأخلاق السلوكية.

ج- تعد القيم التربوية الإسلامية المعيار الذي يُعرف به الصواب من الخطأ والحسن من القبيح، والمرغوب به والمرغوب عنه.

د- تؤثر القيم التربوية الإسلامية في السلوك وتضبطه.

ثانيًا- الدراسات السابقة:

تسعى الباحثة إلى عرض الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالية؛ وذلك من أجل التعرف على ما توصلت إليه تلك الدراسات من نتائج والتعليق عليها ومقارنتها بالدراسة الحالية.

- دراسة الرومي (٢٠١٢م) بعنوان: "تحليل القيم المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الأول المتوسط وتقويم تدريس المعلمين إياها".

هدفت الدراسة إلى التعرف على القيم التي يتضمنها كتاب لغتي الخالدة للصف الأول المتوسط في المملكة العربية السعودية، ومناسبة توزيعها فيه، والأساليب والإجراءات المناسبة لتدريسها، وتقويم أداء معلمي اللغة العربية في تنفيذ تلك الأساليب والإجراءات، واتباع الباحث المنهج الوصفي من خلال أسلوب تحليل المحتوى لاستخراج القيم التي يتضمنها كتاب لغتي الخالدة للصف الأول المتوسط، واتباع الأسلوب المسحي للتعرف على إجراءات المعلمين في تدريسها، ولأجل تحقيق أهداف الدراسة صمم الباحث أداتين هما: بطاقة تحليل المحتوى لتحليل القيم في الكتاب، وبطاقة ملاحظة لتقويم أداء المعلمين في تدريس القيم، وتكونت عينة الدراسة من كتاب لغتي الخالدة للصف الأول المتوسط، ومعلمي كتاب لغتي الخالدة في محافظة الزلفي وبلغ عددهم (١٥) معلمًا.

وأشارت أبرز نتائج الدراسة إلى وجود (١٨١) قيمة بتكرار وصل إلى (٨٢٥) في كتاب لغتي الخالدة للصف الأول متوسط، وتوزعت هذه القيم على سبعة أنواع من القيم الرئيسية، وهي: القيم الدينية، والاجتماعية، والذاتية، والوطنية، والمعرفية، والاقتصادية، والجمالية، وكانت أعلى القيم تكرارًا القيم الدينية ثم الاجتماعية وأقلها الجمالية والصحية.

- دراسة أبو زائدة (٢٠١٥م) بعنوان: "القيم التربوية المتضمنة في كتب اللغة العربية للمرحلة الإعدادية في المجلس الأعلى للتعليم بدولة قطر".



هدفت الدراسة إلى تحليل كتب اللغة العربية للمرحلة الإعدادية بدولة قطر، والكشف عن مدى توافر القيم التربوية فيها، وإلقاء الضوء على مفهوم القيم وأهميتها في الكتب الدراسية، وإعادة النظر في كتب اللغة العربية بدولة قطر وتطويرها، واتبع الباحث المنهج الوصفي من خلال أسلوب تحليل المحتوى، وقام ببناء قائمة بالقيم التربوية كأداة لجمع البيانات، وتكونت عينة الدراسة من كتب اللغة العربية للصف السابع والثامن والتاسع الإعدادي.

وتوصلت النتائج إلى أن القيم التربوية توزعت على سبعة مجالات رئيسية، ولم تظهر جميع القيم التربوية المتوقعة، وجاءت تكرارات القيم الاجتماعية بالمرتبة الأولى، تليها القيم العلمية، ثم القيم الدينية، ثم القيم السياسية والوطنية، ثم القيم الاقتصادية، ثم القيم الجمالية، وفي المرتبة الأخيرة القيم البيئية.

- دراسة المحمادي (٢٠١٥م) بعنوان: "القيم التربوية المتضمنة في مقرر لغتي الخالدة للصف الثالث المتوسط وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة".

هدفت الدراسة إلى الكشف عن القيم المتضمنة في مقرر لغتي الخالدة للصف الثالث المتوسط في المملكة العربية السعودية، وبيان تطبيقاتها التربوية في الأسرة والمدرسة، ولتحقيق ذلك؛ اتبعت الدراسة المنهج الوصفي من خلال أسلوب تحليل المحتوى، وبنى الباحث أداة تحليل خاصة بدراسته، وشملت عينته كتاب لغتي الخالدة للصف الثالث المتوسط في المملكة العربية السعودية.

ومن أبرز النتائج التي أظهرتها الدراسة أن قيم المجال الاجتماعي حلت في المرتبة الأولى بأعلى تكرار، تلاه المجال العقلي في المرتبة الثانية، ثم المجال الديني في المرتبة الثالثة، ثم حلت قيم المجال الأخلاقي في المرتبة الأخيرة، كما أظهرت الدراسة وجود تفاوت في تضمين القيم في مقرر لغتي الخالدة، حيث ركز على قيم معينة فجاءت تكراراتها عالية، مقابل ضعف التركيز على قيم أخرى فجاءت تكراراتها منخفضة.

- دراسة أمل العتيبي (٢٠١٥م)، بعنوان: "القيم التربوية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الأول المتوسط".

هدفت دراستها إلى التعرف على القيم التربوية المناسبة لطالبات الصف الأول المتوسط في المملكة العربية السعودية، والتي يجب أن يعززها مقرر لغتي الخالدة، ولتحقيق ذلك اتبعت الدراسة المنهج الوصفي من خلال أسلوب تحليل المحتوى، وبنت الباحثة أداة الدراسة وهي قائمة بالقيم التربوية المناسبة لطالب الصف الأول المتوسط؛ أما عينة الدراسة فكانت الوحدة الأولى والثانية فقط- من كتاب لغتي الخالدة للصف الأول المتوسط.

وجاءت نتائج الدراسة على أن أكثر القيم تكراراً هي: شكر الله، كما أظهرت النتائج أن القيم الروحية العقدية حلت في المرتبة الأولى بأعلى نسبة تكرار، تليها القيم الجمالية، ثم القيم الخلقية الاجتماعية، ثم حلت القيم الاجتماعية بنسبة منخفضة، وتوالت بقية القيم بنسب منخفضة كذلك.



التعليق على الدراسات السابقة:

١- من حيث الهدف:

وتتشابه الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في كونها تهدف للكشف عن القيم التربوية في كتب اللغة العربية للمرحلة المتوسطة وتنفرد الدراسة الحالية في كونها تبحث في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية.

وهناك دراسات إلى جانب كونها تهدف للكشف عن القيم التربوية في الكتب الدراسية استهدفت أهدافاً أخرى، كدراسة الرومي (٢٠١٢م) التي هدفت إلى تقويم تدريس المعلمين للقيم، وهدفت دراسة المحمادي (٢٠١٥م) إلى إبراد تطبيقات تربوية في الأسرة والمدرسة للقيم التربوية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثالث المتوسط.

٢- من حيث المنهج:

المنهج المستخدم في الدراسات السابقة هو المنهج الوصفي من خلال أسلوب تحليل المحتوى؛ حيث استخدم في دراسة أبو زائدة (٢٠١٥م)، والمحمادي (٢٠١٥م)، وأمل العتيبي (٢٠١٥م)، وتتفق الدراسة الحالية مع هذه الدراسات في كونها استخدمت منهجاً واحداً بأسلوب واحد؛ وهو المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المحتوى، وتختلف الدراسة الحالية بشكل جزئي مع الدراسات التي اتبعت أسلوب تحليل المحتوى إلى جانب الأسلوب المسحي؛ كدراسة الرومي (٢٠١٢م).

٣- من حيث الأداة المستخدمة:

تنوعت الأدوات المستخدمة في الدراسات السابقة، حيث بنت كل من دراسة أبو زائدة (٢٠١٥م)، ودراسة المحمادي (٢٠١٥م)، ودراسة أمل العتيبي (٢٠١٥م) قائمة بالقيم التربوية، وتشابه الدراسة الحالية مع هذه الدراسات في الأداة المستخدمة، وتختلف الدراسة الحالية بشكل جزئي مع دراسة الرومي (٢٠١٢م) حيث استخدم أداتين، وهما: قائمة بالقيم التربوية وبطاقة ملاحظة.

٤- من حيث العينة:

تنوعت العينات المستخدمة في الدراسات السابقة، فمنها ما اقتصرت عينتها على الكتب الدراسية فقط؛ كدراسة أبو زائدة (٢٠١٥م) ودراسة المحمادي (٢٠١٥م) ودراسة أمل العتيبي (٢٠١٥م) وهي بذلك تتشابه مع الدراسة الحالية.

وتختلف الدراسة الحالية بشكل جزئي مع دراسة الرومي (٢٠١٢م) التي جمعت بين العينة البشرية من المعلمين والكتب المدرسية.

ومن خلال عرض الدراسات السابقة رأَت الباحثة اهتمام الباحثين في السنوات الأخيرة بمراجعة الكتب المدرسية والكشف عن مدى تضمنها للقيم التربوية، حيث إن أغلب الدراسات السابقة حديثة ولا تتجاوز العشر سنوات، مما يدل على زيادة الاهتمام بالبحث حول القيم في الكتب المدرسية.

أوجه الاستفادة من الدراسة السابقة:



- استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في بناء رؤية شاملة حول موضوع القيم التربوية، والتعرف على المراجع التي استندت إليها الدراسات السابقة وإثراء الإطار المفاهيمي من خلالها.
- استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في اختيار منهج الدراسة، وتحديد الأداة المناسبة.
- استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في التعرف على أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسات، ومناقشة نتائج الدراسة الحالية في ضوء هذه النتائج.

إجراءات الدراسة:

- منهج الدراسة:

من أجل تحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن سؤالها الرئيس؛ اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على منهج تحليل المحتوى، والذي عرفه بيرلسون (في العساف، ٢٠٠٦م) بأنه: "عبارة عن طريقة بحث يتم تطبيقها من أجل الوصول إلى وصف كمي هادف ومنظم لمحتوى أسلوب الاتصال" (ص ٢٣٥)، وحاولت الباحثة من خلال اتباع خطوات هذا المنهج والتدرب عليه استخراج القيم التربوية الإسلامية التي يتضمنها كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية؛ بهدف تشخيصها ورصد عدد مرات تكرارها، والتعرف على مواطن التركيز في تلك التكرارات.

- مجتمع الدراسة:

شمل مجتمع الدراسة القيم التربوية الإسلامية في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية بفصليه الأول والثاني لعام ١٤٣٩هـ - ١٤٤٠هـ.

- أداة الدراسة:

تعرف استمارة التحليل بأنها: "الاستمارة التي يصممها الباحث لجمعه البيانات ورصد معدلات تكرار الظواهر في المواد التي يحلل محتواها" (طعيمة، ٢٠٠٤م، ص ١٨٧)، ولبناء أداة تحليل المحتوى؛ اتبعت الباحثة المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: تحديد الهدف من أداة التحليل:

حُدِدَ هدف أداة التحليل وهو الكشف عن القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية، في الجوانب الثلاثة: الإيمانية، والأخلاقية، والاجتماعية، ورصد عدد مرات تكرارها، ومعرفة مواطن التركيز في تلك التكرارات.

المرحلة الثانية: تحديد وحدات التحليل:

تعرف وحدات التحليل بأنها: "وحدات المحتوى التي يمكن إخضاعها للعد والقياس بسهولة، ويعطي وجودها أو غيابها أو تكرارها أو إبرازها دلالات تفيد في تفسير النتائج الكمية" (صبري والرافعي، ٢٠٠٨م، ص ١٢٥).

ولطبيعة الدراسة؛ اعتمدت الباحثة على وحدة الكلمة والموضوع؛ ليكون بالإمكان إصدار حكم على مدى توافر القيم التربوية الإسلامية في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط.



المرحلة الثالثة: تحديد فئات التحليل:

ويقصد بفئات التحليل: "العناصر الرئيسية والثانوية التي يتم وضع وحدات التحليل فيها" (عبيدات وآخرون، د.ب، ص٢٠٣) ويضيف طعيمة (٢٠٠٤م) إلى ما سبق: "والتي يمكن وضع كل صفة من صفات المحتوى فيها، وتصنف على أساسها" (ص٢٧٢)، ويقصد بفئات التحليل في الدراسة الحالية: قائمة بالقيم التربوية الإسلامية الواجب توافرها في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط كفئات تحليل رئيسية، ويصاحبها مقياس تقدير ثنائي (متوافر – غير متوافر).

- صدق أداة الدراسة:

وتعدُّ هذه المرحلة الرابعة من مراحل بناء أداة الدراسة، ويذكر الضامن (٢٠٠٧م) أن الصدق هو: "إثبات أن الأداة تقيس ما وضعت لقياسه" (ص١٩٣)، وللتحقق من صدق أداة الدراسة؛ عرضتها الباحثة على مجموعة من المحكمين والمحكمات ذوي الخبرة وأخذ مرئياتهم حولها، وبناء على توجيهاتهم؛ عدلت الباحثة بعض القيم الفرعية وذلك باستبعاد بعض القيم، وإعادة صياغة لبعضها، ودمج ونقل لبعض القيم الأخرى.

- ثبات أداة الدراسة:

وتعدُّ هذه هي المرحلة الخامسة في بناء أداة الدراسة، وتؤكد من ثبات أداة الدراسة بعد أن حلت الباحثة بمفردها وحدةً من الكتاب مرتين وعلى فترتين متباعدتين تقدر بنحو أسبوعين دون الرجوع إلى التحليل الأول، وبعد الانتهاء من التحليل الثاني استخدمت معادلة هولستي (Holisti) لقياس ثبات التحليل، على النحو الآتي:

$$م.ث = ن (س ص) \div س + ص \times ١٠٠, \text{ حيث تعني:}$$

■ م.ث: معامل الثبات.

■ ن: عدد مرات التحليل.

■ س ص: عدد القيم التربوية الإسلامية المتطابقة في التحليلين.

■ س ١: عدد القيم في التحليل الأول.

■ ص ١: عدد القيم في التحليل الثاني.

وقد بلغت نسبة الثبات (٠,٩١)، وتعد مقبولة وتفي بأغراض الدراسة، ويشير طعيمة (٢٠٠٤م) أن معامل الثبات ليست رقمًا مطلقاً يُعدُّ مرضياً في كل دراسة، وللتأكيد على ثبات الأداة؛ يمكن للباحث توضيح الإجراءات التي اتبعها (ص٢٣٥).

- أساليب المعالجة الإحصائية:

لتحقيق أهداف الدراسة؛ استُخدمت الأساليب الإحصائية الآتية:

- معادلة هولستي (Holisti)؛ لقياس ثبات أداة الدراسة.



- حساب التكرارات والنسب المئوية؛ لحساب تكرارات القيم التربوية الإسلامية ونسب تضمينها في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية.

نتائج الدراسة ومناقشتها وتفسيرها:

- النتائج المتعلقة بالسؤال الرئيس:

ما القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية؟ للإجابة على السؤال الرئيس؛ استُخدمت التكرارات والنسبة المئوية؛ للتعرف على القيم التربوية الإسلامية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية، والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (١) التكرارات والنسب المئوية للقيم التربوية الإسلامية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة

ع	القيم التربوية الإيمانية	القيم التربوية الأخلاقية	القيم التربوية الاجتماعية	المجموع
عدد التكرارات	١٦٥	٢٠٢	٣٦٩	٧٣٦
النسبة المئوية	٢٢,٤	٢٧,٤	٥٠,١	١٠٠٪

يوضح الجدول السابق أن القيم التربوية الإسلامية في الجانب الإيماني والأخلاقي والاجتماعي تكررت في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية بمقدار (٧٣٦) مرة، وهذا مؤشر على اهتمام الكتاب بالقيم التربوية الإسلامية وسعيه إلى تعزيزها في نفوس الطلبة، وقد يعزى هذا الاهتمام إلى معرفة مؤلفي كتاب لغتي الخالدة بدور اللغة العربية في غرس القيم التربوية؛ حيث تشير عايدة ذيب وختام أحمد (٢٠١٨م) إلى أن النصوص العربية وما تتضمنه من قيم ومواقف تربوية، تسهم في تأسيس القيم لدى الطلبة.

وتصدرت القيم الاجتماعية بأعلى نسبة تكرار؛ حيث جاءت بمقدار (٣٦٩) تكراراً، ونسبة (٥٠,١٪) مما شكل بوناً كبيراً بينها وبين تكرارات القيم التربوية في الجوانب الأخرى، وقد يعزى هذا إلى مراعاة الكتاب لخصائص نمو الطلبة في الجانب الاجتماعي في هذه المرحلة وميلهم إلى الاجتماع بأقرانهم، وسعي الكتاب إلى محاولة تعزيز القيم الاجتماعية بطرق سليمة، وتتشابه الدراسة الحالية مع دراسة أبو زائدة (٢٠١٥م) ودراسة المحمادي (٢٠١٥م) في أن القيم الاجتماعية تصدرت على الجوانب الأخرى.

وتلي القيم الاجتماعية القيم الأخلاقية حيث جاءت في المرتبة الثانية؛ وتكررت بمقدار (٢٠٢) من مجموع تكرارات القيم، ونسبة (٢٧,٤٪)، ولا تخفى أهمية القيم الأخلاقية وأهمية ترسيخها وتعزيزها في النفوس؛ فالتحلي بالأخلاق الحسنة من أهم ما يدعو إليه الدين الإسلامي.



ولا شك أن الانفتاح الإعلامي وسطوة الإنترنت؛ يعضد من أهمية القيم الأخلاقية ويزيد من أهمية تعزيزها في النفوس، حيث يؤكد العتيبي (٢٠١٢م) أن للإنترنت تأثير سلبي على القيم التربوية الأخلاقية يظهر من خلال الترويج للإباحية والدعوة للانحلال وغيرها من القيم المخالفة للإسلام، وأكد النمر (٢٠١٦م) على أن المراهق في هذه المرحلة سريع التأثر، ويميل إلى تقليد ما يراه ويتأثر به (ص ١٥٤)؛ لذلك اهتمت سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية بالقيم الأخلاقية ودعت إليها، ونرى ذلك جلياً في أهداف المرحلة المتوسطة؛ إذ نصّت الوثيقة (وزارة المعارف، ١٩٩٥م) على تحفيز همم الطلبة وتعويدهم حفظ الوقت واستثماره فيما يفيد (ص ١٨)، وتقرب نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة أمل العتيبي (٢٠١٥م) إذ حلت القيم الخلقية في المرتبة الثالثة.

وجاءت القيم الإيمانية بعد القيم الأخلاقية في المرتبة الأخيرة، وبعدد تكرار بلغ (١٦٥) تكراراً، وبنسبة (٢٢,٤٪)، إذ جاءت النسبة متأخرة إلى حد ما؛ فالطلبة في هذه المرحلة في أمس الحاجة إلى القيم الإيمانية؛ لما فيها من أهمية دينية ودنيوية، ولما يعترضهم في هذه السن من نمو عقلي يجعلهم مستقلين في آرائهم التي قد تتأثر بالثقافات المضلة إذا لم ترسخ فيهم القيم التربوية الإيمانية بشكل سليم، إذ نوهت مريم سليم (٢٠٠٢م) على أن المراهق في هذه المرحلة يتصف بالاستقلال العقلي؛ مما يجعله يرفض بعض القيم وينزلها إلى ميزانه العقلي (ص ٤١٥)، خصوصاً أن المراهق في هذه المرحلة يحلل وينقد المعتقدات الدينية التي تعلّمها في طفولته، وربما حاول تعديلها وتغييرها لتنسجم مع أفكاره وحاجاته (الشربيني وصادق، ٢٠١١م، ص ٨٠).

وتتشابه نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة أبو زائدة (٢٠١٥م) ودراسة المحمادي (٢٠١٥م) في كون القيم المسماة بالقيم الدينية جاءت في المرتبة الثالثة.

- الإجابة عن السؤال الأول:

نصّ السؤال على: ما القيم الإيمانية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية؟ وللإجابة عن السؤال الأول؛ استُخدمت التكرارات والنسبة المئوية للتعرف على القيم الإيمانية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية، وتم ترتيبها تنازلياً حسب النسبة المئوية، ويتضح ذلك في الجدول الآتي:

جدول (٢) تكرار القيم التربوية الإيمانية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة

الترتيب	القيم التربوية الإيمانية	التكرار	النسبة المئوية
١	الدعاء	٢٨	١٧
٢	سلامة التوحيد	٢٥	١٥,٢
٣	شكر النعمة	١٦	٩,٧
٤	الصدقة	١٣	٧,٩



الترتيب	القيم التربوية الإيمانية	التكرار	النسبة المئوية
٥	الإخلاص	١٢	٧,٣
٥	المحافظة على الصلوات	١٢	٧,٣
٦	الإيمان بالرسول	١١	٦,٧
٧	الإيمان باليوم الآخر	٩	٥,٥
٨	الاعتزاز بالدين	٨	٤,٨
٩	استشعار مراقبة الله وخشيته	٧	٤,٢
١٠	ذكر الله	٥	٣
١١	محبة الرسول ﷺ	٣	١,٨
١١	احترام شعائر الإسلام	٣	١,٨
١١	الكلمة الطيبة	٣	١,٨
١٢	التفكر في الكون ومخلوقات الله	٢	١,٢
١٢	التوكل على الله في جميع الأمور	٢	١,٢
١٢	التوبة	٢	١,٢
١٣	حسن الظن بالله	١	٠,٦
١٣	محبة الله	١	٠,٦
١٣	الإيمان بالقدر خيره وشره	١	٠,٦
١٣	الإيمان بالملائكة	١	٠,٦
١٤	الإيمان بالكتب السماوية	٠	٠
	المجموع	١٦٥	٪١٠٠

أظهرت نتائج الجدول السابق أن كتاب لغتي الخالدة المقرر للصف الثاني المتوسط احتوى على (١٦٥) قيمة تربوية إيمانية، ويتضح من الجدول أن قيمة الدعاء هي القيمة الأبرز من بين القيم التربوية الإيمانية؛ حيث تكررت (٢٨) مرة، وبنسبة (١٧٪)، ولعل هذا يعود إلى مكانة الدعاء في الإسلام، وأهميته في حياة المسلم، فهو يوثق العلاقة بين الفرد وربّه



ويعمق صلته به، ويهب المزيد من الطمأنينة والاستقرار، وهذا من أشد ما يحتاج إليه المراهق في هذه المرحلة؛ حيث يشير الهنداوي (٢٠٠٧م) أن المراهق في هذه المرحلة تتناوبه عدة مخاوف نفسية (ص ٢٦٦)، والالتجاء إلى الله لكشف هذه المخاوف من أكبر أسباب الطمأنينة والسكينة.

وتأتي قيمة سلامة التوحيد في المرتبة الثانية بعدد تكرار بلغ (٢٥)، وبنسبة (١٥,٢٪)، وتعزو الباحثة ذلك إلى اهتمام سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية بسلامة العقيدة الإسلامية، حيث أشارت وثيقة سياسة التعليم (وزارة المعارف، ١٩٩٥م) إلى أهمية توثيق العقيدة الإسلامية في نفوس الطلبة؛ لتكون ضابطة لسلوكهم وتصرفاتهم (ص ١٨)، وجاءت قيمة الإيمان بالكتب السماوية بلا أي تكرار، ومجيء هذه القيم الإيمانية في المراتب الأخيرة وبتكرار ضعيف يفسر أن هناك اهتمامًا ببعض القيم دون الأخرى.

- الإجابة عن السؤال الثاني:

نص السؤال على: ما القيم الأخلاقية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية؟ وللإجابة عن السؤال الثاني استُخدمت التكرارات والنسبة المئوية؛ للتعرف على القيم الأخلاقية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية، ويتضح ذلك في الجدول الآتي:

جدول (٣) تكرار القيم التربوية الأخلاقية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة

الترتيب	القيم التربوية الأخلاقية	التكرار	النسبة المئوية
١	علو الهمة والطموح	٤٣	٢١,٣
٢	المحبة	١٩	٩,٤
٢	الصبر	١٩	٩,٤
٣	النظافة وحسن المظهر	١٧	٨,٤
٤	الشجاعة	١٦	٧,٩
٥	حفظ الوقت	١٣	٦,٤
٦	الصدق	١٠	٥,٠
٧	الكرم	٩	٤,٥
٧	الرحمة	٩	٤,٥
٨	التواضع	٨	٤,٠
٩	التوسط والاعتدال	٦	٣,٠



الترتيب	القيم التربوية الأخلاقية	التكرار	النسبة المئوية
٩	التفاؤل	٦	٣,٠
٩	محاسبة النفس	٦	٣,٠
١٠	الرضا	٤	٢,٠
١١	الثقة بالنفس	٣	١,٥
١١	الحلم	٣	١,٥
١١	الإيثار	٣	١,٥
١٢	الوفاء	٢	١,٠
١٢	العفو	٢	١,٠
١٣	الأمانة	١	٠,٥
١٣	التأني	١	٠,٥
١٣	الحياء	١	٠,٥
١٣	تجنب الغيبة والنميمة	١	٠,٥
١٤	العفة	٠	٠
المجموع		٢٠٢	٪١٠٠

أظهرت نتائج الجدول السابق أن القيم التربوية الأخلاقية قد تكررت في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط بمقدار (٢٠٢) مرة، وتصدرت فيها قيمة علو الهمة والطموح بأعلى نسبة تكرار؛ حيث تكررت بمقدار (٤٣) مرة، وبنسبة (٢١,٣٪) ومما يفسر هذا التصدر اهتمام الأهداف الخاصة للمرحلة المتوسطة التي نصّت عليها وثيقة سياسة التعليم (وزارة المعارف، ١٩٩٥م) برفع همة الطلبة وتشجيعهم (ص١٨)، ويلاحظ أن قيمة العفة لم تُتناول في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط، وترى الباحثة أن القصور في التضمنين يقود إلى الحكم بأن الكتاب لم يراع توزيع القيم الأخلاقية بشكل متناسب؛ حيث أظهرت النتائج أن هناك قيمةً ركّز عليها، وقيماً أهملت.

- الإجابة عن السؤال الثالث:

نصّ السؤال على: ما القيم الاجتماعية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية؟



وللإجابة عن السؤال الثالث؛ استُخدمت التكرارات والنسبة المئوية؛ للتعرف على القيم الاجتماعية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية، ويتضح ذلك في الجدول الآتي:

جدول (٤) تكرار القيم التربوية الاجتماعية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة

الترتيب	القيم التربوية الاجتماعية	التكرار	النسبة المئوية
١	التعاون على البر والتقوى	١٢٩	٣٥,٠
٢	النصيحة والتوجيه	٣٩	١٠,٦
٣	حب الوطن	٣٣	٨,٩
٤	تقدير العلم والعلماء	٢٤	٦,٥
٥	الاحترام	٢٢	٦,٠
٦	المحافظة على الممتلكات العامة والخاصة	١٦	٤,٣
٧	السلام	١٥	٤,١
٨	العدل	١٤	٣,٨
٩	آداب الحوار مع الآخرين	١١	٣,٠
١٠	حب الخير للغير	١٠	٢,٧
١١	الصحة الصالحة	٩	٢,٤
١٢	التكافل الاجتماعي	٨	٢,٢
١٢	تحمل المسؤولية	٨	٢,٢
١٣	القدوة الحسنة	٦	١,٦
١٤	بر الوالدين	٥	١,٤
١٤	المشاركة والتفاعل الاجتماعي	٥	١,٤
١٥	إكرام الضيف	٤	١,١
١٥	عيادة المريض	٤	١,١
١٦	حسن الجوار	٢	٠,٥



الترتيب	القيم التربوية الاجتماعية	التكرار	النسبة المئوية
١٦	الحرص على الترابط الأسري	٢	٠,٥
١٦	تقدير المرأة	٢	٠,٥
١٧	صلة الرحم	١	٠,٣
١٨	مواجهة الإشاعات المضللة	٠	٠,٠
١٨	الاستئذان	٠	٠,٠
	المجموع	٣٦٩	٪١٠٠

أظهرت نتائج الجدول السابق أن كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط قد تضمن قيمًا تربوية اجتماعية جاءت بتكرار بلغ (٣٦٩)، وتصدرت قيمة التعاون على البر والتقوى على جميع القيم الاجتماعية بتكرار بلغ (١٢٩)، وبنسبة بلغت (٣٥,٠٪). وتعد هذه النسبة عالية مقارنة بالنسب الأخرى للقيم التي تليها، ومما يفسر هذا التصدر أن وثيقة منهج اللغة العربية (وزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٧م) قد اقترحت تضمين التعليم التعاوني من ضمن طرق التدريس (ص ٥٠)؛ حيث لاحظت الباحثة أن أكثر مكان وردت فيه قيمة التعاون على البر والتقوى هي الأسئلة التي تحت الطلبة على مشاركة المجموعة للإجابة عنها.

كما أظهرت نتائج الجدول السابق أن قيمة الاستئذان ومواجهة الإشاعات المضللة لم ترد في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط، مع مناسبتها لهذه المرحلة، وموافقة قيمة مواجهة الإشاعات المضللة لأهداف المرحلة المتوسطة؛ إذ أشارت وثيقة سياسة التعليم (وزارة المعارف، ١٩٩٥م) إلى أهمية توعية الطلبة في هذه المرحلة بكيفية مواجهة الإشاعات والمبادئ الهدامة (ص ١٨) وجعلته من ضمن أهداف المرحلة المتوسطة.

٢- نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- يؤدي كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية دورًا مهمًا في تعزيز القيم التربوية الإسلامية؛ حيث احتوى على (٧٣٦) قيمة تربوية؛ وذلك بعد تحليل الكتاب بفصليه الأول والثاني لعام ١٤٣٩هـ. ومن أبرز هذه القيم -وفق تكرارها-: التعاون على البر والتقوى، علو الهمة والطموح، النصيحة والتوجيه، حب الوطن، الدعاء.

٢- حصلت القيم التربوية الاجتماعية على أعلى عدد تكرار من بين القيم التربوية الإسلامية، وجاءت بنسبة (٥٠,١٪)، وحلّت القيم التربوية الأخلاقية في المرتبة الثانية في تكرارات القيم التربوية الإسلامية بنسبة (٢٧,٤٪)، كما أظهرت النتائج أن القيم التربوية الإيمانية جاءت في المرتبة الثالثة والأخيرة بنسبة (٢٢,٤٪).

٣- أظهرت النتائج أن هناك قيم تربوية ركز عليها، دون القيم التربوية الأخرى.



٤ - يوجد أربع قيم تربوية لم ترد في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية، وهي: العفة، والاستئذان، ومواجهة الإشاعات المضللة، والإيمان بالكتب السماوية.

٣- توصيات الدراسة:

في ضوء النتائج التي انتهت إليها الدراسة حول القيم التربوية الإسلامية في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية؛ توصي الباحثة بالآتي:

١ - إعلام معلمي ومعلمات مادة لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية بالقيم التربوية الإسلامية التي حصلت على تكرارات عالية؛ لتعزيزها بطرق سليمة وراسخة.

٢ - تنبيه مؤلفي كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية بالقيم التربوية الإسلامية التي ينبغي توافرها في الكتاب؛ لتضمينها.

٣- مقترحات الدراسة:

في ضوء نتائج الدراسة تقترح الباحثة إجراء الدراسات الآتية:

- إجراء دراسة عن الأساليب والطرق المناسبة لتدريس القيم المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية.

- إجراء دراسة عن مدى اكتساب طلبة الصف الثاني المتوسط للقيم التربوية الإسلامية المتضمنة في الكتاب.

- إجراء دراسات مماثلة لكتب دراسية أخرى.

المراجع:

إبراهيم، صالح والأمين، عبد الله. (٢٠٠٥م). القيم التربوية المفهوم الخصائص التصنيفات دراسة تحليلية مقارنة، مجلة تفكر، ٧(١)، ٨٧-١٣٨.

أبو زائدة، محمد. (٢٠١٥م). القيم التربوية المتضمنة في كتب اللغة العربية للمرحلة الإعدادية في المجلس الأعلى للتعليم بدولة قطر. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان، أم درمان.

أبو شريخ، شاهر ومصطفى، عمر. (٢٠١٤م). القيم التربوية في النصوص الشرعية في كتب الثقافة الإسلامية للمرحلة الثانوية في الأردن. مجلة العلوم التربوية والنفسية، ١٥(٣)، ٢٣٣-٢٥٧.

أبو العينين، علي خليل. (١٩٨٨م). القيم الإسلامية والتربية دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها. المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حليبي.

أبو العينين، علي خليل. (١٩٩٨م). الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام. في: صالح بن حميد (محرر)، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، (٥١-١٨٣)، جدة: دار الوسيلة.

أحمد، إسماعيل. (٢٠٠١م). كيف نغرس القيم الإسلامية في نفوس الناشء. مجلة الشريعة الدراسات الإسلامية، ١٦(٤٤)، ٢٥٧-٢٩٢.

الأفطش، يحيى. (١٩٩٠م). نحو منظومة مثلى للقيم. رسالة المعلم، ٣١(٣)، ٤٧-٥٣.



- البشري, محمد. (٢٠١٠م). القيم التربوية المتضمنة في كتب المطالعة المقررة في صفوف المرحلة الثانوية. دراسات في المناهج وطرق التدريس, (١٥٦), ٦٦-١٤.
- الترابي, محمد. (٢٠٠٩م). القيم التربوية في الإسلام. مجلة المنبر, (٨), ١٠٨-٨٧.
- الجراح, مصباح. (٢٠١٦م). القيم التربوية المتضمنة في كتاب لغتنا العربية للمرحلة الأساسية الأولى في الأردن. مجلة الأكاديمية العربية بالدنمارك, (١٨), ٢١٣-١٧٩.
- الجلاد, ماجد زكي. (د.ت). تعلم القيم وتعليمها تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم. عمان: دار المسيرة.
- الحارثي, سلطان محمد. (٢٠١٠م). القيم المتضمنة في محتوى كتب التربية الإسلامية للمرحلة المتوسطة في المملكة العربية السعودية. رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة مؤتة, الأردن.
- الحازمي, عايد. (٢٠١٤م). دور القيم الإسلامية في ضبط العلاقات الأسرية. رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة اليرموك, إربد.
- الحربي, إبراهيم. (٢٠٠٨م - يوليو). القيم التربوية المتضمنة في كتب الرياضيات في المملكة العربية السعودية. ورقة مقدمة إلى المؤتمر العشرون: مناهج التعليم والهوية الثقافية, الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس, القاهرة, يوليو, ٢٠٠٨م.
- الحربي, علي. (٢٠١٠م). أهمية دور معلمي العلوم الطبيعية في تنمية القيم العلمية لدى طلاب الصف الثالث الثانوي الطبيعي بالمرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية. رسالة دكتوراه غير منشورة, جامعة أم القرى, مكة المكرمة.
- الخزاعلة, ليلي. (٢٠١٤م). القيم التربوية المتضمنة في مقررات اللغة العربية للمرحلة الثانوية في الأردن. رسالة دكتوراه غير منشورة, جامعة أم درمان الإسلامية, السودان.
- الخليفة, حسن. (٢٠٠٤م). دراسة تحليلية للمضامين الأخلاقية في كتب اللغة العربية بالصفوف الثلاث الأولى من المرحلة الابتدائية بدول الخليج العربية. رسالة الخليج العربي, ٢٥ (٩٣), ٩٦-١٣.
- خليفة, عبد اللطيف. (١٩٩٢م). ارتفاع القيم دراسة نفسية. الكويت: عالم المعرفة.
- الخالدة, محمد والشوكة, أحمد. (٢٠٠٥م). القيم التربوية المتضمنة في كتب التربية الإسلامية المقررة للصفوف الأربعة العليا من المرحلة الأساسية في الأردن. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس, ٣ (١), ١٧٥-١٣٨.
- الدباغ, مقداد وحاتم, وسام. (٢٠١٢م). تصنيفات القيم. مجلة العلوم التربوية والنفسية, (٨٩), ٢٠٥-١٨٩.
- الرومي, عبد الرحمن. (٢٠١٢م). تحليل القيم المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الأول المتوسط وتقويم تدريس المعلمين إياها. بحث تكميلي لنيل الماجستير غير منشور, جامعة الملك سعود, الرياض.
- الزهراني, حسين. (٢٠١٢م). القيم التربوية المتضمنة في مقرر التربية الإسلامية المطور للصف الرابع الابتدائي بالمملكة العربية السعودية دراسة تحليلية. بحث تكميلي لنيل الماجستير غير منشور, جامعة أم القرى, مكة المكرمة.
- زين الدين, علي. (٢٠١٦م). الأخلاق والقيم في المعنى والمصطلح والتجربة. مجلة الاستغراب, ٢ (٤), ٣٤٤-٣٣٦.
- السليم, بشار. (٢٠١٥م). القيم التربوية المتضمنة بالأناشيد الواردة في كتب لغتنا العربية لصفوف المرحلة الأساسية الأولى في الأردن. مجلة دراسات العلوم التربوية, ٤٢ (٢), ٦١٧-٦٠١.
- سليم, مريم. (٢٠٠٢م). علم نفس النمو. بيروت: دار النهضة العربية.



- سليمان, سليمان حندي. (٢٠١٥م). القيم الأخلاقية من المنظور الفلسفي والدين الإسلامي. مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية, ١٤ (٢), ٩٧-٧٦.
- شحاتة, حسن. (٢٠١٥م-سبتمبر). المناهج الدراسية وتوضيح القيم. ورقة مقدمة إلى المؤتمر القومي التاسع عشر: التعليم الجامعي العربي وأزمة القيم في عالم بلا حدود, جامعة عين شمس مركز تطوير التعليم الجامعي, القاهرة, ١٦-١٧ سبتمبر, ٢٠١٥م.
- الشربيني, زكريا ويسرية, صادق. (٢٠١١م). المراهقة قراءات بين آراء علم النفس وتوجيهات الهدي الإسلامي. الرياض: مكتبة الشقري.
- الشعوان, عبد الرحمن. (١٩٩٧م). القيم وطرق تدريسها في الدراسات الاجتماعية. مجلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية, ٩ (١), ١٨٤-١٥١.
- صبري, ماهر والرافعي, محب. (٢٠٠٨م). التقويم التربوي أسسه وإجراءاته. الرياض: مكتبة الرشد.
- الصمدي, خالد. (٢٠٠٨م). القيم الإسلامية في المنظومة التربوية دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها. الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو).
- الضامن, منذر. (٢٠٠٧م). أساسيات البحث العلمي. عمان: دار المسيرة.
- طایل, فوزي. (١٩٩٧م). كيف نفكر استراتيجيا. الجيزة: مركز الإعلام العربي.
- طعيمة, رشدي. (٢٠٠٤م). تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية مفهومه أسسه استخداماته. القاهرة: دار الفكر العربي.
- العاجز, فؤاد. (٢٠٠٢م). القيم وطرق تعلمها وتعليمها. مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس, ٨٣ (٨٣), ٨٥-٥٥.
- عاشور, راتب. (٢٠٠٧م). توزيع منظومة القيم في كتب اللغة العربية (القراءة ولغتنا العربية) بين عناصر المحتوى لطلبة الصفوف الأربعة الأولى في الأردن بين عامي ١٩٩٠م-٢٠٠٠م دراسة مقارنة. المجلة التربوية, ٢١ (٨٣), ٢١٥-١٧٣.
- عبيدات, ذوقان وعدس, عبد الرحمن وعبد الحق, كايد. (د.ت) البحث العلمي مفهومه أدواته أساليبه. دمشق: دار الفكر.
- العتيبي, أمل. (٢٠١٥م). القيم التربوية المتضمنة في كتاب لغتي الخالدة للصف الأول متوسط. بحث تكميلي لنيل الماجستير غير منشور, جامعة أم القرى, مكة المكرمة.
- العتيبي, بندر. (٢٠١٢م). التحديات التي تفرضها شبكة الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي على القيم في الوطن العربي. مجلة التربية للبحوث التربوية والنفسية والاجتماعية, ٣ (١٥١), ١٤٥-١٢٥.
- العساف, صالح. (٢٠٠٦م). المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية. ط٤, الرياض: مكتبة العبيكان.
- الفراهيدي, الخليل بن أحمد. (د.ت). العين. (ج ٥). بيروت: دار مكتبة الهلال.
- الفيروز آبادي, مجد الدين. (٢٠٠٥م). القاموس المحيط. ط٨, بيروت: مؤسسة الرسالة.
- القرشي, فايز. (٢٠١٠م). القيم المتضمنة في مقرر الحديث للصف الثالث متوسط ومدى تعزيز المقرر لهذه القيم. بحث تكميلي لنيل الماجستير غير منشور, جامعة أم القرى, مكة المكرمة.
- قميحة, جابر. (١٩٨٤م). المدخل إلى القيم الإسلامية. القاهرة: دار الكتاب المصري.



- المحمادي, مسلم. (٢٠١٥م). القيم التربوية المتضمنة في مقرر لغتي الخالدة للصف الثالث متوسط وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة. بحث تكميلي لنيل الماجستير غير منشور. الجامعة الإسلامية, المدينة المنورة.
- محمد, عبد الراضي. (١٩٨٩م). موقع القيم من بعض فلسفات التربية. مجلة دراسات تربوية, ٤(١٦), ٣١-١١.
- محمد, عائدة ذيب وبني عمر, ختام أحمد. (٢٠١٨م). القيم المتضمنة في كتب لغتنا العربية للصفوف الأساسية الثلاثة الأولى بالأردن دراسة تحليلية. دراسات عربية في التربية وعلم النفس, (٩٧), ٤٠٢-٣٨٥.
- المدخلي, محمد. (٢٠١٢م). القيم التربوية في كتاب لغتي المقرر على الصف الأول الابتدائي بالمملكة العربية السعودية دراسة تحليلية. مجلة كلية التربية, (١٤٧), ٧١٣-٦٧٧.
- مقابلة, نصر والبشائرة, زيد. (٢٠٠٧م). القيم المتضمنة في كتب لغتنا العربية للصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الأساسية في الأردن. مجلة العلوم التربوية والنفسية, ٨(٤), ١١٥-٩١.
- ابن منظور, محمد بن مكرم. (١٩٩٣م). لسان العرب. ط٣, (ج ١٢). بيروت: دار صادر.
- النمر, مصطفى. (٢٠١٦م). الدراما الأجنبية وانحرافات المراهقين السلوكية. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.
- الهنداوي, علي. (٢٠٠٧م). علم نفس النمو الطفولة والمراهقة. ط٧, العين: دار الكتاب الجامعي.
- وزارة التربية والتعليم. (٢٠٠٧م). وثيقة منهج اللغة العربية للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة في التعليم العام. الرياض: وزارة التربية والتعليم.
- وزارة التعليم. (٢٠١٩م). كتاب لغتي الخالدة للصف الثاني المتوسط الفصل الدراسي الأول كتاب الطالب. الرياض: وزارة التعليم.
- وزارة المعارف. (١٩٩٥م). سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية. ط٤.



أثر قاعدة الأمر المطلق يقتضي الوجوب في حكم الالتزام بنظام حظر التجول الصحي

أ. مواهب بنت عمر بن دبيان الصيفي - باحثة ماجستير في جامعة الأميرة نورة - المملكة العربية السعودية

Email: Mawahibalsifi@gmail.com

مستخلص البحث

إن الأمر والنهي هما خطابا التكليف، ومعظم الابتلاء بهما، وبمعرفة تهما تتم الأحكام، ويتميز الحلال من الحرام، وقد عظم الاهتمام بمسائلهما، ومن مسائل الأمر وقواعده الدقيقة، قاعدة اقتضاء الأمر المطلق للوجوب وغيره، وهي قاعدة هامة يتفرع عنها مسائل عدة، ونظرًا لما نعيشه اليوم من تغيير في الأحوال، وانتشار لبعض الأمراض المعدية والقاتلة، رأيت أن أبحث في إحدى المسائل المندرجة تحت هذه القاعدة، وهي مسألة (حكم الالتزام بنظام حظر التجول)، فإن هذا الإجراء - كما لا يخفى عليكم - من أقوى الإجراءات المانعة من انتشار الأمراض المعدية، لذلك جعلت هذه الدراسة بعنوان: "أثر قاعدة الأمر المطلق يقتضي الوجوب في أثر قاعدة الأمر المطلق يقتضي الوجوب في حكم الالتزام بنظام حظر التجول الصحي"

أهداف البحث: تهدف الدراسة إلى التعرف على قاعدة الأمر المطلق يقتضي الوجوب، والتعرف على صيغها، وخلاف العلماء فيها، وأثرها في مسألة الالتزام بنظام حظر التجول الصحي.

حدود البحث: حدود موضوعية؛ وذلك لتناوله قاعدة الأمر المطلق يقتضي الوجوب، وبين أثرها في حكم الالتزام بنظام حظر التجول الصحي.

منهج البحث: اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي.

نتائج البحث:

١- معنى قاعدة "الأمر المطلق يقتضي الوجوب" هو: أن الأمر إذا تجرد من القرائن الصارفة له عن إطلاقه؛ اقتضى الوجوب، أي طلب الفعل على سبيل الجزم.

٢- أن للقاعدة صيغ متنوعة ومتعددة، منها: الأمر يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة تصرفه إلى غيره، والأمر المطلق يقتضي الوجوب، والأصل في الأمر الوجوب، وموجب الأمر الوجوب.

٣- اختلف العلماء في المسألة على عدة أقوال، فقليل أن صيغة الأمر مجردة عن القرائن، تحمل على الوجوب، وقيل على الذنب، وقيل على الإباحة، وقيل يتوقف فيها حتى يأتي مرجح.

٤- تخريج مسألة الالتزام بنظام حظر التجول الصحي على القاعدة، فنظام حظر التجول الصحي يعرف بأنه: "التعليمات الصادرة من قبل سلطات الأمن المختصة، والقوات المسلحة لبلد ما، بالالتزام بالمنازل، وعدم التجول في الشوارع في ساعات معينة سواءً بالليل أو بالنهار؛ لأسباب صحية طارئة"، وقد قال الله سبحانه وتعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)، وقد وردت صيغة الأمر (أطيعوا) مجردة من القرائن وبناءً على الخلاف السابق فإن ولي الأمر إذا كان مسلمًا، فإن طاعته واجبة فيما يفرضه من أنظمة أمنية أو إدارية، هذا القول عند القائلين بأن الأمر المطلق يقتضي الوجوب وهو الراجح.

التوصيات: الاهتمام بدراسة النوازل الفقهية المستجدة وتفريعها على القواعد الأصولية المتقدمة؛ للجمع بين الأصالة والمعاصرة في البحوث العلمية، والعناية بالبحث في الموضوعات المتعلقة بالأوبئة المعدية المنتشرة حديثاً؛ وذلك لكثرة السؤال عن أحكامها، ولحاجة الناس إليها في هذه الأيام.



الحمد لله الواحد العدل الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلا هادي له، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد ..

فإن الأمر والنهي هما خطابا التكليف، ومعظم الابتلاء بهما، وبمعرفة كليهما تتم الأحكام، ويتميز الحلال من الحرام، وقد عظم الاهتمام بمسائلهما، ومن مسائل الأمر وقواعده الدقيقة، قاعدة اقتضاء الأمر المطلق للوجوب وغيره، وهي قاعدة هامة يتفرع عنها مسائل عدة، ونظراً لما نعيشه اليوم من تغيير في الأحوال، وانتشار لبعض الأمراض المعدية والقاتلة، رأيت أن أبحث في إحدى المسائل المندرجة تحت هذه القاعدة، وهي مسألة (حكم الالتزام بنظام حظر التجول)، فإن هذا الإجراء - كما لا يخفى عليكم- من أقوى الإجراءات المانعة من انتشار الأمراض المعدية، وجعلت عنوان البحث: **أثر قاعدة الأمر المطلق يقتضي الوجوب في حكم الالتزام بنظام حظر التجول الصحي**

أهمية الموضوع:

- ١- أن هذه القاعدة، من أوسع القواعد الأصولية وأكثرها تفرعاً.
- ٢- أهمية رد الفروع إلى أصولها، ورد الجزئيات إلى كلياتها.
- ٣- أن ما يحصل اليوم من تزايد في أعداد المصابين بمرض كورونا (كوفيد-١٩)، أجبر الدول على فرض أنظمة احترازية لمحاولة السيطرة على انتشار هذا الوباء؛ ومن أكثر هذه الأنظمة فعالية (نظام حظر التجول الصحي).
- ٤- التعرف على الجانب الشرعي في مسألة الالتزام بنظام حظر التجول الصحي.

أسباب اختيار الموضوع:

- ١- أن هذا الموضوع من الموضوعات التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ فمن خلاله يمكن التعرف على حكم الأنظمة الحديثة من خلال النظر في الكتب الأصولية المتقدمة.
- ٢- رغبة الباحثة في إثبات تجديد علم الفقه وأصوله، وأنه علم مواكب للعصر، وخادم لكل ما يستجد من تقنيات.

أهداف الموضوع:

- ١- التعرف على قاعدة الأمر المطلق يقتضي الوجوب وغيره.
- ٢- التعرف على صيغ القاعدة.
- ٣- بيان خلاف العلماء في القاعدة.
- ٤- بيان أثر القاعدة في حكم الالتزام بنظام حظر التجول الصحي.

مشكلة الموضوع:

- ١- ما المراد بقاعدة الأمر المطلق يقتضي الوجوب وغيره؟
- ٢- ما صيغ القاعدة؟
- ٣- ما خلاف العلماء في القاعدة؟
- ٤- ما أثر القاعدة في حكم الالتزام بنظام حظر التجول الصحي؟

الدراسات السابقة:

فيما اطلعت عليه الباحثة، لم تجد من تحدث عن موضوع قاعدة الأمر المطلق يقتضي الوجوب، وأثرها في حكم الالتزام بنظام حظر التجول الصحي.



حدود البحث:

وأما حدود البحث: فحدود موضوعية؛ وذلك لتناول البحث قاعدة اقتضاء الأمر المطلق للوجوب وغيره، وبيان حكم الالتزام بنظام (حظر التجول الصحي) من خلالها.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي.

إجراءات البحث:

- تصوير المسألة المراد بحثها قبل بيان حكمها؛ ليتضح المقصود من دراستها.
- إذا كانت المسألة من مواضع الاتفاق، فيذكر حكمها بدليله، مع توثيق ذلك من مظانه.
- إذا كانت المسألة من مسائل الخلاف، فيتبع ما يلي:
- تحرير محل النزاع إذا كانت بعض صور المسألة محل خلاف.
- ذكر أقوال الأصوليين في المسألة، ونسبة كل قول إلى قائله.
- اتباع منهج التوثيق المختصر، بذكر اسم الكتاب، ورقم الصفحة.
- منهج عزو الأحاديث وتخريجها: تخريج الأحاديث بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث، وبيان ما ذكره أهل الشأن في درجتها، إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، فإن كانت فيهما أو في أحدهما فأكثفي بهما.

المبحث الأول

التعريف بالقاعدة وصيغها

المطلب الأول: التعريف بالقاعدة:

المسألة الأولى: التعريف بالقاعدة باعتبارها مركباً:

أولاً: الأمر:

أولاً: في اللغة:

الأمر بمعنى الطلب، والحال، والشأن والسلطة^(١)، وهو القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به^(٢).

ثانياً: في الاصطلاح:

- يعرف الأمر بأنه: "القول الدال على طلب الفعل على جهة الاستعلاء"^(٣).
- أو "طلب الفعل واقتضائه على غير وجه المسألة وممن دون الأمر في الدرجة احتراز عن قوله: اللهم اغفر لي وعن سؤال العبد من سيده و الوالد من ولده"^(٤).

ثانياً: المطلق:

لغة: من الإطلاق بمعنى الإرسال، فهو مرسل أي بلا قيد ولا وثاق^(٥).

١ (المصباح المنير (١/٤٥٦).

٢ (القاموس المحيط (١/٣٦٥).

٣ (روضة الناظر (١٦٧).

٤ (مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الأصول (٣٦٩).

٥ (القاموس المحيط (٣/٢٥٨).



اصطلاحاً: المطلق هو المتناول لواحد لا يعينه باعتباره حقيقة شاملة لجنسه^(٦). وهي للنكرة في سياق الأمر كقوله تعالى: (فتحرير رقبة)^(٧)، وقد يكون في الغير كقوله عليه الصلاة والسلام: (لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل)^(٨)، مطلق: إذا أن اللفظ تناول واحداً غير معين من جنس الأولياء دون أي قيد يقيد^(٩).
ثالثاً: الوجوب:

لغة: يجب وجوباً وجبه: لزمه، وهو أيضاً بمعنى: السقوط ومنه: وجبت الشمس، والحائط إذا سقط^(١٠).
اصطلاحاً: ما أمر به أمراً جازماً، وضابطه أن فاعله موعود بالثواب وتاركه متوعد بالعقاب، كالصلاة والزكاة والصوم والوعيد بالعقاب لا ينافي المغفرة كما بينه تعالى: (وغفر ما دون ذلك لمن يشاء)^(١١).

المسألة الثانية: التعريف بالقاعدة باعتبارها لقباً:

تعني قاعدة "الأمر المطلق يقتضي الوجوب" أن الأمر إذا تجرد من القرائن الصارفة له عن إطلاقه اقتضى الوجوب، أي على طلب الفعل على سبيل الجزم. ومثاله قوله تعالى: (أقيموا الصلاة)^(١٢) فهذا أمر بإقامة الصلاة ولا قرينه تصرف هذا الأمر عن إطلاقه فيحمل على طلب أقامه الصلاة طلباً جازماً^(١٣). فتكون القاعدة كالآتي:

الأمر المطلق للوجوب، وإقامة الصلاة مأمور بها إذا فالصلاة واجبة.

المطلب الثاني: صيغ القاعدة^(١٤):

- الأمر يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة تصرفه إلى غيره.
- الأمر المطلق يقتضي الوجوب.
- الأمر المجرد من قرينة، حقيقة في الوجوب.
- الأصل في الأمر الوجوب.
- موجب الأمر الوجوب.

٦ (روضة الناظر (١٦٥).

٧ (سورة النساء الآية ٩٢).

٨ أخرجه أبو داود و الترمذي و أبي حنيفة و غيرهم بإسناد صحيح متصل عن أبي موسى الأشعري .

٩ (روضة الناظر (٢٣٠).

١٠ (القاموس المحيط (١٣٦/١).

١١ (سورة النساء الآية ٤٨).

١٢ (سورة البقرة الآية ٤٣).

١٣ (روضة الناظر (١٧٠).

١٤ (١) ينظر: المسودة (٣٦)، وقواطع الأدلة (٥٤)، وكشف الأسرار (٤٧٤/٢)، والقواعد والفوائد الأصولية (١٥٩).



المطلب الأول: تصوير المسألة:

إذا وردت صيغة الأمر مجردة عن القرائن، هل تحمل على الوجوب، أو النذب، أو الإباحة، أو يتوقف فيها حتى يأتي مرجح؟^(١٥)

المطلب الثاني: تحرير محل النزاع في المسألة:

أجمع الأصوليون على أن صيغة الأمر إذا صاحبها قرينة تدل على النذب، أو الإباحة، أو الوجوب أو التحريم؛ أن مقتضاها حينئذ ما دلت عليه القرينة، واختلفوا فيما لو تجردت عن القرائن على مذاهب متعددة^(١٦).

المطلب الثالث: أقوال العلماء في القاعدة:

أولاً: مذهب القائلين أن صيغة الأمر إذا تجردت عن القرائن؛ تفيد الوجوب.

وهو مذهب الشافعي، والفقهاء، وجماعة من المتكلمين كأبي الحسين البصري، وهو قول الجبائي في إحدى قوليه^(١٧).
ثانياً: القائلين أن صيغة الأمر إذا تجردت عن القرائن؛ تفيد النذب.

وهو مذهب جماعة من الفقهاء، والمعتمد عند كثير من المعتزلة كأبي هاشم الجبائي، ونُقل عن الشافعي -رحمه الله-^(١٨).

ثالثاً: مذهب القائلين أن صيغة الأمر إذا تجردت عن القرائن؛ تفيد الإباحة.

وهو مذهب بعض المعتزلة^(١٩).

رابعاً: مذهب القائلين بالتوقف في صيغة الأمر حتى يرد دليل أو قرينة تدل على المعنى المراد.

وهو مذهب الأشعري ومن تابعه من أصحابه، كالقاضي أبي بكر، والغزالي، وأختره الأمدى^(٢٠).
والقائلون بالتوقف على أقسام:

- ١- منهم من قال إن لفظ افعل مقول بالاشتراك اللفظي في هذه الأقسام وهو مذهب كثير من الشيعة^(٢١).
- ٢- ومنهم من قال إن لفظ (افعل) من حيث هو حقيقة في أحد المعاني التالية: (الوجوب والنذب والإباحة) لكن لم يبين الشارع لنا أي هذه المعاني هو حقيقة، وتكافئت الأدلة في نظرنا؛ فوجب التوقف^(٢٢).

(١٥) ينظر: المستصفى (٤١٩١)، المحصول (٣٩٢)، روضة الناظر (٦١٢)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٢٢).
(١٦) ينظر: التقريب والإرشاد (٥٣٢)، البرهان (٩٢١)، أصول السرخسي (١٥١)، المستصفى (٤١٩١)، المحصول (٤٤٢)، روضة الناظر (٦١٢)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٦٢)، تنقيح الفصول (١٠٩)، كشف الأسرار (١٠٧١)، البحر المحيط (٣٦٤٢)، شرح الكوكب المنير (٣٩١٣)، تشنيف المسامع (٥٩٦٢).
(١٧) ينظر: التقريب والإرشاد (٥٣٢)، البرهان (٩٢١)، أصول السرخسي (١٧١)، المستصفى (٤١٩١)، المحصول (٤٤٢)، روضة الناظر (٦٢٢)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٨٢)، تنقيح الفصول (١٠٩)، كشف الأسرار (١٠٧١)، البحر المحيط (٣٦٤٢)، شرح الكوكب المنير (٤٠٣)، تشنيف المسامع (٥٩٦٢).
(١٨) ينظر: التقريب والإرشاد، البرهان (٩٢١)، أصول السرخسي (١٧١)، المستصفى (٤١٩١)، المحصول (٤٤٢)، روضة الناظر (٦١٢)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٨٢)، تنقيح الفصول (١٠٩)، كشف الأسرار (١٠٧١)، البحر المحيط (٣٦٤٢)، شرح الكوكب المنير (٣٩١٣)، تشنيف المسامع (٥٩٦٢).
(١٩) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام (١٤٤٢).
(٢٠) ينظر: التقريب والإرشاد (٥٣٢)، البرهان (٩٢١)، أصول السرخسي (١٥١)، المستصفى (٤١٩١)، المحصول (٤٤٢)، روضة الناظر (٦١٢)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٦٢)، تنقيح الفصول (١٠٩)، كشف الأسرار (١٠٧١)، البحر المحيط (٣٦٤٢)، شرح الكوكب المنير (٣٩١٣)، تشنيف المسامع (٢٥٩٧).
(٢١) ينظر: المحصول (٤٤٢).
(٢٢) ينظر: المرجع السابق.



ثم إن المتوقفين^(٢٣):

منهم من تردد في كونها لأحد المعاني الأربع (الوجوب النذب الإباحة التهديد).
ومنهم من حصرها في الثلاث الأول.

ومنهم وهم الأكثر، حصرها وترددتهم وتوقفهم في كونها للوجوب أو النذب، وهذا منحى جماهير الأشاعرة والماتريديّة.

وأكثر من تكلم من العلماء في مسألة اقتضاء الأمر المجرد عن القرائن للوجوب وغيره، قسّم اختلاف العلماء في المسألة إلى أربعة أقسام -التي ذكرت آنفاً-، إلا أن الرازي أضاف في كتابه: "المحصل" قسماً خامساً، وهو التفصيل بين أمر الله وأمر رسوله فأمر الله يقتضي الوجوب وأمر رسوله المبتدأ يقتضي النذب، ولم نذكره في البحث لضعفه الشديد، وقسّم صاحب جمع الجوامع الخلاف في المسألة على اثني عشر قولاً: قول أنه يحمل على الوجوب، وقول على النذب، وقول على الإباحة، وقول على القدر المشترك بينهما، وقول في اشتراكها بين الوجوب والنذب والإباحة، وقول في الثلاثة والتهديد، وقول في أنه يحمل على إرادة الامتثال فقط والوجوب وغيره يستفاد من القرائن، وقول بالتفريق بين قول الله وقول رسوله، وتبعه الزركشي في "تشنيف المسامع"، والقول الزائد عما في هذا البحث، هو قول عبد الجبار: أن الأمر المجرد عن القرائن يقتضي إرادة الامتثال فقط، وهذا القول لم يتفرد بذكره صاحب كتاب جمع الجوامع، بل أشار إليه الغزالي في المستصفى، في الكلام على أن الأمر لا يستلزم الإرادة، ولم أذكره لندرته، ولظهور بطلانه^(٢٤).

المطلب الرابع: الأدلة على القاعدة:

أولاً: أدلة القائلين بأن صيغة الأمر إذا تجردت عن القرائن؛ تفيد الوجوب:

من الكتاب، والسنة، والإجماع، واللغة

أولاً: الكتاب:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾^(٢٥).
وجه الدلالة:

أن الله عز وجل حذر عن مخالفة أمر الرسول، والتهديد على المخالفة دليل على أن الأمر يقتضي الوجوب^(٢٦).
قال ابن قدامة: (حذر الفتنة والعذاب الأليم في مخالفة الأمر، فلو لا أنه مقتض للوجوب ما لحقه ذلك)^(٢٧)

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾^(٢٨).
وجه الدلالة:

أن الله نفى الاختيار في أمره وأمر رسوله ووصف مخالفه بالعاصي، فد ذلك أن أمر الله وأمر رسوله يقتضي الوجوب^(٢٩).

الاعتراض على هذا الدليل:

اعتراض عليه بأن القضاء في قوله: ﴿إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ هو الإلزام، والإلزام هو الذي أفاد الوجوب وليس

(٢٣) ينظر: المرجع السابق.

(٢٤) ينظر: المستصفى (٤١٩١)، المحصول (٤٤١٢)، تشنيف المسامع (٥٩١٧).

(٢٥) سورة النور آية ٦٣.

(٢٦) ينظر: التقريب والإرشاد (٥٧٢)، البرهان (١)، أصول السرخسي (١٥١)، المستصفى (٤١٩١)، المحصول (٤٤١٢)، روضة الناظر (٦٠١٢)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٦٢)، تنقيح الفصول (١٠٩)، كشف الأسرار (١٠٧١)، البحر المحيط (٣٦٤٢)، شرح الكوكب المنير (٣٩١٣).

(٢٧) روضة الناظر وجنة المناظر، (٦٠١٢).

(٢٨) سورة الأحزاب آية ٣٦.

(٢٩) ينظر: التقريب والإرشاد، البرهان، أصول السرخسي (١٥١)، المستصفى (٤١٩١)، المحصول (٤٤١٢)، روضة الناظر (٦١١٢)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٥٢)، تنقيح الفصول (١٠٩)، كشف الأسرار (١٠٧١)، البحر المحيط (٣٦٤٢)، شرح الكوكب المنير (٣٩١٣)، تشنيف المسامع.



مجرد الأمر^(٣٠).

والجواب عن ذلك من وجوه^(٣١):

- ١- سبب النزول: حيث أنها نزلت (إثر أمر النبي ص في تزويج زيد بن حارثة رضي الله عنه)^(٣٢) ولم يكن في صيغة النبي -صلى الله عليه وسلم- لفظ القضاء.
- ٢- لا نسلم أن القضاء بمعنى الإلزام، لأن النوافل طاعات وهي من قضاء الله ولم يلزمنا إياها.
- ٣- ثم إنه على فرض التسليم أن القضاء إلزام، فالقضاء دون مرتبة الأمر، لأن الثاني له صيغة دون الأول، فكون القضاء ملزماً، به فالأمر من باب أولى.

الدليل الثالث: قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) (٣٣).

وجه الدلالة:

ذمهم الله عز وجل؛ لأنهم تركوا ما قيل لهم ففعلوه، ولو كان الأمر يفيد الندب لما حَسُنَ هذا الكلام، كما إذا قيل لهم الأولى أن تفعلوه ويجوز لكم تركه، فإننا ليس لنا أن نذمهم على تركه^(٣٤).

قال ابن قدامة: "ذمهم على ترك امتثال الأمر، والواجب ما يذم بتركه"^(٣٥).

واعترض عليه:

بأن الله إنما ذمهم؛ لأنهم لم يعتقدوا حقيقة الأمر، لا أنهم تركوا المأمور به، بدليل الآية التي تسبقها وهي قوله سبحانه: ﴿وَيَلْزِمُ الْيَوْمَ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

والجواب عن ذلك:

أن المكذبين في الآية السابقة على نوعين: المكذب التارك لما أمر به، وغيره، فالأول استحق الذم بتركه المأمور، والويل بسبب التكذيب، ونجيب عن الثاني: بأن إثبات الويل لإنسان بسبب التكذيب ليس منافياً لثبوت الذم لإنسان آخر بسبب ترك المأمور به^(٣٦).

واعترض عليه أيضاً:

أن الله عز وجل - ذمهم لوجود قرينة دالة على الوجوب^(٣٧).

والجواب عن ذلك:

أن الله تعالى ذمهم لمجرد أنهم تركوا الركوع، لما قيل لهم اركعوا، فدل على أن منشأ الذم هذا القدر لا قرينة^(٣٨).

الدليل الرابع: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ (٣٩)

وجه الدلالة:

أن التهديد على المخالفة دليل الوجوب^(٤٠).

(٣٠) ينظر: المستصفى (٧٠/٢)

(٣١) ينظر: المحصول، الرازي (٢٨٣/١)، روضة الناظر، ابن قدامة (٦٠٤/٢)

(٣٢) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء (٦٨٧٠)

(٣٣) سورة المرسلات آية ٤٨

(٣٤) ينظر: المحصول، الرازي (٤٤/٢).

(٣٥) روضة الناظر (٦٠٨/٢).

(٣٦) ينظر: المحصول، الرازي (٤٤/٢).

(٣٧) ينظر: المحصول، الرازي (١٢٤٤).

(٣٨) ينظر: المحصول، الرازي (٢٨٣/١).

(٣٩) سورة النساء، آية ٥٩.

(٤٠) ينظر: أصول السرخسي (١٩١١)، المستصفى (٤٢٣١)، المحصول (٤٤١٢)، روضة الناظر (٧٠١٢)، الإحكام في أصول الأحكام

(١٤٥١٢)، تنقيح الفصول (١٠٧)، كشف الأسرار (١٠٧١)، البحر المحيط (٣٦٤١٢)، شرح الكوكب المنير (٤٢١٣).



الدليل الخامس: قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك؟ (٤١) ودلالة الآية على الوجوب ظاهرة من وجوه (٤٢):

(أ) مبادرة الملائكة إلى امتثال الأمر، حيث عقلوا من الإطلاق الوجوب.
(ب) توبيخ الله لإبليس لما خالف أمره، وامتنع عن السجود، وعاقبه بإهباطه من الجنة، وذلك لا يكون إلا على ترك واجب.

الإعتراض على هذا الدليل:
أنه ربما صاحب الأمر قرينة تدل على الوجوب (٤٣).
ويمكن أن يجاب عليه: بأنه احتمال لا دليل عليه، فلا يلتفت إليه إذ لو قبلنا كل احتمال من غير دليل لما بقي لنا من الشريعة شيء (٤٤).

الدليل السادس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (٤٥)

وجه الدلالة:

ورد ذلك على سبيل الذم لا على سبيل الاستفهام بالاتفاق؛ وذم الله عز وجل إبليس على تركه فعل ما أمره، دليل على أن الأمر يقتضي الوجوب (٤٦).

ثانياً: السنة:

الدليل الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: (لولا أن أشق على أمتي؛ لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) (٤٧).

قال ابن قدامة: (الندب غير شاق، فدل على أن أمره اقتضى الوجوب) (٤٨)
قال القرافي: (تقييد اكتفاء الأمر لوجود المشقة والندب في السواك ثابت، فدل على أن الأمر لا يصدق على الندب، بل ما فيه مشقة وذلك إنما يتحقق في الوجوب) (٤٩)

الدليل الثاني: ما روى البراء بن عازب أن النبي (أمر أصحابه بفسخ الحج إلى العمرة، فردوا عليه القول، فغضب، ثم انطلق حتى دخل على عائشة غضبان، فقالت: من أغضبك؟ _ أغضبه الله _ فقال: وما لي لا أغضب وأنا أمر بالأمر فلا أتبع) (٥٠)

واعترض عليه:

أن هذا أمر اقترن به ما دل على الوجوب (٥١).

الجواب عن ذلك:

أن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما علل غضبه بتركهم اتباع أمره، ولولا أن أمره للوجوب، لما غضب من تركه (٥٢).

(٤١) سورة الأعراف آية (١١)

(٤٢) ينظر: المحصول (٢٨٣/١).

(٤٣) انظر: المحصول (٢٨٣/١)

(٤٤) ينظر: المحصول (٢٨٣/١).

(٤٥) سورة الأعراف آية ١٢

(٤٦) ينظر: المحصول، (٢٨٣/١)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٦/٢).

(٤٧) أخرجه البخاري، كتب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة (٨٣٨) ومسلم، كتاب الطهارة، باب السواك (٣٧٠)

(٤٨) روضة الناظر (٦٠٨/٢).

(٤٩) شرح تنقيح الفصول (١٠٤/١).

(٥٠) أخرجه مسلم كتاب الحج باب وجوه الإحرام (٢١٢٢)

(٥١) روضة الناظر (٦٠٧/٢)

(٥٢) روضة الناظر (٦٠٧/٢)



الدليل الثالث: قوله -عليه السلام- لبريرة: ("لو راجعتيه؟") قالت: أتأمرني يا رسول الله؟ فقال: "إنما أنا شافع"، فقالت: لا حاجة لي فيه^(٥٣).
وجه الدلالة:

أن إجابة شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- مندوب إليها، فدلنا ذلك على أن أمره للإيجاب^(٥٤).

ثالثاً: الإجماع:

إجماع الصحابة رضي الله عنهم على أن الأمر يقتضي الوجوب^(٥٥).
من أمثلة ذلك^(٥٦):

أ- أوجبوا أخذ الجزية من المجوس بقوله: "سنوا بهم سنة أهل الكتاب".

ب- غسل الإناء من الولوغ بقوله " ... فليغسله سبعا".

ج- الصلاة عند ذكرها بقوله: ".... فليصلها إذا ذكرها".

د- واستدل أبو بكر -رضي الله عنه- على إيجاب الزكاة بقوله تعالى: {.... وَأَتُوا الزَّكَاةَ}

ونظائر ذلك مما لا يخفى، يدل على إجماعهم على اعتقاد الوجوب

واعترض على ذلك:

باحتمال اقتران النص بقريظة أفهمت الصحابة الوجوب^(٥٧).

والجواب عن ذلك أن يقال^(٥٨):

١- أن مجرد الاحتمالات لا يعتد بها، لأننا لو قبلنا كل احتمال بلا دليل؛ لبطلت الشريعة.

٢- لو كان هناك قريظة اعتمد عليها الصحابة رضي الله عنهم لنقلوها لنا، إذ خلاف ذلك؛ تضييع منهم للشريعة.

رابعاً: اللغة:

أن أهل اللغة عقلوا من إطلاق الأمر الوجوب؛ لأن السيد لو أمر عبده، فخالفه، حسن -عندهم- لومه وتوبيخه وحسن العذر في عقوبته لمخالفة الأمر، والواجب: ما يعاقب بتركه، أو يذم بتركه^(٥٩).

اعترض عليه:

بأن العقوبة إنما لزمنا؛ لأن الشريعة أوجبت ذلك^(٦٠).

الجواب عن ذلك^(٦١):

أ- إنما أوجبت طاعته إذا أتى السيد بما يقتضي الإيجاب، ولو أذن له في الفعل، أو حرمه عليه: لم يجب عليه.

(٥٣) روضة الناظر (٦٠٧/٢)، المستصفى (٤١٩/١).

(٥٤) ينظر: التقرير والإرشاد، أصول السرخسي (١٥١)، المستصفى (٤١٩/١)، المحصول (٤٤٢/٢)، روضة الناظر (٦١١/٢)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٥٢/٢)، تنقيح الفصول (١٠٩)، شرح الكوكب المنير (٣٩١/٣).

(٥٥) ينظر: أصول السرخسي (١٩١)، المستصفى (٤٢٣/١)، المحصول (٤٤٢/٢)، روضة الناظر (٧٠٢/٢)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٥٢/٢)، تنقيح الفصول (١٠٧)، كشف الأسرار (١٠٧/١)، البحر المحيط (٣٦٤/٢)، شرح الكوكب المنير (٤٢٣/٢).

(٥٦) روضة الناظر (٦٠٧/٢).

(٥٧) ينظر: التقرير والإرشاد، والمستصفى (٤٢٠/١).

(٥٨) ينظر: المحصول (٢٨٣/١).

(٥٩) ينظر: المحصول (٢٨٣/١).

(٦٠) ينظر: المحصول (٢٨٣/١).

(٦١) ينظر: المحصول (٢٨٣/١)، روضة الناظر (٦١١/٢).



ب- أن مخالفة الأمر معصية.
قال الله -تعالى-: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ} ، وقال: {أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} ٤ ، ويقال: {أمرتكم فعصيتني} .
وقال الشاعر: أمرتكم أمرا جازما فعصيتني.

ج- أن المعصية موجبة للعقوبة؛ قال الله -تعالى-: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} .

ثانياً: أدلة القائلين بأن صيغة الأمر إذا تجردت عن القرائن فإنها تقتضي الندب:
الدليل الأول: حديث أبي هريرة قال: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما هلك الذين من قبلكم من كثرة مسألهم، واختلافهم على أنبيائهم)^(٦٢).
وجه الدلالة:

أن تفويض النبي ﷺ الأمر إلى المشيئة والاستطاعة يدل على أن أمره المطلق يحمل على الندب، لا على الوجوب، وذلك بخلاف النهي الذي ورد جازماً في طلب الانتهاء^(٦٣).

والجواب عن ذلك من عدة وجوه:

الأول: أن هذا الدليل دليل للقائلين بالوجوب، لا للقائلين بالندب؛ لأن ما لا نستطيعه لا يجب علينا، وإنما يجب علينا ما نستطيعه، والمندوب لا حرج في تركه مع الاستطاعة^(٦٤).
الثاني: لا دليل على أن النبي فوّض الأمر إلى المشيئة، فالنبي ﷺ لم يقل: (وما أمرتكم به فأتوا منه ما شئتم)، بل قال ﷺ: (ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم)، ولا يدل ذلك على الندب، إذ أن كل إيجاب مشروط بالاستطاعة، وذلك مثل قوله -عز وجل-: (فاتقوا الله ما استطعتم)^(٦٥).

الثالث: يقولون أن النهي في قوله ﷺ (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه) جازم في طلب الانتهاء، دالٌّ على وجوبه، بالرغم من أن قوله ﷺ: (اجتنبوه) صيغة أمر!، فكيف دلت على وجوب الانتهاء وهي محتملة للندب؟^(٦٦).

الدليل الثاني: أنه لا بد من تنزيل قوله "افعل" وقوله "أمرتكم على أقل ما يشترك فيه الوجوب، والندب، وهو طلب الفعل واقتضاؤه، وأن فعله خير من تركه، وهذا معلوم، أما لزوم العقاب بتركه فغير معلوم، ويستلزم القول به قرينة، فيتوقف فيه إلى حين ظهور القرينة^(٦٧).

الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

الأول: أننا قد بينا أن مقتضى الصيغة الوجوب بما ذكرنا من الأدلة^(٦٨).
الثاني: أن هذا استدلال عقلي، ولا مدخل للعقل في اللغات، ولم ينقل عن أهل اللغة أن قول "افعل" للندب^(٦٩).
الثالث: أن هذا إنما يصح أن لو كان الوجوب ندباً وزيادة، وليس كذلك؛ لأنه يدخل في حد الندب: جواز الترك، وليس بموجود في الوجوب^(٧٠).
الرابع: أن اللفظ كما أنه لا يدل على لزوم المأثم بتركه، فإنه لا يدل على سقوط المأثم بتركه أيضاً^(٧١).

- (٦٢) أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالسنة باب الإقتداء بسنة الرسول (٦٧٤٤) ومسلم كتاب الفضائل باب توقيفه (٤٣٤٨).
(٦٣) ينظر: لتقريب والإرشاد (٤٤٩١)، أصول السرخسي (٢٠١)، المستصفى (٤٢٣١)، المحصول (٥٠١٢)، روضة الناظر (٦٣١٢)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٩٢)، تنقيح الفصول (١١٠)، شرح الكوكب المنير (٤٥٣).
(٦٤) انظر: التقريب والإرشاد (٤٤٩/١).
(٦٥) انظر: المستصفى (٤٢٣١)، روضة الناظر (٦٠٧/٢).
(٦٦) انظر: المرجع السابق.
(٦٧) ينظر: التقريب والإرشاد (٤٤٩١)، أصول السرخسي (٢٠١)، المستصفى (٤٢٣١)، المحصول (٥٠١٢)، روضة الناظر (٦٣١٢)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٩٢)، تنقيح الفصول (١١٠)، شرح الكوكب المنير (٤٥٣).
(٦٨) ينظر: روضة الناظر (٦١١٢).
(٦٩) ينظر: المستصفى (٤٢٣١)، روضة الناظر (٦٣١٢).
(٧٠) ينظر: المستصفى (٤٢٣١)، روضة الناظر (٦٣١٢).
(٧١) ينظر: المستصفى (٤٢٣١)، روضة الناظر (٦٣١٢).



وإن اعتراض على ذلك:

بأن جواز الترك كان معلوماً قبل ورود النص، فلا يحتاج فيه إلى دليل بخلاف لزوم المأثم^(٧٢).
أجيب:

أنه لا بقاء لحكم الاستصحاب بعد ورود النص بصيغة الأمر^(٧٣).
ولو سلمنا بذلك:

لوجب تنزيل الأمر المطلق على الإباحة، فالإباحة أقل المشترك، إذ هي الإذن بالفعل، أما حصول الثواب بالفعل، فمعنى زائد، كلزوم العقاب بتركه، لا سيما على مذهب المعتزلة الذين يرون أن المباح حسنٌ يجوز أن يُفعل، وأن يؤمر بفعله^(٧٤).

الدليل الثالث: استدلووا بأن لفظ **افعل** لو كان للوجوب؛ لما حسن أن يقول العبد لسيده والابن لأبيه (أعطني درهماً)، فلما جاز من العبد والابن في استعمال الناس؛ دل على أن **افعل** ليست للوجوب^(٧٥).
الجواب عن ذلك^(٧٦):

أنه إنما كان هنا على غير الوجوب لوجود القرينة الصارفة له، وهي ورود صيغة "افعل" على غير وجهها، وانتفاء الاستعلاء، فيكون صدوره هنا مجازاً، والمجاز لا يلغي الحقيقة^(٧٧).

ثالثاً: أدلة مذهب القائلين بأن صيغة " افعل " إذا تجردت عن القرائن تقتضي الإباحة:

الدليل الأول: أن الإباحة أدنى الدرجات، فهي مستيقنة، فيجب حمل الأمر على اليقين، وهي الإباحة^(٧٨).
قال القرافي في معرض ذكر حججهم: (فالأقسام الثلاثة كلها مشتركة في جواز الإقدام؛ فوجب القول به حتى يكون اللفظ حقيقة في الجميع، والأصل عدم اعتبار الخصوصية)^(٧٩).
الجواب عن ذلك:

أ- أن الدليل باطل؛ فإن الأمر: استدعاء وطلب، والإباحة ليست طلباً ولا استدعاء، بل إذن له وإطلاق^(٨٠).

ب- أن كلاً من الواجب والمندوب يرجح فيه الفعل على الترك، والإباحة لا يرجح فيه جانب أحدهما على الآخر^(٨١).

ج- إنا ندرك الفرق في وضع اللغات بين قولهم: "افعل" و"لا تفعل" و"إن شئت فافعل" و"إن شئت فلا تفعل".، فالأول لاستدعاء الفعل، والثاني للتخير^(٨٢).

رابعاً: أدلة القائلين بالتوقف:

الدليل الأول: أن صيغة الأمر ترد على عدة معاني كالوجوب والندب والإباحة والتهديد، وليس حملها على أحد هذه الوجوه أولى من بعض^(٨٣).

(٧٢) ينظر: المستصفى (٤٢٣/١)، روضة الناظر (٦٣١/٢).

(٧٣) ينظر: المستصفى (٤٢٣/١)، روضة الناظر (٦٣١/٢).

(٧٤) ينظر: المستصفى (٤١٩/١)، المحصول (٤٤١/٢).

(٧٥) ينظر: المحصول، الرازي (٢٨٣/١).

(٧٦) ينظر: المحصول، الرازي (٢٨٣/١).

(٧٧) ينظر: المحصول، الرازي (٢٨٣/١).

(٧٨) التقريب والإرشاد، أصول السرخسي (٢٥١)، المستصفى (٤٢٣/١)، المحصول (٥٣١/٢)، روضة الناظر (٦٠٧/٢)، الإحكام في

أصول الأحكام (١٥٣/٢)، شرح تنقيح الفصول (٦٨٤/١).

(٧٩) شرح تنقيح الفصول (٦٨٤/١).

(٨٠) روضة الناظر (٦٠٧/٢).

(٨١) انظر: المستصفى (٤٢٣/١)، روضة الناظر (٦٠٧/٢).

(٨٢) ينظر: التقريب والإرشاد، المستصفى (٤٢٣/١)، المحصول (٤٤١/٢)، روضة الناظر (٦٠٧/٢)، الإحكام في أصول الأحكام

(١٤٥/٢)، شرح تنقيح الفصول (٦٨٤/١).

(٨٣) التقريب والإرشاد، المستصفى (٤٢٣/١)، المحصول (٤٤١/٢)، روضة الناظر (٦٠٧/٢)، الإحكام في أصول الأحكام (١٤٥/٢).



والجواب عنه بأن يقال:

- ١- إنا لا نعلم أن صيغة "افعل" إذا تجردت عن القرائن تحتل غير الوجوب، لما أقمناه من أدلة، وما عورضت به – الأدلة – إنما كان ذلك لاحتمال السياق، ووجود قرينة صارفة^(٨٤).
- ٢- ثم إنهم قد سلموا أن الأمر يقتضي ترجيح الفعل على الترك؛ فيلزمهم أن يقولوا بالندب، ويتوقفوا فيما زاد، كقول أصحاب الندب^(٨٥).
- ٣- أن هذا فيه تسفيه لوضع اللغة، وإخلاء لفائدة الحكم الشرعي المجرد^(٨٦).

الدليل الثاني: قالوا: أنه لا دليل على التعيين، وغاية ما مع المعينين من أدلة على التعيين إنما هي:
(أ) أدلة عقلية، ولا مدخل للعقل في اللغات.
(ب) أدلة نقلية، وغايتها أن تكون أحاداً لا تثبت بها قاعدة أصولية.

الجواب عن ذلك من عدة وجوه:

- ١- أن كلامكم هذا إنما هو مطالبة بالدليل، والمطالبة بالدليل ليست بدليل^(٨٧).
- ٢- لو سلمنا أنها دليل، فإننا قد أثبتنا كون صيغة الأمر للوجوب بأدلة كثيرة، منها المتواتر كآي القرآن، ومنها ما هو آحاد كالأحاديث النبوية، ومنا ما هو من قبيل الإجماع كإجماع الصحابة السكوتي والعملي على ذلك^(٨٨).
- ٣- ثم إن قولكم: إن الأحاد لا تثبت بها قاعدة أصولية؛ يلزمكم فيه رد كثير من أحكام الشريعة^(٨٩).

المطلب الخامس: الترجيح:

القول الراجح من الأقوال السابقة هو مذهب القائلين باقتضاء صيغة الأمر الوجوب، وذلك لقوة أدلتهم، وضعف أدلة المخالفين، ولما سبق من مناقشتها والرد عليها.

المبحث الثالث

مسألة الإلتزام بنظام حظر التجول الصحي وأثر القاعدة عليها

المطلب الأول: تعريف حظر التجول الصحي:

أولاً: تعريف حظر التجول الصحي في اللغة:

الحظر: يدل على المنع والحجر، وهو خلاف الإباحة^(٩٠)

التجول: مصدر تجوّل، ومعناه: الدوران، يقال: جال واجتال: إذ ذهب وجاء. ويقال: جال يجول جولاً وجولاناً^(٩١)

الصحة: مصدر صحّ، والصاد والحاء أصلٌ يدل على البراءة من المرض، والعيب، وعلى الاستواء، ومن ذلك الصحة: ذهاب السقم والبراءة من كل عيب^(٩٢).

(٨٤) ينظر: المحصول (٤٤٢/٤)، روضة الناظر (٦٠٧/٢)

(٨٥) ينظر: المحصول (٤٤٢/٤)، روضة الناظر (٦٠٧/٢)

(٨٦) ينظر: المحصول (٤٤٢/٤)، روضة الناظر (٦٠٧/٢)

(٨٧) ينظر: المحصول (٤٤٢/٤).

(٨٨) ينظر: المحصول (٤٦٢/٤)، روضة الناظر (٦٠٧/٢).

(٨٩) ينظر: المحصول (٤٦٢/٤)، روضة الناظر (٦٠٧/٢).

(٩٠) مقاييس اللغة (٨٠/٢)، ولسان العرب (٢٠٢/٤).

(٩١) مقاييس اللغة (٤٩٥/١)، ولسان العرب (١٣١/١١)، وتاج العروس (٢٤٧/٨).

(٩٢) مقاييس اللغة (٢٨١/٣).



وعلم الصِّحة: فرع من علم الطب يُعنى بدراسة ما يجب اتّخاذه من أعمال لحفظ الصحة وخاصة الوقاية من المؤثرات المُغيّرة في البيئة^(٩٣)

ثانيًا: تعريف حظر التجول الصحي في الاصطلاح القانوني:

يعرف القانونين حظر التجول بأنه: "التعليمات الصادرة من قبل سلطات الأمن المختصة، والقوات المسلحة لبلد ما، بالالتزام بالمنازل، وعدم التجول في الشوارع في ساعات معينة سواءً بالليل أو بالنهار؛ لأسباب طارئة"^(٩٤)، ويمكن إضافة قيد "صحية"، فتصبح العبارة "لأسباب صحية طارئة"؛ ليخرج بذلك حظر التجول الأمني؛ والذي يكون سببه تسلط الأعداء على البلد، أو وجود حالات شغب أو تمرد، أو وجود مظاهرات وغيرها.

المطلب الثاني: أثر القاعدة على مسألة الالتزام بنظام حظر التجول:

تبين لنا مما سبق أن نظام حظر التجول الصحي أمرٌ صادرٌ من ولاية الأمر للحد من انتشار مرضٍ ما؛ فإذا كان الإمام مسلمًا، وكان أمره بالحجر داريًا لمفسدة حقيقة قد تقع؛ أو جالبًا لمصلحة حقيقية غير متوهمة؛ فإن حكم هذا النظام مندرجٌ تحت قوله الله سبحانه وتعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)^(٩٥)، وقد وردت صيغة الأمر (أطيعوا) مجردة من القرائن، وبناءً على الخلاف السابق فإن طاعة ولي الأمر واجبة فيما يفرضه من أنظمة أمنية أو إدارية، كنظام حظر التجول خشية انتشار الأمراض المعدية -فيروس كورونا (كوفيد-١٩) على سبيل المثال- حتى وإن كان يحصل بفرضه بعض الضرر من حرمان لكسب لقمة العيش وغيرها؛ وذلك لأن موازنة المفاصل الحاصلة بفرض النظام وعدمه ترجع إلى ولي الأمر والجهات المختصة المنوطة بتحقيق الأصلاح للمواطن؛ وهذا القول عند القائلين بأن الأمر المطلق يقتضي الوجوب وهو الراجح، ويأخذ نظام حظر التجول الصحي حكم النذب عند القائلين بأن الأمر المطلق يقتضي النذب، والإباحة عند القائلين بأن الأمر المطلق يقتضي الإباحة، ويتوقف فيه عند من قال بأن الأمر المطلق يتوقف في الحكم فيه حتى يأتي مرجح.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد، فهذه أهم النتائج التي خلص إليها البحث، وبرزت خلال جزئياته:

- ١- معنى قاعدة "الأمر المطلق يقتضي الوجوب" هو: أن الأمر إذا تجرد من القرائن الصارفة له عن إطلاقه؛ اقتضى الوجوب، أي طلب الفعل على سبيل الجزم.
- ٢- أن للقاعدة صيغ متنوعة ومتعددة، منها: الأمر يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة تصرفه إلى غيره، والأمر المطلق يقتضي الوجوب، والأصل في الأمر الوجوب، وموجب الأمر الوجوب.
- ٣- اختلف العلماء في المسألة على عدة أقوال، فقليل أن صيغة الأمر مجردة عن القرائن، تحمل على الوجوب، وقليل على النذب، وقليل على الإباحة، وقليل يتوقف فيها حتى يأتي مرجح، ورجحت الباحثة القول القائل بأن صيغة الأمر المجردة عن القرائن تفيد الوجوب.
- ٤- تخريج مسألة الالتزام بنظام حظر التجول الصحي على القاعدة، فنظام حظر التجول الصحي يعرف بأنه: "التعليمات الصادرة من قبل سلطات الأمن المختصة، والقوات المسلحة لبلد ما، بالالتزام بالمنازل، وعدم التجول في الشوارع في

(٩٣) معجم اللغة العربية المعاصر (١٢٧٠/٢).

(٩٤) معجم المصطلحات البرلمانية والدبلوماسية (٩٠).

(٩٥) سورة النساء آية ٥٩.



ساعات معينة سواءً بالليل أو بالنهار؛ لأسباب صحية طارئة"، وقد قال الله سبحانه وتعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)، وقد وردت صيغة الأمر (أطيعوا) مجرّدة من القرائن وبناءً على الخلاف السابق فإن ولي الأمر إذا كان مسلماً، فإن طاعته واجبة فيما يفرضه من أنظمة أمنية أو إدارية، كنظام حظر التجول الصحي، حتى وإن كان يحصل بفرضه بعض الضرر من حرمان لكسب لقمة العيش وغيرها؛ وذلك لأن موازنة المفاصل الحاصلة بفرض النظام وعدمه ترجع إلى ولي الأمر والجهات المختصة المنوطة بتحقيق الإصلاح للمواطن، وهذا القول عند القائلين بأن الأمر المطلق يقتضي الوجوب وهو الراجح، ويأخذ نظام حظر التجول الصحي حكم النذب عند القائلين بأن الأمر المطلق يقتضي النذب، والإباحة عند القائلين بأن الأمر المطلق يقتضي الإباحة، ويتوقف فيه عند من قال بأن الأمر المطلق يتوقف في الحكم فيه حتى يأتي مرجح.

وأما أبرز التوصيات التي أوصي بها، فهي كالآتي:

١- الاهتمام بدراسة النوازل الفقهية المستجدة وتفريعها على القواعد الأصولية المتقدمة؛ للجمع بين الأصالة والمعاصرة في البحوث العلمية.

٢- العناية بالبحث في الموضوعات المتعلقة بالأوبئة المعدية المنتشرة حديثاً؛ وذلك لكثرة السؤال عن أحكامها، ولحاجة الناس إليها في هذه الأيام.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

١. الإنسوي، عبد الرحيم، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تحقيق: محمد حسن هيتو، (ط١)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢. الأندلسي، علي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.ط)، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٣. الإنسوي، عبد الرحيم، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤. الباقلاني، محمد، التقريب والإرشاد، تحقيق: عبد الحميد بن علي أبو زنيد، (ط٢)، مؤسسة الرسالة.
٥. البخاري، محمد، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١)، دار طوق النجاة.
٦. البخاري، عبد العزيز، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، (د.ط)، دار الكتاب الإسلامي.
٧. التلمساني، محمد، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تحقيق: محمد علي فركوس، (ط١)، المكتبة المكية، مكة المكرمة، مؤسسة الريان، بيروت.
٨. الجويني، عبد الملك، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩. الرازي، محمد، المحصول، تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، (ط٣)، مؤسسة الرسالة.
١٠. الزركشي، محمد، البحر المحيط في أصول الفقه، (ط١)، دار الكتب.
١١. السرخسي، محمد، أصول السرخسي، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت.
١٢. الشافعي، حسن، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، (د.ط)، دار الكتب العلمية.
١٣. الطوسي، محمد، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، (ط١)، دار الكتب العلمية.
١٤. العيد، ابن دقيق، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، (د.ط)، مطبعة السنة المحمدية.
١٥. الفيروزآبادي، محمد، القاموس المحيط، تحقيق: التراث في مؤسسة الرسالة، (ط٨)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٦. الفيومي، أحمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (ط١)، المكتبة العلمية، بيروت.
١٧. ابن قدامة، موفق الدين، روضة الناظر، (ط٢)، مؤسسة الريان.



١٨. القرافي، أحمد، شرح تنقيح الفصول، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (ط١)، شركة الطباعة الفنية المتحدة.
١٩. الكفراوي، أسعد، الاستدلال عند الأصوليين، (ط١)، دار السلام.
٢٠. ابن النجار، محمد، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، (ط٢)، مكتبة العبيكان.
٢١. النيسابوري، مسلم، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.



مصادر الاستدلال عند أهل السنة والجماعة

خلود بنت ناقي الجُهني

المملكة العربية السعودية



تاريخ انعقاد المؤتمر 2021/11/26م

جامعة الملك عبدالعزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية
العقيدة والدعوة

المقدمة

درس الإسلام على إرسال الرسل ليدعون العباد لعبادته، والتوحيد هو أول ما كانوا يدعونهم إليه، وكانت دعوة الأنبياء على اختلافهم الدعوة إلى توحيد الله والإخلاص في عبادته ومن هذا المنطلق ننطلق إلى أنواع التوحيد بشكل موجز، ومصادر الاستدلال عن أهل السنة والجماعة، وبيان موقفهم من مصادر المعرفة.

منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي.

أهداف البحث



الفصل الأول "المبحث الأول": أنواع التوحيد والأدلة عليها

1	توحيد الربوبية	الاعتقاد والاعتراف الجازم بأن الله وحده رب كل شيء ومالكه، المتفرد بإجابة الدعاء، قال تعالى: (الْحَقِّدْ بِلَوْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)
2	توحيد الألوهية	إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، قولاً وعملاً، وفي العبادة عن كل ما سوي الله تعالى كائناً من كان، قال تعالى: وَقَضَيْتُ رِبِّكَ أَلَّا تُغْزُوا إِلَّا إِلَهًا
3	توحيد الأسماء والصفات	إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمي به نفسه، ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله نفيًا وإثباتًا، قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ الشَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

الفصل الأول "المبحث الثاني": مصادر الاستدلال عند أهل السنة والجماعة

المصادر: صدر من يصدر صورًا. المصادر الأولية هي التي تتضمن المعلومات الأساسية والبيانات المستفادة من التحليلات والإحصاءات عن الموضوع، والمصادر الثانوية هي كل ما يتضمن التعليقات الخاصة بالموضوع. ومصادر الفقه الإسلامي مصادر جديرة بالثقة، الاستدلال: استدلال يستدل فهو مستدل، وهو انتقال الذهن من أمر معلوم إلى آخر مجهول. أهل السنة: سمي أهل السنة بأهل السنة لاستمساكهم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وسموا جماعة لأنهم اجتمعوا على الحق.

الفصل الثاني "المبحث الأول": مصادر الاستدلال الأساسية عند أهل السنة والجماعة

القرآن: القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر أهل السنة والجماعة، وهو اسم لكتاب الله تعالى، كما أنه كلام الله المنزل على رسول الله وحيدًا بواسطة جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة، يتمثل المنهج الذي اتبعه العلماء لتفسير معنى النص القرآني في معرفة معنى النص من القرآن نفسه، وإن لم يتيسر فهم النص القرآني من السنة طلبه المفسر من أقوال الصحابة، وإن لم يجد المفسر في أقوال الصحابة ما يعينه على فهم المراد يرجع إلى الأئمة والتابعين.

السنة: السنة هي العمل المحمود في الدين مما ليس فرضًا ولا واجبًا، والسنة هي مشترك بين ما صدر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير وبين ما واطب عليه النبي بلا وجوب، تعددت الأدلة التي تثبت أن السنة مصدر من المصادر التشريعية منها: القرآن الكريم، فالقرآن الكريم ينص على آيات تنص على طاعة الرسول، وقد جعل الله طاعة الرسول من لوازم الإيمان بالرسالة، السنة النبوية، قال رسول الله: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ".

الإجماع: جمع المتفق أي ضم بعضه إلى بعض، ويعني بالإجماع اتفاق المجتهدين من أمة محمد بعد وفاته في عصر من العصور على أمر من الأمور، وأدلة العلماء على حجية الإجماع هي: القرآن الكريم، قال تعالى: "واعصوا ما أمروا به ولا تعصوا ما نهوا به"، وجه الدلالة هنا أن الله تعالى نهى عن مخالفة أمر الله عليه وسلم، "لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدًا" وجه الدلالة هنا دليل على حجية الإجماع، وكونها لا تجتمع على ضلالة، يعني عدم اجتماعها على خطأ.

الفصل الثاني "المبحث الثاني": بيان موقف أهل السنة والجماعة من مصادر المعرفة العقلية والفطرية

العقل: عقل عن يعقل عقلًا، العقل هو جوهر مجرد من المادة في ذاته مقارن لها في فعله وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد، يرفع الإسلام من مكانة وقيمة العقل، والعقل شرط في معرفة العلوم وبه يكمل العلم والعمل ولكنه ليس مستقلًا بذاته بل إنه غريزة في النفس بمنزلة قوة البصر التي في العين، يحتاج العقل إلى تنبيه وإرشاد الشرع، فالرسول وصحابته استدلوا على المطالب الإلهية بالكتاب والسنة، تنقسم العلوم من حيث إدراك العقل إلى ثلاثة أقسام:

1	العلوم الضرورية	لا يمكن التشكيك فيها، وتلزم جميع العقلاء، كاستحالة الجمع بين التضيق.
2	العلوم النظرية	مكتسبة عن طريق النظر والاستدلال، وهذا النظر يستند إلى علم ضروري لتحصيله، مثل الرياضيات والطب والصناعات.
3	العلوم التي لا تعلم بواسطة العقل	قسم لا يعلم بواسطة العقل، إلا أن يعلمه، بأن يجعل له طريق للعلم به، كالغيبات.

الفطرة: يعني بالفطرة الخلقية التي يكون عليها كل موجود أول خلقه، والطبيعة السليمة التي لم تشب بعيب، أو هي الجيلة المهيئة لقبول الدين، وأصح الأقوال في مفهوم الفطرة أنها هي الإسلام، ولقد نص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على أن الخلق مفلطرون على دين الله الذي هو معرفة الله والإقرار به، خلاصة القول إن العقل والفطرة من دلائل التوحيد، إلا أن الحجة لا تقوم على الخلق إلا بإرسال الرسل، وإنزال الكتب فلا عذاب إلا بعد إرسالهم، كما أن إثبات كون الفطرة هي الإسلام، لا يقتضي خلق علم ضروري في نفس الإنسان، يجعله عالم بالعقيدة وأصولها، وتوافقه، والعقل لا يهدي لكل كمالات الله، ولا يهدي لكل ما يرضيه من الأقوال والأفعال.

التوصيات والمقترحات

نتائج الدراسة

						
الاهتمام بالكتاب والسنة، والأخذ بسنته.	وجوب الرحمة بين المسلمين واجتناب التفرق والشتات.	اتباع منهج الرسول وصحابته طريق موصول للجنة.	توصي الدراسة بالتمسك بالكتاب والسنة.	استحضار الآيات والأحاديث التي تجعل الخلق مترابطين وتمتصين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.	وضع منشورات لزيادة الوعي بخطورة الرجوع إلى مصادر المعرفة وترك المصادر الأصلية.	إقامة ندوات تحت على الاقتداء برسول الله وصحابته.



خلف الفترة 23-21 ربيع الثاني 1443هـ
الموافق 26 - 28 نوفمبر 2021م

المضامين التربوية المستنبطة من آيات الاستغفار وتطبيقاتها في الواقع المعاصر



الباحثة: نوران بنت ناصر بن بندر بن بيان • محاضرة في تخصص التربية الإسلامية والمقاربة - كلية التربية - جامعة أم القرى

المملكة العربية السعودية • البريد الإلكتروني: nnbb36@hotmail.com

إشراف المحققين للبحوث والأبحاث والتأليف العلمي
Dr. Abdulaziz bin Abdullah bin Abdulaziz bin Abdulaziz

المقدمة (موضوع الدراسة)

فالمتمثل في آيات الاستغفار في القرآن الكريم يجد أن لها أثرًا فعالاً في تقويم جميع جوانب الحياة، حيث اهتمت بالأسس العقدية؛ لأن بصلاح العقيدة يصلح الإيمان، وتستقيم الحياة.



وركزت على الممارسات التعبدية التي غفل عنها كثير من الناس؛ لأنها تشمل الروح والبدن وتزيد من نشاط العبد، وأولت الآثار والثمرات الاجتماعية أهمية بالغة؛ لما لها من عوائد كثيرة ونتائج طيبة على الإنسان في الدنيا والآخرة.



فقد تضمنت آيات الاستغفار الأسس، والممارسات، والآثار، والثمرات القادرة على صيانة المجتمع الإسلامي وإصلاحه وتطويره.



من هنا سعت هذه الدراسة إلى استنباط المضامين التربوية من آيات الاستغفار الواردة في القرآن الكريم، وإبراز جوانب أهميتها وتميزها، والدعوة إلى تطبيقها في سائر مجالات الحياة.



تحل بالأمة الكوارث والمصائب والإنسان مخلوق ضعيف، خلق في كبد فهو يكابد مسيرة عمره بأنواع الابتلاءات والمتاعب سواء كانت ضوائق مالية أو مشكلات عائلية أو ظروفًا نفسية أو مضايقات في عمل ونحوها مما يعتري الإنسان في رحلة الحياة.



وتعالج هذه المصائب أو تخفف بما شرعه الله لعباده من وسائل مادية أو التجاهل لله بالدعاء أو استعانة بالصبر والصلاة، بيد أن هنالك علاجاً نافعاً لكل ما يحل بالأمة المسلمة وكذا ما يصيب الفرد المسلم، علاج غفل عنه الكثيرون لأنهم اعتقدوا أنه لا يكون إلا لمحو الذنوب والخطايا فحسب.

إنه **الاستغفار** زاد الأبرار، وشعار الأتقياء، ومفرج الصالحين، به تسعد القلوب، وتنشرح الصدور، وتنجلي الهموم، وتثقل الموازين، وترفع الدرجات، وتخط الخطيئات، وتفرج الكربات، وكما جلب الاستغفار لأهله من الخيرات، وكما صرف عنهم من البليات والمفاسد!

إن للاستغفار ثماراً يانعة، وفوائد جمة، وغنيمة باهظة، إن فيه خيري الدنيا والآخرة، إن فيه السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة، ومن لزم الاستغفار فلا بد أن يربح.

هدف الدراسة

استنباط المضامين التربوية من آيات الاستغفار وتطبيقاتها في الواقع المعاصر.



منهج الدراسة

فعلت الدراسة الحالية المنهج الاستنباطي.

وتمّ توظيف المنهج الاستنباطي في الدراسة الحالية من خلال الآتي:



١. جمع النصوص القرآنية المتعلقة بأسئلة الدراسة التي تناولت الاستغفار في الأسس العقدية، والممارسات التعبدية، والآثار والثمرات الاجتماعية.



٢. النظر في التفسيرات والشروحات الشرعية والتربوية لهذه الآيات واستنباط المضامين التربوية منها.



٣. محاولة صياغة هذه المضامين في تطبيقات تربوية يمكن تحقيقها في الواقع المعاصر.

احتوت الدراسة على أربعة فصول:

فصول الدراسة

الفصل الأول

تناول الفصل الأول منها: (الإطار العام للدراسة).

الفصل الثاني

الأسس العقدية المستنبطة من آيات الاستغفار وتطبيقاتها في الواقع المعاصر.

المبحث الأول: مفهوم الاستغفار.

المبحث الثاني: الأسس العقدية المستنبطة من آيات الاستغفار وتطبيقاتها في الواقع المعاصر.

أولاً: اقتران التوحيد بالاستغفار.

ثانياً: العلم قبل العمل.

ثالثاً: إقرار العباد بالاستغفار.

رابعاً: إخلاص العبادة لله عز وجل.

خامساً: المحبة وأمرها التاب.

سادساً: إقرار الاستغفار بالاستغفار.

الفصل الرابع

الآثار والثمرات الاجتماعية المستنبطة من آيات الاستغفار وتطبيقاتها في الواقع المعاصر.

المبحث الأول:

آثار الاستغفار في الدنيا:

أولاً: آثار الاستغفار في حياة الفرد.

ثانياً: آثار الاستغفار في حياة المجتمع.

الفصل الثالث

الممارسات التعبدية المستنبطة من آيات الاستغفار وتطبيقاتها في الواقع المعاصر.

المبحث الأول:

العبادات القلبية وعلاقتها بالاستغفار:

أولاً: التوسل إلى الله المقترن بالاستغفار.

ثانياً: الاستغفار.

ثالثاً: الاستغفار طرقي النهار.

رابعاً: الاستغفار في الدعاء.

المبحث الثاني:

العبادات البدنية وعلاقتها بالاستغفار:

أولاً: الاستغفار في الصلاة.

ثانياً: الاستغفار في وقت المسح.

ثالثاً: الاستغفار في الحج.

رابعاً: ختم الأعمال بالاستغفار.

المبحث الثالث:

العبادات المالية وعلاقتها بالاستغفار:

أولاً: الإنفاق واقترائه بالاستغفار (الفرض الحسن).

مقترحات الدراسة



١. دراسة الأحاديث النبوية الواردة في موضوع الاستغفار، واستنباط القيم التربوية منها.

٢. إجراء دراسة ميدانية في موضوع الاستغفار، ومدى تأثيره في التقليل من الانحراف، ودوره في صلاح المجتمع ورفقه.

٣. قيام المختصين التربويين وخبراء التربية بأبحاث علمية توضح طرق تهئية الفرد والمجتمع للتعامل مع الأزمات.

أهم التوصيات



١. العمل على تعزيز الاستغفار في نفوس الناشئة كقيمة عليا، يجب الحرص عليها، وتمثلها في جميع مواقف الحياة المختلفة.

٢. أن تمتد إسهامات الكليات التربوية إلى المجتمع، من خلال تثقيف المجتمع، وتدريبهم على فنون التربية بالاستغفار.

٣. إقامة دورات وبرامج توعوية مجتمعية للمربين، لإبراز أهمية الجوانب التربوية في غرس الأسس الإيمانية في نفوس الناشئة كالأدكار والأدعية ومنها الاستغفار.

أهم النتائج



١. أن اقتران التوحيد بالاستغفار يدل على أنّ العبد لا يتقرب بالاستغفار إن لم تصحبه عقيدة نقية صافية قوية بالله تعالى.

٢. استعان السابقون - رحمهم الله تعالى - بالاستغفار وساروا بالتوكل، ووظفوا أنفسهم على المحن من أجل الوصول إلى الغاية في العبادات، فتجسد في سلوكهم، ومنهجهم الأثر الحقيقي للقرآن الكريم.

٣. لا استقامة لعمل، ولا وصول إلى نجاح أو فلاح في دعوة أو تربية أو تمكين لدين الله: إلا مع الإيمان بالله ودعائه، واللجوء إليه، وطلب مغفرة الذنوب منه.



العنوان : التربية بالحب في القرآن الكريم وتطبيقاتها في الأسرة .

التربية بالحب في القرآن الكريم وتطبيقاتها في الأسرة .

hamoo.1406@hotmail.com - إعداد الباحثة : حنين عبدالكريم مديدين

جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية - 22,21 ربيع الثاني لعام 1443هـ

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى بيان
الدلالات التربوية للحب
في القرآن الكريم
وتطبيقاتها في الأسرة .

1. توضيح علاقة الحب بالتربية في القرآن الكريم .
2. استنباط الدلالات التربوية للحب من القرآن الكريم في الجانب العقدي .
3. استنباط الدلالات التربوية للحب في القرآن الكريم في الجانب الأخلاقي .
4. اقتراح التطبيقات التربوية المستنبطة من الحب في القرآن الكريم وتطبيقاتها في الأسرة .

أسئلة الدراسة :

تقوم الدراسة على الإجابة على
سؤال رئيس وهو
ما الدلالات التربوية المستنبطة
من الحب في القرآن الكريم وما
تطبيقاتها في الأسرة ؟
ومن هذا السؤال تتفرع الأسئلة
التالية :

ما علاقة الحب بالتربية في القرآن الكريم ؟
ما الدلالات التربوية المستنبطة من الحب في القرآن الكريم في
الجانب العقدي ؟
ما الدلالات التربوية المستنبطة من الحب في القرآن الكريم في
الجانب الأخلاقي ؟
ما التطبيقات التربوية للدلالات المستنبطة من الحب في القرآن
الكريم في الأسرة ؟

منهج الدراسة :
الطريقة الاستنباطية : وتعرف
بأنها (ما يقوم به الباحث ببذل
أقصى جهد عقلي ونفسي عند
دراسة الموضوع بهدف
الاستخراج مبادئ تربوية
مدعومة بالأدلة الواضحة) .

نتائج الدراسة :

1. خلصت الدراسة في نهايتها إلى عدة استنتاجات تتمثل في
ارتبط الحب بالفعل والعمل في القرآن الكريم أكثر من ارتباطه بالوجدان .
2. أساس الحب وجوهره أن يحب الله العبد وليس أن يحب الإنسان شيئاً في دنياه .
3. الحب موجود ومطلق في كل شيء في الحياة، ومقيد وفق ضوابط شرعية من الكتاب
والسنة، ولا ينصرف عليه إلا الدين .
4. كل دعوى الحب لا قيمة لها إلا بالعمل، والإحسان في الآخر .
5. التربية السليمة قائمة على الإشباع العاطفي وهو أسرع الطرق للوصول إلى قلب
وعقل الطفل .

حدود الدراسة :

تقتصر الدراسة على ذكر أسماء الحب ومراتبه وعلاماته في القرآن الكريم ،
وتوضيح علاقة الحب بالتربية في القرآن الكريم واستنباط الدلالات التربوية
للحب من الآيات الشريفة، وذلك بعد البحث والتدقيق والنظر في القرآن الكريم
وفي تفسير آياته وما جاء في بعض كتب التفسير ومن ثم اقتراح بعض
التطبيقات التربوية لهذه الدلالات مستخدمها الأسوة في عملية تقويم
أفرادها وتربية وتوجيه أبنائها .



وجهات نظر الطالبات نحو دور الحاسب الآلي في تحصيلهن الدراسي دراسة حالة لطلبة الصف الثالث متوسط في المدارس الخاصة بجدة بالمملكة العربية السعودية

اسم الباحثة: آلاء مكي علي الخيري - بجامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

أهداف الدراسة:

طالبات الصف الثالث متوسط
بالمدارس الخاصة في مدينة
جدة في المملكة العربية
السعودية

مدود الدراسة:

- التعرف على دور الحاسب الآلي في التحصيل العلمي لطلبات الصف الثالث متوسط في المملكة العربية السعودية ولتحقيق هذا الهدف اتبعت الباحثة الأهداف التالية:
- الكشف عن تصورات طالبات الصف الثالث متوسط في مدارس جدة في المملكة العربية السعودية حول دور الحاسب الآلي في التحصيل العلمي.
- التعرف على تصور الطالبات حول مساهمة الحاسب الآلي في العملية التعليمية.
- الاستفادة من نتائج البحث في تقييم السياسات التعليمية في المملكة واستفادة صانعي القرار منها.

أسئلة الدراسة:

- 1/ ما تصور الطالبات في المملكة العربية السعودية فيما يتعلق باستخدام الحاسب الآلي في العملية التربوية؟
- 2/ ما دور استخدام الحاسب الآلي في التحصيل الأكاديمي للطالبات في المملكة العربية السعودية؟

إجراءات ومنهجية البحث

عدد العينة العسجبية ضمن نطاق المجتمع



نقطة الدراسة

فلسفة البحث الفلسفة الواعية

نوع الدراسة الدراسة النوعية الاستقصائية

مجال البحث الطريقة (الأميرية)

(الطريقة العسجبية)

(الاستقصائية)

مجتمع الدراسة 2023

من طالبات الصف الثالث متوسط بمدينة جدة في المدارس الخاصة

عناصر البحث

نتائج الدراسة:

- أظهرت نتائج البحث وجود تصور إيجابي بشأن دور الكمبيوتر في تحسين بيئة التعلم، وعملية التعلم، والبحث السريع عن المعلومات، واكتساب المعرفة، وتثبيتها، وتحسين فهمهم السريع، واستيعابهم للمواد العلمية والمواد الأكاديمية الأخرى.
- كشفت النتائج عن تصور إيجابي حول مساهمة أجهزة الكمبيوتر في تحسين الأداء في الامتحانات وتحقيق درجات ممتازة في اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم.
- هناك اتفاق على التوصية باستخدام نظام متكامل لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات يتضمن استخدام الكمبيوتر لتقديم المناهج والتجارب العلمية، ودعم وتدريب الطلاب وتشجيعهم على استخدام أجهزة الكمبيوتر للتعلم الذاتي. كما أن البحث لا يأخذ في الاعتبار الجوانب السلبية لاستخدام الحاسب الآلي في العملية التربوية، وتأثير ذلك على جودة التعليم.



المؤتمرات القادمة



مؤتمر مكة الدولي الثالث
لغة العربية وآدابها

المؤتمر الدولي للفنون والتصاميم



المؤتمر الدولي للبحث العلمي ودوره
في تحقيق التنمية المستدامة للمجتمعات
بالوطن العربي



المؤتمر الدولي الثاني للتعليم
في الوطن العربي: مشكلات وحلول



المؤتمر الدولي الثاني لتأهيل وتمكين
القيادات التربوية لتحقيق التميز المؤسسي
في القطاعات التعليمية



مؤتمر الموهبة والإبداع: المستقبل
والتحديات



المؤتمر الدولي للنمو والتطوير التكامل
في التربية الخاصة: تكوين
المعرفة للمستقبلات



المؤتمر الدولي الثالث لمستقبل
التعليم الرقمي الوطن العربي



مؤتمر المناهج وطرق التدريس التعليمية
في ضوء الاتجاهات الحديثة



مؤتمر الجودة والتميز الفردي والمؤسسي
في القطاعات التعليمية



المؤتمر الدولي لمستقبل الثورة الرقمية في
مجال العمارة والعمران



مؤتمر الدراسات القانونية: المتطلبات
والأبعاد والآفاق

إدارة وتنظيم إثراء المعرفة للمؤتمرات والأبحاث والنشر العلمي



www.kefeac.com/si



kefeacsi@gmail.com



@Conference_is



00966500442447





www.kefeac.com